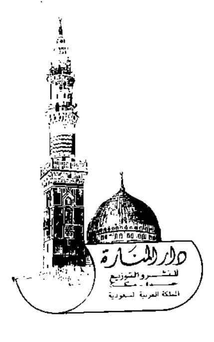



إعداد

عبدالله بن حسين الموجان

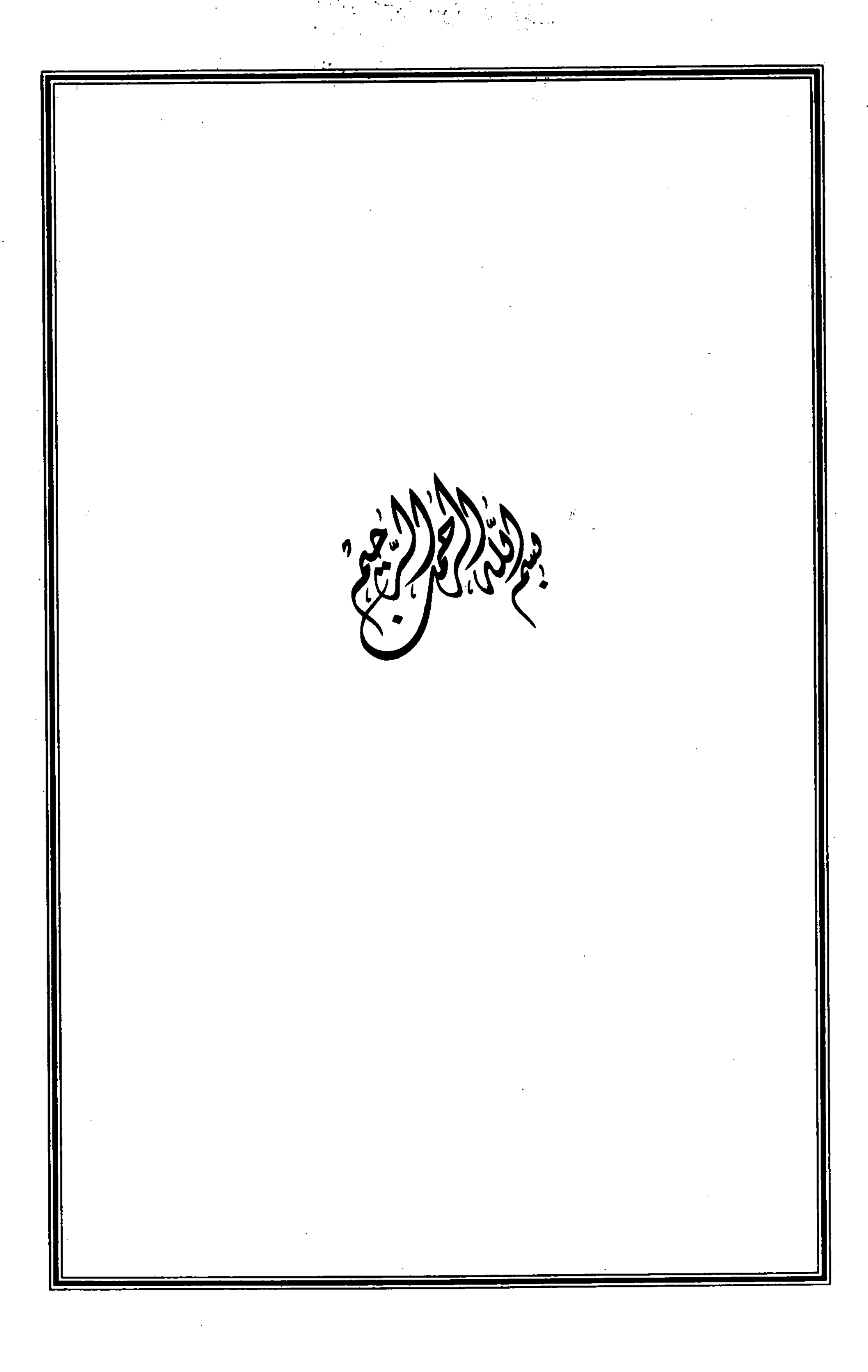
الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م




هاتف: ٦٦٠٣٦٥٢ - فاكس: ٦٦٠٣٢٣٨ - المستودع: ٦٦٧٥٨٦٤
جدة ٢١٤٣١ - ص.ب: ١٢٥٠ - المملكة العربية السعودية

تحاسد العلماء


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدّمة

الحمد لله الذي قال في كتابه العزيز: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ وقال عز وجل في شأن الكافرين: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾، وأشهد أن لا إله إلا الله شرع فأحكم، وأنزل لنا القرآن فبيَّن، وبعث رسوله محمداً ﷺ فنصح فقال: **«لا تباغضوا ولا تحاسدوا»** فها نحن نسمع آيات الله تتلى، ونقرأ أحاديث نبينا ﷺ فنعقل من ذلك التحذير من الحسد وذم الحسود فهل ننسى حسد إبليس لأبينا آدم، وحسد قابيل لأخيه هابيل، وهل ننسى حسد اليهود في المدينة لنبينا محمد ﷺ فكادوا له المؤامرات، ولا يزالون يكيدون لأتباعه.

إن الحسد خصلة ذميمة، فما الحسد وما حقيقته، وكيف نبتعد عنه، وما أسبابه وما علاجه؟ أسئلة كثيرة ينسينا تاليها أولها. ولا نزال نبحث ونتعلّم حتى نبتعد عن هذه الخصلة الذميمة، وربما يظن بعض الناس أن التحاسد لا يقع بين العلماء، وأن علمهم يعصمهم من الوقوع في تلك الرذيلة، ولكن التجربة الواقعية أثبتت خطأ هذا الظن، فقد وقع التحاسد بين العلماء في فروع العلم المتعددة: بين علماء العقيدة والفقهاء والأدباء والشعراء والنحاة وعلماء اللغة حتى خلع كل من المتحاسدين على نفسه صفات الكمال، ووصف محسوده بشتى الرذائل؛ فكل يدّعي أنه على الحق الذي لا مرية فيه وأن خصمه على الباطل الذي لا يلابسه شيء من الحق. وهذا إن وقع لا يكون من العلماء الربانيين، وقد يكون هذا من الزلات والله

يغفر لهم ذنوبهم، فعلمهم وفضلهم يغطي هذه الزلات، فينبغي إمساك اللسان عنهم، كما أن هناك أموراً ليست من الحسد فيدّعون أنها حسد حتى يُنفروا الناس عن هؤلاء.

إنها مسائل كثيرة متعددة ومتشابكة نشأت عنها عداوات وإحن وسجن وتشريد وتشتت وقتل، والعوام لا يملكون من وسائل التحقيق ما يمكنهم من إحقاق الحق وإبطال الباطل أو وضع الأمور في نصابها أو الاستئناس بالقرائن، ويترتب على ذلك أن تتلاشى منازل العلماء من أفكارهم وربما يؤدي ذلك إلى عدم الأخذ عنهم، إن الكتابة عن (تحاسد العلماء) كتابة حذِرة وخطيرة، والمقدم عليها معرض نفسه للسهام، ولكني جامع وناقل، فإن كان من لوم فعلى من نقلت عنهم وإن كان من شيء فإنما نقلت من رواية العلماء وتواريخهم.

وقبل أن أشرع في فصول ومباحث الكتاب أريد أن أبين وأجيب على هذا السؤال: لماذا كان هذا الكتاب؟

# الحسد

## • خطة العمل في هذا الكتاب

**لماذا كان هذا الكتاب؟**

**الحسد والتحاسد** أمر شاع بين الخاصة والعامة ولا ينكره أحد، وكيف لا وقد جاء التحذير منه في الكتاب والسنة، والواقع يؤكده ويثبته، وهذا الأمر مشتهر بين عامة أصناف الناس، بل ولا ينكره أكثر المشركين والكفار.

**وهذا الأمر** (أي الحسد) خصلة ذميمة عند كل الناس، وصاحبها مخذول مذموم مهجور، تنطوي نفسيته على خبث وسوء طوية. فما هو الحسد؟ وكيف نعالجه؟ وكيف نتقيه؟ وما العلاقة بينه وبين العين؟ وما مقوماته؟ وما أقسام الناس فيه؟.

**أسئلة كثيرة تدور في رأس الكثيرين** إذا سمعوا بهذا المرض، وبعضها يحتاج إلى بحث، وبعضها يعز على بعض الناس معرفة مظانه بسهولة.

**وقد كتب الكثيرون** في هذا الباب من قدامى ومعاصرين، إلا أنني أردت أن أسهم بشيء جديد، وأسلوب طريف، في أن أجمع بين التأصيل العلمي النظري لهذا المرض، وبين نماذج من وقوعه على مر التاريخ، واخترت من التاريخ أمثلة كثيرة للتحاسد الذي وقع في هذه الأمة بين أصناف المحدثين والفقهاء وطلاب العلم، وبينت أن التهم الملصقة بالأكابر

لا يلتفت إليها لأن كثيراً منها ناشىء عن الحسد.

**وفي المقابل** فإن كثيراً من أهل العلم يتكلمون في المخالفين لهم بحق وعدل، فيلقي الشيطان دسيسته بأن هذا الكلام إنما هو ناشىء عن حسد فينساق لهذه الدسيسة طغام الناس ومن لا عقل له، ويكون الكلام في ذاته حقاً والطعن بمستند صحيح، والغرض منه التحذير ونصيحة الأمة، فيضيع ذلك كله هباءً إذا ما نسب هذا إلى الحسد، ويروج على الناس والعوام، وتذهب النصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذا بينت فيما جمعته أن كثيراً مما قيل فيه (هذا حسد) إنه ليس بحسد، ولذا اضطرني الأمر أن أبين أسباب اختلاف العلماء، وأسباب الطعن في الرواة والوجهاء، مبيناً ما يصلح أن يكون سبباً شرعياً، وما لا يصلح لشيء من ذلك، ضارباً الأمثلة، وبانياً أصول القواعد، وأنا في ذلك متبع لا مبتدع، سالكاً في ذلك نظم السلف، ناسجاً على منوالهم.

**ومما يجدر التنبيه عليه**، والإشارة إليه أنني - حتى لا يحدث قصور في الكتاب، وخلل في مباحثه -، رأيت أن أضيف إليه شيئاً **مما وقع بين المعاصرين، ومنهم الأحياء ومنهم من وافته المنية قريباً، والكلام على المعاصرين تشوبه بعض المحاذير**، وهو طريق وعر، سالكه قد وضع نفسه هدفاً ونصب نفسه غرضاً.

**وقد قسمت هذه الموسوعة إلى ثلاثة أقسام كما يلي:**

**** القسم الأول: ذم الحسد، وفيه فصول:***

*** الفصل الأول: تعريف الحسد وحكمه.**

*** الفصل الثاني: مقومات الحسد.**

*** الفصل الثالث: أسبابه وعلاجه والوقاية منه.**

**** القسم الثاني: تحاسد العلماء، وفيه بابان:***

**الباب الأول: الحسد في المجتمع الإسلامي، وفيه فصلان:**

**الفصل الأول: تلبيس إبليس.**

**الفصل الثاني: آثار الحسد على المجتمع.**

**الباب الثاني: ماذا نعني بتحاسد العلماء، وفيه أربعة فصول:**

**الفصل الأول: تاريخ الحسد.**

**الفصل الثاني: أسباب تحاسد العلماء،** وفيه أربعة مباحث:

**المبحث الأول:** تنافس الأقران.

**المبحث الثاني:** الهوى والغرض وحب الدنيا.

**المبحث الثالث:** الاختلاف المذهبي والفقهي.

**المبحث الرابع:** الاختلاف في العقيدة.

**الفصل الثالث: ما يلحق بتحاسد العلماء.**

**الفصل الرابع: موقف المسلم من تحاسد العلماء.**

* *القسم الثالث: محن وردود.*

**وأنا لا أقصد فيما كتبت إلا النصح والنصيحة ولا أدعي كمالاً،** وأقر بالنقص، وأسأل الله تعالى أن يعفو ويصفح، وأطالب إخواني كذلك بالعفو والمغفرة والقيام بحق النصيحة في الله دونما تعصب أو حمية لشخص أو آخر، فهم قريبون إلى قلوبنا، لكن الحق أقرب وأجل.

**وبعد....**

**فهاك أخي** هذه الهدية وذلك الكتاب المسطر، استغرقت في جمعه سنوات، ورجعتُ فيه إلى المصادر الموثوق بها، حتى أصبح على هذه

الصورة التي أرجو الله تعالى أن يقبلها عنده ذخيرة لي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.**

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

**عبدالله بن حسين الموجان**
**مكة المكرمة: ١٤١٧ هـ**
**ص. ب ٦٨٥٩**

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾.

وقال ﷺ: **«ولا تحاسدوا»**[1].

وقال ﷺ: **«دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء»**[2].

وقال ﷺ: **«لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله عز وجل القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه في الحق آناء الليل والنهار»**[3].

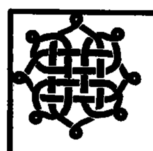
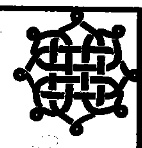
---

(١) أخرجه البخاري وأخرجه مسلم.

(٢) أخرجه أحمد (١/١٦٥ ـ ١٦٧، ٦/٤٤٥). والترمذي في كتاب القيامة (٥٦)، وأبو داود في كتاب الأدب (٥٠).

(٣) أخرجه البخاري وأخرجه مسلم.



# القسم الأول

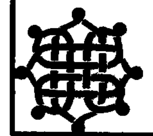
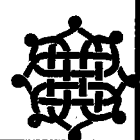
# ذم الحسد

وفيه فصول:

الفصل الأول: في تعريف الحسد وحكمه

الفصل الثاني: مقومات الحسد

الفصل الثالث: أسبابه وآثاره وعلاجه والوقاية منه



# القسم الأول: ذم الحسد

**ويشتمل على ثلاثة فصول:**

**الفصل الأول: تعريف الحسد وحكمه، ويشتمل على مبحثين:**

**المبحث الأول: في تعريف الحسد،** ويشتمل على سبعة مطالب:

**المطلب الأول:** الحسد لغة.

**المطلب الثاني:** الحسد في اصطلاح الشرع.

**المطلب الثالث:** بين الغبطة والحسد.

**المطلب الرابع:** بين العين والحسد.

**المطلب الخامس:** أنواع الحسد ومراتبه.

**المطلب السادس:** وقوع الحسد والضرر منه وكذا العين والرد على منكري ذلك.

**المطلب السابع:** الفرق بين الحسد والسحر.

**المبحث الثاني: حكم الحسد في الإسلام،** ويشمل مطلبين:

**المطلب الأول:** النصوص الشرعية في ذم الحسد.

**المطلب الثاني:** حكم الحسد باختلاف أنواعه في الإسلام.

**الفصل الثاني: مقومات الحسد، وفيه مدخل ومبحثان:**

* **مدخل.**

**المبحث الأول: الغضب**، وفيه مطالب ستة:

**المطلب الأول:** الغضب في الإنسان.

**المطلب الثاني:** ذم الغضب.

**المطلب الثالث:** فضيلة كظم الغيظ.

**المطلب الرابع:** دفع الغضب.

**المطلب الخامس:** الغيرة والغضب المحمود.

**المطلب السادس:** علاج الغضب.

**المبحث الثاني: الحقد**، وفيه خمسة مطالب:

**المطلب الأول:** الحقد عند الناس.

**المطلب الثاني:** ذم الحقد.

**المطلب الثالث:** نتائج الحقد وحكمه.

**المطلب الرابع:** علاج الحقد ودفعه.

**المطلب الخامس:** الوقاية من الحقد.

**الفصل الثالث: أسبابه وآثاره وعلاجه والوقاية منه، وفيه مباحث:**

**المبحث الأول: أسبابه ومضاره**، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** أسباب الحسد وشيوعه.

**المطلب الثاني:** آثار الحسد.

**المبحث الثاني: علاج الحسد لمن ابتلى به**، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** العلاج بالعلم.

**المطلب الثاني:** العلاج بالعمل.

**المبحث الثالث: الوقاية من الحسد،** وفيه أربعة مطالب:

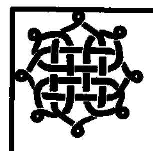
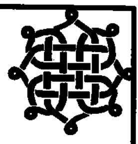
**المطلب الأول:** كتمان الأمور.

**المطلب الثاني:** قلة مخالطة الحساد.

**المطلب الثالث:** التجلد وعدم الالتفات للحاسدين.

**المطلب الرابع:** الرقى الشرعية.



# الفصل الأول
# تعريف الحسد وحكمه

## المبحث الأول
## تعريف الحسد لغة واصطلاحاً

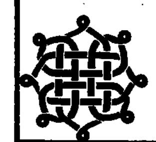
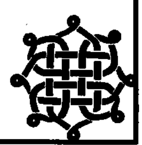
وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول:** الحسد لغة

**المطلب الثاني:** الحسد في اصطلاح الشارع

**المطلب الثالث:** بين الغبطة والحسد

**المطلب الرابع:** بين العين والحسد



## المطلب الأول

## الحسد لغة

**الحسد**: أن تتمنى زوال نعمة المحسود إليك، وبابه دخل، قاله الأخفش، وبعضهم يقول: يحسده بالكسر حسداً بفتحتين «وحسادة» بالفتح، و(حسده) على الشيء وحسده الشيء، بمعنى «وتحاسد» القوم، وقوم «حسدة» كحامل وحملة[1].

**وفي القاموس**: («حسده» الشيء وعليه يحسده، ويحسده حسداً، وحسوداً وحساداً وحسدة: تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته، أو يسلبها، وهو حاسد إن حسد، وحسود من حسد، وحسدني الله إن كنت أحسدك: أي عاقبني الله على الحسد، وتحاسدوا: حسد بعضهم بعضاً) اهـ[2].

## المطلب الثاني

## الحسد في اصطلاح الشارع

**لم يختلف تعريف الحسد في اصطلاح الشارع عن الحسد لغة عند الكثيرين، فهو تمني زوال نعمة المحسود، إلا أن ابن الجوزي زاد في**

---

(١) مختار الصحاح ص (١٣٥).

(٢) القاموس المحيط (٦٣٨/١).

التعريف فقال: الحسد تمني زوال نعمة المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها.

**وقال ابن الجوزي** مؤكداً ذلك: «وسبب ذلك حب الميزة على الجنس، وكراهة المساواة، فإذا حصلت للغير نعمة تميز بها تألم هذا الإنسان لتلك الميزة أو بمساواته له فيها، فلا يزيل ذلك الألم إلا زوال تلك النعمة عن المحسود» اهـ[1].

**وهذه الزيادة لا تخالف** التعريف اللغوي ولذا نجد في النفحة الوهبية بشرح الأربعين النووية يقول: وهو لغة وشرعاً تمني زوال نعمة الغير مطلقاً سواء تمنى انتقالها إليه أم لا...

**قال**: وبعضهم خصه بأن يتمنى ذلك لنفسه، والحق أنه أعم[2].

**وبين في الزواجر التعريف الاصطلاحي** بذكر بعض لوازمه، فقال في ثمرات الغضب: «أن تحسده بأن تتمنى زوال نعمته عنه، وتتمتع بنعمته وتفرح بمصيبته وأن تشمت ببليته، وتهجره وتقاطعه، وإن أقبل عليك، وتطلق لسانك فيه بما لا يحل، وتهزأ به وتسخر منه وتؤذيه، وتمنعه حقه من نحو صلة رحم، أو رد مظلمة»[3].

**وقد ذكر شيخ الإسلام الحسد فقال**: «ومن أمراض القلوب: الحسد، كما قال بعضهم في حده: إنه أذى يلحق بسبب العلم بحسن حال الأغنياء، فلا يجوز أن يكون الفاضل حسوداً لأن الفاضل يجري على ما هو الجميل، وقد قال طائفة من الناس: إنه تمني زوال النعمة عن المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها، بخلاف الغبطة فإنه تمني مثلها من غير حب زوالها عن المغبوط.

**والتحقيق**: أن الحسد هو البغض والكراهة لما يراه من حسن حال

---

(١) الطب الروحاني لابن الجوزي ص (٣٤).

(٢) النفحة الوهبية ص (٢٦٠).

(٣) الزواجر للهيثمي (١/١٠٠).

المحسود»[1].

وهذا الذي قاله **شيخ الإسلام** هو الراجح في اصطلاح الحسد وحده إلا أن هذا لا يتم معرفته إلا بمعرفة أنواعه، والعلاقة بينه وبين الغبطة وبين العين.

**فإن الحسد السابق** تدخل الغبطة فيه، فالغبطة كراهة فضل الشخص المعين على نفس الغابط وقد يسمى ذلك تنافساً، كما أن العائن في حقيقة الأمر حاسد إلا أن الحسد أعم ولأجل ذلك حَسُنَ توضيح العلاقة بين الحسد والغبطة والعين.

## المطلب الثالث
## بين الغبطة والحسد

**الغبطة**: تمني مثل النعمة من غير حب زوالها عن المغبوط[2].

**وهي داخلة في حد الحسد السابق** وذلك لأنها في حقيقتها كراهة وبغض فضل ذلك الشخص عليه فيحب أن يكون مثله أو أفضل منه، ولكنه حسد لا عقوبة عليه، وأما إذا تمنى العبد النعمة دون أن يكون هناك نظر للمغبوط فهذا ليس بحسد، وإنما قيل للغبطة حسد لأنه لولا وجود هذا المغبوط لم يتمن العبد ذلك، وعلى ذلك فالغبطة داخلة في الحسد، إلا أن الحسد المذموم هو كراهة النعمة على الغير مطلقاً، والحاسد ليس له في ذلك غرض معين إلا كراهة ما أنعم به على غيره.

**وبعض أهل العلم ينكر أن تكون الغبطة حسداً حقيقة**، ويرى أن قوله ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين**» المراد به الغبطة مجازاً، وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما للغير من غير أن يريد زواله عنه[3].

---

(١) مجموع الفتاوى (١١١/١٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١١١/١٠).

(٣) النفحة الوهبية ص (٢٦١)، وابن رجب في جامع العلوم والحكم ص (٣٢٧) حيث قال عن الغبطة: (وسماه حسداً من باب الاستعارة) اهـ.

**وبعض أهل العلم يُدخل الغبطة في الحسد ويجعل الحسد على مراتب** كما قال الهيثمي في الزواجر: وأما مراتبه: فهي إما محبة زوال نعمة الغير وإن لم تنتقل للحاسد وهذا غاية الحسد، أو مع انتقالها إليه أو انتقال مثلها إليه وإلا أحب زوالها لئلا يتميز عليه أو لا مع محبة زوالها، وهذا الأخير هو المعفوّ عنه من الحسد إن كان في الدنيا والمطلوب إن كان في الدين كما مر[1] اهـ، وهذا هو الصواب إن شاء الله تعالى.

**يقول شيخ الإسلام رحمه الله:** «والحاسد ليس له غرض في شيء معين، لكن نفسه تكره ما أنعم به على النوع. ولهذا قال من قال: إنه تمني زوال النعمة. فإن من كره النعمة على غيره تمنى زوالها بقلبه.

و **(النوع الثاني)**: أن يكره فضل ذلك الشخص عليه، فيحب أن يكون مثله أو أفضل منه، فهذا حسد وهو الذي سموه الغبطة، وقد سماه النبي ﷺ حسداً في الحديث المتفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها، ورجل آتاه الله مالاً وسلطه على هلكته في الحق**» هذا لفظ ابن مسعود.

**ولفظ ابن عمر: «رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفق منه في الحق آناء الليل والنهار»** رواه البخاري من حديث أبي هريرة ولفظه: «**لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه الليل والنهار، فسمعه رجل فقال: يا ليتني أوتيت مثل ما أوتي هذا فعملت فيه مثل ما يعمل هذا، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق فقال رجل: يا ليتني أوتيت مثل ما أوتي هذا فعملت فيه مثل ما يعمل هذا**».

**فهذا الحسد الذي نهى عنه النبي ﷺ** إلا في موضعين هو الذي سماه أولئك الغبطة، وهو أن يحب مثل حال الغير ويكره أن يفضل عليه، فإن

---

(١) الزواجر (١٠٢/١) وانظر في المبحث الخامس في مراتب الحسد.

قيل: إذاً لَم سمي حسداً وإنما أحب أن ينعم الله عليه؟. قيل: مبدأ هذا الحب هو نظرة إلى إنعامه على الغير وكراهته أن يتفضل عليه، ولولا وجود ذلك الغير لم يحب ذلك، فلما كان مبدأ ذلك كراهته أن يتفضل عليه الغير كان حسداً، لأنه كراهية تتبعها محبة، وأما من أحب أن ينعم الله عليه مع عدم التفاته إلى أحوال الناس فهذا ليس عنده من الحسد شيء)[1] اهـ.

## المطلب الرابع
## بين العين والحسد

**العين حق، وقيل في العين**: هي الحسد بالعين خاصة وقيل: بل حسد الإنسان نفسه يسمى عيناً، وحسده لغيره حسداً.

**وقيل**: إن العين لا تؤثر إلا في المستحسن من حاسد.

**قال ابن الجوزي** في صيد الخاطر: (ثم نكتة ينبغي التفطن لها، ربما أظهر الإنسان كثرة المال وسبوغ النعم، فأصابه العدو بالعين، فلا يفي ما تبجح به بما يلاقي من انعكاس النعمة، والعين لا تصيب إلا ما يستحسن للشيء. ولا يكفي الاستحسان في إصابة العين حتى يكون من حاسد، ولا يكفي ذلك حتى يكون من شرير الطبع. فإذا اجتمعت هذه الصفات خيف من إصابة العين. فليكن الإنسان مظهراً للتجميل مقدار ما يأمن إصابة العين ويعلم أنه في خير. وليحذر الإفراط في إظهار النعم، فإن العين هناك محذورة.

**وقد قال يعقوب لبنيه** عليهم السلام: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ وإنما خاف عليهم العين فليفهم هذا الفصل فإنه ينفع من له تدبر)[2].

**وقد أوضح الإمام ابن القيم أن الحسد أصل الإصابة بالعين** وأن العلاقة

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/١١٢، ١١٣).

(٢) صيد الخاطر، ص (٢٦٨).

بينهما عموم وخصوص فقال: (وتأثير الحاسد في أذى المحسود أمرٌ لا يُنكره إلا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية، وهو أصل الإصابة بالعين، فإنَّ النفس الخبيثة الحاسدة تتكيفُ بكيفية خبيثة، وتُقابلُ المحسود، فتؤثِّرُ فيه بتلك الخاصية، وأشبه الأشياء بهذا الأفعى، فإن السم كامن فيها بالقوة، فإذا قابلت عدوها، انبعثت منها قوة غضبية، وتكيَّفت بكيفيةٍ خبيثةٍ مؤذية، فمنها ما تشتدُّ كيفيتُها وتقوى حتى تؤثر في إسقاط الجنين، ومنها ما يؤثر في طمس البصر، كما قال النبي ﷺ في الأبتر، وذي الطُّفيتين من الحيات: «**إنَّهُمَا يلتمسانِ البصر، ويُسقطان الحَبلَ**»[1].

**ومنها ما تؤثر في الإنسان كيفيتهما بمجرد الرؤية** من غير اتصال به، لشدة خُبثِ تلك النفس، وكيفيتها الخبيثة المؤثرة، والتأثيرُ غيرُ موقوف على الاتصالات الجسمية، كما يظنُّه من قلَّ علمُه ومعرفته بالطبيعة والشريعة، بل التأثيرُ يكون تارةً بالاتصال، وتارةً بالمقابلة، وتارة بالرؤية، وتارة بتوجه الروح نحو من يؤثر فيه، وتارة بالأدعية والرقى والتعويذات، وتارة بالوهم والتخيل، ونفس العائن لا يتوقفُ تأثيرُها على الرؤية، بل قد يكون أعمى، فيوصف له الشيء، فتؤثر نفسه فيه، وإن لم يره، وكثيرٌ من العائنين يؤثر في المعين بالوصف من غير رؤية، وقد قال تعالى لنبيه: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ﴾ [القلم: ٥١] وقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

**فكل عائن حاسد وليس كل حاسد عائناً**، فلما كان الحاسد أعم من

---

(١) قال محقق الزاد: أخرجه البخاري (٦/٢٤٨) في بدء الخلق: باب قول الله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾، ومسلم (٢٢٣٣) في السلام: باب قتل الحيات وغيرها، من حديث ابن عمر، والطفيتان: هما الخطان الأبيضان على ظهر الحية، والأبتر: قصير الذنب، وقوله: يلتمسان البصر، قال الخطابي: فيه تأويلان، أحدهما: معناه يخطفان البصر ويطمسانه بمجرد نظرهما إليه بخاصة جعلها الله تعالى في بصريهما إذا وقع على بصر الإنسان، والثاني: أنهما يقصدان البصر باللسع والنهش، والأول أصح وأشهر.

العائن، كانت الاستعاذة منه استعاذة من العائن، وهي سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسود والمعين تصيبه تارة وتخطئه تارة، فإن صادفه مكشوفاً لا وقاية عليه، أثَّرت فيه، ولا بد، وإن صادفته حذراً شاكي السلاح لا منفذ فيه للسهام، لم تؤثر فيه، وربما ردت السهام على صاحبها، وهذا بمثابة الرمي الحسي سواء، فهذا من النفوس والأرواح، وذاك من الأجسام والأشباح.

**وأصله من إعجاب العائن بالشيء**، ثم تتبعه كيفية نفسه الخبيثة، ثم تستعين على تنفيذ سمها بنظرة إلى المعين، وقد يعين الرجل نفسه، وقد يعين بغير إرادته، بل بطبعه، وهذا أردأ ما يكون من النوع الإنساني، وقد قال أصحابنا وغيرهم من الفقهاء: إن من عرف بذلك، حبسه الإمام، وأجرى له ما ينفق عليه إلى الموت، وهذا هو الصواب قطعاً»[1] اهـ.

**وتمام ذلك أن يقال**: لم يفرق جماعة بين الحسد وبين العين، وبعد الاطلاع على حقيقة الحسد والعين وما ورد فيها من آثار وشروح تبين أن الحسد هو العين إلا أن العين أشمل منه شراً، والحاسد أعم من العائن، فقد يحسد واحد آخر لشيء أو أمر لحاجة في نفسه، فمثلاً إذا وجد اثنان كانا سويين طوال حياتهما فأنعم الله على أحدهما فحسده الآخر، أو أنه يعلم مدى إمكاناته وقدراته وأنه أقدر منه وأفضل فكيف يعطى هذا ولم يعطَ هو؟

**أما العين**: فهي تلك النفس الشريرة التي يتملك الشر جوانبها فينبعث منها الخبائث من العين، فهي تنظر إلى أي شيء سواء أكانت تعلم المنعم عليه أم لم تره من قبله، وكذا فإن الحسد لا يكون بالعين، بل يحسده من داخله أما العين فهي النظر الذي يتميز غيظاً مما ينعم الله به على غيره، ومن هنا يكون هناك فرق غير كبير بين الحسد والعين.

---

(١) زاد المعاد (٤/١٦٦ ـ ١٦٨).

## المطلب الخامس

## أنواع الحسد ومراتبه

**سبق أن تعرضنا للحسد والفرق بينه وبين الغبطة، والفرق بينه وبين العين.**

**والغبطة كما سبق:** هي المنافَسة والمسابقة إلى الخيرات، قال الله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد: ٢١].

**وإنما المسابقة عند خوف الفوت** وهو كالعبدين يتسابقان إلى خدمة مولاهما إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى بها فكيف وقد صرح رسول الله ﷺ بذلك فقال: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس**»[١].

**ثم فسر ذلك في حديث أبي كبشة الأنماري فقال: «مثل هذه الأمة مثل أربعة: رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فيقول: رب لو أن لي مالاً مثل مال فلان لكنت أعمل فيه قبل عمله فهما في الأجر سواء».**

**وهذا منه حب** لأنه يكون له مثل ماله فيعمل مثل ما يعمل من غير حب زوال النعمة عنه قال: «**ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو ينفقه في معاصي الله، ورجل لم يؤته علماً ولم يؤته مالاً فيقول: لو أن لي مثل مال فلان لكنت أنفقته في مثل ما أنفق فيه من المعاصي فهما في الوزر سواء**»[٢].

**فذم رسول الله ﷺ** له من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ما له فإذاً لا حرج على من يغبط غيره من نعمة

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر.

(٢) رواه ابن ماجة والترمذي وقال: حسن صحيح.

ويشتهي لنفسه مثلها ما دام لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له، نعم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة، فهذه المنافسة واجبة إذْ ينبغي أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك يكون راضياً بالمعصية وذلك حرام وإن كانت النعمة من الفضائل كإنفاق الأموال في المكارم والصدقات، فالمنافسة فيها مندوب إليها، وإن كانت نعمة ينعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته واللحاق به في النعمة، وليس فيها كراهة النعمة، وكان تحت هذه النعمة أمران:

**أحدهما**: راحة المنعم عليه، **والآخر**: ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين، وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات، نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان.

**وها هنا دقيقة غامضة**: وهو أنه إذا أَمِنَ أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان، وإنما يزول نقصانه إما بأن ينال مثل ذلك أو بأن تزول نعمة المحسود، فإذا انسد أحد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشقى عنده من دوامها، إذ بزوالها ألقي الأمر إليه ورد إلى اختياره، فيسعى في إزالة النعمة عنه فهو حسود حسداً مذموماً وإن كان تمنعه التقوى عن إزالة ذلك فيعفو عما يجده في طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارهاً لذلك من نفسه بعقله ودينه.

**ولعل هذا هو المعني بقوله ﷺ**: «**ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن: الحسد والظن والغيرة**»، ثم قال: «**وله منهم مخرج إذا حسدت فلا تبغ**»، أي إن وجدت في قلبك شيئاً فلا تعمل به، وبعيد أن يكون الإنسان مريداً للحاق بأخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل إلى زوال النعمة، فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام، فينبغي أن يحتاط فيه فإنه موضع الخطر.

وعلى ذلك فالحسد نوعان: .

**الأول**: كراهة النعمة على الغير مطلقاً.

**ويدخل في ذلك الغبطة والتنافس** وبعض أنواع الحسد.

**وقد جمع الغزالي رحمه الله ذلك** كله فقال: مراتب الحسد أربعة:

**الأولى**: أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا ينتقل إليه وهذا غاية الخبث.

**الثانية**: أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها.

**الثالثة**: أن لا يشتهي عينها لنفسه بل يشتهي مثلها فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما.

**الرابعة**: أن يشتهي لنفسه مثلها فإن لم تحصل فلا يحب زوالها عنه.

**وهذا الأخير هو المعفو عنه** إن كان في الدنيا والمندوب إليه إن كان في الدين، والثالثة فيها مذموم وغير مذموم، والثانية أخف من الثالثة، وصاحبُ الأولى مذموم محض وتسمية الرتبة الثانية حسداً فيه تجوز وتوسع، ولكنه مذموم، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾، فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم، وأما تمنيه عين ذلك فهو مذموم[1].

## المطلب السادس
## وقوع الحسد والضرر منه وكذا العين والرد على منكري ذلك والفرق بينه وبين السحر

**الحسد ثابت في نصوص الكتاب والسنة**، وليس هذا المطلب مَوْضِعاً لإيراد النصوص، فإن هذا له مبحث آخر[2].

---

(١) الإحياء (١٨٨/٣).

(٢) انظر مبحث حكم الحسد ص (٥٣).

**وإنما المقصود إثبات أن الحسد يضر**، والرد على من أنكر ذلك، وقد ألفيت العلامة ابن القيم جمع جمعاً لطيفاً، فأوعى به الرد، وأكمل به الجواب فقال: والعين عينان: عين إنسية، وعين جنية، فقد صح عن أم سلمة، أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة، فقال: «**استرقوا لها، فإن بها النظرة**»[(١)].

**قال الحسين بن مسعود الفراء**: وقوله: «**سفعة**» أي: نظرة، يعني من الجن. يقول بها عين أصابتها من نظر الجن أنفذ من أسنة الرماح[(٢)].

**ويذكر عن جابر يرفعه: «إن العين لتدخل الرجل القبر، والجمل القدر»**[(٣)].

**وعن أبي سعيد**، أن النبي ﷺ كان يتعوذ من الجان، ومن أعين الإنسان[(٤)].

**فأبطلت طائفة ممن قلَّ نصيبهم من السمع والعقل أمر العين**، وقالوا: إنما ذلك أوهام لا حقيقة لها، وهؤلاء من أجهل الناس بالسمع والعقل،

---

(١) قال المحقق: أخرجه البخاري (١٧١/١٠، ١٧٢) في الطب: باب رقية العين، ومسلم (٢١٩٧) في السلام: باب رقية العين، والسفعة ـ بفتح السين ويجوز ضمها وسكون الفاء ـ سواد في الوجه، ومنه سفعة الفرس: سواد ناصيته، وعن الأصمعي: حمرة يعلوها سواد، وقيل: صفرة، وقيل: سواد مع لون آخر، وقال ابن قتيبة: لون يخالف لون الوجه، وكلها متقاربة.

(٢) قال المحقق: انظر «شرح السنة» (١٦٣/١٣).

(٣) قال محقق الكتاب: حديث ضعيف أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩٠/٧)، وابن عدي والخطيب في تاريخه (٢٤٤/٩) من حديث جابر بن عبدالله بلفظ: «**العين تدخل الرجل القبر، وتدخل الجمل القدر**» وقد تفرد به شعيب بن أيوب عن معاوية، عن هشام... وبلغني أنه قيل له: ينبغي أن تمسك عن هذه الرواية ففعل. وقال الذهبي في «الميزان» في ترجمة شعيب بن أيوب: وله حديث منكر ذكره الخطيب في «تاريخه» يريد هذا الحديث.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٠٥٩) والنسائي (٢٧١/٨)، وابن ماجة (٣٥١١) وحسنه الترمذي، وتمامه: فلما نزلت المعوذتان، أخذ بهما وترك ما سوى ذلك.

ومن أغلظهم حجاباً، وأكثفهم طباعاً، وأبعدهم معرفةً عن الأرواح والنفوس. وصفاتها وأفعالها وتأثيراتها، وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع أمر العين، ولا تنكره، وإن اختلفوا في سببه وجهة تأثير العين.

**فقالت طائفة:** إن العائن إذا تكيفت نفسه بالكيفية الرديئة، انبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين، فيتضرر، قالوا: ولا يستنكر هذا كما لا يستنكر انبعاث قوة سمية من الأفعى تتصل بالإنسان، فيهلك، وهذا أمر قد اشتهر عن نوع من الأفاعي أنها إذا وقع بصرها على الإنسان هلك، فكذلك العائن.

**وقالت فرقة أخرى:** لا يستبعد أن ينبعث من عين بعض الناس جواهر لطيفة غير مرئية، فتتصل بالمعين، وتتخلل مسام جسمه، فيحصل له الضرر.

**وقالت فرقة أخرى:** قد أجرى الله العادة بخلق ما يشاء من الضرر عند مقابلة عين العائن لمن يعينه من غير أن يكون منه قوة ولا سبب ولا تأثير أصلاً، وهذا مذهب منكري الأسباب والقوى والتأثيرات في العالم، وهؤلاء قد سدوا على أنفسهم باب العلل والتأثيرات والأسباب، وخالفوا العقلاء أجمعين.

**ولا ريب أن الله سبحانه خلق في الأجسام والأرواح قوى وطبائع مختلفة**، وجعل في كثير منها خواص وكيفيات مؤثرة، ولا يمكن لعاقل إنكار تأثير الأرواح في الأجسام، فإنه أمر مشاهد محسوس، وأنت ترى الوجه كيف يحمر حمرة شديدة إذا نظر إليه من يحتشمه ويستحي منه، ويصفر صفرة شديدة عند نظر من يخافه إليه، وقد شاهد الناس من يسقم من النظر وتضعف قواه، وهذا كله بواسطة تأثير الأرواح، ولشدة ارتباطها بالعين ينسب الفعل إليها، وليست هي الفاعلة، وإنما التأثير للروح، والأرواح مختلفة في طبائعها وقواها وكيفياتها وخواصها، فروح الحاسد مؤذية للمحسود أذىً بيناً، ولهذا أمر الله ـ سبحانه ـ رسوله أن يستعيذ به من شره اهـ[1].

---

(١) زاد المعاد (١٦٤/٤ ـ ١٦٦).

**ومما يدخل في أدلة وقوع ضرر من الحسد**، كلام الأولين في الحسد على أنه شر كامل وبالغوا في وصفه، فمنهم محمد بن أبي بكر الرازي حيث قال:

(**إنه ليس لحنق الحاسد وغيظه وبغضه** لهذا الرجل القريب السابق له وجه في العدل بتة، وذلك أنه لم يمنع المسبوق من المبادرة إلى المطلوب، وإن حصله وحظي به دونه، وليس الحظ الذي ناله هذا السابق شيئاً كان الحاسد أحق به أو أحوج إليه، فلا يبغضه إذاً، ولا يحنق عليه، بل ليحنق على جده أو على تراخيه، فإن أحدهما هو الذي حرمه وأقعده عن بلوغ أمله، مع أنه إذا كان هذا السابق أخاً أو ابن عم أو قريباً أو معرفة أو بلدياً، كان أصلح للحاسد، وكان أرجى لخيره وآمن من شره، إذ بينهما وصلة...، وأيضاً فإنه إذا كان لا بد أن يكون في الناس الرؤساء والملوك والمثرون، ولم يكن الحاسد ممن يؤمل ويرجو أن يصير ما حولهم إليه أو إلى من إذا صار إليه انتفع هو به، فليس لكراهيته أن يبقى عليه وجه في العقل بتة، لأنه سواء عليه بقي فيهم أو صار إلى غيرهم.

**وقوله**: (إن العاقل قد يذم بصيرة نفسه الناطقة، وقوة نفسه الغضبى، وقوة نفسه البهيمية، حتى يروعها من إصابة الأشياء اللذيذة الشهية، فضلاً عما لا شهوة ولا لذة فيه، وفيه مع ذلك معزة للنفس والبدن جميعاً.

**وأقول**: إن الحسد مما لا لذة فيه، وإن كان فيه منها شيء فإنه أقل كثيراً من سائر الأشياء من اللذات، وهو مضر بالنفس والجسد.

**أما بالنفس**، فلأنه يذهلها ويغرب فكرها، ويشغلها حتى لا تفرغ للتصرف فيما يعود نفعه على الحاسد وعليها. لما يعرض معه للنفس من العوارض الردية، مثل طول الحزن والهم والفكر.

**وأما بالجسد**، فلأنه يعرض له عند حدوث هذه الأعراض للنفس طول السهر وسوء الاغتذاء، ويعقب ذلك رداءة اللون وسوء الهيئة وفساد المزاج.

**وإذا كان العاقل** يذم بفعله الهوى المقرب إليه الشهوات اللذيذة، بعد أن تكون مما يعقب مضرة، فأولى به وأولى أن يجتهد في محو هذا العارض عن

نفسه ونسيانه والإضراب عنه وترك الفكر فيه متى خطر بباله، وأيضاً فإن الحسد نعم العون والمنتقم من الحاسد للمحسود. وذلك أنه يدعم همه وغمه ويذهل عقله ويعذب جسده ويوهن بانشغال نفسه وإضعاف جسده كيده للمحسود وسعيه عليه، إن دام ذلك. فأي رأي هو أولى بالتسفيه والترذيل من الذي لا يجلب على صاحبه إلا الضرر، وأي سلاح أحق وأولى بالاطراح، من الذي هو جنة للعدو وجارح للعمل، . . . إلى أن قال رحمه الله:

**أقول**: إن الإنسان لا يزال يستعظم الحالة ويستجلبها، ويود ويتمنى بلوغها والوصول إليها، ويرى بل لا يشك أن الذين قد نالوها وبلغوها هم في غاية الاغتباط والاستمتاع بها، حتى إذا بلغها ونالها لم يفرح ولم يسر بها إلا مديدة يسيرة، بقدر ما يستقر فيها، ويتمكن منها، ويعرف بها، ويكون هذه المديدة عند نفسه مسعوداً مغتبطاً بها، حتى إذا حصلت في هذه الحالة التي كانت المتمناة، واستحكم كونه فيها، سمت نفسه إلى ما هو فوقها وتكلفت أمنية مما هو أعلى منها». اهـ كلامه رحمه الله.

**فإن دل كلامه على شيء فإنما يدل على وقوع الضرر على المحسود،** وإنه لا مجال للإنكار البتة، فإن الحسد شر كبير يخرج من شرير امتلأت جوانبه بالشر كله، وهذا الشر لا يصدق أن يكون كامناً داخل جسد ونفس المحسود فقط، وإلا لما وصف المحسود بهذا الكم من الحسد.

## المطلب السابع

## الفرق بين الحسد والسحر

**فإن قيل**: إذا كان ما جئتم به صحيحاً في إثبات الحسد والرد على منكريه، فما الفرق بين الحسد والسحر؟ فإنكم قلتم إن الضرر الحاصل من الحسد والعين إنما هو بتأثير الأرواح ولشدة ارتباطها بالعين ينسب الفعل إليها، وليست هي الفاعلة[1]، فهذا يؤدي إلى أن السحر والحسد شيء

(١) سبق من كلام ابن القيم قريباً.

واحد، إذ الضرر الحاصل من السحر إنما هو بسبب الأرواح والشياطين.

**قيل في الجواب:** لا شك أن الحاسد والساحر يشتركان في أن كل واحد منهما يقصد الشر، ولا شك أن الشياطين تعين الحاسد والساحر، ولكن الحاسد تعينه الشياطين بلا استدعاء منه للشياطين، والساحر يطلب من الشيطان أن يعينه، وربما يعبده من دون الله حتى يقضي له حاجته.

**فالحاسد بطبعه** ونفسه وبغضه للمحسود، والساحر بعلمه بالسحر وكسبه وشركه واستعانته بالشياطين[1].

**وقد جمع الله سبحانه** في سورة الفلق بين الاستعاذة من شر الحاسد وشر الساحر فقال: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾[2].

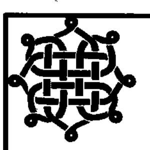
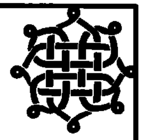
**ودل أيضاً قوله:** ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ دلّ على أن الحاسد له شر يؤذي به خلافاً لمن أنكره نعوذ بالله من شر الحاسدين والساحرين والشياطين.

---

(١) انظر بدائع الفوائد لابن القيم (٢/٢٣٤، ٢٣٥)، وانظر عالم السحر والشعوذة لعمر الأشقر ص (٨٠ ـ ٨٢).

(٢) سورة الفلق، الآيتان: ٤، ٥.



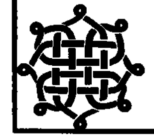
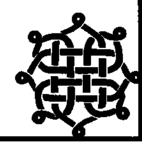



# المبحث الثاني
# حكم الحسد في الإسلام

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: النصوص الشرعية في ذم الحسد

المطلب الثاني: حكم الحسد باختلاف أنواعه



## المطلب الأول

## النصوص الشرعية في ذم الحسد

ذكر الهيثمي في الزواجر عدة أحاديث في هذا الباب فمما جاء فيه:

قال: «وأخرج ابن ماجة: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، والصلاة نور المؤمن، والصيام جنة» أي ساتر ووقاية من النار.

وابن عساكر: «الحسد في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فقام به وأحل حلاله وحرم حرامه، ورجل آتاه الله مالاً فوصل به أقرباءه ورحمه وعمل بطاعة الله».

والديلمي: «الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل».

وابن عدي: «إذا حسدتم فلا تبغوا، وإذا ظننتم فلا تحققوا، وإذا تطيرتم فامضوا وعلى الله فتوكلوا».

وأبو داود: «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».

وأحمد والترمذي والضياء: «دب إليكم داء الأمم قبلكم، الحسد والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر، والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».

وابن صصري: «الغل والحسد يأكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب».

والطبراني: «ليس مني ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه».

وأبو نعيم: «كل ابن آدم حسود ولا يضرّ حاسداً حسده ما لم يتكلم باللسان أو يعمل باليد». وفي رواية: «كل ابن آدم حسود وبعض الناس في الحسد أفضل من بعض ولا يضر حاسداً حسده ما لم يتكلم باللسان أو يعمل باليد».

والطبراني: «لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا».

والحاكم والديلمي: «إن إبليس يقول: ابغوا من بني آدم البغي والحسد فإنهما يعدلان عند الله الشرك».

وأحمد والبخاري في الأدب المفرد، والترمذي وابن ماجة والحاكم وابن حبان: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم».

وابن عدي وابن النجار: «واحذروا البغي فإنه ليس من عقوبة أخطر من عقوبة البغي».

وابن لال: «لو بغى جبل على جبل لدكّ الباغي منهما».

والترمذي وحسنه: «لا تظهر الشماتة في أخيك فيعافيه الله» وفي رواية: «فيرحمه الله ويبتليك».

والبيهقي: «من أسوأ الناس منزلة من أذهب آخرته بدنيا غيره».

والبخاري في تاريخه: «إن أشد الناس ندامة يوم القيامة رجل باع آخرته بدنيا غيره».

وابن ماجة والطبراني: «إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة عبد أذهب آخرته بدنيا غيره».

والسجزي: «إياكم والهوى فإن الهوى يصم ويعمي».

والطبراني وأبو نعيم: «**ما تحت ظل سماء من إله يعبد من دون الله أعظم عند الله من هوى متبع**».

وقال ﷺ في النهي عن الحسد وأسبابه وثمراته: «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تنابزوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة**» رواه الشيخان.

وقال أنس رضي الله عنه: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال: «**يطلع الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة**» فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه وقد علق نعليه بيده الشمال فسلم، فلما كان من الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك فطلع الرجل بعينه مثل المرة الأولى فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فقال عبدالله: إني لاحيت أي خاصمت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن أردت أن تؤويني إليك حتى تمضي الثلاث فعلت؟ فقال: نعم، قال أنس: وكان عبدالله يحدث بأنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعارّ - بالتشديد - أي استيقظ وتقلب على فراشه ذكر الله تعالى وكبره ولا يقوم حتى تقوم الصلاة، قال: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مرت الثلاث وكدت أحتقر عمله فقلت: يا عبدالله إنه لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لك أي عنك ثلاث مرات: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**» فطلعت أنت الثلاث مرات، فأردت أن آوي إليك فأنظر ما عملك فأقتدي بك، فلم أرك عملت كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال النبي ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت دعاني وقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه، فقال عبدالله: هي التي بلغت بك» رواه أحمد بإسناد على شرط الشيخين. والنسائي بسند صحيح أيضاً. وأبو يعلى والبزار ونحوه، وسمى الرجل المبهم سعداً، وقال في آخره: (فقال: ما هو إلا ما رأيت يا ابن أخي إلا أنني لم أبت ضاغناً على مسلم أو كلمة نحوها) زاد النسائي في رواية له،

والبيهقي والأصبهاني: (فقال عبدالله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق أي نحن على القيام بها).

**ورواه البيهقي** أيضاً عن سالم بن عبدالله عن أبيه رضي الله عنهما قال: (كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال: «**ليطلعن عليكم رجل من هذا الباب من أهل الجنة**» فجاء سعد بن مالك فدخل منه) قال البيهقي: فذكر الحديث، قال: (فقال عبدالله بن عمرو: ما أنا بالذي أنتهي حتى أبايت هذا الرجل فأنظر عمله)، قال: فذكر الحديث في دخوله عليه، قال: (فناولني عباءة فاضطجعت عليها قريباً منه وجعلت أرمقه بعيني ليلة كلما تعارّ سبح وكبر وهلل وحمد حتى إذا كان في وقت السحر قام فتوضأ ثم دخل المسجد فصلى اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة سورة من المفصل ليس من طواله ولا من قصاره: يدعو في ركعتين بعد التشهد بثلاث دعوات، يقول: اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم اكفنا ما أهمنا من أمر آخرتنا ودنيانا) فذكر الحديث في استقلال عمله إلى أن قال: (فقال: لآخذ مضجعي وليس في قلبي غمر) بكسر المعجمة: أي حقد على أحد.

**وفي حديث: «كاد الفقر أن يكون كفراً وكاد الحسد أن يغلب القدر».**

**وفي آخر: «سيصيب أمتي داء الأمم»** قالوا: وما داء الأمم؟ قال: «**الأشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا، والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي، ثم يكون الهرج**»(١).

**وفي آخر: «أخوف ما أخاف على أمتيّ أن يكثر بهم المال فيتحاسدون ويقتتلون»** ثم قال ﷺ: «**استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود**».

**وفي آخر: «إن لنعم الله أعداء»** قيل: ومن أولئك؟ قال: «**الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**».

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة.

وفي آخر: **«ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة»** قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: **«الأمراء بالجور، والعرب بالعصبية، والدهاقين بالتكبر، والتجار بالخيانة، وأهل الرستاق بالجهالة، والعلماء بالحسد»**.

**وروي أن موسى صلى الله وسلم على نبينا وعليه** لما تعجل إلى ربه عزّ وجل رأى في ظل العرش رجلاً فغبطه بمكانه، وقال: إن هذا لكريم على ربه فسأل ربه عزّ وجل أن يخبره باسمه، فلم يخبره باسمه وقال: أحدثك من عمله بثلاث: كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، وكان لا يعق والديه، وكان لا يمشي بالنميمة.

**وعن زكريا صلى الله وسلم على نبينا وعليه** أنه قال: (قال الله تعالى: الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي).

**وقال بعض السلف**: (أول خطيئة عصي الله بها هي الحسد: حسد إبليس آدم أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية)[1].

**ومما جاء في شأن العين في الزاد لابن القيم رحمه الله**: روى **مسلم** في صحيحه: عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: **«العين حق ولو كان شيء سابق القدر، لسبقته العين»**[2].

**وفي صحيحه** أيضاً عن أنس، أن النبي ﷺ **رخص في الرقية من الحمة والعين والنملة**[3].

**وفي الصحيحين** من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«العين حق»**[4].

---

(١) الزواجر (١/٨٨ ـ ٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٨٨) في السلام، باب الطب والمرض والرقى.

(٣) أخرجه مسلم (٢١٩٦) في السلام: باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة. والحمة بالتخفيف: السم، ويطلق على إبرة العقرب للمجاورة، لأن السم يخرج منها. والنملة: قروح تخرج في الجنب.

(٤) أخرجه البخاري (١٠/١٧٣) في الطب: باب العين حق، ومسلم (٢١٨٧) في السلام: باب الطب والمرض والرقى.

وفي سنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان يؤمر العائن فيتوضأ، ثم يغتسل منه المعين**»[1].

وفي «**الصحيحين**» عن عائشة قالت: (أمرني النبي ﷺ) أو (أمر أن نسترقي من العين)[2].

**وذكر الترمذي** من حديث سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عروة بن عامر، عن عبيد بن رفاعة الزرقي، أن أسماء بنت عميس، قالت: يا رسول الله! إن بني جعفر تصيبهم العين أفأسترقي لهم؟ فقال: «**نعم فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين**»[3] قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

**وروى مالك** رحمه الله: عن ابن شهاب، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، قال: رأى عامر بن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل، فقال: والله ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة! قال: فلبط سهل، فأتى رسول الله ﷺ عامراً، فتغيظ عليه وقال: «**علام يقتل أحدكم أخاه ألا بركت، اغتسل له**»، فغسل له عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه، وأطراف رجليه، وداخلة إزاره في قدح، ثم صب عليه، فراح مع الناس[4].

**وروى مالك** رحمه الله أيضاً عن محمد بن أبي أمامة بن سهل، عن أبيه هذا الحديث، وقال فيه: «**إن العين حق، توضأ له**»[5].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٨٠) في الطب: باب ما جاء في العين، ورجاله ثقات، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (١٠/١٦٩، ١٧٠) في الطب: باب رقية العين ومسلم (٢١٩٥) في السلام: باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٥٩) وأحمد (٦/٤٣٨)، وابن ماجة (٣٥١٠) وسنده جيد.

(٤) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/٩٣٨) في أول كتاب العين، ورجاله ثقات.

(٥) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/٩٣٨)، وابن ماجة (٣٥٠٩)، وأخرجه أحمد (٣/٤٨٦، ٤٨٧) من طريق الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه... ورجاله ثقات وإسناده صحيح، وصححه ابن حبان (١٤٢٤).

وذكر **عبدالرزاق**، عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه مرفوعاً: **«العين حق، ولو كان شيء سابق القدر، لسبقته العين، وإذا استغسل أحدكم فليغتسل»**[1].

**وفي كيفية الاغتسال:**

**قال الزهري:** يؤمر الرجل العائن بقدح، فيدخل كفه فيه، فيتمضمض، ثم يمجه في القدح، ويغسل وجهه في القدح، ثم يدخل يده اليسرى، فيصب على ركبته اليمنى في القدح، ثم يدخل يده اليمنى، فيصب على ركبته اليسرى، ثم يغسل داخلة إزاره، ولا يوضع القدح في الأرض، ثم يصب على رأس الرجل الذي تصيبه العين من خلفه صبة واحدة[2].

**ومن أقوال السلف أيضاً في ذم الحسد:**

**قال بعض السلف: أول خطيئة** كانت هي الحسد: حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى السجود له.

**وقال آخر لأخيه:** إني أريد أن أعظك بشيء فقال: وما هو؟ قال: إياك والكبر فإنه أول ذنب عُصِيَ الله به ثم قرأ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [البقرة: ٣٤].

**وإياك والحرص** فإنه أخرج آدم من الجنة، أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه عنها فأكل منها، فأخرجه الله تعالى منها، ثم قرأ: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا﴾ إلى آخر الآية.

**وإياك والحسد،** فإنما قتل ابن آدم أخاه حين حسده، ثم قرأ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٢٧].

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (١٩٧٧٠) وإسناده صحيح لكنه مرسل، وقد وصله مسلم في «صحيحه» (٢١٨٨) من طريق وهيب عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس...

(٢) ذكره البيهقي في «السنن» (٩/٣٥٢) عقب حديث سهل.

**وقال ابن سيرين**: ما حسدت أحداً على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة، وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار.

**وقال أبو الدرداء** رضي الله عنه: ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قلَّ فرحه وقلَّ حسده.

**وقال معاوية** رضي الله عنه: كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها.

**وقال أعرابي**: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد إنه يرى النعمة عليك نقمة عليه.

**وقال الحسن**: يا ابن آدم لا تحسد أخاك، فإن كان الذي أعطاه الله لكرامته عليه فلا تحسد من أكرمه الله تعالى، وإن كان لغير ذلك فَلِمَ تحسد من مصيره إلى النار؟.

**وقال بعضهم**: الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلاً، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضاً، ولا ينال من الخلق إلا جزعاً وغماً، ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولاً، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة وهواناً ونكالا[(١)].

**وجاء في النفحة الوهبية بشرح الأربعين النووية**: (وقال عبدالله بن مسعود: لا تعادوا نعم الله قيل: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، ومن الحكمة أن الحسود لا يسود.

**وقد روي أن إبليس أتى باب فرعون** فقرع الباب فقال فرعون: من هذا؟ فقال إبليس: لو كنت إلهاً ما جهلت، فلما دخل قال لفرعون: أتعرف من في الأرض شر منك ومني؟ قال: من هو، قال: الحسد وبالحسد وقعت في هذه المحنة.

---

(١) الزواجر (٩٣/١).

**وأما حديث: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الخير، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس»** فالمراد به **الغبطة مجازاً**[1] وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما للغير من غير أن يريد زواله عنه.

**وقد قيل**: إن موسى عليه السلام رأى رجلاً عند العرش فغبطه، وقال: إن هذا لكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره، وقال: أحدثك من عمله بثلاث: كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، وكان لا يعق والديه، وكان لا يمشي بالنميمة والغبطة مباحة في الدنيوي ومندوبة في الأخروي.

**وقال بعضهم**:

اصبر على حسد الحسود فإن صبرك قاتله ... فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

**وقال بعضهم**: الحاسد جاحد لأنه لا يرضى بقضاء الواحد وفي معناه قال منصور الفقيه:

ألا قل لمن ظل لي حاسداً ... أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه ... إذا أنت لم ترضَ لي ما وهب

**ولأبي الطيب**:

وأظلم أهل الأرض من كان حاسداً ... لمن بات في نعمائه يتقلب

**ولبعضهم**:

دع الحسود وما يلقاه من كمده ... يكفيك منه لهيب النار في كبده
إن لمت ذا حسد فرجت كربته ... وإن سكت فقد عذبته بيده

**وقال عمر بن عبدالعزيز**: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد، غم دائم ونفس متتابع.

---

(١) تقدم مناقشة ذلك في تعريف الحسد.

**وفيه قال بعضهم:**

قل للحسود إذا تنفس طبعه ... يا ظالماً وكأنه مظلوم

**وقال بعضهم:**

إن الغراب كان يمشي مشية ... فيما مضى من سائر الأحوال
حسد القطاة فرام يمشي مشيها ... فأصابه ضرب من المعقال)[1]

**ومن القصص التي تناقلها العلماء في الحسد وذمه**، ما جاء في الزواجر: قال: (وكان بعض الصلحاء يجلس بجانب ملك ينصحه ويقول له: أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء ستكفيه إساءته، فحسده على قربه من الملك بعض الجهلة وأعمل الحيلة على قتله، فسعى به للملك فقال له: إنه يزعم أنك أبخر وأمارة ذلك أنك إذا قربت منه يضع يده على أنفه لئلا يشم رائحة البخر، فقال له: انصرف حتى أنظر، فخرج فدعا الرجل لمنزله وأطعمه ثوماً فخرج الرجل من عنده وجاء للملك وقال له مثل قوله السابق: أحسن للمحسن كعادته، فقال له الملك: ادن مني، فدنا منه فوضع يده على أنفه مخافة أن يشم الملك رائحة الثوم، فقال الملك في نفسه: ما أرى فلاناً إلا قد صدق، وكان الملك لا يكتب بخطه إلا جائزة أو صلة فكتب له بخطه إلى بعض عماله: إذا أتاك صاحب كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبناً وابعث به إليَّ. فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الذي سعى به فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال: خط الملك لي بصلة، فقال: هبه لي فقال: هو لك فأخذه ومضى إلى العامل فقال العامل: في كتابك أن أذبحك وأسلخك. فقال: إن الكتاب ليس هو لي، الله الله في أمري حتى أراجع الملك، قال: ليس لكتاب الملك مراجعة، فذبحه وسلخه وحشا جلده تبناً وبعث به، ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله، فعجب الملك وقال: ما فعل الكتاب؟ فقال: لقيني فلان فاستوهبه مني فدفعته له، فقال الملك: إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبخر، قال: ما قلت ذلك، قال: فلمَ وضعت يدك على

---

(١) النفحة الوهبية ص (٢٦١).

أنفك وفيك؟ قال: أطعمني ثوماً فكرهت أن تشمه، قال: صدقت ارجع إلى مكانك فقد كفى المسيء إساءته.

**فتأمل رحمك الله** شؤم الحسد وما جر إليه تعلم سر قوله ﷺ في الحديث السابق: «**لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك**»[1].

**وذكر في المستطرف**: أنه حكي أن رجلاً من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه، وصار يدخل عليه من غير استئذان، وكان له وزير حاسد، فغار من البدوي، فحسده وقال في نفسه: إن لم أقتل هذا البدوي أخذ بقلب أمير المؤمنين ويبعدني عنه، فصار ذلك الوزير يتلطف بالبدوي حتى انتهى به إلى منزله فطبخ طعاماً وأكثر فيه من الثوم، فلما أكل البدوي منه قال: احذر أن تقرب من أمير المؤمنين يشم منك رائحة الثوم فيتأذى بذلك فإنه يكره رائحته، ثم ذهب الوزير إلى أمير المؤمنين فخلا به، وقال: يا أمير المؤمنين البدوي يقول للناس: إن أمير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه، فلما دخل البدوي على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين وهو يستر فمه بكمه، قال: إن الذي قاله الوزير على هذا البدوي صحيح، فكتب أمير المؤمنين كتاباً إلى بعض عماله يقول فيه: إذا وصل إليك كتابي هذا فاضرب رقبة حامله، ثم دعا بالبدوي ودفع له ما رسم به أمير المؤمنين وخرج به من عنده، فبينما هو بالباب قال الوزير: أين تريد؟ قال: أتوجه بكتاب أمير المؤمنين إلى عامله فلان، فقال الوزير: إن هذا البدوي يحصل له مال جزيل، فقال: يا بدوي ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذي يلحقك في سفرك ويعطيك ألفي دينار؟ فقال البدوي: أنت الكبير وأنت الحاكم ومهما رأيته من الرأي أفعل، فقال: أعطني الكتاب فدفعه إليه، فأعطاه الوزير ألفي دينار وركب الوزير وسار بالكتاب إلى المكان الذي هو قاصده، وسلم الكتاب للعامل، فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب

---

(١) الزواجر (٩٢/١، ٩٣) والقصة حكاها في النفحة الوهبية ص (١٦٢) ونسبها لبعض شراح الأربعين النووية، والله أعلم بصحتها.

رقبة الوزير، فبعد أيام تفكر الخليفة في أمر البدوي، وسأل عن الوزير، فأخبر بأن له أياماً ما رؤي وأن البدوي مقيم بالمدينة، فتعجب من ذلك وأمر بإحضار البدوي، فسأل عن حاله فأخبر بالقصة التي اتفقت له مع الوزير من أولها إلى آخرها، فقال له الخليفة: أنت قلت إني أبخر؟ فقال: معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أحدث بشيء ليس لي به علم وإنما كان مكراً منه وحسداً، وأعلمه كيف دخل به في بيته وأطعمه الثوم وما جرى له منه، فقال له أمير المؤمنين: قاتل الله الحسد ما أذله بدأ بصاحبه فقتله، ثم خلع على البدوي واتخذه وزيراً وراح الوزير بحسده. فتأملوا رحمكم الله شؤم الحسد وما جرَّ إليه[1].

## المطلب الثاني
## حكم الحسد باختلاف أنواعه

**سبق أن الحسد نوعان:**

**الأول**: كراهة النعمة للمحسود وتمني زوالها.

**والثاني**: الكراهة بغير تمني الزوال.

**وسبق بيان مراتبه الأربعة عند الغزالي** رحمه الله...

**وقد بين العلامة ابن حجر الهيثمي الفقيه** حكم هذه الأنواع فقال: (قد علمت قريباً معنى الحسد فلا حسد إلا على نعمة بأن تكرهها للغير وتحب زوالها عنه، فإن اشتهيت لنفسك مثلها مع بقائها لذويها فهو **غبطة**، وقد يخص باسم المنافسة وهي قد تسمى حسداً كما مر في خبر: «**لا حسد إلا في اثنتين**» وفي حديث: «**المؤمن يغبط والمنافق يحسد**»[2].

---

(١) النفحة الوهبية ص (١٦٢، ١٦٣) وفي القلب منها شيء، فهل يأمر أمير المؤمنين بقتل من ظن أنه يتأذى برائحته؟؟.

(٢) تقدم مناقشة ذلك في تعريف الحسد.

**إذا تقرر ذلك، فالأول حرام وفسوق بكل حال**، نعم. إن تمني زوال نعمة فاجر من حيث إنها آلة فساده وإيذائه الخلق ولو صلح حاله لم يتمنّ زوالها عنه فلا حرمة، لأنه لم يتمن زوالها من حيث كونها نعمة بل من حيث كونها آلة الفساد والإيذاء، ويدل على تحريم الحسد وأنه فسوق وكبيرة ما قدمناه من الأخبار.

ومن آفاته، أن فيه تسخطاً لقضاء الله إذا أنعم على الغير مما لا مضرة عليك فيه وشماتة بأخيك المسلم، قال تعالى: **﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾** [آل عمران: ١٢٠] **﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾** [البقرة: ١٠٩] **﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾** [النساء: ٨٩] **﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾** [النساء: ٥٤].

**والثاني: أعني الغبطة والمنافسة، فليس بحرام**، بل هو إما واجب أو مندوب أو مباح، قال تعالى: **﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾** [الحديد: ٢١] **والمسابقة تقتضي خوف الفوت** كعبدين يتسابقان لخدمة مولاهما حتى يحظى السابق عنده **فالواجب يكون في النعم الدينية الواجبة**: كنعمة الإيمان والصلاة المكتوبة والزكاة، فيجب أن يحب أن يكون مثل القائم بذلك وإلا كان راضياً بالمعصية والرضا بها حرام، **والمندوب يكون في الفضائل**: كالعلوم وإنفاق الأموال في المبرات، **والمباح يكون في النعم المباحة: كالنكاح**، نعم المنافسة في المباحات تنقص من الفضائل وتناقض الزهد والتوكل، وتحجب عن المقامات الرفيعة من غير إثم، نعم هنا دقيقة ينبغي التنبه لها وإلا وقع الإنسان في الحسد الحرام من غير أن يشعر، وهي أن من أيس من أن ينال مثل نعمة الغير فبالضرورة أن نفسه تعتقد أنه ناقص عن صاحب تلك النعمة وأنها تحب زوال نقصها، وزواله لا يحصل إلا بمساواة ذي النعمة، أو بزوالها عنه قد فرض يأسه عن مساواته فيها فلم يبق إلا محبته لزوالها عن الغير المتميز بها عنه إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره عليه بها، فإن كان بحيث لو قدر على إزالتها عن الغير أزالها فهو حسود حسداً مذموماً، وإن كان عنده من التقوى ما يمنعه عن إزالتها مع قدرته عليها وعن محبة زوالها

عن الغير فلا إثم عليه لأن هذا أمر جبليّ لا تنفك النفس عنه، ولعله المعنيّ بالخبر السابق: «**كل ابن آدم حسود**». وفي روايةٍ: «**ثلاثة لا ينفك المسلم عنهنّ: الحسد، والظن، والطيرة، وله منهن مخرج إذا حسدت فلا تبغ**» أي إن وجدت في قلبك شيئاً فلا تعمل به، ويبعد ممن يريد مساواة غيره في النعمة فيعجز عنها سيما إن كان من أقرانه أن ينفك عن الميل إلى زوالها، **فهذا الحد من المنافسة يشبه الحسد الحرام فينبغي الاحتياط التام** فإنه متى صغى إلى محبة نفسه ومال باختياره إلى مساواته لذي النعمة بمحبة زوالها عنه فهو مرتبك في الحسد الحرام ولا يتخلص منه إلا إن قوي إيمانه ورسخ قدمه في التقوى، ومهما حركه خوفُ نقصِه عن غيره جرّه إلى الحسد المحظور وإلى ميل الطبع إلى زوال نعمة الغير حتى ينزل لمساواته، وهنا لا رخصة فيه بوجه سواء أكان في مقاصد الدين أو الدنيا.

**قال الغزالي**: ولكن ذلك يعفى عنه ما لم يعمل به إن شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له)[١] اهـ.

**وهذا الذي قاله الفقيه الهيثمي سبقه إليه شيخ الإسلام ابن تيمية في أقسام الحسد وأنها نوعان، فذكر الأول فقال:**

**أحدهما**: كراهة للنعمة عليه مطلقاً، فهذا هو الحسد المذموم، وإذا أبغض ذلك فإنه يتألم ويتأذى بوجود ما يبغضه، فيكون ذلك مرضاً في قلبه، ويلتذ بزوال النعمة عنه، وإن لم يحصل له نفع بزوالها لكن نفعه زوال الألم الذي كان في نفسه، ولكن ذلك الألم لم يزل إلا بمباشرة منه وهو راحة، وأشده كالمريض الذي عولج بما يسكن وجعه والمرض باق، فإن بغضه لنعمة الله على عبده مرض، فإن تلك النعمة قد تعود على المحسود وأعظم منها، وقد يحصل نظير تلك النعمة لنظير ذلك المحسود[٢] اهـ.

**ثم ذكر القسم الثاني وهو الغبطة والتنافس، ثم قال**[٣]:

(١) الزواجر (١/١٠٠ ـ ١٠٢).
(٢) الفتاوى (١٠/١١١، ١١٢).
(٣) الفتاوى: (١٠/١١٣).

**ولهذا يبتلى غالب الناس بهذا القسم الثاني**، وقد تسمى المنافسة فيتنافس الاثنان في الأمر المحبوب المطلوب، كلاهما يطلب أن يأخذه، وذلك لكراهية أحدهما أن يتفضل عليه الآخر، كما يكره المستبقان كل منهما أن يسبقه الآخر.

**والتنافس ليس مذموماً مطلقاً**، بل هو محمود في الخير، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: ٢٢ ـ ٢٦].

**فأمر المنافس أن ينافس في هذا النعيم**، لا ينافس في نعيم الدنيا الزائل، وهذا موافق لحديث النبي ﷺ فإنه نهى عن الحسد إلا من أوتي العلم فهو يعمل به ويعلمه، ومن أوتي مالاً ولم ينفقه في طاعة الله فهذا لا يحسد بل لا يتمنى مثل حاله، فإنه ليس في خير يرغب فيه، بل هو معرض للعذاب، ومن ولي ولاية فيأتيها بعلم وعدل، أدى الأمانات إلى أهلها، وحكم بين الناس بالكتاب والسنّة فهذا درجته عظيمة، لكن هذا في جهاد عظيم، كذلك المجاهد في سبيل الله.

**إلى أن قال رحمه الله**[1]:

**ولهذا كان الناس يعظمون دار العباس**، كان عبدالله يعلِّم الناس وأخوه يطعم الناس، فكانوا يُعَظمون على ذلك، ورأى معاوية الناس يسألون ابن عمر عن المناسك وهو يفتيهم فقال: هذا والله الشرف، أو نحو ذلك.

**هذا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه نافس أبا بكر الصديق** رضي الله عنه في الإنفاق كما ثبت في الصحيح عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: (أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدَّق فوافق ذلك مالاً عندي فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، قال: فجئت بنصف مالي، فقال لي رسول الله ﷺ: **«ما أبقيت لأهلك؟»** قلت: مثله، وأتى أبو بكر

---

(١) الفتاوى (١٠/١١٦).

رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: **«ما أبقيت لأهلك؟»** قال: أبقيت لهم الله ورسوله فقلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً).

**فكان ما فعله عمر من المنافسة والغبطة المباحة**، لكن حال الصديق رضي الله عنه أفضل منه وهو أنه خال من المنافسة مطلقاً لا ينظر إلى حال غيره.

**وكذلك موسى عليه السلام في حديث المعراج**؛ حصل له منافسة وغبطة للنبي ﷺ حتى بكى لما تجاوزه النبي ﷺ فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: **«أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنّة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي»** أخرجاه في الصحيحين، وروي في بعض الألفاظ المروية في غير الصحيح **«مررنا على رجل وهو يقول ويرفع صوته: أكرمته وفضلته، قال: فرفعناه إليه فسلمنا عليه فرد السلام، فقال: من هذا معك يا جبريل؟ قال: هذا أحمد، قال: مرحباً بالنبي الأميّ الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأمته، قال: ثم اندفعنا فقلت من هذا يا جبريل؟ قال: هذا موسى بن عمران، قلت: ومن يعاتب؟ قال: يعاتب ربه فيك، قلت: ويرفع صوته على ربه، قال: إن الله عزّ وجل قد عرف صدقه»**.

**وعمر رضي الله عنه كان مشبهاً بموسى**، ونبينا حاله أفضل من حال موسى فإنه لم يكن عنده شيء من ذلك.

**وكذلك كان في الصحابة أبو عبيدة بن الجرّاح** ونحوه كانوا سالمين من جميع هذه الأمور، فكانوا أرفع درجة ممن عنده منافسة وغبطة، وإن كان ذلك مباحاً، ولهذا استحق أبو عبيدة رضي الله عنه أن يكون أمين هذه الأمّة فإن المؤتمن إذا لم يكن في نفسه مزاحمة على شيء مما اؤتمن عليه كان أحق بالأمانة ممن تُخَافُ مزاحمته، ولهذا يؤتمن على النساء والصبيان الخصيان، ويؤتمن على الولاية الصغرى من يعرف أنه لا يزاحم على الكبرى، ويؤتمن على المال من يعرف أنه ليس له غرض في أخذ شيء منه، وإذا اؤتمن من في نفسه خيانة شبه بالذئب المؤتمن على الغنم، فلا يقدر أن يؤدي الأمانة في ذلك لما في نفسه من الطلب لما اؤتمن عليه.

**وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد** في مسنده عن أنس رضي الله عنه قال: (كنّا جلوساً عند رسول الله ﷺ فقال: «**يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنّة**» قال: فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوء قد علق نعليه في يده الشمال فسلم، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل على مثل حاله، فلما كان اليوم الثالث، قال النبي ﷺ مقالته فطلع ذلك الرجل على مثل حاله فلما قام النبي ﷺ تبعه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت على أن لا أدخل عليه ثلاثاً فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي الثلاث فعلت قال: نعم، قال أنس رضي الله عنه: فكان عبدالله يحدث أنه بات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم الليل شيئاً، غير أنه إذا تعار أي انقلب على فراشه ذكر الله عزّ وجل وكبّر حتى يقوم إلى صلاة الفجر، فقال عبدالله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً، فلما فرغنا من الثلاث وكدت أن أحقر عمله قلت: يا عبدالله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول ثلاث مرات: «**يطلع عليكم رجل من أهل الجنّة**» فطلعت أنت الثلاث مرّات فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي بذلك، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي غشاً ولا حسداً على خير أعطاه الله إيّاه، قال عبدالله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق)[1]. فقول عبدالله بن عمرو له: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق يشير إلى خلوه وسلامته من جميع أنواع الحسد.

**وبهذا أثنى الله على الأنصار** فقال: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي مما أوتي إخوانهم المهاجرون، قال المفسرون: لا يجدون في صدورهم حاجة أي حسداً وغيظاً مما أوتي المهاجرون، ثم قال بعضهم: من مال الفيء، وقيل: من

---

(١) أخرجه أحمد.

الفضل والتقدم، فهم لا يجدون حاجة مما أوتوا من المال ولا من الجاه، والحسد يقع على هذا.

**وكان بين الأوس والخزرج** منافسة على الدين فكان هؤلاء إذا فعلوا ما يفضلون به عند الله ورسوله أحب الآخرون أن يفعلوا نظير ذلك فهو منافسة فيما يقربهم إلى الله تعالى كما قال: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾(١) اهـ.

**ثم ذكر رحمه الله حكم هذه الأنواع إجمالاً**، وما الذي يجب على الحاسدِ والمحسود شرعاً فقال:

**المبغض للنعمة** على من أنعم الله عليه بها ظالم معتد، والكاره لتفضيله المحب لمماثلته منهي عن ذلك إلا فيما يقربه إلى الله، فإذا أحب أن يعطى مثل ما أعطي مما يقربه إلى الله فهذا لا بأس به، وإعراض قلبه عن هذا بحيث لا ينظر إلى حال الغير أفضل.

**ثم هذا الحسد** إن عمل بموجبه صاحبه كان ظالماً معتدياً مستحقاً للعقوبة إلا أن يتوب، وكان المحسود مظلوماً مأموراً بالصبر والتقوى، فيصبر على أذى الحاسد ويعفو ويصفح عنه، كما قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٠٩](٢) اهـ.

**وقال العلامة ابن رجب في جامع العلوم والحكم** مبيناً أقسام الحسّاد وأحكامهم:

**ثم ينقسم الناس بعد هذا إلى أقسام: فمنهم من يسعى في زوال نعمة المحسود بالبغي عليه بالقول والفعل**، ثم منهم من **يسعى في نقل ذلك إلى نفسه**، ومنهم من **يسعى إلى إزالة نعمته عن المحسود فقط** من غير نقل إلى نفسه وهو شرّهما وأخبثهما، وهذا هو الحسد المذموم المنهي عنه، وهو

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/١١٦ ـ ١٢٠).

(٢) السابق (١٠/١٢١).

كان ذنب إبليس حيث كان حسد آدم عليه السلام لما رآه قد فاق على الملائكة بأن الله خلقه بيده وأسجد له ملائكته وعلّمه أسماء كلّ شيء وأسكنه في جواره، فما زال يسعى في إخراجه من الجنّة حتى أخرج منها.

**ويروى عن ابن عمر** أن إبليس قال لنوح: (اثنتان أهلك بهما بني آدم: الحسد والحرص، و**بالحسد** لعنت وجعلت شيطاناً رجيماً، و**بالحرص أخْرِجَ آدم من الجنة**: أبيح آدم الجنّة كلها فأصبت حاجتي منه بالحرص). خرّجه ابن أبي الدنيا.

**وقد وصف الله اليهود بالحسد في مواضع من كتابه** ـ القرآن ـ كقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩] وقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤].

**وخرّج الإمام أحمد** والترمذي من حديث الزبير بن العوّام عن النبيّ ﷺ: «**دبّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، والبغضاء: هي الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَ لا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحابيتم؟ أفشوا السلام بينكم**».

**وخرّج أبو داود من حديث أبي هريرة** عن النبيّ ﷺ قال: «**إيّاكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب** ـ أو قال ـ: **العشب**».

**وخرّج الحاكم وغيره من حديث أبي هريرة** عن النبيّ ﷺ قال: «**سيصيب أمتي داء الأمم**» قالوا: يا نبي الله وما داء الأمم؟ قال: «**الأشر والبطر، والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي ثم الهجر**».

وقسم آخر **من الناس إذا حسد غيره لم يعمل بمقتضى حسده** ولم يبغ على المحسود بقول ولا فعل. وقد روي عن الحسن أنه لا يأثم، **وروي مرفوعاً من وجوه ضعيفة** وهذا على نوعين: أحدهما: أن لا يمكنه إزالة ذلك الحسد عن نفسه ويكون مغلوباً على ذلك فلا يأثم به، والثاني: من

يحدث نفسه بذلك اختياراً ويعيده ويبدؤه في نفسه مستروحاً إلى تمني زوال نعمة أخيه، فهذا شبيه بالعازم المصمم على المعصية، وفي العقاب على ذلك اختلاف بين العلماء، وربما يذكر في موضع آخر إن شاء الله تعالى، ولكن هذا يبعد أن يسلم من البغي على المحسود بالقول فيأثم، بل يسعى في اكتساب مثل فضائله ويتمنى أن يكون مثله، فإن كانت الفضائل دنيوية فلا خير في ذلك كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ [القصص: ٧٩] وإن كانت فضائل دينية فهو حسن، وقد تمنى النبي ﷺ الشهادة في سبيل الله، **وفي الصحيحين** عنه ﷺ قال: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار**»، وهذا هو **الغبطة** وسماه حسداً من باب الاستعارة[(١)].

**ومما يحسن نقله أيضاً في هذا الموضع ما قاله الفقيه الهيثمي** راداً على من زعم أن كتمان الحسد لا يؤثم صاحبه قال:

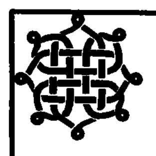
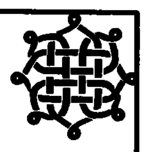
**(وقد ذهب قوم إلى أنه لا يأثم ما دام الحسد لم يظهر على جوارحه،** لخبر: «**ثلاث لا يخلو منهن مؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من الحسد أن لا يبغي**».

**وهذا ضعيف أو شاذ بل الصواب ما مرّ من حرمته مطلقاً**، ويحمل الخبر إن صح على ما تقرر من أنه يكره ذلك ديناً وعقلاً في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدوّ، وهذه الكراهة تمنعه من البغي والإيذاء، وقد مرّت الأخبار الصريحة الصحيحة في ذم كل حاسد وإثمه والحسد ليس حقيقته إلا في القلب، وكيف يسوغ لأحد أن يجوِّز محبة إساءة مسلم واشتمال قلبه عليها من غير كراهة منه لذلك؟[(٢)]..

---

(١) جامع العلوم والحكم ص (٣٢٦ ـ ٣٢٧)، وسبق أن الصواب أن لا يقال: إن الغبطة حسد مجازاً أو على سبيل الاستعارة، بل تدخل في حد الحسد الذي هو الكراهية إلا أنه ليس فيها تمني الزوال، فهي لا بأس بها وهي التنافس وتركها أولى.

(٢) الزواجر (١/١٠٢ ـ ١٠٣).

# الباب الأول

# الفصل الثاني: مقومات الحسد

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الغضب.

المبحث الثاني: الحقد.

## المبحث الأول
## الغضب

وفيه ستة مطالب:

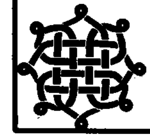
المطلب الأول: الغضب في الإنسان

المطلب الثاني: ذم الغضب

المطلب الثالث: فضيلة كظم الغيظ

المطلب الرابع: دفع الغضب وعلاجه

المطلب الخامس: الغيرة والغضب المحمود



**مـدخـل:**

**المقصود بمقومات الحسد،** هي الأمور المرتبطة بالحسد التي تغذي وجوده، وتذكي ناره، وتشعل أواره، وللحسد مقومات كثيرة أهمها الغضب والحقد، ويشترك الجميع في أنه مرض نفسي يوجب بغض النفس لما ينفعها، وحبها لما يضرها.

**قال شيخ الإسلام** رحمه الله:

**فالبخل والحسد** مرض يوجب بغض النفس لما ينفعها، بل وحبها لما يضرها، وهذا يقرن الحسد بالحقد والغضب.

**وقد جعل ابن حجر الهيثمي** الثلاثة كبيرة واحدة في زواجره لما بينها من تلازم وترتب فقال:

**(الكبيرة الثالثة: الغضب بالباطل والحقد والحسد)**[١].

**لما كانت هذه الثلاثة** بينها تلازم وترتب إذ الحسد من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب كانت بمنزلة واحدة، فلذلك جمعتها في ترجمة واحدة لأن ذم كل يستلزم ذم الآخر إذ ذم الفرع وفرعه يستلزم ذم الأصل وأصله وبالعكس[٢].

---

(١) الفتاوى (١٠/١٢٩).

(٢) الزواجر (١/٨٢).

وقال الفقيه الهيثمي بعد ذلك:

**قد مرَّ أن ثمرات الغضب: الحقد والحسد،** وبيانه أن الغضب إذا لزم كظمه لعجزه عن التشفي حالاً رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقداً وحسداً، وحينئذ يلزم قلبه استثقاله وبغضه دائماً فهذا هو الحقد. ومن ثمراته أن تحسده بأن تتمنى زوال نعمته عنه وتتمتع بنعمته وتفرح بمصيبته وأن تشمت ببليته وتهجره وتقاطعه وإن أقبل عليك وتطلق لسانك فيه بما لا يحل وتهزأ به وتسخر منه وتؤذيه، وتمنعه حقه من نحو صلة رحم أو رد مظلمة وكل ذلك شديد الإثم والتحريم، وأقل درجات الحقد الاحتراز من هذه الآفات المنقصة للدين، ومن ثَمَّ قال ﷺ: **«المؤمن ليس بحقود»**[(١)].

# المبحث الأول: الغضب

## المطلب الأول: الغضب في الإنسان

**فالغضب هو شعلة من نار** اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، وإنها لمستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد، ويستخرجها الكبر الدفين من كل قلب جبار عنيد كاستخراج الحجر النار من الحديد.

**قال الله تعالى:** ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦].

**فقد ذم الكفار** بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب الباطل، ومدح المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة. الأمر الذي يوضح خطورة الغضب وعمله في القلوب.

**لذا فقد انكشف** للناظرين بنور اليقين، أن الإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين، فمن استفزَّته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال للمولى عز وجل: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[(٢)].

---

(١) الزواجر (١٠٢/١).

(٢) الإحياء (١٦٠/٣).

**فمن شأن الطين**: السكون والوقار وشأن النار التلظي والاستعار، والاضطراب، ومن نتائج الغضب الحقد والحسد، وبهما هلك من هلك وفسد من فسد، وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح معها سائر الجسد.

**وإذا كانت هذه الأخلاق المذمومة** تسوق العباد إلى مواطن الغضب ومواضع العفن فما أحوج العباد إلى دراسة السلوك البشري وبيان طرق العلاج، ومتابعة حالات الغضب وأسبابها ومحاولة نفيها أو تفاديها عن طريق الاستفادة والخبرة والركون إلى العلم.

**ويكفي لعاقل لبيب أن يعلم:**

**أن الغضب جعل في الحيوان ليكون به انتقام من المؤذي**، وهذا العارض، إذا أفرط وجاوز حدّه يفقد معه العقل، فربما كانت نكائبه في الغاضب وإبلاغه إليه المضرة أشد وأكثر منها في المغضوب عليه.

**ومن أجل ذلك ينبغي للعاقل** أن يكثر تذكر أحوال من أدى به غضبه إلى أمور مكروهة في عاجل الأمر وآجله، ويأخذ نفسه بتصورها في حال غضبه، فإن كثيراً ممن يغضب، ربما لكم ولطم ولطخ، فجلب بذلك من الألم على نفسه أكثر مما نال من المغضوب عليه.

**قال الطبيب أبو بكر الرازي**: ولقد رأيت من لكم رجلاً على فكّه فكسر أصابعه حتى مكث يعالجها أشهراً، ولم ينل الملكوم كبير أذى، ورأيت من استشاط وصاح، فنفث الدم مكانه، وأدى به ذلك إلى السلّ وصار سبب موته، وبلغنا أخبار أناس نالوا أهاليهم وأولادهم ومن يعز عليهم في وقت غضبهم، بما طالت ندامتهم عليه، وربما لم يستدركوه آخر عمرهم، وقد ذكر جالينوس أن والدته كانت تثب بفمها على القفل، فتعضه إذا تعسر عليها فتحه.

**ولعمري إنه ليس بين من فقد الفكر** والروية في حال غضبه، وبين المجنون كبير فرق، فإن الإنسان إذا أكثر تذكر أمثال هذه الأحوال في حال سلامته كان أحرى أن يتصورها في وقت غضبه، وينبغي أن يعلم الذي يكون منه مثل هذه الأفعال القبيحة في وقت غضبه ألا يصدر عنه فعل إلا

بعد الفكر والروية فيه، لئلا ينكي نفسه، من حيث يروم إنكاء غيره، ولا يشارك الهائم في إطلاق الفعل من غير روية، وينبغي أن يكون في وقت المعاقبة بريئاً من أربع خلال: الكبر والبغض للمعاقب، ومن ضدي هذين.

**فإن الأولين يدعوان** إلى أن يكون الانتقام والعقوبة مجاوزين لمقدار الجناية، والآخرين إلى أن يكونا مقصرين عنه.

**وإذا أخطر العاقل** بباله هذه المعاني وأخذ هواه باتباعها، كان غضبه وانتقامه بمقدار عدل، وأمن أن يعود عليه منه ضرر في نفسه أو في جسده في عاجل أمره أو آجله[١].

**ومن هنا** فقد ثبت لك أن الغضب ثبت في الحيوان ليحميه من الفساد ويدفع عنه المضار وذلك لكونه معرضاً للفساد والهلاك بطبيعته، فكان الغضب للحيوان للحفاظ عليه إلى أجل معلوم، ولا يصلح عند الإنسان ذي العقل الرشيد والفكر المستنير.

**أمّا أسباب جعل الغضب في الحيوان**: فاثنان: داخل في بدنه وخارج عنه.

**أما الداخل** في بدنه فهو أنه ركبه من الحرارة والرطوبة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة، فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير أجزاؤها بخاراً يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبرها انحل وتبخر من أجزائها ما يفسد الحيوان فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان، وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما التأم ليكون ذلك حافظاً له من الهلاك بهذا السبب.

**وأمّا الأسباب الخارجية** التي يتعرض لها الإنسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يُقصد بها فافتقر إلى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه، فخلق الله طبيعة الغضب من النار وعززها في الإنسان

(١) الطب الروحاني (٨٠)، بتصرف يسير.

وعجنها بطينته فمهما صدر عن غرض من الأغراض ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت ثوراناً يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع إلى أعلى البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر، فلذلك ينصب إلى الوجه فيحمر الوجه والعين، والبشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وإنما ينبسط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فإن صدر الغضب على من فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزناً ولذلك يصفر اللون، وإن كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر فيضطرب.

**وبالجملة**: فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام وإنما تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها وإلى التشفي والانتقام بعد وقوعها[1].

**وبالطبع** فإن الناس تتفاوت درجاتهم في هذه القوة الغضبية، شأنهم كشأن الناس عموماً في اختلافهم وتباينهم.

**فمنهم**: **المفرط** الذي لا حمية عنده، نراه مثلاً في الذي لا يغضب إن سمع عن امرأته شيئاً أو رأى منها شيئاً، وصدق الشافعي: (من استغضب فلم يغضب فهو حمار).

**والمفرط هذا** يفقد رجولته تقريباً، فمن شيم الرجال الحمية، لكن ليتها تكون في الحق ونشره والعمل به والغضب لله عز وجل، لذا فإن المولى عز وجل وصف أصحاب محمد ﷺ بالحمية والشدة فقال: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

**ومنهم من بالغ فيها فهو الإفراط**، أي تغلب عليه هذه الصفة وتكثر عنده حتى تخرجه عن سياسته المعهود بها وعن الحق أحياناً وعن العقل وخططه وسلوكه وعن أمر الإسلام ومنطق البشر السليم وفطرة الله التي فطر الناس عليها.

---

(١) انظر الإحياء (٣/١٦٣).

**ومنهم المعتدل بين التفريط والإفراط** يغضب إذا استغضب مع الحلم والتأني والمعالجة بالحكمة فإن انتهكت المحارم وضاعت الحقوق واختلط الحابل بالنابل اشتد ووقف وندد، دون خدشه لكرامة أو إذهاب بالحياء مع مراعاة حق رب العالمين فلا يظلم ولا يظلم.

**وهناك أسباب اعتيادية:** كأن يخالط قوماً يتجملون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة وإقداماً ورجولة، فترى أحدهم يفاخر بصبره على المكر، وأنه لا عقل له ولا حلم عنده وأنه يستطيع فعل أي شيء دون مبالاة.

**في التشبه بالقوم يقوى به الغضب،** ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها أعمت صاحبها وأقصته عن كل موعظة فإذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضباً، وإذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر إذ ينطفىء نور العقل ويمحى في الحال بدهان الغضب، فإن معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم إلى الدماغ يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى إلى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه، وتسوَد عليه الدنيا بأسرها ويكون الدماغ على مثال كهف اضطرمت فيه نار فاسود جوه وحمي مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه، وكان فيه سراج ضعيف فأغمي أو انطفأ نوره فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على إطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي أن يصبر إلى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ دوماً، تقوى نار الغضب فتفنى الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظاً كما تقوى النار في الكهف فينشق فتنهد أعاليه على أسفله وذلك لإبطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لأجزائه فلهذا أحال القلب عند الغضب.

**وبالحقيقة:** فالسفينة في ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح في لجّة البحر أحسن حالاً وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظاً إذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظرها ويسويها.

**وأما القلب** فهو صاحب السفينة فقد سقطت حيلته إذ أعماه الغضب وأصمّه، ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام، واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الأشداق وتحمر الأحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة، ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته لاستحالة خلقته، وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره، فإن الظاهر عنوان الباطن.

**وإذا قبحت صورة الباطن** أولاً ثمّ انتشر قبحها إلى الظاهر ثانياً لأن تغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس الثمرة بالمثمرة فهذا أثره في الجسد.

**وأمّا أثره في اللسان**، فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذو العقل ويستحي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ.

**وأمّا أثره على الأعضاء**، فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة، فإن هرب منه المغضوب عليه أو فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على الأرض ويعدو عدو الذاهل السكران والمدهوم المتحير وربما يسقط سريعاً لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب الصبي مثلاً على الأرض وقد يكسر المائدة إذا غضب عليها ويتعاطى أفعال المجانين فيشتم البهيمة والجمادات ويخاطبها ويقول: إلى متى منك هذا يا كذا وكذا، كأنه يخاطب عاقلاً حتى ربما رفسته دابة فيرفس الدابة ويقابلها بذلك.

**وأمّا أثره في القلب** مع المغضوب عليه، فالحقد والحسد وإضمار السوء والشماتة بالمساءات والحزن بالسرور والعزم على إفشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه عثرة الغضب المفرط، وأما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الأنفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة واحتمال الذل من الأحساد وصغر النفس والقماءة وهو أيضاً مذموم إذ

من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن سعداً لغيور وأنا أغير من سعد وإن الله أغير مني**»[1].

**هذا**، وإنما خلقت الغيرة لحفظ الأنساب، ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب ولذلك قيل: (كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها)، وضياع العفاف واختلاط الأنساب من ضعف الغضب، والسكوت عند مشاهدة المنكرات.

**ففي الحديث** «**خير أمتي أحداؤها**»[2] يعني في الدين.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢].

**وإن المحمود غضب ينتظر إشارة العقل** والدين ينبعث حين تجب الحمية وينطفىء حين يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلّف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله ﷺ حيث قال: «**خير الأمور أوسطها**»[3].

**فمن مال غضبه إلى الفتور** حتى أحس من نفسه بضعف الغيرة، فالنفس في احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي أن يعالج نفسه حتى يقوي غضبه.

**ومن مال غضبه إلى الإفراط** حتى جره إلى التهور واقتحام الخواص فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين الذي هو الصراط المستقيم وهو أدق من الشعرة وأحد من السيف، فإن عجز عنه فليطلب القرب منه، قال تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا

---

(١) الحديث أخرجه الشيخان عن المغيرة بنحوه، وهو عند مسلم من حديث أبي هرير كما هو بأعلاه.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط وكذا البيهقي في الشعب بسند ضعيف.

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب وهو حديث مرسل.

﴿كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾[1].

**فليس كل من عجز** عن الإتيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر كله، ولكن بعض الشر أهون من بعض، وبعض الخير أرفع من بعض.

**فالمطلوب** ضبط النفس وإحكامها، بحيث لا تغضب لحساب باطل أو تغرق في أوهامها على حساب الحق.

**فالغيرة مطلوبة** والغضب مطلوب لكن إذا انتهكت محارم الله، وإذا كان من أجل مصالح الناس وفي سبيل المؤمنين، لا من أجل الفساد والإفساد.

**والغضب الذي نعنيه** لا يتبعه حقد، أما الأول الذي لا نريده فهو الذي يتبعه الحقد، والحقد يؤدي إلى الحسد، نعوذ بالله من الخذلان.

## المطلب الثاني: ذم الغضب

**وردت عدة أدلة في الكتاب والسنة دلت على ذم الغضب وقد جمع كتاب الزواجر شيئاً من ذلك فأحببت أن أورده هنا، قال:**

**قال الله تعالى:** ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦] ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل، ومدح المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة والطمأنينة الناشىء عنها إلزامهم كلمة التقوى وأنهم هم أهلها وأحق بها. وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤].

**وأخرج ابن عساكر: «الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار والماء يطفىء النار فإذا غضب أحدكم فليغتسل».**

**وابن أبي الدنيا وابن عساكر: «اجتنب الغضب».**

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٩.

وابن عدي: «إذا غضب أحدكم فقال: أعوذ بالله سكن غضبه».

وأحمد: «إذا غضب أحدكم فليسكت».

والخرائطي: «إذا غضبت فاجلس».

وأحمد وأبو داود وابن حبان: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع».

وأبو الشيخ: «الغضب من الشيطان فإذا وجده أحدكم قائماً فليجلس وإن وجده جالساً فليضطجع».

والديلمي: «إذا غضبت فاقعد فإن لم يذهب عنك فاضطجع فإنه سيذهب».

وابن أبي الدنيا: «أشدكم من غلب نفسه عند الغضب، وأحلمكم من عفا بعد القدرة».

وأحمد وأبو داود: «إن الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما تطفأ بالماء النار فإذا غضب أحدكم فليتوضأ».

وابن أبي الدنيا: «إن لجهنم باباً لا يدخله إلا من شفى غيظه بمعصية الله».

والطبراني: «ألا أدلكم على أشدكم؟ أشدكم أملككم لنفسه عند الغضب».

وابن أبي الدنيا مرسلاً: «والخرق شؤم، والرفق يمن».

والبزار: «سأحدثكم بأمور الناس وأخلاقهم، الرجل يكون سريع الغضب سريع الفيء ـ أي الرجوع ـ فلا له ولا عليه كفافاً، والرجل بعيد الغضب سريع الفيء فذلك له ولا عليه، والرجل يقتضي الذي له ويقتضي الذي عليه فذلك لا له ولا عليه، والرجل يقتضي الذي له ولا يقتضي الذي عليه فذلك عليه ولا له».

وأحمد: «الصرعة كل الصرعة الذي يغضب فيشتد غضبه ويحمر وجهه ويقشعر شعره فيسرع غضبه».

وابن أبي الدنيا: «أتحسبون أن الشدة في حمل الحجارة إنما الشدة في أن يمتلىء أحدكم غيظاً ثم يغلبه».

وأحمد والشيخان: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

والعسكري: «ليس الشديد الذي يغلب الناس إنما الشديد من يغلب نفسه عند الغضب».

وابن النجار: «إن الشديد ليس الذي يغلب ولكن الشديد من غلب نفسه».

والبيهقي: «هل تدرون ما الشديد؟ إن الشديد كل الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب، تدرون ما الرقوب؟ الرقوب الذي له الولد لم يقدم منه شيئاً، تدرون ما الصعلوك كل الصعلوك؟ الرجل له المال لم يقدم منه شيئاً».

والترمذي الحكيم: «للنار باب لا يدخله إلا من شفى غيظه بسخط الله».

والطبراني: «من دفع غضبه دفع الله عنه عذابه، ومن حفظ لسانه ستر الله عورته».

وأحمد والبخاري والترمذي وأبو يعلى: أن غير واحد من الصحابة قال: يا رسول الله أوصني، قال: «لا تغضب» قال: أوصني، قال: «لا تغضب».

وفي رواية: «لا تغضب فإن الغضب مفسدة».

وفي أخرى: قلت: يا رسول الله مرني بعمل وأقلل. قال: «لا تغضب» ثم أعاد عليه فقال: «لا تغضب».

وفي أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما: قلت لرسول الله ﷺ: قل لي قولاً وأقلل لعلي أعقله، قال: «لا تغضب» فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع إلي «لا تغضب».

والطبراني: «لا تغضب ولك الجنة».

والحكيم: «لا تغضب يا معاوية بن حيدة فإن الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل».

والبيهقي وابن عساكر: «يا معاوية إياك والغضب فإن الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل».

والحكيم: «الغضب ميسم من نار جهنم يضعه الله على نياط أحدكم، ألا ترى أنه إذا غضب احمرت عينه واربد وجهه، وانتفخت أوداجه».

والخرائطي: «إياكم والبغضاء فإنها الحالقة».

والديلمي: «قال الله تعالى: من ذكرني حين يغضب ذكرته حين أغضب ولا أمحقه فيمن أمحق».

وابن شاهين: «يقول الله: ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب ولا أمحقك فيمن أمحق».

والطبراني: «لو يقول أحدكم إذا غضب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه غضبه».

وأحمد والطبراني والحاكم: «إني لأعلم كلمة لو قالها هذا الغضبان لأذهبتُ الذي به من الغضب: اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم».

وأحمد والحاكم: «اللهم مطفىء الكبير ومكبر الصغير أطفئها عني».

والخرائطي عن أم هانىء: «قولي: اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن»[1].

**ومما ورد من الآثار في ذلك:**

**قال سليمان بن داود** صلى الله على نبينا وعليهما وسلم: يا بني إياك

---

(١) الزواجر (٨٤/١ ـ ٨٥).

وكثرة الغضب فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم.

**وقال عكرمة** في قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩] السيد: الذي لا يغلبه الغضب.

**وقال يحيى لعيسى صلى الله على نبينا وعليهما وسلم**: لا تغضب، قال: يا أخي لا أستطيع أن لا أغضب إنما أنا بشر، قال: لا تقتنِ مالاً، قال: هذا عسى.

**وقال الحسن**: **يا ابن آدم** كلما غضبت وثبت يوشك أن تثب وثبة تقع في النار.

**وعن ذي القرنين**: أنه لقي ملكاً وقال له: علمني ما أزداد به إيماناً ويقيناً، قال: لا تغضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فردّ الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة، وإياك والعجلة فإنك إذا عجلت أخطأت حظك وكن سهلاً ليّناً للقريب والبعيد ولا تكن جباراً عنيداً.

**وعن وهب بن منبه** رضي الله عنه: أن راهباً في صومعته أراد الشيطان أن يضله فعجز عنه فناداه ليفتح له فسكت، فقال: إن ذهبت ندمت فسكت، فقال: أنا المسيح، فأجابه فقال: إن كنت المسيح فما أصنع بك؟ ألست قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة، ولو جئتنا اليوم بغير ذلك لم نقبله منك، فأخبر أنه الشيطان جاء ليضله فلم يستطع، ثم قال له: سلني عما شئت أخبرك، قال: ما أريد أن أسألك عن شيء فولى الشيطان مدبراً، فقال له الراهب: ألا تسمع؟ قال: بلى، قال: أخبرني أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم؟ قال: الحدة، إن الرجل إذا كان حديداً قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة.

**وقال جعفر بن محمد** رضي الله عنهما: الغضب مفتاح الشر.

**وقال بعض الأنصار**: رأس الحمق الحدة وقائده الغضب، ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم، والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة، والسكوت عن جواب الأحمق سعادة.

**وقال مجاهد**: قال إبليس: ما أعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث: إذا سكر أحدهم أخذنا بخرامته فقدناه حيث نشاء وعمل لنا بما أحببنا، وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم، وإذا بخل بما في يده منيناه بما لا يقدر عليه.

**وقال ابن مسعود** رضي الله عنه: انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه، وأمانته عند طمعه، وما علمك بحلمه إذا لم يغضب، وما علمك بأمانته إذا لم يطمع.

**وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عامله**: لا تعاقب عند غضبك بل احبسه فإذا سكن غضبك عاقبه بقدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطاً، وأغلظ له قرشيٌ فأطرق طويلاً، ثم قال: أردت أن يستفزني الشيطان لعز السلطان وأنال منك اليوم ما تناله مني غداً.

**وقال بعضهم**: أقل الناس غضباً أعقلهم فإن كان للدنيا كان دهاءً ومكراً وإن كان للآخرة كان علماً وحلماً.

**وكان عمر رضي الله عنه يقول في خطبته**: أفلح من حفظ من الهوى والطمع والغضب. وقال بعضهم: من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار.

**وقال الحسن**: من علامات المسلم: قوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وعلم في حلم، وكيس في رفق، وإعطاء في حق، وقصد في غنى، وتجمل في فاقة، وإحسان في قدرة، وصبر في شدة، لا يغلبه الغضب، ولا تجمح به الحمية، ولا تغلبه شهوته، ولا يفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه، ينصر المظلوم ويرحم الضعيف، ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر، يغفر إذا ظلم ويعفو عن الجاهل، نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء.

**وقال وهب**: **للكفر أركان أربعة**: الغضب والشهوة والخلف والطمع، **ويؤيده**: أن بعض الصحابة حمله الغضب على أن ارتد عن الإسلام ومات كافراً، فتأمل شر الغضب وما يحمل عليه.

**وقال نبي لأتباعه**: من يتكفل لي منكم أن لا يغضب يكن خليفتي ومعي في درجتي في الجنة، فقال شاب: أنا فأعاد فقال ذلك الشاب: أنا ووفّى، فلما مات كان خليفته في منزلته وهو **ذو الكفل** سمي به لأنه تكفل نفسه أن لا يغضب ووفى به، وقيل: لأنه تكفل بقيام الليل وصيام النهار ووفى به[1].

## المطلب الثالث: فضيلة كظم الغيظ

قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩] ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥] ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣] ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥] ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾ [النور: ٢٢] ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩] والآيات في ذلك كثيرة ومعلومة.

**وأخرج الشيخان**: (إن الله عز وجل رفيق القلب يحب الرفق في الأمر كله، يسّروا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفروا. ما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه. وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط في شيء إلا أن تنتهك حرمات الله عز وجل فينتقم لله عز وجل).

**وأيضاً**: (هل أتى عليك يا رسول الله يوم كان أشد من يوم أُحد؟ قال: «**لقد لقيتُ من قومك، وكان أشد ما لقيته منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبدياليل بن عبدكلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا**

---

(١) انظر خبر ذي الكفل في البداية والنهاية (١/ ٢١٠) وانظر الزواجر (١/ ٨٦ ـ ٨٧).

**بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليّ وقال: يا محمد، إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربّي إليك لتأمرني بما شئت، فإن شئت أطبقت عليهم الأخشبين، فقلت: بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً»).**

**قال أنس:** (كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه وضحك ثم أمر له بعطاء).

**قال ابن مسعود:** (كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء وقد ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب).

**وعند مسلم: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»** قاله الأشج بن عبدالقيس كما يأتي.

**وأيضاً: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على ما سواه، إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه. من يحرم الرفق يحرم الخير كله. إن الله عز وجل كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحدّ أحدكم شفرته وليرح ذبيحته».**

(ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله عز وجل فينتقم لله عز وجل).

**وقال أبو هريرة:** (قال رجل: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم

ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عليهم ويجهلون عليّ، فقال له النبي ﷺ: «**لئن كنت كما تقول فكأنما تسفهم الملّ** - أي الرماد الحار - **ولا يزال معك من الله عز وجل ظهير عليهم ما دمت على ذلك**».

**وفي البخاري**: (أن ذا الخويصرة لما بال في المسجد قام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال ﷺ: «**دعوه وأريقوا على بوله سجْلاً** - بفتح المهملة وسكون الجيم - **من ماء**، أو قال: **ذنوباً** - بفتح المعجمة وكلاهما الدلو الممتلئة ماء - **فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسّرين**»[1]).

**ومن الآثار في ذلك:**

**قال لقمان لابنه**: يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسألة، ولا (تذهب) كشف غيظك بفضيحتك، واعرف قدرك.

**قال عمر** رضي الله عنه: من اتقى الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترونه.

**وقال أيوب**: حلم ساعة يدفع شراً كثيراً.

**واجتمع سفيان الثوري وأبو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض** فتذاكروا الزهد فأجمعوا على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الجزع.

**وقال رجل لعمر** رضي الله عنه: والله ما تقضي بالعدل الجزل. فغضب عمر حتى عرف ذلك من وجهه فقال له رجل: يا أمير المؤمنين ألا تسمع أن الله تعالى يقول: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وإنما هذا من الجاهلين فقال عمر: صدقت فكإنما كانت ناراً فأُطفئت.

**وقال محمد بن كعب**: ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله: إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له.

---

(١) انظر الزواجر (١/١٠٤ - ١٠٥).

وجاء رجل إلى **سلمان** فقال: يا عبدالله أوصني، قال: لا تغضب، قال: لا أقدر، قال: فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك.

**وبكظم الغيظ يَقِلّ الغضب، وتنقشع الغمة التي تخيم على القلب، فلا يستفحل ولا يستحيل حقداً.**

## المطلب الرابع: دفع الغضب وعلاجه

**قال ابن الجوزي في الطب الروحاني:**

**لقد بينّا أن الغضب** إنما ركب في طبع الآدمي ليحثه على دفع الأذى عنه، والانتقام من المؤذي له، وإنما المذموم إفراطه، فإنه حينئذ يزيل التماسك، ويخرج عن الاعتدال، فيحمل على تجاوز الصواب، وربما كانت مكانته في الغضبان أكثر من مكانته في المغضوب عليه.

**والغضب حرارة** تنتشر عند وجود ما يغضب، فيغلي عندها الدم طلباً للانتقام، وربما أثر الحمى وسببه في الغالب الكبر، فإن الإنسان لا يغضب على من هو أعلى منه.

**وعلاجه**.. أن يتثبت الغضبان ويغير حاله، فإن كان ناطقاً سكت، وإن كان قائماً قعد، وإن كان قاعداً اضطجع[1].

**كما يتقيه** العبد بما ورد من الآثار، من الاستعاذة، والوضوء، وغير ذلك مما ورد.

**كما يحسن** بمن كان حاضراً إياه أن يذكره بالسنة في ذلك في لطف.

**هذه كلها مظنة علاج الغضب في وقت فورانه.**

**وقال الهيثمي: وأما الإفراط في تلك القوة فهو مذموم جداً أيضاً،** وذلك بأن يغلب عليه حتى يخرج عن سياسة العقل والدين ولا يبقى له معها فكر ولا بصيرة ولا اختيار، حتى يصير في صورة المضطر إما لأمور خلقية

---

(١) الطب الروحاني ص (٢٩).

أو عادية أو مركبة منهما بأن تكون فطرته مستعدة لسرعة الغضب أو يخالط من يتبجح به ويعده كمالاً وشجاعة حتى يرسخ مدحه عليه. ومهما اشتدت نار الغضب واشتعلت أعمت صاحبه وأصمته عن كل موعظة حتى لا تزيده الموعظة إلا اشتعالاً لانطفاء نور عقله ومحوه حالاً بدخان الغضب الصاعد إلى الدماغ الذي هو معدن الفكر وبما يتعدى إلى معادن الحس فيظلم بصره حتى لا يرى شيئاً إلا سواداً، بل ربما زاد اشتعال ناره حتى تفنى رطوبة القلب التي بها حياته فيموت صاحبه غيظاً.

**ومن آثار هذا الغضب في الظاهر**: تغير اللون كما مرّ، وشدة رعدة الأطراف وخروج الأفعال عن الانتظام، واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الأشداق وتشتد حمرة الأحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة، ولو يرى الغضبان في حال غضبه صورة نفسه لسكن غضبه حياء من قبح صورته لاستحالة خلقته وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره، فإن الظاهر عنوان الباطن إذ قبح ذاك إنما نشأ عن قبح هذا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن هذا أثره في الجسد.

**وأما أثره في اللسان**: فانطلاقه بالقبائح كالشتم والفحش وغيرهما مما يستحي منه ذوو العقول مطلقاً وقائله عند فتور غضبه على أنه لا ينتظم كلامه، بل يتبخط نظمه ويضطرب لفظه.

**وأما أثره في الأعضاء**: فالضرب فما فوقه إلى القتل عند التمكن فإن عجز عن التشفي رجع غضبه عليه فمزق ثوبه وضرب نفسه وغيره حتى الحيوان والجماد حتى يصيبه بالكسر وغيره، وعدا عدو الواله السكران والمجنون الحيران، وربما سقط وعجز عن الحركة واعتراه مثل الغشية لشدة استيلاء الغضب عليه.

**وأما أثره في القلب**: فالحقد على المغضوب عليه وحسده وإظهار الشماتة بمساءته والحزن بسروره والعزم على إفشاء سره وهتك ستره والاستهزاء به وغير ذلك من القبائح.

**وأما الكمال المطلق**: فهو اعتدال تلك القوة بأن لم يكن فيها تفريط

ولا إفراط، وإنما تكون طوع العقل والدين، فتنبعث حيث وجبت الحمية، وتنطفىء حيث حسن الحلم، وهذه هي الاستقامة التي كلّف الله بها عباده، والوسط الذي مدحه النبي ﷺ بقوله: «**خير الأمور أوسطها**»[1]، فمن أفرط أو فرط فليعالج نفسه إلى وصولها إلى هذا الصراط المستقيم أو إلى القرب، قال تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ﴾ [النساء: **١٢٩**].

**ولا ينبغي لمن عجز عن الإتيان بالخير كله** أن يأتي بالشر كله فإن بعض الشرّ أهون من بعض، وبعض الخير أرفع من بعض، والله تعالى من فضله يعطي كل عامل ما أمله، وييسر له ما توجه إليه وأمّ له.

**ومنها**: محل ذم الغضب إن كان بباطل وإلا فهو محمود، ومن ثم كان النبي ﷺ لا يغضب إلا للّه.

**أخرج الشيخان**: (أن رجلاً قال: يا رسول الله إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل، فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب في موعظته يومئذ، فقال: «**يا أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم أمَّ الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة**»)[2].

**قالت عائشة**: (قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت سهوة لي - أي صفة - بين يدي البيت بقرام - أي ستر رقيق فيه تماثيل - فلما رآه ﷺ هتكه - أي أفسد الصورة التي فيها - ورماه بيده وقال: «**يا عائشة أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله عز وجل**»).

**قال أنس**: (رأى ﷺ نخامة في القبلة فشق ذلك عليه حتى رؤي في وجهه الغضب فقام فحكّها بيده، وقال: «**إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه**» أو قال: «**إن ربه بينه وبين القبلة فلا يبزقن أحدكم قِبَل القبلة ولكن عن يساره أو تحت قدمه أو في غير المسجد**»، ثم أخذ طرف ردائه

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري.

فبصق فيه ثم ردّ به بعضه على بعض وقال: **«أو يفعل هكذا»**.

**ومنها: ظن قوم أن الرياضة تزيل الغضب بالكلية**، وآخرون أنه لا يقبل العلاج أصلاً. قال الغزالي: والحق ما سنذكره.

**وحاصله**: أن الإنسان ما دام يحب شيئاً ويكره شيئاً فلا يخلو من الغضب، ثم المحبوب إن كان ضرورياً كالقوت والمسكن والملبس وصحة البدن فلا بدّ من الغضب لأجل تقويته، وإن كان غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة بالعلم والمال الكثير أمكن عدم الغضب عليه بالزهد ونحوه وإن صار محبوباً بالعادة والجهل بمقاصد الأمور، وأكثر غضب الناس على هذا القسم أو ضرورياً في حق بعض الناس ككتب العلماء وآلات المحترفين، وهذا القسم لا يغضب لفواته إلا المضطر إليه بخلاف غيره.

**إذا علم ذلك ـ فالقسم الأول** ـ لا تؤثر الرياضة في زواله بالكلية لأنه قضية الطبع بل في استعماله على حد يستحسنه الشرع والعقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف التحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقاً راسخاً. وكذلك ـ القسم الثالث ـ لأن من هو ضروري في حقه بمنزلة المضطر إلى الغضب على فواته، فلا يمكن بالمجاهدة زواله بل ضعفه نظير ما تقرر في الذي قبله.

**وأما القسم الثاني** ـ فيمكن بالمجاهدة زواله بالكلية لإمكان إخراج حبه من القلب لعدم اضطراره إليه، ولملاحظة أن وطن الإنسان الحقيقي القبر ومستقره الآخرة، وإنما الدنيا محل تزوده بقدر الضرورة وما وراء ذلك وبال عليه في وطنه ومستقره فليزهد فيها ماحياً حبها من قلبه. نعم وصول الرياضة إلى قلع أصل هذا نادر جداً.

وتأمل قوله ﷺ: **«اللهم إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر، فأيما مسلم سببته أو لعنته أو ضربته فاجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقربة وتقربه بها إليك يوم القيامة»**.

**وقال عبدالله بن عمرو بن العاص**: يا رسول الله أكتب عنك ما قلت

في الغضب والرضا؟ فقال ﷺ: «**اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه إلا حق**» وأشار إلى لسانه ولم يقل: إني لا أغضب ولكن قال: «**إن الغضب لا يخرجني عن الحق**» أي: لا أعمل بموجب الغضب.

**قال علي رضي الله عنه:** (كان ﷺ لا يغضب للدنيا فإذا غضب للحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له).

**والحاصل:**

**أن أعظم الطرق في الخلاص من الغضب محو حب الدنيا عن القلب بمعرفة آفاتها وغوائلها، وأعظم الطرق في الوقوع في ورطته الزهو والعجب والمزاح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضارّة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه، فهذه بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعاً، ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب، فلا بد من إزالتها بالمجاهدة والرياضة إلى أن يتحلى بأضدادها**[1].

**قال الهيثمي أيضاً:**

مرّ **من الأحاديث ما يعلم** به دواء الغضب ومزيله بعد هيجانه ومرجعه إلى العلم والعمل، فالعلم بأن يتفكر فيما سيجيء في فضل كظم الغيظ وفي العفو والحلم والاحتمال، فإنه حينئذ يرغب فيما أعده الله له من الثواب فيزول ما عنده وما يضطره إلى الهوان والعذاب، ومن ثم لما أمر عمر رضي الله عنه بضرب رجل قرأ عليه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩] فقرأها عمر وتأملها فخلاّه، وكان وقّافاً عند كتاب الله لا يتجاوزه، وتأسى به عمر بن عبدالعزيز حفيده في هذا فأمر بضرب رجل ثم قرأ: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] فأمر بإطلاقه، وبأن يتأمل في أن قدرة الله عليه أعظم من قدرته هو فربما لو أمضى غضبه أمضى الله عليه غضبه فهو أحوج ما يكون للعفو يوم القيامة،

---

(١) الزواجر (١/٨٣ ـ ٨٧).

ومن ثم جاء كما مر: يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق، وبأن يحذر نفسه عاقبة الانتقام وتسلط النقم منه على عرضه وإظهار معايبه والشماتة بمصائبه وغير ذلك من مكائد الأعداء، فهذه غوائل دنيوية ينبغي لمن لا يعول على الآخرة أن لا يقطع نظره عنها، وبأن يتفكر في قبح صورته عند غضبه مع قبح الغضب عند نفسه ومشابهة صاحبه بالكلب الضاري، ومشابهة الحليم للأنبياء ويتأمل بعد ما بين الشبهين، وبأن لا يصغي إلى وسوسة الشيطان المهيجة لغضبه فإن تركه يورث عجزه عند الناس، ويتأمل أن هذا دون عذاب الله وانتقامه المفرعين على الغضب والانتقام. إذ الغضبان يود جريان الشيء على وفق مراده دون مراد الله، ومن وقع في هذه الورطة لا يأمن غضب الله وعذابه بما هو أعظم من غضبه وانتقامه والعمل بأن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ويأخذ بأنف نفسه ويقول: اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن لحديث فيه ثم ليجلس ثم ليضطجع ليقرب من الأرض التي خلق منها حتى يعرف حقارة أصله وذل نفسه، وليسكن عن الحركة الناشئة عنها الحرارة الناشىء عنها الغضب كما في حديث: «**إن الغضب جمرة توقد في القلب ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فليجلس وإن كان جالساً فلينم فإن لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو ليغتسل فإن النار لا يطفئها إلا الماء**».

وفي حديث آخر: «**إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فإن الغضب من النار**».

وفي رواية: «**إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**».

وفي رواية: «**إذا غضبت فاسكت**».

وفي أخرى: «**ألا إن الغضب جمرة في قلب ابن آدم: ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيئاً فليلصق خده بالأرض**».

قال الغزالي: وكأن هذا إشارة إلى السجود وتمكين أعز الأعضاء من

أذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس فتزيل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب، واستنشق عمر بماء عند غضبه وقال: إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب.

**وعيّر أبو ذر رضي الله عنه رجلاً بأمه** ـ قيل هو بلال ـ فعتبه النبي ﷺ ثم قال له: «**يا أبا ذر ارفع رأسك فانظر** ـ أي إلى السماء ـ **وعظم خلقها ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بالعلم**» ثم قال: «**إذا غضبت فإن كنت قائماً فاقعد وإن كنت قاعداً فاتكىء وإن كنت متكئاً فاضطجع**».

**ومنها**: لا يجوز لك إذا ظلمت بنحو غيبة أو قذف أو تجسس أن تقابل ذلك بمثله لأنه لا حد له يوقف على المماثلة فيه، والقصاص إنما يجري فيما فيه المماثلة، نعم رخص أئمتنا أن يقابله بما لا ينفك عنه أحد كأحمق.

**وقال مطرف**: كل الناس أحمق فيما بينه وبين ربه إلا أن بعض الناس أقل حماقة من بعض. **وقال عمر**: الناس كلهم حمقى في ذات الله وكجاهل، إذ ما من أحد إلا وفيه جهل.

**قال الغزالي**: وكذا يا سيىء الخلق يا صفيق الوجه يا ثلاب الأعراض إذا كان ذلك فيه، وكذا لو كان فيك حياء ما تكلمت ما أحقرك في عيني بما فعلت وخزاك الله وانتقم منك، فأما نحو القذف وسب الوالدين فحرام اتفاقاً.

**والدليل على جواز ذلك**: أن زينب سبّت عائشة رضي الله عنها فأجابتها حتى غلبتها بحضرته ﷺ فقال: «**إنها ابنة أبيها**».

**والمراد بالسبّ هنا أنها أجابتها عن كلامها بالحق وقابلتها بالصدق**، والأفضل ترك ذلك وإن جاز لأنه يجر إلى ما هو أقبح وأفحش. وفي الحديث: «**المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك**» وفي رواية أخرى: «**أنه قسم الخلق إلى سريعهما وبطيئهما وسريع أحدهما بطيء الآخر وجعل خيرهم بطيء الغضب سريع الرضا وشرهم عكسه**».

## المطلب الخامس: الغيرة وما يحمد من الغضب(١)

**لا بد من التفريق بين الغيرة والغضب المذموم**، فإن الغيرة المنضبطة محمودة شرعاً، وهي ناشئة عن الغضب، ولذا فمن أنواع الغضب ما هو محمود ومنها ما هو مذموم وهذا يوجب التنبيه.

**قال في الزواجر**:

**مرّ في أحاديث الغضب السابقة** ما يدل على أن الله تعالى خلق الغضب من نار وغرزه في الإنسان وعجنه بطينته، فمهما قصد في غرض من أغراضه اشتعلت فيه تلك النار إلى أن يغلي منها دم قلبه ثم تنتشر في بقية عروق البدن فترتفع إلى أعاليه كما يرتفع الماء المغلي فينصب الدم بعد انبساطه إلى الوجه وتحمر الوجنة والعين، والبشرة لصفائها تحكي ما وراءها من حمرة الدم هذا إن استشعر القدرة على من غضب عليه، وإلا فإن غضب على من قوته أشدّ من قوته وكان معه يأس من الانتقام انقبض دمه من ظاهر جلده إلى جوف قلبه وصار خوفاً فيه فيصفر لونه، أو من مساويه وشك في قدرته على الانتقام منه تردد دمه بين الانقباض والانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب، فعلم أن قوة الغضب محلها القلب وأن معناها غليان دمه لطلب الانتقام، وإن هذه القوة إنما تتوجه عند ثورانها إلى دفع مؤذ قبل وقوعه أو التشفي والانتقام بعده فالانتقام هو لذتها وممسكها، ثم إن التفريط فيها بانعدامها أو ضعفها مذموم جداً لانعدام الحمية والغيرة حينئذ، ومن لا غيرة له ولا مروءة لا يتأهل لشيء من أنواع الكمال بوجه من الوجوه لأنه بالنساء بل بحشرات الحيوان أشبه، وهذا هو معنى قول الشافعي رحمه الله: من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضي فلم يرضَ فهو شيطان.

**وقد وصف الله تعالى الصحابة** رضوان الله عليهم بالشدّة والحمية فقال: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ

(١) وقد نقلته مع طوله لنفاسته.

عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ٧٣ ـ التحريم: ٩].

وثمرة التفريط في ذلك قلة الأنفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم كالأخت والزوجة واحتمال الذم من الأخساء وصغر النفس، وهذه كلها قبائح ومذام ولو لم يكن من ثمراتها إلا قلة الغيرة وخنوثة الطبع.

وقد قال ﷺ: «أتعجبون من غيرة سعد أنا أغير منه والله أغير مني ومن غيرته أن حرّم الفواحش».

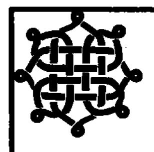
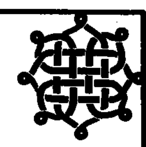
وأخرج أحمد والشيخان والترمذي: «لا أحد أغير من الله ولذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه، ولا أحد أحب إليه العذر من الله ولذلك فقد أنزل الكتب وأرسل الرسل».

والبيهقي: «إن الغيرة من الإيمان».

وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة: «إن من الغيرة ما يحب الله تعالى ومنها ما يبغض الله، وإن من الخيلاء ما يحب الله تعالى ومنها ما يبغض الله، فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة، وأما الغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة. وأما الخيلاء التي يحبها الله فاختيال الرجل في القتال واختياله عند الصدقة، وأما الخيلاء التي يبغضها الله فاختيال الرجل في البغي والفخر».

والطبراني: «إن الله تعالى يحب من عباده الغيور إن الله تعالى يغار، فليغر».

والشيخان والترمذي: «إن الله تعالى يغار وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه».

# الفصل الثاني
# مقومات الحسد

## المبحث الثاني
## الحقد

وفيه خمسة مطالب:

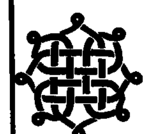
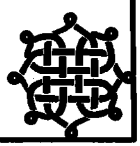
المطلب الأول: الحقد عند الناس

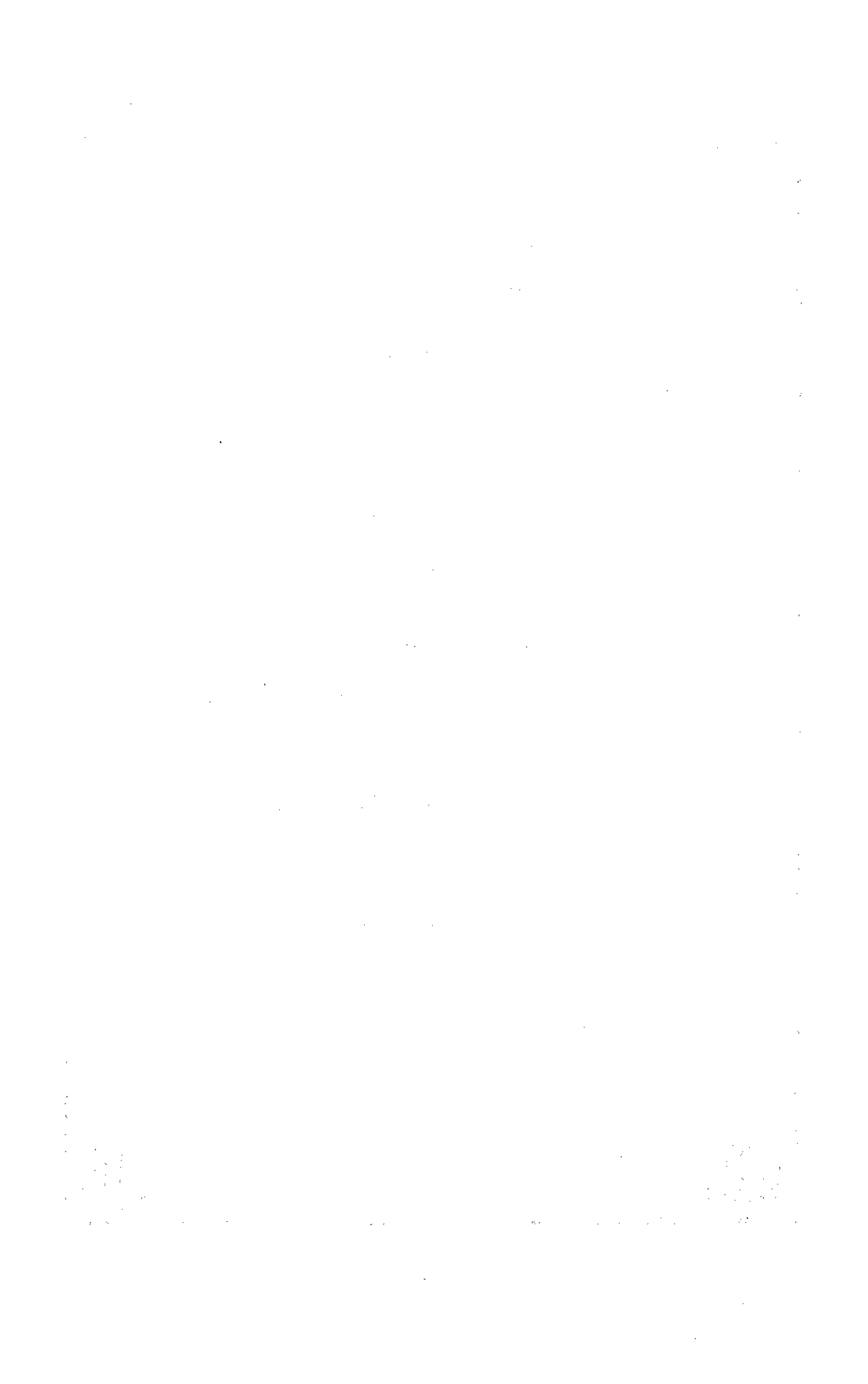
المطلب الثاني: ذم الحقد

المطلب الثالث: ثمرات الحقد وحكمه

المطلب الرابع: علاج الحقد ودفعه

المطلب الخامس: الوقاية من الحقد



## المبحث الثاني: الحقد

### المطلب الأول: الحقد عند الناس

**مما سبق تبين أن الغضب إذا استفحل** استحال حقداً، وأيضاً إنْ كظم للعجز أي لم يكظم لفضيلة كظم الغيظ، فإن كظم للعجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن، واحتقن فيه فصار حقداً.

**والحقد**: أن يلزم قلبه البغض له والنفار عنه وأن يدوم ذلك ويبقى، فهو ثمرة الغضب لذا ففي الحديث: «**المؤمن ليس بحقود**».

**ذلك أن المؤمن يرى** أن عطاء المولى عز وجل له إنما هي إرادة عليه، فما أفضل إرادة الله وما أطيبها على العباد، ومن الناس من أعطوا الأموال فتاهوا وسط زحام الناس ومن الناس من كثرت أموالهم فقتلوا وتقاتلوا وهلكوا. ومن الناس من أعطوا مناصب الدنيا فذلوا وأهلكوا فعلام الحقد إذن. والحياة يمكنها أن تكون هنيئة بقليل من العيش.

**وصلى الله على محمد حيث قال يدعو ربه ويناجيه: «اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين»**.

**يقول الداعية الغزالي**:

**ليس أروح للمرء**، ولا أقر لعينه من أن يعيش سليم القلب، مبرءاً من وساوس الضغينة، وثوران الأحقاد. إذا رأى نعمة تنساق إلى أحد رضي

بها، وأحس فضل الله فيها، وفقر عباده إليها، وذكر قول رسول الله ﷺ: **«اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر»**، وإذا رأى أذى يَلحق أحداً من خلق الله رثى له، ورجا الله أن يفرج كربه ويغفر ذنبه، وذكر مناشدة الرسول ﷺ ربه:

**«إن تغفر اللهم تغفر جَما    وأي عبد لك ما ألما»**

**وبذلك يحيا المسلم ناصع الصفحة،** راضياً عن الله وعن الحياة، مستريح النفس من نزعات الحقد الأعمى، فإن فساد القلب بضغائن داء عياء، وما أسرع أن يتسرب السائل من الإناء المثلوم.

**ونظرة الإسلام إلى القلب خطيرة.** فالقلب الأسود يفسد الأعمال الصالحة ويَطمس بهجتها ويعكر صفوها. أما القلب المشرق فإن الله يبارك في قليله وهو إليه بكل خير أسرع. عن عبدالله بن عمرو، قيل: يا رسول الله أي الناس أفضل؟ قال: **«كل مخموم القلب صدوق اللسان»** قيل: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: **«هو النقيّ التَّقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد»**[1][2].

**ومن ثمّ كانت الجماعة المسلمة حقاً** هي التي تقوم على عواطف الحب المشترك والود الشائع، والتعاون المتبادل، والمجاملة الدقيقة، لا مكان فيها للفردية المتسلطة الكنود، بل هي كما وصف القرآن: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

## المطلب الثاني: ذم الحقد

**ومما ورد في ذم الحقد** من النصوص الشرعية ما أورده الهيثمي في الزواجر حيث قال: وأخرج البيهقي: **«إن الله يطلع على عباده في ليلة النصف**

---

(١) أخرجه ابن ماجه.

(٢) خلق المسلم للغزالي ص (٨٦، ٨٧).

من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد».

وأخرج أيضاً: «إذا كان ليلة النصف من شعبان اطلع الله إلى خلقه فيغفر للمؤمنين ويملي للكافرين ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه».

ومسلم: «تعرض الأعمال في كل جمعة مرة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد مؤمن إلا عبداً بينه وبين أخيه شحناء فيقال: اتركوا هذين حتى يفيئا».

والطبراني: «تعرض الأعمال على الله تعالى يوم الاثنين والخميس فيغفر الله إلا ما كان من متشاحنين أو قاطع رحم».

وأحمد وأبو داود والترمذي: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر فيهما لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا»[1].

وابن عساكر: «إن الأعمال تعرض يوم الخميس ويوم الجمعة فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلين فإنه يقول: أخروا هذين حتى يصطلحا».

والخطيب وابن عساكر: «إن أعمال العباد تعرض على الله في كل اثنين وخميس، فيغفر الله لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا عبداً بينه وبين أخيه شحناء».

والطبراني والخرائطي: «تعرض الأعمال على الله يوم الاثنين والخميس فيغفر الله الذنوب إلا ما كان من متشاحنين أو قاطع رحم».

وابن زنجويه والطبراني: «تعرض أعمال بني آدم كل يوم اثنين وخميس فيرحم المسترحمين ويغفر للمستغفرين ثم يذر أهل الحقد بحقدهم».

والشيخان وابن زنجويه وأبو داود والنسائي وابن حبان: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس فيغفر الله فيهما لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها.

رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا».

وابن خزيمة والبيهقي: «ينزل الله ـ أي أمره ورحمته[1] ـ إلى سماء الدنيا ليلة النصف من شعبان، فيغفر لكل مؤمن إلا العاق والمشاحن».

والبزار وحسنه والدارقطني والبيهقي: «ينزل الله إلى السماء الدنيا ليلة النصف من شعبان فيغفر لكل مؤمن إلا رجلاً مشركاً أو رجلاً في قلبه شحناء».

وابن زنجويه: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا ليلة النصف من شعبان فيغفر لأهل الأرض إلا مشركاً أو مشاحناً».

وابن حبان والطبراني وابن شاهين والبيهقي وابن عساكر: «يطلع الله عز وجل إلى خلقه في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن».

وأحمد والنسائي: «يطلع الله على خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لعباده إلا اثنين: مشاحن أو قاتل نفس».

## المطلب الثالث: ثمرات الحقد وحكمه

**الحقد يثمر ثمانية أمور:**

**الأول:** الحسد: وهو أن يحملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه فتنغمّ بنعمة إن أصابها وتسر بمصيبة إن نزلت به وهذا من فعل المنافقين.

**الثاني:** أن تزيد على إضمار الحسد في الباطن فتشمت بما أصابه من البلاء.

**الثالث:** أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك.

---

(١) هذا من التأويل المذموم الذي ابتلي به الكثير من المتأخرين، ومنهج السلف الصالح الإثبات مع التنزيه فاستمسك به.

**الرابع**: وهو دونه أن تعرض عنه استصغاراً له.

**الخامس**: أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره.

**السادس**: أن تحاكيه استهزاء وسخرية منه.

**السابع**: إيذاؤه بالضرب وما يؤلمه.

**الثامن**: أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة.

**وكل ذلك حرام.**

**وأقل درجات الحقد** أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد إلى ما حرم الله به، ولكن تستقله في الباطن، ولا تنهي قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق، أو بترك الدعاء له والثناء عليه أو ترك التحريض على بره ومواساته، فهذا كله مما ينقص في الدين ويحول بينكم وبين فضل عظيم وثواب جزيل، وإن كان لا يعرضك لعقاب الله.

**ولما حلف أبو بكر** رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح وكان قريبه لكونه تكلم في واقعة الإفك نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾. **فقال أبو بكر**: نعم نحب ذلك وعاد إلى الإنفاق عليه.

**والأولى أن يبقى** على ما كان عليه فإن أمكنه أن **يزيد في الإحسان مجاهدة للنفس** وإرغاماً للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال المقربين.

**فللمحقود ثلاثة أحوال عند القدرة:**

**أحدها**: أن يستوفي حقه الذي يستحق من غير زيادة ونقصان وهو لعدل.

**الثاني**: أن يحسن إليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل.

**الثالث**: أن يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الأراذل والثاني هو اختيار الصديقين.

**والأول هو منتهى درجات الصالحين.**

## المطلب الرابع: علاج الحقد ودفعه

**قال ابن الجوزي في الطب الروحاني:**

**دفع الحقد:**

الحقد بقاء أثر القبيح من **المحقود في النفس، ولعمري إن العقل الذي يقضي ببقاء أثر القبيح** يقضي ببقاء أثر الجميل.

**وعن عبدالله بن كعب بن مالك قال**: سمعت كعب بن مالك يحدث في حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ فذكر القصة، ونزول توبته، قال: فدخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إلى طلحة بن عبيدالله يهرول، حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره قال: فكان كعب: لا ينساها لطلحة. أخرجاه في الصحيحين[1].

**فإذا ثبت أن الجميل لا ينسى**، فالقبيح كذلك، إلا أنه يستحب الاجتهاد في إزالة أثر القبيح من القلب. وعلاج ذلك أن يكون بالعفو والصفح. وللعفو محلان:

**أحدهما**: رؤية الثواب للعافي.

**والثاني**: شكر من جعل هذا في مرتبة من يعفو، وذلك في منزلة من يعفو.

**ومن كمال العفو حصول الرضا**، وذلك بمحو ما في القلب.

---

(١) البخاري: تفسير سورة التوبة (٩)، ومسلم: التوبة (٥٥)، وأبو داود: الطلاق (٢٧)، والإمارة: (٢٢)، والنسائي: الطلاق: (١٨)، وأحمد: (٢٣٨/١).

**وههنا علاج** أدق من هذا، وهو أن يرى الإنسان أن الذي سلط عليه لأذاه إنما هو بذنب منه، أو لتكفير خطإٍ، أو لرفع درجة، أو لاختباره في صبره.

**وثم علاج أدق** من هذا وهو أن يرى الأشياء من المقدر[1].

## المطلب الخامس: الوقاية من الحقد

**يقول الداعية الغزالي مبيناً بعض آثار الحقد** حتى يحذر اللبيب منها ويعمل على علاجها، وما شرعه الدين الحنيف للوقاية من ذلك: إن سلامة الصدر تفرض على المؤمن أن يتمنى الخير للناس، إن عجز عن سوقه إليهم بيده. أما الذي لا يجد بالناس شراً فينتحله لهم انتحالاً، ويزوره عليهم تزويراً فهو أفاك صفيق. قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩].

**ومن فضل الله على العباد:** أنه استحبّ ستر عيوب الخلق، ولو صدَق اتصافهم بها. وما يجوز لمسلم أن يتشفّى بالتشنيع على مسلم ولو ذكر بما فيه فصاحب الصدر السليم يأسى لآلام العباد، فليس مسلك المسلم الحق أَنْ يحقد. ومن ثمّ حرّم الإسلام الغيبة، إذ هي متنفس حقد مكظوم، وصدر فقير إلى الرحمة والصفاء.

**عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **«ذكرك أخاك بما يكره»** قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: **«إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»**.

**ومن آداب الإسلام التي شرعها لحفظ المودّات**، واتقاء الفرقة: تحريم النميمة لأنها ذريعة إلى تكدير الصفو وتغيير القلوب.

---

(١) الطب الروحاني (١/٣٧، ٣٨).

وقد كان النبيّ ﷺ **ينهى أن يبلغ عن أصحابه ما يسوءه، قال: «لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»**(١).

**وعلى من سمع شيئاً من ذلك ألا يوسع الخرق على الراقع،** فرب كلمة شر تموت مكانها لو تركت حيث قيلت ـ ورب كلمة شر سعرت الحروب، لأن غرّاً نقلها ونفخ فيها، فأصبحت شرارة تنتقل بالويلات والخطوب. قال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل الجنة نمام»**(٢). وفي رواية: **«قتات»**.

**قال العلماء: هما بمعنى واحد،** وقيل: **النمام** الذي يكون مع جماعة يتحدثون فينقل عنهم، **والقتات،** الذي يتسمع عليهم من حيث لا يشعرون ثم ينمّ.

**وروي في الحديث: «إن النميمة والحقد في النار، لا يجتمعان في قلب مسلم»**(٣).

**ومن لوازم الحقد:** سوء الظن، وتتبع العورات، واللمز، وتعيير الناس بعاهتهم، أو خصائصهم البدنية والنفسية. وقد كرّه الإسلام ذلك كله كراهية شديدة. قال رسول الله ﷺ: **«من علم من أخيه سيئة فسترها، ستر الله عليه يوم القيامة»**(٤).

**وقال: «من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا موؤودة»**(٥).

**وكثيراً ما يكون متتبعو العورات لفضحها أشد إجراماً،** وأبعد عن الله قلوباً من أصحاب السيئات المكتشَفة، فإن التربص بالجريمة لنشرها، أقبح

(١) أخرجه أبو داود.
(٢) أخرجه البخاري.
(٣) أخرجه الطبراني.
(٤) أخرجه الطبراني.
(٥) أخرجه الطبراني.

من وقوع الجريمة نفسها: وشتان بين شعورين، شعور الغيرة على حرمات الله والرغبة في إذلالهم.

**إن الشعور الأول قد يصل في صاحبه إلى القمة**، ومع ذلك فهو أبعد ما يكون عن التشفي من الخلق، وانتظار عثراتهم، والشماتة في آلامهم. وسلامة الصدر فضيلة تجعل المسلم لا يربط بين حظه من الحياةِ ومشاعره مع الناس، ذلك أنه ربما فشل حيث نجح غيره، وربما تخلف حيث سبق آخرون.

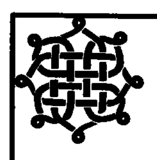
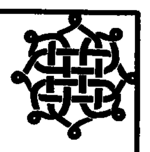
**فمن الغباء أو من الوضاعة** أن تلتوي الأثرة بالمرء، فتجعله يتمنى الخسارة لكل إنسان، لا لشيء، إلا لأنه هو لم يربح. ثم إن المسلم يجب أن يكون أوسع فكرة، وأكرم عاطفة، فينظر إلى الأمور من خلال الصالح العام، لا من خلال شهواته الخاصة.

**وجمهور الحاقدين**، تغلي مراجل الحقد في أنفسهم بسبب ما قد فاتهم، وامتلأت به أكف أخرى اهـ[1].

---

(١) من كتاب خلق المسلم للداعية محمد الغزالي ـ ط. مطابع قطر الوطنية ص (٩١ ـ ٩٣).



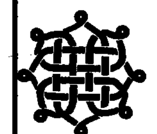
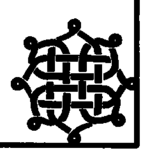
# الفصل الثالث
# علاج الحسد والوقاية منه

## المبحث الأول
## أسباب ومضاره

وفيه مطالب:

المطلب الأول: أسباب الحسد وشيوعه

المطلب الثاني: آثار الحسد



## المبحث الأول: أسبابه ومضاره

**أسباب الحسد ومضاره كثيرة**، ومضاره لا تقتصر على المحسود بل تمتد المضار إلى الحاسد نفسه، وفيما يلي بيان لبعض أسباب الحسد ومضاره، حتى يستطيع المسلم علاجه...

### المطلب الأول: أسباب الحسد وشيوعه

**للحسد عدة أسباب** ومن أهمها:

**أولاً ـ السبب الخلقي وهو أشْيع الأسباب:**

**الحسد مرض شائع جداً**، وهذا يوجب الحذر، فيحذر الإنسان من نفسه التي بين جنبيه، ويحذر من حسد الآخرين.

**يقول شيخ الإسلام: (والمقصود أن** (الحسد) مرض من أمراض النفس، وهو مرض غالب فلا يخلص منه إلا قليل من الناس، ولهذا يقال: **ما خلا جسد من حسد، لكن اللئيم يبديه والكريم يخفيه**. وقد قيل للحسن البصري: أيحسد المؤمن؟ فقال: ما أنساك إخوة يوسف لا أبا لك، ولكن عمه في صدرك، فإنه لا يضرك ما لم تعدَّ به يداً ولساناً) اهـ[١].

---

(١) الفتاوى (١٠/١٢٤، ١٢٥).

**ويقول ابن الجوزي** عنه: (وهذا أمر لا يكاد أحد ينفك منه في باطنه، ولا يأثم الإنسان بوجود ذلك، بل يأثم بالتمني لزوال النعمة عن أخيه المسلم)[1].

**ويقول ابن الجوزي** في صيد الخاطر:

«**قد ركب في الطباع** حب التفضيل على الجنس. فما أحد إلا وهو يحب أن يكون أعلى درجة من غيره: فإذا وقعت نكبة أوجبت نزوله عن مرتبة سواه، فينبغي له أن يتجلد بستر تلك النكبة، لئلا يشمت به ذو العافية»[2].

**ويقول** في موضع آخر منه:

(**رأيت الناس يذمون الحاسد** ويبالغون ويقولون: لا يحسد إلا شرير يعادي نعمة الله، ولا يرضى بقضائه. ويبخل على أخيه المسلم. فنظرت في هذا فما رأيته إلا كما يقولون. وذاك لئلا يرتفع عليه، وود أن لم ينل صديقه ما ينال، أو أن ينال هو ما نال ذاك لئلا يرتفع عليه. **وهذا معجون في الطين**. ولا لوم على ذلك، إنما اللوم أن يعمل بمقتضاه من قول أو فعل. وكنت أظن أن هذا قد وقع لي عن سرّي وفحصي، فرأيت الحديث عن الحسن البصري قد سبقني إليه.

**ثم ساق بإسناده عن الحسن** أنه قال: ليس من ولد آدم أحد إلا وقد خلق معه الحسد فمن لم يجاوز ذلك بقول ولا بفعل لم يتبعه شيء)[3].

**وقد جاء حديث فيه هذا المعنى** أورده شيخ الإسلام في أثناء كلامه على الحسد وهو: «**ثلاث لا ينجو منهن أحد: الحسد، والظن، والطيرة. وسأحدثكم بما يخرج من ذلك إذا حسدت فلا تبغض، وإذا ظننت فلا**

---

(١) الطب الروحاني لابن الجوزي ص (٣٤).

(٢) صيد الخاطر ص (٢٦٧).

(٣) صيد الخاطر (٣٦٠، ٣٦١).

تحقق، وإذا تطيرت فامض» رواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة[1].

**ثانياً ـ الأسباب التي من جهة أمراض النفس:**

**منها ستة** ذكرها الغزالي رحمه الله في الإحياء[2].

**وهي:**

**١ ـ العداوة والبغضاء:**

**وهذا أشد أسباب الحسد،** فإن من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه أبغضه وقلاه ورَسَّخَ في قلبه الحقد ثم الحسد.

**٢ ـ التعزز:**

**وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره،** فإن أصاب بعض أمثاله ولاية أو علماً أو مالاً خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال ذلك.

**٣ ـ الكبر:**

**وهو أن يكون في طبعه** أن يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في أغراضه، فإذا نال نعمة خاف أن لا يتحمل تكبره ويترفع عليه فيعود متكبراً بعد أن كان متكبَّراً عليه.

**٤ ـ التعجب:**

**كما أخبر الله تعالى عن الأمم السابقة إذ قالوا:** ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾.

**٥ ـ الخوف من فوت المقاصد:**

**وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد** فإن كل واحد يحسد

---

(١) الفتاوى (١٢٦/١٠).

(٢) الإحياء (١٨٨/٣ وما بعدها).

صاحبه في كل نعمة تكون عوناً له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الزوجين في التزاحم على مقاصد الزوجية، وتحاسد الإخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين للتوصل به إلى مقاصد الرياسة والمال.

**٦ ـ حب الرياسة:**

**حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه** من غير توصل به إلى المقصود وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء واستفرغه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وأنه لا نظير له فإنه لو سمع بنظير له في أقصى العالم لساءه ذلك وأحب موته، أو علم عبادة أو صناعة أو جمالاً أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد به، ويفرح بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تعززاً ولا تكبراً على المحسود ولا خوفاً من فوات المقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد.

**وهذا وراء ما بين آحاد العلماء** من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل إلى مقاصد سوى الرياسة وقد كان **علماء اليهود** ينكرون معرفة رسول الله ﷺ ولا يؤمنون به[١].

**٧ ـ الشح والبخل:**

**ومن الأمراض التي تعين على الحسد أيضاً الشح، والبخل،** فإن البخيل إذا منع نفسه، ظهرت نعمة الغير، فعندئذ يقع في الحسد، والحسد ظلم للغير، والشح ظلم للنفس. يقول شيخ الإسلام: والشح مرض، والبخل مرض، والحسد شر من البخل كما في الحديث الذي رواه أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال: «**الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار**».

---

(١) ومن الأمراض أيضاً: الغضب والحقد، وسبق الكلام عليهما بتوسع في مقومات الحسد.

**وذلك أن البخيل يمنع نفسه**، والحسود يكره نعمة الله على عباده، وقد يكون في الرجل إعطاء لمن يعينه على أغراضه وحسد لنظرائه، وقد يكون فيه بخل بلا حسد لغيره والشح أصل ذلك.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالبخل، وأمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا**».

**وكان عبدالرحمٰن بن عوف يكثر من الدعاء في طوافه** يقول: «اللهم قني شح نفسي، فقال له رجل: ما أكثر ما تدعو بهذا؛ فقال: إذا وقيت شح نفسي وقيت الشح والظلم والقطيعة». والحسد يوجب الظلم. اهـ[1].

**ثالثاً ـ المشاركة بين المتنافسين:**

**المشاركة أمر لا بد منه في الحياة الإنسانية**، فالإنسان يحتاج إلى غيره، والاحتياج وصف ملازم للإنسان، وينشأ من هذا الاحتياج التشارك والتعاون، فإذا أخذ أحد المتشاركين قسطاً من نعمة المشاركة ولم يأخذها الآخر وقعت المحاسدة، والظلم.

**يقول شيخ الإسلام رحمه الله**: (**وحسد النساء** بعضهن لبعض كثير غالب لا سيما المتزوجات بزوج واحد، فإن المرأة تغار على زوجها لحظها منه، فإنه بسبب المشاركة يفوت بعض حظها.

**وهكذا الحسد يقع كثيراً بين المتشاركين** في رئاسة أو مال إذا أخذ بعضهم قسطاً من ذلك وفات الآخر، ويكون بين النظراء لكراهة أحدهما أن يفضل الآخر عليه كحسد إخوة يوسف، وكحسد ابني آدم أحدهما لأخيه، فإنه حسده على ما فضله الله به من الإيمان والتقوى ـ كحسد اليهود للمسلمين ـ وقتله على ذلك، ولهذا قيل: أول ذنب عُصِيَ الله به ثلاثة: الحرص، والكبر، والحسد. فالحرص من آدم، والكبر من إبليس، والحسد

(١) الفتاوى (١٠/١٢٨، ١٢٩).

من قابيل حيث قتل هابيل)[1].

**رابعاً - السيادة والنعمة الظاهرة بالعلم والمال:**

**العلم والمال يسوّدان الناس**، والنفوس مجبولة على الانصياع لأمر العالم والمنفق.

**والسيادة والنعمة الظاهرة** تؤدي إلى أن يكون العالم والمنفق محسودين، إلا أن هذا الحسد إذا كان مع عدم تمني زوال النعمة، فهو لا بأس به كما سبق وهذا التنافس والغبطة كما قال ﷺ: **«لا حسد إلا في اثنتين»**[2].

ثم ذكر العالم المعلم للحكمة، والمنفق بأوجه الخير.

**يقول شيخ الإسلام**: والنفوس لا تحسد من هو في تعب عظيم، فلهذا لم يذكره، وإن كان المجاهد في سبيل الله أفضل من الذي ينفق المال؛ بخلاف المنفق والمعلم فإن هذين ليس لهم في العادة عدو من خارج، فإن قدر أنهما لهما عدو يجاهدانه فذلك أفضل لدرجتهما، وكذلك لم يذكر النبي ﷺ المصلي والصائم والحاج؛ لأن هذه الأعمال لا يحصل منها في العادة من نفع الناس الذي يعظمون به الشخص ويسودونه ما يحصل بالتعليم والإنفاق.

**والحسد في الأصل** إنما يقع لما يحصل للغير من السؤدد والرياسة، وإلا فالعامل لا يحسد في العادة، ولو كان تنعمه بالأكل والشرب والنكاح أكثر من غيره، بخلاف هذين النوعين فإنهما يحسدان كثيراً، ولهذا يوجد بين أهل العلم الذين لهم أتباع من الحسد ما لا يوجد فيمن ليس كذلك، وكذلك فيمن له أتباع بسبب إنفاق ماله فهذا ينفع الناس بقوت القلوب وهذا ينفعهم بقوت الأبدان، والناس كلهم محتاجون إلى ما يصلحهم من هذا وهذا.

---

(١) الفتاوى (١٠/١٢٥، ١٢٦).

(٢) تقدم تخريجه.

**ولهذا ضرب الله سبحانه مثلين**: مثلاً بهذا، ومثلاً بهذا فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾[1].

**والمثلان** ضربهما الله سبحانه لنفسه المقدسة ولما يعبد من دونه؛ فإن الأوثان لا تقدر لا على عمل ينفع ولا على كلام ينفع، فإذا قدر عبد مملوك لا يقدر على شيء، وآخر قد رزقه الله رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوي هذا المملوك العاجز عن الإحسان وهذا القادر على الإحسان المحسن إلى الناس سراً وجهراً، وهو سبحانه قادر على الإحسان إلى عباده، وهو محسن إليهم دائماً، فكيف يشبه به العاجز المملوك الذي لا يقدر على شيء حتى يشرك به معه، وهذا مثل الذي أعطاه الله مالاً فهو ينفق منه آناء الليل والنهار.

**والمثل الثاني** إذا قدر شخصان أحدهما أبكم لا يعقل ولا يتكلم ولا يقدر على شيء، وهو مع هذا كلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير، فليس فيه من نفع قط، بل هو كلٌّ على من يتولى أمره، وآخر عالم عادل يأمر بالعدل، ويعمل بالعدل، فهو على صراط مستقيم. وهذا نظير الذي أعطاه الله الحكمة فهو يعمل بها ويعلمها الناس. وقد ضرب ذلك مثلاً لنفسه؛ فإنه سبحانه عالم عادل قادر يأمر بالعدل وهو قائم بالقسط على صراط مستقيم. كما قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[2] وقال هود:

---

(١) سورة النحل، الآيتان: ٧٥، ٧٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٣) الفتاوى (١٠/١١٤ ـ ١١٦).

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ اهـ[1].

**ويؤكد ابن الجوزي هذا المعنى فيقول** مبيناً أن حسد العلماء ليس من باب الدين:

«**واعلم أنه لا يقع الحسد إلا في أمور الدنيا**، فإنك لا ترى أحداً يحسد قوَّام الليل، ولا صوَّام النهار، ولا العلماء على العلم، بل على الصيت والذكر»[2].

## المطلب الثاني: آثار الحسد

**الحسد له آثاره السيئة على الفرد والمجتمع**، وهو داء عضال يتألم له القلب والفرد والجماعة.

**ومن آثاره**: البغضاء والبغي والظلم، والخصومة والذم الفاضح والسب، وله آثاره على القلب فيفسده وغير ذلك.

**وفيما يلي توضيح لبعض هذه الآثار**:

### ١ ـ البغضاء:

**جاء في الحديث: «دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء»**.

**وقد قرن في الحديث الحسد بالبغضاء** لبيان التلازم بينهما، وقد سبق أن البغضاء من أسباب الحسد وهذا في بعض الصور، أما كون البغضاء من آثار الحسد فهذا عام في كل الصور وذلك كما يقول شيخ الإسلام:

(**لأن الحاسد يكره أولاً فضل الله على ذلك الغير، ثم ينتقل إلى بغضه**، فإن بغض اللازم يقتضي بغض الملزوم. فإن نعمة الله إذا كانت لازمة وهو يحب زوالها وهي لا تزول إلا بزواله أبغضه وأحب عدمه)[3].

---

(١) سورة هود، الآية: ٥٦، وانظر: الطب الروحاني ص (٣٥).

(٢) الفتاوى (١٠/١٢٧).

### ٢ ـ البغي:

**البغي ثمرة خطيرة للحسد** توجب ظلم المحسود وانتقاصه حقه، وهذا الأمر عام فيمن قبلنا وابتليت الأمّة به.

**يقول ابن تيمية:**

(**والحسد يوجب البغي**، كما أخبر الله تعالى عمن قبلنا: أنهم اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم، فلم يكن اختلافهم لعدم العلم، بل علموا الحق ولكن بغى بعضهم على بعض كما يبغي الحاسد على المحسود)[١].

### ٣ ـ الهجران:

**وهو نذير شؤم يهدد سلامة المجتمع وتماسكه**، فإن قوة المجتمع من تماسك أفراده وتوادّهم.

**قال شيخ الإسلام:**

**وفي الصحيحين** عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً. ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال: يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا. وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»**.

**وقد قال** ﷺ في الحديث المتفق على صحته من رواية أنس أيضاً: **«والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**.

**وقد قال تعالى:** ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾[٢].

**فهؤلاء المبطئون** لم يحبوا لإخوانهم المؤمنين ما يحبون لأنفسهم بل

---

(١) الفتاوى (١٢٧/١٠).

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٧٢، ٨٣.

إن أصابتهم مصيبة فرحوا باختصاصهم، وإن أصابتهم نعمة لم يفرحوا لهم بها، بل أحبوا أن يكون لهم منها حظ، فهم لا يفرحون إلا بدنيا تحصل لهم، أو شر دنيوي ينصرف عنهم، إذْ كانوا لا يحبون الله ورسوله والدار الآخرة ولو كانوا كذلك لأحبوا إخوانهم، وأحبوا ما وصل إليهم من فضله وتألموا بما يصيبهم من المصيبة ومن لم يسره ما يسر المؤمنين ويسوءه ما يسوء المؤمنين فليس منهم[١].

### ٤ ـ ترك الرأفة والرحمة بين المؤمنين:

**من صفات المجتمع المسلم المودة والرحمة بين المؤمنين**، وهذه الصفة لا تكاد تراها في المجتمعات الأخرى، بل تجد الغلظة والقسوة وترى التناقض في هذه المجتمعات الكافرة، فرحمة الحيوان والقطط والكلاب حدث عنها ولا حرج، وأما إبادة الشعوب في أقطار الأرض فلم يهتزّ لها قلب حي من هنا ولا قلب من هناك.

**أما المجتمع المسلم**، فهو مجتمع يحب بعضه بعضاً، بينهم التوادُّ والتراحم.

**ففي الصحيحين عن عامر** قال: سمعت النعمان بن بشير يخطب. ويقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه شيء تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»[٢].

**وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً**» وشبك بين أصابعه[٣].

---

(١) الفتاوى (١٠/١٢٧).

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم.

**٥ ـ الغيبة وترك النصيحة:**

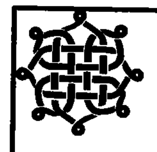
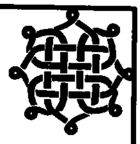
**الحسد** أمر باطني إلا أنه غالباً ما يظهر، وظهوره يقترن كثيراً بالغيبة والتكلم في الأعراض، وغاية ما يفعله أهل الديانة هو ترك الغيبة، وبعضهم يترك النصيحة بستر محامد المحسود.

**يقول ابن تيمية:**

(وكثير من الناس الذين عندهم دين لا يعتدون على المحسود، فلا يعينون من ظلمه، ولكنهم أيضاً لا يقومون بما يجب من حقه، بل إذا ذمه أحد لم يوافقوه على ذمه ولا يذكرون محامده، وكذلك لو مدحه أحد لسكتوا، وهؤلاء مدينون في ترك المأمور في حقه مفرطون في ذلك، لا معتدون عليه، وجزاؤهم أنهم يبخسون حقوقهم فلا ينصفون أيضاً في مواضع، ولا ينصرون على من ظلمهم كما لم ينصروا هذا المحسود، وأما من اعتدى بقول أو فعل فذلك يعاقب..) اهـ[١].

**والغيبة من الكبائر**، وأدخل كثير من أهل العلم السكوت عن مدح القرين في هذا الباب أيضاً كما تقدم.

(١) الفتاوى (١٠/١٢٥).

# الفصل الثالث
# علاج الحسد والوقاية منه

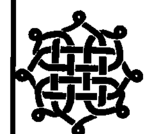
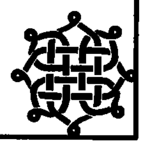
## المبحث الثاني
## علاج الحسد لمن ابتلي به والوقاية منه

وفيه مطالب:

المطلب الأول: العلاج بالعلم

المطلب الثاني: العلاج بالعمل

المطلب الثالث: الوقاية من الحسد



## المبحث الثاني:
## علاج الحسد لمن ابتلي به والوقاية منه

**لعلاج الحسد عدّة وسائل وطرق**، وهي كلها تدور حول العلم والعمل.

**أما العلم:**

**فيكون باستحضار** عدة أمور:

**الأول**: أن الحسد مرض.

**الثاني**: أن الحسد مضر في الدين والدنيا، ولا يضر المحسود ديناً ولا دنيا.

**وأما العمل:**

**فمداره على أمور أيضاً**:

**الأول**: العمل بضد ما أوجب الحسد فيعمل بالتقوى والصبر.

**الثاني**: البعد عن أسباب الحسد والمخالطة الموجبة له.

**الثالث**: العلاج بالرقى الشرعية.

وفيما يلي بيان لطرق العلاج والوقاية:

## المطلب الأول: العلاج بالعلم

### أولاً ـ العلم بأن الحسد مرض:

**علاج الحسد** هو فرع عن معرفة أن هذا مرض. والحسد مرض خطير وقد سمّاه النبي ﷺ داء.

**يقول شيخ الإسلام:**

(وفي السنن عن النبي ﷺ «**دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد، والبغضاء، وهي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين**» فسمّاه داء. كما سمّى البخل داء في قوله ﷺ: «**وأي داء أدوأ من البخل؟!**» فعلم أن هذا مرض. وقد جاء في حديث آخر: «**أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء**» فعطف الأدواء على الأخلاق والأهواء.

**فإن (الخلق)** ما صار عادة للنفس، وسجية. قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[1].

**قال ابن عباس وابن عيينة وأحمد بن حنبل** رضي الله عنهم: على دين عظيم. وفي لفظ عن ابن عباس: على دين الإسلام. وكذلك قالت عائشة رضي الله عنها: **كان خلقه القرآن**. وكذلك قال الحسن البصري: أدب القرآن هو الخلق العظيم.

**وأما (الهوى)** فقد يكون عارضاً، والداء هو المرض، وهو تألم القلب والفساد فيه) اهـ.

### ثانياً ـ العلم بأن الحسد يضر في الدين والدنيا:

**كما يفيدنا في علاج الحسد** معرفة أنه يضر الحاسد ولا يكاد يسلم من ضرره حاسد في حين لا يؤذي المحسود ديناً ولا دنيا، فإن علم المؤمن هذا نفعه علمه بذلك فترك الحسد.

---

(١) سورة النجم، الآية: ٤.

**يقول ابن الجوزي** في الطب الروحاني:

(**واعلم أن الحسد** يوجب طول السهر، وقلة الغذاء، ورداءة اللون، وفساد المزاج، ودوام الكمد.

**قيل لأعرابي عاش مائة وعشرين سنة**: ما أطالَ عمرك؟ فقال: تركت الحسد فبقيت.

**وعلى ذلك فمن أدوية مرض الحسد** أن تعرف تحقيقاً أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين، وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما، ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة، أما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده، وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته فاستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حقيقة التوحيد وقذى في عين الإيمان وناهيك بها جناية على الدين وقد انضاف إلى ذلك أنك غششت رجلاً من المؤمنين وتركت نصيحته، وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم الخير لعباده تعالى، وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار.

**وأما كونه ضرراً عليك في الدنيا** فهو أنك تتألم بحسدك في الدنيا أو تتعذب به ولا تزال في كمد وغم إذ نعم الله تعالى على أعدائك تترى، يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموماً محروماً متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشتهيه الأعداء لك وتشتهيه لأعدائك، لقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك نقداً ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما أعجب

إلا من العاقل كيف يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة فلا بدّ أن يدوم إلى أجل معلوم قدره الله سبحانه وتعالى فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار، ولكل أجل كتاب ولذلك شكا نبيّ من الأنبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فأوحى الله إليه فر من قدامها حتى تنقضي أيامها أي ما قدرناه في الأزل لا سبيل إلى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدّة التي سبق القضاء بدوام إقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه إثم في الآخرة ولعلك تقول: ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي، وهذا غاية الجهل فإنه بلاء تشتهيه أولاً لنفسك فإنك أيضاً لا تخلو من عدو يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبقِ الله تعالى عليك نعمة ولا على أحد من الخلق ولا نعمة الإيمان أيضاً لأن الكفّار يحسدون المؤمنين على الإيمان. قال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩].

**إذ ما يريده الحسود لا يكون،** نعم هو يضل بإرادته الضلال لغيره فإن إرادة الكفر كفر، فمن اشتهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الإيمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم، وإن اشتهيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة، فإن كل واحد من حمقى الحساد أيضاً يشتهي أن يخص بهذه الخاصية ولست بأولى من غيرك فنعمة الله تعالى عليك في أن لم تزل النعمة بالحسد مما يوجب عليك شكرها وأنت بجهلك تكرهها.

**وأما أن المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح.**

**أما منفعته في الدين** فهو أنه مظلوم من جهتك لا سيّما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه

هدايا تهديها إليه، أعني أنك بذلك تهدي إليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلساً محروماً عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل.

**نعم كان لله عليه نعمة** إذ وفقك للحسنات فنقلتها إليه فأضفت إليه نعمة إلى نعمة، وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة.

**وأما منفعته في الدنيا** فهو أن أهم أغراض الخلق مساءة الأعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب أشدّ مما أنت فيه من ألم الحسد وغاية أماني أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة بسببهم، وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر إلى نعمة الله عليه فينقطع قلبك حسداً، ولذلك قيل:

لا مات أعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكمد
لا زلت محسوداً على نعمة فإنما الكامل من يحسد

**فانظر إلى حالك إذا حسدت**، وقد صرت مذموماً عند الخالق والخلائق، شقياً في الحال والمآل، ونعمة المحسود دائمة شئت أم أبيت باقية، ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت إلى إدخال أعظم سرور على إبليس الذي هو أعدى أعدائك لأنه لما رآك محروماً من نعمة العلم والدرع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف أن تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه إليك حتى لا تلاحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك.

**وقد قال أعرابي للنبي ﷺ**: يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم، فقال ﷺ: «**المرء مع من أحب**» متفق عليه من حديث ابن مسعود.

**وقام أعرابي إلى رسول الله ﷺ** وهو يخطب فقال: يا رسول الله متى السّاعة، فقال: «**ما أعددت لها؟**» قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا

صيام إلا أني أحب الله ورسوله، فقال ﷺ: «**أنت مع من أحببت**» متفق عليه من حديث أنس.

**قال أنس**: فما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرحهم يومئذ إشارة إلى أن أكبر بغيتهم أن نكون معهم.

**وقال أبو موسى: فقلت: يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي، ويحب الصوام ولا يصوم، حتى عدّ أشياء فقال النبي ﷺ**: «**هو مع من أحب**» متفق عليه من حديث بلفظ آخر.

**وقال رجل لعمر بن عبدالعزيز**: إنه كان يقال: إن استطعت أن تكون عالماً فكن عالماً، فإن لم تستطع أن تكون عالماً فكن متعلماً، فإن لم تستطع أن تكون متعلماً فأحبهم فإن لم تستطع فلا تبغضهم فقال: سبحان الله لقد جعل الله لنا مخرجاً.

**فانظر الآن كيف حسدك إبليس** ففوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض إليك أخاك وحملك على الكراهية حتى حسدته، وكيف لا وعساك تحاسد رجلاً من أهل العلم وتحب أن يخطىء في دين الله تعالى وينكشف خطؤه لينفتح وتحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأي إثم يزيد على ذلك فليتك إذ فاتك اللحاق به ثم اغتمَمْتَ بسببه سلمت من الإثم وعذاب الآخرة، وقد جاء في الحديث: «**أهل الجنة ثلاثة: المحسن والمتحسب والكاف عنه**»[1]، أي: من يكف عنه الأذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف أبعدك إبليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحد منها البتة فقد نفذ فيك حسد إبليس، وما نفذ حسدك في عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في صورة من يرمي سهماً إلى عدوه ليصيب مقتله فلا يصيبه بل يرجع إلى حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه فيعود ثانية فيرمي أشد من الأولى، فيرجع إلى عينه الأخرى فيعميها

(١) قال العراقي عن هذا الحديث: لم أجد له أصلاً.

فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيشجّه وعدوه سالم في كل حال وهو إليه راجع مرة بعد أخرى وأعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه، بل حالك في الحسد أقبح من هذا لأنه الرمية العائدة لم تفت إلى العينين، ولو بقيتا لفاتتا بالموت لا محالة، والحسد يعود بالإثم والإثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه إلى غضب الله وإلى النار، فلأن تذهب عينه في الدنيا خير له من أن تبقي له عين يدخل بها النار ينقلها لهيب النار، فانظر كيف انتقم الله من الحاسد إذا أراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم أزالها عن الحاسد إذ السلامة من الإثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة قد زالتا عنه تصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣] وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما يشمت شامت بمساءة إلا ويبتلى بمثلها حتى قالت عائشة رضي الله عنها: (ما تمنيت لعثمان شيئاً إلا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت).

**فهذا إثم الحسد نفسه**، فكيف ما يجر إليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق وإطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الأعداء وهو الداء الذي به هلكت الأمم السالفة، فهذه هي الأدوية العلمية فمهما تفكر الإنسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفأت نار الحسد من قلبه وعلم أنه مهلك نفسه مفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه.

**وقد جمع ابن الجوزي خلاصة ما ينبغي أن يعلمه الحاسد ليعالج مرض قلبه. فقال: وعلاج هذا المرض:**

١ ـ أن يعلم الإنسان أولاً أن الأقدار السابقة لا بدّ أن تجري، وأن الاحتيال في صرف المقدور غير ممكن، وأن القسام حكيم، ثم هو مالك يعطي ويحرم فهو الذي خلق الطرف[1] السابق والكودن[2]، وكأن الحاسد مضاد لإرادة المعطي سبحانه.

---

(١) الطرف: هو الكريم من الناس والخيل ونحوها، انظر مختار الصحاح.

(٢) الكودن: هو الفرس الهجين، والبغل والبرذون الهجين، انظر مختار الصحاح.

**وقال بعض الحكماء:**

ألا قل لمن كان لي حاسداً ... أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في فعله ... لأنك لم ترض لي ما وهب

فجازاك عني بأن زادني ... وسدّ عليك وُجُوهَ الطلب

**٢ ـ ثم إن المحسود لم ينقص الحاسد من رزقه،** ولم يأخذ شيئاً من يده، فقصد الحاسد زوال ما أعطيه ظلم محض.

**٣ ـ ثم ينبغي للحاسد أن ينظر في حال المحسود،** فإن كان إنما نال الدنيا فقط، فهذا ينبغي أن يرحم لا أن يحسد، لأن الذي ناله في الغالب عليه لا له، وهل فضول الدنيا إلا هموم كما قال المتنبي[1]:

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ... ما فاته وفضول العيش أشغال

**وبيان هذا أن الكثير من المال شديد الخوف عليه،** والكثير الجواري شديد الحذر عليهن، قوي الاهتمام بهن أو لهن، والوالي خائف من العزل.

**٤ ـ ثم ليعلم أن النعم كثيرة الأكدار،** ثم هي قليلة اللبث والمصائب تردفها، فإن صاحب النعمة ينتظر زوالها أو زواله عنها.

**٥ ـ ثم ليوقن أن ما يحسد عليه المحسود ليس هو عند المحسود** كما هو عند الحاسد، فإن الناس يظنون في أرباب المناصب أنهم في غاية اللذة، ولا يدرون أن الإنسان يسمو إلى أمر فإذا ناله برد عنده وصار عادة له، فهو يسمو إلى ما هو أعلى منه وهذا الحاسد يرى بعين الجدة والغبطة.

**٦ ـ وليعلم الحاسد أنه لو عاقبه المحسود** لما ناله بأشدّ من الأذى الذي هو فيه فإن لم ينتفع بشيء من هذا العلاج فليسع في التسبب إلى مثل

---

(١) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب المتنبي (٣٠٣ ـ ٣٥٤هـ، ٩١٥ ـ ٩٦٥م): الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي، له: الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة. ابن خلكان (٣٦/١)، والأعلام (١١٥/١).

ما نال المحسود، فقد قال بعض السلف: لقد خشيت الهم حتى في الحسد، فإن الرجل إذا حسد جاره على الغنى سافر وتاجر ليصير مثله أو على العلم سهر وتعلم فقد صار الناس يحبون البطالة، ثم يذمون الواصل إلى المعالي، وما أحسن ما قال الرضي:

ذنبي إلى البهم الكوادن أنني ... الطرف المطهم[١] والأغر[٢] الأقرح[٣]

**ومن العلم النافع أيضاً** في دفع الحسد ترقيق القلب بتذكر الموت وزيارة القبور ونحو ذلك.

## المطلب الثاني: العلاج بالعمل

**وأما العمل على علاج الحسد** فيقتضي ما يلي:

**الأول: التقوى والصبر وما يتبعهما:**

**يقول شيخ الإسلام** رحمه الله:

(**فمن وجد في نفسه حسداً** لغيره فعليه أن يستعمل معه التقوى والصبر، فيكره ذلك من نفسه.

**ومن اتقى الله** وصبر فلم يدخل في الظالمين نفعه الله بتقواه، كما جرى لزينب بنت جحش - رضي الله عنها - فإنها كانت هي التي تسامي عائشة من أزواج النبي ﷺ) اهـ[٤].

**فالعمل النافع فيه** هو أن يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي أن يكلف نفسه نقيضه فإن بعثه الحسد على القدح في محسوده كلّف لسانه المدح له والثناء عليه، وإن حمله على التكبر عليه ألزم

---

(١) المطهم: هو المتناهي الحسن، أو الكريم الحسب، أو التام من كل شيء، انظر الصحاح. وسبق تعريف الطرف والكوادن قريباً.

(٢) الأغر: المراد المشهور.

(٣) الأقرح: الذي في جبهته قرحة، وهي بياض بقدر الدرهم فما دونه.

(٤) الفتاوى (١٢٥/١).

نفسه التواضع له والاعتذار إليه، وإن بعثه على كف الإنعام عليه ألزم نفسه الزيادة في الإنعام عليه فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه، ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فأحبه وتولد من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد، لأن التواضع والثناء والمدح وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالإحسان ثم ذلك الإحسان يعود إلى الأول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه أولاً طبعاً آخر ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت وأثنيت عليه حملك العدو على العجز أو على النفاق أو الخوف وأن ذلك مذلة ومهانة وذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفاً كانت أو طبعاً تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقل مرغوبها، وتعود القلوب التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد رغم التباغض.

**وقد ذكر ابن رجب** ذلك في جامع العلوم والحكم في علاج الحسد ولم يذكر غيره فقال: (وقسم آخر إذا وجد في نفسه الحسد سعى في إزالته وفي الإحسان إلى المحسود بإبداء الإحسان إليه والدعاء له ونشر فضائله، وفي إزالة ما وجد له في نفسه من الحسد، حتى يبدله بمحبته، [و]أن يكون المسلم خيراً منه وأفضل وهذا من أعلى درجات الإيمان، وصاحبه هو المؤمن الكامل الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه) اهـ[١].

**ولخص الهيثمي ذلك في الزواجر** فقال:

**وأما العمل النافع** لذلك المرض: فهو أن تكلّف نفسك أن تصنع بالمحسود ضد ما اقتضاه حسدك فتبدل الذم بالمدح والتكبر عليه بالتواضع له ومنع إدخال رفق عليه بزيادة الإرفاق به وهكذا، فبهذا يضعف داء الحسد وكلما زدت من ذلك زاد تناقص الحسد إلى أن ينعدم، فافهم تسلم وامتثل تغنم، والله سبحانه الموفق وإليه ترجع الأمور[٢].

---

(١) جامع العلوم والحكم ص (٣٢٧).

(٢) الزواجر (١٠٣/١).

**ومن العمل أيضاً** أن يبحث المسلم في نفسه ويتعاهدها من حين لآخر لإزالة الشوائب الموجودة فيها من حقد وحسد وغضب.

**يقول الداعية الغزالي:**

**إن الإسلام يتحسَّسُ** النفوس بين الحين والحين، ليغسلها من أدران الحقد الرخيص، وليجعلها حافلة بمشاعر أزكى وأنقى نحو الناس ونحو الحياة.

**في كل يوم** وفي كل أسبوع وفي كل عام تمرّ النفوس من آداب الإسلام في مِصفاة تحجز الأكدار وتنقي العيوب ولا تبقي في الأفئدة المؤمنة أثارة من ضغينة.

**أما في كل يوم:** فقد أوضح الإسلام أن الصلوات المكتوبة لا يحظى المسلم بثوابها إلا إذا اقترنت بصفاء القلب للناس، وفراغه من الغش والخصومات.

**قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً: رجل أَمَّ قوماً وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان»**[1].

**وأما في كل أسبوع:** فإن هناك إحصاء لما يعمله المسلم، ينظر الله فيه ليحاكم المرء إلى ما قدمت يداه، وأسرَّه ضميره، فإن كان سليم الصدر نجا من العثار، وإن كان ملوثاً بمآثم الغضب والحسد والسخط، تأخر في المضمار.

**قال رسول الله ﷺ: «تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس: فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرىء لا يشرك بالله شيئاً، إلا امرءاً كانت بينه وبين أخيه شحناء. فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا»**[2].

---

(١) أخرجه ابن ماجه، ومتصارمان: أي متقاطعان.

(٢) أخرجه مسلم.

**وأما في كل عام**: فبعد تراخي الليالي وامتداد الأيام، لا ينبغي أن يبقى المسلم حبيساً في سجن العداوة، مغلولاً في قيود البغضاء.

**فإن لله** في دنيا الناس نفحات لا يظفر بخيرها إلا الأصفياء السمحاء!.

**ففي الحديث: «إن الله عز وجل يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويؤخر أهل الحقد كما هم»**[1].

**فمن مات بعد هذه المصافي** المتتابعة والبغضاء لاصقة بقلبه لا تنفك عنه، فهو جدير بأن يصلى حرّ النار، فإن ما عجزت الشرائع عن تطهيره، لا تعجز النار عن الوصول إلى قراره وكيّ أضغانه وأوزاره... اهـ[2].

**ويزاد على ذلك المتابعة** بين الحج والعمرة بأنهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفي النار الخبث من الحديد.

**وكذلك صيام عاشوراء** وعرفة لغير الحاج فإنهما يكفران ذنوب سنة ماضية ويزيد صيام عرفة تكفير سنة مستقبلة.

**الثاني: البعد عن أسباب الحسد والمخالطة الموجبة له:**

**ظهور النعمة أمر لا بدّ منه،** لكن ينبغي إذا علم الإنسان من شخص حسداً أَنْ يخفي عنه ما قد يحسده به، كذا إذا علم الشخص من نفسه الحسد، فليقل من المخالطة التي توجب اطلاعه على نعم الغير حتى يعالج نفسه، ولا سيّما إذا وقعت البغضاء بين شخصين، فإن الحسد مظنون الوقوع قريب الوجود.

**يقول الهيثمي** في الزواجر:

(**لا شك أن كل أحد يبغض من آذاه طبعاً** فلا يستوي عنده حسن حاله وسوءه غالباً، وبهذا ينازع الشيطان النفس إلى حسده فإن أطاعته حتى

---

(١) أخرجه البيهقي.

(٢) حق المسلم (٩٧ ـ ٩٨).

أظهرت الحسد بقول أو فعل اختياري أو أبطنته بأن أحبت زوال نعمته فهي عاصية بحسدها إذ معصية الحسد بالقلب فحسبت مظلمة متعلقة بالخلق، فلا يشترط في التوبة منها استحلال المحسود لأنها أمر باطن لا يطلع عليها إلا الله تعالى، فمتى كففت ظاهرك وألزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترسخ فيه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك مقتّ نفسك على ما في طبعها كانت تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع، وحينئذ تكون قد أدّيت الواجب ولا يدخل تحت اختيارك غالباً أكثر من هذا، فأما تغيير الطبع إلى أن يستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه بنعمتها وغمه ببليتها سواء، فأمر يأباه الطبع ما لم يستغرق في محبة الله تعالى ويشتغل بها إلى أن يرى الخلق كلهم بعين واحدة وهي عين الرحمة، وبتقدير حصول هذه الحالة لا تدوم بل تكون كالبرق، ثم يعود القلب إلى طبعه والشيطان إلى منازعته بالوسوسة ومهما قابل ذلك بكراهته بقلبه فقد أدّى ما كلفه..) اهـ[١].

**الثالث: الرقى الشرعية:**

**والمقصود الرقى التي تمنع الحاسد من الإيذاء** بحسده بخلاف الرقى التي يتعوذ بها من الحسد، فتلك إنما تكون في بحث الوقاية.

**من الرقى الشرعية** في علاج الحسد ما يدفع به شرّ العين وضررها وإصابتها للمعين قول النبي ﷺ لعامر بن ربيعة لما عان سهل بن حنيف: **«ألا برّكتَ»**، أي قلت: اللهم بارك عليه.

وهذا نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩].

**وهذه هي أدوية الحسد** وهي نافعة جداً إلا أنها مرّة على القلب جداً، ولكن النفع في الدواء المرّ فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وإنما تهون مرارة هذا الدواء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة

---

(١) الزواجر (١/١٠٣).

الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحب ما أحبه وعزة النفس وترفعها عند ذلك لا يريد ما لا يكون، إذ لا مطمع في أن يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة.

**ولا طريق إلى الخلاص** من هذا الذل إلا بأحد أمرين: إما بأن يكون ما تريد أو بأن تريد ما يكون.

**والأول**: ليس إليك ولا مدخل له إلا بالمجاهدة فيه.

**وأما الثاني**: فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي[١].

## المطلب الثالث: الوقاية من الحسد

**سبق أن الحسد إنما يكون على النعمة**، ومن أنفع طرق الوقاية كتمان الأمور، إلا أن النعمة لا بدّ أن تظهر أحياناً، ولذا فقِلة مخالطة من عُرف بالحسد مفيدة في هذا الباب، فإن كان ولا بدّ من ظهور النعمة عليك فتوكل على الله ولا تلتفت للحاسد تجلد حتى لا يشمت بك أحد، وفيما يلي بيان ذلك:

**أولاً: كتمان الأمور:**

**ومن أجمل ما رأيت** في ذلك متفرقات في صيد الخاطر لابن الجوزي وزاد ابن القيم عليها ما أورده هنا، قال:

(**ينبغي لمن تظاهرت نعم الله عز وجل عليه** أن يظهر منها ما يبين أثرها ولا يكشف جملتها، وهذا من أعظم لذات الدنيا التي يأمر الحزم بتركها، فإن العين حق، وإني تفقدت النعم فرأيت إظهارها حلواً عند النفس إلا أنها إن أظهرت لوديد لم يؤمن تشعّث باطنه بالغيظ، وإن أظهرت لعدو فالظاهر إصابته بالعين لموضع الحسد، إلا أنني رأيت بُعد الحسود كاللازم، فإنه في حال البلاء يتشفى، وفي حال النعم يصيب بالعين ولعمري إن المنعم عليه يشتهي غيظ حسوده، ولكنه لا يؤمن أن يخاطر بنعمته، فإن

---

(١) الإحياء (١٩٥/٣).

الغالب إصابة الحاسد لها بالعين، فلا يساوي الالتذاذ بإظهار ما غيظ به ما أفسدت عينه بإصابتها، وكتمان الأمور في كل حال فعل الحازم، فإنه إن كشف مقدار سنه استهرموه إن كان كبيراً، واحتقروه إن كان صغيراً، وإن كشف ما يعتقده ناصبه الأضداد بالعداوة، وإن كشف قدر ماله استحقروه إن كان قليلاً، وحسدوه إن كان كثيراً، وفي هذه الثلاثة يقول الشاعر:

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة ... سن ومال ما استطعت ومذهب

فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة ... حسود وممخرق ومكذب

وقس على ما ذكرت ما لم أذكره. ولا تكن من المذاييع الغر الذين لا يحملون أسرارهم حتى يفشوها إلى من لا يصلح، ورب كلمة جرى بها اللسان، هلك بها الإنسان) اهـ[1].

## ثانياً: قلة مخالطة الحساد:

### قال ابن الجوزي:

(العزلة عن الخلق سبب طيب العيش، ولا بد من مخالطة بمقدار، قدّر العدو، فربما كدك فأهلكك وأحسن إلى من أساء إليك، واستعن على أمورك بالكتمان، ولتكن الناس عندك معارف، فأما أصدقاء فلا، لأن أعز الأشياء وجود صديق، لأن الصديق لا يحبّ أن يكون في مرتبة مثله، فإن صادقته عامياً لم تنتفع به لسوء أخلاقه وقلة علمه وأدبه، وإن صادقت مماثلاً أو مقارباً حسدك. وإذا كان لك يقظة تلمحت من أفعاله وأقواله ما يدل على حسدك ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾[2] وإذا أردت تأكيد ذلك فضع عليه من يضعك عنده، فلا يخرج إليه بما في قلبه، فإن أردت العيش فابعد عن الحسود، لأنه يرى نعمتك فربما أصابها بالعين، فإن اضطررت إلى مخالطته فلا تفش له سرّك ولا تشاوره، ولا يغرّنك تملقه لك، ولا ما يظهره من الدين والتعبد فإن الحسد يغلب الدين.

---

(١) صيد الخاطر ص (١٢٧).

(٢) سورة محمد، الآية: ٣٠.

**وقد عرفت أن قابيل أخرجه الحسد إلى القتل،** وأن إخوة يوسف باعوه بثمن بخس. وكان أبو عامر الراهب من المتعبدين العقلاء، وعبدالله بن أبي من الرؤساء، أخرجهما حسد رسول الله ﷺ إلى النفاق وترك الصواب، ولا ينبغي أن تطلب لحاسدك عقوبة أكثر مما هو فيه، فإنه أمر عظيم متصل لا يرضيه إلا زوال نعمتك. وكلما امتدت امتد عذابه، فلا عيش له، وما طاب عيش أهل الجنة إلا حين نزع الحسد والغل من صدورهم، ولولا أنه نزع لتحاسدوا ونغص عيشهم[(١)].

**وقال ابن القيم في الزاد:**

**ومن علاج ذلك أيضاً والاحتراز منه:** ستر محاسن ما يخاف عليه العين بما يردها عنه، كما ذكر البغويُّ في كتاب (شرح السنة): أن عثمان رضي الله عنه رأى صبياً مليحاً، فقال: (دَسِّمُوا نُونَتَه، لئلا تصيبه العين)، ثم قال في تفسيره: ومعنى دسِّموا نونته: أي سَوِّدُوا نونته، والنونة: النُقرة التي تكون في ذقن الصبي الصغير[(٢)].

**وقال الخطابي في** (غريب الحديث) له عن عثمان: إنه رأى صبياً تأخذه العين، فقال: (دسِّموا نونته).

**فقال أبو عمرو:** سألت أحمد بن يحيى عنه، فقال: أراد بالنونة: النُقرة التي في ذقنه. والتدسيم: التسويد. أراد: سوِّدُوا ذلك الموضع من ذقنه، ليرد العين. قال: ومن هذا حديث عائشة: (أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم، وعلى رأسه عمامة دسماء)[(٣)]. أي: سوداء. أراد الاستشهاد على اللفظة، ومن هذا أخذ الشاعر قوله:

---

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي ص (٣٨٢ ـ ٣٨٣).

(٢) انظر «شرح السنَّة» (١١٦/١٣) بتحقيقنا.

(٣) جاء في كلام المحقق للزاد: لم نرَ الحديث من مسند عائشة كما نقل المصنف عن الخطابي، فقد أخرجه البخاري (٩٢/٧) في مناقب الأنصار من حديث ابن عباس قال: خرج رسول الله ﷺ وعليه ملحفة متعطفاً على منكبيه وعليه عصابة دسماء حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: **«أما بعد أيها الناس، فإن الناس يكثرون** =

مَـا كَـانَ أَحـوَجَ ذَا الـكَـمَـالِ إِلَـى    عَـيْـبٍ يُـوَقِّـيـهِ مِـنَ الـعَـيْـنِ

**ثالثاً: التجلد وعدم الالتفات للحاسد:**

**قال ابن الجوزي منبهاً** على عدم الالتفات للحاسد:

**رأيت كلاب الصيد إذا مرّت بكلاب المحلة** نبحتها وصغت وتسرعت خنقها وكأنها تراها مكرمة مجللة فتحسدها على ذلك، ورأيت كلاب الصيد حينئذ لا تلتفت إليها ولا تعيرها الطرف، ولا تعدّ نباحها شيئاً، فرأيت أن كلاب الصيد كأنها ليست من جنس تلك الكلاب، لأن تلك غليظة البدن، كليفة الأعضاء، لا أمانة لها، وهذه لطيفة دقيقة الخلقة، ومعها كلاب قد نصبت خفتها اللطيفة، وأنها تحبس للصيد على مالكها خوفاً من عقابه، أو مراعاة لشكر نعمته عليها، فرأيت أن الأدب وحسن العشرة يتبع لطافة البدن وصفاء الروح، وهكذا المؤمن العاقل لا يلتفت إلى حاسده ولا يعدّه شيئاً، إذ هو في وادٍ وذاك في وادٍ، ذاك يحسده على الدنيا، وهذا همه الآخرة فيا بعد ما بين الواديين[1].

**وقال أيضاً في التجلد مستدلاً مع جوازه:**

**قد قال** ﷺ لأصحابه حين قدومه مكة وقد أخذتهم الحمى فخاف أن يشمت بهم الأعداء حين ضعفهم عن السعي، فقال: «**رحم الله من أظهر من نفسه الجلد**».

**فرملوا والرمل شدة السعي**. وزال ذلك السبب وبقي الحكم، ليتذكر السبب فيفهم معناه.

---

= وتقل الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام، فمن ولي منكم أمراً يضر فيه أحداً أو ينفعه، فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم». وأخرج مسلم (١٣٥٨) عن جابر قال: (دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء). وهو في سنن أبي داود (٤٠٧٦) والترمذي (١٧٣٥) والنسائي (٥/٢٠٠، ٢٠١)، وابن ماجة (٢٨٢٢، ٣٥٨٥) وأخرج مسلم (١٣٥٩) وأبو داود (٤٠٧٧) والنسائي (٨/٢١٢)، وابن ماجة (٢٢٨١) من حديث عمرو بن حُريث قال: رأيت النبي ﷺ على المنبر وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه.

(١) صيد الخاطر ص (٣٩٤).

**واستأذنوا معاوية وهو في الموت،** فقال لأهله: أجلسوني، فقعد متمكناً يظهر العافية، فلما خرج العواد أنشد:

وتجلدي للشامتين أريهم ... أني لريب الدهر لا أتضعضع
وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع

**وما زال العقلاء يظهرون التجلد عند المصائب** والفقر والبلاء، لئلا يتحملوا من النوائب شماتة الأعداء، وإنها لأشد من كل نائبة، وكان فقيرهم يظهر الغنى، وكان مريضهم يظهر العافية.

**رابعاً: الرقى الشرعية**

**ذكر ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد صوراً من العلاج النبوي للعين ولفائدتها** الجمّة أنقلها على طولها..

**قال رحمه الله:**

(والمقصود: **العلاج النبوي لهذه العلة وهو أنواعٌ،** وقد روى أبو داود في (سننه) عن سهل بن حنيفٍ قال: مررنا بسيل فدخلت فاغتسلت فيه، فخرجت محموماً فنُمِيَ ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: «**مُرُوا أبا ثابت يتَعَوَّذْ**»، قال: فقلت: يا سيدي! والرقى صالحة؟ فقال: «**لا رقية إلا في نَفسٍ، أو حُمَةٍ أو لدغَةٍ**»[1].

**والنفس**: العين، يقال: أصابت فلاناً نفس، أي: عين، **والنافس**: العائن، **واللدغة** ـ بدال مهملة وغين معجمة ـ وهي ضربة العقرب ونحوها.

**فمن التعوذات والرقى**: الإكثار من قراءة المعوذتين وفاتحة الكتاب وآية الكرسي، ومنها التعوذات النبوية.

**نحو**: أعوذ بكلمات الله التامّات من شرِّ ما خلق.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٨٨) في الطب: باب ما جاء في الرقى، وفي سنده رباب جدة عثمان بن حكيم، لم يوثقها غير ابن حبان، وباقي رجاله ثقات.

**ونحو**: أعوذ بكلماتِ الله التّامّة من كل شيطان وهامَّة، ومن كل عين لامّة.

**ونحو**: أعوذ بكلمات الله التامّات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجرٌ، من شرّ ما خلَقَ وذَرَأ وبَرَأ، ومن شرّ ما ينزل من السماء ومن شرّ ما يعرج فيها، ومن شرّ ما ذَرَأ في الأرض، ومن شرّ ما يخرج منها، ومن شرّ فتن الليل والنهار، ومن شرّ طوارق الليل إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمٰن.

**ومنها**: أعوذ بكلمات الله التامّة من غضبه وعقابه، ومن شرّ عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون.

**ومنها**: اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم، وكلماتك التّامّات من شرّ ما أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت تكشف المأثم والمغرم، اللهم إنه لا يُهزَمُ جُنْدُك، ولا يُخلَف وعدُك، سبحانك وبحمدك.

**ومنها**: أعوذ بوجه الله العظيم الذي لا شيء أعظم منه، وبكلماته التامّات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجرٌ، وأسماء الله الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم، من شرّ ما خلَقَ وذَرَأ وبَرَأ، ومن شرّ كل ذي شرّ لا أطيق شرّه، ومن شرّ كل ذي شرّ أنت آخذ بناصيته، إن ربّي على صراط مستقيم.

**ومنها**: اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت ربّ العرش العظيم، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لا حول ولا قوة إلا بالله، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً، اللهم إني أعوذ بك من شرّ نفسي وشرّ الشيطان وشركِه ومن شر كل دابّة أنت آخذ بناصيتها إن ربّي على صراط مستقيم.

**وإن شاء قال**: تحصنت بالله الذي لا إله إلا هوَ إلَهِي وإله كل شيء، واعتصمت بربي وربّ كل شيء، وتوكلت على الحي الذي لا يموت، واستدفعت الشرّ بلا حول ولا قوة إلا بالله، حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الربّ من العباد، حسبي الخالق من المخلوق، حسبي الرازق من المرزوق، حسبي الذي هوَ حسبي، حسبي الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يُجِيرُ ولا يُجار عليه، حسبي الله وكَفَى، سَمِعَ الله لمن دعا، ليس وراء الله مرمى،

حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو ربّ العرش العظيم.

**ومن جرّب هذه الدعوات والعُوَذ** عرف مقدار منفعتها وشدّة الحاجة إليها، وهي تمنع وصول أثر العائن وتدفعه بعد وصوله بحسب قوة إيمان قائلها، وقوة نفسه واستعداده وقوة توكله وثبات قلبه، فإنها سلاح والسلاح بضاربه).

**إلى أن قال رحمه الله:**

(**ومما يدفع به إصابة العين** قول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، روى هشام بن عروة عن أبيه: أنه كان إذا رأى شيئاً يُعجبه، أو دخل حَائطاً من حِيطانِه قال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

**ومنها**: رقية جبريل عليه السلام للنبي ﷺ التي رواها مسلم في (صحيحه) «**باسم الله أرقِيكَ، مِن كُلِّ شيءٍ يُؤذِيكَ، مِن شرّ كلِّ نَفسٍ أو عَينِ حاسِدٍ الله يشفِيكَ، باسم الله أرقِيكَ**»[1].

**ورأى جماعة من السلف** أن تكتب له الآيات من القرآن ثم يشربها، قال **مجاهد**: لا بأس أن يكتُبَ القرآن ويغسِلَه ويَسقِيَه المرِيضَ. ومثله عن **أبي قِلابة**. ويُذكر عن **ابن عباس**: أنه أمر أن يُكتب لامرأة تعسَّرَ عليها ولادتُها أثرٌ من القرآن ثم يغسل وتُسقى. وقال **أبو أيوب**: رأيت أبا قِلابة كتب كتاباً من القرآن ثم غسله بماء وسقاه رجلاً كان به وجع)[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٨٥) في السلام: باب الطب والمرض والرقى.

(٢) هذا المنقول عن مجاهد وأبي قلابة وغيرهما لم ينقل بسند صحيح عن الصحابة ولا عن النبي ﷺ وجاء في الفتوى رقم (١٢٥٧) من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: (وأما كتابة سورة أو آية من القرآن في لوح أو طبق أو قرطاس وغسله بماء أو زعفران أو غيرها وشرب تلك الغسلة رجاء البركة واستزادةِ علم أو كسب مال أو صحة وعافية، ونحو ذلك، فلم يثبت عن النبي ﷺ أنه فعله لنفسه أو غيره ولا أنه أذن فيه لأحد من أصحابه أو رخص فيه لأمته مع وجود الدواعي التي تدعو إلى ذلك ولم يثبت في أثر صحيح ـ فيما علمنا ـ عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم أنه فعل ذلك أو رخص فيه، وعلى هذا فالأولى تركه وأن يستغنى عنه بما ثبت في الشريعة من الرقى بالقرآن وأسماء الله الحسنى وما صح من الأذكار والأدعية النبوية ونحوها =

**قال رحمه الله:**

**(فصل**

**ومنها**: أن يؤمر العائن بغسل مغابنه وأطرافه وداخِلَةِ إزَاره، وفيه قولان: **أحدهما**: أنه فرجُه. **والثاني**: أنه طرف إزاره الداخل الذي يلي جسده من الجانب الأيمن، ثم يُصبُّ على رأس المعين من خلفه بغتة، وهذا مما لا يناله علاج الأطباء ولا ينتفع به من أنكره أو سخر منه أو شكّ فيه، أو فعله مجرباً لا يعتقد أن ذلك ينفعه.

**وإذا كان في الطبيعة** خواص لا تَعرِفُ الأطباء عِلَلها البتة، بل هي عندهم خارجة عن قياس الطبيعة تفعل بالخاصية، فما الذي يُنكره زنادقتهم وجهلتُهم من الخواص الشرعية، هذا مع أن في المعالجة بهذا الاستغسال ما تشهد له العقول الصحيحة، وتقرُّ لمناسبته، فاعلم أن ترياق سمِّ الحية في لحمها، وأن علاج تأثير النفس الغضبية في تسكين غضبها، وإطفاء ناره بوضع يدك عليه، والمسح عليه وتسكين غضبه، وذلك بمنزلة رجل معه شعلة من نار وقد أراد أن يقذِفَك بها، فصببت عليها الماء وهي في يده حتى أطفئت، ولذلك أُمِر العائِن أن يقول: «**اللهم بارك عليه**» ليدفع تلك الكيفية الخبيثة بالدعاء الذي هو إحسان إلى المعين، فإن دواء الشيء بضدّه، ولما كانت هذه الكيفية الخبيثة تظهر في المواضع الرقيقة من الجسد لأنها تطلب النفاذ، فلا تجد أرقَّ من المغابن وداخِلَةِ الإزار، ولا سيما إن كان كناية عن الفرج، فإذا غُسِلت بالمَاءِ بطل تأثِيرها وعملها، وأيضاً فهذه المواضع للأرواح الشيطانية بها اختصاص.

**والمقصود**: أن غسلها بالماء يطفىء تلك النارية، ويذهب تلك

---

= مما يعرف معناها ولا شائبة للشرك فيه، وليتقرب إلى الله بما شرع رجاء التوبة وأن يفرج الله كربته ويكشف غمّه ويرزقه العلم النافع ففي ذلك الكفاية، ومن استغنى بما شرع الله أغناه عما سواه) (١٥٦/١ ـ من فتاوى اللجنة الدائمة) ونحو ذلك في فتوى رقم (٦٧٧٩) في فتاوى اللجنة الدائمة (١٦١/١).

السمية. وفيه أمر آخر، وهو وصول أثر الغسل إلى القلب من أرقّ المواضع وأسرعها تنفيذاً، فيُطفىء تلك النارية والسمية بالماء فيشفى المعين، وهذا كما أن ذوات السموم إذا قتلت بعد لسعها خفَّ أثر اللسعة عن الملسوع ووجد راحة، فإن أنفسها تمدّ أذاها بعد لسعها وتُوصله إلى الملسوع، فإذا قُتِلَت خَفّ الألم. وهذا مشاهد، وإن كان من أسبابه فرح الملسوع واشتفاء نفسه بقتل عدوه فتقوى الطبيعة على الألم فتدفعه.

**وبالجملة**: غسل العائن يُذهِب تلك الكيفية التي ظهرت منه، وإنما ينفع غسله عند تكيُّف نفسه بتلك الكيفية.

**فإن قيل**: فقد ظهرت مناسبة الغسل، فما مناسبة صبّ الماء على ذلك المعين؟ قيل: هو في غاية المناسبة. فإن ذلك الماء ماء أطفىء به تلك النارية وأبطل تلك الكيفية الرديئة من الفاعل، فكما أطفئت به النارية القائمة بالفاعل أطفئت به وأبطلت عن المحل المتأثر بعد ملابسته للمؤثر العائن، والماء الذي يطفأ به الحديد يدخُل في أدوية عدَّة طبيعية ذكرها الأطباء، فهذا الذي أطفىء به نارية العائن لا يستنكر أن يدخل في دواء يُناسب هذا الداء.

**وبالجملة**: فطب الطبائعية وعلاجُهم بالنسبة إلى العلاج النبوي كطبِّ الطُّرقية بالنسبة إلى طبهم، بل أقل، فإن التفاوتَ الذي بينهم وبين الأنبياء أعظم، وأعظم من التفاوت الذي بينهم وبين الطُّرقية بما لا يُدرك الإنسان مقداره، فقد ظهر لك عقدُ الإخاء الذي بين الحكمة والشرع وعدم مناقضة أحدهما للآخر، والله يهدي من يشاء إلى الصواب، ويفتح لمن أدام قرع باب التوفيق من كلِّ باب، وله النعمة السابغة والحجة البالغة. . .) اهـ[(١)].

**آه**: لو عاش الناس في جناب الله لا يريدون إلا ما أراده، ولا ينظرون إلا إلى ما أمر الله منتهين عن نواهيه.

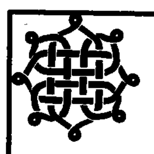
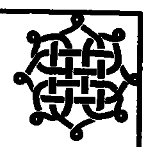
**آه**: لو ظل المسلم متيقناً في جميع أحواله أن الأمر كله سواء أكان خيراً أم غيره من تدبير الخالق وأمره وإرادته، لما تحاسد الناس ولطرد

---

(١) الزاد لابن القيم (٤/١٦٨ ـ ١٧٢).

الحسد من بين ظهورهم طردة عاجز، ولظلوا في غمرات الإيمان يتفكهون، وفي شعبه يسبحون، وحول أسرته يتمرغون فنعم إذن هؤلاء. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.



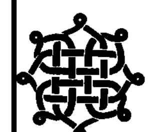
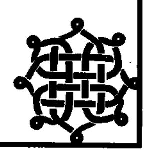
# القسم الثاني

# تحاسد العلماء

ويشتمل على أبواب:

الباب الأول: الحسد في المجتمع الإسلامي

الباب الثاني: ماذا نعني بتحاسد العلماء



# تقديم

**لا بد أن نعرف قبل** أن ندخل في هذا الباب أن العلماء بشر وإن كانوا ليسوا كسائر البشر، هم بشر من جهة الجسم والنفس، يحتاجون ما تحتاجه الأجسام، فيأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق ويكتسبون، وهم بشر من جهة النفوس وما يعلق بها، والتصورات وما يرد عليها.

**وهم ليسوا كسائر البشر** بما حباهم الله تعالى من العلم الذي يكف أهله عن الشر ويبعثهم على الخير، وهم في ذلك متشبهون بالأنبياء، والأنبياء بشر لا كالبشر، يأكلون ويمشون بالأسواق كما قال الله تعالى حاكياً عن أولئك الذين عابوا الرسل بذلك ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾[1] وكما بين الرب تعالى أن عيسى هو ابن مريم وأنه بشر فقال: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾[2] ومن أكل الطعام أتى بلازمه وهذا دليل البشرية.

**والأنبياء قد اصطفاهم الله فطهّر** قلوبهم وخلصت أعمالهم لعبادة الله، وكلما كان العالم أكثر تمسكاً بهدي الأنبياء كلما كانت أعماله وأقواله في طريق الهداية والرشاد.

**والله تعالى يبتلي العبد** على قدر دينه فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، ومن ابتلاءات الله تعالى للعلماء وجود من يزاحمهم

---

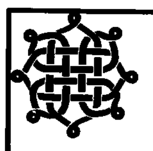
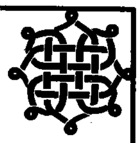
(١) سورة الفرقان، الآية: ٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٥.

وينافسهم، والنفس البشرية تطلب العلا وتأنف من المزاحمة، فإن كان الأمر لا يعدو التنافس المشروع والذي سبق تفصيله في الباب الأول فهذا خير، فإن تعدى ذلك إلى الحسد فهذا مذموم وصاحبه لم ينتفع بكل ما علم إلا أن ذلك الحسد لا يضرنا أن نستفيد من علمه وأن ندعو له ونستغفر له ونرى أيضاً علو مرتبته على غيره من العلماء، فإن هذا غايته أن يكون معصية قد غفرها الله لذلك العالم بصلاح نيته وانتشار علمه، ومثل هذه الزلات تستر فلا تنتشر، وتغفر في بحر خيره ولجج علمه.

**والذي دفعني في هذا الكتاب** إلى أن أجمع شيئاً مما قيل فيه تحاسد العلماء هو الرد والذب عن هؤلاء الأفاضل، ولولا أن ذلك مما كتب وهو موجود بين أيدي الناس لما تعرضت له ولكن هالني أن بعض صغار الطلبة بل العوام ينتقصون أكابر العلماء المعاصرين وغير المعاصرين محتجين بأن فلاناً ذكر أن ذاك العالم حسود أو هذا العالم مردود عليه قوله أو ما أشبه هذه العبارات التي دعتهم إلى ازدراء العلماء وتنقصهم.

**لذا أحببت أن أذب عن هؤلاء الأئمة من جهة**، وأسدي النصح لطلبة العلم من جهة أخرى لئلا يقعوا في الحسد، فإن العلم وإن كان مانعاً في الجملة من الحسد إلا أنه قد يحدث ثمة خلل فيقع الإنسان فيه، وتكون من جملة المعاصي المغفورة إن شاء الله بجانب حسنات العلم، والمعصوم من عصمه الله.

# الباب الأول

# الحسد الحاصل في المجتمع الإسلامي

## الفصل الأول

## تلبيس إبليس

المبحث الأول: تلبيس إبليس على الفقهاء

المبحث الثاني: تلبيس إبليس على القضاة والمحدثين

المبحث الثالث: تلبيس إبليس على الدعاة وطلاب العلم

## الفصل الثاني

## آثار الحسد على المجتمع

المبحث الأول: البغضاء

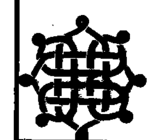
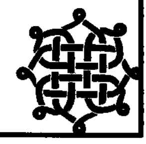
المبحث الثاني: انتشار سوء الخلق بين الناس

المبحث الثالث: المراء والجدال

المبحث الرابع: الخصومة

المبحث الخامس: البخل

المبحث السادس: الذم الفاضح والسب

# الفصل الأول:
# تلبيس إبليس

**مدخل:**

**حتى ندرك أثر الحسد على المجتمع،** لا بد أن نتعرف على كيفية دخول الشيطان إلى النفس الإنسانية، وتلبيس الحق عليها، ومداخل الشيطان كثيرة، وجماعها ثلاثة مداخل: الغضب - الشهوة - الغفلة.

**فإن الإنسان إذا اشتد غضبه،** أو استحكمت شهوته، أو عظمت غفلته، تسلط عليه الشيطان فصار يلعب به لعب الصبيان بالكرة حتى يأخذ بناصيته فيوقعه في المعصية.

**وكم من حوادث** وجرائم وطلاق وفراق وقع بسبب تلبيس إبليس على هؤلاء، وفيما يلي بيان تلبيس إبليس على الأئمة من الفقهاء والقضاة والمحدثين والمؤلفين والدعاة وطلاب العلم، حتى يحذر العاقل، ويتنبه اللبيب.

**وقد قسمت** هذا الفصل إلى **ثلاثة مباحث:**

**المبحث الأول:** تلبيس إبليس على الفقهاء.

**المبحث الثاني:** تلبيس إبليس على المحدثين.

**المبحث الثالث:** تلبيس إبليس على الدعاة وطلاب العلم، وفيما يلي بيان ذلك:

# المبحث الأول
# تلبيس إبليس على الفقهاء

**الفقهاء هم أهل العلم** الذين فهموا مداركه واستوعبوا أحكامه، لكن هناك أمور حالت دون استكمال التعلم والتعليم عندهم، فترى فقيهاً يعجبك كلامه وحديثه ومحاوراته واستدلالاته لكن سرعان ما ترى منه زلة فتغض الطرف عنه، فهذا خطأ فالأصل في الإنسان أنه إنسان له كرامته وهيئته وكنهه وإمكاناته، فالناظر إليه على أنه معصوم من الخطأ قد ارتكب حمقاً، وأوقع نفسه في الهوى.

**وقد لبس إبليس على الفقهاء** في أمور قادتهم إلى الزلات، فمن ذلك الجدل من أجل السمعة والعلية، ومن ذلك استماعهم لكلام الفلاسفة وغيرهم، وإنما كان ذلك لإظهار قوة النفس والعقل وكثرة تحصيل العلم والعجب بالنفس وتصغير الآخرين نوع من الحسد كما تقدم.

**لذا فإننا حينما نستعرض تلبيس اللعين** عليهم فإننا نعني ما وراء ذلك؛ وهو الحسد الذي تملك عليهم فأوقعهم في العجب وتقليل شأن الآخرين وعدم الاكتراث بمن ماثلوهم أو عادلوهم، من ذلك قول ابن الجوزي رحمه الله.

**ومن تلبيس إبليس على الفقهاء**: أن جل اعتمادهم على تحصيل علم الجدل يطلبون بزعمهم تصحيح الدليل على الحكم والاستنباط لدقائق الشرع وعلل المذاهب ولو صحت هذه الدعوى منهم لتشاغلوا بجميع المسائل وإنما يتشاغلون بالمسائل الكبار ليتسع فيها الكلام فيتقدم المناظر بذلك عند الناس في خصام النظر فَيَهُمّ أحدهم بترتيب المجادلة والتفتيش على المناقضات طلباً للمناظرات والمباهاة وربما لم يعرف الحكم في مسألة صغيرة تعم بها البلوى. اهـ[1].

**وهي محتاجة إلى التذكار والمواعظ لطلب الآخرة.**

---

(١) تلبيس إبليس (١٤٤).

**ومسائل الخلاف** وإن كانت من علم الشرع إلا أنها لا تنتهض بكل المطلوب، ومن لم يطلع على أسرار سير السلف **وحال الذي تمذهب لهم لم يمكنه سلوك طريقهم**، وينبغي أن يعلم أن هناك من ساير أهل هذا الزمان فصار مثلهم، فإذا نظر في سير القدماء زاحمهم وتأدب بأخلاقهم، وقد كان بعض السلف يقول حديثٌ يرق له قلب أحب إلي من مائة قضية من قضايا شرع.

**وإنما قال هذا** لأن رقة القلب مقصودة ولها أسباب، ومن ذلك أنهم اقتصروا على المناظرة وأعرضوا عن حفظ المذهب وباقي علوم الشرع فترى الفقيه المفتِي يسأل عن آية أو حديث فلا يدري، وهذا غبن فأين الأنفة من التقصير.

**ومن ذلك أن المجادلة** إنما وضعت ليتبين الصواب، وقد كان مقصود السلف المناصحة بإظهار الحق.

**وقد قال الشافعي** رحمه الله ما ناظرت أحداً فأنكر الحجة إلا سقط من عيني، ولا قبلها إلا هبته.

**ومن ذلك أن طلبهم للرياسة وبالمناظرة يثير الكامن في النفس** من حب الرياسة، فإذا رأى أحدهم في كلامه صنفاً يوجب فهو خصمٌ له خرج إلى المكابرة فإن رأى خصمه قد استعان عليه بلفظ أخذته حمية الكبر فقابل ذلك بالسب فصارت المجادلة مخاذلة، ومن ذلك ترخيصهم في الغيبة بحجة الحكاية عن المناظرة فيقول أحدهم: تكلمت مع فلان فما قال شيئاً.

**ويتكلم بما يوجب التشفي** من غرض خصه بتلك الحجة، ومن ذلك أن إبليس لبَّس عليهم بأن الفقه وحده علم الشرع ليس ثم غيره فإن ذكر لهم محدث قالوا: ذاك لا يفهم شيئاً وينسون أن الحديث هو الأصل فإن ذكر لهم كلام يلين به القلوب قالوا: هذا كلام الوعاظ، ومن ذلك إقدامهم على الفتوى وما بلغوا مرتبتها وربما أفتوا بواقعاتهم المخالفة للنصوص ولو توقفوا في المشكلات كان أولى اهـ[1].

---

(١) تلبيس إبليس (١٤٥).

**ومن هنا منعت الصوفية أهلها** من تذوق لذة الالتزام على شرع الله ونبذ ما هو بدعة ومذموم، فإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

**وهكذا يحدث الانتصار** للنفس أنواعاً من الشقاء في الأمة، ويحول بينهم وبين رفاهية التلذذ بنعم الله وآلائه.

**فعن عبدالرحمٰن بن أبي ليلى قال**: أدركت عشرين من أصحاب رسول الله ﷺ يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول.

**وعن إبراهيم النخعي** وكان من أكابر العلماء والفقهاء: أن رجلاً سأله عن مسألة فقال: ما وجدت من تسأله غيري.

**وعن مالك بن أنس** رضي الله عنه قال: ما أفتيت حتى سألت **سبعين** شيخاً هل ترون لي أن أفتي؟ فقالوا: نعم، فقيل له: فلو نهوك؟ قال: لو نهوني انتهيت.

**وقال رجل لأحمد بن حنبل**: إني حلفت ولا أدري كيف حلفت؟ قال: ليتك إذا دريت كيف حلفت دريت أنا كيف أفتيت.

**ومن تلبيس إبليس على الفقهاء مخالطتهم** الأمراء والسلاطين ومداهنتهم، وترك الإنكار عليهم مع القدرة على ذلك.

**وربما رخصوا لهم فيما لا رخصة لهم** فيه لينالوا من دنياهم عرضاً فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه:

**الأول**: الأمير يقول: لولا أني على صواب لأنكر علي الفقيه، وكيف لا أكون مصيباً وهو يأكل من مالي؟!.

**والثاني**: العامي أنه يقول: لا بأس بهذا الأمير ولا بماله ولا بأفعاله فإن فلاناً الفقيه لا يبرح عنده.

**والثالث**: الفقيه فإنه يخسر دينه بذلك.

**وقد لبس إبليس عليهم** في الدخول على السلطان فيقول: أما ندخل

لنشفع في مسلم وينكشف هذا التلبيس بأنه لو دخل غيره يشفع لما أعجبه ذلك وربما قدح في ذلك الشخص تعززه بالسلطان.

**ومن تلبيس إبليس عليه** في أخذ أموالهم فيقول له فيها حق.

**ومعلوم** أنها إن كانت من حرام لم يحل له منها شيء وإن كانت من شبهة فتركها أولى، وإن كانت من مباح جاز له الأخذ بمقدار مكانه من الدين لا على وجه اتفاقه في إقامة الرعونة، وربما اقتدى العوام بظاهر فعله واستباحوا ما لا يستباح.

**وقد لبس إبليس** على قوم من العلماء ينقطعون على السلطان إقبالاً على التعبد والدين فيزين لهم غيبة من يدخل على السلطان من العلماء فيجمع لهم آفتين عظيمتين: غيبة الناس، ومدح النفس.

**وفي الجملة**: فالدخول على السلاطين خطر عظيم، لأن النية قد تحسن في أول الدخول ثم تتغير بإكرامهم وإنعامهم، أو بالطمع فيهم ولا يتماسك عن مداهنتهم وترك الإنكار عليهم.

**وقد كان سفيان الثوري** رضي الله عنه يقول: ما أخاف من إهانتهم لي إنما أخاف من إكرامهم فيميل قلبي إليهم.

**وقد كان علماء السلف** يبعدون عن الأمراء لما يظهر من جورهم فتطلبهم الأمراء لحاجتهم إليهم في الفتاوى والولايات، فَنَشَأ أقوام قويت رغبتهم في الدنيا فتعلموا العلوم التي تصلح للأمراء وحملوها إليهم لينالوا من دنياهم.

**ويدلك على أنهم قصدوا بالعلوم الأمراء**: أن الأمراء كانوا قديماً يميلون إلى سماع الحجج في الأصول فأظهر الناس علم الكلام، ثم مال بعض الأمراء إلى المناظرة في الفقه فمال الناس إلى الجدل، ثم مال بعض الأمراء إلى المواعظ فمال خلق كثير من المتعلمين إليها، ولما كان جمهور العوام يميلون إلى القصص كثر القصاص وقل الفقهاء.

**ومن أفضل ما قرأت في العلاقة** التي يجب أن تكون بين الفقيه وبين

السلطان أن **ابن دقيق العيد** وهو صاحب كتاب «إحكام الأحكام» وغيره وهو من العلماء المخلصين المصريين استدعاه السلطان وقتها وحين دخل عليه وكان أمامه بهو طويل وقف السلطان في آخره والإمام في أول البهو يسير ببطء شديد فقيل له: إن السلطان واقف فلتسرع قليلاً؟ لم يكترث بكلام القائل وقال: ها أنذا أمشي، فلما وصل إلى مجلس السلطان أجلسه السلطان بجواره وقبّل يده تكريماً له، فقال له الشيخ: تنتفع بذلك إن شاء الله[1]، هذا ما يجب أن يكون عليه العالم الفقيه كرامة وإباء وعزة في نفسه لا من أجل نفسه وارتقائها ولكن من أجل علمه وما ينتسب إليه، والحالة التي تستره بستر العلم وبهائه.

**أما ونحن نجد في زماننا** وقبل زماننا علماء الضلال يضللون إذا قيل لهم أفتوا بما يريده الحاكم تسارعوا إلى ذلك، وهلم جرا، فهؤلاء جزاؤهم عند الله سعير.

**فما ظنك بإبليس وهو اللعين؟!** إنه كان عالماً فقيهاً لكنه خدعه علمه ولم يلتزم بأمر الله فكان من الهالكين، ومن الخاسرين، لذا قيل: وعالم لا يعمل بعلمه هو وإبليس في النار سواء.

**قال ابن الجوزي**: ومن تلبيس إبليس على الفقهاء أن أحدهم يأكل وَقْف المدرسة المبنية على المتشاغلين بالعلم فيمكث فيها سنين ولا يتشاغل ويقنع بما عرف أو ينتهي في العلم فلا يبقى له في الوقت حظ لأنه إنما جعل لمن يتعلم إلا أن يكون ذلك الشخص معيداً أو مدرساً فإن شغله دائم.

**ومن ذلك**: ما يحكى عن بعض **الأحداث المتفقهة** من الانبساط في المنهيات فبعضهم يلبس الحرير، ويتحلى بالذهب، ويحال على المكتب فيأخذه إلى غير ذلك من المعاصي.

---

(١) أي بإكرام العلماء، وإلا فالنفع بمجرد تقبيل اليد يحتاج إلى دليل، ولذا يحمل على ما سبق.

**وسبب انبساط هؤلاء مختلف**: فمنهم من يكون فاسد العقيدة في أصل الدين وهو يتفقه ليستر نفسه أو ليأخذ من الوقف أو ليرأس أو ليناظر، ومنهم من عقيدته صحيحة لكن يغلب عليه الهوى وحب الشهوات وليس عنده صارف عن ذلك لأن نفس الجدل والمناظرة تحرك إلى الكبر والعجب، وإنما يتقوم الإنسان بالرياضة ومطالعة سير السلف وأكثر القوم في بعد عن هذا وليس عندهم إلا ما يعين الطبع على شخوصه فحينئذ يسرح الهوى بلا زاد.

**ومنهم من يلبس عليه إبليس** بأنك عالم وفقيه... والعلم يدفع عن أربابه وهيهات فإن العلم أولى أن يحاجه ويضاعف عذابه. اهـ(١).

**قال الحسن البصري**: إنما الفقيه من يخشى الله عز وجل.

**قال ابن عقيل**: رأيت فقيهاً خراسانياً عليه حرير وخواتيم ذهب فقلت له: ما هذا؟! فقال: خلع السلطان وكمد الأعداء.

**فقلت له**: بل هو شماتة الأعداء بك إن كنت مسلماً لأن إبليس عدوك وإذا بلغ منك ألبسك ما يسخط الشرع فقد أشمته بنفسك وهل خلع السلطان سائغة لنهي الرحمٰن يا مسكين؟! خلع عليك السلطان فانخلعت به من الإيمان، وقد كان ينبغي أن يخلع بك السلطان لباس الفسق ويلبسك لباس التقوى رماكم الله بخزيه حيث هونتم أمره هكذا ليتك قلت: هذه رعونات الطبع الآن تَتِمُّ محنتك لأن عدوانك دليل على فسادِ باطنك.

**ومن تلبيس إبليس على الفقهاء ﷺ**: أن يحسن لهم ازدراء الوعاظ ويمنعهم من الحضور عندهم فيقولون مَنْ هؤلاء؟ هؤلاء قصاص ومراد الشيطان أن لا يحضروا في موضع يلين فيه القلب ويخشع.

**والقُصاص لا يذمون** من حيث هذا الاسم لأن الله عز وجل قال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، وقال: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

---

(١) تلبيس إبليس (١٤٧).

**وإنما ذم القصاص** لأن الغالب فيهم الاتساع بذكر القصص دون ذكر العلم المفيد ثم غالبهم يخلط فيما يورده، وربما اعتمد على ما أكثره محال، فأما إن كان القصص صدقاً ويوجب وعظاً فهو ممدوح، وقد كان الإمام أحمد بن حنبل يقول: ما أحوج الناس إلى قاص صدوق، وما أحوج الناس أيضاً إلى عالم فقيه صدوق لا ينتصر لنفسه، إن سئل فعلم أجاب، وإن لم يكن يعلم قال: الله أعلم، إن ناظر ناظر لله، من أجل إظهار الحق، فالعلم ليس ملكاً له، ولا قاصراً عليه، ولا صبياً عنده، بل العلم ملك الناس كلهم.

**ورحم الله فقيهاً ناظر أهل الباطل فغلبهم بعلمه** وتقديمه حُجَجه ورجاحة عقله ومكانته في التنفيذ والاستقصاء والإتيان بالدليل فنضر الله وجهه، ونفع به الناس.

**وبهذا نستخلص** أن حاجة النفس وطلبها للرفعة من خلال الانتصار والغلبة على الآخرين قد تؤدي بكثير من الفقهاء إلى الحسد، فيغلطون على حساب الحق والله تعالى أعلم.

## المبحث الثاني
## تلبيس إبليس على القضاة والمحدثين

**المحدثون: علماء جالوا الأقطار ذهاباً وإياباً للبحث عن الحديث وتدوينه ومعرفته والحكم عليه، وهم كسائر البشر لهم أخطاؤهم يحبون أن يصعدوا إلى أعالي القوم فدب فيهم داء الحسد الذي هو إما من العجب أو من الكبر أو من غيره، وقد لبس عليهم حتى تجرعوا الكثير، ومن ذلك:**

**أن قوماً استغرقوا أعمارهم** في سماع الحديث والرحلة فيه، وجمع الطرق الكثيرة، وطلب الأسانيد العالية، والحقوق الغريبة.

**وهؤلاء على قسمين:**

**قسم تصدوا لحفظ الشرع، بمعرفة صحيح الحديث من سقيمه، وهم مشكورون على هذا القصد، إلا أن إبليس يلبس عليهم بأن يشغلهم بهذا عما هو فرض عين من معرفة ما يجب عليهم والاجتهاد في أداء اللازم والتفقه في الحديث.**

**فإن قال قائل**: فقد فعل هذا خلق كثير من السلف كيحيى بن معين وابن المديني والبخاري ومسلم.

**فالجواب**: إن أولئك جمعوا بين معرفة المهم من أمور الدين والفقه فيه، وبين ما طلبوا من الحديث وأعانهم على ذلك قصر الإسناد وقلة الحديث، فاتسع زمانهم للأمرين، فأما في هذا الزمان فإن طرق الحديث طالت والتصانيف فيه اتسعت وما في هذا الكتاب في تلك الكتب، وإنما الطرق تختلف فقل أن يمكن أحداً أن يجمع بين الأمرين، فترى المحدث يكتب ويسمع خمسين سنة ويجمع الكتب ولا يدري ما فيها ولو وقعت له حادثة في صلاته لافتقر إلى بعض أحداث المتفقهين الذين يترددون إليه لسماع الحديث منه، وبهؤلاء تمكن الطاعنون على المحدثين فقالوا: زوامل أسفار لا يدرون ما معهم، فإن أفتى أحدهم ونظر في حديثه فربما عمل بحديث منسوخ، وربما فهم من الحديث ما يفهم العامي الجاهل وعمل بذلك، وليس المراد من الحديث كما روينا أن بعض المحدثين روى عن رسول الله ﷺ أنه «**نهى أن يسقي الرجل ماءه زرع غيره**» فقال جماعة ممن حضر: قد كنا إذا فضل عنا ماء في بساتيننا سرحناه إلى جيراننا ونحن نستغفر الله، فما فهم القارىء ولا السامع ولا فطنوا أن المراد وطء الحبالى من السبايا. اهـ[1].

**وروى الخطابي عن بعض مشايخه** أنه كان يروي الحديث أن النبي ﷺ «**نهى عن الحِلَق قبل الصلاة يوم الجمعة**» بإسكان اللام، قال: وأخبرني أنه بقي أربعين سنة لا يحلق رأسه قبل الصلاة، قال: فقلت له: وإنما هو

---

(١) تلبيس إبليس (١٣٨).

«الحِلَق» جمع حلْقة، وإنما كره الاجتماع قبل الصلاة للعلم والمذاكرة وأمر أن يشتغل بالصلاة وينصت للخطبة فقال: قد فرجت علي، وكان من الصالحين.

**وقد كان ابن صاعد كبير القدر في المحدثين** لكنه لما قلت مخالطته للفقهاء كان لا يفهم جواب فتوى حتى إنه قد أخبرنا أبو منصور البزار عن محمد بن صاعد أنه جاءته امرأة فقالت: أيها الشيخ ما تقول في بئر سقطت فيه دجاجة فماتت فهل الماء طاهر أو نجس؟ فقال يحيى: ويحك كيف سقطت الدجاجة إلى البئر؟ قالت: لم تكن البئر مغطاة، فقال يحيى: ألا غطيتها حتى لا يقع فيها شيء، قال الأبهري: فقلت: يا هذه إن كان الماء تغير فهو نجس وإلا فهو طاهر.

**وكان ابن شاهين** قد صنف في الحديث مصنفات كثيرة أقلها جزء وأكثرها التفسير وهو ألف جزء، وما كان يعرف من الفقه شيئاً.

**وقد كان فيهم من يقدم على الفتوى بالخطأ** لئلا يرى بعين الجهل فكان فيهم من يصير بما يفتي به ضحكة فسئل بعضهم عن مسألة الفرائض فكتب في الفتوى تقسم على فرائض الله، والله سبحانه وتعالى.

**وعن إبراهيم الحربي** قال: بلغني أن امرأة جاءت إلى أبي علي بن داود وهو يحدث وبين يديه مقدار ألف نفس فقالت له: حلفت بصدقة إزاري، فقال لها: بكم اشتريته؟ قالت: باثنين وعشرين درهماً، قال: اذهبي فصومي اثنين وعشرين يوماً، فلما مرت جعل يقول: آه، آه، غلطنا والله، أمرناها بكفارة الظهار!!!.

**وعلق على هذا ابن الجوزي** فقال: قلت: فانظروا إلى هاتين الفضيحتين: فضيحة الجهل، وفضيحة الإقدام على الفتوى بمثل هذا التخبيط.

**ومنهم من لا يحفظ القرآن** ولا يعرف أركان الصلاة فتشاغل هؤلاء على زعمهم بفريضة عن فروض الأعيان، وإيثار ما ليس بمهم على المهم من تلبيس إبليس. اهـ[1].

---

(١) تلبيس إبليس (١٤٠).

فلا حرج أن نقول ـ نحن المسلمين ـ بمثل هذا.

**فإن قيل: فهذا تشويه لصورة الإسلام وعلمائه،** قيل: إن الإسلام راسخ أكثر من جبل أحد لا يتزحزح له، منهاجه الوفاء، لا يعيبه فعل أحد، شأن ذلك شأن العالمين السائرين على أي منهاج تتحرك عنه ويزل قدمها من على صراط الهادي إلى صراط العزيز الحميد.

**وإنما حدث ما حدث** كما ذكرنا مراراً، لتعظيم النفوس والكبر... إلخ.

**أما القسم الثاني: فهم قوم أكثروا سماع الحديث ولم يكن مقصودهم صحيحاً ولا أرادوا معرفة الصحيح من غيره بجمع الطرق، وإنما كان مرادهم العوالي والغرائب فطافوا البلدان ليقول أحدهم: لقيت فلان ولي من الأسانيد ما ليس لغيري وعندي أحاديث ليست عند غيري.**

**يقول ابن الجوزي رحمه الله تعالى:** وقد كان دخل إلينا في بغداد بعض طلبة الحديث، وكان يأخذ الشيخ فيقعده في الرقة وهي البستان الذي على شاطىء دجلة فيقرأ عليه ويقول في مجموعاته: حدثني فلان وفلان بالرقة ويوهم الناس أنها البلدة التي بناحية الشام ليظنوا أنه قد تعب في الأسفار لطلب الحديث.

**وكان يقعد الشيخ بين نهر عيسى والفرات** ويقول: حدثني فلان من وراء النهر يوهم أنه قد عبر خراسان في طلب الحديث، وكان يقول: حدثني فلان في رحلتي الثانية والثالثة ليعلم الناس قدر تعبه في طلب الحديث فما بورك له ومات في زمن الطلب.

**قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى:** وهذا كله من الإخلاص بمعزل وإنما مقصوده الرياسة والمباهاة، ولذلك يتبعون شاذ الحديث وغريبه وربما ظفر أحدهم بجزء فيه سماع أخيه فأخفاه ليتفرد هو بالرواية وقد يموت هو ولا يرويه فيفوت الشخصين وربما رحل أحدهما إلى شيخ أول اسمه قاف أو

كاف ليكتب ذلك في مشيخته فحسب.

**ومن تلبيس إبليس على أصحاب الحديث** مدح بعضهم في بعض طلباً للتشفي ويخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذي استعمله قدماء هذه الأمة للذب عن الشرع والله أعلم بالمقاصد.

**ودليل مقصد خبث هؤلاء**: سكوتهم عمن أخذوا عنه وما كان القدماء هكذا، فقد كان علي بن المديني يحدث عن أبيه وكان ضعيفاً ثم يقول: وفي حديث الشيخ ما فيه. اهـ[1].

**وعن يوسف بن الحسين** أنه قال: سألت حارساً المحاسبي عن الغيبة فقال: احذرها فإنها شر مكتسب وما ظنك بشيء يسلبك حسناتك فيرضى به، ومن تبغضه في الدنيا كيف يرضي خصمك يوم القيامة يأخذ من حسناتك أو تأخذ من سيئاته إذ ليس هناك درهم ولا دينار فاحذرها... فإن منبع غيبة الهمج والجهال من إشفاء الغيظ والحمية والحسد وسوء الظن، وتلك مكشوفة غير مخفية، وأما غيبة العلماء فمنبعها من خدعة النفس على إبداء النصيحة وتأويل ما لا يصح من الخبر ولو صح ما كان عوناً على الغيبة وهو قوله: أترغبون عن ذكره اذكروه بما فيه ليحذره الناس.

**ولو كان الخبر صحيحاً** لم يكن فيه إبداء شفاعة على أخيك المسلم من غير أن تسأل عنه، إنما إذا جاءك مسترشداً فقال: أريد أن أزوج كريمتي من فلان فعرفت منه بدعة أو أنه غير مأمون على حرم المسلمين صرفته عنه بأحسن صرف، أو يجيئك رجل آخر فيقول لك: أريد أن أودع مالي فلاناً وليس ذلك الرجل موضعاً للأمانة صرفته عنه بأحسن الوجوه، أو كأن يقول لك رجل: أريد أن أصلي خلف فلان أو أجعله إمامي في علم فتصرفه عنه بأحسن الوجوه ولا تشف غيظك من غيبته.

**وأما منبع الغيبة من القراء والنساك** فمن طريق التعجب يبدي عوار الأخ ثم يتصنع بالدعاء في ظهر الغيب فيتمكن من لحم أخيه المسلم ثم

---

(١) تلبيس إبليس (١٤٠).

يَظهر بالدعاء له، وأما منبع الغيبة من الرؤساء والأساتذة فمن طريق إبداء الرحمة والشفقة على أخيه حتى يقول: مسكين فلان ابتلي بكذا وامتحن بكذا نعوذ بالله من الخذلان، فيتصنع بإبداء الرحمة والشفقة على أخيه، ثم يتصنع بالدعاء له عند إخوانه ويقول: إنما أبديت لكم ذلك لتكثروا من دعائكم له ونعوذ بالله من الغيبة تعريضاً أو تصريحاً، فاتق الغيبة، فقد نطق القرآن بكراهتها فقال عز وجل: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[1].

**ومن تلبيس إبليس على علماء المحدثين** رواية الحديث الموضوع من غير أن يتبينوا أنه موضوع، وهذه جناية منهم على الشرع، ومقصودهم ترويج أحاديثهم وكثرة روايتهم، وقد قال ﷺ: «**من روى عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**» اهـ.

**ومن هذا الفن تدليسهم في الرواية،** فتارة يقول أحدهم فلان عن فلان، أو قال فلان عن فلان، يوهم أنه سمع منه المنقطع ولم يسمع المتصل، وهذا قبيح لأنه يجعل المنقطع في مرتبة المتصل.

**ومنهم من يروي عن الضعيف** والكذاب فيتقي اسمه فربما سماه وربما كناه وربما نسبه إلى جده لئلا يعرف، وهذه جناية على الشرع لأنه يثبت حكماً بما لا يثبت به.

**أما إذا كان المروي عنه ثقة** فنسبه إلى جده أو اقتصر على كنيته لئلا يرى أنه قد رد الرواية عنه، أو يكون المروي عنه في مرتبة الراوي فيستحي الراوي من ذكره، فهذا على الكراهة والبعد عن الصواب قريب بشرط أن يكون المروي عنه ثقة.

**وبهذا يتضح لك أن ثمة أغاليط** وقع فيها بعض المحدثين لحبهم لزينة الحياة الدنيا، ورفعة نفوسهم، وتزكية قلوبهم وأبدانهم دون النظر إلى مصالح الناس، ومنطوق العلم، وهذا شأن أي إنسان يتجه ببصره إلى الدنيا

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

وحلاوتها وزينتها وطلاوتها، وينسى أو يتناسى ما يجب أن يكون عليه المسلم من خلق يترفع عن الدناسات، ويغض الطرف عن آفات البشر.

**وكما ذكرنا في حسد الفقهاء**، فإن كثيراً من أصحاب الحديث دخلوا أيضاً في بلاط السلاطين والأمراء فقادهم الهوى إلى كتابة كثير من الأحاديث التي تحارب جور السلاطين وظلمهم، وكثيراً من أفعالهم.

**ولكنهم لم ينكروها بالكلية** بل سكتوا عن رجالهم أو قالوا في رجالهم أي رجال الحديث الذين يعرف بهم صحة الحديث من ضعفه ودرجته في السند.

**ومن كل هذا حدث نوع من الفساد العلمي** في هذا الوسط الذي نعاني منه الآن: مسائل كثيرة في الجرح والتعديل أشكلت على الناس، وهو نتيجة مباشرة لتحاسد رجال الحديث وعلمائه وسيرهم بجانب الباطل.

**لكن نحمد الله رب العالمين أن أيقظ الهمم في عصرنا** ـ عصر انفتاح أبواب العلم المغاليق، والعودة إلى أصل الدين ومنهاجه الأصيل، فوقف رجال ـ لا نزكيهم على الله ونحسبهم لذلك والله حسبهم ـ يحلون ما أشكل على الناس، على رأسهم الشيخ الألباني، فجزاهم الله خير الجزاء.

## المبحث الثالث
## تلبيس إبليس على الدعاة وطلاب العلم

**الدعاة:**

هم العلماء فلا يجوز أن يكون داعية غير عالم، فالدعاة هم أهل العلم الذين عظم العلم عندهم. فهم الكاملون ـ في رأي من العلماء.

**أما طلاب العلم:**

فهم مريدو التعلم والتعليم، وتحصيل الفوائد من العلوم والمدارسة، إما للظهور والتنافس، وإما للعلو وسط الناس، وإما لحب العلم والتحصيل.

**ففي الحديث: «اثنان لا يشبعان: طالب علم وطالب مال»** اهـ.

**وأما طلاب العلم:** فهم الذين يكثر فيهم الحسد والتلبيس لضعفهم وقلة زادهم.

**وأول ما يتعرضون له،** هو تلبيس إبليس اللعين عليهم في ترك تشاغلهم بالعلم فتراهم يريدون التعلم ثم يتقاعسون وهذا حال أكثرهم، تراه حريصاً على التلقي والتدوين ثم لا يلبث أن يفتر وتقل عزيمته.

**فإن إبليس** إنما يصد الناس عن العلم لأن العلم نور، فإذا أطفأ مصابيحهم خبطهم في الظلام كيف شاء.

**وقد دخل على الصوفية** في هذا الفن من أبواب.

**أحدها:** أنه منع جمهورهم من العلم أصلاً وأراهم أنه يحتاج إلى تعب وكلف فحبب لهم الراحة فلبسوا المراقع وجلسوا على بساط البطالة.

**فعن محمد بن صاعد** أنه قال: سمعت الشافعي يقول: (أسس التصوف على الكسل)، وبياناً لما قاله الشافعي: أن مقصود النفس إما الولايات، وإما استجلاب الدنيا بالعلوم يطول الطلب، ويتعب البدن وهل يحصل المقصود أو لا يحصل.

**والصوفية قد تعجلوا الولايات** فإنهم يرون بعين الزهد، واستجلاب الدنيا فإنها إليهم سريعة.

**وعن ابن شاهين** أنه قال: ومن الصوفية من ذم العلماء، ورأى أن الانشغال بالعلم بطالة، وقالوا: إن علومنا واسطة وإنما هم رأوا بعد الطريقة في طلب العلم فقصروا الثياب ورقعوا الجباب وحملوا الوكاء وأظهروا الزهد.

**والثاني:** أنه قنع منهم باليسير منه ففاتهم الفضل الكثير في كثرته فاقتنعوا بأطراف الأحاديث، أَوْهَمَهُمْ أن علو الإسناد والجلوس للحديث كله رياسة ودنيا وأن للنفس في ذلك لذة.

**وكشف هذا التلبيس** أنه ما من مقام عال إلا وله فضيلة وفيه مخاطرة، فإن الإمارة والقضاء والفتوى كلها مخاطرة وللنفس فيها لذة ولكن فيها فضيلة ـ فالشوك في جوار الورد ـ فينبغي أن تُطْلَبَ الفضائل ويُتقى ما في ضمنها من الآفات.

**هذا وقد سمَّى بعضهم علم الشريعة بعلم الظاهر**، وسموا هواجس النفوس العلم الباطن، واحتجوا بحديث: «**علم الباطن سر من أسرار الله عز وجل وحكم من أحكام الله تعالى، يقذفه الله عز وجل في قلوب من يشاء من أوليائه**» اهـ.

**وهذا ليس بحديث ولم يصح عن النبي ﷺ.**

**هذا، وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة**، وهذا جهل من قائله لأن الشريعة كلها حقائق، فإن كانوا يريدون بذلك الرخصة والعزيمة فكلاهما شريعة.

**وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم** في إعراضهم عن ظواهر الشرع، وعن أبي الحسن **غلام شعوانة** بالبصرة يقول: سمعت أبا الحسن بن سالم يقول: جاء رجل إلى **سهل بن عبدالله** وبيده محبرة وكتاب فقال لسهل: جئت لكي أكتب شيئاً ينفعني الله به، فقال: اكتب: إن استطعت أن تلقى الله وبيدك المحبرة والكتاب فافعل، قال: يا أبا محمد أفدني فائدة؟ فقال: الدنيا كلها جهل إلا ما كان علماً، والعلم كله حجة إلا ما كان عملاً، والعمل كله موقوف إلا ما كان منه على الكتاب والسنة، وتقوم السنة على التقوى.

**وعن سهل بن عبدالله أيضاً** أنه قال: احفظوا السواد على البياض فما أحد ترك الظاهر إلا تزندق.

**وعن سهل بن عبدالله** أنه قال: ما من طريق إلى الله أفضل من العلم، فإن عدلت عن الطريق خطوة تهت في الظلام أربعين صباحاً.

**وعن أبي بكر الدقاق** قال: سمعت أبا الحراز يقول: كل باطن يخالف ظاهراً فهو باطل.

**وعن أبي بكر الدقاق** أنه قال: كنت ماراً في بنية بني إسرائيل فخطر ببالي أن علم الحقيقة مباين للشريعة فهتف بي هاتف من تحت شجرة: كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر.

**قال ابن الجوزي معلقاً:** وكذا الإمام أبو حامد الغزالي في كتاب الإحياء قال: من قال إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يخالف الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان.

**وقال ابن عقيل:** جعلت الصوفية اسماً وقالوا: المراد منها الحقيقة، قال: وهذا قبيح لأن الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق وتعبداتهم، فما الحقيقة بعد هذا سوى شيء واقع في النفس من إلقاء الشياطين، وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع.

**هذا ما لبس به إبليس على طالبي العلم ليصدهم عنه ويزهدهم فيه،** ولكن إن مضوا فيه وجاهدوا أنفسهم لحبه أو لشيء آخر أتاهم من باب آخر.

**فمنهم** من يكذب على أستاذه ليرتقي عنده.

**ومنهم** من يدلس على صاحبه لينال فضلاً.

**ومنهم** من يحسد أخاه لئلا يأخذ مكانه في الغد.

**وبين طلاب العلم الكثير من السخافات والدناءات،** التي يضيق أي مقام عن ذكرها.

**فإذا ما وصل طالب العلم** إلى أعلى مراتبه وأطلق عليه اسم العالم كان له شأن آخر.

**قال ابن الجوزي:** إن أقواماً علت هممهم فحصلوا علوم الشرع من القرآن والحديث والفقه والأدب وغير ذلك، فأتاهم إبليس يخفي التلبيس فأراهم أنفسهم بعين غضة لما نالوا وأفادوا، من يستفزه لطول عنائه في الطلب فحسن له اللذات، وقال له: إلى متى هذا التعب فأرح جوارحك من كلف التكاليف وافسح لنفسك في مشتهاها.

**فإن وقعت في زلة فالعلم يدفع عنك العقوبة**، وأورد عليه فضل العلماء، فإن خذل هذا العبد وقبل هذا التلبيس يهلك، وإن وافق فينبغي له أن يقول: جوابك من ثلاثة أوجه:

**أحدها**: أنه إنما فضل العلماء بالعمل ولولا العمل به ما كان له معنى، وإذا لم أعمل به كنت كمن لم يفهم المقصود به ويصير مثلي كمثل رجل جمع الطعام وأطعم الجياع ولم يأكل فلم ينفعه ذلك من جوعه.

**والثاني**: أن يعارضه بما ورد في ذمِّ من لم يعمل لقوله ﷺ: «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه**».

**وحكايته** ﷺ عن رجل يلقى في النار فتندلق أقتابه فيقول: «**كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه**».

**وقول أبي الدرداء** رضي الله عنه: ويل لمن يعلم مرة وويل لمن علم ولم يعمل سبع مرات.

**والثالث**: أن يذكر له عقاب من هلك من العلماء التاركين للعمل بالعلم كإبليس، ويكفي في ذم العالم إذا لم يعمل قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[1].

**هذا وقد لبس إبليس** على أقوامه من المحكمين في العلم والعمل من جهة أخرى، فحسن لهم الكبر بالعلم، والحسد للنظير، والرياء لطلب الرياسة فتارة يريهم أن هذا كالحق الواجب لهم، وتارة يزين حب ذلك عندهم فلا يتركونه مع علمهم بأنه خطأ.

**وعلاج هذا لمن وفق إدمان النظر** في إثم الكبر والحسد والرياء وإعلام النفس أن العلم لا يدفع شر هذه المكتسبات بل يضاعف عذابها لتضاعف الحجة بها، ومن نظر في سير السلف من العلماء العاملين استصغر نفسه فلم يتكبر، ومن عرف الله لم يراء ومن لاحظ جريان أقداره على مقتضى إرادته لَمْ يحسد.

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٥.

**وقد يدخل إبليس على هؤلاء** بشبه ظريفة فيقول: طلبكم للرفعة ليس بتكبر لأنكم نواب الشرع تطلبون إعزاز الدين ودحض أهل البدع وإطلاقكم اللسان في الحساد غضب للشرع، إذ الحساد قد ذموا من قام به وما تظنونه رياء فليس برياء لأن من تخاشع منكم وتباكى اقتدى به الناس كما يقتدون بالطبيب إذا احتمى أكثر من اقتدائهم بقوله: إذا وصف.

**وأما الرياء فلا عذر فيه لأحد** ولا يصلح أن يجعل طريقاً لدعاية الناس، وقد كان أيوب السختياني إذا حدث بحديث فرق ومسح وجهه وقال: ما أشد الزكام، وبعد هذا فالأعمال بالنيات، والناقد بصير وكم من ساكت عن غيبة المسلمين إذا اغتيبوا عنده فرح قلبه، وهو آثم بذلك من ثلاثة أوجه:

**أحدها:** الفرح فإنه حصل بوجود هذه المعصية من المصاب.

**والثاني:** لسروره بثلب المسلمين.

**والثالث:** أنه لا ينكر.

قال رحمه الله: **فصل: وقد لبس إبليس على الكاملين في العلوم** يسهرون ليلهم ويدأبون نهارهم في مضايق العلوم ويريهم إبليس أن المقصود نشر الدين ويكون مقصودهم الباطن انتشار الذكر وعلو الصيت والرياسة وطلب الرحلة من الآفاق إلى المضيق.

**وينكشف هذا التلبيس** بأنه يُسَرُّ لو انتفع بمصنفاته الناس من غير تردد إليه أو قرئت على نظيره في العلم بذلك إن كان مراده نشر العلم، وقد قال بعض السلف: ما من علم علمته إلا أحببت أن يستفيده الناس من غير أن ينسب إلي، ومنهم من يفرح بكثرة الأتباع ويلبس عليه إبليس بأن هذا الفرح لكثرة طلاب العلم وإنما مراده كثرة الأصحاب واشتهار الذكر، ومن ذلك العجب بكلماتهم وعلمهم وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انقطع بعضهم إلى غيره ممن هو أعلم منه ثقل ذلك عليه.

**وما هذه صفة المخلص** في التعلم لأن مثل المخلص مثل الأطباء

الذين يداوون المرضى للّه سبحانه وتعالى فإذا شفي بعض المرضى على يد طبيب فرح الآخر.

**قص عبدالرحمٰن بن أبي ليلى قال:** (أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي ﷺ ما منهم رجل يسأل عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه ولا يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه).

**هذا**، وقد يتخلص العلماء الكاملون من تلبيسات إبليس الظاهرة فيأتيهم بخفي من تلبيسه بأن يقول له: ما لقيت مثلك ما أعرفك بمداخلي ومخارجي فإن سكن إلى هذا هلك بالعجب، وإن سلم من المسألة سلم.

**قال السري السقطي:** لو أن رجلاً دخل بستاناً فيه جميع ما خلقه الله عز وجل من الأشجار عليها من جميع ما خلقه الله من الأطيار، فخاطبه كل طائر بلغته وقال: السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان في أيديها أسيراً.

**هذا**، وكما أسلفنا فإن الناس ينظرون إلى العلماء على أنهم لا يخطئون ولا يزِلُّون، بل هم من البشر يخطئون، بل كثيرو الخطأ والزلة، خاصة إن أحاطت بهم طوائف السوء كما نراهم اليوم، يزينون ويغيظون العلماء بكلام عن أقرانهم، فلان قال كذا ولم يعبأ بقوله، بل كان يقصدك بحديثه وينزل من شأنك، فينظر الثاني إلى نفسه فيرى أن الأول أحط منه وأقل، وأن لنفسه نصيباً من العلم والفضل، فكيف يجرؤ على هذه القولة وتلكم الفعلة، الأمر الذي أشاع تحاسد العلماء، وأوقع الناس في «مشاكلة» بين الأمور.

**أضف إلى ذلك المذهبية المحضة** فهذا فهمه سلفي، وذاك صوفي، وهذا ينسب إلى جماعة الدعوة والتبليغ مثلاً... إلخ، نعوذ بالله من الخذلان ونسأله العفو والعافية.

## الفصل الثاني

# آثار الحسد على المجتمع

**لا شك أن الحسد يحدث في الأرض أنواعاً من الفساد،** فالحسد شر بطبعه وحاله، ولا يرجى من ورائه أي خير، بل كله شر، وقلوب الموحدين إن أخلصت لا تعرف الحسد، ولا يعرف الحسد طريقه إليها.

**فالحاسد:** شرير، مستحق **للمقت من الباري ومن الناس.**

**أما من الباري:** فلأنه مضاد له في إرادته، إذ هو عَزَّ اسمه المتفضل على الكل، المريد للخير للكل.

**وأما الناس:** فلأنه مبغض ظالم لهم، فإن أحب وقوع المكروه بإنسان ما، أو لم يحب وصول خير له، فهو مبغض له، فإن كان هذا الإنسان ممن لم يثره ولم يسيء به، فإنه مع ذلك ظالم له، وأيضاً فإن المحسود لم يُزل عَنْ الحاسد شيئاً مما هو في يديه، ولا منعه من بلوغ شيء كان يقدر له، ولا استعان به على شيء من أمره، وإذا كان ذلك كذلك فما هو ـ أعني المحسود ـ إلا بمنزلة من نال خيراً، وبلغ أمنيته من الناس الغائبين عن الحاسد، فكيف لا يحسد من بالهند والصين، فإن كان لا يحسدهم من أجل غيبتهم عنه فليتصورهم بأحوالهم، وما يتقلبون فيه من نعيمهم، فإن حمقاً أو جنوناً أن يحزن لما نال هؤلاء، وبلغوا من أمانيهم، فإن حمقاً مثله الحزن والاغتمام لما نال مَنْ بحضرته، إذ كانوا بمنزلة الغيب عنه في أنهم لم يسلبوه شيئاً مما في يديه، ولا منعوه بلوغ شيء كان يقدر عليه، ولا

استعانوا على أمر من أمورهم به، وليس بينهم وبين الغيب عنه فرق إلا في مشاهدة الحاسد أحوالهم التي يمكن تصور مثلها فيمن غابوا عنه، ويعلم ويستيقن أنهم منها في مثل ما هم فيه.

**ويمكن تلخيص أهم الآثار فيما يلي:**

**١ ـ البغضاء.**

**٢ ـ انتشار سوء الخلق بين الناس.**

**٣ ـ المراء والجدال.**

**٤ ـ الخصومة.**

**٥ ـ البخل.**

**٦ ـ الذم الفاضح والسب.**

**وهذه الآثار بل بعضها كفيلة بهدم المجتمع** وتقويض بنائه، نسأل الله العفو والعافية.

**وقد عقدت مبحثاً لبيان كل منها، وفيما يلي بيان لذلك:**

## المبحث الأول
## البغضاء

**ومن أول آثار الحسد على المجتمع**: البغضاء بين الناس وزوال المحبة من القلوب.

**والمجتمع الذي يبغض بعضه بعضاً** مجتمعٌ لا ينتج ولا يحصد ولا يزرع، لأن القلوب حين تمتلىء بالغلظة والبغضاء تظل خائفة واقعة تخشى أن تعمل فيكتسب هذا من جرائها، فالناس مترابطون متكاتفون، أعمالهم ومصالحهم متشابكة، إذا تقاعس أكثرهم عن العمل توقف الآخرون بالطبع.

**ومن هنا** كانت البغضاء من سمات الكافرين والمنافقين، وكانت المحبة والرأفة والرحمة بين الناس من سمات المسلمين المؤمنين الموحدين،

يقول الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

**فالحب** بين الناس طبيعة مشتركة، كمحبة الجائع للطعام، والظمآن للماء، وغير ذلك، وهذه لا تستلزم التعظيم.

**والنوع الثاني**: محبة رحمة وإشفاق كمحبة الوالد لولده الطفل ونحوها، وهذه أيضاً لا تستلزم التعظيم.

**والنوع الثالث**: محبة أنس وإلف، وهي محبة المشتركين - في صناعة أو علم أو مرافقة أو تجارة أو سفر - بعضهم بعضاً، وكمحبة الإخوة بعضهم بعضاً، فهذه الأنواع الثلاثة هي المحبة التي تصلح للخلق بعضهم من بعض، ووجودها فيهم لا يكون شركاً في محبة الله سبحانه.

**ولهذا كان رسول الله ﷺ** يحب الحلواء والعسل، وكان أحب الشراب إليه الحلو البارد، وكان أحب اللحم إليه الذراع، وكان يحب نساءه وكانت عائشة رضي الله عنها أحبهنَّ إليه، وكان يحب أصحابه، وأحبهم إليه الصديق.

**وأما المحبة الخالصة** التي لا تصلح إلا لله وحده ومتى أحب العبد بها غيره كان شركاً لا يغفره الله، فهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم، وكمال الطاعة، فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلاً، وهي التي سوّى المشركون بين آلهتهم وبين الله فيها كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

**وأصح القولين أن المعنى**: يحبونهم كما يحبون الله وسووا بين الله وبين أندادهم في الحب، ثم نفى ذلك عن المؤمنين فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ فإن الذين آمنوا أخلصوا حبهم لله لم يشركوا به معه غيره،

وأما المشركون فلم يخلصوه للّه.

**والمقصود من الخلق والأمر** إنما هو هذه المحبة، وهي أول دعوة الرسل، وآخر كلام العبد المؤمن الذي إذا مات عليه دخل الجنة اعترافه وإقراره بهذه المحبة وإفراد الرب بها، فهو أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا إلى الله، وجميع الأعمال كالأدوات والآلات لها، وجميع المقامات وسائل إليها، وأسباب لتحصيلها وتكميلها وتحصينها من الشوائب والعلل، فهي قطب رَحَى السعادة، وروح الإيمان، وساق شجرة الإسلام ولأجلها أنزل الله الكتاب والحديد، **فالكتاب** هاو إليها ودال عليها، ومفصل لها، **والحديد** لمن خرج عنها وأشرك فيها مع الله غيره، ولأجلها خلقت الجنة والنار، فالجنة دار أهلها الذين أخلصوها للّه وحده فأخلصهم لها، والنار دار من أشرك مع الله غيره وسوى بينه وبين الله فيها كما أخبر تعالى عن أهلها أنهم يقولون في النار لآلهتهم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء: ٩٧ ـ ٩٨].

**وهذه التسوية لم تكن منهم في الأفعال والصفات** بحيث اعتقدوا أنها مساوية للّه سبحانه في أفعاله وصفاته وإنما كانت تسوية منهم بين الله وبينها في المحبة والعبودية مع إقرارهم بالفرق بين الله وبينها[1].

**فمن واجبات ولوازم الشهادتين** المحبة الكاملة للّه ورسوله وللمؤمنين، وطرد كل عداوة وبغضاء من القلوب، ولا شك أن الحسد عامل فعال في تمكين البغضاء والعداوة من قلوب العباد، والله تعالى أعلم بالصواب، وهو الهادي إلى سبيل الرشاد.

## المبحث الثاني
## انتشار سوء الخلق بين الناس

**لا شك أن الحسد** طريق لسوء الخلق المفضي إلى أعظم الشرور، فلا

---

(١) طريق الهجرتين (٢٧٦).

أكثر من الحسد شراً، ولا أعظم من سوء خلقه.

**وإذا تبددت الأخلاق** وانتفت من حياة الناس فلا حياة لهم أصلاً، والحسد سبب آكد لانتهاء حسن الخلق.

**أما حسن الخلق** فهو كما يراه الحسن: بسط الوجه، وبذل الندى، وكف الأذى.

**وقال الواسطي:** هو أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى.

**وقال شاه الكرماني:** هو كف الأذى، واحتمال المؤمن.

**هذا... وأمهات محاسن الأخلاق** هذه الفضائل الأربع وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل، والباقي فروعها، ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله ﷺ والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه، فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله ﷺ، وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكاً مطاعاً يرجع الخلق كلهم إليه ويقتدون به في جميع الأفعال، ومن انفك عن هذه الأخلاق كلها واتصف بأضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد فإنه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد، فينبغي أن يبعد كما أن الأول قريب من الملك المقرب فينبغي أن يقتدي به ويتقرب إليه، فإن رسول الله ﷺ لم يبعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق كما قال(١).

**وقد أشار القرآن** إلى هذه الأخلاق في أوصاف المؤمنين فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

**فالإيمان بالله ورسوله** من غير ارتياب هو قوة اليقين، وهو ثمرة العقل، ومنتهى الحكمة، والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى

---

(١) **«بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»** هذا الحديث هو المشار إليه وهو الصحيح.

ضبط قوة الشهوة، والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال.

**فقد وصف الله** تعالى الصحابة فقال: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، إشارة إلى أن للشدة موضعاً وللرحمة موضعاً، فليس الكمال في الشدة بكل حال، ولا في الرحمة بكل حال، فهذا بيان معنى الخلق حسنه وقبحه[١].

**هذا**... وكثير من الناس غلبت البطالة عليه فاستثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخيلته فزعم أن الأخلاق لا يتصور تغييرها فإن الطباع لا تتغير واستدل فيه بأمرين:

**أحدهما**: أن الخلق هو صورة الباطن كما أن الخلق هو صورة الظاهر، فالخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها، فالقصير لا يقدر أن يجعل نفسه طويلاً، ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيراً، ولا القبيح يقدر على تحسين صورته، فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى.

**والثاني**: أنهم قالوا: حسن الخلق يقمع الشهوة والغضب، وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع فإنه قد لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فإن المطلوب هو قطع التفات القلب إلى الحظوظ العاجلة وذلك محالٌ وجوده.

**فنقول**: لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات، ولما قال رسول الله ﷺ: «**حسنوا أخلاقكم**»[٢].

**وكيف ينكر هذا في حق الآدمي** وتغيير خلق البهيمة ممكن، إذ ينقل البازي من شره الأكل إلى التأدب والإمساك والتخلية، والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد، وكل ذلك تغيير للأخلاق.

---

(١) انظر الإحياء (٣/٥٤).

(٢) الحديث لابن أبي الدنيا عن معاذ وهو منقطع.

**وبالجملة كل ما هو حاصل كامل** وقع الفراغ من وجوده وكماله ما وجد ناقصاً وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد أن وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فالنواة ليست بتفاح ولا نخل إلا أنها خلقت خلقة يمكن أن تصير نخلة إذا انضاف إليها التربية ولا تصير تفاحاً أصلاً ولا بالتَّربية فإذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الأحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلاً، ولو أردنا سلاستهما وقَوْدَهُمَا بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه، وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا إلى الله تعالى.

**ومن هنا تبين لنا ضرورة حسن الخلق في المجتمع**، وأن انتفاءه عنه نذير هلاك ونذير سوء نزل على أرضه.

**والحسد** سبب آخر لتكاثر سوء الخلق بين الناس وانتشاره، فهو الشر الذي لا يقاس به شر آخر.

## المبحث الثالث
## المراء والجدال

**عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه ﷺ** قال: **«لا تجادلوا في القرآن، فإن جدالاً فيه كفر»**[١].

**وأخرج الحاكم** عن أبي هريرة أنه ﷺ قال: **«الجدال في القرآن كفر»**.

**وأخرج أبو داود والحاكم** عن أبي هريرة أيضاً: **«المراء في القرآن كفر»**.

**وأخرج الديلمي: «لا تجادلوا في القرآن ولا تكذبوا كتاب الله بعضه ببعض فوالله إن المؤمن ليجادل به فيغلب وإن المنافق ليجادل به فيغالب»**.

**وأخرج الطبراني عن ابن عمر قال: «خرج رسول الله ﷺ على قوم**

---

(١) أخرجه البيهقي.

**يتنازعون في القرآن فقال: يا قوم بهذا هلكت قبلكم من القرون، إن القرآن يصدق بعضه بعضاً فلا تكذبوا بعضه بعضاً».**

**وعن أبي سعيد الخدري** قال: **«كنا جلوساً عند باب رسول الله ﷺ نتذاكر ينزع هذا بآية وينزع هذا بآية فخرج علينا رسول الله ﷺ كأنما ينقع في وجهه حب الرمان فقال: «يا هؤلاء أبهذا بُعثتم؟ أم بهذا أُمرتم؟ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».**

**وروى الشيخان: «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم».** أي: الشديد الخصومة الذي يحج مخاصمه.

**وعنه ﷺ** أن عيسى عليه السلام قال: **«إنما الأمور ثلاثة: أمر تبين لك رشده فاتبعه، وأمر تبين لك غيه فاجتنبه، وأمر اختلف فيه فرده إلى عالم».**

**وروى الطبراني أن جماعة من الصحابة قالوا:** خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً ونحن نتمارى في شيء من أمر الدين فغضب غضباً شديداً لم يغضب مثله ثم انتهرنا فقال: **«مهلاً يا أمة محمد إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ذروا المراء لقلة خيره، ذروا المراء فإن المؤمن لا يماري، ذروا المراء، فإن المماري قد تمت خسارته، ذروا المراء فكفى إثماً أن لا تزال ممارياً، ذروا المراء فإن المماري لا أشفع له يوم القيامة، ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات في الجنة في رياضها، أي أسفلها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق، ذروا المراء فإن أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان المراء».**

**وقوله: «بعد عبادة الأوثان»** لا يقتضي أنه ﷺ عبدها حاشاه من ذلك إذ الأنبياء معصومون عن الكفر بإجماع من يعتد به.

**والحاصل أن** الجدال فيه إما كفر أو عظيم الضرر في الدين فكان إما كفراً أو كبيرة وبذلك صح ما ذكرته واتضح ما حررته والله تعالى الموفق.

**فالمراء والجدال من نتائج الحسد** ويؤديان أيضاً إلى الحسد، فالمراء والجدال من أجل إثبات الذات وإعلاء النفس، وإظهار الحنكة والذكاء وقوة

العلم وتقديم الأدلة وإدحاض الخصم.

## المبحث الرابع
## الخصومة

**الخصومة مذمومة وهي وراء الجدال والمراء،** فالخصومة لجاج في الكلام ليُسْتوفى به مالٌ أو حقٌ مقصود وذلك تارة يكون ابتداء، وتارة يكون اعتراضاً، والمراء لا يكون إلا باعتراض على كلام مسبق.

**فقد قالت عائشة** رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: **«إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخَصم»**. أخرجه البخاري.

**وعن أبي هريرة** قال: قال رسول الله ﷺ: **«من جاء في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع»**.

**قال بعضهم:** إياك والخصومة فإنها تمحو الدين، ويقال: ما خاصم وَرِعٌ قط في الدين.

**وقال ابن قتيبة:** مر بي بشر بن عبدالله بن أبي بكرة فقال: ما يجلسك ههنا؟ قلت: خصومة بيني وبين ابن عم لي، فقال: إن لأبيك عندي يداً وإني أريد أن أجزيك بها وإني والله ما رأيت شيئاً أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة، قال: فقمت لأنصرف فقال لي خصمي: ما لك؟ قلت: لا أخاصمك، قال: إنك عرفت أن الحق لي، قلت: لا ولكن أكرم نفسي عن هذا، قال: فإني لا أطلب منك شيئاً هو لك.

**لكنه يتبادر إلى الذهن سؤال:** بعض الخصومات تنتج من حقوق فِعْلِيَّةٍ لدى بعض الناس؟ فكيف يذم وهو صاحب حق؟

**فيقال:** إن هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فإنه قبل أن يتعرف أن الحق في أي جانب يتوكل في الخصومة من أي جانب كان فيخاصم بغير علم ويتناول الذي يطلب حقه

ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يُظهِر اللدد في الخصومة على قصد التسلط أو على قصد الإيذاء ويتناول الذي يحمله على الخصومة فحظُ العناد تعهد الخصم وكسره مع أنه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح به ويقول: إنما قصدي عناده وكسر عرضه وإني إن أخذت منه هذا المال ربما رميت به في بئر ولا أبالي وهذا مقصوده اللدد والخصومة واللجاج وهو مذموم جداً.

**فأما المظلوم** الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد وإيذاء، فليس بحرام ولكن الأَوْلَى تركه ما وجد إليه سبيلاً فإن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر، والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب بقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه.

**ومن هنا كانت الخصومة من نتاج الحسد وتابعة له،** ويمكن أن تكون مسببة له، فإن الغضب يؤدي إلى الحقد ثم الحسد الذي هو الكراهة والشر، فإن أوى إلى الخصومة واللجاج فهذا قليل، فإنه يؤدي إلى أكثر من ذلك، والله تعالى أعلم.

## المبحث الخامس
## البخل

**قال الله تعالى:** ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1] وقال: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾[2]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ﴾ [النساء: ٣٧].

**وقال ﷺ: «إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن**

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٩، وسورة التغابن، الآية: ١٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٠.

**سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[1].**

**وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة بخيل ولا خب خائن ولا سيء الملكة»[2].**

**وقال ﷺ: «مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما إلى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق شيئاً إلا سبغَتْ أو وَفَرَتْ على جِلْدِهِ حتى تخفي بنانه، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى أخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع»[3].**

**وقال ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر»[4].**

**وقال ﷺ: «إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وإياكم والفحش إن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش، وإياكم والشح فإنما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا»[5].**

**قال ابن عباس رضي الله عنهما:** لما خلق الله جنة عدن قال لها: تزيني فتزينت، ثم قال لها: أظهري أنهارك فأظهرت السلسبيل وعين الكافور، وعين التسنيم متفجر منها في الجنان أنهار الخمر وأنهار العسل واللبن، ثم قال لها: أظهري سرورك وجمالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عِينك، فأظهرت، فنظر إليها فقال: تكلمي فقالت: طوبى لمن دخلني، فقال الله تعالى: «وعزتي وجلالي لا أسكنك بخيلاً».

---

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر.

(٢) أخرجه أحمد والترمذي وحسنه من حديث أبي بكر واللفظ الأصل دون قوله: **«ولا منان»** فهي عند الترمذي، وله ولابن ماجة **«ولا يدخل الجنة سيء الملكة»**.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة.

(٤) أخرجه البخاري من حديث سعد.

(٥) أخرجه الحاكم من حديث عبدالله بن عمرو دون قوله: **«أمرهم بالكذب...»** الحديث ورواه أبو داود مقتصراً على ذكر الشح.

**وقالت أم البنين أخت عمر بن عبدالعزيز**: أفٍ للبخيل لو كان البخل قميصاً ما لبسته، ولو كان طريقاً ما سلكته.

**وقال طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه**: إنا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء لكننا نتصبر.

**وقال محمد بن المنكدر**: كان يقال: إذا أراد الله بقوم شراً أمر عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي بخلائهم.

**وقال علي بن أبي طالب** رضي الله عنه في خطبته: إنه سيأتي على الناس زمان عضوض يعض الموسر على ما في يده ولم يؤمر بذلك، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

**ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام إبليس في صورته** فقال له: يا إبليس أخبرني بأحب الناس إليك؟ وأبغض الناس إليك؟ قال: أحب الناس إلي المؤمن البخيل، وأبغض الناس إلي الفاسق السخي، قال له: لمَ؟ قال: لأن البخيل قد كفاني بخله، والفاسق أتخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول: لولا أنك يحيى لما أخبرتك.

**وبهذا يتضح لك ذم البخل** الذي هو خصلة توجب الأمراض بين الناس وتنتشل الرأفة من قلوبهم، ولا شك أن الحاسد لا يؤثر محسوده بل يبخل عليه إن وجده محتاجاً، فهو نتاج وتابع للحسد لا شك، والله تعالى أعلم بالصواب.

## المبحث السادس
## الذم الفاضح والسب

**لا يصح أن يكون المؤمن ذاماً ولا لعاناً ولا فاضحاً**، والناظر إلى الحاسد نجده أكثر وأعلى مرتبة من هذا بكثير، لذا فإن هذه التوابع التي يخلفها الحاسد من الذم في محسوده وسبه ولعنه قليلة إذا قيست على ما يضمره لنا من الحقد والكراهية.

**قال ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الغاص ولا البذيء»**[1].

**وقال ﷺ: «البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق»**[2].

**وعلق الشيخ الغزالي في الإحياء قائلاً:** (ويحتمل أن يراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه، ويحتمل أيضاً المبالغة في الإيضاح حتى ينتهي إلى حد التكلف، ويحتمل أيضاً البيان في أمور اليد وفي صفات الله تعالى فإن إلقاء ذلك مجملاً إلى أسماع العوام أولى من المبالغة في بيانه إذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس فإذا أجملت بادرت القلوب إلى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقروناً بالبذاء يشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يستحي الإنسان من بيانه فإن الأولى في مثله الإغماض والتغافل دون الكشف والبيان)[3].

**وقال ﷺ: «إن الله لا يحب الفاحش المتفحش الصيَّاح في الأسواق»**[4].

**وقال جابر بن سمرة:** كنت جالساً عند النبي ﷺ وأبي أمامي فقال ﷺ: **«إن الفحش والتفاحش ليسا من الإسلام في شيء، وإن أحسن الناس إسلاماً أحاسنهم أخلاقاً»**[5].

**وقال إبراهيم بن ميسرة:** يقال: يؤتى بالفاحش المتفحش يوم القيامة في صورة كلب أو في جوفه كلب.

---

(١) أخرجه الترمذي بإسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال: حسن غريب، والحاكم وصححه.

(٢) أخرجه الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه على شرطهما.

(٣) الإحياء (١١٨/٣).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث جابر بسند ضعيف لكن للطبراني من حديث أسامة: **«إن الله لا يحب الفاحش والمتفحش»**. وإسناده جيد.

(٥) الحديث أخرجه أحمد وابن أبي الدنيا بإسناد صحيح.

**وقال الأحنف بن قيس**: ألا أخبركم بأدوأ الداء: اللسان البذيء، والخلق الدني، **فهذه مذمة الفحش**.

**فأما حده وحقيقته فهو**: التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة، وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به، فإن لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه، وأهل الصلاح يتحاشون عنها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يقاربها ويتعلق بها.

**قال ابن عباس**: إن الله حيي كريم يعفو ويكني باللمس عن الجماع، فاللين واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة، وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل أكثرها في الشتم والتعبير، وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها أفحش من بعض، وربما اختلف ذلك بعادة البلاد وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها.

**أما السب واللعن** فهما مذمومان حتى ولو كانا لحيوان أو جماد، فقد قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن ليس بلعان**»[1].

**وقال** ﷺ: «**لا تلاعنوا بلعنة الله، ولا بغضبه ولا بجهنم**»[2].

**قال أنس**: كان رجل يسير مع رسول الله ﷺ فلعن دابته فقال رسول الله ﷺ: «**يا عبدالله لا تسر معنا على بعير ملعون**»[3].

**وعلق الشيخ الغزالي قائلاً**: (قال ذلك إنكاراً عليه، واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى وذلك غير جائز إلا على من اتصف بصفة تبعده من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بأن يقول: لعنة الله على الظالمين، وعلى الكافرين، وينبغي أن يتبع فيه لفظ الشرع، فإن في اللعنة خطراً لأنه حكم على الله عز وجل بأنه قد أبعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى، ويطلع عليه رسول الله ﷺ إذا أطلعه عليه.

---

(١) أخرجه الترمذي وحسنه من حديث ابن عمر.

(٢) أخرجه الترمذي وأبو داود من حديث سمرة بن جندب قال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد جيد.

**والصفات المقتضية للعن ثلاثة**: الكفر والبدعة والفسق.

**واللعن في كل واحدة ثلاث مراتب**:

**الأولى**: اللعن بالوصف الأعم كقولك: «لعنة الله على الكافرين والمبتدعين والمنشقين».

**الثانية**: اللعن بأوصاف أخص منه كقولك: «لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض أو على الزناة والظلمة وآكلي الربا» وكل ذلك جائز ولكن في لعن أوصاف المبتدعة خطر لأن معرفة البدعة غامضة ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغي أن يمنع منه العوام لأن ذلك يستدعي مِثْلَهُ ويثير نزاعاً بين الناس وفساداً.

**الثالثة**: اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك: «زيد لعنه الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع».

**والتفصيل فيه** أن كل شخص ثبتت لعنته شرعاً تجوز لعنته كقولك: «فرعون لعنه الله وأبو جهل لعنه الله» لأنه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعاً أما شخص بعينه في زماننا كقولك: «زيد لعنه الله وهو يهودي مثلاً فهذا فيه خطر فإنه ربما يسلم فيموت مقرباً عند الله فكيف يحكم بكونه ملعوناً»[1].

**ومما يذكر في شأن الحسد وأماكن وقوعه**:

**عن أبي عبيدة معمر بن المثنى** قال: مر قيس بن زهير ببلاد غطفان فرأى ثروة وعدداً فكره ذلك فقيل له: أيسوءك ما يسر الناس؟ قال: إنك لا تدري إن مع النعمة والثروة: التحاسد والتخاذل وإنه مع القلة التحاشد والتناصر.

قال: وكان يقال: ما أثري قوم إلا تحاسدوا وتجادلوا.

**وقال بعض الحكماء**: ألزم الناس كآبة أربعة: رجل حديد، ورجل

---

(١) الإحياء (٣/١٢٠).

حسود، وخليط الأدباء وهو غير أديب، وحكيم محضر لدى الأقوام.

**قال رجل من قريش:**

حسدوا النعمة لما ظهرت فرموها بأباطيل الكلم
وإذا ما الله أسدى نعمة لم يضرها قول أعداء النعم

**قال طبيب الكائي:**

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

**قال: خرج ابن سلامة ومعه أمية بن أبي الأسكر** على ابن عم له فقال:

نشدتك بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من لؤي بن غالب
فإنك قد جربتني فوجدتني أغنيك في الجلي وأكفيك جانبي
وإن دب من قوم إليك عداوة عقاربهم دبت إليهم عقاربي

قال: نعم، كذلك أنت، قال: فما بال مثيرك لا يزال إلي دسياً؟ قال: لا أعود، قال: قد رضيت وعفا الله عما سلف.

**وقيل لعطاء بن مصعب**: كيف غلبت على البرامكة وكان عندهم من هو آدب منك؟ قال: كنت بعيد الدار منهم، غريب الاسم، عظيم الكبر، صغير الجرم، كثير الالتواء، فقربني إليهم تباعدي منهم، ورغبهم فيّ رغبتي عنهم، وليس للقرباء ظرفة الغرباء.

**وقال ذو الأصبع العدواني:**

أزري بنا أننا شالت نعامتنا فخالني دونه أدخلته دوني
يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي أخبرك حتى تقول الهامة اسقوني
ماذا علي وإن كنتم ذوي رحمي ألا أحبكم إن لم تحبوني

**وقال آخر:**

مهلاً بني عمنا مهلاً توالينا | لا تنشروا بيننا ما كان مدفونا
لا تطمعوا إن تهينونا ونكرمكم | وإن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
الله يعلم أنا لا نحبكم | ولا نلومكم إن لم تحبونا

**وقال آخر:**

ولقد سبرت الناس ثم خبرتهم | ووصفت ما وصفوا من الأسباب
فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً | وإذا المودة أقرب الأنساب

**ومما يؤدي إليه الحسد: الوشاية:**

**ففي سير العجم**: أن رجلاً وشى برجل إلى الإسكندر فقال: أتحب أن نقيل منه عليك ومنك عليه؟ قال: لا، قال: فكف عن الشر يكف عن الشر.

**وقال الشاعر:**

إذا الواشي بغى يوماً صديقا | فلا تدع الصديق لقول واش

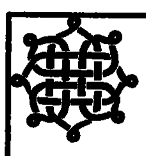
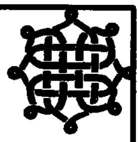
**وقال ذو الرياستين**: قبول النميمة شر من النميمة لأن النميمة دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شيء كمن قبله وأجاز.

**ومنه الفساد الحادث للإخوان:**

**فإن قيل**: الفساد الحادث للإخوان عام لا دخل له بالحسد؟

**قيل**: **بل الحسد الشر كله**، والشر يولد الشرور، فالحسد يولد الفساد أو إن عم الفساد ولد حسداً بالطبع، ودليل ذلك من قول عروة بن الزبير حينما قال له: ألا تنتقل إلى المدينة؟ قال: ما بقي بالمدينة إلا حاسد على نعمة، أو شامت بمصيبة.



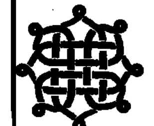
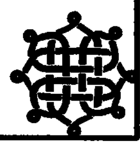
# الباب الثاني
# ماذا نعني بتحاسد العلماء

الفصل الأول: تاريخ الحسد

الفصل الثاني: أسباب تحاسد العلماء

الفصل الثالث: ما يلحق بتحاسد العلماء

الفصل الرابع: موقف المسلم من تحاسد العلماء



# الباب الثاني
# ماذا نعني بتحاسد العلماء

**مقصودنا في هذا الكتاب** من تحاسد العلماء هو بيان بعض الدوافع التي تحمل بعض العلماء على الكلام في بعضهم البعض، ويكون هذا الكلام ليس متمحضاً للحق، بل تشوبه شائبة، يمكن أن نسقطه أو بعضه حيث إنه لا يعكس صورة صحيحة عن هذا العلم أو ذاك...

**ولو قبلنا كلام كل واحد في الآخر** لما بقي لنا عالم نعتز به، بل ولا بقي لنا عالم نتبعه، فإن الغاية من زادت حسناته على زلاته، بل لا يوجد من لا يخطىء أو يذنب، والمعصوم من عصمه الله جل وعلا..

**وأبين في هذا الباب أن الذي أعنيه من تحاسد العلماء**: ما وجد لهم من كلام في آخرين لم يكن هذا الكلام في الجملة له وجه الحق أو ثوب الإصابة، بل تشوبه شائبة تمنع من قبوله، وحسد خفي يبعد عن أخذه، والحمد لله على كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل النار.

**وقد قدمت بمقدمة مختصرة لطيفة في تاريخ الحسد** لأن ما بعده تابع له، وقد حصل لي في هذا الباب أربعة فصول:

**الفصل الأول**: تاريخ الحسد.

**الفصل الثاني**: أسباب تحاسد العلماء.

**الفصل الثالث**: ما يلحق بتحاسد العلماء.

**الفصل الرابع**: موقف المسلم من تحاسد العلماء.

# الفصل الأول:
# تاريخ الحسد

قبل الخوض في أسباب التحاسد الواقع بين العلماء وطلبة العلم لا بد من توضيح لتاريخ الحسد فإن ذلك أحرى أن يبعد المسلم عن هذا الخلق الذميم، وذلك الداء العضال.

**وأول حسد كان حسد إبليس لآدم:**

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: ٣٠ ـ ٣٦].

**وقد سأل الله تعالى** ـ وهو أعلم ـ عن السبب الذي منعه من السجود إذ أمره، فاحتج بأنه أفضل من آدم الذي خلقه من صلصال من حمأ مسنون، وأن من الظلم أن يخلق هو من عنصر النار الذي هو أشرف من الطين ثم يؤمر بالسجود لهذه الكتلة، ونسب الله تعالى إلى الظلم وأبدى غاية التكبر، فأعلمه الله أنه من أهل النار لاستكباره، وبأنه مطرود من الجنة لذلك السبب وهو الكبر ونسبة الظلم إلى الله.

**ونحن نعرف أن هذا النوع من الكبر من أسباب الحسد.**

**قال الله تعالى:** ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن

نَارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الأعراف: ١٢ ـ ١٣].

**وفي الحجر**: ﴿قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ [الحجر: ٣٢ ـ ٣٥].

## قابيل وهابيل:

**قال الله تعالى**: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة: ٢٧ ـ ٣١].

**عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة**: أن آدم كان يُزَوِّجُ كل بطن بأنثى الآخر وأن هابيل أراد أن يتزوج بأخت قابيل، وكان أكبر من هابيل وأخت قابيل أحسن، فأراد قابيل أن يستأثر بها على أخيه، وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى، فأمرهما أن يقربا قرباناً، وذهب آدم ليحج إلى مكة، واستحفظ السماوات على بنيه فأبين، والأرضين والجبال فأبين، فتقبل قابيل بحفظ ذلك[1].

**فلما ذهبا قربا قربانهما**، فقرب هابيل جذعة سمينة، وكان صاحب غنم، وقرب قابيل حزمة من زرع من رديء زرعه، فنزلت نار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل، فغضب وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي، فقال: إنما يتقبل الله من المتقين.

---

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية «قصة قابيل وهابيل».

**أما قوله لما توعده بالقتل:** ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فقد دل على خلق حسن، وخوف من الله تعالى وخشية منه، وتورع أن يقابل أخاه بالسوء الذي أراد منه أخوه مثله.

**ولهذا ثبت في الصحيحين عن** رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**» قالوا: يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان حريصاً على قتل صاحبه**»[(١)].

وقوله: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ أي: إني أريد ترك مقاتلك وإن كنت أشد منك وأقوى، إذ قد عزمت على ما عزمت عليه، حتى تبوء بإثمي وإثمك، أي: تتحمل إثم قتلك مع ما لك من الآثام المتقدمة قبل ذلك، قاله مجاهد والسدي وابن جرير وغير واحد.

**قال ابن كثير معلقاً:** (وليس المراد أن آثام المقتول تتحول بمجرد قتله إلى القاتل كما توهم بعض الناس، فإن ابن جرير حكى الإجماع على خلاف ذلك.

وأما الحديث الذي يورده بعض من لا يعلم عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما ترك القاتل على المقتول من ذنب**»[(٢)] فلا أصل له، ولا يعرف في شيء من كتب الحديث بسند صحيح ولا حسن ولا ضعيف أيضاً.

**ولكن قد يتفق في بعض الأشخاص يوم القيامة،** أن يطالب المقتول

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة وأحمد في مسنده.

(٢) أورده السخاوي في المقاصد الحسنة، وقال ابن كثير في تاريخه: إنه لا يُعرف له أصلٌ، ورواه العجلوني في كشف الخفا وقال: قال الحافظ ابن حجر في اللآلىء: هو حديث لا يُعرف له أصلٌ ولا بإسناد ضعيف، ومعناه صحيح، كما أخرجه ابن حبان عن عمر رفعه بلفظ: «**إن السيف محّاء للخطايا**»، وللعقيلي عن أنس رفعه: «**لا يمر السيف بذنب إلا محاه**» وقال: وليس له أصل يثبت. انظر كشف الخفا (٢٥٨/٢، ٢١٠٠).

القاتل فتكون حسنات القاتل لا تفي بهذه المظلمة فتحول من سيئات المقتول إلى القاتل، كما ثبت في الحديث الصحيح في سائر المظالم، والقتل من أعظمها والله أعلم)[1].

وقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِيۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾.

**ذكر بعضهم أنه لما قتله حمله على ظهره سنة،** وقال آخرون: حمله مائة سنة، ولم يزل كذلك حتى بعث الله غرابين.

**قال السدي بإسناده عن الصحابة:** أخوين، فتقاتلا فقتل أحدهما الآخر، فلما قتله عمد إلى الأرض يحفر له فيها ثم ألقاه ودفنه وواراه، فلما رآه يصنع ذلك قال: يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي، ففعل مثل ما فعل الغراب فواراه ودفنه.

**وذكر أهل التواريخ والسير** أن آدم حزن على ابنه هابيل حزناً شديداً، وأنه قال في ذلك شعراً، وهو قوله فيما ذكره ابن جرير عن ابن حميد:

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم ... وقل بشاشة الوجه المليح

فأجيب آدم:

أبا قابيل قد قتلا جميعا ... وصار الحي كالميت الذبيح
وجاء بشر ما قد كان منا ... على خوف فجاء بها يصيح

**وهذا الشعر فيه نظر،** وقد يكون آدم عليه السلام قال كلاماً يتحزن به بلغته، فألفه بعضهم إلى هذا، وفيه أقوال والله أعلم.

**وقد ذكر مجاهد أن قابيل يوم قتل أخاه،** فعَلِقَتْ ساقه إلى فخذه،

---

(١) البداية والنهاية، وانظر قصص الأنبياء (٥٣).

وجُعل وجهه إلى الشمس كيفما دارت، تنكيلاً به وتعجيلاً لذنبه وبغيه وحسده لأخيه لأبويه.

وقد جاء في **الحديث** عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم»**[(1)].

**وبهذا أثبت أن ما حدث لابني آدم إنما كان بسبب الحسد**، حسد أخاه فقتله.

**ووعظ بعض الأئمة بعض الأمراء فقال:**

**إياك والكبر** فإنه أول ذنب عصي الله تعالى به، ثم قرأ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾[(2)].

**وإياك والحرص** فإنه أخرج آدم من الجنة أسكنه الله جنة عرضها السماوات والأرض يأكل فيها إلا شجرة واحدة نهاه عنها، فمن حرصه أكل منها فأخرجه الله من الجنة، ثم قرأ: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا﴾ [طه: ١٢٣].

**وإياك والحسد** فإنه الذي حمل ابن آدم أن يقتل أخاه حين حسده، ثم قرأ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧].

**وقيل**: كان السبب أيضاً في قتله له أن زوجته أخت القاتل كانت أجمل من زوجة القاتل أخت المقتول لأن حواء ولدت لآدم عشرين بطناً في

---

(١) رواه أبو داود في سننه، والترمذي في سننه وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة في سننه، وأحمد في المسند، ورواه البخاري في الأدب المفرد، والسيوطي في الفتح الكبير وقال: رواه أحمد والبخاري في الأدب والمفرد وابن ماجة وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك والطبري عن أبي بكرة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

كل بطن اثنين ذكر وأنثى، فكان آدم صلى الله وسلم على نبينا وعليه، يزوج أنثى كل بطن لذكر بطن آخر لا لذكر بطنها، فلما رأى قابيل أن زوجة هابيل أجمل حسده عليها حتى قتله، ومن جملة ما قاله له أيضاً: وإذا ذكر أصحاب رسول الله ﷺ فاسكت، وإذا ذكر القدر فاسكت، وإذا ذكرت النجوم فاسكت.

## يوسف عليه السلام:

**وما حدث ليوسف الصديق ليس ببعيد عن الأفهام** لمن يتدبر آي الذكر الحكيم، فقد كان يوسف عليه السلام صغيراً عند أبيه، وكان جميل الصورة أثيراً عنده يخصه أبوه بعظيم محبته، وقد كان ذلك سبباً كافياً لحقد إخوته عليه، وسبباً أيضاً في محنته التي تعرض لها من بعد، والتي كانت سبباً ثالثاً في خير وفير وبركة على أهل مصر والقرى القريبة منها.

**قال الله تعالى:** ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾[1].

**قال المفسرون وغيرهم:** رأى يوسف عليه السلام وهو صغير قبل أن يحتلم، كَأَنَّ أحد عشر كوكباً، وهم إشارة إلى إخوته، والشمس والقمر وهما عبارة عن أبويه قد سجدوا له، فهاله ذلك.

**فلما استيقظ** قصها على أبيه، فعرف أبوه أنه سينال منزلة عالية ورفعة عظيمة في الدنيا والآخرة، بحيث يخضع أبوه وإخوته له فيها، فأمره بكتمانها وأن لا يقصها على إخوته، كيلا يحسدوه ويبغوا له الغوائل ويكيدوه بأنواع الحيل والخداع، وتفيد عبارة التوراة أن ذلك كان بحضرة إخوته وأن أباه

---

(١) سورة يوسف، الآيات: ٤ ـ ٦.

انتهره على هذا القول، وقال: لعلنا نسجد لك أنا وأمك وإخوتك متهكماً، وما في القرآن هو الحق.

**رأى أبناء يعقوب** من إدناء أبيهم ليوسف وحدبه عليه ما لم يكن منه لواحد منهم فغاظهم ذلك، وهم في سن الشباب وطي الحداثة، فأضمروا له الشر، فقالوا لأبيهم: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۝١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝١٢﴾[1] وكأن يعقوب قد أحس الشر الذي يضمره بنوه لأخيهم ولم يشأ أن يعلمهم بتخوفه جانبهم فقال: ﴿إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ﴾[2] ثم ترقى في تعليل ظنه به قائلاً: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ﴾[3] والله يعلم أنه يتخوف عدوانهم على ولده أكثر مما يتخوف من عدوان الذئب.

**لم يَحِرْ أبناء يعقوب بجواب**، بل أجابوا جواباً لا يبقي له علة يتشبث بها، فقالوا: ﴿لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾[4] وهنا تخالف التوراة القرآن في هذه القصة وتقول: إن يعقوب هو الذي أرسل يوسف مع إخوته من تلقاء نفسه ليذهب إليهم في المرعى ثم يعود ويطالعه بأحوالهم، وكانوا قد أبعدوا فلما جاء وعليه قميص مخطط، قد حباه به والده، قالوا: قد جاء صاحب الأحلام لابس البجاد والمخطط، ثم ائتمروا به ما يصنعون؟ ثم انتهوا إلى أن يلقوه في الجب بعد أن يعروه من قميصه ولا يسفكوا دمه، وأن يخبروا أباهم بأن مفترساً افترسه.

**والقرآن على أنهم تسلموه من يد أبيهم**: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ﴾[5] ثم ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ۝١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ﴾ أي في النضال بالسهام ﴿وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ

---

(١) سورة يوسف، الآيتان: ١١، ١٢.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٣.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٣.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٤.

(٥) سورة يوسف، الآيات: ١٥ ـ ١٧.

ٱلذِّئْبُ ﴾[1].

**ولما كان المريب يشعر في نفسه بالتهمة** ويتخيل أن كل واحد قد اطلع على خبيئة أمره قالوا لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾[2] فلم يخف عليه شأنهم ـ وكان كمهرة المحققين في القضايا أيامنا هذه ـ فأخذ القميص، ولما لم يجد به تمزيقاً ولا قطعاً قال لهم متهكماً: ما أحلم هذا الذئب الذي افترس ولدي ولم يمزق عليه قميصه ولم يعمل في قميصه ناباً ولا ظفراً، وقال لهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[3].

**بعد أن ترك يوسف في الجب** «البئر» وكانت قليلة الماء جاءت سيارة «قافلة» ﴿فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ﴾[4] في الجب فتعلق به يوسف، فلما نزع الدلو يحسبها قد امتلأت ماء فإذا غلام وسيم تعلق بها فاستبشر الرجل وقال: ﴿يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ﴾[5] ويقول المفسرون: إن الذين كانوا على الماء ادعوا في القافلة أنهم اشتروه من سادته، وأسروه بضاعة حتى وردوا إلى مصر.

﴿وَشَرَوْهُ ﴾ أي باعوه ﴿بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾[6]، وكثير من الناس يقولون: إن إخوته هم الذين انتشلوه من الجب وباعوه للسيارة، وعبارة التوراة لا تساعدهم، ونظم القرآن لا يساعد على ذلك، لأنه ذكر السيارة وواردهم، ولم يعد إلى ذكر إخوة يوسف في هذا المقام.

**والذي في التوراة:** أن إخوة يوسف ألقوه في الجب وجلسوا للطعام،

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٧.
(٢) سورة يوسف، الآية: ١٨.
(٣) سورة يوسف، الآية: ١٨.
(٤) سورة يوسف، الآية: ١٩.
(٥) سورة يوسف، الآية: ١٩.
(٦) سورة يوسف، الآية: ٢٠.

ورأوا قافلة من الإسماعيليين تقصد مصر ومعهم الكثيراء والبلسان والطيب، وجاءت قافلة أخرى من المديانيين نجوا يوسف من الجب وباعوه للإسماعيليين، وأن هوذا أشار على إخوته ألا يتركوا يوسف في الجب وأن يبيعوه، ولما جاء إلى الجب لم يجد يوسف فمزق ثيابه وبكى، وهذا كله ينفي ما اشتهر من أنهم باعوه[١].

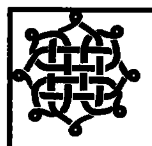
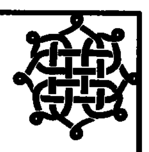
**وهكذا فإن يوسف عليه السلام الممتحن** قد أصيب بالحسد من جراء اختصاص والده له وقربه منه، وكثرة عطفه.

**وهذا إنما يوضح ما للحسد من آثار سيئة** حتى إنه يستطيع أن يفرق بين أخ وأخيه، وبين الكبار وأخيهم الصغير الذي يرجى منه الخير والصلاح بل والنبوة لأن أباهُ كان نبياً فلا يبعد أن يوحى إليه هو الآخر دونهم ويكون نبياً.

**لكنهم لم يرضوا بحكم الله** ووضع يوسف قريباً من أبيه فغاروا واشتدت غيرتهم وعظم غضبهم وارتفع لهيب نيرانٍ ملأت قلوبهم **فحسدوا يوسف على ما هو عليه، فكادوا له، ودبروا ما دبروا.**

---

(١) قصص الأنبياء للشيخ عبدالوهاب النجار (١٢٢) دار القلم للتراث بالقاهرة.

# الفصل الثاني:
# أسباب تحاسد العلماء

هذا الباب هو لب القصيد، وأس البنيان، فإنه إذا عرف سبب الداء، أمكن معالجته بالدواء، وإذا عرفت العلة أمكن مداواتها بالترياق.

وأسباب تحاسد العلماء كثيرة ولعل من أهمها:

١ ـ تنافس الأقران.

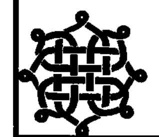
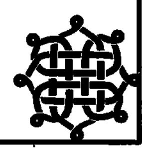
٢ ـ الهوى والغرض وحب الدنيا.

٣ ـ الاختلاف المذهبي الفقهي.

٤ ـ الاختلاف في العقيدة.

ويدخل في هذا الأخير الخلاف بين الصوفية وغيرهم.

وقد جمعت في ذلك عدة قصص وأخبار، وفيما يلي بيان ذلك.



## المبحث الأول
## تنافس الأقران

**يكثر الحسد بين قوم** تنتشر بهم أسبابه السالفة، ولكن يكون أكثر انتشاراً بين جماعة تجتمع فيها هذه الأسباب وتتظاهر إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه قد يمتنع عن قبول التكبر، ولأنه يتكبر ولأنه عدو ولغير ذلك من الأسباب:

**وهذه الأسباب** إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الأغراض، فإذا خالف واحد منهم صاحبه في غرض من الأغراض نفر طبعه عنه وأبغضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد أن يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرض ويكره تمكنه من النعمة التي توصله إلى أغراضه وتترادف جملة من هذه الأسباب إذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنائيتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين، نعم، إذا تجاوروا في مسكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد تواردوا على مقاصد تتناقض فيها أغراضها فيثور التناقض والتنافر والتباغض ومنه تثور بقية أسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد، والعابد يحسد العابد دون العالم، والتاجر يحسد التاجر بل الإسكاف يحسد الإسكاف، ولا يحسد البزاز لا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة، ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب، والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته لأن مقصد البزاز

غير مقصد الإسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد إذ مقصد البزاز الثروة وإنما ينازعه فيها بزاز آخر.

**ومن هنا جاء تحاسد العلماء،** فالعالم يحب أن تكون له مكانته العلمية لا ينازعه فيها غيره، ولا يحاكيه غيره، ولا يستفتى غيره، فإذا زاحم فريق له عالم يجلس له ويتوجه إليه، ويستفتي فإن ذلك منازعة له، فيتحاسد العلماء.

**قال الشيخ الغزالي:** وأصل العداوة التزاحم بينهما على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهما.

**نعم، من اشتد حرصه على الجاه،** وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه، فإنه يحسد كل من هو في العالم، وإن بعد ممن يشاركه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا، فإن الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين.

**أما الآخرة فلا ضيق فيها،** وإنما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوت سماواته وأرضه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضاً لأن المعرفة لا تضيق عن العارفين بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم ويفرح بمعرفته ويتلذذ به ولا تنقص لذة واحدة بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس وثمرة الاستفادة والإفادة، فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لأن مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله ولا ضيق أيضاً عند الله تعالى لأن أجل ما عند الله سبحانه من النعيم: لذة لقائه وليس فيها ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الأنس بكثرتهم، نعم إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لأن المال أعيان وأجسام وإذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر.

**ومعنى الجاه ملك القلوب،** ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص عنده لا محالة فيكون ذلك سبباً

للمحاسدة، وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يمتلىء قلب غيره بها وأن يفرح بذلك، والفرق بين العلم والمال أن المال لا يحل في يد ما لم يرتحل ممن قبله والمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلو ملك الإنسان جميع ما في الأرض لم يبقَ بعده مال يمتلكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه وصار ذلك ألذ عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعاً منه ولا مزاحماً فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق لأن غيره أيضاً لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فإن نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يأمن زوالها وهو أبداً يجني ثمارها، فهو بروحه وقلبه معتز بفاكهة علمه، وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة، بل قطوفها دانية؛ فهو وإن أغمض العين الظاهرة، فروحه أبداً ترتع في جنة عالية ورياضٍ زاهرة، . . . فالعارفون لذا لم يكونوا متحاسدين، بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾[(١)].

**فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا**، فماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى؟! إذن لا يتصور أن يكون في الجنة محاسدة ولا يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لأن الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة فيها ولا تنال إلا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضاً، فأهل الجنة بالضرورة براء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعاً.

**بل الحسد من صفات المبعدين** عن سعة عليين إلى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان الرجيم وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتباء، ولما دعي إلى السجود استكبر وأبى وتمرد وعصى، فقد عرفت أنه لا حسد إلا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٧.

ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الأرض وكل الأرض لا وزن لها بالإضافة إلى السماء، ولكنَ السماء لسعة الأقطار وافية بجميع الأبصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلاً، فعليك إن كنت بصيراً وعلى نفسك مشفقاً أن تطلب نعمة لا زحمة فيها ولذة لا كدر لها، ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وأفعاله وعجائب ملكوت السموات والأرض، ولا ينال ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضاً.

**فإن كنت لا تشتاق إلى معرفة الله تعالى**، ولم تجد لذتها وفتر عنك رأيك وضعفت فيك رغبتك فأنت في ذلك معذور إذ العنين لا يشتاق إلى لذة الوقاع والصبي لا يشتاق إلى لذة الملك، فإن هذه لذات يختص بإدراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين، فكذلك لذة المعرفة يختص بإدراكها الرجال: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1]، ولا يشتاق إلى هذه اللذة غيرهم لأن الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ولم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل السافلين.

**قال الله تعالى**: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦﴾[2].

**ومن الأمثلة على تنافس الأقران** وإن كان المذهب الفقهي والعقدي ليس مختلفاً، أو ليس فيه ما يوجب التحاسد ما يلي:

### * جاء في ترجمة محمد بن عبدالرحمٰن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان شمس الدين السخاوي الأصل القاهري الشافعي:

**قال الشوكاني**:

---

(1) سورة النور، الآية: ٣٧.

(2) سورة الزخرف، الآية: ٣٦.

**لو لم يكن لصاحب الترجمة من التصانيف إلا الضوء اللامع** لكان أعظم دليل على إمامته فإنه ترجم فيه لأهل الديار الإسلامية وسرد في ترجمة كل أحد محفوظاته ومقروآته وشيوخه ومصنفاته وأحواله ومولده ووفاته على نمط حسن وأسلوب لطيف ينبهر له من لديه معرفة بهذا الشأن ويتعجب من إحاطته بذلك وسعة دائرته في الاطلاع على أحوال الناس فإنه قد لا يعرف الرجل لا سيما في ديارنا اليمنية جميع مسموعات ابنه أو أبيه أو أخيه فضلاً عن غير ذلك ومن قرن هذا الكتاب الذي جعله صاحب الترجمة لأهل القرن التاسع بالدرر الكامنة لشيخه ابن حجر في أهل المائة الثامنة قد عرف فضل مصنف صاحب الترجمة على مصنف شيخه بل وجد بينهما من التفاوت ما بين الثرى والثريا؟؟ ولعل العذر لابن حجر في تقصيره عن تلميذه في هذا أنه لم يعش في المائة الثامنة إلا سبعاً وعشرين سنة بخلاف صاحب الترجمة فإنه عاش في المائة التاسعة تسعاً وستين سنة فهو مشاهد لغالب أهله وابن حجر لم يشاهد غالب أهل القرن الثامن ثم إن صاحب الترجمة لم يتقيد في كتابه بمن مات في القرن التاسع بل ترجم لجميع من وجد فيه ممن عاش إلى القرن العاشر، وابن حجر لم يترجم في الدرر إلا لمن مات في القرن الثامن **وليت صاحب الترجمة صان ذلك الكتاب الفائق عن الوقيعة في أكبر العلماء** من أقرانه، ولكن ربما كان له مقصد صالح وقد غلبت عليه محبة شيخه الحافظ ابن حجر فصار لا يخرج عن غالب أقواله كما غلبت على ابن القيم محبة شيخه ابن تيمية وعلى الهيثمي محبة شيخه العراقي[1].

**وقال الشوكاني أيضاً** في ترجمة محمد بن محمد بن عبدالله: وقد ترجمه **السخاوي ترجمة طويلة كلها سب وشتم كعادته في أقرانه** ومن أعجب ما رأيته فيها من التعصب أنه قدح في مؤلفاته ثم قال إنه ما رآها؟؟، وهذا غريب ولكنه قد أبان العلة في آخر الترجمة فقال: وبالجملة فهو ممن فيه **رائحة الفن** بل هو من قدماء الأصحاب وأحد العشرة الذين ذكرهم شيخنا يعني ابن حجر في وصيته **وإن فعل معي ما أرجو أن يجازى بمقصده**

(١) البدر الطالع ج ٢ ص ١٨٤.

عليه[1].

*** جاء في ترجمة عبدالرحمٰن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن منده:**

**قال ابن رجب:**

**ذكره أبو الحسين وابن الجوزي في طبقات الأصحاب في آخر المناقب.**

**وترجمه ابن الجوزي في تاريخه،** فقال: ولد سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة، وسمع أباه وأبا بكر بن مردويه، وخلقاً كثيراً، وكان كثير السماع كبير الشأن، سافر في البلاد، وصنف التصانيف وخرج التخاريج، وكان ذا وقار وسمت واتباع . . .، وكان متمسكاً بالسنة معرضاً عن أهل البدع، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر لا يخاف في الله لومة لائم.

**وكان سعد بن محمد الزنجاني يقول:** حفظ الله الإسلام برجلين، أحدهما بأصبهان والآخر بهراة، عبدالرحمٰن بن منده، وعبدالله الأنصاري.

**وقال ابن السمعاني:**

**كان كبير الشأن جليل القدر كثير السماع،** واسع الرواية، سافر إلى الحجاز، وبغداد وخراسان وصنف التصانيف.

**وقال القاضي أبو الحسين:** لم يكن في عصره وبلده مثله، في ورعه وزهده وصيانته، وحاله أظهر من ذلك، وكانت بينه وبين الوالد السعيد مكاتبات.

**وقال أبو عبدالله الدقاق الحافظ:**

**فضائل ابن منده ومناقبه أكثر من أن تعد** إلى أن قال: ومن أنا لنشر فضله؟ كان صاحب خلق وفتوة وسخاء وبهاء، والإجازة كانت عنده قوية،

---

(١) البدر الطالع ج ٢ ص ٢٤٥.

وله تصانيف كثيرة وردود جمة على المبتدعين والمنحرفين في الصفات وغيرها.

**قال: وكان جذعاً في أعين المخالفين،** لا يخاف في الله لومة لائم، إلى أن قال: ووصفه أكثر من أن يحصى.

**وقال يحيى بن منده: كان عمي سيفاً على أهل البدع،** وهو أكبر من أن يثني عليه مثلي، كان والله آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وفي الغدو والآصال ذاكراً، ولنفسه في المصالح قاهراً، أعقب الله مَنْ ذَكَرَهُ بالشر والندامة، وكان عظيم الحلم كثير العلم، قرأت عليه قول شعبة: من كتبت عنه حديثاً فأنا له عبد، فقال: من كتب عني حديثاً فأنا له عبد.

**قلت** (أي ابن رجب): **قد ذُكر عن شيخ الإسلام الأنصاري أنه قال:** كانت مضرته في الإسلام أكثر من منفعته.

**وعن إسماعيل التيمي** أنه قال: خالف أباه في مسائل وأعرض عنه مشايخ الوقت، وما تركني أبي أسمع منه، وكان أخوه خيراً منه.

**وهذا ليس بقادح إن صح،** فإن الأنصاري والتيمي وأمثالهما يقدحون بأدنى شيء ينكرونه من مواضع النزاع، كما هجر التيمي عبدالجليل الحافظ كوباه، على قوله **ينزل بالذات،** وهو في الحقيقة يوافق على اعتقاده لكن أنكر إطلاق اللفظ لعدم الأثر به.

**قال ابن السمعاني:**

**سمعت الحسين بن عبدالملك يقول:** سمعت عبدالرحمٰن ابن منده يقول: قد تعجبت من حالي مع الأقربين والأبعدين، فإني وجدت بالآفاق التي قصدتها أكثر من لقيتها بها موافقاً كان أو مخالفاً، دعاني إلى مساندته على ما يقوله، وتصديق قوله، والشهادة له في فعله على قبول ورضى، **فإن كنت صدقته سماني موافقاً،** وإن وقفت في حرف من قوله أو في شيء من فعله **سماني مخالفاً،** وإن ذكرت في واحد منهما أن الكتاب والسنة بخلاف ذلك **سماني خارجياً،** وإن رويت حديثاً في التوحيد سماني **مشبهاً،** وإن كان

في الرؤية سماني **سالمياً**، **وأنا متمسك بالكتاب والسنة، متبرىء إلى الله من التشبيه، والمثل والضد والند، والجسم والأعضاء، والآلات، ومن كل ما ينسب إليَّ ويدعي عليَّ، من أن أقول في الله تعالى شيئاً من ذلك أو قلته أو أراه أو أتوهمه أو أتخذه أو أنتحله.**

**قال ابن السمعاني:**

**وسمعت الحسن بن محمد الرضى العلوي** يقول: سمعت خالي أبا طالب بن طباطبا يقول: كنت أشتم أبداً عبدالرحمٰن بن منده فرأيت عمر رضي الله عنه في المنام، ويده في يده، وعليه جبة صوف زرقاء، وفي عينيه نكتة، فسلمت عليه فلم يرد علي وقال لي: لمَ تشتم هذا إذا سمعت اسمه؟ فقيل لي: هذا أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وهذا عبدالرحمٰن بن منده.

**فانتبهت فأتيت أصبهان وقصدت** الشيخ عبدالرحمٰن فلما دخلت عليه صادفته على النعت الذي رأيت في المنام، وعليه جبة زرقاء فلما سلمت عليه قال: وعليك السلام يا أبا طالب، وقبلها ما رآني ولا رأيته، فقال قبل أن أنطق: شيء حرمه الله ورسوله يجوز لنا أن نحله؟ فقلت: اجعلني في حل، وناشدته وقبلت بين عينيه، فقال: جعلتك في حل مما يرجع إلي[1].

**قال الذهبي:**

**الشيخ الإمام المحدث الكبير المصنف**، سمع بنيسابور من أبي بكر الحميري **ولكن ما روى عنه لا هو ولا أبو إسماعيل الأنصاري لأشعريته.**

**وقال أبو عبدالله الدقاق:**

**له تصانيف كثيرة، وردود على المبتدعة**، وأول من سمعت منه فرزقني الله ببركته وحسن نيته وجميل سيرته فهم الحديث وكان **جذعاً في أعين المخالفين** لا تأخذه في الله لومة لائم ووصفه أكثر من أن يحصى.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ص ٢٦.

**قال السمعاني:**

**سألت إسماعيل بن محمد الحافظ عنه فسكت وتوقف فراجعته** فقال: سمع الكثير وخالف أباه في مسائل وأعرض عنه مشايخ الوقت وما تركني أبي أن أسمع منه كان أخوه خيراً منه.

**وقال المؤيد ابن الأخوة**: سمعت عبداللطيف بن أبي سعد البغدادي سمعت أبي سمعت صاعد بن سيار سمعت الإمام أبا إسماعيل الأنصاري يقول فيه: كانت مضرته أكثر من منفعته في الإسلام.

**قلت** (أي الذهبي): **أطلق عبارات بدّعه بعضهم بها الله** يسامحه... وله محاسن، وهو في تواليفه حاطب ليل يروي الغث والسمين وينظم رديء الخرز مع الدر الثمين[١].

**والأمثلة في تراجم أهل العلم في ذلك الأمر كثيرة جداً، وسيأتي في ثنايا هذا الكتاب ما يدل على ذلك مما يغني عن إعادته هنا.**

## المبحث الثاني
## الهوى والغرض وحب الدنيا

**مدخل:**

**إن الهوى والغرض السيء** من أهم أسباب تحاسد العلماء، وهذا حظ الشيطان منهم، ويظهر ذلك من خلال قنوات كثيرة تجمعها الدنيا وحب الدنيا، مما يزينه الشيطان لبني آدم، ويلهون به عما أمرهم الله به، وخلقهم من أجله.

**إن هذا الباب كبير وأساس من أسس التحاسد بين العلماء**، وقد يكون الغرض من ذلك سياسياً أو نفسياً بمعنى أنه قد يكون سبب الحسد التنافس

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٣٤٩.

السياسي على المناصب والإدارات أو التنافس على التقرب إلى الأمراء، وقد يكون نفسياً بمعنى شفاء الصدر بالحسد برؤيته المحسود وهو ذليل محتقر مهان، ويدخل في ذلك أيضاً استغضاب الأمراء على المحسود حتى يهلكوه.

**وقد قسمته أقساماً:**

**أولاً:** هوى السياسة والحسد.

**ثانياً:** هوى الحسد بسبب المناصب.

**ثالثاً:** الحسد والهوى بسبب التقدم في العلوم.

**رابعاً:** حسد العلماء بغرض الطعن في الدين.

وفيما يلي بيان شيء من ذلك من خلال بعض التراجم التي جمعتها وألفت بينها.

## أولاً: هوى السياسة... والحسد

*** محمد بن عبدالله بن تومرت أبو عبدالله:**

**قال الذهبي:**

**الشيخ الإمام الفقيه الأصولي الزاهد**، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن تومرت البربري المصمودي الهرغي، الخارج من المغرب المدعي أنه علوي حسني وأنه الإمام المعصوم المهدي، وأنه محمد بن عبدالله بن عبدالرحمٰن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب.

**رحل من السوس الأقصى شاباً إلى المشرق**، فحج وتفقه وحصل أطرافاً من العلم، وكان أماراً بالمعروف، نهاءً عن المنكر، قوي النفس، زعراً شجاعاً، مهيباً قوالاً بالحق، عَمَّالاً على الملك، **غاوياً في الرياسة والظهور**، ذا هيبة ووقار، وجلالة ومعاملة وتأله، انتفع به خلق واهتدوا في

الجملة، وملكوا المدائن، وقهروا الملوك.

**أخذ عن إلكيا الهراسي**، وأبي حامد الغزالي، وأبي بكر الطرطوشي، وجاور سنة.

**وكان لهجاً بعلم الكلام**، خائضاً في موال الأقدام، ألف عقيدة لقبها بالمرشدة فيها انحراف فحمل عليها أتباعه، وسماهم الموحدين ونبذ من خالف المرشدة بالتجسيم وأباح دمه، نعوذ بالله من الغي والهوى.

**وكان خشن العيش**، فقيراً، قانعاً باليسير، مقتصراً على زي الفقر، لا لذة له في مأكل ولا منكح ولا مال، ولا في شيء غير رياسة الأمر، حتى لقي الله تعالى.

**لكنه دخل والله في الدماء لنيل الرياسة المردية**، وكان ذا عصا وركوة. . . ، في إزالة المنكر، والصدع بالحق، وكان يبتسم إلى من لقيه.

**وله فصاحة في العربية والبربرية**، وكان يؤذَى ويُضرب ويصبر. أوذي بمكة، وبالغ في الإنكار، فطردوه، وآذوه، وكان إذا خاف من البطش به خلط وتباله.

**ثم سكن الصغر مدة**، ثم ركب البحر إلى المغرب، وقد رأى أنه شرب ماء البحر مرتين، وأخذ ينكر في المركب على الناس، وألزمهم بالصلاة فآذوه فقدم المهدية وعليها ابن باديس فنزل بمسجد معلق فمتى رأى منكراً أو خمراً كسر وبدد فالتف عليه جماعة واشتغلوا عليه، فطلبه ابن باديس، فلما رأى حاله، وسمع كلامه، وسأله الدعاء، فقال: أصلحك الله لرعيتك.

**وسار إلى بجاية فبقي ينكر كعادته فنفي**، فذهب إلى قرية ملالة فوقع بها بعبدالمؤمن الذي تسلطن، وكان أمرد عاقلاً، فقال: يا شاب ما اسمك؟ قال: عبدالمؤمن، قال: الله أكبر، أنت طلبتي، فأين مقصدك؟ قال: طلب العلم، قال: قد وجدت العلم والشرف، اصحبني، ونظر في حليته، فوافقت ما عنده مما قيل إنه اطلع على كتاب الجفر والله أعلم، فقال: ممن أنت؟

قال: من كومية فربط الشاب وشوقه إلى أمور عشقها، وأفضى إليه بسره وكان في صحبته الفقيه عبدالله الونشريسي، وكان جميلاً نحوياً، فاتفقا على أن يخفي علمه وفصاحته، ويتظاهر بالجهل واللكن مدة، ثم جعل إظهار نفسه معجزة، ففعل ذلك، ثم عمد إلى ستة من أجلاد أتباعه وسار بهم إلى مراكش، وهي لابن تاشفين، فأخذوا في الإنكار فخوفوا الملك منهم، وكانوا بمسجد خراب فأحضرهم الملك فكلموه فيما وقع فيه من سب الملك، فقال: ما نقل من الوقيعة فيه فقد قلته، هل من ورائه أقوال، وأنتم تطرونه وهو مغرور بكم، فيا قاضي هل بلغك أن الخمر تباع جهاراً، وتمشي الخنازير في الأسواق، وتؤخذ أموال اليتامى، فذرفت عينا الملك وأطرق، وفهم الدهاة طمع ابن تومرت في الملك، فنصح مالك بن وهيب الفيلسوف سلطانه، وقال: إني خائف عليك من هذا، فاسجنه وأصحابه، وأنفق عليهم مؤنتهم، وإلا أنفقت عليهم خزائنك، فوافقه فقال الوزير: يقبح بالملك أن يبكي من وعظه، ثم يسيء إليه في مجلس، وأن يظهر خوفك وأنت سلطان من رجل فقير فأخذته نخوة، وصرفه، وسأله الدعاء.

**وسار ابن تومرت إلى أغمات**، فنزلوا على الفقيه عبدالحق المصمودي، فأكرمهم فاستشاروه، فقال: هنا لا يحميكم هذا الموضع فعليكم بتينمل فهي يوم عنا وهو أحصن الأماكن، فأقيموا به برهة كي ينسى ذكركم، فتجدد لابن تومرت بهذا الاسم ذكر لما عنده، فلما رآهم أهل الجبل على تلك الصورة علموا أنهم طلبة علم، فأنزلوهم وأقبلوا عليهم، ثم تسامع به أهل الجبل فتسارعوا إليهم فكان ابن تومرت من رأى فيه جلادة عرض عليه ما في نفسه، فإن أسرع إليه أضافه إلى خواصه، وإن سكت أعرض عنه، وكان كهولهم ينهون شبانهم ويحذرونهم وطالت المدة ثم كثر أتباعه من جبال درن وهو جبل الثلج وطريقه وعر ضيق.

**قال اليسع في تاريخه:**

**لا أعلم مكاناً أحصن من تينمل لأنها بين جبلين**، ولا يصل إليهما إلا الفارس، وربما نزل عن فرسه في أماكن صعبة، وفي مواضع يعبر خشبة،

فإذا أزيلت الخشبة انقطع الدرب وهي مسافة يوم، فشرع أتباعه يغيرون ويقتلون وكثروا وقووا ثم غدر بأهل تينمل الذين آووه وأمر خواصه فوضعوا فيهم السيف، فقال له الفقيه الإفريقي أحد العشرة من خواصة: ما هذا؟ قوم أكرمونا وأنزلونا نقتلهم؟ فقال لأصحابه: هذا شك في عصمتي، فاقتلوه فقتل.

**قال اليسع:**

**وكل ما أذكره من حال المصامدة فقد شاهدته** أو أخذته متواتراً وكان في وصيته إلى قومه إذا ظفروا بمرابط أو تلمساني أن يحرقوه.

**فلما كان عام تسعة عشر وخمسمائة،** خرج يوماً، فقال: تعلمون أن البشير يريد الونشريسي رجل أمي على دابة فقد جعله الله مبشراً لكم مطلعاً على أسراركم وهو آية لكم قد حفظ القرآن، وتعلم الركوب، وقال: اقرأ فقرأ الختمة في أربعة أيام، وركب حصاناً وساقه فبهتوا وعدوها آية لغباوتهم، فقام خطيباً وتلا: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ فهذا البشير مطلع على الأنفس ملهم ونبيكم ﷺ يقول: «**إن في هذه الأمة محدَّثين، وإن عمر منهم**»، وقد صحبنا أقوام أطلعه الله على سرهم ولا بد من النظر في أمرهم، وتيمم العدل فيهم ثم نودي في جبال المصامدة: من كان مطيعاً للإمام فليأت، فأقبلوا يهرعون فكانوا يعرضون على البشير فيخرج قوماً على يمينه، ويعدهم من أهل الجنة، وقوماً على يساره فيقول: هؤلاء شاكون في الأمر، وكان يؤتى بالرجل منهم فيقول: هذا تائب ردوه على اليمين تاب البارحة، فيعترف بما قال، واتفقت له فيهم عجائب، حتى كان يطلق أهل اليسر وهم يعلمون أن مآلهم إلى القتل، فلا يفر منهم أحد، وإذا تجمع منهم عدة قتلهم قرباتهم حتى يقتل الأخ أخاه.

**قال: فالذي صح عندي أنهم قتل منهم سبعون ألفاً على هذه الصفة،** ويسمونه التمييز، فلما كمل التمييز وجه مجموعة مع البشير نحو أغمات، فالتقى بهم المرابطون، فَهَزَمهم المرابطون، وثبت خلق من المصامدة فقتلوا وجرح عمر الهنتاني عدة جراحات فحمل على أعناقهم مثخناً، فقال لهم

البشير: إنه لا يموت حتى تفتح البلاد، ثم بعد مدة، فتح عينيه، وسلم فلما أتوا عزاهم ابن تومرت وقال: يوم بيوم وكذلك حرب الرسل.

**وقال عبدالواحد المراشي:**

**سمع ابن تومرت** ببغداد من المبارك الطيوري وأخذ الأصول عن الشاشي ونفاه من الإسكندرية أميرها، فبلغني أنه استمر ينكر في المركب، فألقوه فأقام نصف يوم يعوم، فأنزلوه. . .، واحترموه فنزل ببجاية فدرس ووعظ وأقبلوا عليه، فخاف صاحبها، وأخرجه وكان بارعاً في خط الرمل.

**وقيل**: وقع بالجفر، وصادف عبدالمؤمن، ثم لقيهما عبدالواحد الشرقي فساروا إلى أقصى المغرب.

**وقيل**: لقي عبدالمؤمن يؤدب بأرض متيجة ورأى عبدالمؤمن أنه يأكل مع الملك علي بن تاشفين، وأنه زاد على أكله، ثم اختطف ما في الصحفة، فقال له العابر: لا ينبغي أن تكون هذه الرؤيا لك، بل لمن يثور على أمير المسلمين إلى أن يغلب على بلاده.

**وكان ابن تومرت طويل الصمت**، دائم الانقباض، له هيبة في النفوس، قيل له مرة: فلان مسجون، فأتى الحبس، فابتدر السجانون يتمسحون به، فنادى فلان فأجابه فقال: اخرج، فخرج والسجانون باهتون، فذهب به، وكان لا يتعذر عليه أمر، وانفصل عن تلمسان وقد استحوذ على قلوب كبرائها، فأتى فاس، وأخذ في الأمر بالمعروف.

**قال**: وكان جل ما يدعو إليه الاعتقاد على رأي الأشعري، وكان أهل الغرب ينافرون هذه العلوم، فجمع متولي فاس الفقهاء، وناظروه فظهر، ووجد جواً خالياً، وقوماً لا يدرون الكلام، فأشاروا على الأمير بإخراجه، فسار إلى مراكش، فبعثوا بخبره إلى ابن تاشفين، فجمع له الفقهاء، فناظره ابن وهيب الفيلسوف، فاستشعر ذكاءه وقوة نفسه، فأشار على ابن تاشفين بقتله، وقال: إن وقع إلى المصامدة، قوي شره فخاف الله فيه، فقال: فاحبسه، قال: كيف أحبس مسلماً لم يتعين لنا عليه حق، بل يسافر فذهب ونزل بتيمنل، ومنه ظهر وبه دفن، فبث في المصامدة العلم، ودعاهم إلى

الأمر بالمعروف، واستمالهم، وأخذ يشوق إلى المهدي، ويروي أحاديث فيه فلما توثق منهم، قال: أنا هو، وأنا محمد بن عبدالله، وساق نسباً له إلى علي، فبايعوه والأشعرية في شيء وكان فيه تشيع، ورتب أصحابه فمنهم العشرة، فهم أول من لباه، ثم الخمسون، وكان يسميهم المؤمنين، ويقول: ما في الأرض من يؤمن إيمانكم، وأنتم العصابة الذين عني النبي ﷺ بقوله: **«لا يزال أهل الغرب ظاهرين، وأنتم تفتحون الروم، وتقتلون الدجال، ومنكم الذي يؤم بعيسى»** وحدثهم بجزئيات اتفق وقوع أكثرها، فعظمت فتنة القوم به حتى قتلوا أبناءهم وإخوتهم، لقسوتهم وغلظ طباعهم، وإقدامهم على الدماء، فبعث جيشاً، وقال: اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الدين فادعوهم إلى إماتة المنكر وإزالة البدع، والإقرار بالمهدي المعصوم، فإن أجابوا فهم إخوانكم وإلا فالسنة قد أباحت لكم قتالهم، فسار بهم عبدالمؤمن يقصد مراكش، فالتقى به الزبير بن أمير المسلمين، فكلموهم بالدعوة، فردوا أقبح رد ثم انهزمت المصامدة، وقتل منهم ملحمة، فلما بلغ الخبر ابن تومرت، قال: أنجا عبدالمؤمن؟ قيل: نعم، قال: لم يفقد أحد وهون عليهم وقال: قتلاكم شهداء.

**قال الأمير عزيز في أخبار قزوين:**

**سمى ابن تومرت أصحابه بالموحدين**، ومن خالفه بالمجسمين، واشتهر سنة خمس عشرة، وبايعته هرغة على أنه المهدي، فقصده الملثمون فكسوا الملثمين، وحازوا الغنائم، ووثقت نفوسهم وأتتهم أمداد القبائل، ووحدت هنتانة وهي من أقوى القبائل.

**ثم قال عزيز:** لهم تودد وأدب وبشاشة، ويلبسون الثياب القصيرة الرخيصة، ولا يخلون يوماً من طراد ومثاقفة ونضال، وكان في القبائل مفسدون، فطلب ابن تومرت مشايخ القبائل ووعظهم، وقال: لا يصل دينكم إلا بالنهي عن المنكر، فابحثوا عن كل مفسد، فانهوه فإن لم ينته فاكتبوا إليّ أسماءهم، ففعلوا، ثم هدد ثانياً، فأخذ ما تكرر من الأسماء فأفردها ثم جمع القبائل وحضهم على أن لا يغيب منهم أحد، ودفع تلك الأسماء إلى

البشير فتأملها ثم عرضهم رجلاً رجلاً، فمن وجد اسمه رده إلى الشمال ومن لم يجده بعثه على اليمين ثم أمر بتكتيف أهل الشمال، وقال لقراباتهم: هؤلاء أشقياء من أهل النار، فلتقتل كل قبيلة أشقياءها، فقتلوهم، فكانت واقعة عجيبة، وقال: بهذا الفعل صح دينكم وقوي أمركم.

**وأهل العشرة هم:** عبدالمؤمن والهزرجي وعمر بن يحيى الهنتاني وعبدالله البشير وعبدالواحد الزواوي طير الجنة، وعبدالله بن أبي بكر، وعمر بن أرناق، وواسنار أبو محمد، وإبراهيم بن جامع وآخر.

**وفي أول سنة أربع وعشرين جهز عشرين ألف مقاتل عليهم البشير،** وعبدالمؤمن بعد أمور يطول شرحها، فالتقى الجمعان واستحر القتل بالموحدين، وقتل البشير ودام الحرب إلى الليل، فصلى بهم عبدالمؤمن صلاة الخوف، ثم تحيز بمن بقي إلى بستان يعرف بالبحيرة فراح منهم تحت السيف ثلاثة عشر ألفاً، وكان ابن تومرت مريضاً فأوصى باتباع عبدالمؤمن، وعقد له، ولقبه أمير المؤمنين، وقال: هو الذي يفتح البلاد، فاعضدوه بأنفسكم وأموالكم ثم مات في آخر سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

**قال اليسع بن حزم:**

**سمى ابن تومرت المرابطين بالمجسمين،** وما كان أهل المغرب يدينون إلا بتنزيه الله تعالى عما لا يجب وصفه بما يجب له، مع ترك خوضهم عما تقصر العقول عن فهمه.

**إلى أن قال: فكفرهم ابن تومرت لجهلهم العرض والجوهر،** وأن من لم يعرف ذلك لم يعرف المخلوق من الخالق وبأن من لم يهاجر إليه ويقاتل معه، فإنه حلال الدم والحريم، وذكر أن غضبه لله وقيامه حسبة.

**قال ابن خلكان:**

**قبره بجبل معظم،** مات كهلاً، وكان أسمر ربعة، عظيم الهامة، حديد النظر مهيباً، وآثاره تغني عن أخباره قدم في الثرى وهامة في الثريا، ونفس ترى إراقة ماء الحياة دون إراقة ماء المحيا، أغفل المرابطون ربطه وحله،

حتى دب دبيب الفلق في الغسق، وكان قوته من غزل أخته رغيفاً بزيت، أو قليل سمن، لم ينتقل عن ذلك حين كثرت عليه الدنيا، رأى أصحابه يوماً وقد مالت نفوسهم إلى كثرة ما غنموه فأمر بإحراق جميعه، وقال: من أراد الدنيا فهذا له عندي، ومن كان يبغي الآخرة فجزاؤه عند الله وكان يتمثل كثيراً:

تجرد من الدنيا فإنك إنما خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد

**ولم يفتتح شيئاً من المدائن** وإنما قرر القواعد ومهد وبغته الموت وافتتح بعده البلاد عبدالمؤمن.

**وقد بلغني فيما يقال:** أن ابن تومرت أخفى رجالاً في قبور دوارس وجاء في جماعة ليريهم آية يعني فصاح: أيها الموتى أجيبوا، فأجابوه: أنت المهدي المعصوم، وأنت وأنت ثم إنه خاف من انتشار الحيلة، فخسف فوقهم القبور فماتوا.

**وبكل حال فالرجل من فحول العالم رام أمراً فتم له** وربط البربر بادعاء العصمة وأقدم على الدماء إقدام الخوارج ووجد ما قدم.

**قال الحافظ منصور بن العمادية في تاريخ الثغر:** أملى علي نسبه فلان وفي ذلك نظر من حيث إن محمد بن الحسن لم يعقب.

**ولابن تومرت:**

دعني ففي النفس مخبأة لألبسن بها درعاً وجلبابا
حتى أطهر ثوب الدين عن دنس وأوجب الحق للسادات إيجابا

*** جاء في ترجمة أبي علي: كنيز:**

**قال في طبقات الشافعية:**

**كان المذكور خادماً للخليفة المنتصر بالله بن المتوكل فتفقه على الزعفراني** فلما مات مولاه، خرج إلى مصر وأخذ الفقه عن حرملة، والربيع، وكان يجلس في حلقة ابن عبدالحكم، ويناظرهم **فقامت قيامتهم**

منه، **فسعوا به** إلى أحمد بن طولون، وقالوا: هذا جاسوس فحبسه سبع سنين، فلما مات ذهب إلى الإسكندرية فأقام بها أيضاً سبعاً وأعاد كل صلاة صلاها في الحبس ثم ذهب إلى الشام[1].

*** جاء في ترجمة داود بن عيسى بن العادل أبو المفاخر السلطان الملك الناصر صلاح الدين:**

**قال الذهبي:**

**كان فقيهاً حنفياً ذكياً مناظراً أديباً شاعراً بديع النظم**، مشاركاً في علوم، تسلطن عند موت أبيه، وأحبه أهل البلد، فأقبل عماه الكامل والأشرف فحاصراه أشهراً، ثم انفصل عن دمشق في أثناء سنة ست وعشرين وقنع بالكرك، وأعطوه معها نابلس وعجلون والصلت وقرى بيت المقدس سوى البلد فإنه أخذه الأنبروز الإفرنجي الذي أنجد الكامل ثم **زوجه الكامل في سنة تسع وعشرين ثم وقع بينهما** ففارق البنت ثم بعد سنة ثلاثين سار إلى المستنصر بالله وقدم له تحفاً واجتمع به وأكرمه بعد امتناع قصيدته الفائقة وهي:

ودان ألمت بالكثيب ذوائبه ... وجنح الدجى وحف تجول غياهبه
تقهقه في تلك الربوع رعوده ... وتبكي على تلك الديار سحائبه
إلى أن بدا من أشقر الصبح قادم ... يراع له من أدهم الليل هاربه

ومنها:

ألا يا أمير المؤمنين ومن غدت ... على كاهل الجوزاء تعلو مراتبه
أيحسن في شرع المعالي ودينها ... وأنت الذي تعزى إليه مذاهبه
بأني أخوض الدر والدر مقفر ... سباريته مغبرة وسباسبه
وقد رصد الأعداء لي كل مرصد ... فكلهم نحوي تدب عقاربه

---

(١) طبقات الشافعية ج ٢ ص ١٧٧.

وآتيك والعضب المهند مصلت ... طرير شباه قانيات ذوائبه
وأنزل آمالي ببابك راجياً ... بواهر جاه يبهر النجم ثاقبه
فتقبل مني عبد رق فيغتدي ... له الدهر عبداً خاضعاً لا يغالبه
وتنعم في حقي بما أنت أهله ... وتعلي محلي فالسها لا يقاربه
وتلبسني من نسج ظلك حلة ... تشرف قدر النيرين جلاببه
وتركبني نعمي أياديك مركبا ... على الفلك الأعلى تسير مراكبه
ويأتيك غيري من بلاد قريبة ... له الأمن فيها صاحب لا يجانبه
فيلقى دنواً منك لم ألق مثله ... ويحظى ولا أحظى بما أنا طالبه
وينظر من لألاء قدسك نظرة ... فيرجع والنور الإمامي صاحبه
ولو كان يعلوني بنفس ورتبة ... وصدق ولاء لست فيه أصاقبه
لكنت أسلي النفس عما ترومه ... وكنت أذود العين عما تراقبه
ولكنه مثلي ولو قلت إنني ... أزيد عليه لم يعب ذاك عائبه
وما أنا ممن يملأ المال عينه ... ولا بسوى التقريب تقضي مآربه
ولا بالذي يرضيه دون نظيره ... ولو أنعلت بالنيرات مراكبه
وبي ظمأ رؤياك منهل ريه ... ولا غرو أن تصفو لدى مشاربه
ومن عجب أني لدى البحر واقف ... وأشكو الظما والبحر جم عجائبه
وغير ملوم من يؤمك قاصدا ... إذا عطلت أغراضه ومذاهبه

**فوقعت الأبيات من الخليفة بموقع**، وأدخل ليلاً ووانسه وذاكره وأخرج سراً رعاية لخاطر الكامل، ثم حضر الناصر درس المستنصرية، فبحث وناظر والخليفة في منظرته فقام الوجيه القيرواني ومدح الخليفة بأبيات منها:

لو كنت في يوم السقيفة حاضراً ... كنت المقدم والإمام الأورعا

**فقال الناصر: أخطأت**، قد كان العباس جد أمير المؤمنين حاضراً ولم يكن المقدم إلا أبو بكر الصديق، فأمر بنفي الوجيه فسافر وولي مصر تدريساً، **ثم خلعوا على الناصر وحاشيته**، وجاء معه رسول الديوان فألبسه

الخلعة بالكرك وركب بالسنجق الخليفتي وزيد في لقبه الولي المهاجر، ثم راسله الكامل والأشرف لما اختلفا وطلب كل منهما أن يؤازره وجاءه في الرسلية من مصر القاضي الأشرف فرجح جانب الكامل ثم توجه إليه فبالغ في تعظيمه وأعاد إلى عصمته ابنته عاشوراء وأركبه في دست السلطنة فحمل له الغاشية الملك العادل ولد الكامل ووعده بأخذ دمشق من الأشرف وردها إليه، أو استكثاراً فإنه شرط أن تكون له دمشق وشطر مصر وأشياء.

**ومن حسنات الناصر أن عمه أعطى الفرنج القدس فعمروا لهم قلعة فجاء الناصر ونصب عليها المجانيق وأخذها بالأمان وهدم القلعة**، ونظف البلد من الفرنج.

**ثم إن الملك الصالح أساء إلى الناصر** وجهز عسكراً فشعثوا بلاده، وأخذوا منها، ولم يزل يناكده وما بقي له سوى الكرك، ثم حاصره في سنة ٦٤٤ فخر الدين ابن الشيخ أياماً وترحل وقل ما بيد الناصر ونفذ رسوله الخسروشاهي من عنده إلى الصالح ومعه ابنه الأمجد أن يعطيه خبزاً بمصر ويتسلم الكرك فأجابه ومرض فانثنى عزم الناصر وضاق الناصر بكلف السلطنة فاستناب ابنه عيسى بالكرك[١].

## * جاء في ترجمة سعيد بن المطهر بن سعيد بن علي - أبو المعالي - سيف الدين الباخرزي نزيل بخارى:

**قال الذهبي:**

**الإمام القدوة شيخ خراسان** كان إماماً محدثاً ورعاً وزاهداً تقياً أثرياً منقطع القرين بعيد الصيت له وقع في القلوب ومهابة في النفوس.

**وقال ابن الفوطي:** ولما خرب التتار بخارى وغيرها أمر نجم الدين الكبري أصحابه بالخروج من خوارزم إلى خراسان منهم سعد الدين، وآخى بين الباخرزي وسعد الدين، وقال للباخرزي: اذهب إلى ما وراء النهر، وفي

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢٣ ص ٣٧٦.

تلك الأيام هرب خوارزم شاه فقدم سيف الدين بخارى وقد احترقت وما بها موضع ينزل به فتكلم بها، وتجمع إليه الناس فقرأ لهم البخاري على جمال الدين عبيدالله بن إبراهيم المحبوبي سنة اثنتين وعشرين وستمائة، ثم أقام ووعظ وفسر ولما عمرت بخارى أخذوا في حسده وتكلموا في اعتقاده وكان يصلي صلاة التسبيح جماعة ويحضر السماع، ولما جاء محمود يلواج بخارى ليضع القلان وهو أن يعد الناس ويأخذ من الرأس ديناراً والعشر من التجارة فدخل على سيف الدين فرأى وجهه يشرق كالقمر وكان الشيخ جميلاً بحيث إن نجم الدين الكبرى أمره لما أتاه أن ينتقب لئلا يفتتن به الناس، فأحب يلواج الشيخ ووضع بين يديه ألف دينار فما التفت إليها، ثم خرج ببخارى التارابي وحشد وجمع فالتقى بالمغل وأوهم أنه يستحضر الجن، ولم يكن مع جمعه سلاح فاغتروا بقوله فقتلت المغل في ساعة سبعة آلاف منهم أولهم التارابي فأوهم خواصه أنه قد طار وما نجا إلا من تشفع بالباخرزي ولكن وسمتهم التتار بالكي على جباههم.

**إلى أن قال**: ووقع خوف الباخرزي في قلوب الكفار فلم يخالفه أحد في شيء يريده، وكان بايقوا أخوقان ظالماً غاشماً سفاكاً، قتل أهل ترمذ حتى الدواب والطيور والتحق به كل مفسد **فشغبوه على الباخرزي وقالوا: ما جاء إليك وهو يريد أن يصير خليفة** فطلبه إلى سمرقند مقيداً فقال: إني سأرى بعد هذا الذل عزاً، فلما قرب مات بايقوا فأطلقوا الشيخ[1].

*** جاء في ترجمة إبراهيم بن هبة الله بن علي بن الصنيعة، نور الدين الأسنائي:**

**قال صاحب طبقات الشافعية:**

**نور الدين، إبراهيم بن هبة الله بن علي** بن الصنيعة الحميري الأسنائي، كان إماماً عالماً، ماهراً في فنون كثيرة، ملازماً للاشتغال والأشغال والتصنيف، ديناً خيراً.

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢٣ ص ٣٦٣.

**أخذ في بلده عن البهاء القفطي**، ثم هاجر إلى الهاجرة في صباه فلازم الشمس الأصفهاني شارح المحصول، والبهاء بن النحاس الحلبي النحوي وغيرهما من شيوخ العصر وأعاد بالمدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعي وأفاد وصنف تصانيف حسنة بليغة في علوم كثيرة، **وتولى أعمالاً كثيرة بالديار المصرية آخرها الأعمال القوصية ثم صرف عنها في سنة عشرين وسبعمائة لقيام بعض كبار أهل الدولة عليه لكونه لم يجبه إلى ما لا يجوز له تعاطيه**، فاستوطن القاهرة وشرع في الاشتغال والتصنيف على عادته، فاجتمعت عليه الفضلاء فعاجلته المنية ومات في أوائل سنة إحدى وعشرين وسبعمائة وقد قارب السبعين[١].

*** جاء في ترجمة عيسى بن محمد بن الحسين الكوكباني:**

**له يد في علوم الاجتهاد قوية**، وكان مكباً طول عمره على المعارف العلمية وأفاده الطلبة حتى شاخ وعلت سنه فصار عند ذلك أميراً لكوكبان وبلادها من غير سعي منه في ذلك بل قصده أقاربه بالإمارة وذلك أنه اتفق أن السيد إبراهيم بن محمد أمير كوكبان وهو أخو صاحب الترجمة مات **فصارت الإمارة بعده إلى ولده الأكبر العباس بن إبراهيم فنافسه على ذلك أخوه يحيى بن إبراهيم** وما زال يترقب له الفرص حتى صادف منه غرة وهم في دار واحدة فدخل عليه هو وجماعة معه وضربوه ضرباً مبرحاً ثم كتفوه وأخرجوه من داره على رؤوس الأشهاد بعد أن قيدوه فخرج مقيداً مكتوفاً والناس ينظرونه وسجنوه في دار هنالك معدة لمثل ذلك ثم إن أخاه يحيى المذكور علم أن أهل كوكبان لا يفوضون الإمارة إليه وفيهم صاحب الترجمة لعلو سنه فقصده وعرض عليه الإمارة فقبلها وكانت الأمور في أيام إمارته منوطة بالسيد شرف الدين بن أحمد الذي صار بعد صاحب الترجمة أميراً ثم إن السادات وسائر الأعيان أجمعوا أمرهم على اعتقال السيد يحيى بن إبراهيم في اليوم الثاني من اعتقاله لأخيه فعقدوا مجلساً وأرسلوا للمذكور فجاء وبين يديه الجند وعليه أبهة الإمارة فكتفوه

---

(١) طبقات الشافعية ج ١ ص ٨٢.

وقيدوه وأخرجوه كما أخرجوا أخاه وأدخلوه الدار التي أدخل أخوه فيها وكان ذلك من أعظم العبر وفي أثناء هذه الأمور قتل السيد عبدالله بن إبراهيم وكان عند اعتقال أخيه يحيى لأخيه عباس بشبام فلما بلغه ذلك جمع جماعة من أهل شبام وطلع بهم إلى كوكبان قاصداً نَصْرَ أخيه عباس فلقي في الطريق عباس بن محمد بن يحيى وهو ممن أعان السيد يحيى بن إبراهيم على اعتقال أخيه بل لولاه ما تم ذلك فلما رأى السيد عبدالله المذكور السيد عباس بن محمد في عقبة كوكبان سلَّ سيفه وحمل عليه على دهش وطيش فوصل إليه وضربه بالسيف ضربة غير طائلة فأخذ السيد عباس بن محمد الجنبية وطعنه بها طعنة كان بها موته ولم ينفع السيد عبدالله من معه من الجيش ثم إن السيد عباس بن محمد سجن بقصر صنعاء نحو سبع سنين وصح عندي أنه مدافع فأطلقه مولانا الإمام حفظه الله وأما صاحب الترجمة فاستمر على إمارته حتى مات[1].

*** جاء في ترجمة يوسف ابن شيخ الشيوخ:**

**قال الذهبي:**

**الصاحب الكبير ملك الأمراء فخر الدين:**

**حدث، وكان صدراً معظماً عاقلاً شجاعاً مهيباً جواداً خليقاً بالإمارة، غضب عليه السلطان نجم الدين سنة أربعين وسجنه ثلاث سنين، وقاسى شدائد**، ثم أنعم عليه وولاه نيابة المملكة، وكان يتناول المسكر، ولما توفي السلطان ندبوا فخر الدين إلى السلطنة فامتنع ولو أجاب لتم له.

**قيل**: إنه لما قدم مع السلطان دمشق نزل في دار سامة فدخل عليه الشيخ العماد بن النحاس فقال له: يا فخر الدين إلى كم ما بعد هذا شيء؟ فقال: يا عماد الدين والله لأسبقنك إلى الجنة، فصدق الله قوله إن شاء الله واستشهد يوم وقعة المنصورة[2].

---

(١) البدر الطالع للشوكاني ج ١ ص ٥١٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٢٣ ص ١٠٠.

*** جاء في ترجمة نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم أبو الفتح بن الأثير الشيباني الجزري المنشىء:**

**قال ابن خلكان:**

**قصد السلطان صلاح الدين** فقدمه ووصله القاضي الفاضل، فأقام عنده شهراً، ثم بعث به إلى ولده الملك الأفضل فاستوزره، فلما توفي صلاح الدين تملك الأفضل دمشق وفوض الأمور إلى الضياء، فأساء العشرة وهموا بقتله فأخرج في صندوق وسار مع الأفضل إلى مصر، فراح الملك من الأفضل **واختفى الضياء**، ولما استقر الأفضل بسميساط ذهب إليه الضياء ثم فارقه في سنة سبع وستمائة فاتصل بصاحب حلب فلم يتفق، فتألم وذهب إلى الموصل فكتب بصاحبها وله يد طولى في الترسل **كان يجاري القاضي الفاضل ويعارضه** وبينهما مكاتبات ومحاربات.

**وقال ابن النجار:**

**قدم بغداد رسولاً غير مرة**، وحدث بها بكتابه ومرض فتوفي في ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وستمائة **وقيل كان بينه وبين أخيه عز الدين مقاطعة** ومجانبة شديدة[1].

*** جاء في ترجمة علي بن قاسم حنش:**

**قال الشوكاني:**

**وصل إلى صنعاء فاتصل بالإمام المهدي** العباس بن الحسين فقربه وأدناه وجالسه **وشرع في ترشيحه للوزارة** لما رأى من تأهله مع فصاحته ورجاحة عقله وخبرته بالناس، ومعرفته بطبقاتهم وحفظه لأخبارهم وامتناعه في جميع ذلك وحسن محاضرته وذلاقة لسانه وفرط ذكائه فحسده جماعة من الوزراء فأغروا به الإمام حتى أبعده عنه وحبس دهراً طويلاً ثم أفرج عنه وسكن صنعاء وهو من نوادر الدهر في جميع أوصافه لا يخفى عليه من

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢٣ ص ٧٢.

أحوال أبناء دهره خافية[1].

*** جاء في ترجمة عبدالرحيم بن علي بن الحسن اللخمي القاضي الفاضل أبو علي:**

**قال في طبقات الشافعية:**

**أبو علي، عبدالرحيم القاضي الأشرف** أبو الحسن علي بن الحسن اللخمي الملقب محيي الدين، المعروف بالقاضي الفاضل، شيخ البلاغة والبراعة، مالك صنعة الأشياء والمتصرف فيها كيف يريد ويشاء.

**وذكر بعض المؤرخين** أن السبب في وصوله إلى مصر أن والي بيسان وقع في مظلمة واشتكى لأجلها فرمى بها القاضي، وهو والد الفاضل وألقاها في رقبته، وساعده بعض أمراء الدولة على هذا الباطل، **فأحضر القاضي وصودر** وكان معه ابنه الفاضل، ثم إن أباه توفي بالقاهرة سنة ست وأربعين وخمسمائة، فتوجه الفاضل إلى الإسكندرية فكتب عن ابن حديد وهو قاضي الإسكندرية وناظرها **فكانت كتبه ترد في غاية البلاغة فحسده كتاب مصر فحملوا عليه**، وأحضروه إلى الظافر فلم يفد عملهم شيئاً بل كان سبباً لتقدمه[2].

*** جاء في ترجمة عمر بن بندار أبو الفتح التفليس الملقب بالكمال:**

**قال صاحب طبقات الشافعية:**

**كان فقيهاً فاضلاً أصولياً** بارعاً خيراً.

**ولد سنة إحدى وستمائة** ولي نيابة القضاء بدمشق مدة طويلة ولما ملك التتار البلاد كانوا لا يخالفونه في شيء فحصل للناس به راحة كبيرة وسعى

---

(١) البدر الطالع للشوكاني ج ١ ص ٤٧٢.

(٢) طبقات الشافعية ج ٢ ص ١٣٧.

في حقن الدماء، وحفظ الأموال، ولم يتدنس بشيء، ولا ازداد منصباً مع شدة حاجته، وكثرة عياله، وفوض إليه قلاوون قضاء الشام والموصل والجزيرة، وجاء التقليد من قبله بذلك، وباشر ذلك مباشرة جيدة، ولما أزاح الله التتار عن البلاد، وأراح منهم البلاد، **حصل في حقه تعصب** وسلمه الله تعالى ممن أراد كيده، إلا أنه نقل إلى قضاء حلب، وتولى محيي الدين بن الزكي قضاء دمشق ثم عزل التفليسي عن حلب وألزموه بالسفر إلى مصر والإقامة بها، **لكذب بعضهم عليه، بأنه يميل للتتار**، فأقام بها ينشر العلم، إلى أن توفي في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وستمائة سمع وحدث رحمه الله ذكره الذهبي في العبر[1].

*** جاء في ترجمة عثمان بن علي بن عمر بن إسماعيل بن إبراهيم، الطائي الحلبي، فخر الدين ابن خطيب جبرين الشافعي:**

**قال الشوكاني:**

**كان يدرس لكل** من قصده في أي كتاب أراد من أَيِّ علم أحضره ولم يرَ الناس له في ذلك نظير إلا ما حكي عن ابن يونس فكان يقرىء في الحاوي وغيره من الفروع وفي المحصول وغيره من أصول الفقه، **ثم طُلِبَ إلى القاهرة** فمثل بين يدي السلطان **وبدر من السلطان كلام في حقه أغلظ له فيه** فرجع مرعوباً فمرض وكان معه ولده فمرض كذلك وماتا جميعاً بعد جمعة[2].

*** جاء في ترجمة علي بن يعقوب بن جبريل البكري، نور الدين المصري الشافعي:**

**جرت له محنة بسبب القبط** وهي أنه لما كان في النصف من محرم سنة ٧١٤ بلغه أن النصارى قد استعاروا من قناديل جامع عمرو بن العاص

---

(١) طبقات الشافعية ج ١ ص ١٥٢.

(٢) البدر الطالع للشوكاني ج ١ ص ٤١٢.

بمصر شيئاً وعلقوه بكنيسة فأخذ معه طائفة كثيرة من الناس وهاجم الكنيسة ونكل بالنَّصارى وبلغ منهم مبلغاً عظيماً وعاد إلى الجامع وأهان من فعل ذلك وكثر من الوقيعة في خُطَبه **فبلغ السلطان فأمر بإحضار القضاة** وفيهم ابن الوكيل وأحضر صاحب الترجمة فتكلم ووعظ وذكر آيات من القرآن وأحاديث **واتفق أنه أغلظ في عبارة السلطان** ثم قال: أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، فاشتد غضب السلطان وقال له: أنا جائر، قال: نعم، أنت سلطت الأقباط على المسلمين وقويت أمرهم فلم يتمالك السلطان أن أخذ السيف وهمّ بالقيام ليضربه فبادر بعض الأمراء وأمسك يده فالتفت إلى قاضي المالكية وقال: يا قاضي تجرأ علي هذا ما الذي يجب عليه؟ فقال القاضي: لم يقل شيئاً يوجب عقوبة، فصاح السلطان بصاحب الترجمة، وقال: اخرج عني فقام وخرج **فقال ابن جماعة: قد تجرأ وما بقي إلا أن يزاحم السلاطين،** فانزعج السلطان وقال: اقطعوا لسانه فبادر الأمراء ليفعلوا به ذلك وأحضروا صاحب الترجمة فارتعد وصاح واستغاث بالأمراء فرقوا له وألحوا على السلطان في الشفاعة ودخل ابن الوكيل وهو ينتحب ويبكي فظن السلطان أنه أصابه شيء فقال له: خير خير، فقال: هذا **رجل عالم صالح لكنه ناشف الدماغ،** قال: صدقت وسكن غضبه.

**فانظر ما فعله ابن جماعة بكلمته الحمقاء وما فعله صدر الدين ابن الوكيل رحمه الله من التوصُّل إلى سلامة هذا المسكين وهكذا ينبغي لمن كان له قبول عند السلاطين أن يتحيل عليهم في منافع المسلمين وحقن دمائهم بما أمكنه** فإن صاحب الترجمة **لم يكن ناشف الدماغ** ولكن كان في هذه الوسيلة سلامته من تلك البلية ومات في شهر ربيع الآخر سنة ٧٢٤ أربع وعشرين وسبعمائة[١].

*** جاء في ترجمة علي بن محمد بن محمد بن محمد بن الأخضر الشيباني أبو الحسن:**

---

(١) البدر الطالع ج ١ ص ٥٠٢.

**قال الذهبي:**

**الشيخ العالم الخطيب المسند.**

**قال السمعاني:**

**كان ثقة نبيلاً صدوقاً** معمراً مسنداً انتشرت راياته في الآفاق وكان أقطع اليد قطعت في كائنة البساسيري وكان يقدم بغداد أحياناً ويحدث.

**قال صالح بن علي بن الخطيب** الأنباري:

**أمر البساسيري جدنا علياً أن يخطب للمستنصر** صاحب مصر فلما خطب دعا للقائم ولم يمتثل أمر البساسيري **فأمر بقطع يده** على المنبر[1].

*** جاء في ترجمة علي بن الحسن ابن الشيخ أبو الفرج بن المسلمة أبو القاسم:**

**قال الذهبي:**

**هو وزير القائم** بأمر الله الصدر المعظم استكتبه القائم ثم استوزره وكان عزيزاً عليه جداً وكان من خيار الوزراء العادلين ووثقه الخطيب وقال: اجتمع فيه من الآلات ما لم يجتمع في أحد قبله مع سداد مذهب ووفور عقل وأصالة رأي.

**قال ابن الجوزي:**

**وزر أبو القاسم** في سنة ثلاث وأربعين ولقب جمال الورى شرف الوزراء ولم يبق له ضد إلا البساسيري الأمير أبو الحارث التركي فإن أبا الحارث عظم جداً **ولم يبق للملك الرحيم ابن بويه معه سوى الاسم** ثم إنه خلع القائم وتملك بغداد وخطب بها لصاحب مصر المستنصر **فقتل رئيس الوزراء** أبا القاسم بن المسلمة.

**وقال محمد بن عبدالملك الهمداني:**

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٦٠٥.

أخرج رئيس الوزراء وعليه عباءة وطرطور وفي رقبته مخنقة جلود وهو يقرأ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ . . .﴾ [آل عمران: ٢٦]، ويرددها فطيف به على جمل ثم خيط عليه جلد ثور بقرنين وعلق في فكيه كلوبان وتلف في آخر النهار.

**قال الذهبي:**

**وكان من علماء الكبراء ونبلائهم**[١].

**وقال أبو الحسن الباخرزي:**

**ولأبي القاسم فضل النطق المستطاب**، ماهر في التكلم على **مذهب أبي الحسن الأشعري** خارج في إحاطته بالعلوم عن الحد البشري.

**قال عبدالغافر بن إسماعيل:**

**ومن جملة أحوال أبي القاسم** ما خص به من المحنة في الدين **وظهور التعصب بين الفريقين وميل بعض الولاة إلى الأهواء وسعي بعض الرؤساء إليه بالتخليط حتى أدى ذلك إلى رفع المجالس وتفرق شمل الأصحاب وكان هو المقصود من بينهم حسداً** حتى اضطر إلى مفارقة الوطن[٢].

*** جاء في ترجمة عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموي أبو عمرو الداني:**

**قال الذهبي:**

**الإمام الحافظ المجود المقرىء الحاذق عالم الأندلس**، وقد كان بين أبي عمرو وبين **أبي محمد بن حزم وحشة ومنافرة** شديدة أفضت بهما إلى **التهاجي وهذا مذموم من الأقران موفور الوجود نسأل الله الصفح، وأبو عمرو أقوم قليلاً وأتبع للسنة** ولكن أبا محمد أوسع دائرة في العلوم بلغت تواليف

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٢١٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٢٣١.

أبي عمرو مئة وعشرين كتاباً وقدم بغداد ولقبه **القائم** سيد الوزراء، **وكان معتزلياً** له النظم والنثر فلما مات طغرلبك وزر لألب أرسلان قليلاً ونكب.

**ووزر تسع سنين** وأخذوا أمواله منها ثلثمائة مملوك **وقتل صبراً وطيف برأسه وما بلغنا عنه كبير إساءة...**

**وقيل: كان يؤذي الشافعية ويبالغ في الانتصار لمذهب أبي حنيفة**[1].

*** جاء في ترجمة محمد بن علي بن نصر بن البل الدوري أبو المظفر:**

**قال ابن النجار:**

**صار شيخ الوعاظ وكثر له القبول** ووعظ عند قبر معروف، وكانت بينه وبين **ابن الجوزي منافرات** ولكل منهما **متعصبون وأتباع**، ولم يزل الدوري على ذلك **إلى أن خاصم ولده غلاماً لأم الناصر** وبدا من الشيخ ما اشتد به الأمر فمنع من الوعظ وأمر بلزوم بيته فبقي كذلك إلى حين وفاته وكان فاضلاً متديناً صدوقاً[2].

*** جاء في ترجمة عبدالمغيث بن زهير بن علوي أبو العز بن أبي الحرب البغدادي الحربي ولد سنة ٥٠٠:**

**قال الذهبي:**

**الشيخ الإمام المحدث الزاهد الصالح المتبع بقية السلف**، وقد ألف جزءاً في **فضائل يزيد أتى فيه بعجائب وأوابد** لو لم يؤلفه لكان خيراً، **وعمله رداً على ابن الجوزي ووقع بينهما العداوة**، ولعبدالمغيث غلطات تدل على قلة علمه قال مرة: مسلم بن يسار صحابي وصحح حديث الاستلقاء وهو منكر فقيل له في ذلك فقال: إذا رددناه كان فيه إزراء على من رواه.

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٧٧، ١١٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٢٢ ص ٧٥.

**وحكى ابن تيمية شيخنا قال:** قيل إن الخليفة الناصر لما بلغه نهي عبدالمغيث عن سب يزيد تنكر وقصده وسأله عن ذلك فتباله عنه، وقال: يا هذا إنما قصدت كف الألسنة عن لعن الخلفاء وإلا فلو فتحنا هذا لكان خليفة الوقت أحق باللَّعن لأنه يفعل كذا ويفعل كذا وجعل يعدد خطاياه، قال: يا شيخ ادع لي وقام[1].

*** جاء في ترجمة محمد بن عبدالله بن سعيد بن عبدالله بن سعيد التلمساني القرطبي الأصل:**

**قال الشوكاني:**

**فاق أقرانه واتصل بالسلطان** أبي الحجاج يوسف بن أبي الوليد بن نصر الأحمر **فمدحه وتقرب منه واستكتبه** من تحت يد أبي الحسن بن الجناب إلى أن مات أبو الحسن في الطاعون العام **فاستقل بكتابة السر وأضاف إليه رسوم الوزارة** واستعمله في السفارة إلى الملوك واستنابه في جميع ما يملكه فلما قتل ابن الحجاج سنة **٧٥٥هـ**، وقام ابنه محمد استمر ابن الخطيب على وزارته واستكتب معه غيره ثم أرسله إلى عيان المرسي بفاس يَسْتَنْجِدُهُ فمدحه فاهتزله وبالغ في إكرامه فلما خلع محمد **وتغلب أخوه إسماعيل على السلطنة قبض على صاحب الترجمة** بعد أن كان أمنه واستأصل نعمته ولم يكن بالأندلس مثلها من المستغلات والقار والمنقولات وسجن واستمر مسجوناً إلى أن وردت شفاعة أبي سالم بن أبي عيان فيه وجعل خلاصه شرطاً في مسألة الدولة وكذلك خلاص السلطان محمد بن أبي الحجاج من السجن فخلصا وانتقلا إلى أبي عيان فاستقرا في مدينة فاس وبالغ في إكرامهما.

**ثم نقل صاحب الترجمة إلى مدينة مراكش** فأكرمه عمالها ثم شفع له أبو سالم مرة ثانية فردت عليه ضياعه بغرناطة إلى أن عاد السلطان محمد إلى السلطنة فقدم عليه صاحب الترجمة بأهله فأكرمه وقلده ما وراء بابه

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ١٥٩.

فباشر ذلك مقتصراً على الكفاية راضياً بالدون من الثياب هاجراً للتأنق في جميع أحواله صادعاً بالحق وعمر زاوية ومدرسة **وصلحت أمور سلطانه على يده** فلم يزل على ذلك إلى أن وقع بينه وبين عثمان بن يحيى بن عمر **شيخ القراءات منافرة** أدت إلى نفي عثمان المذكور في شهر رمضان سنة **٧٦٤** فظن ابن الخطيب أن الوقت صفا له **وأقبل سلطانه على اللهو وانفرد هو بتدبير المملكة فكثرت القالة فيه من الحسدة واستشعر في آخر الأمر أنهم سعوا به إلى السلطان** وخشي البادرة فأخذ في التحيل في الخلاص وراسل أبا سالم صاحب فاس في اللحاق به وخرج مظهراً أنه يريد تفقد الثغور الغربية فلم يزل حتى حاذى جبل الفتح فركب البحر إلى سبتة ودخل مدينة فاس سنة **٧٧٣** فتلقاه أبو سالم وبالغ في إكرامه وَأَجرى له الرواتب فاشترى بها ضياعاً وبساتين **فبلغ ذلك أعداءه بالأندلس فسعوا به عند السلطان محمد** حتى أذن لهم في الدعوى عليه بمجلس الحاكم بكلمات كانت تصدر منه وتُنسبُ إليه وأثبتوا ذلك وسألوه الحكم به فحكم به **فحكم بزندقته وإراقة دمه** وأرسلوا صورة المكتوب إلى فاس فامتنع أبو سالم وقال: هلا أقمتم ذلك عليه وهو عندكم فأما ما دام عندي فلا يوصل إليه فاستمر على حالته بفاس إلى أن مات أبو سالم **فلما تسلطن أبو العباس بعده أغراه به أعداؤه** فلم يزالوا به حتى قبض عليه وسجن فبلغ ذلك سلطان غرناطة فأرسل وزيره أبا عبدالله إلى أبي العباس بسببه فلم يزل به حتى أذن لهم في الدعوى عليه عند القاضي فباشر الدعوى أبو عبدالله في مجلس السلطان **فأقام البينة بالكلمات التي أثبتت عليه** فعزره القاضي بالكلام ثم بالعقوبة ثم بالسجن ثم أُدْخِلَ عليه بعد أيام مَنْ خنقه ليلاً وأخرج من الغد فدفن فلما كان من الغد وجد على شفير قبره محروقاً فأعيد إلى حفرته وقد احترق شعره واسودت بشرته.

**ولعل صاحب الترجمة** هو الذي ألف المقري في مناقبه الكتاب المسمى **نفح الطيب في مناقب لسان الدين ابن الخطيب**، والمؤلف من الموجودين بعد الألف وقد صنف من محاسنه ما يشنف الأسماع وقتله على الصفة المذكورة **هو من تلك المجازفات التي صار يرتكبها قضاة المالكية**

**ويريقون بها دماء المسلمين بلا قرآن ولا برهان** وأما وجوده على شفير القبر محرقاً فلا ريب أن ذلك من صنع أعدائه وليس بجرم ولا فيه دليل على صحة ما امتحن به فإن الأرض قد قبلت فرعون وهامان وسائر أساطين الكفران[1].

## ثانياً: هوى الحسد بسبب المناصب

*** جاء في ترجمة عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي تاج الدين:**

**قال الشوكاني:**

**رزق السعادة في تصانيفه فانتشرت في حياته** وكان ذا بلاغة وطلاقة جيد البديهة طلق اللسان حسن النظم والنثر، ودرس في غالب مدارس دمشق وناب عن أبيه في الحكم ثم اشتغل به باختيار أبيه وولي خطابة الجامع وانتهت إليه رياسة القضاء والمناصب بالشام **وحصل له بسبب القضاء محنة بعد محنة** وهو مع ذلك في غاية الثبات وعزل مرات وكشفوا عليه في بعضها وحكم بعض القضاة بحبسه واجتهدوا في طلب غيره من عثراته فلم يجدوا.

**قال ابن كثير: جرى عليه من المحن والشدائد ما لم يجر على قاض قبله له من المناصب الرياسة ولم يحصل لأحد قبله** وانتهت إليه الرياسة بالشام وأبان في أيام محنته عن شجاعة وقوة مناظرة حتى أفحم خصومه مع كثرتهم ولما عاد على وظايفة صفح عن القائمين عليه وكان كريماً مهاباً[2].

*** جاء في ترجمة محمد بن عمر بن عبدالصمد بن عطية الأموي وكان يقال له ابن الخطيب:**

---

(١) البدر الطالع ج ٢ ص ١٩١.

(٢) البدر الطالع ج ١ ص ٤١٠.

**قال الشوكاني:**

**تقدم في الفنون وفاق الأقران،** وقال الشعر الحسن وكان أعجوبة في الذكاء والحفظ، وحفظ المفصل في مائة يوم، وحفظ ديوان المتنبي في جمعة والمقامات في كل يوم مقامة وكان لا يمر بشاهد المعرب إلا حفظ القصيدة كلها وأفتى وهو ابن عشرين سنة.

**قال ابن حجر:** وكان لا يقوم **لمناظرة ابن تيمية** أحد سواه ودرس بالمدارس، **وكثر حاسدوه** حتى إنه بلغه أنهم **رتبوا عليه دعوى في أمورٍ أرادوا إثباتها عليه فبادر إلى القاضي سليمان الحنبلي وسأله أن يحكم بصحة إسلامه وحقن دمه** ورفع التعزير عنه وعدالته وإبقائه على وظائفه فأجابه إلى ذلك كله وكبسه جماعة فوجدوه مع جماعة يشربون الخمر فأمر النائب بمصادرته فبادر في اليوم الثاني إلى القاضي وأثبت محضراً **شهد فيه الذين كبسوه أنهم لم يروه سكرانَ ولا شموا منه رائحة الخمر وإنما وجدوه في ذلك البيت وفي المكان زبدية خمر** وشفع له بعض الناس فأعفي من المصادرة **ثم جاء كتاب من السلطان يعزله من جميع جهاته** التي كان يدرس فيها ثم عينت له بعد أيام وظائف كثيرة **وتقدم واشتهر صيته** وكانت له وجاهة عند الدولة، **وكان ممن أفتى بأن الناصر لا يصلح للملك** ودس أعداؤه إلى الناصر قصيدة ذكروا أنه هجاه بها فأراد القبض عليه بعض أمراء السلطان ففر إلى غزة.

**قال جلال الدين القزويني:** كنت عند الناصر فدخل الحاجب فقال: **صدر الدين بن الوكيل بالباب** فقال: يدخل، فلما دخل قال له الحاجب: بُسِ الأرض فامتنع وقال: **مثلي لا يبوس الأرض إلا للّه،** فما شككت أن دمه يسفك فقال له الناصر: أنت فقيه تركب البريد وتروح إلى مصر وتدخل بين الملوك وتعير الدول وتهجو السلطان فقال: **حاشا للّه وإنما أعدائي وحسادي نظموا ما أرادوا على لساني** وهذا الذي تكلمته أنا معي ثم أخرجَ قصيدة في وزن تلك القصيدة التي نسبوها إليه نحو مائتي بيت فأنشدها فصفح عنه.

وقال ابن حجر: وكان فيه لعب ولهو[1].

## ثالثاً: الحسد والهوى بسبب التقدم في العلوم

*** جاء في ترجمة محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه، أبو عبدالله بن البيع، الحاكم النيسابوري:**

**قال الذهبي:**

**الإمام الحافظ الناقد** العلامة شيخ المحدثين.

**أنبأني أحمد بن سلامة** عن محمد بن إسماعيل الطرسوسي عن ابن طاهر أنه سأل أبا إسماعيل بن محمد الهروي عن أبي عبدالله الحاكم فقال: ثقة في الحديث، رافضي خبيث.

**قلت: كلا ليس هو رافضياً بل يتشيع.**

**قال ابن طاهر**: كان شديد التعصب للشيعة في الباطن، وكان يظهر التسنن في التقديم والخلافة، **وكان منحرفاً غالياً عن معاوية رضي الله عنه وعن أهل بيته**، يتظاهر بذلك، ولا يعتذر منه، فسمعت أبا الفتح سمكويه بهراة سمعت عبدالواحد المليكي سمعت أبا عبدالرحمٰن السلمي يقول: دخلت على الحاكم وهو في داره لا يمكنه الخروج إلى المسجد **من أصحاب أبي عبدالله بن كرام**، وذلك أنهم كسروا منبره ومنعوه من الخروج، فقلت له: لو خرجت وأمليت في فضائل هذا الرجل حديثاً، لاسترحت من المحنة، فقال: **لا يجيء من قلبي، لا يجيء من قلبي**.

**وسمعت المظفر بن حمزة** بجرجان سمعت أبا سعد الماليني يقول: طالعت كتاب المستدرك على الشيخين الذي صنفه الحاكم من أوله إلى آخره فلم أرَ فيه حديثاً على شرطهما.

**قلت: هذه مكابرة وغلو**، وليست رتبة أبي سعد أن يحكم بهذا، **بل**

---

(١) البدر الطالع ج ٢ ص ٢٣٤.

**في المستدرك شيء كثير على شرطهما**، وشيء كثير على شرط أحدهما، ولعل مجموع ذلك ثلث الكتاب بل أقل، فإن في كثير من ذلك أحاديث في الظاهر على شرط أحدهما أو كليهما، وفي الباطن لها علل خفية مؤثرة، وقطعة من الكتاب إسنادها صالح وحسن وجيد، وذلك نحو ربعه، **وباقي الكتاب مناكير وعجائب وفي غضون ذلك أحاديث نحو المائة يشهد القلب ببطلانها**[1].

*** جاء في ترجمة محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبدالله أبو عبدالله شمس الدين الذهبي:**

**قال الشوكاني:**

**الحافظ الكبير المؤرخ صاحب التصانيف** السائرة في الأقطار.

**قال البدر النابلسي في مشيخته:** كان علامة زمانه في الرجال وأحوالهم جيد الفهم ثاقب الذهن وشهرته تغني عن الإطناب فيه، **وقد أكثر التشنيع عليه تلميذه السبكي** وَذكَرهُ في مواضع من طبقاته للشافعية ولم يأت بطائل **بل غاية ما قاله أنه كان إذا ترجم للظاهرية والحنابلة أطال في تقريظهم** وإذا ترجم لغيرهم من شافعي أو حنفي لم يستوف ما يستحقه وعندي أن هذا كما قال الأول:

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

**فإن الرجل قد ملىء حباً للحديث** وغلب عليه فصار الناس عنده هم أهله، وأكثر محققيهم وأكابرهم من كان يطيل الثناء عليه إلا من غلب عليه التقليد وقطع عمره في اشتغال بما لا يفيد.

**ومن جملة ما قاله السبكي في صاحب الترجمة** أنه كان إذا أخذ القلم غضب حتى لا يدري ما يقول وهذا باطل فمصنفاته تشهد بخلاف هذه

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ١٦٢.

المقالة وغالبها الإنصاف والذب عن الأفاضل وإذا جرى قلمه بالوقيعة في أحد فإن لم يكن من معاصريه فهو إنما روى ذلك عن غيره وإن كان من معاصريه فالغالب أنه لا يفعل ذلك إلا مع من يستحقه، وإن وقع ما يخالف ذلك نادراً فهذا شأن البشر وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا المعصوم، والأهوية تختلف والمقاصد تتباين[1].

* جاء في ترجمة إبراهيم بن محمد الأزهري أحمد أبو إسحاق تقي الدين نزيل دمشق الصريفيني:

قال في ذيل طبقات الحنابلة:

سألت ابن عبدالواحد يعني الحافظ الضياء عنه؟ فقال: إمام حافظ ثقة أمين دين حسن الصحبة وله معرفة بالفقه.

وسألت البرزالي عنه؟ فقال: حافظ دين ثقة انتهى.

ونقل الذهبي عن المنذري: ولم أجد في الوفيات ذكر الصريفيني بالكلية وأنه قال عنه: كان ثقة حافظاً صالحاً، له جموع حسنة لم يتمها، ولكن هذا قاله الشريف الحسيني في ذيله على كتاب المنذري وزاد: كتب بخطه كثيراً وكان من العارفين بهذا الشأن.

وقال أبو شامة: كان عالماً بالحديث ديناً متواضعاً.

وقرأت بخط ناصح الدين بن الحنبلي سبب ولاية الصريفيني دار الحديث بحلب قال: كان القاضي بهاء الدين بن شداد له غلو في إعلاء مذهب الشافعي، فرأى في منامه رسول الله ﷺ قال: فسألته أي المذاهب خير؟ ثم كتم جواب رسول الله ﷺ.

قال الناصح: الظاهر أنه أشار إلى مذهب أحمد، لأن تعصبه على مذهب أبي حنيفة ومال إلى الحنابلة، وأجلس التقي إبراهيم الحافظ

---

(١) البدر الطالع ج ٢ ص ١١٠.

الصريفيني في دار الحديث وقال: ندمت إذ وسمتها بالشافعية.

**قال: ولو كان الجواب مذهب الشافعي لأظهره لأنه كان داعية إليه،** مبالغاً في تعظيمه، وإظهاره عند الملوك والملوك على مذهبه.

**وقد وقفت على جزء صغير للحافظ الصريفيني** استدركه على الحافظ ضياء الدين في الجزء الذي استدركه فيه على الحافظ أبي القاسم بن عساكر في كتاب ذكر المشايخ النبل فاعتذر الصريفيني عن ابن عساكر[1].

*** جاء في ترجمة عبدالمنعم بن علي بن نصر بن منصور أبو محمد نجم الدين الحراني:**

**قال في ذيل الطبقات للحنابلة:**

**تفقه على أبي الفتح بن المني** حتى حصل طرفاً صالحاً من المذهب والخلاف، ثم عاد إلى حران، ثم قدم بغداد مرة أخرى سنة ست وتسعين ومعه ولداه النجيب عبداللطيف، والعز عبدالعزيز، وأسمعهما الكثير، وقرأ على الشيوخ، وكتب وحصل وناظر في مجالس الفقهاء، وحلق المناظرين، ودرس وأفاد الطلبة، واستوطن بغداد وعقد بها مجلس الوعظ بعدة أماكن.

**ذكر ذلك ابن النجار** وقال: كان مليح الكلام في الوعظ، رشيق الألفاظ حلو العبارة كتبنا عنه شيئاً يسيراً، وكان ثقة صدوقاً متحرياً حسن الطريق متديناً متورعاً نزهاً عفيفاً، عزيز النفس مع فقر شديد، وله مصنفات حسنة وشعر جيد، وكلام في الوعظ بديع، وكان حسن الأخلاق لطيف الطبع متواضعاً جميل الصحبة.

**وقال أبو المظفر سبط بن الجوزي:** كان صالحاً ديناً نزهاً عفيفاً كيساً لطيفاً متواضعاً كثير الحياء وكان يزور جدي ويسمع معنا الحديث، **وذكر أنه استوطن بغداد لوحشة جرت بينه وبين خطيب حران ابن تيمية فإنه خشي منه أن يتقدم عليه،** فلما استشعر ذلك منه عاد إلى بغداد وسكنها[2].

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٢٢٧.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٤٠.

* **جاء في ترجمة محمد بن عتيق بن محمد بن هبة الله أبو عبدالله المعروف بابن أبي كدية:**

**قال الذهبي:**

**العلامة الأصولي** شيخ القراء.

**حدث بصور**، فسمع منه الفقيه نصر المقدسي وروى عنه أبو عامر العبدري وعبدالحق اليوسفي والسلفي وآخرون، وتصدر لإقراء الأصول **وكان متعصباً لمذهب الأشعري.**

**قال ابن عقيل: هو شيخ هش**، حسن العارضة، جاري العبارة، حفظة متدين صلف تذاكرنا فرأيته مملوءاً علماً وحفظاً.

**قلت: توفي في ذي الحجة** سنة اثنتي عشرة وخمسمائة عن نحو من تسعين سنة.

**وقال السلفي: كان مشاراً إليه في الكلام**، قال لي: أنا أدرس الكلام من سنة ثلاث وأربعين، **جرت بينه وبين الحنابلة فتن**، وأوذي غاية الإيذاء، **سألته عن الاستواء؟ فقال: أحد الوجهين للأشعري أنه يحمل على ما ورد ولا يفسر.**

**وقال أحمد بن شافع:** قال ابن ناصر وجماعة: **كان أصحاب القيرواني يشهدون عليه أنه لا يصلي ولا يغتسل من جنابة في أكثر أحواله، ويرمى بالفسق مع المرد، واشتهر بذلك، وادعى قراءة القرآن على ابن نفيس.**

**قلت: هذا كلام بهوى**(١).

* **جاء في ترجمة محمد بن محمد بن زيد العلوي الحسيني أبو المعالي البغدادي:**

**قال الذهبي:**

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٤١٧.

الإمام الحافظ المجود السيد الكبير المرتضى ذو الشرفين، صنف وجمع وكان كبير القدر.

قال أبو سعد السمعاني:

هو أفضل علوي في عصره له المعرفة التامة بالحديث وكان يرجع إلى عقل وافر ورأي صائب.

وقال يوسف بن أيوب الزاهد:

ما رأيت علوياً أفضل منه، وأثنى عليه وكان من الأغنياء المذكورين وسمعت أبا المعالي محمد بن نصر الخطيب يقول ذلك وكان من أصحاب الشريف وسمعته يقول: إن الشريف أنشأ بستاناً عظيماً فطلب صاحب ما وراء النهر الخاقان خضر أن يحضر دعوته في البستان فقال الشريف للحاجب: لا سبيل إلى ذلك فألح عليه فقال: لكني لا أحضر ولا أهيىء له آلة الفسق والفساد ولا أعصي الله تعالى، قال: فغضب الخاقان وأراد أن يقبض عليه فاختفى عند وكيل له نحواً من شهر فنودي عليه في البلد فلم يظفروا به ثم أظهروا ندماً على ما فعلوا ليطمئن وألح عليه أهله في الظهور، فجلس على ما كان مدة ثم إن الملك نفذ إليه ليشاوره في أمر فلما حصل عنده أخذه وسجنه ثم استأصل أمواله وضياعه فصبر وحمد الله وقال: من يكون من أهل البيت لا بد أن يبتلي وأنا ربيت في النعمة وكنت أخاف أن يكون وقع في نسبي خلل فلما جرى هذا فرحت وعلمت أن نسبي متصل[١].

## رابعاً: حسد العلماء بغرض الطعن في الدين

### * جاء في ترجمة يوسف بن وهرة الهمذاني:

قال ابن خلكان:

كان فقيهاً، زاهداً، عالماً، عاملاً، ربانياً، صاحب مقامات وكرامات.

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٥٢٠.

**ولد بقرية** من قرى همذان على مرحلة منها، سنة أربعين أو إحدى وأربعين وأربعمائة، ثم قدم بغداد بعد الستين وأربعمائة، ولازم الشيخ أبا إسحاق الشيرازي وتفقه عليه حتى برع في المذهب والأصول والخلاف، وسمع الحديث من جماعة ببلاد شتى، وكتب أكثر ما سمعه، ثم رحل عن بغداد واشتغل بالعبادة حتى صار علماً من أعلام الدين، قدوة إلى الله تعالى، ثم قدم بغداد في سنة خمس عشرة وخمسمائة، وحدث بها، وعقد بها مجلس الوعظ بالنظامية، **فقام فقيه يعرف بابن السقا فسأله بحضور الناس عن مسألة، وآذاه، فقال له الشيخ: اجلس فإني أجد في كلامك رائحة الكفر، ولعلك تموت على غير دين الإسلام،** فاتفق بعد هذا القول بمدة قدوم رسول نصراني من ملك الروم إلى الخليفة فذهب إليه ابن السقا فسأله أن يستصحبه، فخرج معه إلى القسطنطينية والْتَحقَ بملك الروم، وتنصر ومات على النصرانية.

**رآه شخص بالقسطنطينية** وهو مريض ملقى على دكة وبيده خَلَقُ مروحة يدفع بها الذباب قال: فسألته: هل القرآن باق على حفظك؟ فقال: ما أذكر منه إلا آية واحدة ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾[1] والباقي نسيته، نعوذ بالله من سوء الخاتمة[2].

**وترجم له الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء فسماه يوسف بن أيوب** بن يوسف وجعل وهرة جده الأعلى.

**قال:** سمعت صافي بن عبدالله الصوفي يقول: حضرت مجلس يوسف في النظامية فقام ابن السقاء فآذى الشيخ وسأله عن مسألة فقال: اجلس إني أجد من كلامك رائحة الكفر ولعلك تموت على غير الإسلام فاتفق أن ابن السقاء ذهب في صحبة رسول طاغية الروم وتنصر بقسطنطينية وسمعت ممن أثق به أن ابن أبي بكر والشاشي قاما في مجلس وعظه وقالا له: **إن كنت**

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٢.

(٢) طبقات الشافعية ج ٢ ص ٣١٦.

**تنتحل مذهب الأشعري وإلا فانزل**، فقال: اقعدا لا متعتما بشبابكما، فسمعت جماعة أنهما ماتا قبل أن يتكهلا، وسمعت السيد إسماعيل بن عوض العلوي سمعت يوسف بن أيوب يقول للفصيح وكان من أصحابه فخرج عليه ورماه بأشياء، فقال: هذا الرجل يقتل وسترون ذلك، فكان كما جرى على لسانه، وقال جدي أبو المظفر السمعاني: ما قدم علينا من العراق مثل يوسف الهمذاني وقد تكلم معه في مسألة البيع الفاسد فجرى بينهما سبعة عشر مجلساً في المسألة.

**وأما ابن السقاء المذكور فقال ابن النجار**: سمعت عبدالوهاب بن أحمد المقرىء يقول: كان ابن السقاء مقرئاً مجوداً، حدثني من رآه بالقسطنطينية مريضاً على دكة فسأله هل القرآن باق على حفظك؟ قال: ما أذكر منه إلا آية واحدة ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ والباقي نسيته[1].

## المبحث الثالث
## الاختلاف المذهبي الفقهي

### مدخل:

**كان الرعيل الأول** من الصحابة والتابعين على منهج سلفي واحد، وهذا لا يعني عدم وجود اختلافات بينهم في مجال الرأي، وإنما المراد أن الجميع كانوا صحيحي المنهج والتصور والرؤية الواضحة التي تركها النبي ﷺ للأمة، وبرز منهم العلماء وتبعهم الناس في فتاواهم، فكان **ابن مسعود** رضي الله عنه إمام أهل الكوفة، وعنه أخذ **أصحابه** الأسود بن يزيد، وعلقمة وغيرهم، وعنهم أخذ **إبراهيم النخعي**، وعنه أخذ **حماد بن أبي سليمان**، ثم انتقل جل ذلك العلم إلى الإمام **أبي حنيفة النعمان بن ثابت**، ومن هنا نشأ **المذهب الحنفي** الذي يعبد الله به أكثر الأمة الإسلامية في أنحاء المعمورة.

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ٦٨.

وكان **ابن عباس** رضي الله تعالى عنه بمكة، وعنه أخذ **عطاء بن أبي رباح**، ثم أخذ عن عطاء: **مسلم بن خالد الزنجي**، وانتقل جل هذا العلم إلى الإمام **الشافعي**، واتبع مذهبه خلائق في كل عصر وآن.

وكان **ابن عمر** رضي الله عنه وغيره من الصحابة ممن ينشر العلم بالمدينة، وأخذ عنه مجموعة من التابعين على رأسهم سيدهم **سعيد بن المسيب** وسائر الفقهاء بالمدينة النبوية، ثم ورث ذلك كله الإمام **مالك بن أنس**، وتبعه على ذلك أمم ممن لا يحصون كثرة.

**وجمع أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل** مرويات الفقهاء من الصحابة وأئمة التابعين، وناظر وذاكر أئمة عصره من الفقهاء ولا سيما المحدثين منهم أمثال **إسحق بن راهويه، وسفيان الثوري**، وغيرهم، ونقلت عنه المسائل، ودون عنه الفقه، وصار له مذهب متبوع، وعلم مرفوع.

**وهذا الأمر في ذاته أمر لا بأس به**، وظاهرة طيبة في الأمة، ولو استمر الأمر على ذلك لهان الخطب، ولكن الشيطان تحرش بهذه الأمة، وصار بعضهم يبغي على بعض، ويتعصب بعضهم لإمامه، حتى يترك حق أخيه المسلم، واستمرت الفتن والإحن بين الناس بسبب ذلك، وأدى ذلك إلى **شيوع التحاسد بين أتباع المذاهب المختلفة**، وانضم إلى ذلك **التحاسد بين هؤلاء وبين المتصوفة**، وصار كل من يترك بعض ما أمر به من الشرع يقع بينه وبين غيره **العداوة والبغضاء والحسد**، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد ضربت أمثلة فيما يلي من هذا الذي ذكرت جمعت شتاتها من بين صفحات الكتب، وأسأل الله تعالى أن يعصمنا **من الحسد والبغضاء والعداوة** لإخواننا المؤمنين.

## التعصب المذهبي

**لا شك أن التعصب المذهبي** ضرب **بأطنابه في هذه الأمة ردحاً من الزمان** وإن إلزام الناس بأن يتمذهبوا بمذهب معين هو بدعة ظهرت في هذه الأمة وانتشرت حتى وصل حال الأمة إلى ما وصل إليه في هذه العصور المتأخرة.

**ولم يكن الناس في عهد صحابة النبي ﷺ يلتزمون رأي أبي بكر أو عمر أو عثمان أو غيرهم طيلة حياتهم**، بل إن ظهر لهم ما يستوجب الفتيا استفتوا من رأوهم من أهل العلم دون أن يجعلوا أنفسهم ملتزمين برأي أحد الناس يأخذون رأيه في كل شيء ويتبعونه في كل صغيرة وكبيرة طيلة أعمارهم.

**ولعمر الله فإن التعصب المذهبي أورث حسداً وحقداً وإحناً** في هذه الأمة، وقد كنا في غنى عن ذلك.

**ولعل من أهم الانحرافات والمآخذ** التي أصابت المذاهب الفقهية في القرون المتأخرة وينبغي لأهل العلم المبادرة إلى إصلاحها ما ذكره العلماء وطلاب العلم.

**يقول الأستاذ محمد عيد عباسي:**

**«عيوب المذاهب في القرون المتأخرة:**

**ونفصل ما أجملناه فنقول:** إن أهم الانحرافات والمآخذ والعيوب التي أصابت المذاهب الفقهية في القرون المتأخرة والتي نأخذها عليها وندعو لإصلاحها هي:

١ ـ **مخالفة النصوص الثابتة** من الكتاب والسنة تعصباً للمذهب وتقديم الرأي المحض أحياناً عليها.

٢ ـ **امتلاؤها بالأحاديث الضعيفة والموضوعة** والاحتجاج بها واستنباط الأحكام منها.

٣ ـ **تقديم أقوال العلماء المتأخرين على أقوال الأئمة والمتقدمين.**

٤ ـ **الانحباس في مذهب واحد**، وعدم الاستفادة من علم المذاهب الأخرى وجهود رجالها وكتبهم تعصباً للمذهب.

٥ ـ **خلو كثير من الكتب المذهبية من الأدلة الشرعية**، ورغبة الكثيرين عن دراسة الكتاب والسنة إليها.

٦ ـ **شيوع التقليد والجمود** وإقفال باب الاجتهاد.

٧ ـ **الخوض في المسائل الخيالية** والانشغال بالافتراضات السخيفة.

٨ ـ **فتح باب الحيل** للتخلص من التكاليف الشرعية.

٩ ـ **نشر الخلاف والانقسام بين المسلمين** والتسبب في وقوع الفتن والكوارث بينهم.

١٠ ـ **تدخل الظروف والمصالح السياسية في انتشار بعض المذاهب** وانحسار الأخرى.

١١ ـ **الأخذ بجزء من النص دون الجزء الآخر**.

١٢ ـ **مخالفتهم في الفروع** لما قرروه بأنفسهم في الأصول.

١٣ ـ **الوقوع في أخطاء اجتهادية فاحشة**.

١٤ ـ **التشدد في بعض المسائل**، مما فيه عنت كبير على الناس.

١٥ ـ **فساد طريقة التأليف** والتعقيد في الأسلوب.

١٦ ـ **مخالفة المقلدين للمذاهب** لما هو مذكور في كتبهم نفسها»[١]. اهـ.

**وكل هذه المفاسد حري بها أن** يبحث عن حل لعلاجها، وأقتطف من هذه المفاسد ما يتعلق بموضوع الكتاب مباشرة وهو السبب التاسع وكيف أن التعصب المذهبي أدى إلى نشر الخلاف والانقسام والفتنة بين المسلمين.

**يقول الأستاذ محمد عيد عباسي:**

(نشر الخلاف والانقسام والفتن بين المسلمين:

ومن مفاسد التعصب المذهبي المقيت، ونتائجه الضارة الخبيثة، تفريق جماعة المسلمين إلى مذاهب وشيع وفرق وطوائف، مختلفة في أكثر أمور

---

(١) من بدعة التعصب المذهبي لمحمد عيد عباسي، ص ١٣٧، ١٣٨.

الدين الواحد، في العقيدة والعبادة، والحلال والحرام، والفقه والأصول، والعاطفة والشعور، وبعضها يكيد لبعض، ويلعنه ويتربص به الدوائر بدلاً من أن يكونوا جميعاً صفاً واحداً وقلباً واحداً وفكراً واحداً وشعوراً واحداً، أليس من المؤسف جداً والمحزن جداً، أن ينظر بعضهم إلى بعض كأنهم من أديان منفصلة متعادية متخاصمة، وتصبح أمتهم الواحدة أمماً شتى.

القرآن يذم الخلاف:

وقد امتلأ القرآن الكريم بالدعوة إلى الاجتماع والائتلاف، والوحدة والإخاء، وحذر أشد التحذير من الفرقة والشقاق، والتنازع والخصام فقال سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[1] وقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[2] وقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[3].

**وقد بين الله عز وجل أن تقسيم الناس إلى طوائف متناحرة**، وشيع متخاصمة إنما هو من خطة الظالمين، ومكائد الأعداء الغاشمين، وشعارهم المعروف فرق تسد، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾[4].

كما بين سبحانه أن المختلفين من المؤمنين هم بعيدون عن الله، وأن غير المختلفين هم المرحومون القريبون منه عز وجل فقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[5].

وقد أرشدنا ربنا تبارك وتعالى إلى الطريق الصحيح للقضاء على كل خلاف ونزاع فقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٣) سورة الروم، الآية: ٣٢.

(٤) سورة القصص، الآية: ٤.

(٥) سورة هود، الآيتان: ١١٨، ١١٩.

(٦) سورة النساء، الآية: ٥٩.

قال المزني رحمه الله: فذم الله الاختلاف وأمر عنده بالرجوع إلى الكتاب والسنة، فلو كان الاختلاف من دينه ما ذمه، ولو كان التنازع من حكمه ما أمرهم بالرجوع عنده إلى الكتاب والسنة.

وقد اختلف أصحاب رسول الله ﷺ فخطأ بعضهم بعضاً، ونظر بعضهم في أقاويل بعض وتعقبها، ولو كان قولهم كله صواباً عندهم لما فعلوا ذلك، وقد جاء عن ابن مسعود في غير مسألة أنه قال: أقول فيها برأيي فإن يك صواباً فمن الله وإن يك خطأ فمني وأستغفر الله.

وغضب عمر بن الخطاب من اختلاف أبي بن كعب وابن مسعود في الصلاة في الثوب الواحد، إذ قال أبي: الصلاة في الثوب الواحد حسن جميل، وقال ابن مسعود: إنما كان ذلك والثياب قليلة، فخرج عمر مغضباً فقال: اختلف رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ ممن ينظر إليه ويؤخذ عنه، وقد صدق أبي، ولم يأل ابن مسعود ولكني لا أسمع أحداً يختلف فيه بعد مقامي هذا إلا فعلت به كذا وكذا»[1] اهـ.

ويقول أيضاً:

**«طعن أتباع المذاهب بعضهم في بعض:**

**وقد عملت عدة أمور على وقوع التنافر والخصام بين المتمذهبين بالمذاهب الأربعة**، واستحكام العداوة والبغضاء، فمن ذلك التعصب المذهبي، والجهل والجمود، وعمل أهل كل مذهب على نشر مذهبهم، فقد أدت هذه الأمور إلى طعن المذهبين في بعض، وانتقاص بعضهم بعضاً.

**حملة الأحناف على الشافعية:**

**قد حمل الأحناف من ناحيتهم** في كتبهم على الشافعية حملة عنيفة، فمن ذلك ما سبقت الإشارة إليه من تحريمهم زواج الحنفي من شافعية، ثم

---

(١) من بدعة التعصب المذهبي لمحمد عيد عباسي، ص ٢٠١ ـ ٢٠٣.

تجويزهم إياه قياساً على أهل الكتاب، دون تجويزهم زواج الشافعي من حنفية.

**ومن ذلك ما قاله صاحب كتاب مراقي الفلاح الحنفي** ص٢١، **٢٢** عن ماء البئر النجس الذي وقع فيه حيوان مات وانتفخ، قال: فإن عجن بمائها يلقى للكلاب أو يعلف به المواشي، وقال بعضهم: يباع لشافعي، فقد سوى هذا الفقيه بين الكلاب والشافعية، والعياذ بالله فتأمل.

**بل قد وصل الأمر إلى أكثر من ذلك** فقرأنا في ترجمة قاضي دمشق الحنفي محمد بن موسى البلاساغوني الذي توفي سنة **٥٠٥**هـ قوله: لو كان لي أمر لأخذت الجزية من الشافعية.

**ثم إن كثيراً من فقهاء الأحناف قد أفتوا ببطلان صلاة الحنفي وراء إمام شافعي،** قال ابن الهمام: وقال أبو اليسر: اقتداء الحنفي بشافعي غير جائز، لما روى مكحول النسفي في كتاب له سماه الشعاع أن رفع اليدين في الصلاة عند الركوع والرفع منه مفسدة، بناء على أنه عمل كثير، ومنهم من قيد جواز الاقتداء بهم كقاضيخان، بأن لا يكون متعصباً ولا شاكاً في إيمانه، ويحتاط في موضوع الخلاف، ومثل ذلك قال البابرتي في كتابه شرح العناية على الهداية على هامش فتح القدير ٣١٠/١.

### رد الشافعية على الحنفية:

**وقد رد الشافعية على هذه التهجمات الحنفية** بأن ألفوا كتباً ينتقصون فيها مذهب الحنفية، ويحطون من شأنه ويسخرون من بعض أقواله، وأشهر كتاب ألفوه في هذا المجال كتاب: مغيث الخلق في ترجيح المذهب الحق لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني، فقد عاب مذهب أبي حنيفة وخطأه وشنع عليه في مسائل كثيرة ولا بأس بأن أنقل لك شيئاً مما قاله الجويني، لتطلع على مدى الخلاف والبغضاء الذي استحكم بين المذهبين، ولترى النتائج الخطيرة التي أدت إليها بدعة التعصب المذهبي من تفريق المسلمين وتقسيمهم إلى شيع متناحرة متباعدة.

**قال الجويني:**

**من انغمس في مستنقع نبيذ**، ولبس جلد كلب غير مدبوغ، وأحرم بالصلاة مبدلاً بصيغة التكبير ترجمته تركيا أو هندياً، ويقتصر في القرآن على ترجمة قوله (مدهامتان) ثم يترك الركوع، وينقر نقرتين لا قعود بينهما، ولا يقرأ التشهد، ثم يحدث عمداً (أي يضرط) في آخر صلاته بدل التسليم ولو انفلت منه بأن سبقه الحدث يعيد الوضوء في أثناء صلاته ويحدث بعده فإن لم يكن قاصداً في حدثه الأول تحلل من صلاته على الصحة، ثم قال: والذي ينبغي أن يقطع به كل ذي دين أن مثل هذه الصلاة لا يبعث الله بها نبياً، وما بعث محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه لدعاء الناس إليها، وهي قطب الإسلام، وعماد الدين، وقد زعم أن هذا القدر أقل الواجب، فهي الصلاة التي بعث بها النبي ﷺ وما عداها آداب وسنن.

**ويحكي أن السلطان تميم الدولة وأمين الملة أبا القاسم محمود سبكتكين رحمه الله كان على مذهب أبي حنيفة**، وكان مولعاً بعلم الحديث، وكانوا يستمعون الحديث من الشيوخ بين يديه، وهو يسمع، وكان يستفسر الأحاديث، فوجد الأحاديث أكثرها موافقاً لمذهب الشافعي، فوقع في جلده حكة، فجمع الفقهاء من الفريقين في مرو، والتمس منهم الكلام في ترجيح أحد المذهبين على الآخر، فوقع الاتفاق على أن يصلوا بين يديه ركعتين على مذهب الشافعي وعلى مذهب أبي حنيفة، لينظر فيها السلطان، ويتفكر فيها ويختار ما هو أحسن وأفضل.

**فصلى القفال المروزي من أصحاب الشافعي بطهارة مسبغة**، وشرائط معتبرة من السترة واستقبال القبلة، وأتى بالأركان والهيئات والسنن والآداب والفرائض على وجه الكمال والتمام، وكانت صلاة لا يجيز الشافعي غيرها.

**ثم صلى ركعتين على ما يجوزه أبو حنيفة**، فلبس جلد كلب مدبوغ، ولطخ ربعه بالنجاسة، وتوضأ بنبيذ التمر، وكان في صميم الصيف في المفازة، فاجتمع عليه الذباب والبعوض، وكان الوضوء معكوساً منكساً، ثم استقبل القبلة، وأحرم بالصلاة من غير النية، وأتى بالتكبير بالفارسية، ثم قرأ

آية بالفارسية **﴿وبركك سيز﴾** ثم نقر نقرتين كنقرات الديك، من غير فصل ومن غير ركوع، وتشهد وضرط في آخره من غير سلام، وقال: أيها السلطان **هذه صلاة أبي حنيفة؟** فقال السلطان: إن لم تكن هذه صلاته قتلتك، لأن مثل هذه الصلاة لا يجوزها ذو دين.

**وأنكرت الحنفية أن تكون هذه صلاة أبي حنيفة**، فأمر القفال بإحضار كتب الفريقين، وأمر السلطان كاتباً نصرانياً أن يقرأ، فقرأ المذهبين جميعاً، فوجدت الصلاة في مذهب أبي حنيفة على ما حكاه القفال، فأعرض السلطان عن مذهب أبي حنيفة وتمسك بمذهب الشافعي.

**ثم قال الجويني**: ولو عرضت الصلاة التي جوزها أبو حنيفة على العامي لامتنع من قبولها والصلاة عماد الدين، فناهيك عن فساد اعتقاده في الصلاة وضوحاً على بطلان مذهبه هذا!!!.

**هذا وقد ردت الشافعية أيضاً** على إبطال الأحناف صلاة المقتدي الحنفي وراء إمام شافعي، بأن أفتى بعض فقهاء الشافعية ببطلان صلاة المقتدي الشافعي وراء إمام حنفي، قال الإمام النووي: فرع: اقتدى شافعي بحنفي وعكسه وفيه خلاف وتعم به البلوى، فإذا توضأ حنفي واقتدى به شافعي والحنفي لا يعتقد وجوب نية الوضوء، والشافعي يعتقدها فثلاثة أوجه، أحدها وهو قول الأستاذ أبي إسحاق الاسفرايني: لا يصح اقتداؤه، نوى أو لم ينوِ، وإن نوى فلا يراها واجبة فهي كالمعدومة، فلا تصح طهارته.

**وقال النووي أيضاً**: لو مس حنفي امرأة، أو ترك طمأنينة أو غيرها، صح اقتداء الشافعي به عند القفال، وخالفه الجمهور وهو الصحيح.

**هذا يا أخي القارىء نموذج من حملات المذهبين بعضهم على بعض**، ولك أن تتصور بعد ذلك مدى انتشار روح العداوة والبغضاء فيما بينهم، إذا علمت أن هؤلاء الذين قدمت لك بعض أقوالهم من أكبر علماء المذهبين الشهيرين شأناً وأرفعهم منزلة وأعلاهم قدراً وانظر إذا شئت تراجمهم في كتب التراجم فما بالك بطلبة العلم الصغار، وما رأيك بالعامة والغوغاء من مقلدة المذهبين؟

**ومن المعروف أن التلاميذ يتعصبون لآراء شيوخهم** ويبالغون فيها، فإذا كان قول الكبار كما رأيت فما بالك فيمن دونهم بمراحل؟

**لقد كان من نتيجة هذه الحملات العدائية** انتشار الكراهية الشديدة بل والعداء المستحكم البعيد جداً عن هدي الإسلام وسماحته، وغلبة هذا الجو الذي باض فيه التعصب وفرخ، ولا نبعد إذا قلنا: إن ذلك كان من الأسباب الكبرى لسقوط المسلمين وغلبة أعدائهم عليهم.

## شيوع المناظرات والجدل بين المذهبين:

**ومن المظاهر الخطيرة لذلك الجو المشحون بالعداء والكراهية** بين المذهبين تلك المناظرات الكثيرة التي كانت تعقد بين علماء المذاهب، وشيوعها لدرجة كبيرة وحضور الكبراء والوزراء مجالسها، ومن الغريب والطريف معاً أن نقرأ في بعض كتب التراجم أن العادة قد جرت في بعض المدن كبغداد مثلاً على انعقاد المناظرات بين فقهاء المذهبين في مجالس العزاء، وذلك ليسلوا المصاب عن مصيبته، ويخففوا من لوعته!!.

**وقد اختلف أمر المناقشات الفقهية** عما كان عليه الحال في زمن القرون الأولى اختلافاً كبيراً، إذ صار دافع الفقهاء عليها هو حب الظهور والغلبة أمام الأمراء والوجهاء وليس بقصد الوصول إلى الحق.

## الغزالي يحمل على المناظرات المذهبية:

**وقد بين ذلك واعترف به الإمام الغزالي رحمه الله**، فإنه كان من رؤسائهم، ومن أحد ألسنتهم، ثم انكشف له الغطاء، فترك هذه المظاهر الخلابة ورجع إلى الله.

**يرى الغزالي أنه لكي تكون المناظرة جائزة شرعاً** يجب أن تتوافر فيها شروط ثمانية، خلاصتها:

**أولاً**: ألا ينشغل العالم بالمناظرة، حتى يكون قد فرغ من فروض الأعيان.

**وثانياً**: ألا يرى فرض كفاية أهم منها.

**وثالثاً**: أن يكون المناظر مجتهداً يفتي برأيه بمذهب الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما، حتى إذا ظهر له الحق من مذهب أبي حنيفة ترك ما يوافق رأي الشافعي وأفتى بما ظهر له، فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل أهل العصر فأي فائدة في المناظرة، ومذهبه معلوم، وليس له الفتوى بغيره[1].

**رابعاً**: ألا يناظر إلا في مسألة واقعة أو قريبة الوقوع، وهؤلاء يطلبون الطبوليات التي تسمع.

**خامساً**: أن تكون المناظرة في الخلوة أحب إليه وأهم من المحافل[2].

**سادساً**: أن يكون المناظر طالباً الحق، يأخذه سواء عنده إن ظهر على يده أو على يد غيره.

**سابعاً**: ألا يمنع مناظره من بيان رأيه وبيان خطئه[3].

**ثامناً**: أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه لا من هو دونه.

**ثم عدد الغزالي رحمه الله عيوب المناظرة وآفاتها**، وذكر منها الحسد والحقد والغيبة والتجسس والشماتة، والنفاق والاستكبار عن الحق وكراهته، والرياء، وملاحظة الخلق، ثم بين أن أكثر المتناظرين مبتلون بهذه البلايا وقد

---

(١) قلت: ليذكر هذا الشرط الدكتور البوطي وأمثاله.

(٢) قلت: من الجدير بالذكر أن شيخنا ناصر الدين حفظه الله كان قد عرض على الدكتور البوطي أن يتناقشا على انفراد، ولكن الدكتور كان يصر حتى آخر لحظة على حضور بعض الشخصيات الكبيرة، فقارن ذلك بما قاله الإمام الغزالي رحمه الله ثم احْكُمْ بما تراه حقيقاً به.

(٣) قلت: انظر المستمع لتسجيل المناظرة بين الشيخ ناصر وبين البوطي يرى مدى إخلال الأخير بهذا الشرط إذ كان يقاطع الشيخ كثيراً جداً ويحاول جهده منعه من الكلام بكل وسيلة.

كان واحداً منهم فعافاه الله منها[1].

## انتشار الخراب والفتن بسبب التعصب المذهبي:

**وقد وصل الخلاف والخصام بين مقلدة المذاهب إلى درجة خطيرة فقد عادى بعضهم بعضاً** وصار يسعى بالكيد والأذى للبعض الآخر، وقد تسبب ذلك في حدوث الفتن الكثيرة، بل والقتال فيما بينهم، ويروي التاريخ لنا حوادث كثيرة من هذا القبيل.

**فمن ذلك ما ذكره الحافظ المؤرخ ابن كثير رحمه الله** أن عزيز مصر وهو الملك الأفضل بن صلاح الدين، كان قد عزم في السنة التي توفي فيها وهي سنة **٥٩٥**هـ على إخراج الحنابلة من بلده، وأن يكتب إلى بقية إخوته بإخراجهم من البلاد.

**ومنها ما ذكره أيضاً من وقوع فتنة كبيرة ببلاد خراسان**، بسبب وفود فخر الدين الرازي إلى ملك غزنة، الذي أكرمه وبنى له مدرسة في هراة، ولكن أهل البلاد الذين كانوا على مذهب ابن كرام أبغضوه وسعوا به، وناظروه، وانتهت المناظرة إلى السب والشتم، وخطب أحدهم في الجامع مستنكراً أقوال الرازي وأثار الناس، فأمر الملك بإخراج الرازي من بلاده.

**كما روى ابن كثير فتنة أخرى وقعت في دمشق** بسبب **عبدالغني المقدسي**، الذي كان يدرس في مقصورة الحنابلة بالجامع الأموي، فتعرض لمسألة صفات الله، فغضب أتباع المذاهب الأخرى، وعقد له الأمير صارم الدين برغش مجلساً وناظره الفقهاء فلم يتفقوا فأمر الأمير بنفيه من البلد، وأرسل الأسارى من القلعة، فكسروا منبر الحنابلة، وتعطلت يومئذ صلاة الظهر في محراب الحنابلة، وأخرجت الخزائن والصناديق التي كانت هناك وجرت خبطة شديدة.

---

(١) تاريخ التشريع الإسلامي للخضري ص ٣٤٤ ـ ٣٥٠ وظُهر الإسلام لأحمد أمين ٢، ٥٥، ٥٦.

**ومن ذلك أن الخليفة العباسي القادر بالله** استخلف سنة **٣٩٣هـ** أبا العباس أحمد بن محمد البارزي الشافعي عن أبي محمد بن الأكفاني الحنفي قاضي بغداد، بإشارة أبي حامد الاسفرايني وكتب أبو حامد إلى السلطان محمود سبكتكين وأهل خراسان، أن الخليفة نقل القضاء عن الحنفية إلى الشافعية، فاشتهر ذلك وصار أهل بغداد حزبين ثارت بينهما الفتن، فاضطر الخليفة إلى جمع الأشراف وأخرج إليهم رسالة خلاصتها أن الاسفرايني قد أدخل على أمير المؤمنين مدخلاً، وأوهمه فيها النصح والأمانة، ثم ظهر له أنها كانت على أصول الدخل والخيانة، فقرر صرف البارزي عن القضاء وأعاد تقليد الحنفية إياه، وأرجع لهم ما كانوا عليه من العناية والكرامة[١].

**ومنها ما رواه ابن الأثير** في حوادث سنة **٣٢٣هـ** قال: وفيها عظم أمر الحنابلة ببغداد وقويت شوكتهم، وصاروا يكسرون دور القواد والعامة، وإن وجدوا نبيذاً أراقوه، وإن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء، فأرهجوا بغداد، وركب صاحب الشرطة ونادى في جانبي بغداد: لا يجتمع من الحنابلة اثنان. . . ولا يصلي منهم إمام إلا إذا جهر ببسم الله الرحمٰن الرحيم في صلاة الصبح والعشاءين، فلم يفد فيهم وزاد شرهم وفتنتهم، واستظهروا بالعميان الذين كانوا يأوون إلى المساجد، وكانوا إذا مر بهم شافعي المذهب أغروا به العميان حتى كاد يموت، فخرج توقيع الخليفة الراضي بما يقرأ على الحنابلة ينكر عليهم فعلهم ويوبخهم[٢].

**كما أنه كان يحدث خلاف شديد بين الحنفية والشافعية** حتى كادَ يؤول الأمر في بعض الأحيان إلى خراب البلاد قال ياقوت الحموي عند الكلام عن مدينة أصفهان، بعد أن ذكر مجدها القديم: وقد فشا فيها الخراب في نواحيها، لكثرة الفتن، والتعصب بين الشافعية والحنفية،

---

(١) نظرة تاريخية في حدوث المذاهب وانتشارها لأحمد تيمور باشا ص ٩، ١٠ نقلاً عن المقريزي.

(٢) كتاب ظُهر الإسلام لأحمد أمين ٩٧/١، ٨٠ عن كتاب الكامل لابن الأثير ١٠٦/٨.

والحروب المتصلة بين الحزبين، فكلما ظهرت طائفة نهبت محلة الأخرى، وأحرقتها وخربتها لا يأخذهم في ذلك إلٌ ولا ذمة، وكذلك الأمر في رساتيقها وقراها[1].

وذكر مثل ذلك عند الكلام على بلدة الري بعد أن وصف مروره بها ومشاهدته خرابها سنة ٦١٧هـ قال: وكان أهل المدينة ثلاث طوائف، شافعية وهم الأقل، وحنفية وهم الأكثر، وشيعة وهم السواد الأعظم، فوقعت العصبية بين السنة والشيعة، فتظافر عليهم الحنفية والشافعية، وتطاولت بينهم الحروب، حتى لم يتركوا من الشيعة من يعرف، فلما أفنوهم وقعت العصبية بين الحنفية والشافعية، ووقعت الحروب بينهم، كان الظفر في جميعها للشافعية هذا مع قلة عدد الشافعية، وكان أهل الرستاق وهم الحنفية يجيئون إلى البلد بالسلاح الشاكي، ويساعدون أهل نحلتهم، فلم يغنهم ذلك شيئاً حتى أفنوهم، ولم يبقَ من الشيعة إلا من يخفي مذهبه، ووجدت دورهم كلها مبنية تحت الأرض، ودروبهم التي يسلك بها إلى دورهم على غاية الظلمة وصعوبة المسلك ولولا ذلك لما بقي فيها أحد[2].

وأما الصراع بين السنة والشيعة فأشهر من أن يذكر وتمتلىء بوصفه كتب التاريخ، فمن ذلك ما رواه ابن الأثير في حوادث سنة ٤٤٣ قال: في هذه السنة تجددت الفتنة بين السنة والشيعة وعظمت أضعاف ما كانت قديماً، وسببها أن أهل الكرخ عملوا أبراجاً كتبوا عليها بالذهب: محمد وعلي خير البشر، وأنكر السنية ذلك، وادعوا أنهم كتبوا بعدها: فمن رضي فقد شكر، ومن أبى فقد كفر، وأنكر أهل الكرخ الزيادة، فانتدب الخليفة القائم بأمر الله من حقق، فكتبوا بتصديق أهل الكرخ، وحمل الحنابلة العامة على الإغراق في الفتنة، ثم نرى كيف تطور الخلاف إلى القتال والنهب، بسبب مقتل رجل هاشمي من أهل السنة، إذ حمله أهله واستنفروا الناس للأخذ بثأره، ثم قصدوا المشهد ونهبوا ما فيه وأضرموا حريقاً أتى على كثير

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي ط ١ نشر الخانجي ورفقاه ٢٧٣/١.

(٢) معجم البلدان أيضاً ٣٥٥/٤، ٣٥٦.

من قبور الأئمة، فقصد الشيعة إلى خان الفقهاء الحنفيين فنهبوه، وقتلوا مدرس الحنفية أبا سعد السرخسي، وأحرقوا الخان ودور الفقهاء[1].

**هذا يا أخي القارىء قليل من كثير مما أدى إليه التعصب المذهبي المقيت**، من الخلاف والشقاق وتقسيم الأمة المتآخية إلى أمم متخاصمة شتى، تتقاتل وتتفانى، فتخرب بيوتها وبلادها بأيديها فيستغل العدو المستعمر المتربص هذا الانقسام والفوضى، فيبسط سيطرته ونفوذه عليهم، ويمعن في إذلالهم وقهرهم، ولا يقولن قائل: إن هذا التعصب الذميم قد ولى وزال، ولم يعد له وجود في زماننا هذا، لأننا نقول: بلى إنه ما زال شائعاً ومنتشراً في كثير من البلدان والأرياف، وقد حدثني بعض الإخوان من أهالي جبل الأكراد في سورية عن حوادث وقصص من آثار هذا التعصب، تفوق ما ذكرته، وفيها من التطرف والجهل والبشاعة الشيء الكثير.

**هذا وأنا أتوقع من المذهبية المتعصبة أن تكرر مآسيها في كل آن،** وتعيد آثارها الخبيثة في كل حين كما فعلت في السابق، إذا استمر الناس على التعلق بها والتشبث بأذيالها.

**فهل يرتكب دعاة السنة وأتباع السلف الصالح جريمة،** ويقترفون إثماً، إذا استنكروا التعصب المذهبي من أساسه، ودعوا الناس إلى العودة إلى الكتاب والسنة، وتحكيمهما في كل خلاف، وتوحيد المذاهب على أساسهما، ليعود المسلمون كتلة واحدة ومذهباً واحداً، وصفاً واحداً، وقلباً واحداً، إن على الشباب المسلم المثقف الواعي أن يقول كلمته في هذا الموضوع الخطير وإنا منتظرون»[2] اهـ.

**ويقول الأستاذ عباسي** أيضاً في معرض رده على البوطي:

**«الملاحظة الثانية: عود إلى مسألة الصلاة وراء المخالف للمذهب:**

**وذكرت أيها الأستاذ الكريم** أن كتاب اللامذهبية إنما ألف للعلماء لا

---

(١) ظهر الإسلام ٧٦/١، ٧٧، نقلاً عن ابن الأثير ٢١٥/٩ باختصار.

(٢) من بدعة التعصب المذهبي لمحمد عيد عباسي، ص ٢٠٣ ـ ٢١٦.

للعوام وكل من قرأ نقل المؤلف الإجماع على صحة صلاة أهل المذاهب بعضهم وراء بعض يعلم أن مراد المؤلف أن ذلك مشروط بعدم علم المقتدي بإتيان الإمام بما يفسد الطهارة، أو الصلاة في رأي المقتدي.

**وأقول: إن هذا خطأ واضح،** وغلط بين، فليس كل من قرأ رسالة اللامذهبية عالماً يعرف مصطلحات العلوم، ودارساً أصول الفقه، بل عامة من اشتراها وقرأها ضعيفو الثقافة، قليلو المعرفة، ولا أظن عدد الذين درسوا أصول الفقه منهم يتجاوز أصابع اليد، أم لعل الشيخ يرى أن كل من يعرف قراءة سطرين هو عالم، يخاطب بالأمور الدقيقة التفصيلية في الدين، ويطالب بفهمها؟ بل أذهب إلى أبعد من ذلك فأقول: إن أصول الفقه ومصطلحات العلوم لا تؤدي أبداً إلى الفهم الذي تفرضه على من قرأ رسالة ابنك.

**فأنت تقول معه:** إن العلماء قد أجمعوا على صحة الصلاة وراء المخالف للمذهب، بشرط أن لا يكون المقتدي قد علم أن الإمام أتى شيئاً يفسد طهوره، أو صلاته في مذهب المأموم.

**والحقيقة الساطعة هي** أنه لا يمكن لأي عالم محقق أن يفهم هذا أبداً، ذلك لأنه ليس هناك أي إجماع على صحة هذه الصلاة حتى بالقيد المذكور، بل إن هناك آراء متباينة في ذلك وأنا أطالبكما بالدليل على الإجماع الذي تدعيانه ففي أي كتاب نقل وأي عالم حكاه؟

**وأنا على يقين من أنكما واهمان** في ذلك فهذا الإمام النووي رحمه الله ينقل الخلاف في هذه المسألة عند الشافعية إلى **أربعة أوجه** فيقول: الاقتداء بأصحاب المذاهب المخالفين بأن يقتدي شافعي بحنفي أو مالكي فيه أربعة أوجه، **أحدها**: الصحة مطلقاً، قاله القفال، اعتباراً باعتقاد الإمام، **والثاني**: لا يصح اقتداؤه مطلقاً قاله أبو إسحاق الإسفراييني لأنه وإن أتى بما نشترطه ونوجبه فلا يعتقد وجوبه فكأنه لم يأت به، **والثالث**: إن أتى بما نعتبره نحن لصحة الصلاة مع الاقتداء صحت وإن ترك شيئاً منه أو شككنا في تركه لم تصح، **والرابع**: وهو الأصح وبه قال أبو إسحاق

المروزي والشيخ أبو حامد الإسفرايني والبندنيجي والقاضي أبو الطيب والأكثرون: إن حققنا تركه لشيء نعتبره لم يصح الاقتداء، وإن تحققنا الإتيان بجميعه أو شككنا صح، وهذا يغلب اعتقاد المأموم(١).

**وقد نقل في موضع آخر هذه الأوجه** وقال: وهذه الأوجه جارية في صلاة الشافعي خلف الحنفي على وجه لا يراه الشافعي ويراه ذلك المصلي، بأن أبدل الفاتحة أو لم يطمئن أو مس فرجاً أو امرأة فعند الأستاذ أبي إسحاق وأبي حامد صلاة الشافعي خلفه باطلة اعتباراً باعتقاد المأموم، وعند القفال صحيحة اعتباراً باعتقاد الإمام(٢).

**وهذا الكمال بن الهمام رحمه الله ينقل الخلاف في المسألة نفسها** ومسألة أخرى عند الأحناف فيقول: ثم في كل من الحكمين خلاف، **أما الأول:** فقال أبو اليسر: اقتداء الحنفي بشافعي غير جائز...، **ومنهم من قيد** جواز الاقتداء بهم كقاضيخان، بأن لا يكون متعصباً ولا شاكاً في إيمانه، ويحتاط في موضع الخلاف، كأن يتوضأ من الخارج النجس، ويغسل ثوبه من المني، ويمسح ربع رأسه، في أمثال هذه، ولا يقطع الوتر اهـ.

**فكيف تدعيان الإجماع**، وهذا واقع المسألة كما ينقله العلماء المحققون الخبيرون بالمذاهب والمرجع فيها، يدل على عكس ذلك تماماً(٣).

ومما جاء في تراجم أهل العلم مما ينبىء عن شيء من التعصب المذهبي غير ما تقدم:

*** جاء في ترجمة الحارث بن سريج الخوارزمي أبو عمر النقال:**

**قال صاحب طبقات الشافعية:**

---

(١) أيضاً ٢٥٩/١.

(٢) فتح القدير طبعة المكتبة التجارية الكبرى ٣١١/١.

(٣) بدعة التعصب المذهبي ٢٥/٢ ـ ٢٦.

**أبو عمر الحارث بن سريج بالسين المهملة**، الخوارزمي الأصل، المعروف بالنقال، بالنون والقاف، وسمي بذلك كما قاله التفليسي وغيره لنقله كتاب الرسالة إلى عبدالرحمٰن بن مهدي كما سبق إيضاحه في ترجمته.

**وقد ضعف بعضهم الحارث المذكور.**

**قال أبو الفتح الأزدي**: وإنما تكلموا فيه **حسداً له**، ترجم له الشيخ في طبقاته فقال: ومنهم الحارث بن سريج النقال مات سنة ست وثلاثين ومائتين(١).

*** جاء في ترجمة محمد بن عبدالحكم أبو عبدالله المصري:**

**قال صاحب طبقات الشافعية:**

**وكان أبوه عالماً جليلاً ورئيساً، له إحسان كثير على الشافعي**، وكان على مذهب مالك، ومن أكابر أصحابه وروى عن الشافعي أشياء قليلة.

**ولد سنة خمسين ومائة**، وتوفي سنة أربع عشرة ومائتين، فنشأ ولده هذا على مذهب أبيه، وأخذ عن أشهب، وابن وهب فلما قدم الشافعي مصر صحبه وتفقه به، قال: فاجتمع قوم من أصحاب أبي فعذلوه، فكان يلاطفهم ويأمرني سراً بملازمته، وصحبة الشافعي، وصار يثني عليه حتى قال مرة: وددت لو كان لي ولد مثل هذا، وعلي ألف دينار لا أجد لها وفاء، وحمل في الفتنة إلى بغداد ولم يجب لما طلبوه فرد إلى مصر، وانتهت إليه الرئاسة بها.

**توفي في يوم الأربعاء لليلة خلت من ذي القعدة** وقيل منتصفه سنة ثمان وستين ومائتين.

**وقال ابن قانع**: سنة تسع وستين، ذكره ابن خلكان، وانتقل قبيل وفاته إلى مذهب مالك، لأنه كان يروم أن الشافعي يستخلفه بعده في حلقته، فلم يفعل، واستخلف البويطي وقد ذكره العبادي، وابن الصلاح، في طبقاتهما،

---

(١) طبقات الشافعية ج ١ ص ٢٤.

لأجل مسائل نقلها عن الشافعي منها ما نقله عنه الرافعي أن الصائم تلزمه الكفارة إذا باشر فيما دون الفرج فأنزل[1].

*** جاء في ترجمة يوسف بن يحيى القرشي البويطي أبو يعقوب:**

**قال الشافعي**: ليس أحد أحق بمجلسي من أبي يعقوب، وليس أحد من أصحابي أعلم منه، وكان متقشفاً كثير القراءة وأعمال الخير، ولما صنف مختصره المعروف قرأه على الشافعي بحضرة الربيع فلهذا يروي أيضاً عن الربيع، كما قال ابن الصلاح، وكان ابن أبي الليث الحنفي قاضي مصر يحسده، فسعى به إلى الواثق بالله، أيام المحنة بالقول بخلق القرآن، فأمر بحمله لبغداد مع جماعة آخرين من العلماء فحمل إليها على بغل مغلولاً مقيداً مسلسلاً في أربعين رطلاً من حديد.

**وأريد منه القول بذلك**، فامتنع فحبس ببغداد على تلك الحال إلى أن مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين.

**كذا قاله ابن يونس في تاريخ مصر**، وقال ابن خلكان:

**الصحيح أنه مات سنة ٢٣١هـ في رجب وبه جزم النووي في شرح المهذب** وكان ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة، وكان في كل جمعة يغسل ثيابه، ويتنظف ويغتسل ويتطيب ثم يمشي إذا سمع النداء إلى باب السجن فيقول له السجان: إلى أين؟ فيقول: أجيب داعي الله، فيقول السجان: ارجع رحمك الله فيقول البويطي: اللهم إني أجبت داعيك فمنعوني[2].

## الاختلاف بين المتصوفة وأهل علم الظاهر

**هذا السبب في حقيقته لا يخرج عن سبب التعصب المذهبي** ولذا لم

---

(١) طبقات الشافعية ج ١ ص ٦١.

(٢) كتاب طبقات الشافعية ج ١ ص ٢٢.

أشأ أن أفرده بالحديث كسبب مستقل، وإن كنت قد جمعته تحت عنوان السبب الآخر (التعصب المذهبي) وإن كان هذا السبب يشتمل على شيء من الاختلاف العقدي، إلا أنه لا نجد تعصب الصوفية لمذهبهم يكون من باب التعصب الناشيء عن اعتقاد راسخ يدافعون عنه، بل كثير منهم تصوفه للدنيا وحب الرياسة والصيت والذكر.

**لذا رأيت إلحاقه بالتعصب المذهبي أولى والله أعلم.**

**وفيما يلي بعض التراجم التي يتضح منها ذلك.**

*** جاء في ترجمة محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن العلاء البخاري العجمي الحنفي:**

**قال الشوكاني:**

**انثال عليه الطلبة من كل مذهب** وعظمه الأكابر وغيرهم بحيث إذا اجتمع عنده القضاة يكونون عن يمينه وعن يساره كالسلطان وإذا حضر عنده أعيان الدولة بالغ في وعظهم والإغلاظ عليهم وتراسل السلطان معهم بما هو أشد في الإغلاظ مع كونه لا يحضر مجلسه وهو مع هذا لا يزداد إلا جلالاً ورفعة ومهابة في القلوب واتفق في بعض المجالس عنده أن جرى ذكر ابن عربي وكان يكفره ويقبحه وكل من يقول بمقالته فشرع العلاء في تقرير ذلك ووافقه أكثر من حضر إلا البسطامي فقال: إنما ينكر الناس عليه ظاهر الألفاظ التي يقولها وإلا فليس في كلامه ما ينكر إذا حمل لفظه على معنى صحيح بضرب من التأويل ومن جملة ما دار في ذلك إنكار الوحدة وقرر العلاء إنكار ذلك فقال له البسطامي: أنتم تعرفون الوحدة المطلقة فلما سمع ذلك استشاط غضباً وصاح بأعلى صوته: أنت معزول ولو لم يعزلك السلطان يعني لتضمن ذلك كفره عنده واستمر يصيح وأقسم بالله إن السلطان إن لم يعزله من القضاء ليخرجن من مصر فأشير على البسطامي بمفارقة المجلس إخماداً للفتنة وبلغ السلطان ذلك فأمر بإحضار القضاة عنده فسألهم عن مجلس العلاء فقصه كاتب السر وهو ممن يحضر المجلس فسأل

السلطان الحافظ ابن حجر عن تكفير العلاء للبسطامي وماذا يستحسن هل العزل أو التعزير، فقال ابن حجر: لا يجب عليه شيء بعد اعترافه وكان البسطامي قد اعترف بكفر ابن عربي في مجلس السلطان وأرسل السلطان إلى العلاء يترضاه فأبى ورحل عن مصر وكان قد أرسل إليه قبل رحلته عن مصر سلطان الهند بثلاثة آلاف شاش ففرقها على الطلبة الملازمين له وبعد ارتحاله سكن دمشق وصنف رسالة فاضحة الملحدين زيف فيها ابن عربي وأتباعه.

**واتفقت له حوادث بدمشق منها أنه كان يسأل عن مقالات ابن تيمية التي انفرد بها فيجيب بما يظهر له من الخطأ** وينفر عنه قلبه إلى أن استحكم ذلك عليه فصرح بتبديعه ثم تكفيره ثم صار يصرح في مجلسه أن من أطلق على ابن تيمية أنه شيخ الإسلام فهو بهذا الإطلاق كافر فانتدب للرد عليه الحافظ ابن ناصر وصنف كتاباً سماه الرد الوافر على من زعم أن من أطلق على ابن تيمية أنه شيخ الإسلام كافر، جمع فيه كلام من أطبق عليه ذلك من الأئمة الأعلام من أهل عصره من جميع أهل المذاهب سوى الحنابلة وضمنه الكثير من ترجمة ابن تيمية وذكر مناقبه وأرسل بنسخة منه إلى القاهرة فقرظه جماعة من أعيانها كابن حجر والعلم البلقيني والبسطامي وكتب العلاء كتاباً إلى السلطان يغريه بمصنف الرسالة وبالحنابلة فلم يلتفت السلطان إلى ذلك وما كان أغنى صاحب الترجمة عن ذلك ولكن الشيطان له دقائق لا سيما في مثل من هو في هذه الطبقة من الزهد والعلم.

**قال السخاوي:**

**ويقال: إن جنية كانت تابعة للعلاء** وكانت تأتيه في شكل حسن وتارة في شكل قبيح فتتراءى له من بعيد وهو مع الناس فيغمض عينيه ويقرأ ويغيب عن الناس فيظن أنه خشوع وتلاوة وكان شديد النفرة ممن يلي القضاء ونحوه من جماعته ولكن لما ولي الكمال ابن البراري قضاء الشام أظهر السرور وقال: الآن أمن الناس على دمائهم وأموالهم، وكان كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومات يوم الخميس الثالث والعشرين من

رمضان سنة ٨٤١ إحدى وأربعين وثمانمائة من الهجرة، ودفن بسطحها.

**وقال المقري في عقوده:**

**كان يسلك طريقاً من الورع،** فيسمح في أشياء يحمله عليها بعده عن معرفة السنن والآثار وانحرافه عن الحديث وأهله بحيث كان ينهى عن النظر في كلام النووي ويقول: هو ظاهر ويحض على كتب الغزالي انتهى.

**ومن هذه الحيثية قال في ابن تيمية ما قال** وليس في علم إنسان خير إذا كان لا يعرف علم الحديث وإن بلغ في التحقيق إلى ما ينال[١].

*** جاء في ترجمة محمد بن طاهر بن علي أبو الفضل القيسراني المقدسي الظاهري:**

**قال الذهبي:**

**الإمام الحافظ الجوال ذو التصانيف الصوفي.**

**وقد ذكره الدقاق في رسالته فحط عليه،** فقال: كان صوفياً ملامتياً سكن الري، ثم همذان له كتاب صفوة التصوف، وله أدنى معرفة بالحديث في باب شيوخ البخاري ومسلم وغيرهما.

**قلت: يا ذا الرجل أقصر، فابن طاهر أحفظ منك بكثير.**

**ثم قال:** وذكر لي عنه الإباحة.

**قلت: ما تعني الإباحة؟** إن أردت بها الإباحة المطلقة فحاشا ابن طاهر هو والله مسلم أثري معظم حرمات الدين، وإن أخطأ أو شذ، وإن عنيت إباحة خاصة كإباحة السماع، وإباحة النظر إلى المرد، فهذه معصية وقول للظاهرية بإباحتها مرجوح.

**قال ابن ناصر:**

---

(١) البدر الطالع ج ٢ ص ٢٦٠.

**محمد بن طاهر لا يحتج به،** صنف في جواز النظر إلى المرد وكان يذهب مذهب الإباحة.

**قال أبو سعد السمعاني:**

**سألت إسماعيل بن محمد الحافظ** عن ابن طاهر فتوقف، ثم أساء الثناء عليه، وسمعت أبا القاسم ابن عساكر يقول: جمع ابن طاهر أطراف الصحيحين وأبي داود وأبي عيسى والنسائي وابن ماجة فأخطأ في مواضع خطأ فاحشاً.

**وقال ابن ناصر:**

**كان لحنة ويصحف قرأ مرة** وإن جبينه ليتفصد عرقاً ـ بالقاف ـ فقلت: بالفاء، فكابرني.

**وقال السلفي:**

**كان فاضلاً يعرف لكنه لحنة،** قال لي المؤتمن الساجي: كان يقرأ ويلحن عند شيخ الإسلام بهراة فكان الشيخ يحرك رأسه، ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

**وقال شيرويه بن شهردار** في تاريخ همذان:

**ابن طاهر سكن همذان** وبنى بها داراً دخل الشام والحجاز ومصر والعراق وخراسان وكتب عن عامة مشايخ الوقت، وروى عنهم وكان ثقة صدوقاً حافظاً عالماً بالصحيح والسقيم حسن المعرفة بالرجال والمتون كثير التصانيف جيد الخط لازماً للأثر بعيداً من الفضول والتعصب خفيف الروح قوي السير في السفر كثير الحج والعمرة مات ببغداد منصرفاً من الحج[(١)].

*** جاء في ترجمة الإمام الغزالي محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الشافعي:**

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٣٦١.

**قال الذهبي:**

**الشيخ الإمام البحر حجة الإسلام أعجوبة الزمان زين الدين:**

**تفقه ببلده أولاً**، ثم تحول إلى نيسابور في مرافقة جماعة من الطلبة، فلازم إمام الحرمين، فبرع في الفقه في مدة قريبة، ومهر في الكلام والجدل، حتى صار عين المناظرين، وأعاد للطلبة وشرع في التصنيف، فما أعجب ذلك شيخه أبا المعالي، ولكنه مظهر للتبجح به، ثم سار أبو حامد إلى المخيم السلطاني، فأقبل عليه نظام الملك الوزير، وسر بوجوده، وناظر الكبار بحضرته، فانبهر له، وشاع أمره، فولاه النظام تدريس نظامية بغداد فقدمها بعد الثمانين وأربعمائة، وسنه نحو الثلاثين، وأخذ في تأليف الأصول والفقه والكلام والحكمة وأدخله سيلان ذهنه في مضايق الكلام ومزال الأقدام ولله سر في خلقه.

**أنبأنا ابن علان عن الخشوعي عن الطرطوشي** أنه كتب هذه الرسالة جواباً عن سائل سأله من الأندلس عن حقيقة أمر مؤلف الإحياء فكتب إلى عبدالله بن مظفر: سلام عليك فإني رأيت أبا حامد وكلمته فوجدته امرءاً وافر الفهم والعقل، وممارساً للعلوم، وكان ذلك معظم زمانه ثم خالف عن طريق العلماء، ودخل في غمار العمال، ثم تصوف فهجر العلوم وأهلها، ودخل في علوم الخواطر، وأرباب القلوب، ووساوس الشيطان، ثم سابها وجعل يطعن على الفقهاء بمذاهب الفلاسفة، ورموز الحلاج، وجعل ينتحي عن الفقهاء والمتكلمين وقد كاد أن ينسلخ من الدين.

**قال الحافظ أبو محمد** إن محمد بن الوليد هذا ذكر في غير هذه الرسالة كتاب الإحياء قال: ولعمر الله أشبه بإماتة علوم الدين ثم رجعنا إلى تمام الرسالة.

**قال: فلما عمل كتابه الإحياء عمد فتكلم عن علوم الأحوال**، ومرامز الصوفية، وكان غير أنيس بها، ولا خبير بمعرفتها، فسقط على أم رأسه، فلا في علماء المسلمين قر، ولا في أحوال الزاهدين استقر، ثم شحن كتابه بالكذب على رسول الله ﷺ فلا أعلم كتاباً على وجه بسيط الأرض أكثر

كذباً على رسول الله ﷺ منه، ثم شبكه بمذاهب الفلاسفة، ورموز الحلاج، ومعاني رسائل إخوان الصفا، وهم يرون النبوة اكتساباً، فليس النبي عندهم أكثر من شخص فاضل، تخلق بمحاسن الأخلاق وجانب سفاسفها، وساس نفسه حتى لا تغلبه شهوة، ثم ساق الخلق بتلك الأخلاق، وأنكروا أن يكون الله يبعث إلى الخلق رسولاً، وزعموا أن المعجزات حيل ومخاريق، ولقد شرف الله الإسلام، وأوضح حججه وقطع العذر بالأدلة، وما مثل من نصر الإسلام بمذاهب الفلاسفة، والآراء المنطقية، إلا كمن يغسل الثوب بالبول، ثم يسوق الكلام سوقاً يرعد فيه ويبرق، ويمني ويشوق، حتى إذا تشوقت له النفوس، قال: هذا من علم المعاملة، وما وراءه من علم المكاشفة لا يجوز تسطيره في الكتب، ويقول: هذا من سر الصدر الذي نهينا عن إفشائه، وهذا فعل الباطنية وأهل الدغل في الدين يستقل الموجود ويعلق النفوس بالمفقود وهو تشويش لعقائد القلوب، وتوهين لما عليه كلمة الجماعة، فلئن كان الرجل يعتقد ما سطره لم يبعد تكفيره، وإن كان لا يعتقده فما أقرب تضليله.

**وأما ما ذكرت من إحراق الكتاب** فلعمري إذا انتشر بين من لا معرفة له بسمومه القاتلة، خيف عليهم أن يعتقدوا إذاً صحة ما فيه، فكان تحريقه في معنى ما حرقته الصحابة من صحف المصاحف التي تخالف المصحف العثماني وذكر تمام الرسالة(١).

*** جاء في ترجمة عبدالرحمٰن بن نجم الدين بن عبدالوهاب الأنصاري الخزرجي السعدي ابن الحنبلي:**

**كان له حرمة عند الملوك والسلاطين** خصوصاً ملوك الشام بني أيوب.

**وقدم بغداد حاجاً** سنة اثنتي عشرة وستمائة، وأكرمه الخليفة الناصر، وأظنه وعظ بها هذه السنة وحضر فتح بيت المقدس مع السلطان صلاح الدين.

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٤٩٤.

**قال: واجتمعت بالسلطان في القدس** بعد الفتح بسنتين، وسألني عن مذهب الإمام أحمد في الخضاب بالسواد؟ فقلت: مكروه، وسألني عن الكفار إذا استولوا على أموال المسلمين؟ فذكرت المذهب في ذلك فاعترضني بعض الفقهاء الحاضرين، وجرى بيني وبينه مجادلة، فأكثر من الصياح فصاح السلطان عليه اسكت، صيحة مزعجة، فسكت وسكتنا لحظة ثم قال لي: تمم كلامك فذكرت، ثم سكت، فحكى السلطان قال: كان المجبر الفقيه يتكلم مع الجمال الحنفي، فكان الجمال يبقبق والمجبر يحقق، ثم سألني بعد ذلك عن مذهب أحمد في الشبابة، ثم قال: معكم غير حديث ابن عمر؟ وبسطني في الكلام حتى ذكرت له حسن أصوات أهل أصبهان، وذكر الطوال من الصحابة وقال: كانوا يسمون مقبلي وتوقف فقلت: الطعن؟ فقال: الطعن، فكأن بعض الحاضرين نفس علي سؤال السلطان لي وإقباله على كلامي، فقال: من أربعة من الصحابة من نسلٍ رأوا رسول الله ﷺ؟ فقلت: أبو بكر الصديق وأبوه أبو قحافة وعبدالرحمٰن بن أبي بكر ومحمد بن عبدالرحمٰن بن أبي بكر، ثم قال السلطان: هاتوا شيئاً، فمدوا له سماطاً مختصراً جداً بعد العشاء الآخرة بساعتين فأكلنا معه، فقال لي بعض أصحابه: هذا من أجلك، فإن له أكثر من شهر ما أكل بالليل، ثم أخذ يثني على والدي ويقول: ما أولد إلا بعد الأربعين، قال: وكان عارفاً بسيرة والدي.

**وقد وقع مرات بين الناصح والشيخ الموفق اختلاف في فتوى السماع المحدث**، أجاب فيها الشيخ الموفق بإنكاره، فكتب الناصح بعده ما مضمونه الغناء كالشعر، فيه مذموم وممدوح، فما قصد به ترويح النفوس، وتفريج الهموم، وتفريغ القلوب لسماع موعظة وتحريك التذكرة فلا بأس به وهو حسن.

**وذكر أحاديث في تغني جويريات الأنصار** وفي الغناء في الأعراس وأحاديث في الحداء وأما الشبابة فقد سمعها جماعة ممن لا يحسن القدح فيهم من مشايخ الصوفية وأهل العلم، وامتنع من حضورها الأكثر، وأما كونها أشد تحريماً وأعظم إثماً من سائر الملاهي فهذا قول لا يوافق عليه،

وكيف يجعل المختلف فيه كالمتفق عليه؟ وكون النبي ﷺ سد أذنيه منها مشترك الدلالة لأنه لم ينه ابن عمر رضي الله عنهما عن سماعها وأعجب من استدلال الفقيه الموفق لذلك، قوله: ولا يجب عليه سد أذنيه لغيرها من الملاهي فيشعر ذلك بجواز سماع الملاهي، ثم قد بالغ في تحريم ذلك، وضم فاعله إلى حكم الكفر بالله تعالى، وأوهم بما ذكر من الآيات أن هذا السماع يخرج عن الإسلام، وهذا من الغلو، فكان غلوه في الجواب أشد خطراً من غلو المذكورين في السؤال وأما اجتماع الرجال والنساء في مجلس فلم يذكر في السؤال وهو محرم إذا كان في غير معروف فإن كان في صلاة جمعة أو جماعة أو سماع موعظة أو التقاء في مجلس حكم فذلك غير منكر، وهو العادة الجارية في المواسم عند هذا الفقيه المفتي وجماعته ومجالس التذكير في سائر بلاد الإسلام.

**فلما عاد جوابه إلى الشيخ الموفق** كتب في ظهرها بخطه ما مضمونه: كنت أتخيل في الناصح أنه يكون إماماً بارعاً وأفرح به للمذهب لما فضله الله به من شرف بيته، وإعراق نسبه في الإمامة، وما آتاه الله تعالى من بسط اللسان، وجراءة الجنان، وحدة الخاطر، وسرعة الجواب، وكثرة الصواب، وظننت أنه يكون في الفتوى مبرزاً على أبيه وغيره إلى أن رأيت له فتاوى غيره فيها أسد جواباً وأكثر صواباً وظننت أنه ابتلي بذلك لمحبته تخطئة الناس واتباعه عيوبهم ولا يبعد أن يعاقب الله العبد بجنس ذنبه.

**إلى أن قال: والناصح قد شغل كثيراً من زمانه بالرد على الناس في تصانيفهم وكشف ما استتر من خطاياهم ومحبة بيان سقطاتهم ولا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه، أفتراه يحب لنفسه بعد موته من ينتصب لكشف سقطاته وعيب تصانيفه وإظهار أخطائه وكما لا يحب ذلك لنفسه ينبغي أن لا يحبه لغيره سيما للأئمة المتقدمين والعلماء المبرزين وقد أرانا الله تعالى آية في ذهابه عن الصواب في أشياء تظهر لمن هو دونه. فمن ذلك: في فتياه هذه خطأ من وجوه كثيرة**[1].

(١) ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ١٩٣.

*** جاء في ترجمة محمد بن عبدالمحسن بن أبي الحسن القطيعي البغدادي أبو عبدالله:**

**سمع منه الفرضي وذكره في معجمه مع تقدم وفاته**، فقال: كان شيخاً عالماً فقيهاً فاضلاً، واعظاً زاهداً عابداً ثقة ديناً وقدم دمشق حاجاً.

**وسمع منه جماعة منهم: البرزالي**، وذكره في معجمه فقال: شيخ فاضل في الوعظ تكلم على الناس مدة طويلة وحفظ الخرقي في الفقه واللمع لابن جني وحج مرات وهو من أهل الصلاح، كثير القناعة والتعفف، ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وحرمته وافرة، ومكانته معروفة، قدم علينا حاجاً سنة ثمان وتسعين، ونزل البلد فخرجنا إليه، وسمعنا منه، وجلس للوعظ بجامع دمشق في أواخر رمضان من هذه السنة، وحضرنا مجلسه، وسمعنا تذكيره، وتفرد في زمانه، وولي مشيخة المستنصرية وهو قادري كان أبوه من أصحاب الشيخ أبي صالح نصر بن عبدالرزاق.

**وذكره الذهبي في معجمه وقال:**

**كان عالماً واعظاً حسن المحاضرة** صحبناه في طريق الحج، حدث ببغداد ودمشق والمدينة والعلا[١].

*** جاء في ترجمة إسماعيل بن إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي العقيلي الجبرتي الشافعي:**

**قال الشوكاني:**

**كان له أحوال ومقامات ولأهل زبيد فيه اعتقاد كبير** وكان يلازم قراءة سورة يس ويأمر بها ويزعم أن قراءتها لقضاء كل حاجة وكان أول ظهور أمره أنه بشر السلطان الأشرف بانهزام جند قصوره وكان الأمر كذلك، وصارت له بذلك عنده منزلة وكلمة لا ترد، وكان منزله ملجأ لأهل العبادة

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٣٨٤.

ولأهل البطالة وأهل الحاجات فأهل العبادة يحضرون للذكر والصلاة وأهل البطالة للسماع واللهو وأهل الحاجات لوجاهته فإنه تتلمذ له أحمد بن الرداد ومحمد الزجاجي فجالسا السلطان وكان مغرى بالسماع والرقص داعياً إلى نحلة ابن عربي حتى صار من لا يحصل نسخة من الفصوص تنقص منزلته عنده واشتد البلاء على العلماء الصادعين بالحق بسببه وفيه يقول بعض الأدباء وكان منحرفاً عنه ومعتقداً لصلاح صالح المصري:

صالح المصري قالوا صالح ... ولعمري إنه للمنتخب
كان ظني أنه من ميتة ... كلهم إن تمتحنهم تختلب

**وقد كان قام صالح المصري** هذا على صاحب الترجمة فتعصبوا له حتى نفوه إلى الهند ثم كان الفقيه أحمد الناشري عالم زبيد يقوم عليه وعلى أصحابه ولا يستطيع أن يغيرهم عما هم فيه لميل السلطان إليه[1].

*** جاء في ترجمة أحمد بن معالي ويسمى عبدالله أيضاً بن بركة الحربي:**

**قال ابن رجب:**

**ذكره ابن الجوزي في عدة مواضع من كتبه**، كالطبقات والتاريخ، وقال: كان له فهم حسن، وفطنة في المناظرة.

**قال: وسمعت درسه مدة وكان قد انتقل إلى مذهب الشافعي**، ثم عاد إلى مذهب أحمد ووعظ.

**وقال صدقة بن الحسين**: كان شيخاً كبيراً قد نيف على الثمانين فقيهاً مناظراً[2].

(١) البدر الطالع للشوكاني ج ١ ص ١٣٩.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ص ٢٣٢.

## المبحث الرابع:
## الاختلاف في العقيدة

**هذا مبحث مما يستغرب دخوله في أبواب الحسد،** فإن الاختلاف في الاعتقاد محله كتب التوحيد وأصول الدين، وعليه **فلمَ نصصنا عليه هنا أنه من أسباب تحاسد العلماء؟!.**

**هذا سؤال له وجهه،** وحتى نعرف الإجابة عليه لا بد أن نستعرض الفرق الإسلامية التي ظهرت على الساحة بعد موت النبي ﷺ، وما كان بينها من تنافس، فإننا نلحظ فيها جميعها مسألة مشتركة، ألا وهي ادعاء أن اعتقادها هو الحق الذي لا مرية فيه، وأن المخالف على الباطل، بل وكثير منها يتمسك بأنه على السنة والجماعة حتى ولو كان قائلاً بضد ما جاء به الرسول ﷺ، وعلى كلٍ فكلٌ يعتقد أنه أحق بالاتباع، فإذا وجد الناس قد التفت على داع آخر يزعم أنه على السنة والجماعة حصل له بسبب ذلك الحسد، وأداه ذلك إلى التشنيع على المخالف بما هو منه براء، وربما ألبس ذلك ثوباً من الديانة بأنه يقصد النصيحة والتحذير من البدع، والله سبحانه وتعالى يعلم السر وأخفى.

**لذا كان من المناسب ذكر هذا المبحث في هذا المكان.**

**وثمة شيء آخر** وهو أن كثيراً من هؤلاء لما يعجز عن مجابهة الحق وأدلته النيرة ويرى وجوه الناس تستدير له وتتوق إلى نور الحق، فعندئذ يأكل الحسد قلبه، ويبدأ في التشنيع والرمي بالباطل والبهتان ليحصل وجوه الناس، وما هكذا أهل السنة والجماعة ولا هكذا فعل العلماء الخائفين من رب العالمين.

**وبعد عصر النبوة حدثت فتن عظام أهمها:** المرتدة، والخوارج، والشيعة، ثم الصوفية والمتكلمة.

**وبادىء ذي بدء** فنحن نتعرض هنا لما حدث مثلاً بين الشيعة والسنة، لا نحارب بذلك الشيعة. . . ولا نحارب الصوفية، وإن كنا نعتقد ضلالهم

وكفر كثير من معتقداتهم، ولكن نقول: إن بعض الخلاف كان حول الأشخاص، وأراد بعضهم المكانة لنفسه وإبعادها عن الآخرين، **وهو نوع من الحسد، ويدخل فيه تحاسد العلماء**، إذ بعض هؤلاء له مشاركة في العلم، ولو أن الناس وقتها أحكموا ضبط النفس، وألزموا أنفسهم بلجام الأدب، وردوا الأمر جميعاً إلى الله ورسوله لما حدث ما حدث، ولكن حدث ما حدث لضعف في المسلمين، وهذا لا يصيب الإسلام، فالإسلام شامخ قوي.

**ومما جاء في كتب التاريخ** من هذه الفتن: فتنتا: القشيري، وابن القشيري، الأولى بين الأشعرية وغريمهم المعتزلي، والثانية بين الأشعرية والحنابلة، وفيما يلي بيان ذلك، وأن **الحسد كان** العامل الأول لذلك...

**أولاً: فتنة القشيري:**

**من زاوية رأي الأشعرية** لأن القشيري من أئمتهم.

**ذاع صيت القشيري في أرجاء العالم الإسلامي بعامة**، وفي المشرق بخاصة، فأثار ذلك حقد كثيرين من فقهاء ومتكلمي المعتزلة في خراسان عليه، فأخذوا يشيعون بين الناس كثيراً من الأقاويل الكاذبة عنه، ولم يكتفوا بذلك بل سعوا بالوقيعة بينه وبين السلطان طغرلبك، وكان السلطان طغرلبك سنياً حنفياً ووزيره أبو نصر الكندري معتزلياً رافضياً جهمي العقيدة ذا آراء مسرفة في خلق الأفعال والقدر، وكان متعصباً في ذلك أشد التعصب.

**وفي هذا الوقت كان** بنيسابور شخصية فذة لها في أوساط العامة والخاصة نفوذ كبير، ومحبة فائقة، ذلكم هو أبو سهل بن الموفق أحد رجال الطبقة الرابعة من الشافعية، وكان كثير المال جواداً، وكان مرموقاً بالوزارة، وداره مجتمع العلماء وملتقى الأئمة، ونظراً لما عرف عنه من تعلق **بالمذهب الأشعري** وذود عنه، والعملِ لنشره، فقد ألهب ذلك **حقد الكندري** عليه خاصة وهو يخشى أن يقع الاختيار عليه، لشغل منصب الوزارة وإبعاده عنها، فمضى **الكندري** يلفق التهم ضده لدى السلطان ولم يكتف بذلك،

ولم يكن في ذلك بأس، ولكن **الكندري** استغل هذا الحق من أجل الباطل، **فأقحم الأشاعرة ضمن المبتدعة** حتى يصل لمآربه، وحال بين خطبائهم وبين الوعظ والتدريس، وألحق الأذى **بأتباع أبي الحسن** شفاء لحقده، وعاونه في ذلك لفيف من **متكلمي المعتزلة** الذين لا يضنون بشيء على كل ما من شأنه تحطيم **المذهب الأشعري** وإبادة أتباعه. . . فنشأت عن ذلك فتنة كبيرة طار شررها، حتى شملت خراسان كلها، وامتدت إلى الشام والحجاز والعراق، وتعرض أتباع القشيري في معظم البلدان للأذى والابتلاء[١].

**في وسط هذه الأيام**، وذات يوم جاء الأمر من قبل السلطان **طغرلبك** بالقبض على القشيري وإمام الحرمين والرئيس القرافي، وأبي سهل بن الموفق، ونفيهم ومنعهم من المحافل.

**وحين قرىء الكتاب** هجم جماعة من الأوباش على **القرافي** وعلى **القشيري** وأخذوا يجرونهما في الطرقات، ويكيلون لهما أقذع أنواع التهكم والاستخفاف، حتى وصل الشرطة بهما إلى المحبس.

**أما إمام الحرمين** فقد هرب من البلاد على طريق كرمان، واتجه إلى الحجاز وهناك جاور الحرمين، وسمي بإمام الحرمين.

**وأما أبو سهل بن الموفق** فقد كان من حسن الحظ غائباً من بعض النواحي، ولهذا بدأ يعد العدة ـ على أثر معرفته بما حدث للإمامين ـ لإنقاذهما، فجمع عدداً كبيراً من رجاله الذين يتقنون فنون الحرب، وقدم من ناحية باخرز حتى وصل إلى باب البلد وطالب بإخراج السجينين فلم يجب إلى طلبه، بل قوبل بالتهديد بالقبض عليه، حسب مرسوم السلطان، ولكنه لم يلق بالاً إلى ذلك، وعزم على دخول البلد إذا أقبل الليل، وما إن عرف الأمير بما حدث، وما أن وصلت إلى مسامعه الصيحات والنقرات العالية من خارج المدينة، حتى انتابه الذعر، فأرسل الرسل إلى **أبي سهل**

---

(١) وهذا كما سبق رواية أتباع الأشعري للقصة وعلى كل فالمعنى المطلوب والذي سقنا القصة بسببه هو التعصب المذهبي العقدي الحامل على الحسد، وهو ظاهر.

ولكن باءت المساعي كلها بالفشل، لأن **أبا سهل** أصر إصراراً قاطعاً على موقفه، وعلى تخليص **القشيري والقرافي**، وعند ذلك بدأت قواته الهجوم، وحدثت اشتباكات دامية بين الطرفين، ولكن أصحاب **الموفق** حملوا على أعدائهم حملة رجل واحد فأوقعوا الهزيمة بهم وطاردوا فلولهم، ووقع الأمير، وكاد أن يقع في الأسر، ثم قام جماعة من الناس بالتوسط بين الطرفين رغبة في حقن الدماء وتسكين الفتنة وتم الاتفاق على أن يصدر **أبو سهل** أوامره إلى رجاله بإيقاف القتال، وعلى أن يخرج السجينان القرافي والقشيري.

**فلما تم ذلك اجتمع أبو سهل** بزمرة من علماء الأشاعرة الذين أصيبوا واضطهدوا وتم الاتفاق على أن من الخير مهاجرة البلاد[١].

**أما القشيري فقد غادر المشرق**، وأخذ ينتقل من واد إلى آخر إلى أن قدم على **القائم** بأمر الله.

**والقائم كما يصفه أبو المحاسن**: كان متديناً ورعاً، وزاهداً عالماً في وجهه أثر صفار من قيام الليل وكان يسرد - يتابع - الصوم[٢].

**واستقبل القائم القشيري أحسن استقبال**، وأحاطه بالحفاوة وعقد له المجلس في منازله الخاصة، وكان يحضر دروسه ويواظب عليها، ويستحسن آراءه واتجاهاته ويقدر مواهبه.

**وأتيح للقشيري أن يقوم بالتدريس في مساجد بغداد** خلال عام **٤٤٨هـ** وما بعده وذلك طبقاً لرواية **الخطيب البغدادي** الذي كان أحد تلاميذه إبان فترة إقامته في بغداد ومما يقوله في ذلك: حدثنا وكتبنا عنه وكان ثقة[٣].

**وذهب القشيري للحج**، وهناك التقى بصديقه **إمام الحرمين** وبعدد كبير من الأئمة الذين ألحقت بهم الفتنة أذاها، وقد بلغ عددهم أربعمائة منهم

---

(١) الإمام القشيري د. إبراهيم السيوفي (٣٩).
(٢) النجوم الزاهرة (٩٨/٥).
(٣) تاريخ بغداد (٨٢/١).

أبو بكر البيهقي وغيره من ذوي الاسم اللامع، والمكانة العلمية المرموقة، وبعد أن انتهت مراسم الحج، اجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم عما يعتزمون القيام به في المرحلة الثانية، وتضاربت آراؤهم فمنهم من آثر أن يظل مجاوراً، ومنهم من رأى أن يعود إلى أي بلد من البلاد الإسلامية التي لم يتسرب إليها أذى المحنة وضررها، ومنهم من ظل محيراً لا يدري أين يتجه، وفي أي مكان يستقر.

**واتفقوا على شيء واحد:** أن يتركوا حسم أمرهم لواحد منهم، واتفقوا على أن يكون رأيه مسموعاً ومستجاباً، ولم يكن هذا الذي وقع عليه اختيار هؤلاء الأئمة الكبار سوى **القشيري**، فصعد المنبر وظل يتكلم وهم يجدون لكلامه وقعاً مؤثراً في عقولهم وقلوبهم ثم مرت لحظات صمت، شخص فيها **القشيري** إلى السماء ضارعاً، ثم أطرق إلى الأرض لحظات أخرى والناس من حوله يتابعونه، ويتفرسون وجهه، ثم قبض على لحيته وصاح بصوت عال: «يا أهل خراسان... بلادكم... بلادكم، إن **الكندري** غريمكم يقطع الآن إرباً إرباً وإني أشاهده الساعة وقد تمزقت أعضاؤه» ثم أنشد:

| | |
|---|---|
| غميد الملك ساعدتك الليالي | على ما شئت من درك المعالي |
| فلم يك منك شيء غير أمر | بلعن المسلمين على التوالي |
| فقابلت البلاء بما تلاقي | فذق ما تستحق من الوبال[1] |

ويقول **السبكي**: «لقد ضبط التاريخ، فكان ذلك اليوم بعينه وتلك الساعة بعينها قد أمر السلطان بأن يقطع **الكندري** إرباً إرباً، وأن يرسل عضو منه إلى كل مكان»[2].

**وقد قوبل مصرع الكندري بموجة فرح غامرة،** لأنه كما وصفه **الباخرزي** الأديب المعاصر له: «لم يزل به السباب ونزقاته، والشيطان

---

(١) تبيين كذب المفتري ـ لابن عساكر (٩٣).

(٢) السبكي (٢٧٢/٢).

ونزعاته، حتى عصى وشق العصا، وهو من بطر الولاية سكران ملتح، ويحبو إلى الحب وراء الفخ، فأنزل من صياصيه، وسفع بنواحيه، وأذيق وبال معاصيه، وفي هذا قلت:

| | |
|---|---|
| لما غدا جيحون طوع مراده | كيف اقتضاه جامداً أو سائلاً |
| واستحسنت فيه ثعالب لبسه | لغرابها فاخترن حتفاً عاجلاً |
| حق العصا وعصى وظن غضاضة | في أن يبيت مهادناً ومجاملا[1] |

**أما القشيري** فإن هذه السنوات العشر (من سنة **٤٤٥** إلى سنة **٤٥٥**) وإن كانت أشد سني حياته آلاماً حيث قضاها بعيداً مشرداً عن بيته ووطنه، إلا أنها كانت حافلة بالتجارب، وأعانته على زيادة خبرته بالحياة والأحياء، وساعدت على توثيق الصلة بينه وبين الأوساط العلمية والأدبية خارج نيسابور وخراسان، ودفعته إلى أن يصنف كتباً في المحنة لعل أهمها **«شكاية أهل السنة»**.

**وبمجيء السلطان ألب أرسلان** خلفاً لعمه طغرلبك استقبل **القشيري** عهداً متميزاً بالاستقرار النفسي، حيث زالت كل أسباب الغمة، وكان من بشائر العهد الجديد مجيء الوزير الجليل الشأن نظام الملك الذي أعز أهل السنة وقمع النفاق، وأمر بإسقاط ذكرهم من السب، وأفرد من عداهم باللعن والثلب، واسترجع من خرج منهم إلى وطنه، واستقدمه مكرماً بعد بعده وطعنه، وبنى لهم المساجد والمدارس، وقعد لهم الحلق والمجالس، وبنى الجامع المتقي في أيام ولد ذلك السلطان، وكان ذلك تداركاً لما سلف في حقهم من الامتحان، فاستقام في وزارته الدين بعد اعوجاجه، وصفا على **أهل السنة** بعد تكدره وامتزاجه، ونظر إلى أرباب البدع بعين الاحتقار والمقت، ولم يضر جمع الفرقة المنصورة ما خرط في حقهم في المدة اليسيرة مِمَّنْ قصدهم بالمساءة ورماهم بالشناعة لما ظهر بهم من اللعن، إذ كانوا براء عند العقلاء، وأهل العلم من الابتداع والذم[2].

---

(١) دمية القصر للباخرزي ـ طبعة حلب (صفحة ١٤٠).

(٢) انظر تبيين كذب المفتري (٩٣)، ومراده بأهل السنة: الأشعرية، وفيه ما فيه.

**وهكذا عاد القشيري إلى مدينته الحبيبة نيسابور**، وقضى السنوات العشر الأخيرة من عمره مرفهاً محترماً ومطاعاً معظماً، وأكثر صفوة في آخر أيامه التي شاهدناه فيها آخراً، وازداد من يقرأ عليه كتبه، وتصانيفه، والأحاديث المسموعة له، وما يؤول إلى نصرة المذهب حتى بلغ المنتمون إليه آلافاً، فأملوا تذكيره، وتصانيفه أطرافاً[1].

**وكان في خلال هذه الفترة** الخيرة موضع تكريم السلطان **ألب أرسلان**، وموضع تبجيل الوزير **نظام الملك** الذي ارتبط به لصلة المذهب والصداقة والذي تتلمذ عليه وتأثر به.

**وهكذا يضع الحقد والحسد** في قلوب الناس فيضع المكايد والفتن والقتل في الأرض ويخرب الأبنية ويذهب بالناس.

## ثانياً: الفتنة بين الحنابلة وابن القشيري:

**وذلك** من منظور **الحنابلة**، حيث إن ابن القشيري كان من مهاجميهم، والعجب أنه لم يزل **الحنابلة والأشعرية** متوافقين في كثير من الأمور حتى جاءت فتنة **ابن القشيري**، وما الحسد، ومقوماته (الحقد والغضب) ببعيد عن ذلك!!!.

**فمن الذين نالهم أذى في فتنة ابن القشيري**: الشريف **أبو جعفر الحنبلي إمام الحنابلة في وقته، ولنستمع إلى الإمام وهو يعرض الفتنة** وما نال الشريف منها.

**يقول في ذيل طبقات الحنابلة**: وفي سنة ستين وأربعمائة كان **أبو علي بن الوليد شيخ المعتزلة** قد عزم على إظهار مذهبه لأجل موت الشيخ الأجل **أبي منصور بن يوسف** فقام الشريف **أبو جعفر** وعبر إلى جامع المنصور هو وأهل مذهبه وسائر الفقهاء وأعيان أهل الحديث وبلغوا ذلك ففرح **أهل السنة** بذلك وقرأوا كتاب **التوحيد لابن خزيمة** ثم حضروا الديوان

---

(١) تاريخ نيسابور لعبد الغافر والنص منقول عن السبكي.

وسألوا إخراج الاعتقاد الذي جمعه الخليفة **القادر** فأجيبوا إلى ذلك وقرىء هناك بمحضر من الجميع، واتفقوا على لعن من خالفه، وتكفيره، وبالغ **ابن فورك** في ذلك.

ثم سأل الشريف **أبو جعفر** والزاهد **الصحراوي** أن يسلم إليهم الاعتقاد فقال لهم الوزير: ليس ههنا نسخة غير هذه، ونحن نكتب لكم به نسخة لتقرأ في المجالس، فقالوا: هكذا فعلنا في أيام القادر قرىء في المساجد والجوامع، فقال: هكذا تفعلون، فليس اعتقاد هذا، وانصرفوا، ثم قرىء بعد ذلك الاعتقاد بباب البصرة وحضره الخاص والعام.

**وكذلك أنكر الشريف أبو جعفر على ابن عقيل** تردده إلى **ابن الوليد** وغيره، فاختفى مدة ثم تاب وأظهر توبته، وآخر ذلك كله: **فتنة ابن القشيري** قام فيها الشريف قياماً كلياً ومات في عقبها.

**ومضمون ذلك**: أن **أبا نصر بن القشيري** ورد بغداد سنة تسع وستين وأربعمائة وجلس في النظامية، وأخذ **يذم الحنابلة**، وينسبهم إلى **التجسيم**، وكان المتعصب له **أبو سعد الصوفي**، ومال إلى نصره **أبو إسحاق الشيرازي**، وكتب إلى **نظام الملك** الوزير يشكو **الحنابلة**، ويسأله المعونة، فاتفق جماعة من أتباعه على الهجوم على الشريف **أبي جعفر** في مسجده والإيقاع به، فرتب الشريف جماعة أعدهم لرد خصومه إن وقعت، فلما وصل أولئك إلى باب المسجد رماهم هؤلاء بالآجر، فوقعت الفتنة، وقتل من أولئك رجل من العامة وجرح آخرون وأخذت ثياب، وأغلق **ابن القشيري** أبواب سوق **مدرسة النظام**، وصاحوا: **المستنصر بالله**، يا منصور - يعنون **العبيدي صاحب مصر** - وقصدوا بذلك التشنيع على الخليفة العباسي وأنه ممالىء للحنابلة، ولا سيما والشريف **أبو جعفر** ابن عمه، وغضب **أبو إسحاق** وأظهر التأهب للسفر، وكاتب فقهاء الشافعية **نظام الملك** بما جرى، فورد كتابه بالامتعاض من ذلك، والغضب لتسلط الحنابلة على الطائفة الأخرى، وكان الخليفة يخاف من السلطان ووزيره **نظام الملك** ويداريهما.

وحكى **أبو المعالي** صالح بن شافع عن شيخه أبي الفتح الحلواني وغيره ممن شاهد الحال: أن الخليفة لما خاف من تشنيع الشافعية عليه عند **النظام** أمر الوزير أن يجيل الفكر فيما تنحسم به الفتنة، فاستدعى الشريف **أبا جعفر** بجماعة من الرؤساء منهم ابن جردة فتلطفوا به حتى حضر في الليل وحضر **أبو إسحاق وأبو سعد الصوفي وأبو نصر بن القشيري** فلما حضر الشريف عظمه الوزير ورفعه وقال: إن أمير المؤمنين ساءه ما جرى من اختلاف المسلمين في عقائدهم، وهؤلاء يصالحونك على ما تريد، وأمرهم بالدنو من **الشريف** فقام إليه **أبو إسحاق** وكان يتردد في أيام المناظرة إلى مسجده بدرب المطبخ فقال: أنا ذاك الذي تعرف، وهذه كتبي في أصول الفقه، أقول فيها: خلافاً للأشعرية، ثم قبل رأسه، فقال له **الشريف**: قد كان ما تقول إلا أنك لما كنت فقيراً لم تظهر لنا ما في نفسك فلما جاء الأعوان والسلطان وخواجا بزرك[1] ـ يعني **النظام** ـ أبديت ما كان مخفياً.

ثم قام **أبو سعد الصوفي** فقبل يد الشريف وتلطف به، فالتفت مغضباً وقال: أيها الشيخ إن الفقهاء إذا تكلموا في مسائل الأصول فلهم فيها مدخل، أما أنت فصاحب لهو وسماع وتعبير فمن زاحمك على ذلك حتى دخلت المتكلمين والفقهاء فأقمت سوق التعصب؟

ثم قام **ابن القشيري** ـ وكان أقلهم احتراماً للشريف ـ فقال **الشريف**: من هذا؟ فقيل: **أبو نصر القشيري**، فقال: لو جاز أن يشكر أحد على بدعته لكان هذا الشاب لأنه باد هنا بما في نفسه ولم ينافقنا كما فعل هذان[2].

ثم التفت إلى الوزير فقال: أي صلح يكون بيننا؟ إنما يكون الصلح بين مختصمين على ولاية، أو دنيا، أو تنازع في ملك، فأما هؤلاء القوم فإنهم يزعمون أنّا كفار، ونحن نزعم أن من لا يعتقد ما نعتقده كان كافراً فأي صلح بيننا؟

---

(١) معناه: العظيم، وكان لقب الوزير نظام الملك.

(٢) رحم الله الشريف أبا جعفر ما كان أشد إنصافه.

**وهذا الإمام يصدع المسلمين** وقد كان جداه ـ **القائم والقادر** ـ أخرجا اعتقادهما للناس وقرىء عليهم في دواوينهم وحمله عنهم الخراسانيون والحجيج إلى أطراف الأرض، ونحن على اعتقادهما، وأنهى الوزير إلى الخليفة ما جرى، فخرج في الجواب: عرف ما نهيته من حضور ابن العم ـ كثر الله في الأولياء مثله ـ وحضور من حضر من أهل العلم والحمد لله الذي جمع الكلمة، وضم الألفة، فليؤذن للجماعة في الانصراف وليقل **لابن أبي موسى** إنه قد أُفرد له في موضع قريب من الخدمة ليراجعه في كثير من الأمور المهمة، وليتبرك بمكانه.

**فلما سمع الشريف** هذا قال: فعلتموها؟ فحمل إلى موضع أفرد له بدار الخلافة، وكان الناس يدخلون عليه مدة مديدة، ثم قيل له: قد كثر استطراق الناس دار الخلافة فاقتصر على من تعين دخوله، فقال: ما لي غرض في دخول أحد علي، فامتنع الناس.

**ثم إن الشريف مرض مرضاً** أثر في رجليه فانتفختا فيقال: إن بعض المتفقهة من الأعداء ترك في مداسه سماً، والله تعالى أعلم.

**ثم إن أبا نصر القشيري** أخرج من **بغداد** وأمر بملازمة بلده لقطع الفتنة، وذلك نفي في الحقيقة.

**قال ابن النجار**: كوتب **نظام الملك** الوزير بأن يأمره بالرجوع إلى وطنه وقطع هذه الثائرة، فبعث واستحضره، وأمره بلزوم وطنه، فأقام به إلى حين وفاته.

**قال القاضي أبو الحسين: أخذ الشريف أبو جعفر** في فتنة **أبي نصر بن القشيري** وحبس أياماً فسرد الصوم وما أكل لأحد شيئاً.

**قال: ودخلت عليه في تلك الأيام** ورأيته يقرأ في المصحف، فقال لي: قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[1]، تدري ما الصبر؟ قلت: لا، قال: **هو الصوم**، ولم يفطر إلى أن بلغ منه المرض، وضج

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

الناس من حبسه وأخرج إلى الحريم الطاهري بالجانب الغربي[1] فمات هناك.

**وذكر ابن الجوزي**: أنه لما اشتد مرضه تحامل بين اثنين، ومضى إلى باب الحجرة فقال: جاء الموت، ودنا الوقت، وما أحب أن أموت إلا في بيتي بين أهلي، فأذن له، فمضى إلى بيت أخته بالحريم.

**قال**: وقرأت بخط أبي علي بن البناء قال: جاءت رقعة بخط الشريف **أبي جعفر** ووصيته إلى **أبي عبدالله بن جردة** فكتبها وهذه نسختها: «ما لي - يشهد الله - سوى الحبل والدلو، وشيء يخفى علي لا قدر له، والشيخ **أبو عبدالله** إن راعاكم بعدي، وإلا فالله لكم، قال الله عز وجل: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[2] **ومذهبي**: الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وما عليه أحمد، ومالك، والشافعي، وغيرهم ممن يكثر ذكرهم، والصلاة بجامع المنصور إن سهل الله تعالى ذلك عليهم، ولا يعقد لي عزاء، ولا يشق علي جيب، ولا يلطم خد، فمن فعل ذلك فالله حسيبه.

**وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الخميس سحراً**، خامس عشر صفر سنة سبعين وأربعمائة، وغسله **أبو سعيد البرداني**، **وابن الفتى** بوصية منه، وكانا قد خدماه طول مرضه، وصلي عليه يوم الجمعة ضحى بجامع المنصور، وأمّ الناس أخوه الشريف **أبو الفضل محمد**، ولم يسع الجامع الخلق وانضغطوا، ولم يتهيأ لكثير منهم الصلاة، ولم يبقَ رئيس ولا مرؤوس من أرباب الدولة وغيرهم إلا حضره إلا من شاء الله، وازدحم الناس على حمله، وكان يوماً مشهوداً بكثرة الخلق، وعظم البكاء والحزن، وكانت العامة تقول: ترحموا على **الشريف** الشهيد، القتيل المسموم، لما ذكر من أن بعض المبتدعة ألقى في مداسه سماً، ودفن إلى جانب **الإمام أحمد**.

---

(١) نسبة إلى طاهر بن الحسين، وبه كانت منازلهم، وسمي (الحريم) لأن من لجأ إليه أمن.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩.

**قال ابن السمعاني**: سمعت أبا يعلى بن أبي حازم بن أبي يعلى بن الفراء الفقيه الحنبلي - يوم خرجنا إلى الصلاة على شيخنا **أبي بكر عبدالباقي**، ورأى ازدحام العوام، وتزاحمهم لحمل الجنازة، فقال أبو يعلى: العوام فيهم جهل عظيم سمعت أنه في اليوم الذي مات فيه الشريف **أبو جعفر** حملوه ودفنوه في **قبر الإمام أحمد**، وما قدر أحد أن يقول لهم: لا تنبشوا قبر الإمام **أحمد**، وادفنوه بجانبه، فقال أبو محمد التميمي - من بين الجماعة -: كيف تدفنونه في قبر الإمام **أحمد بن حنبل** وبنت أحمد مدفونة معه في القبر؟ فإن جاز دفنه مع الإمام لا يجوز دفنه مع ابنته؟! فقال بعض العوام: اسكت فقد **زوجنا بنت أحمد من الشريف**، فسكت التميمي وقال: ليس هذا يوم كلام. اهـ من ذيل الطبقات[1].

**وكيف ترجم الأشاعرة لهذه الفتنة!!!**

**قال السبكي، وهو أشعري، في طبقات الشافعية**: «**أبو نصر بن القشيري**: **أبو نصر** عبدالرحيم ابن الأستاذ **القشيري** صاحب الرسالة، إمام الأئمة وحبر الأمة، حل فيه من لدن نفخ روح الفضيلة، وامتزج لبن رضاعته بكل خصلة جميلة، فنشأ والعلم له طباع، وتأتي الطباع اندفاع، ما استقر من الرضاع.

كان **أبو نصر المذكور** أشبه أولاد الأستاذ، رباه والده فأحسن تربيته وتخرج به، وكان مستملي الحديث على أبيه، وقارىء الكتب عليه، وبرع في الأصول والتفسير، والنظم والنثر وغيرهما، خصوصاً المسائل الحسابية، ثم بعد وفاة والده واظب على إمام الحرمين ليلاً ونهاراً، حتى حصل طريقة في المذهب والخلاف وكان له موقع عظيم عنده حتى إنه نقل عنه في كتاب الوصية من النهاية مع كونه شاباً إذ ذاك وتلميذاً له.

**تأهب للحج** فلما وصل إلى بغداد عقد مجلس الوعظ، فظهر له من القبول ما لم يعهد لأحد قبله، ولزم الشيخ أبو إسحاق وغيره من الأئمة

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ص (١٩ ـ ٢٣).

مجلس وعظه، وكان يعظ في النظامية، وفي رباط شيخ الشيوخ، فحج وعاد، فأقام ببغداد سنة كاملة، ثم حج ثانياً وعاد إليها، وجرى له **مع الحنابلة في زمن إقامته ببغداد أمور كثيرة، وفتن وتعصب بسبب التجسيم**[1]، وقتل من الفريقين جماعة، ثم وردت إشارة نظام الملك من أصبهان إليه بالرجوع إلى بلده نيسابور لتسكين الفتنة، فرجع إليها ملازماً للتدريس والإفتاء، والوعظ والإملاء إلى أن ضعف نحو شهر ثم مات بها، يوم الجمعة الثامن والعشرين جمادى الآخرة[2] اهـ.

**وهذه ترجمة الشريف أبي جعفر** كما بسير أعلام النبلاء:

**هو: عبدالخالق بن أبي موسى**: عيسى بن أحمد، أبو جعفر الهاشمي العباسي الحنبلي، **قال الذهبي**: الإمام شيخ الحنابلة، وقال أبو الحسن بن الفراء: لزمته خمس سنين وكان إذا بلغه منكر عظم عليه جداً وكان شديداً على المبتدعة لم تزل كلمته عليهم وأصحابه يقمعونهم ولا يردهم أحد، وكان عفيفاً نزهاً درس بمسجده ثم انتقل إلى الجانب الشرقي يدرس ثم درس بجامع المهدي - إلى أن قال: وأخذ أبو جعفر في فتنة **ابن القشيري** وحبس أياماً فسرد الصوم وما أكل لأحد شيئاً ودخلت فرأيته يقرأ في المصحف ومرض فلما ثقل وضج الناس من حبسه أخرج إلى الحريم فمات هناك.

**وقال ابن النجار**: كان منقطعاً إلى العبادة وخشونة العيش والصلابة في مذهبه حتى أفضى ذلك إلى مسارعة العوام إلى إيذاء الناس وإقامة الفتنة وسفك الدماء وسب العلماء فحبس.

**قال الذهبي**: قلت: كان يوم موته يوماً مشهوداً رحمه الله. اهـ[3].

**فالقضية واحدة**، والفتنة معروفة، فانظر رحمك الله كيف تناولها

---

(١) ما نقول إلا: حسبنا الله ونعم الوكيل.
(٢) طبقات الشافعية (٢/١٤٩).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٨/٥٤٦).

الأشعرية، وكيف تناولها الحنابلة، وكيف أرخ لها مؤرخ الإسلام الذهبي، **لتعلم أن الحسد (ومعه مقوماته) لم يكن ببعيد عن هذا الأمر!!!**

## ثانياً: الحسد الواقع على أعلام المدرسة السلفية:

**تشير كلمة السلفية إلى معنيين:**

**الأول: السلف** وهم: السلف الصالح من الصحابة والتابعين في الصدر الأول من الإسلام.

**الثاني: المدارس السلفية** التي حافظت على العقيدة والمنهج الإسلامي طبقاً لفهم الأوائل من السلف.

**ويذكر الشهرستاني**: أن السلف من أصحاب الحديث لما شاهدوا تعمق المعتزلة في علم الله ومخالفتهم للسنة المنقولة من الأئمة الراشدين تمسكوا بمنهج السابقين عليهم وهم مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وأحمد بن حنبل[1].

**ولو أخذنا بقول السمعاني** لاستطعنا معرفة أن معنى السني نسبة إلى السنة أي ضد البدعة، فلما كثر أهل البدع خصوا جماعة بهذا الانتساب.

**وإذا تتبعنا شيوخ السلفيين الأوائل**، فإننا نجد ثمة روابط موضوعية تجمع بين الفكر السلفي على مر العصور، كما أن لمذاهبهم سمات خاصة ومعالم بارزة، فهم في العقائد يتمسكون بفهم الصدر الأول المنقول بواسطة أئمة المحدثين، ومن أخفى مميزاتهم حرصهم على نقل العلم النبوي، فهم المحدثون أصحاب علم الجرح والتعديل، وتربطهم وشائج قوية لنزعتهم إلى التثبت في نقل الأخبار ورواياتها.

**ولهذا السبب فإن الدارس لموضوع الحياة الروحية** عندهم يلاحظ بسهولة أن منهجهم في قواعد السلوك والذوقيات بصفة عامة هو السير في التيار السلفي مستشهدين في هذا المجال بالأحاديث الواردة في الأبواب

---

(١) الأنساب (١٩).

المخصصة للرقائق في كتب الحديث لأهل السنة والجماعة[1].

**واستمرت المدرسة السلفية بعد الإمام أحمد بن حنبل** تضم أتباع المنهج وهم أهل الحديث إلى أن ظهر **أبو الحسن الأشعري** الذي استخدم المنهج الكلامي في الدفاع عن العقائد في مواجهة المعتزلة.

**وتابع الأشعري شيوخ آخرون** مثل الباقلاني وابن فورك، والاسفراييني والجويني والغزالي وغيرهم.

**ومن جهة أخرى أعلن الأشاعرة** أنهم يدافعون عن العقيدة بواسطة علم الكلام، أو بالطرق العقلية، وأنهم يعدون امتداداً للسلف وأطلقوا على أنفسهم اسم: الخلف: تمييزاً عمن سبق الإمام **أبا الحسن الأشعري**، ولكن أهل السنة لم يرضوا بمنهجهم فقد اعتبروه انسياقاً في التيار الكلامي.

**وقد مرت العلاقة بينهما في دروب متعددة**، وكانت تظهر في بدايتها في شكل مصادمات عنيفة، ربما أهمها «**فتنة ابن القشيري**» التي أشرنا إليها، ثم خفت حدتها عند شيوخ السلف المتأخرين لا سيما **ابن تيمية والذهبي**.

**هذا عن السلفية والأشعريين، أما عن السلفية والصوفية**، فإن بعض الباحثين يصف ابن تيمية وابن الجوزي واعظ العراق بأنهما أكبر معارضي التصوف[2].

**ولكن هذا الكلام بهذه الألفاظ كلام خاطىء** فهو يوحي بانفرادهما للحرب ومعاداة الصوفية، لكن الإمامين حاربا البدعة عند أهل التصوف والخروج عن رحى الإسلام الصحيحة.

**والتصوف في العصور المتأخرة شابه** عقيدة فلسفية خطيرة ألا وهي عقيدة **الاتحادية** الذين يقولون بأن الخالق اتحد بالمخلوق فلا يوجد غير شيء واحد، وما ثم غير، فالكل من عين واحدة أو الكل العين الواحدة[3]،

---

(١) التصوف وابن تيمية د: مصطفى حلمي (١٥).

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية (١/٢٧٤).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص (٧٦).

وكل مسلم له أدنى مسكة عقل، يعلم أن هذا التصوف لا بد أن يحارب من كل الأمة، وليست محاربته قصراً على علماء السلفية وحدهم!!

**وفيما يلي بيان لتراجم أئمة المدرسة السلفية** على مر العصور وقد اخترت تراجم كل من: **الإمام أحمد** وشيخ الإسلام **ابن تيمية** والإمام المجدد **محمد بن عبدالوهاب** والشيخ **الألباني** نماذج لهذه المدرسة المباركة لعمق تأثيرهم، وكثرة **حسادهم**.

## إمام أهل السنة أحمد بن محمد بن حنبل

**أحمد بن حنبل علم على الطريقة السلفية**، ومنارة هدى على الملة المحمدية، الصافية من كل تأويل وتحريف وباطل، أحمد إمام الدنيا إلى يوم القيامة، ومن ذا لا يعرف أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني.

**أحمد الصديق الثاني**، وإن كان الصديق الأول وجد يوم الردة أعواناً، فإن أحمد لم يجد يوم المحنة أعواناً.

**فماذا كانت محنة أحمد؟**

**كانت محنة بين الحق والباطل**، الباطل الذي جاء بقوة السلطان، وبهرجة القوة، يريد أن يزيل الحق، ويخفت له صوته، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره، وسطع الفجر فذهب الظلام، وأشرقت شمس الهدى فضرت أعين خفافيش الضلال.

**وقد كتب كثيرون عن محنة الإمام أحمد**، وقد اخترت للقارىء الكريم ما كتب الشيخ **عبدالعزيز البدري** في كتابه «الإسلام بين العلماء والحكام» لما فيه من وضوح العبارة، وسلاسة الأسلوب.

**قال رحمه الله**: أصحاب هذه الفكرة هم المعتزلة، والمعتزلة قالوا: إن القرآن الكريم مخلوق لأن الله تعالى خلقه وأنزله على رسوله سيدنا محمد ﷺ.

**وقال جمهرة الفقهاء والمحدثين** ومنهم الإمام أحمد رحمه الله تعالى

بأن القرآن غير مخلوق لأنه كلام الله وكلامه غير مخلوق.

**وتوقف آخرون** عن بيان رأيهم في ذلك لأسباب اعتقدوا بها.

**ولكن المعتزلة** استطاعوا لقربهم من المأمون واستوزارهم له أن يحملوا المأمون على اعتناق فكرتهم هذه وتنفيذها بقوة سلطانه، وذلك عن طريق تبنيها من قبل الدولة.

**واستمر هذا التبني** إلى حكم المعتصم والواثق وبداية حكم المتوكل بوصية يوصي بها الحاضر اللاحق.

**ونفذ المأمون هذه الفكرة بأربع مراحل:**

**المرحلة الأولى**: استعمل المأمون أسلوب حرمان العلماء والفقهاء والمحدثين من وظائف الدولة وعدم قبول شهادتهم في القضاء، وذلك في حالة معارضتهم لهذه الفكرة وعدم قبولها.

**يوضح هذا** ما جاء في كتابه الأول إلى عامله على بغداد إسحاق بن إبراهيم وهذا نصه: «فاجمع من بحضرتك من القضاة واقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا إليك، فابدأ بامتحانهم فيما يقولون وتَكَشَّفْهُمْ عما يعتقدون في خلق القرآن وإحداثه، وأعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين في عمله ولا واثق فيما قلده الله واستحفظ من أمور رعيته بمن لا يوثق بدينه وخلوص توحيده ويقينه وترك إثبات شهادة من لم يقر أنه مخلوق محدث، ولم يره، والامتناع عن توقيعها عنده» اهـ.

**المرحلة الثانية**: حرمان المخالفين من أعطيات الدولة من الذين يتولون التعليم والإرشاد ويتصدون للفتوى، أمثال عفان بن مسلم إذ يقول: فقال لي إسحاق: إن أمير المؤمنين أمر إن لم تجبه يقطع عنك ما يجري عليك، وإن قطع عنك أمير المؤمنين قطعنا نحن أيضاً، فقلت له: قال الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[١] فسكت عن إسحاق[٢].

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٢٢.

(٢) ص ١٣ المقضي للمقريزي.

**المرحلة الثالثة:** وفيها اشتدت المحنة ضراوة، إذ جعل عقاب المخالفين والمعارضين الضرب بالسياط، والأَسْر بالأغلال، والطرح بزنزانات السجون ثم إرسالهم إليه مخفورين، وأمر بتنفيذ ذلك حاكم بغداد كما جاء في كتابه الثالث إليه «فاحملهم أجمعين موثقين إلى عسكر أمير المؤمنين مع من يقوم بحفظهم وحراستهم في الطريق حتى يؤديهم إلى عسكر أمير المؤمنين ويسلمهم إلى من يؤمر بتسليمهم لينطقهم أمير المؤمنين، فإن لم يرجعوا ويتوبوا حملهم جميعاً على السيف إن شاء الله ولا قوة إلا بالله»[1].

**المرحلة الرابعة:** وقد بلغ العقاب أوجه وهو الإعدام بقطع الرؤوس عن الهامات، وأمر بتنفيذ هذا العقاب، واليه على بغداد إسحاق بن إبراهيم، فجاء بكتابه الرابع إليه: «فإن أمير المؤمنين يرى أن تستتيب من قال بمقالته إذ كانت تلك المقالة الكفر الصراح والشرك المحض عند أمير المؤمنين، فإن تاب منها فأشهر أمره وأمسك عنه، وإن أصر على شركه ودفع أن يكون القرآن مخلوقاً بكفره وإلحاده فاضرب عنقه بالسيف وابعث إلى أمير المؤمنين برأسه»[2].

**وبهذا انتهى تعيين أساليب التنفيذ،** فدخلت المحنة مرحلتها الأخيرة، وسارع إسحاق حاكم بغداد إلى طاعة أميره، فاجتمع بكبار علماء بغداد وكان من جملتهم إمامنا أحمد لمناقشتهم وجرى الامتحان، وكانت الأجوبة متفاوتة في الصراحة والجرأة، فمنهم الموفق بين رأيه الخاص ورأي الدولة، ومنهم المتأول، ومنهم الآخذ بقاعدة التقية، ولكن أربعة منهم في هذا المجلس ربط الله تعالى على قلوبهم فثبتهم ورضوا بحكم الله تعالى فيهم، فأعلنوا رأي الإسلام كما يعتقدونه في هذه الفكرة بوضوح، متحملين كل مشقة في هذا السبيل، وهم إمامنا أحمد ومحمد بن نوح وعبيدالله القواريري وسجادة.

**وعند ذلك أخذ هؤلاء الأربعة الكرام** مصفدين في الأغلال وأدخلوا

---

(١) الطبري ج ٢.

(٢) ص ١١٢٥ وما بعدها ج ٢ للطبري.

زنزانات السجن... ينتظرون... وفي اليوم التالي جيء بهم إلى حاكم بغداد لإعادة السؤال عليهم، وأعطوا فرصة الإجابة، فأجاب سجادة بما تريد الدولة، فأطلق سراحه... ثم أتيحت لهم الفرصة ثانية، فلحق القواريري بصاحبه، وبقي اثنان الله ثالثهما ابن حنبل وابن نوح رضي الله عنهما.

**وسجادة والقواريري قد أخذا بالرخصة**، وإمامنا وصاحبه قد أخذا بالعزيمة فكانا أفضل من أخويهما، وكان سلوكهما هو السلوك الأصح وهو الطريق الأحق، وهو المفروض على أمثالهما من الأئمة الذين يهتدى بهداهم، ويقتدى بهم، لأنهما رضي الله عنهما لو سلكا سبيل أخويهما لضل الناس، واعوج الطريق بهم، وكان الفساد، ولظن الناس - وليس لهم علم بما في الصدور - أن ذلك هو الحق، وهو الذي ارتضاه أئمتهم وعلماؤهم دنيا وعقيدة.

**ولذلك يقول إمامنا أحمد**: «إذا أجاب العالم تقية، والجاهل يجهل فمتى يتبين الحق».

**فحق على العلماء الرجال أن يثبتوا في المحن**، ويجهروا بالحق ليحفظوا على الناس دينهم، ويأمن الإسلام شر الطعن به، وتكون محنهم طريقاً إلى نشره وسبيل العض عليه بالنواجذ.

**وهذا ما نطق به أحمد وأقرانه**، وهذا ما أراده واعتقده، وهذا ما تحقق ووقع..

**سيجد القارىء الكريم ذلك واضحاً من خلال تفصيل هذه المحنة.**

**نفذ حاكم بغداد** أمر الخليفة، فحمل الفقيهين على الإبل موثوقين في الأغلال، ليواجها المأمون في طرسوس.

**وفي الطريق**، وقع ما حدث به المؤرخون الثقات بما هو آت، جاء في طبقات الشافعية وذكر ابن الجوزي بسنده إلى ابن جعفر الأنباري أنه قال: لما حمل أحمد إلى المأمون، أخبرت، فعبرت الفرات فإذا هو جالس فسلمت عليه، فقال - أي أحمد بن حنبل - يا أبا جعفر تعنيت، فقلت: ليس

في هذا عناء، وقلت: أنت اليوم رأس والناس يعتقدون بك، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن بإجابتك خلق من خلق الله، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير، ومع هذا كان الرجل - يعني المأمون - إن لم يقتلك تموت ولا بد من الموت، فثق بالله ولا تجبهم إلى شيء، قال: فجعل أحمد يبكي ويقول: ما شاء الله ما شاء الله[1] وفي الطريق أيضاً.

**ذكر أبو نعيم وغيره**[2] أن أحمد بن غسان المكلف بإشخاص أحمد إلى المأمون قال: فلما صرنا إلى (أذنه) ورحلنا منها وذلك في جوف الليل فتح لنا بابها فلقينا رجل ونحن خارجون من الباب وهو داخل فقال: البشرى؟ قد مات الرجل - يعني المأمون -.

**وقال أبو الفضل صالح بن أحمد بن حنبل**: فصار أبي ومحمد بن نوح إلى طرسوس وجاء نعي المأمون من (البذندون) فردا في أقيادهما إلى الرقة وأخرجا من الرقة في سفينة مع قوم محبسين فلما صارا بعانات (وتسمى اليوم عانة) توفي محمد بن نوح رحمه الله تعالى وتقدم أبي فصلى عليه، ثم صار إلى بغداد وهو مقيد، فمكث بالياسرية أياماً ثم صير إلى الحبس في دار اكتريت عند دار عمارة، ثم نقل بعد ذلك إلى حبس العامة في درب الموصلية، نعم مات محمد بن نوح في الطريق فكان شهيداً مصداقاً لقوله ﷺ: «... **ومن مات في سبيل الله فهو شهيد**..» فاستراح وذهب إلى ربه راضياً مرضياً وقد أدى الذي عليه وبقي الذي على إخوانه العلماء.

**وانتهت بذلك محنته** ولكن صاحبه أحمد بن حنبل لا زال في المحنة منتظراً..

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[3].

---

(١) طبقات الشافعية للسبكي ص ١٤٦.

(٢) الحلية لأبي نعيم ص ١٤٧، وطبقات السبكي ص ١٣٩، المقريزي ص ٤.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

**وفي سجن أحمد الذي طرح فيه ثمانية وعشرين شهراً**، بقي صامداً فلم يغير رأيه ولم يبدل موقفه.

**وكلما ازدادت المحنة** ويلات ازداد إيماناً وثقةً بربه وبكتابه الذي يكافح من أجله.

**ورغم محاولات إقناعه** بالعدول عن رأيه، والاستجابة لأمر الدولة اتسعت المحنة واشتدت وبلغت أقصاها، رغم شفاعات الشافعين الذين قاموا بها متبرعين من أنفسهم...

**قال إسحاق بن حنبل** ـ عم إمامنا أحمد ـ: «كنت أتكلم مع أصحاب السلطان والقواد في خلاص أبي عبدالله، فلم يتم لي الأمر، فاستأذنت على إسحاق بن إبراهيم فدخلت عليه وكلمته، فقال لحاجبه: اذهب معه إلى ابن أخيه، ولا يكلم ابن أخيه بشيء إلا أخبرتني به».

**قال إسحاق بن حنبل**: فدخلت على أبي عبدالله ومعي حاجبه، فقلت: يا أبا عبدالله قد أجاب أصحابك، وقد أعذرت فيما بينك وبين الله، وبقيت أنت في السجن والضيق، فقال أبو عبدالله: يا عم إذا أجاب العالم تقية والجاهل يجهل متى يتبين الحق؟ قال: فأمسكت عنه، ثم قال: فذكر أبو عبدالله ما روي في التقية من الأحاديث فقال: كيف تصنعون بحديث خباب؟ أن كان مَنْ قبلكم ينشر أحدهم بالمنشار ثم لا يصده ذلك عن دينه، قال: فيئسنا منه.

**ثم قال: لست أبالي بالحبس**، ما هو إلا منزلي وحدي، ولا قتلاً بالسيف إنما أخاف فتنة السوط وأخاف أن لا أصبر، فسمعه بعض أهل الحبس وهو يقول ذلك فقال: لا عليك يا أبا عبدالله ما هو إلا سوطان ثم لا تدري أين يقع الباقي، فلما سمع سري عنه[1].

**وذكر أبو نعيم ومثله المقريزي**: (حدثنا محمد بن جعفر وعلي بن أحمد والحسين بن محمد قالوا: حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو

---

(١) المقضي للمقريزي ص ٥.

الفضل صالح بن أحمد بن حنبل: قال أبي رحمه الله: لما كان في شهر رمضان لليلة سبع عشرة خلت منه، حولت من السجن إلى دار إسحاق بن إبراهيم حاكم بغداد وأنا مقيد بقيد واحد، يوجه إلي في كل يوم رجلان سماهما أبي قال أبو الفضل صالح: هما أحمد بن رباح وشعيب الحجام يكلماني ويناظراني فإذا أرادوا الانصراف دعيا بقيد فقيدت به، فمكثت على هذه الحالة ثلاثة أيام وصار في أرجلي أربعة أقياد)[1].

**ثم ماذا حدث لإمامنا بعد ذلك؟** هذا ما يحدثنا به الإمام نفسه، فقال حاكياً حاله: (. . . فلما كانت الليلة الرابعة بعد العشاء الآخرة وجه المعتصم ببغا ـ وهو رسوله ـ إلى إسحاق بن إبراهيم يأمره بحملي، فأدخلت على إسحاق، فقال: يا أحمد إنها والله نفسك، إنه قد حلف ألا يقتلك بالسيف، وأن يضربك ضرباً بعد ضرب، وأن يلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس، أليس قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[2] أفيكون مجعولاً إلا وهو مخلوق؟ فقلت له: قد قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾[3] أفخلقهم؟ فقال: اذهبوا به، فأنزلت إلى شاطىء دجلة وانحدرت إلى الموضع المعروف بباب البستان، ومعي بغا الكبير ورسول من قبل إسحاق، فقال بغا لمحمد المحاربي بالفارسية: ما تريدون من هذا الرجل؟ قال: يريدون أن يقول القرآن مخلوق، فقال: ما أعرف شيئاً من هذا إلا قول لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقرابة أمير المؤمنين من رسول الله.

**ولما صرنا إلى الشط أخرجت من الزورق،** فجعلت على دابة والأقياد علي، وما معي أحد يمسكني، فجعلت أكاد أخر على وجهي، حتى انْتُهِيَ بي إلى الدار، فدخلت ثم عرج بي إلى حجرة فصيرت في بيت منها، وأُغلق علي الباب، وأقعد عليه رجل وذلك في جوف الليل وليس في البيت سراج)[4].

---

(١) الحلية لأبي نعيم ص ١٤٣.
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٣.
(٣) سورة الفيل، الآية: ٥.
(٤) المصدر السابق بصحائفه.

**ثم ماذا فعل في تلك الزنزانة الضيقة المظلمة؟؟** وكيف كان ينهي ليله البهيم؟؟

**أسمعه يقول:** (فاحتجت إلى الضوء فمددت يدي أطلب شيئاً فإذا أنا بإناء فيه ماء وطست فتهيأت للصلاة فقمت أصلي)[1].

**بالصلاة قضى إمامنا أحمد ليله،** وهل هناك أحب إليه من الصلاة ومن مناجاة ربه الذي يمتحن من أجل قرآنه وذكره المجيد، وكم للصلاة خشوع ولها قبول إن كانت في وقت السحر، وفي ساعات الشدة والمحن.

**وفي الصباح جرت المحاكمة الأولى** للإمام على الوجه الذي يرويه هو رضي الله عنه:

(**فلما أصبحت جاءني الرسول** فأخذ بيدي فأدخلني الدار وإذا هو جالس (المعتصم) وابن أبي دؤاد حاضر وقد جمع أصحابه، والدار غاصة بأهلها، فلما دنوت منه وسلمت، فقال: أدنه أدنه، فلم يزل يدنيني حتى قربت منه ثم قال لي: اجلس، فجلست وقد أثقلتني الأقياد، فلما مكثت هنيهة قلت: تأذن في الكلام؟ فقال: تكلم، قلت: إلامَ دعا إليه ﷺ؟ (أي إلى أي شيء دعا إليه ﷺ) فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، فقلت: أنا أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قلت: إن جدك العباس يحكي أن وفد عبد قيس لما قدموا على رسول الله ﷺ أمرهم بالإيمان بالله، فقال: **«أتدرون ما الإيمان بالله؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: **«شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا الخمس من المغنم»**.

**قال المعتصم**: ما تقول في القرآن؟ قلت له: ما تقول في علم الله؟ فسكت، فجعل يكلمني هذا وهذا فأرد على هذا وأكلم هذا، ثم قلت: يا أمير المؤمنين أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ أقول به ما

---

(١) الحلية لأبي نعيم ص ١٤٨ وما بعدها، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٧٩، وأبو الفدا في تاريخه ج ٢ ص ١٦٨، والمقريزي ص ٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ص ٤٨.

أراده فقال ابن أبي دؤاد: أنت لا تقول إلا ما في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ؟

**فقلت له: تأولت تأويلاً، فأنت أعلم**، وما تأولت ما يحبس عليه ويقيد عليه، فقال ابن أبي دؤاد: هو والله يا أمير المؤمنين ضال مضل مبتدع وهؤلاء قضاتك والفقهاء فسلهم؟ فقال لهم (المعتصم): ما تقولون؟ فيقولون: يا أمير المؤمنين هو ضال مضل مبتدع).

**تلك مقالة علماء السوء وطلاب الدنيا وعبيد أهوائهم**، حينما يخاصمون قرناءهم في المعتقد، ويخالفونهم في الرأي في كل زمان.

**ثم قال الإمام أحمد**: (ولا يزالون يكلمونني وجعل صوتي يعلو على أصواتهم، فقال لي إنسان منهم: قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[1] أفيكون محدث إلا مخلوق؟ فقلت له: قال الله تعالى: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾[2] والذكر هو القرآن وتلك ليس فيها ألف ولا لام، فجعل ابن سماعة (وهو من قضاة المعتصم) لا يفهم ما أقول، فجعل يقول لهم: ما يقول؟ فقالوا: إنه يقول كذا وكذا، فقال لي إنسان منهم حديث خباب: يا هذا تقرب إلى الله بما استطعت فإنك لن تتقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه، فقلت له: نعم هكذا هو)[3].

**فجعل ابن أبي دؤاد ينظر إليه ويلحظ متغيظاً عليه**، فكان إذا انقطع الرجل منهم اعترض ابن أبي دؤاد فتكلم، فلما قارب الزوال قال لهم: قوموا.

**وهكذا انتصر الإمام عليهم بفكره** وَقَوِيِّ حجته وخاب المبطلون.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢.

(٢) سورة ص، الآية: ١.

(٣) وحديث خباب قد مر ذكره وهو قوله ﷺ: «**إن من كان قبلكم ينشر أحدهم بالمنشار لا يصده ذلك عن دينه**» وتلك مقالة جريئة نطق بها أحد الحاضرين من العلماء فصدقه إمامنا ولعل هذا الإمام الجليل أخذ عقابه فيما بعد.

**فالمعتصم يستمع إلى تلك المناقشة** أو المحاكمة التي علا فيها صوت الحق المتمثل بحجج أحمد وبراهينه من الصباح حتى قاربت صلاة الظهر.

**ثم اتبع المعتصم أسلوباً آخر** لعل به يزحزح أحمد عن إيمانه ومعتقده، يقول الإمام أحمد: ثم احتبس - أي المعتصم - عبدالرحمٰن بن إسحاق فخلا بي وبعبدالرحمٰن، فجعل يقول لي: أما تعرف صالحاً الرشيدي؟ كان مؤدبي وكان في هذا الموضع جالساً، وأشار إلى ناحية في الدار، فتكلم وذكر القرآن فخالفني فأمرت به فسحبَ وَوُطِىءَ.

**ثم قال: ما أعرفك؟** ألم تكن تأتينا؟ فقال له عبدالرحمٰن: يا أمير المؤمنين: أعرفه منذ ثلاثين سنة، يرى طاعتك والحج معك والجهاد معك[1]، وهو ملازم لمنزله، فجعل يقول (المعتصم): والله إنه لفقيه وإنه لعالم، ويسرني أن يكون مثله معي، يرد على أهل الملل، ولئن أجابني إلى شيء له فيه أدنى فرج لأطلقن عنه يدي ولأطأن عقبه ولأركبن إليه بجندي، ثم التفت إلي يقول: ويحك يا أحمد ما تقول؟ قلت: يا أمير المؤمنين أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ، فلما طال بنا المجلس ضجر فقام فرددت إلى الموضع الذي كنت فيه.

**رجع الإمام إلى سجنه الضيق المظلم** وهو مقيد بالأغلال مرفوع الرأس ثابت الإيمان، قوي الجنان، شاكراً ربه على توفيقه إياه ونصره في تلك المناقشة، وفي تلك السبيل ذات التهديد المرعب والإغراء العريض.

**ثم يقول الإمام أحمد رضوان الله عليه:** (ثم وجه إلي رجلين هما صاحب الشافعي (عبدالرحمٰن بن إسحاق) وغسان من أصحاب ابن أبي دؤاد، فيناظراني فيقيمان معي حتى إذا حضر الإفطار وجه إلينا بمائدة عليها الطعام، فجعلا يأكلان وجعلت أتعلل حتى ترفع المائدة، وأقاما إلى غد، وفي خلال ذلك يجيء ابن أبي دؤاد فيقول لي: يا أحمد يقول أمير المؤمنين ما تقول؟ قلت له: أعطوني شيئاً من كتاب الله وسنة

---

(١) يقصد بقوله طاعتك: طاعة بني العباس لأن المعتصم منهم.

رسول الله ﷺ حتى أقول به، فقال لي ابن أبي دؤاد: والله لقد كتب اسمك في السبعة فمحوته، ولقد ساءني أخذهم إياك، وإنه والله ليس السيف، إنه ضرب بعد ضرب، ثم يقول لي: ما تقول، فأرد عليه نحو ما رددت عليه).

**هكذا يدعي شيخ المعتزلة وهو صاحب فكرة المحنة؟** محاولة منه لإرجاع الإمام عن معتقده لينصر مذهبه، ولكن محاولاته باءت بالفشل الذريع.

**وأرجع ابن أبي دؤاد إلى منزله** ليستعد للمناقشة في اليوم الثاني.

**ثم يقول الإمام أحمد:**

«**وفي اليوم الثاني** دخلت على المعتصم فقال: ناظروه وكلموه، فجعلوا يتكلمون هذا من هنا وهذا من هنا، فأرد على هذا وهذا، فإذا جاؤوا بشيء من الكلام بما ليس في كتاب الله وسنة رسوله ولا فيه خبر ولا أثر، أقول لهم: ما أدري ما هذا، فيقول: يا أمير المؤمنين إذا توجهت له الحجة علينا وثب، وإذا كلمناه بشيء يقول: ما أدري ما هذا، فيقول: ناظروه، ثم قال: يا أحمد إني عليك شفيق....

**وكان إذا انقطع الرجل** (أي إذا لزمته الحجة فأفحم ولا يستطيع رداً) اعترض ابن أبي دؤاد».

**ثم يقول الإمام أحمد:** «ثم أمرهم بعد ذلك بالقيام وخلا بي وبعبدالرحمٰن بن إسحاق، فيدور بيننا كلام كثير، ومن خلال ذلك قال: تدعو أحمد بن أبي دؤاد فأقول: ذلك إليك، فيوجه فيجيء فيتكلم، فلما طال بنا المجلس قام، ورددت إلى الموضع الذي كنت فيه، وجاءني الرجلان اللذان كانا بالأمس فجعلا يتكلمان فدار بيننا كلام كثير، فلما كان وقت الإفطار جيء بالطعام على نحو ما أتي به في أول ليلة فأفطروا وتعللت وجعلت رسله تأتي أحمد بن عمارة (وهو الواسطة بين الإمام والمعتصم) فيمضي إليه برسالة على نحو ما كان في أول ليلة، حتى إذا كدت أن أصبح أخرجت تكتي من سراويلي فَشُدَّتْ بها الأقياد أحملها بها إذا توجهت إليه، فقلت لبعض من كان معي المتوكل بي: أريد خيطاً، فجاءني بخيط،

فشددت به الأقياد وأعدت التكة في سراويلي، ولبستها كراهية أن يحدث شيء من أمري فأتعرى».

**بقي الإمام يومين بلا طعام...** لأنه صائم فاستعد بذلك روحياً على استعداده فكرياً، إذ قد رفض أن يأكل من طعام القوم... لأنه في ضيافة الله.

**نعم استعد لذلك روحياً وفكرياً** للجلسة الثالثة من محاكمته، التي سيكون فيها إعطاء القرار النهائي... ولم ينسَ احتياطه لعورته أن تكشف، لأنه قرر الصمود والثبات لكل ضرب أو سيف حتى يلقى العليم الخبير، وأما خصومه فقد استعدوا أيضاً ولكن غير استعداده.

**وجاء اليوم الثالث وتأيدت ظنون الإمام،** قال الإمام: «فلما كان في اليوم الثالث أدخلت عليه (المعتصم) والقوم حضور، فجعلت أدخل من دار إلى دار وقوم معهم سيوف، وقوم معهم السياط وغير ذلك من الزي والسلاح، وقد حشيت الدار بالجند ولم يكن في اليومين الماضيين كبير أحد من هؤلاء حتى صرت إليه، قال: ناظروه وكلموه، فعادوا بمثل مناظراتهم، فدار بيننا وبينهم كلام كثير، حتى إذا كان في الوقت الذي كان يخلو بي فيه نحاني ثم اجتمعوا وشاورهم، ثم نحاهم ودعاني فخلا بي وبعبدالرحمٰن بن إسحاق، فقال لي: ويحك يا أحمد، أنا والله عليك مشفق وإني لأشفق عليك مثل شفقتي على هارون أبي فأجبني؟.

**فقلت: يا أمير المؤمنين أعطوني شيئاً من كتاب الله وسنة رسوله** وهنا ضاقت نفس المعتصم كما ضاق لسانه عن النطق الجميل كما سيضيق عليه قبره يوم قيامته، فأصدر أوامره الجهنمية بإنزال العقاب الذي ما بعده عقاب.

**قال الإمام أحمد:** (فلما ضجر المعتصم) وطال المجلس، قال: عليك لعنة الله لقد كنت طمعت فيك، خذوه: خلعوه ثيابه، اسحبوه فأخذت فسحبت ثم قال: العقابين والسياط، فجيء بالعقابين والسياط، وقد كان صار إلى شعران من شعر النبي ﷺ فصررتهما إلى كم قميصي، فنظر إسحاق بن إبراهيم إلى الصرة في كم قميصي، فوجه إلي ما هذا مصرور في كم

قميصك؟ فقلت: شعر من شعر النبي ﷺ، وسعى بعض القوم إلى القميص ليخرقه في وقت ما أقمت بين العقابين فقال لهم: لا تخرقوه انزعوه عنه، فظننت أنه يرى عن القميص الخرق لسبب الشعر الذي كان فيه، ثم صيرت بين العقابين وشُدَّتْ يدي وجيء بكرسي فوضع لي، وابن أبي دؤاد قائم على رأسه (المشمم) والناس أجمعون قيام ممن حضر، فقال لي ممن شدني خذ نابي الخشبتين بيدك وشد عليهما، فلم أفهم ما قال، فتخلعت يدي بما شددت ولم أمسك الخشبتين».

**ويقول ولده الصالح**: «ولم يزل أبي رحمه الله يتوجع منها من الرسغ إلى أن توفي» ثم قال للجلادين: تقدموا، فنظر إلى السياط فقال: ائتوا بغيرها، ثم قال: تقدموا فقال لأحدهم: أدنه أوجِع، قطع الله يدك، فتقدم فضربني سوطين ثم تنحى - وكان الإمام يذكر كلاماً عند كل ضربة سوط -، قال المقريزي في المقضي فلما ضرب (أحمد) سوطاً قال: **بسم الله** فلما ضرب الثاني قال: **لا حول ولا قوة إلا بالله،** فلما ضرب الثالث قال: **القرآن كلام الله غير مخلوق،** فلما ضرب الرابع قال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[1] فضربه تسعاً وعشرين سوطاً وكانت تكة سراويله قد انقطعت فنزل السراويل إلى عانته، فقلت: الساعة ينتهك فرمى أبو عبدالله (إمامنا) طرفه إلى السماء وحرك شفتيه فما كان أسرع من أن بقي السراويل لم ينزل.

**قال ميمون**: فدخلت على أبي عبدالله بعد سبعة أيام فقلت: يا أبا عبدالله، رأيتك يوم ضربوك قد انحل سراويلك فرفعت طرفك إلى السماء ورأيتك تحرك شفتيك فأي شيء قلت؟ قال: (اللهم إني أسألك باسمك الذي ملأت به العرش إن كنت تعلم أني على صواب فلا تهتك لي ستراً).

**وبعد تلك السياط الشداد** وإمامنا صابر محتسب يذكر الآخرة ويرجو رحمة ربه، والناس قيام ينظرون.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥١.

**قال الإمام:** ثم قام (المعتصم) حتى جاءني وهم محدقون به، فقال: ويحك يا أحمد تقتل نفسك، ويحك أجبني أطلق عنك بيدي، فجعل بعضهم يقول لي: ويحك إمامك على رأسك قائم، وجعل عجيف (وهو من رجاله) ينخس بقائم سيفه ويقول: تريد أن تغلب هؤلاء كلهم؟

**وجعل إسحاق بن إبراهيم يقول:** ويلك الخليفة على رأسك قائم، ثم يقول بعضهم: يا أمير المؤمنين دمه في عنقي، ثم رجع فجلس على الكرسي، ثم قال للجلاد: أدنه شد قطع الله يدك، ثم لم يزل يدعو جلاداً بعد جلاد فيضربني سوطين ويتنحى وهو يقول: شد قطع الله يدك.

**ثم قام إليّ الثانية** فجعل يقول: يا أحمد أجبني، فجعل عبدالرحمٰن بن إسحاق يقول لي: من صنع بنفسه من أصحابك في هذا الأمر ما صنعت؟ هذا **يحيى بن معين وهذا أبو خثيمة وابن أبي إسرائيل** وجعل يعدد من أجاب، وجعل هو (المعتصم) يقول: ويحك أجبني فجعلت أقول نحواً مما كنت أقول لهم.

**في هذان البحران من الضغط والإرهاب** يفغر فاه بالموت الزؤام وسيدنا الإمام صامد كالجبل الأشم، والجلادون الذين يتناوبون على ضربه بالسياط الضرب المبرح وقد بلغوا مائة وخمسين جلاداً لا يستطيعون أن يحركوه عن اعتقاده قيد أنملة.

**وهنا تشتد النفوس حماقة والقلوب غيظاً** وأيدي الجلادين قوة فيعلن المعتصم من يقتله؟ فجاء الجلاد أبو الدن فقال: أنا، قال المعتصم: بكم تقتله؟ قال: بخمسة عشر أو عشرين، فقال: شد قطع الله يدك.

**يقول الإمام:** (ثم جعل يقول للجلاد: شد قطع الله يدك، فذهب عقلي وما عقلت إلا وأنا في حجرة مطلق القيد، فقال إنسان ممن حضر: كببناك على وجهك وطرحنا على ظهرك بارية[1] ودسناك، قلت: ما شعرت بذلك).

---

(١) البارية: الحصير.

**نعم كيف يشعر وقد تعهد** أبو الدن الجلاد الأحمق، أن يزهق روح إمامنا بضربات معدودات، وإن ذهب شعور عقله فإن قلبه الكبير بقي حياً ذا حراك وشعور تامين يلهج بذكر الله.

**قال الإمام: (فجاؤوني بسويق فقالوا لي: اشرب وتقيأ،** فقلت: لا أفطر، ثم جيء بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم فنودي بصلاة الظهر، فصلينا الظهر، فقال ابن سماعة (قاضي المعتصم): صليت والدم يسيل من ضربك، فقلت: قد صلى عمر رضي الله عنه وجرحه يثعب دماً، فسكت ثم خلى عنه فصار إلى المنزل، ووجه إليّ برجل من السجن ممن يبصر الضرب ويعالج منها، فنظر إليه فقال: إنما والله لقد رأيت من ضرب ألف سوط ما رأيت ضرباً أشد من هذا لقد جر عليه من خلفه ومن قدامه، ثم أدخل ميلاً في بعض تلك الجراحات فقال: لم يثقب فجعل يأتيه ويعالجه).

**كل ذلك الضرب وكل هذه الجراحات** وكل تلك السجون المظلمة، والزنزانات الضيقة، وكل تلك القيود والأغلال، ثم الركل بالأقدام وهو فاقد الشعور، وكل هذه المحنة التي ما بعدها محنة، وإمامنا صابر مصابر بين صلاة وصيام، من أجل الحفاظ على عقيدة الإسلام، وحماية القرآن من القول المريب فيه.

**نعم.. كل هذا تحمله الإمام بثبات** وشجاعة ثم نسمعه يقول: «والله لقد أعطيت المجهود من نفسي، ولوددت أن أنجو من هذا الأمر كفافاً، لا عليَّ، ولا لي» اهـ[1].

**وجاء في كتاب محنة الإمام أحمد،** وساق الإسناد عن محمد بن إدريس بن محمد الخياط، قال: قال من حضر الضرب ومحنة أحمد: والله أنا رأيت بعدما استرخى أحمد في الضرب، كاد أن يحل مئزره حتى خرج يدان من خاصرته، فشدت المئزر، وغشي عند ذلك على المعتصم، حتى

---

(١) انتهى بلفظه وهوامشه من كتاب «الإسلام بين العلماء والحكام» لعبدالعزيز البدري ص (١٦٠ ـ ١٧٥).

حمل بين اثنين، قال: فبلغني أن المعتصم كان يقول في منامه: يا أحمد إني قد عفوت عنك فاعف عني، وإلا فخذ السوط فاقتص مني.

**ثم ساق الإسناد عن ابن المغيرة الجوهري** ببغداد قال: حدثنا أبو علي حنبل بن إسحاق، قال: سمعت أبا عبدالله يقول: ذهب عقلي مراراً فإذا رفع عني الضرب رجعت إلي نفسي، وإذا استرخيت وسقطت رفع عني الضرب، أصابني ذلك مراراً وأنا لا أعقل.

**وبه حدثنا حنبل،** قال: سمعت أبا عبدالله يقول: وكان ابن أبي دؤاد قبل أن أضرب يختلف إليَّ، وإذا أخذه القلق ذهب إلى أبي إسحق، وجاء إلي بالوعيد والتهديد، وحاجبه ابن دنقش أيضاً يمشي برسالة أبي إسحق: يقول لك كذا، يقول لك كذا، فلما لم يروا الأمر يصير إلى الذي أرادوا، عزموا على أن ينالوني بما نالوني به، فقال له أبو بكر بن عبيد: يا أبا عبدالله فكيف رأيته هو ـ يعني أبا إسحق ـ قال: رأيته في الشمس قاعداً بغير ظلة، فربما لم أعقل، وربما عقلت، إذا أعاد الضرب ذهب عقلي فلا أدري، فيرفع عني الضرب، فسمعته يقول لابن أبي دؤاد: لقد ارتكبت إثماً في أمر هذا الرجل، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنه والله كافر مشرك، قد أشرك من غير وجه، فلا يزال به حتى يصرفه عما يريد، وقد كان أراد تخليتي بغير ضرب، فلم يدعه ولا إسحق بن إبراهيم، وعزم حينئذ على ضربي.

**قال أبو علي:** وبلغني عن النوفلي، قال: قال أبو إسحق لابن أبي دؤاد بعدما ضرب أحمد، وهو يسأله: كم ضرب؟ فقال ابن أبي دؤاد: نيفاً وثلاثين ـ أو أربعة وثلاثين ـ سوطاً.

**قال أبو عبدالله:** فقال لي إنسان ممن كان حضر: ثم إنا ألقينا على صدرك بارية، وأكببناك على وجهك، ودسناك، قال أبو عبدالله: وما عقلت بهذا كله، وأمر بإطلاقي، فلم أعلم حتى أُخْرِجَ القيدُ من رجلي.

**وقال له ابن أبي دؤاد** بعدما ضربت وأمر بتخليتي: يا أمير المؤمنين، احبسه فإنه فتنة، يا أمير المؤمنين: إنه ضال مضل مبتدع، وإن خليته فتنت

به الناس، فقال: يا إسحاق، أطلقه، وقام فدخل، فحينئذ عقلت بالقيد وقد نزع من رجلي، وقام أبو إسحاق فدخل من مجلسه ذلك، فلم يجد بداً من أن يخلي عني، ولولا ذلك كان حبسني. فقال أبو بكر بن عبيدالله لأبي عبدالله: يا أبا عبدالله، فابن سماعة؟ فقال أبو عبدالله: سمعته يقول له ـ وقد أوقفت من الضرب وأنا بين العقابين ـ يا أمير المؤمنين، إنه رجل شريف، وهو رجل في نفسه مستور، ولعله يجيب أمير المؤمنين بما يكون له وجه عما دعاه إليه أمير المؤمنين. ثم قال لي ابن سماعة: ويحك، إن أمير المؤمنين مشفق عليك، وهو ذا بين يديك، فأجبه إلى ما يريد منك. قلت له: ما رأيت أمراً أوضح من كتاب ولا سنة. فتنحى ابن سماعة وتكلم بكلام لم أفهمه.

**قال أبو علي حنبل**: وبلغني أن أبا عبدالله قال: لي ولهم موقف بين يدي الله تعالى، وكتب بها إليه، فقال: تُخلي سبيله الساعة.

**قال: وبلغني أن أبا العلاء الأهتمي** قال: ما رأيت أحداً أشجع قلباً من أحمد بن حنبل.

**وأخبرني أبي** قال: قال لي بعض من حضر يومئذ؛ كان أحمد في دهره مثل صاحب بني إسرائيل في دهره. وكان هؤلاء يحتجون عليه، وهؤلاء يحتجون عليه، فيحتج على هؤلاء، ويحتج على هؤلاء بقلب ثابت وفهم، ليس ثم شيء ينكر.

**وقال لهم أبو إسحاق**: ليس هذا كما وصفتم لي، وذلك أنهم أوضعوا من قدره عنده ونالوه وصغروه عنده فلما شاهده ورأى ما عنده عرف له فضله.

**قال أبو عبدالله**: لولا الخبيث ابن أبي دؤاد كان أبو إسحاق قد خلاني، ولكن هو وإسحاق بن إبراهيم قالا له: يا أمير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة أن تخالف خليفتين وتخلي سبيله. ولولا ذلك كان أبو إسحاق قد أراد تخليتي قبل الضرب.

**وقد أراد ابن أبي دؤاد أن يحبسني بعد الضرب**، فقال أبو إسحاق:

يُخَلَّى، فعاوده، فغضب أبو إسحاق وقال: يُخَلَّى عنه، فلم أعلم إلا بالقيد وقد نزع عني.

**وقال لي أبو إسحق في اليوم الثالث**: أجبني إلى شيء يكون لك فيه بعض الفرج حتى أُطلق عنك وأطأ عقبك، وآتيك بأهلي وولدي وحشمي، وأراد بذلك أن يتشبث بشيء يكون له فيه عذر، فقلت له: ما أتيتموني ببيان من كتاب الله عزَّ وجلَّ، ولا من سنة عن رسول الله ﷺ.

**قال أبو عبدالله**: وكان أبو إسحق أرق علي منهم كلهم، فأما ابن أبي دؤاد، فكان فَدْماً لا يحسن يحتج، ولا يهتدي إلى شيء، إنما كان يعتمد على أولئك البصريين المعتزلة، برغوث وأصحابه.

**سمعت أبا بكر بن يزدانيار** ـ يعني الأرموي ـ يقول في حديث طويل: بلغني أن المعتصم لما ضرب أحمد بن حنبل لم ينتفع بنفسه، وأخذته الرعدة وضيق النفس، وكانت ترتعد فرائصه، ولا تكاد تستقيم له قدم على الأرض فإذا قيل له الأطباء، قال: أنا أعرف علتي، علتي العبد الصابر أحمد بن حنبل! ابتليت به ـ حتى مات على ذلك.

**وقال الشيخ** ـ يعني ابن يزدانيار ـ: وبلغني أن الجلاد الذي ضرب أحمد وقعت في يده الأكلة في وقته ذلك، وبعد ثلاث مات، واسود وجهه كله.

**وبالإسناد قال** أبو العباس البرذعي: سمعت محمد بن إدريس الخياط يقول: قال أبي إدريس بن محمد ـ وكان من أصحاب أحمد ـ قال لي أحمد: ألا أحدثك بأعجب ما رأيت في محنتي يا إدريس؟ قلت: بلى جعلت فداك، قال: لما ضربت وتركت، جاءني شاب ومعه قارورة وفيها ماء، فرشه على وجهي، فما وجدت للضرب وجعاً، ثم غاب عني فرأيت في النوم كأن قائلاً يقول لي: إن القارورة والماء من الجنة، والشاب هو رضوان خازن الجنان، بعثناه إليك حين أقمت الدين واستقمت فشكر الله ذلك لك.

**أخبرنا أحمد بن محمد** في كتابه أخبرنا محمد بن علي، أخبرنا

عبدالعزيز بن أحمد أخبرنا عبدالوهاب بن جعفر، حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد حدثنا أبو الفضل البغدادي قال: قال لي حنبل: لما ضرب ابن عمي انكسرت له قطعة من عظام ضلعه، وكنا لا نجسر أن نداويه مخافة أن يكون في الدواء شيء من السموم، حتى وصف لنا بالبصرة متطبب صالح، فجئنا به، فلما نظر إلى الكسر وإذا العظم، متعلق بلحم مفسود، فجذبه الطبيب بأسنانه فانجذب، وغشي عليه فلما أفاق سمعته يقول بلسان ضعيف: اللهم لا تؤاخذهم، فلما برىء قلت: سمعتك تقول ـ وذكر ما قال ـ فقال: نعم، أحببت أن ألقى الله عز وجل وليس بيني وبين قرابة النبي ﷺ شيء، وقد جعلته في حل، إلا ابن أبي دؤاد ومن كان مثله، فإني لا أجعلهم في حل.

**أخبرنا أحمد بن محمد** في كتابه، أخبرنا محمد بن علي، أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد الكتاني أخبرنا عبدالوهاب بن جعفر الميداني، حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن هارون البرذعي، سمعت أحمد بن طاهر الحافظ يقول: سمعت عبدالله بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقول: كان لي جلادان، يضرب ذا سوطاً ويتأخر، ويضرب ذا سوطاً، فإذا وقع الضرب على الضرب أقول: يا نفس ما لك راحة دون الموت.

**وبه حدثنا أبو العباس** أحمد بن محمد البرذعي، قال: أخبرني هارون بن أبي العباس، قال: قال لي صالح بن أحمد: قال لي أبي: كان عقلي معي إلى ثمانية وثلاثين سوطاً، ثم لم أدرِ أين كنت، ذهب عقلي[1].

**هذه هي محنة الإمام أحمد بن حنبل**

**ولنا وقفة**

**هل خرج الحسد من قصة محنة الإمام أحمد؟!!**

**ترى هل كان دافع هؤلاء الخلفاء دينياً؟، وغيرة على الدين، عندما امتحنوا العلماء والأئمة والناس على هذه البدعة؟**

---

(١) من كتاب محنة الإمام أحمد ص ١٣، وما بعدها.

**هل كان أهل الاعتزال غيورين على الشريعة والملة عندما دعوا الأمراء إلى هذه المحنة؟**

**لا نظن أن الدافع تمحض دينياً، وإنما كانت النفوس تتوق إلى العلو في الأرض بغير الحق...**

**كان أئمة السنة في علو وظهور، ووضع الله لهم القبول في الأرض، وما كانت نفوس أهل الاعتزال لترضى بذلك، وما كان الحسد بعيداً عن قلوبهم، بل الظاهر أنه تمكن من قلوبهم ونفوسهم أن رأوا أهل السنة في علو ورفعة، وهم في سفال وذل لأجل بدعتهم، فحسدوا أهل السنة وتحايلوا حتى أوقعوا بهم كل نازلة ومصيبة..**

**ولكن ماذا كان آخر أمر أحمد..**

**كل الورى يعرفون الفضل لأحمد،** ويعرفون من هو أحمد، كما يعرفون من هم المعتزلة وبدعتهم.

**وإذا كانت الجنائز** بيننا وبين أهل البدع، فلم تر جنازة في الدنيا مثل جنازة الإمام أحمد، فخرج فيها أهل الدين والورع والإيمان...

**وإذا كانت الرؤيا الصالحة** هي ما تبقى من النبوة، فلنستمع إلى ما رؤي للإمام أحمد من رؤى..

**جاء في كتاب محنة الإمام أحمد،** وساق الإسناد، قال: سمعت يحيى الجلاء - أبو علي الموفق - قال: ناظرت قوماً من الرافضة أيام المحنة، قال: فنالوني بما أكره، فصرت إلى منزلي وأنا مغموم بذلك، فقدمت لي امرأتي عشائي، فقلت: ها لست آكُل، فرفعته ونمت، فرأيت النبي ﷺ في النوم داخل المسجد، وفي المسجد حلقتان، حلقة فيها أحمد بن حنبل وأصحابه، والأخرى فيها ابن أبي دؤاد وأصحابه، فتوقف النبي ﷺ بين الحلقتين، وأشار بيده فقال: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ﴾ وأشار بيده إلى حلقة ابن أبي دؤاد وأصحابه، ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾[1]، وأشار

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٩.

بيده إلى الحلقة التي فيها أحمد رحمه الله.

**وساق الإسناد قال**: حدثنا أبو العباس الصوفي، قال: كنا يوماً في المسجد الجامع ننتظر السري رحمه الله، وكان في المسجد خلف وأبو بكر الناقد صاحب الحبيبي، وابن أخي معروف الكرخي، فقال أبو يوسف ابن أخي معروف: كنت بين النائم واليقظان فإذا أنا برجل قد دخل علي وعليه جبة صوف بلا كمين، فقلت: من أنت؟ قال: أنا موسى بن عمران الذي كلمني الله وما بيني وبينه ترجمان، فبينا أنا كذلك إذ هبط علينا رجل من السقف عليه حلتان جعد الشعر، فقلت: من هذا؟ فقال لي: هذا عيسى بن مريم عليه السلام، ثم قال لي موسى: أنا موسى بن عمران الذي كلمني الله وما بيني وبينه ترجمان، وهذا عيسى بن مريم، ونبيكم وجميع الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وأحمد بن حنبل، وحملة العرش وجميع الملائكة يشهدون أن القرآن كلام الله غير مخلوق، فقال خلف: قد قلت لأبي عبدالله هذه المقالة، فقال: أشتهي أن أسمعها من فيه. قال له ابن أخي معروف: غداً أركب حماراً وأمضي إليه.

**قال أبو العباس**: أنا أقول: الناس من دون أحمد كلهم في ميزان أحمد، كما أن الناس دون أبي بكر في ميزان أبي بكر.

**وساق الإسناد** قال: سمعت أبا عبدالرحمٰن بن الصباح قال: رأيت في المنام كأني على شيء مرتفع، وكأن بين يدي رجلين يتكلمان، إذ سمعت أحدهما يقول لصاحبه: قد أخذ صاحب ابن عمر يمتحن، قال الآخر: لا يجترئون عليه، إذ أقبل رجل من بعيد مخضوب الرأس واللحية، فقال أحدهما لصاحبه: هذا جليس ابن عمر حتى نسأله، فلما دنا الرجل إذا هو أحمد بن حنبل، قال: فالتفت يساري في الموضع المرتفع فإذا أنا بابن عمر واقفاً ينفض لحيته وهو مصفر اللحية فسمعته يقول: أبناء الأنجاس ـ أو أبناء الأرجاس ـ ما لهم ولهذا؟ أبو عبدالرحمٰن يشك، ما لهم ولهذا؟ كلامهم في هذا لا يقوون عليه، ثم انتبهت وقال: رأيت هذه الرؤيا قبل أن أرى أحمد بن حنبل، ثم رأيت أحمد بعد فكان كما رأيته في المنام مستوياً.

**ثم ساق السند فقال: عن عبدالله بن حبيق** - أو قال: سمعت عبدالله بن حبيق يقول -: قدم علينا رجل من أهل العراق يقال: إنه من أفاضلهم، فقال يوماً: رأيت رؤيا وقد احتجت أن تدلني على رجل حسن العبارة، قال: فقلت: قل، قال: رأيت النبي ﷺ كأنه في فضاء من الأرض وعنده نفر، فقلت لبعضهم: من هذا؟ فقال: هذا محمد ﷺ، فقلت: ما يصنع هاهنا؟ قال: ينتظر أمته أن يوافوه، فقلت في منامي: لأقعدن حتى أنظر ما يكون حاله في أمته، فبينا أنا كذلك اجتمع الناس، وإذا مع كل واحد منهم قناة، فظننت أنه يريد أن يبعث بعثاً، قال: فنظر ﷺ فرأى قناة أطول من تلك القني كلها، فقال: من صاحب القناة؟ قالوا: أحمد بن حنبل، قال: ائتوني به، قال: فجيء به والقناة في يده، فأخذها فهزها ثم ناوله إياها وقال: اذهب فأنت أمير القوم، ثم قال للناس: اتبعوه فإنه أميركم واسمعوا له وأطيعوا، قال الشيخ: فقال ابن حبيق: فقلت: هذه رؤيا لا تحتاج إلى عبارة. اهـ من كتاب محنة الإمام أحمد[1].

**تتمة:**

**من المعروف** أن المتوكل العباسي هو الخليفة الذي رفع المحنة، وأنها استمرت أيام المأمون والمعتصم والواثق، إلا أن هناك عدة أخبار تدل على أن الواثق قد مال في آخر عمره إلى الرجوع عن ذلك الأمر الشنيع، فأحببت أن أنقله إتماماً للفائدة:

**جاء في محنة الإمام أحمد:**

**وساق الإسناد** قال: سمعت طاهر بن خلف يقول: سمعت محمد بن الواثق - الذي كان يقال له: المهتدي بالله - يقول: كان أبي إذا أراد أن يقتل رجلاً أحضرنا ذلك المجلس، فأتي بشيخ مخضوب مقيد، فقال أبي: ائذنوا لأبي عبدالله وأصحابه - يعني ابن أبي دؤاد - قال: فأدخل الشيخ، فقال: السلام عليكم يا أمير المؤمنين، فقال: لا سلَّم الله عليك، فقال: يا

(١) محنة الإمام أحمد ص ١٣.

أمير المؤمنين، بئس ما أدبك مؤدبك، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[1] والله ما حييتني بها ولا بأحسن منها، فقال ابن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين الرجل متكلم، فقال له: كلمه، فقال: يا شيخ، ما تقول في القرآن؟ فقال الشيخ: لم تنصفني، ولي السؤال، فقال له: سل؟ فقال الشيخ: ما تقول في القرآن؟ فقال: مخلوق، قال: هذا شيء علمه النبي ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والخلفاء الراشدون، أم شيء لم يعلموه؟ فقال شيء لم يعلموه، فقال: سبحان الله، شيء لم يعلمه رسول الله ﷺ، ولا أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا علي، ولا الخلفاء الراشدون، علمته أنت؟ قال: فخجل، فقال: أقلني، فقال: المسألة بحالها، قال: نعم، قال: ما تقول في القرآن؟ فقال: مخلوق، قال: فقال: هذا شيء علمه النبي ﷺ، وأبو بكر وعمر، وعثمان، وعلي، والخلفاء الراشدون، أم لم يعلموه؟ قال: علموه ولم يدعوا الناس إليه، قال: أفلا وسعك ما وسعهم؟ قال: ثم قام أبي فدخل الخلوة واستلقى على قفاه، ووضع إحدى رجليه على الأخرى وهو يقول: هذا شيء لم يعلمه النبي ﷺ، ولا أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا علي، ولا الخلفاء الراشدون، علمته أنت؟ سبحان الله، شيء علمه النبي ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والخلفاء الراشدون، ولم يدعوا الناس إليه، أفلا يسعك ما وسعهم؟ ثم دعا عماراً الحاجب، وأمره أن يرفع عنه القيود ويعطيه أربعمائة دينار، ويأذن له في الرجوع، وسقط من عينه ابن أبي دؤاد، ولم يمتحن به بعده أحداً.

**قال وساق الإسناد:**

**أخبرنا أحمد** بن سندي الحداد، قال: قرىء على أحمد بن الممتنع ـ وأنا أسمع ـ قيل له: أخبركم صالح بن علي بن يعقوب الهاشمي، قال: حضرت المهتدي بالله أمير المؤمنين، وجلس للنظر في أمور المظلومين في دار العامة، فنظرت إلى قصص الناس تقرأ عليه من أولها إلى آخرها، فيأمر

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٦.

بالتوقيع فيها، وينشأ الكتاب عليها، وتحرر، وتختم، وتدفع إلى صاحبها بين يديه، فسرني ذلك فاستحسنت ما رأيت، فجعلت أنظر إليه ففطن ونظر إلي، فغضضت عنه، حتى كان ذلك مني ومنه مراراً ثلاثاً، إذا نظر غضضت وإذا شغل نظرت، فقال لي: يا صالح، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، وقمت قائماً، فقال: في نفسك شيء منا تريد ـ أو قال: تحب ـ أن تقوله؟ قلت: نعم يا سيدي، فقال: عد إلى موضعك، فعدت حتى إذا قام قال للحاجب: لا يبرح صالح، فانصرف الناس، ثم أذن لي فدخلت فدعوت له، فقال لي: اجلس، فجلست، فقال لي: يا صالح، تقول لي ما دار في نفسك أو أقول أنا ما دار في نفسي أنه دار في نفسك؟ قلت: يا أمير المؤمنين، ما تعزم عليه وتأمر به، فقال: أقول أنا: إنه دار في نفسك أنك استحسنت ما رأيت منا، فقلت في نفسك: أي خليفة خليفتنا إن لم يكن يقول: القرآن مخلوق، ـ فورد على قلبي أمر عظيم، ثم قلت: يا نفس هل تموتين قبل أجلك، وهل تموتين إلا مرة؟ وهل يجوز الكذب في جد أو هزل؟ ـ فقلت: يا أمير المؤمنين ما دار في نفسي إلا ما قلت، فأطرق ملياً ثم قال: ويحك اسمع مني ما أقول، فوالله لتسمعن الحق، فسري عني، فقلت: يا سيدي ومن أولى بقول الحق منك وأنت خليفة رب العالمين، وابن عم سيد المرسلين، فقال: ما زلت أقول: إن القرآن مخلوق صدراً من أيام الواثق، حتى أقدم ابن أبي دؤاد علينا شيخاً من أهل الشام من أهل أذنة، فأدخل الشيخ على الواثق مقيداً، وهو جميل الوجه تام القامة حسن الشيبة، فرأيت الواثق قد استحيا منه ورق له، فما زال يدنيه ويقربه حتى قرب منه، فسلم الشيخ فأحسن، ودعا فأبلغ، فقال له الواثق: اجلس، فجلس، فقال: يا شيخ، ناظر ابن أبي دؤاد على ما يناظرك عليه، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين: ابن أبي دؤاد يصبو ويضعف عن المناظرة، فغضب الواثق وعاد مكان الرقة غضباً عليه، قال: أبو عبدالله بن أبي دؤاد يصبو ويضعف عن مناظرتك أنت؟ فقال الشيخ: هون عليك يا أمير المؤمنين ما بك؟ وأذن لي في مناظرته، فقال الواثق: ما دعوتك إلا للمناظرة، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تحفظ علي وعليه ما نقول؟ قال: أفعل، قال

الشيخ: يا أحمد أخبرني عن مقالتك هذه، هي مقالة واجبة داخلة في عقد الدين، ولا يكون الدين كاملاً حتى يقال فيه بما قلت؟ قال: نعم، قال الشيخ: أخبرني عن النبي ﷺ حين بعثه الله إلى عباده هل ستر شيئاً مما أمره الله به في أمر دينه؟ قال: لا، قال الشيخ: فدعا رسول الله ﷺ إلى مقالتك هذه؟ فسكت، فالتفت الشيخ إلى الواثق وقال: يا أمير المؤمنين واحدة، فقال الواثق: واحدة، فقال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن الله عز وجل حين أنزل القرآن على رسول الله ﷺ فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1] هل كان الله الصادق في إكمال دينه، أو أنت الصادق في نقصانه حتى يقال فيه بمقالتك هذه؟ فسكت ابن أبي دؤاد، فقال الشيخ: أجب يا أحمد، فلم يجب، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين اثنتان، فقال الواثق: اثنتان، فقال الشيخ: يا أحمد: أخبرني عن مقالتك هذه، علمها رسول الله ﷺ أم جهلها؟ فقال ابن أبي دؤاد: علمها، قال: فدعا الناس إليها؟ فسكت، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، ثلاث، فقال الواثق: ثلاث، فقال الشيخ: يا أحمد، فاتسع لرسول الله ﷺ أن علمها وأمسك عنها كما زعمت ولم يطالب أمته بها؟ قال: نعم، قال الشيخ: واتسع لأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم؟ قال ابن أبي دؤاد: نعم، فأعرض الشيخ عنه وأقبل على الواثق وقال: يا أمير المؤمنين، قد قدمت القول أن أحمد يصبو ويضعف عن المناظرة، يا أمير المؤمنين، إن لم يتسع لنا منك الإمساك عن هذه المقالة كما زعم هذا أنه اتسع لرسول الله ﷺ، ولأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، فلا وسَّع الله على من لم يتسع له ما اتسع لهم.

**فقال الواثق**: نعم، إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله ﷺ، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، فلا وسَّع الله علينا، اقطعوا قيد الشيخ، فلما قطع القيد ضرب الشيخ بيده إلى القيد حتى يأخذه،

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

فجاذبه الحداد عليه، فقال الواثق: يا شيخ لماذا جاذبت الحداد عليه؟ قال: لأني نويت أن أتقدم إلى من أوصي إليه إذا مت أن يُجعل بيني وبين كفني حتى أخاصم هذا الظالم عند الله يوم القيامة، وأقول: يا رب سل عبدك هذا لِمَ قيدني؟ وروع أهلي وولدي وإخواني بلا حق أوجب ذلك علي.

**وبكى الشيخ** وبكى الواثق وبكينا، ثم سأله الواثق أن يجعله في حل وسعة مما قاله، فقال له الشيخ: يا أمير المؤمنين، لقد جعلتك في حل وسعة من أول يوم إكراماً لرسول الله ﷺ، إذ كنت رجلاً من أهله.

**فقال الواثق:** لي إليك حاجة، فقال الشيخ: إن كانت ممكنة فعلت، فقال الواثق: تقيم قبلنا وننتفع بك وتنتفع بنا، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين إن ردك إياي إلى الموضع الذي أخرجني عنه هذا الظالم أنفع لك من مقامي عندك، وأخبرك بما في ذلك، أصير إلى أهلي وولدي فأكف دعاءهم عليك، فقد خلفتهم على ذلك.

**فقال له الواثق:** فتقبل منا صلة تستعين بها على دهرك، فقال: يا أمير المؤمنين لا تحل لي، أنا عنها غني وذو مرةٍ سوِيّ، فقال: سل حاجةً؟ فقال: أوَ تقضيها يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، قال: تأذن أن يخلى لي السبيل الساعة إلى الثغر، قال: قد أذنت لك، فسلم وخرج.

**قال المهتدي بالله:** فرجعت عن هذه المقالة، وأظن أن الواثق رجع عنها من ذلك الوقت.

**أخبرني زيد بن الحسن وغيره**، أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا أبو بكر الخطيب، أخبرنا أبو بكر عبدالله بن علي بن حمويه، قال: سمعت أبا بكر بن عبدالرحمٰن الشيرازي، أخبرنا بحديث الأذني ومناظرته، فقال: الشيخ هو أبو عبدالرحمٰن عبدالله بن محمد بن إسحاق الأذرمي.

**أخبرنا زيد بن الحسن وغيره**، أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا أبو بكر بن الخطيب، أخبرني عبيدالله بن أبي الفتح، أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن الحسن، حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة، حدثني حامد بن العباس، عن رجل عن المهتدي، أن الواثق مات وقد تاب عن القول بخلق القرآن.

# أحمد الثاني:
# شيخ الإسلام أحمد بن تيمية

**كلما خبا نور الدعوة**، وكلما أظلم الكون بالبدعة قيض الله رجالاً جددوا الدين، ومحوا الظلم، وأقاموا العدل، وجاهدوا في الله حق جهاده.

**مات أحمد بن حنبل**، والكل معظم له، شاهد بإمامته، ويبجله من هو على السنة، وهم على طريق السنة والهدى.

**ثم نبغت نوابغ من أفراخ المتكلمين**، وساد البلاد المذاهب الرديئة من شيعة وأشعرية وباطنية، ثم قيض الله للأمة، شيخ الإسلام في عصره وإلى آخر الزمان أحمد الثاني الذي اقتفى أثر أحمد الأول، فصنف ورتب وألف وأسهب وأقام الحق وقمع الباطل.

**ونحن الآن نقطف شيئاً من ترجمته**، وشيئاً من محنته، على إطالة لكنها إطالة محببة إلى النفوس، كيف وقد أثر شيخ الإسلام في فكر زمانه وما تلا ذلك الزمان حتى هذه الأيام.

**وقد اخترت الترجمة التي وضعها المحقق** /عبدالقادر الأرناؤوط في مقدمة كتاب شيخ الإسلام: الفرقان بين الحق والباطل لكونها وافية بالمقصود والله المستعان.

# ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية[1]

**هو الإمام الحافظ الفقيه المحدث**، ناصر السنة وقامع البدعة، شيخ الإسلام، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبدالله بن تيمية الحراني الدمشقي.

**إنه سليل أسرة كريمة**، اشتغل أبناؤها بالعلم حتى عرفوا به، وبرزوا فيه.

**فأبوه** عبدالحليم بن عبدالسلام، شهاب الدين نزيل دمشق، ولد بحران[2] سنة (٦٢٧هـ)، سمع من أبيه عبدالسلام وكثيرين غيره، قرأ المذهب الحنبلي على أبيه حتى أتقنه، ودرس وأفتى وصنف، وكان إماماً محققاً، كثير الفنون، ديناً متواضعاً، حسن الأخلاق، كما كان جواداً من حسنات العصر، توفي رحمه الله تعالى بدمشق سنة (٦٨٣هـ).

**وأما جده** عبدالسلام بن عبدالله الفقيه الحنبلي، الإمام المحدث المفسر الأصولي النحوي، وأحد الحفاظ الأعلام المشهورين، وقد ألين له الفقه كما ألين لداود الحديد، وهو صاحب كتاب (منتقى الأخبار) الذي شرحه الشوكاني إمام القطر اليماني، وسماه «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار»، ولد بحران سنة (٥٩٠هـ) تقريباً، ورحل إلى بغداد، وأقام بها عدة سنوات، واشتغل بأنواع العلوم، ثم رجع إلى حران، وتوفي بها سنة (٦٥٢هـ).

**وإذا تركنا أباه وجده** نجد آخرين كثيرين مشهورين من أعضاء هذه

---

(١) من مقدمة الفرقان بين الحق والباطل (ابن تيمية) هذه الترجمة بقلم المحقق: عبدالقادر الأرناؤوط. مكتبة دار البيان ـ دمشق.

(٢) حران: بلدة شمال شرقي تركيا، وكانت من أهم مراكز الديانات القديمة، وهي الآن عامرة بعد الخراب الذي أصابها عند احتلال التتار لها أيام رحيل آل ابن تيمية عنها، وهي غير (حران العواميد) التي في غوطة دمشق الشرقية، وكانت تسمى (حران المرج) ومن قال: إن شيخ الإسلام من حران العواميد فقد أخطأ، والنسبة إلى حران: حرناني، وإنما اشتهر بالحراني.

الأسرة الكريمة المشهورة بالعلم والعلماء، وصدق الله عز وجل إذ يقول في كتابه الكريم: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٨].

**وإنما سمي كل من هؤلاء العلماء في هذه الأسرة:** ابن تيمية لأن جدهم محمد بن الخضر حج على درب تيماء فرأى طفلة جميلة فلما رجع إلى دمشق وجد امرأته قد ولدت بنتاً فقال: يا تيمية، تشبيهاً لبنته بها فأطلق على أبنائها: ابن تيمية، وقيل إن جده محمد بن الخضر كانت أمه تسمى تيمية وكانت واعظة فنسب إليها وعرف بها.

**وأشهر أبناء ابن تيمية:** هو صاحب الترجمة الحفيد: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، ولد بحران يوم الاثنين في العاشر من ربيع سنة (٦٦١هـ)، وأنبته الله نباتاً حسناً، فعاش بضع سنين في كنف أبيه وتحت رعايته، ثم انتقل أبوه وبأسرته إلى دمشق سنة (٦٦٧هـ) عند قدوم التتار إلى الشام، وكان قد بلغ السادسة من عمره.

**وفي دمشق الشام المحروسة نشأ أحمد ابن تيمية وترعرع،** ثم درس ونضج حتى بلغ أشده، وآتاه الله تعالى العلم والحكمة، وصار أحد الأئمة الأعلام، ومن كبار شيوخ الإسلام، الذين خلدوا على الزمن بفضل ما قاموا به من جلائل الأعمال، وما خلفوه لنا من عظيم الآثار.

**ولا عجب أن ينبغ الفتى ابن تيمية،** فقد وفر الله العليم الحكيم له عوامل النبوغ ومؤهلاته، وراثة طيبة، عميقة الجذور، بعيدة الأصول، سامقة الفروع، وبيئة علمية أوفت على الغاية، وقوى علمية بلغت حد العجب والإعجاب وتوفيق من الله تعالى، وبركة في الوقت، حتى صار فريد عصره، ووحيد دهره، وإمام زمانه.

**حفظ القرآن وهو حدث،** ثم أخذ في الدرس وطلب العلم، وأقبل على الفقه والعربية، وبرع في النحو، ثم أقبل على التفسير إقبالاً كلياً حتى سبق فيه، وأحكم أصول الفقه، كل هذا وهو ابن بضع عشرة سنة، فانبهر الفضلاء من فرط ذكائه وسيلان ذهنه وقوة حافظته وإدراكه.

**ونشأ في زهد تام وعفاف وتعبد،** واقتصاد في الملبس والمأكل، أفتى

وله أقل من تسع عشرة سنة، وشرع في الجمع والتأليف.

**وكانت له خبرة تامة بالرجال رواة الحديث** وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث، وبالعالي والنازل، والصحيح والسقيم، مع حفظه لمتون الحديث، وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه، وعزوه إلى الكتب الستة في الحديث، ومسند أحمد.

**وله في استحضار الآيات القرآنية للاستدلال بها قوة عجيبة،** وكان يكتب في اليوم والليلة في التفسير والفقه وأصول الدين نحواً من أربعة كراريس.

## شيوخه:

**سمع الحديث من ابن الدائم،** وابن أبي اليسر، وابن عبدان، والشيخ شمس الدين الحنبلي، والقاضي شمس الدين بن عطاء الحنفي، والشيخ جمال الدين بن الصيرفي، ومجد الدين بن عساكر، والشيخ جمال الدين البغدادي، والنجيب المقداد، وابن أبي الخير، وابن علان، وأبي بكر الهروي، والكمال عبدالرحيم، والفخر علي، وابن شيبان، والشرف ابن القواس، وخلق كثير، وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ.

## تلاميذه:

**لقد تلقى عن المؤلف رحمه الله تعالى كثير من العلماء المشهورين** المشهود لهم بالفضل منهم من هو أكبر منه سناً، ومنهم من هو من أقرانه، ومنهم من هو أصغر منه سناً.

**وممن لازمه وأخذ عنه الإمام شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المشهور بـ «ابن قيم الجوزية»** صاحب المؤلفات المفيدة، وقد لازمه ملازمة تامة، وقد توفي رحمه الله سنة (٧٥١هـ) ودفن بالباب الصغير بدمشق.

**ومنهم الحافظ المحقق أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادي**

المقدسي الحنبلي الصالحي، وقد لازمه مدة، وله مؤلفات نافعة، توفي في سن الأربعين رحمه الله سنة (٧٤٤هـ) ودفن بسفح جبل قاسيون بدمشق، وهو صاحب العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية.

**ومنهم الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر بن علي البزار** الأزجي الحنبلي البغدادي صاحب كتاب: الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، ولد ببغداد، ثم رحل إلى دمشق فقرأ على علمائها ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية، توفي رحمه الله عند توجهه إلى الحج يوم الثلاثاء **٢١** من ذي القعدة سنة (٧٤٩هـ) في حاجر بالطاعون العام الذي أفنى الكثير من الناس.

**وممن سمع منه وأجازه الحافظ المؤرخ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عثمان بن قايماز الذهبي الدمشقي**، له المؤلفات المفيدة، والمختصرات الحسنة، والمصنفات السديدة، منها: تاريخ الإسلام، وسير أعلام النبلاء، وميزان الاعتدال في نقد الرجال، وغيرها كثير، توفي رحمه الله سنة (٧٤٨هـ) ودفن بالباب الصغير بدمشق.

**والحافظ أبو الفتح بن سيد الناس اليعمري المصري**، قرأ على الشيخ الإمام حامل راية العلوم ومدرك غاية المفهوم تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني بالقاهرة، عندما قدم عليهم، وقد توفي رحمه الله بالقاهرة سنة (٧٣٤هـ).

**والحافظ علم الدين القاسم بن محمد البرزالي**، أحد محدثي الشام الكبار، المتوفى بـ «خليص» بين الحرمين في طريقه إلى الحج سنة (٧٣٩هـ).

**والحافظ أبو الحجاج يوسف بن الزكي**، أستاذ أئمة الجرح والتعديل، شيخ المحدثين صاحب كتاب: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» توفي رحمه الله سنة (٧٤٢هـ) ودفن بمقبرة الصوفية جوار قبر شيخ الإسلام ابن تيمية.

**قال كمال الدين بن الزملكاني** المتوفى سنة (٧٢٧هـ): إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحداً

لا يعرف مثله، وكان الفقهاء في سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك، وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة، والترتيب والتقسيم والتبيين.

**وقال الحافظ المزي المتوفى** سنة **(٧٤٢هـ)**: ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا أتبع لهما منه.

**وقال الحافظ أبو الفتح بن سيد الناس** اليعمري المصري المتوفى سنة **(٦٧١هـ)**: ألفيت شيخ الإسلام ابن تيمية ممن أدرك من العلوم حظاً، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظاً، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالنحل والملل لم ير أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من درايته، بز في كل فن أبناء جنسه، ولم تر عينُ مَنْ رآه مثلَه، ولا رأت عينُه مثلَ نفسه، كان يتكلم في التفسير، فيحضر مجلسه الجم الغفير، ويروون من بحر علمه العذب النمير، ويرتعون من ربيع فضله الروضة والغدير.

**وقال الحافظ علم الدين القاسم بن محمد البرزالي** المتوفَّى سنة **(٧٣٨هـ)**: هو الإمام المجمع على فضله ونبله ودينه، قرأ الفقه وبرع فيه، والعربية والأصول، ومهر في علمي التفسير والحديث، وكان إماماً لا يلحق غباره في كل شيء، وبلغ رتبة الاجتهاد، واجتمعت فيه شروط المجتهدين، وكان إذا ذكر التفسير بهت الناس من كثرة محفوظه، وحُسْن إيراده، وإعطائه كلَّ قول ما يستحقه من الترجيح والتضعيف والإبطال، هذا مَع انقطاعه إلى الزهد والعبادة والاشتغال بالله تعالى، والتجرد من أسباب الدنيا، ودعاء الخلق إلى الله تعالى.

**وقال الحافظ الذهبي** المتوفى سنة **(٧٤٨هـ)**: كان شيخ الإسلام آية في الذكاء، وسرعة الإدراك، رأساً في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف، بحراً في النقليات، هو في زمانه فريد عصره علماً وزهداً وشجاعة وسخاء، وأمراً

بالمعروف، ونهياً عن المنكر، وكثرة تصانيف، وله باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين، وقل أن يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الأربعة، وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة، وصنف فيها واحتج بالكتاب والسنة. اهـ.

**وكان رحمه الله سيفاً مسلولاً على المخالفين**، وشجى في حلوق أهل الأهواء المبتدعين، وإماماً قائماً ببيان الحق ونصرة الدين، وكان بحراً لا تكدره الدلاء، وحبراً يقتدي به الأحياء الألباء، طنت بذكره الأمصار، وضنت بمثله الأعصار.

**وكان إماماً من أئمة المسلمين**، ومجدداً في عصره لهذا الدين، من أمثال العز بن عبدالسلام المتوفى سنة (٦٦٠هـ)، والإمام النووي المتوفى سنة (٦٧٦هـ)، وكانت لهم مهابة ومواقف مشهودة رحمهم الله تعالى.

**عقيدته ومذهبه:**

**هي عقيدة السلف الصالح التي تلقوها عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه وعن التابعين لهم بإحسان**، وهي العقيدة السليمة والطريقة المستقيمة، التي ينبغي على كل مسلم أن يسلك سبيلها، وأن يسير على منهاجها، وهي أسلم وأحكم بلا شك ولا ريب، وهي العقيدة التي كان عليها إمام مذهبه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، ومذهبه في صفات الله عز وجل الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، وإجراؤها على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

**فمتى ورد النص في الكتاب والسنة الصحيحة** بإثبات صفة أو نفيها فلا يجوز لأحد العدول عنه إلى قياس أو رأي، والكلام في الصفات فرع عن

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

الكلام في الذات، يحتذى فيه حذوه، ويتبع مثله، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود، لا إثبات تكييف، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف.

**وكان ـ رحمه الله تعالى ـ** يرى بطلان التحيل على الأحكام الثابتة شرعاً إلى أحكام أخر بفعل صحيح في الظاهر لغو في الباطن، كما هو مذهب جمهور الأئمة، وقد رد على حجج من جوزها، واستند في ذلك إلى حجج من المنقول عن الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والأئمة.

## دعوته:

**كانت دعوته إلى الأخذ بكتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة**، والاعتصام بهما، وفهمهما على النحو الذي فهمه السلف الصالح، وطرح ما يخالفهما، وتجديد ما درس من معالم الدين الصحيح، وتنقيته مما ابتدعه الناس من مناهج زائفة من تلقاء أنفسهم خلال القرون السالفة، حارب الانحطاط والجمود والتقليد الأعمى، وحذَّر المسلمين مما تسرب إلى الفكر الإسلامي من خرافات التصوف، ومنطق اليونان، وزهد الهند.

## اختياراته الفقهية:

**إن الشيخ رحمه الله تعالى بعد رجوعه من مصر إلى دمشق** واستقراره بها لم يزل ملازماً للاشتغال ونشر العلم، وتصنيف الكتب، وإفتاء الناس بالكلام والكتابة، ونفع الخلق والإحسان إليهم، والاجتهاد في الأحكام الشرعية.

**ومن اختياراته التي خالف فيها المذاهب الأربعة** أو خالف المشهور من أقوالهم:

١ ـ **القول بقصر الصلاة في كل ما يسمى سفراً طويلاً** كان أو **قصيراً**، كما هو مذهب الظاهرية، وقول بعض الصحابة.

٢ ـ **القول بأن من أكل في شهر رمضان معتقداً أنه ليل فبان نهاراً لا قضاء عليه**، كما ورد عن عمر رضي الله عنه، وإليه ذهب بعض التابعين، وبعض الفقهاء بعدهم.

٣ ـ **القول بأن تارك الصلاة عمداً لا قضاء عليه**، ولا يشرع له القضاء، بل عليه الإكثار من النوافل رجاء غفران الله تعالى له، كما هو مذهب ابن حزم الأندلسي من أهل الظاهر.

٤ ـ **ومن أقواله المعروفة المشهورة** التي جرى بسبب الإفتاء بها محن وقلاقل قوله **بالتكفير في الحلف بالطلاق المعلق على شرط إذا كان لا يقصد بذلك إلا الحض أو المنع**، وقوله: إن الطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة، كما كان عليه العمل في زمن رسول الله ﷺ وخلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر رضي الله عنه.

**وله مصنفات كثيرة، وله اختيارات غيرها.**

### شجاعته وإقدامه:

**أما شجاعته فبها تضرب الأمثال**، وببعضها يتشبه أكابر الرجال، وكان الأمراء يتعجبون من إقدامه وجرأته على المغول، وما فعله الشيخ في توبة غازان ملك التتار من جميع أنواع الجهاد، وسائر أنواع الخير، وإنفاق الأموال، وإطعام الطعام، ودفن الموتى، وغير ذلك، معروف مشهور.

**وفي سنة (٧٠٢هـ) كانت وقعة «شقحب»** قرب الكسوة من جنوب دمشق التي خاضها بنفسه، وشجع المسلمين فيها، وقاتل هو وجماعة من أصحابه، وانتهت بنصر الله المسلمين نصراً مؤزراً، وقتل فيها من التتار خلق كثير، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى.

### مصنفاته:

**له رحمه الله تعالى (٥٠٠) مصنف**، ما بين كبير وصغير، منها: الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان، والفرقان بين الحق والباطل،

واقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، والتوسل والوسيلة، تفسير سورة النور، والسياسة الشرعية، والكلم الطيب، وتفسير سورة الإخلاص، وجواب أهل العلم، والإيمان، وشرح حديث أبي ذر، والحسبة في الإسلام، والعبودية، والواسطة بين الحق والخلق، ورفع الملام عن الأئمة الأعلام، والوصية الصغرى، والوصية الكبرى، والفتاوى، وكتاب الإيمان، وشرح حديث النزول، والصارم المسلول على شاتم الرسول، والرسالة التدمرية، والعقيدة الواسطية، وشرح حديث إنما الأعمال بالنيات، ومنهاج السنة النبوية، وكتاب الاستقامة، والرد على المنطقيين وغيرها.

**وله وصايا ورسائل كثيرة وإجازات.**

**هذا وقد طبع كتاب مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في الرياض** بـ (٣٧) مجلداً جمعوا فيه فتاوى الشيخ وما استطاعوا من مؤلفاته التي كانت مفقودة وقد استخرجوا أكثرها من كتاب الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري لابن عروة الحنبلي رحمه الله تعالى المتوفى سنة (٨٣٧هـ).

**وإذا أردنا أن نعرف من هو ابن تيمية عند المترجمين له من العصور التي تلي عصره فلنقف وَقْفةً مع صاحب ذيل الطبقات إذ يقول:**

**وطوائف من أئمة أهل الحديث وحفاظهم وفقهائهم** كانوا يحبون الشيخ ويعظمونه، ولم يكونوا يحبون له التوغل مع أهل الكلام ولا الفلاسفة، كما هو طريق أئمة أهل الحديث المتقدمين، كالشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد ونحوهم، وكذلك كثير من العلماء من الفقهاء والمحدثين والصالحين كرهوا له التفرد ببعض شذوذ المسائل التي أنكرها السلف على من شذ بها[1]، حتى إن بعض قضاة العدل من أصحابنا منعه من الإفتاء ببعض ذلك.

---

(١) قال المعلق: ما كان الشيخ رضي الله عنه إلا محيياً لآثار السلف رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين، وليس كل من تقدم قبل زمن الشيخ يكون من السلف.

**قال الذهبي: وغالب حطه على الفضلاء والمتزهدة فبحق،** وفي بعضه هو مجتهد، ومذهبه توسعة العذر للخلق، ولا يكفر أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه.

**قال: ولقد نصر السنة المحضة،** والطريقة السلفية، واحتج لها ببراهين ومقدمات، وأمور لم يسبق إليها، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا، وجسر هو عليها، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياماً لا مزيد عليه، وبدعوه وناظروه وكابروه، وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي، بل يقول الحق المر الذي أداه إليه اجتهاده، وحدة ذهنه، وسعة دائرته في السنن والأقوال، مع ما اشتهر عنه من الورع، وكمال الفكر، وسرعة الإدراك، والخوف من الله، والتعظيم لحرمات الله.

**فجرى بينه وبينهم حملات حربية،** ووقعات شامية ومصرية، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة، فينجيه الله فإنه دائم الابتهال، كثير الاستعانة به، قوي التوكل، ثابت الجأش، له أوراد وأذكار يدمنها بكيفية وجمعية، وله من الطرف الآخر محبون من العلماء والصلحاء، ومن الجند والأمراء، ومن التجار والكبراء، وسائر العامة تحبه لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهاراً بلسانه وقلمه(١).

**وقال الإمام الشوكاني في البدر الطالع:**

**أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن القاسم بن تيمية الحراني الدمشقي:**

**قال الذهبي:** كان قؤولاً بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم، ثم قال: ومن خالطه وعرفه قد ينسبني إلى التقصير فيه، ومن نابذه وخالفه قد ينسبني إلى التغالي فيه، وقد أوذيت من الفريقين من أصحابه وأضداده، ولم أرَ مثله في ابتهاله واستعانته بالله وكثرة توجهه، وأنا لا أعتقد فيه عصمة بل أنا

---

(١) هكذا أتباع الرسل مباركون أينما كانوا، نفاعون للناس يعلمون الخير، انظر الذيل ١٩٤/٢ ـ ١٩٥.

مخالف له في مسائل أصلية وفرعية، فإنه كان مع سعة علمه وفرط شجاعته وسيلان ذهنه وتعظيمه لحرمات الدين بشراً من البشر تعتريه حدة في البحث، وغضب للخصوم تزرع له عداوة في النفوس ولولا ذلك لكان عليه إجماعٌ فإن كبارهم خاضعون لعلومه معترفون بأنه بحر لا ساحل له وكنز ليس له نظير ولكن ينقمون عليه أخلاقاً وأفعالاً وكل يؤخذ من قوله ويترك[1].

## محنة شيخ الإسلام

محنة أحمد الثاني تشيب لها الرؤوس، ويعجب العقل والفكر كيف لهذا العلم والطود الشامخ هذا الإمام الذي لم ير مثله بعد زمانه وقبله، كيف يصبر على هذه البلايا والمحن.

فهل كانت كل محنته من قبيل الغيرة الدينية؟

المطالع للمحنة لا يجد ذلك، بل لو قال قائل: إنما كانت جل محنته من قبيل حسد المناوئين له لما أبعد قائل ذلك النجعة.

فرجل كهذا برز في المعارف والعلوم حمل راية التفسير والفقه والحديث والأصول والأدب والنحو... إلخ.

وما من علم من علوم الإسلام إلا وأهل الفن يستفيدون منه ما لم يوفوه من فنهم.

رجل العلوم بين عينيه يأخذ ما شاء ويدع ما شاء.

رجل إذا تكلم هدر كالسيل.

مثل هذا لا يحسد؟

حسده الأمراء لما رأوا التفافَ الناس حوله!!

وحسده الفقهاء لما رأوا تقدمه عليهم!!

---

(١) البدر الطالع ٦٣/١.

وحسده أهل البدع لأنه مقمعهم في أقماع السمسم.

**ولنر محنته كيف كانت..**

**وقد اخترت للقارىء الكريم سرد محنته** من عدة كتب لا أتدخل فيما كتبه العلماء حتى تظهر عاطفة كل مؤرخ فيما كتب وسطر ثم لنا وقفة بعد ذلك...

**قال صاحب ذيل الطبقات**(1):

**وأما محن الشيخ فكثيرة وشرحها يطول جداً، وقد اعتقله مرة بعض نواب السلطان بالشام قليلاً بسبب قيامه على نصراني سب الرسول ﷺ، واعتقل معه الشيخ زين الدين الفاروقي، ثم أطلقهما مكرمين.**

**ولما صنف «المسألة الحموية»** في الصفات شنع بها جماعة، ونودي عليها في الأسواق على قصبة، وأن لا يستفتى من جهة بعض القضاة الحنفية، ثم انتصر للشيخ بعض الولاة، ولم يكن في البلد حينئذ نائب، وضرب المنادي وبعض من معه وسكن الأمر.

**ثم امتحن سنة خمس وسبعمائة بالسؤال عن معتقده بأمر السلطان،** فجمع نائبه القضاة والعلماء بالقصر، وأحضر الشيخ وسأله عن ذلك؟ فبعث الشيخ من أحضر من داره «العقيدة الواسطية» فقرؤوها في ثلاثة مجالس وحاققوه، وبحثوا معه، ووقع الاتفاق بعد ذلك على أن هذه عقيدة سنية سلفية، فمنهم من قال ذلك تطوعاً، ومنهم من قاله كرهاً.

**وورد بعد ذلك كتاب من السلطان فيه**: إنما قصدنا براءة ساحة الشيخ وتبين لنا أنه على عقيدة السلف.

**ثم إن المصريين دبروا الحيلة في أمر الشيخ**، ورأوا أنه لا يمكن البحث معه، ولكن يعقد له مجلس، ويدعى عنيه، وتقام عليه الشهادات، وكان القائمون في ذلك منهم: بيبرس الجاشنكير الذي تسلطن بعد ذلك،

---

(1) ذيل الطبقات ص (٣٩٦ ـ ٤٠١).

ونصر المنبجي وابن مخلوف قاضي المالكية، فطلب الشيخ على البريد إلى القاهرة، وعقد له ثاني يوم وصوله ـ وهو اليوم الثاني والعشرون مِنْ رمضان سنة خمس وسبعمائة ـ مجلس بالقلعة، وادعى عليه عند ابن مخلوف قاضي المالكية أنه يقول/ إن الله تكلم بالقرآن بحرف وصوت، وأنه على العرش بذاته، وأنه يشار إليه بالإشارة الحسية.

**وقال المدعي**: أطلب تعزيره على ذلك، التعزير البليغ ـ يشير إلى القتل على مذهب مالك ـ، فقال القاضي: ما تقول يا فقيه؟ فحمد الله وأثنى عليه، فقيل له: أسرع ما جئت لتخطب؟! فقال: أأمنع من الثناء على الله تعالى؟ فقال القاضي: أجب فقد حمدت الله تعالى، فسكت الشيخ فقال: أجب، فقال الشيخ له: من هو الحاكم فيَّ؟ فأشاروا: القاضي هو الحاكم، فقال الشيخ لابن مخلوف: أنت خصمي كيف تحكم فيَّ؟ وغضب، ومراده: إني وإياك متنازعان في هذه المسائل فكيف يحكم أحد الخصمين على الآخر فيها؟ فأقيم الشيخ ومعه أخواه، ثم رد الشيخ وقال: رضيت أن تحكم فيَّ، فلم يمكن من الجلوس، ويقال: إن أخاه الشيخ شرف الدين ابتهل، ودعا الله عليهم في حال خروجهم، فمنعه الشيخ وقال له: بل قل: اللهم هب لهم نوراً يهتدون به إلى الحق.

**ثم حبسوا في برج أياماً**، ونقلوا إلى الجب ليلة عيد الفطر، ثم بعث كتاب سلطاني إلى الشام بالحط على الشيخ، وإلزام الناس ـ خصوصاً أهل مذهبه ـ بالرجوع عن عقيدته، والتهديد بالعزل، والحبس، ونودي بذلك في الجامع والأسواق، ثم قرىء الكتاب بسدة الجامع بعد الجمعة، وحصل أذى كثير للحنابلة بالقاهرة، وحبس بعضهم، وأُخذت خطوط بعضهم بالرجوع، وكان قاضيهم الحراني قليل العلم.

**ثم في سلخ رمضان سنة ست أحضر سلار ـ نائب السلطان بمصر ـ القضاة والفقهاء**، وتكلم في إخراج الشيخ، فاتفقوا على أنه يشترط عليه أمور، ويلزم بالرجوع عن بعض العقيدة، فأرسلوا إليه من يحضره، ليتكلموا معه في ذلك، فلم يجب إلى الحضور، وتكرر الرسول إليه في ذلك ست

مرات، وصمم على عدم الحضور، فطال عليهم المجلس، فانصرفوا من غير شيء.

**ثم آخر هذه السنة وصل كتابٌ من الشيخ نائب السلطنة بدمشق**، فأخبر بذلك جماعة ممن حضر مجلسه، وقال: ما رأيت مثله، ولا أشجع منه، وذكر ما هو عليه في السجن، من التوجه إلى الله تعالى، وأنه لا يقبل شيئاً من الكسوة السلطانية، ولا من الإدرار السلطاني، ولا تدنس بشيء من ذلك.

**ثم في ربيع الأول من سنة سبع وسبعمائة دخل مهنا بن عيسى أمير العرب** إلى مصر، وحضر بنفسه إلى السجن، وأخرج الشيخ منه، بعد أن استأذن في ذلك، وعقد للشيخ مجالس حضرها أكابر الفقهاء، وانفصلت على خير.

**وذكر الذهبي والبرزالي وغيرهما**: أن الشيخ كتب لهم بخطه مجملاً من القول وألفاظاً فيها بعض ما فيها، لما خاف وهدد بالقتل، ثم أطلق وامتنع من المجيء إلى دمشق، وأقام بالقاهرة يقرىء العلم، ويتكلم في الجوامع والمجالس العامة، ويجتمع عليه خلق.

**ثم في شوال من السنة المذكورة**: اجتمع جماعة كثيرة من الصوفية وشكوا من الشيخ إلى الحاكم الشافعي، وعقد له مجلس لكلامه في ابن عربي وغيره، وادعى عليه ابن عطاء بأشياء، ولم يثبت منها شيء، لكنه اعترف بأنه قال: لا يستغاث بالنبي ﷺ استغاثة بمعنى العبادة، ولكن يتوسل به، فبعض الحاضرين قال: ليس في هذا شيء.

**ورأى الحاكم ابن جماعة**: أن هذا إساءة أدب، وعنفه على ذلك، فحضرت رسالة إلى القاضي: أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة في ذلك، فقال القاضي: قلت له ما يقال لمثله.

**ثم إن الدولة خيروه بين أشياء وهي الإقامة بدمشق أو بالإسكندرية،** بشروط، أو الحبس، فاختار الحبس، فدخل عليه أصحابه في السفر إلى دمشق، ملتزماً ما شرط عليه، فأجابهم، فأركبوه خيل البريد، ثم ردوه في

الغد، وحضر عند القاضي بحضور جماعة من الفقهاء، فقال له بعضهم: ما ترضى الدولة إلا بالحبس، فقال القاضي: وفيه مصلحة له، واستناب التونسي المالكي وأذن له أن يحكم عليه بالحبس، فامتنع، وقال: ما ثبت عليه شيء، فأذن لنور الدين الزواوي المالكي، فتحير فقال الشيخ: أنا أمضي إلى الحبس، وأتبع ما تقتضيه المصلحة، فقال الزواوي: فيكون في موضع يصلح لمثله، فقيل له: ما ترضى الدولة إلا بمسمى الحبس، فأرسل إلى حبس القاضي وأجلس في الموضع الذي أجلس فيه القاضي تقي الدين ابن بنت الأعز لما حبس، وأذن أن يكون عنده من يخدمه، وكان جميع ذلك بإشارة نصر المنبجي.

**واستمر الشيخ في الحبس يُستفتى ويقصده الناس،** ويزورونه، وتأتيه الفتاوى المشكلة من الأمراء وأعيان الناس.

**وكان أصحابه يدخلون عليه أولاً سراً،** ثم شرعوا يتظاهرون بالدخول عليه، فأخرجوه في سلطنة الجاشنكير الملقب بالمظفر، إلى الإسكندرية على البريد، وحبس فيها في برج حسن مضيء متسع، يدخل عليه من شاء، ويمنع هو من شاء، ويخرج إلى الحمام إذا شاء، وكان قد أخرج وحده، وأرجف الأعداء بقتله وتفريقه غير مرة، فضاقت بذلك صدور محبيه بالشام وغيره، وكثر الدعاء له، وبقي في الإسكندرية مدة سلطنة المظفر.

**فلما دعا الملك الناصر إلى السلطنة وتمكن،** وأهلك المظفر، وحمل شيخه نصر المنبجي، واشتدت موجدة السلطان على القضاة لمداخلتهم المظفر، وعزل بعضهم، بادر بإحضار الشيخ إلى القاهرة مكرماً في شوال سنة تسع وسبعمائة، وأكرمه السلطان إكراماً زائداً، وقام إليه، وتلقاه في مجلس حفل، فيه قضاة المصريين والشاميين، والفقهاء وأعيان الدولة، وزاد في إكرامه عليهم، وبقي يُسَارُّه ويستشيره سويعة، وأثنى عليه بحضورهم ثناءً كثيراً، وأصلح بينه وبينهم، ويقال: إنه شاوره في أمرٍ همّ به في حق القضاة، فصرفه عن ذلك، وأثنى عليهم، وأن ابن مخلوف كان يقول: ما رأينا أفتى من ابن تيمية، سعينا في دمه، فلما قدر علينا عفا عنا.

**واجتمع بالسلطان مرة ثانية بعد أشهر**، وسكن الشيخ بالقاهرة، والناس يترددون إليه، والأمراء والجند، وطائفة من الفقهاء، ومنهم من يعتذر إليه ويتنصل مما وقع.

**قال الذهبي**: وفي شعبان سنة إحدى عشرة: وصل النبأ أن الفقيه البكري ـ أحد المبغضين للشيخ ـ استفرد بالشيخ بمصر، ووثب عليه، ونتش بأطواقه، وقال: احضر معي إلى الشرع، فلي عليك دعوى، فلما تكاثر الناس انملص، فطلب من جهة الدولة، فهرب واختفى.

**وذكر غيره**: أنه ثارت بسبب ذلك فتنة، وأراد جماعة الانتصار من البكري فلم يمكنهم الشيخ من ذلك.

**واتفق بعد مدة أن البكري همّ السلطان بقتله**، ثم رسم بقطع لسانه لكثرة فضوله وجراءته، ثم شُفِعَ فيه فنفي إلى الصعيد، ومنع من الفتوى بالكلام في العلم، وكان الشيخ في هذه المدة يقرىء العلم، ويجلس للناس في مجالس عامة.

**قدم إلى الشام هو وأخوته سنة اثنتي عشرة بنية الجهاد**، وفارقهم من عسقلان، وزار البيت المقدس.

**ثم دخل دمشق بعد غيبته عنها فوق سبع سنين**، ومعه أخواه وجماعة من أصحابه، وخرج خلق كثير لتلقيه، وسر الناس بمقدمه، واستمر على ما كان عليه أولاً، من إقراء العلم، وتدريسه بمدرسة السكرية، والحنبلية، وإفتاء الناس ونفعهم.

**ثم في سنة ثماني عشرة**: ورد كتاب من السلطان بمنعه من الفتوى في مسألة الحلف بالطلاق بالتكفير، وعقد له مجلس بدار السعادة، ومنع من ذلك، ونودي به في البلد.

**ثم في سنة تسع عشرة** عقد له مجلس أيضاً كالمجلس الأول، وقرىء كتاب السلطان بمنعه من ذلك، وعوتب على فتياه بعد المنع، وانفصل المجلس على تأكيد المنع.

**ثم بعد مدة عقد له مجلس ثالث بسبب ذلك**، وعوتب بالقلعة، ثم حبس لأجل ذلك مرة أخرى، ومنع بسببه من الفتيا مطلقاً، فأقام مدة يفتي بلسانه ويقول: لا يسعني كتم العلم.

**وفي آخر الأمر**: دبروا له حيلة في مسألة المنع من السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين، وألزموه من ذلك التنقص بالأنبياء وذلك كفر، وأفتى بذلك طائفة من أهل الأهواء، وهم ثمانية عشر من حساده، رأسهم القاضي الإخنائي المالكي، وأفتى قضاة مصر الأربعة بحبسه، فحبس بقلعة دمشق سنتين وأشهراً، وبها مات رحمه الله تعالى.

**وقد بين رحمه الله أن ما حكم عليه به باطل بإجماع المسلمين من وجوه كثيرة جداً**، وأفتى جماعة بأنه يخطىء في ذلك خطأ المجتهدين المغفور لهم، ووافقه جماعة من علماء بغداد وغيرهم، وكذلك ابنا أبي الوليد شيخ المالكية بدمشق أفتيا أنه لا وجه للاعتراض عليه فيما قاله أصلاً، وأنه نقل خلاف العلماء في المسألة، ورجح أحد القولين فيها.

**قال الشوكاني في البدر الطالع**(١):

«ومع هذا فقد وقع له مع أهل عصره، قلاقل وزلازل، وامتحن مرة بعد أخرى في حياته وجرت فتن عديدة والناس قسمان في شأنه فبعض منهم مقصر به عن المقدار الذي يستحقه بل يرميه بالعظائم، وبعض آخر يبالغ في وصفه ويجاوز به الحد ويتعصب له كما يتعصب أهل القسم الأول عليه، **وهذه قاعدة مطردة في كل عالم يتبحر في المعارف العلمية ويفوق أهل عصره ويدين بالكتاب والسنة فإنه لا بد أن يستنكره المقصرون ويقع له معهم محنة بعد محنة ثم يكون أمره الأعلى وقوله الأولى** ويصير له بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين ويكون لعَلَمه الحظ لا يكون لغيره وهكذا حال هذا الإمام فإنه بعد موته عرف الناس مقداره واتفقت الألسن بالثناء عليه إلا من لا يعتد به وطارت مصنفاته واشتهرت مقالاته.

---

(١) ١/٦٥ ـ ٧١.

**وأول ما أنكر عليه أهل عصره في** شهر ربيع الأول سنة (٦٩٨) أنكروا عليه شيئاً من مقالاته فقام عليه الفقهاء وبحثوا معه ومنع من الكلام ثم طلب ثاني مرة سنة (٧٠٥) إلى مصر فتعصب عليه بعض أركان الدولة، وهو بيبرس الجاشنكير وانتصر له ركن آخر وهو الأمير سلار ثم آل أمره إلى أن حبس في خزانة البنود مدة ثم نقل في صفر سنة (٧٠٩) إلى الإسكندرية ثم أفرج عنه وأعيد إلى القاهرة ثم أعيد إلى الإسكندرية ثم حضر السلطان الناصر من الكرك فأطلقه، ووصل إلى دمشق في آخر سنة (٧١٢) وكان السبب في هذه المحنة أن مرسوم السلطان ورد على النائب بامتحانه في معتقده لما رفع إليه من أمور تنكر في ذلك، فعقد له مجلس في سابع رجب فسئل عن عقيدته، فأملى منها، ثم أحضروا العقيدة التي تعرف بالواسطية فقرأ منها، وبحثوا في مواضع ثم اجتمعوا في ثاني عشر وقرروا اختيار **الصفي الهندي** ليبحث معه، ثم أخروه وقدموا **الكمال الزملكاني** ثم انفصل الأمر على أنه أشهد على نفسه أنه شافعي المعتقد فأشاع أتباعه أنه انتصر فغضب خصومه ورفعوا واحداً من أتباع ابن تيمية إلى الجلال القزويني نائب الحكم بالعادلية فعزروه، وكذا فعل الحنفي باثنين منهم.

**وفي ثاني عشر رجب** قرأ المزي فصلاً من كتاب أفعال العباد للبخاري في الجامع فسمع بعض الشافعية فغضب وقال: نحن المقصودون بهذا ورفعوه إلى القاضي الشافعي فأمر بحبسه، فبلغ **ابن تيمية** فتوجه إلى الحبس فأخرجه بيده، فبلغ القاضي فطلع إلى القلعة فوافاه ابن تيمية فتشاجرا بحضرة النائب، فأمر النائب من ينادي أن من تكلم في العقائد فعل به كذا وقصد بذلك تسكين الفتنة.

**ثم عقد له مجلس في سلخ شهر رجب**، وجرى فيه من **ابن الزملكاني، وابن الوكيل** مباحثة فقال ابن الزملكاني لابن الوكيل: ما جرى على الشافعية قليل، حيث تكون أنت رئيسهم فظن القاضي **ابن صصري** أنه يعرض به فعزل نفسه، ثم وصل بريد من عند السلطان إلى دمشق أن يرسلوا بصورة ما جرى في سنة (٦٩٨) ثم وصل مملوك النائب وأخبر أن بيبرس والقاضي المالكي قد قاما في الإنكار على **ابن تيمية**، وأن الأمر قد اشتد على الحنابلة حتى صفع بعضهم.

**ثم توجه القاضي ابن صصري وابن تيمية** بصحبة البريد إلى القاهرة، ومعهما جماعة فوصلا في العشر الأخيرة من رمضان، وعقد مجلس في ثاني عشرينه بعد صلاة الجمعة فادعي على ابن تيمية عند المالكي فقال: هذا عدوي ولم يجب عن الدعوى، فكرر عليه فأصر، فحكم المالكي بحبسه، فأقيم من المجلس وحبس في برج، ثم بلغ المالكي أن الناس يترددون إليه فقال: يجب التضييق عليه إن لم يقتل، **وإلا فقد ثبت كفره،** فنقلوه ليلة عيد الفطر إلى الجب، ولقد أحسن المترجم له رحمه الله بالتصميم على عدم الإجابة **عند ذلك القاضي الجريء الجاهل الغبي،** ولو وقعت منه الإجابة لم يبعد الحكم بإراقة دم هذا الإمام الذي سمح الزمان به، وهو بمثله بخيل، ولا سيما هذا القاضي من المالكية الذي يقال له **ابن مخلوف، فإنه من شياطينهم** المتجرئين على سفك دماء المسلمين بمجرد أكاذيب وكلمات ليس المراد بها ما يحملونها عليه، وناهيك بقوله إن هذا الإمام قد استحق القتل وثبت لديه كفره ولا يساوي شعرة من شعراته **بل لا يصلح لأن يكون شسعاً لنعله** وما زال هذا القاضي الشيطان يتطلب الفرص التي يتوصل بها إلى إراقة دم هذا الإمام فحجبه الله عنه، وحال بينه وبينه والحمد لله رب العالمين.

**ثم بعد هذا نودي بدمشق أن من اعتقد عقيدة ابن تيمية حل دمه وماله،** وخصوصاً الحنابلة فنودي بذلك، وقرىء المرسوم، قرأه ابن الشهاب محمود في الجامع، ثم جمعوا الحنابلة من الصالحية وغيرها وأشهدوا على أنفسهم أنهم على معتقد الإمام الشافعي وكان من أعظم القائمين على المترجم له الشيخ **نصر المنبجي** لأنه كان بلغ **ابن تيمية** أنه يتعصب **لابن عربي،** فكتب إليه كتاباً يعاتبه على ذلك فما أعجبه، لكونه بالغ في الحط على ابن عربي وكفره، فصار هو يحط على ابن تيمية ويغري بيبرس الذي يفرط في محبة نصر وتعظيمه وقام القاضي المالكي المتقدم ذكره مع الشيخ نصر وبالغ في أذية الحنابلة.

**واتفق أن قاضي الحنابلة كان قليل البضاعة** في العلم فبادر إلى إجابتهم في المعتقد واستكتبوا خطه بذلك، واتفق أنَّ **قاضي الحنفية** بدمشق وهو شمس الدين ابن الجزري انتصر **لابن تيمية** وكتب في حقه محضراً بالثناء

عليه بالعلم والفهم وكتب فيه بخطه ثلاثة عشر سطراً، من جملتها أنه منذ ثلاثمائة سنة ما رأى الناس مثله، فبلغ ذلك **ابن مخلوف** فسعى في عزل ابن الجزري فعزل، وقرر عوضه شمس الدين **الأذرعي** ثم لم يلبث **الأذرعي** أن عزل في السنة المقبلة وتعصب سلار **لابن تيمية** وأحضر القضاة الثلاثة الشافعي والمالكي والحنفي وتكلم معهم في إخراجه فاتفقوا على أنهم يشترطون فيه شروطاً، وأن يرجع عن بعض العقيدة فأرسلوا إليه مرات فامتنع من الحضور إليهم، واستمر على ذلك.

**ولم يزل ابن تيمية في الجب** إلى أن تشفع فيه مهنا أمير آل فضل فأخرج في ربيع الأول في الثالث والعشرين منه، وأحضر إلى القلعة ووقع البحث مع بعض الفقهاء فكتب عليه محضر بأنه قال: أنا أشعري!!!.

**ثم اجتمع جماعة من الصوفية عند تاج الدين بن عطاء** فطلعوا في العشر الأوسط من شوال إلى القلعة وشكوا من ابن تيمية أنه يتكلم في حق مشايخ الطريقة، وأنه قال: لا يستغاث بالنبي ﷺ فاقتضى الحال أن أمر بتسييره إلى الشام فتوجه على خيل البريد، وكل ذلك والقاضي زين الدين ابن مخلوف مشتغل بالمرض، وقد أشرف على الموت فبلغه سير ابن تيمية، فراسل النائب، فرده من نابلس، وادعى عليه عند ابن جماعة وشهد عليه شرف الدين بن الصابوني، وقيل: إن علاء الدين القونوي شهد عليه أيضاً، فاعتقل بسجن حارة الديلمة في ثامن عشر شوال، إلى سلخ شهر صفر سنة (٧٠٩) فنقل عنه أن جماعة يترددون إليه وأنه يتكلم عليهم في نحو ما تقدم، فأمر بنقله إلى **الإسكندرية** فنقل إليها في سلخ صفر، وكان سفره بصحبة أمير مقدم ولم يمكن أحداً من جهته من السفر معه، وحبس ببرج شرقي.

**ثم توجه إليه بعض أصحابه فلم يمنعوا منه،** فتوجهت طائفة منهم بعد طائفة وكان موضعه فسيحاً، فصار الناس يدخلون إليه ويقرأون عليه ويبحثون معه، فلم يزل إلى أن عاد **الناصر إلى السلطنة** فشفع فيه عنده فأمر بإحضاره فاجتمع به في ثامن عشر شوال سنة (٧٠٩) فأكرمه وجمع القضاة فأصلح

بينه وبين القاضي المالكي، فاشترط المالكي أن لا يعود، فقال له السلطان: قد تاب، وسكن القاهرة وتردد الناس إليه إلى أن توجه بصحبة الناصر إلى الشام بنية الغزو سنة (٧١٢) فوصل إلى دمشق وكانت غيبته عنها أكثر من سبع سنين، وتلقاه جمع كثير فرحاً بمقدمه، وكانت والدته إذ ذاك حية.

**ثم قاموا عليه في شهر رمضان** سنة (٧١٩) بسبب قوله: إن الطلاق الثلاث من دون تخلل رجعة بمنزلة طلقة واحدة، ثم عقد له مجلس آخر في رجب سنة (٧٢٠) ثم حبس بالقلعة ثم أخرج في عاشوراء سنة (٧٢١).

**ثم قاموا عليه مرة أخرى**، في شعبان سنة (٧٢٢) بسبب مسألة الزيارة واعتقل بالقلعة فلم يزل بها إلى أن مات في ليلة الاثنين لعشرين من شهر القعدة سنة (٧٢٨) بجامع دمشق وصار يضرب المثل بكثرة من حضر جنازته وأقل ما قيل في عددهم أنهم خمسون ألفاً.

**قال ابن فضل الله**: لما قدم ابن تيمية على البريد إلى القاهرة في سنة (٧٠٠) حض أهل المملكة على الجهاد وأغلظ القول للسلطان والأمراء ورتبوا له كل يوم ديناراً وطعاماً فلم يقبل ذلك، ثم قال: حضر عنده شيخنا أبو حيان فقال: ما رأت عيناي مثل هذا الرجل، ومدحه بأبيات ذكر أنه نظمها بديهة منها:

لما أتانا تقي الدين لاح لنا ... داع إلى الله فرد ماله زور
على محياه سيماء الأولى صحبوا ... خير البرية نور دونه القمر

**قال: ثم دار بينهما كلام** فجرى ذكر سيبويه فأغلظ ابن تيمية القول في **سيبويه** فنافره أبو حيان، وقطعه وصير ذلك ذنباً لا يغفر، وسئل عن السبب فقال: ناظرته في شيء من العربية فذكرت له كلام **سيبويه** فقال: ما كان **سيبويه** نبي النحو ولا كان معصوماً، بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعاً ما تفهمها أنت، فكان ذلك سبب مقاطعته إياه وذكره في تفسيره البحر بكل سوء، وكذلك في مختصره النهر.

**وقد ترجم له جماعة وبالغوا في الثناء عليه**، ورثاه كثير من الشعراء

وقال جمال الدين السرمدي في أماليه: ومن عجائب زماننا في الحفظ ابن تيمية كان يمر بالكتاب مرة مطالعة فينقش في ذهنه وينقله في مصنفاته بلفظه ومعناه، وحكى بعضهم أنه قال: **من سألني مستفيداً حققت له، ومن سألني متعنتاً ناقضته** فلا يلبث أن ينقطع فأكفى مؤنته.

**وقد ترجم له الصفدي وسرد أسماء تصانيفه** في ثلاثة أوراق كبار، ومن أنفعها كتابه في «إبطال الحيل» فإنه نفيس جداً وكتاب «المنهاج في الرد على الروافض» **في غاية الحسن** لولا أنه بالغ في الدفع حتى وقعت له عبارات وألفاظ فيها بعض التحامل، وقد نسبه بعضهم إلى طلب الملك، لأنه كان يلهج بذكر «ابن تومرت» ونظرائه فكان ذلك مولداً لطول سجنه، وله وقائع مشهورة، وكان إذا حوقق وألزم يقول: لم أرد هذا وإنما أردت كذا فيذكر احتمالاً بعيداً ولعل ذلك ـ والله أعلم ـ أنه يصرح بالحق فتأباه الأذهان وتنبو عنه الطبائع لقصور الأفهام، فيحوله إلى احتمال آخر دفعاً للفتنة، وهكذا ينبغي للعالم الكامل، أن يفعل الحق كما يجب عليه ثم يدفع المفسدة بما يمكنه.

**وحكي عنه أنه لما وصل إلى السؤال الذي وضعه السكاكيني على لسان يهودي وهو:**

أيا علماء الدين ذميُ دينِكم     تحير دلوه بأعظم حجة
إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم     ولم يرضه مني فما وجه حيلتي

**إلى آخرها،** فوقف ابن تيمية على هذه الأبيات فثنى إحدى رجليه على الأخرى وأجاب في مجلسه قبل أن يقوم بمائة وتسعة عشر بيتاً أولها:

سؤالك يا هذا سؤال معاند     مخاصم رب العرش رب البرية

**وقال ابن سيد الناس اليعمري في ترجمة ابن تيمية**: إنه برز في كل فن على أبناء جنسه، ولم ترَ عينُ مَنْ رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه.

**وقال الذهبي مترجماً له في بعض الإجازات**: قرأ القرآن والفقه، وناظر واستدل وهو دون البلوغ، وبلغ في العلوم والتفسير وأفتى ودرس، وهو دون

العشرين، وصنف التصانيف وصار من أكابر العلماء في حياة مشايخه.

**ومع تصوير آخر لمحنة هذا الإمام**، وذاك العالم الهمام يقول الشيخ عبدالعزيز البدري في كتابه «الإسلام بين العلماء والحكماء»[1]:

## محنة ابن تيمية

**قال ابن الحريري**: إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فمن هو[2]؟

**تلك شهادة عدل، هو قاضي القضاة ابن الحريري رحمه الله.**

**حقاً إنه شيخ الإسلام**، لأنه رحمه الله تعالى كان جبلاً في العلم، إماماً في فقه الكتاب والسنة، مجاهداً بقلمه ولسانه، سهماً سلطه الله تعالى على المبتدعين وأصحاب الأهواء، فضلاً عن جهاده بنفسه وسنانه في حروب التتار والكسرويين.

**وله القدح المعلى** في تثبيت الأمة أيام البأساء والضراء وحين البأس، وهو في مقدمتها للذود عن كرامتها وعزها، وكلما ادلهم الخطب ونزلت نازلة بالمسلمين.

**يقول ابن سيد الناس**[3]: إلى أن دب إليه أهل بلاده الحاسدون، وأكب أهل النظر منهم بما ينتقد عليه لتبديعه سهاماً، وزعموا أنه خالف طريقتهم وفرق فريقهم، فنازعهم ونازعوه، وقاطع بعضهم وقاطعوه.

**وانتهت به هذه المنازعات وتلك المقاطعات إلى المحن الشداد**، تحملها صابراً محتسباً.

**وإن قلنا**[4] **في محنة سلطان العلماء العز بن عبدالسلام إن محنته الأولى كانت بسبب الاختلاف الفكري** المشوب بالتعصب المذهبي المقيت،

---

(١) ص ١٩٨ ـ ٢٠٧.

(٢) ص ٢١ حياة شيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ محمد البيطار.

(٣) ص ٧١ ج ١ فوات الوفيات.

(٤) أي الشيخ البدري، وسيأتي طرف من ذلك إن شاء الله نقلاً عنه.

فإن جميع محن شيخ الإسلام كانت بنفس السبب مع اختلاف موضوعية الفكر والمعتقد.

**والذي يهمنا من محن شيخ الإسلام** هو ذكر مواطنها مع إيجاز أسبابها، محتفظين برأينا الخاص في هذه الأسباب، لأن موضوعنا هنا ليس تحقيقاً فقهياً ولا دراسة كلامية عقائدية، حتى نبين صحة الأسباب أو خطأها.

**إلا أن الذي نود أن نؤكده ثانية هو أن هذه الأسباب القائمة على الخلاف الفقهي والعقائدي**، لم تكن من أصول الشرع ولا من أركان العقيدة الإسلامية التي يكفر منكرها أو منكر أصل منها، كما لم تكن من نصوص الشرع القطعية في ثبوتها ودلالتها، التي لا اجتهاد فيها ولا خلاف.

**ولما لم تكن كذلك**، فليس من التصرف الصحيح أن يستغلها المخالفون له في الرأي والاجتهاد فيغرروا بها قلوب الحكام ويكبروها عندهم بالقدر الذي أغضبهم، فاستعملوا نفوذهم لإنزال المحن بالشيخ.

**والمخالفون يعرفون كما يعرف غيرهم أن حكامهم يومئذ ليس لهم حظ كبير في العلم والفقه**، حتى يحكموهم في هذا الخلاف، وإنما الحكام هم جنود من الأتراك أهلتهم شجاعتهم في الحروب أن يتولوا أمر المسلمين حيناً من الدهر.

**ولكن المخالفين له** لم يأخذوا بأقوال الأئمة المأثورة عنهم ومن ذلك مثلاً، قولنا صواب يحتمل الخطأ، وقول غيرنا خطأ يحتمل الصواب، وقولهم: إذا صح الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقولي عرض الحائط، وقولهم: كل رجل يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب الروضة الشريفة، ولم يسلكوا نهج هؤلاء الأئمة من أصحاب المذاهب الإسلامية رحمهم الله تعالى، في خلافاتهم في المسائل الفقهية والأمور الكلامية مع بعضهم بل ومع أصحاب المذهب الواحد وإنما سلكوا عفا الله عنهم مجتهدين، غير هذا السبيل، فوقعت المحن، وذلك ما قرره شيخ الإسلام في مخالفيه فقال: ولا يخلو الرجل - أي من هؤلاء المخالفين - إما أن

يكون مجتهداً أو مخطئاً أو مذنباً، فالأول مأجور مشكور، والثاني مع أجره على الاجتهاد معفو عنه، والثالث الله يغفر لنا وله ولسائر المؤمنين.

**ومن محنه رحمه الله تعالى ما نقله صاحب الكواكب الدرية**: إنه في شهر ربيع الأول سنة (٦٩٨) وقع بدمشق محنة للشيخ الإمام تقي الدين ابن تيمية وكان الشروع فيها من أول الشهر وكان سببها ترجيحه مذهب السلف في الصفات على مذهب المتكلمين.

**هذا هو السبب للمحنة الأولى**، أما موطنها هي ورفيقاتها من المحن فقد ذكر المؤرخون لها[1] أنه رحمه الله تعالى بعد أن أجاب على سؤال ورد من حماه في مسائل العقيدة وذاع أمرها بين الناس وقف بعض علماء الشام من ذلك موقفاً غير حميد، إذ اتصلوا بنائب السلطان في دمشق، وحدثوه بسببها مستعظمين أمرها، حاكمين عليها بالزوغان، ومخالفة ما عليه إجماع المسلمين، فدعاهم شيخ الإسلام لعقد جلسة للمناقشة بحضور نائب السلطنة الأخرم، وظهوره ـ رحمه الله ـ عليهم بالحجة والبرهان ورجوعهم إلى قوله طائعين ومكرهين.

**وقد تبع هذا المجلس**، استدعاؤه من قبل السلطان في مصر، لوصول أنباء الخلاف إليه، وسار رحمه الله في صحبة قاضي الشافعية وعقد له مجلس حين وصوله بحضور القضاة وأكابر الدولة.

**وفي هذا المجلس امتنع الشيخ من التحاكم إلى زين الدين بن مخلوف قاضي المالكية** والسبب في ذلك أن ابن مخلوف جمع بين الادعاء والقضاء في هذه القضية فقال الشيخ: من الحاكم في؟

**فقيل له**: القاضي المالكي، فقال الشيخ: كيف تحكم في وأنت خصمي؟ فغضب غضباً شديداً وانزعج وحبس الشيخ رحمه الله تعالى وآل أمره إلى الحبس المعروف. . . وشاركه في حبسه أخواه شرف الدين وزين الدين.

---

(١) يراجع ص ٤٣ وما بعدها ج ١٤ تاريخ ابن كثير، ومن ص ٧١ وما بعدها ج ١ فوات الوفيات.

**نزل الشيخ في الحبس** في شهر رمضان سنة (٧٠٥) ومكث فيه سنة ونصف السنة، وفي خلال هذه المدة حاول نائب السلطان في القاهرة أن يوفق بينه وبين المخالفين له، لضغط الناس في الشام، الذين يعرفون للشيخ مكانته ومنزلته، ورجاه بحضور المجلس للمناقشة، ولكن الشيخ امتنع، وصحب بدله أخويه، وانعقد المجلس للمناقشة واشتد فيه النقاش، ولم يحصل الاتفاق، ثم جاء الأمير الشامي عيسى بن مهنا، إلى الشيخ في حبسه وأقسم عليه ليخرجن وليذهبن معه إلى دار نائب السلطان في القاهرة فخرج معه، وانعقد المجلس وحصلت المناقشة مع الفقهاء، وامتنع القضاة من الحضور وانتهى المجلس على خير، فأوضح لهم معتقده، مؤيداً ذلك من الكتاب والسنة حسب فهمه لهما.

**بقي الشيخ في مصر معلماً ومرشداً** وقد صفح عن كل من آذاه قائلاً: لا أحب أن ينتصر من أحد بسبب كذبه علي أو ظلمه أو عدوانه، فإني قد أحللت كل مسلم، وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أريده لنفسي، والذين كذبوا وظلموا هم في حل من جهتي.

**وبذلك انتهت هذه المحنة**، ولكن القضاء ـ قضاء الله تعالى ـ لا زال مخبئاً له محناً أخرى، وعليه أن يصبر لينال ثواب الصابرين، وهكذا كان.

**استمر الشيخ في درسه وإرشاده في القاهرة**، واستطاع أن يوجد له في هذه الإقامة المؤقتة أنصاراً ومريدين يحاكون رأيه ومعتقده، وأخذ كعادته يبين رأيه في مسائل الكلام، ومدى مخالفة بعضها لعقيدة السلف التي يعتنقها، وانتقد الشيخ محيي الدين بن عربي رحمه الله تعالى في بعض أفكاره حتى ضج مخالفوه من أتباع ابن عربي، ولم يتحملوا هذا النقد الفكري، وحسبوا ذلك طعناً وتجريحاً للشيخ الأكبر ابن عربي، فذهبوا بجموعهم إلى دار السلطنة يشكون منه، فأمر السلطان لحل هذا النزاع بعقد مجلس للمناظرة (بدار العدل)، فانعقد المجلس وحصلت المناقشة، وخرج المخالفون منه لا يلوون على شيء بعد نصرة الفقهاء له وسكوت القضاة عنه.

**وليت الأمر انتهى بذلك**، ولكن استمرت المنازعات والمقاطعات حتى

ضاقت الدولة ذرعاً وضجر السلطان ولم تجد الدولة وسيلة لحسم هذه المنازعات والمقاطعات إلا أن تتجه نحو شيخ الإسلام.

**فخير بين ثلاث**: إما أن يخرج من القاهرة ذاهباً إلى الشام مسقط رأسه، وإما إلى الإسكندرية بشرط أن لا يثير مثل هذه المسائل ولا يتعرض لها بالنقد، وإما العودة إلى السجن، فاختار السجن متمثلاً بقول الله تعالى حكاية عن قول يوسف الصديق عليه السلام: ﴿ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾[1] ولكن إلحاح طلابه ومريديه دفعه إلى الرضا بالذهاب إلى الشام وقبول الشرط، فركب خيل البريد في اليوم الثامن عشر من شوال سنة (٧٠٧هـ)، وما إن سار مرحلة، حتى جاءه أمر السلطان بالعودة إلى القاهرة، وهناك بلغه قاضي القضاة بأمر الحبس، قال بعضهم له: ما ترضى الدولة إلا بالحبس، وقال قاضي القضاة: وفيه مصلحة له.

**وطلب من شمس الدين التونسي المالكي أن يحكم فقال**: ما ثبت عليه شيء، ثم طلب من نور الدين الزواوي المالكي فتوقف ولم يحر جواباً، وهنا أنقذ موقفهم، وقال: أنا أمضي إلى السجن، واتبع المصلحة فأرسل إلى حبس القضاة، وأذن بأن يكون عنده من يخدمه.

**فأي مصلحة هذه سواء أكانت للدين أو للمسلمين**، أن يحبس عالم، وهو غير متهم لا في أمر ديني ولا دنيوي؟؟؟

**هل العلماء وجدوا في هذه الدنيا من أجل حمل الإسلام ونشر علومه بين الناس أم في السجن يرقدون؟!.**

**وبسجن القضاة مكث سنة ونصف سنة أيضاً**، ولكن هذا الحبس كان بمثابة إقامة جبرية، سمح للفقهاء والعلماء أن يزوروه فيه، كما سمح للطلاب أن يأخذوا عنه، ولأعيان الدولة أن يستفتوه، وبقي على هذه الحال حتى خرج من سجنه هذا، بقرار من مجلس القضاة والفقهاء، عقد في المدرسة الصالحية، وألزموا به الدولة، **وبهذا تظهر قوة العلماء أنهم إن**

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٣٣.

اجتمعوا ـ في كل حين ـ على شيء وقرروا فيه رأياً نفذ، وخضعت له الدولة مجبرة، وإن خالف رأيها.

**وعاد الشيخ إلى دروسه وتعليمه**، وفي ذلك الوقت عزل السلطان الناصر بن قلاوون نفسه، وتولى عنه الملك المظفر بيبرس الجاشنكير، وكان هذا الملك مريداً للشيخ المنبجي، وهو من أتباع الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي رحمه الله تعالى[1]، لذلك فقد استطاع أن ينفي شيخ الإسلام إلى **الإسكندرية**، ولكنه سمح له هناك بالتدريس والإفتاء، وبقي في نفيه هذا، حتى عاد الناصر بن قلاوون بعد سبعة أشهر إلى حكم الشام والقاهرة وما إن وصل إلى القاهرة وجلس على دست الحكم في يوم مشهود، هو يوم عيد الفطر المبارك (٧٠٩هـ)، حتى فكر في أمر هذا الشيخ، فاستدعاه في اليوم الثاني من العيد مكرماً معززاً، ولم يكتفِ السلطان الناصر بهذا التكريم، بل طلب منه الفتوى، فيمن آذوه وأوردوه المهالك.

**وهم في نفس الوقت قد مالأوا خصمه في السلطان والحكم**: مما أدى إلى عزل نفسه.

**وطلب منه أن يقول كلمته في القوم**، ومنهم ابن مخلوف المالكي الذي أمر بحبسه الأول، فأصدر شيخ الإسلام هذه الفتوى في خصومه: (بأن دماءهم حرام عليه وأنه لا يحل إنزال الأذى بهم، فقال له السلطان: إنهم قد آذوك وأرادوا قتلك مراراً، فقال الشيخ: من آذاني فهو في حل، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتصر منه وأنا لا أنتصر لنفسي).

**ولم يكتف الشيخ بهذا الحكم الذي أرضى الله وجماعة المسلمين**، بل شفع لهم طالباً العفو عنهم قائلاً للسلطان: «وإذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم».

**وحين سمع ابن مخلوف المالكي** ما قاله الشيخ فيهم قال: (ما رأينا

---

(١) ليس بشيخ أكبر، وإنما هو ضال مبتدع، وإنما أنقل ما كتبه الشيخ البدري سامحه الله.

مثل ابن تيمية حرضنا عليه فلم نقدر، وقدر علينا، فصفح وحاج عنا).

**لله درك رحمك الله وأرضاك**، ولا غرابة في ذلك فقد كنت العالم التقي الذي يبتغي بعمله وجه الله والدار الآخرة.

**وبهذا انتهت هذه المحنة**، ولكن بقي لها ذيول، ومن ذيولها: أنه في اليوم الرابع من شهر رجب (٧١١هـ) (امتدت إليه أيد أثيمة بالضرب، فتجمع أهالي الحسينية سكان محلة سيدنا الحسين رضي الله عنه بالقاهرة - وفيها محل سكناه. . .) ليثأروا للشيخ، فردهم، فألحوا عليه فمنعهم قائلاً: (إما أن يكون الحق لي أو لكم أو لله؟ فإن كان الحق لي فهم في حل مني، وإن كان لكم فإن لم تسمعوا مني ولم تستفتوني فافعلوا ما شئتم؟؟ وإن كان لله فالله يأخذ حقه إن شاء).

**وعاد الشيخ إلى دمشق**، ولكن عودته لها لم تكن للراحة والاستجمام في مصايف بلودان وتدمر، بعد ما أصابه من بأس في مصر، وإنما عاد إليها مجاهداً يحمل السيف وهو قد تجاوز الخمسين عاماً.

**نعم عاد مجاهداً**، فقد صحبه السلطان الناصر وهو على رأس جيش المسلمين لملاقاة التتار، وفي الطريق وصلت أنباء هذا الجيش المظفر إلى التتار، فرجعوا خائبين لا يلوون على شيء.

**قال ابن كثير**: (ثم إن الشيخ بعد وصوله إلى دمشق، واستقراره بها، لم يزل ملازماً للاشتغال في سائر العلوم، ونشر العلم وتصنيف الكتب وإفتاء الناس بالكلام والكتابة المطلوبة، والاجتهاد في الأحكام الشرعية، ففي بعض الأحكام يفتي بما أدى إليه اجتهاده، من موافقة أئمة المذاهب الأربعة، وفي بعضها يخالفهم[1] أو يخالف المشهور في مذاهبهم، وله اختيارات كثيرة).

**وكان من جملة مخالفته للقول المشهور من أصحاب المذاهب الأربعة، مسألة الحلف بالطلاق**، فهو رحمه الله لا يراه يقع بها، ولا تنفصم به عقد

---

(١) إنه رحمه الله حين خالفهم، يعتذر عنهم بأعذار مختلفة، وهكذا شأن العالم الثبت، يراجع في معرفة ذلك رسالته المسماة: (رفع الملام عن الأئمة الأعلام).

الزوجية، وله دليله الشرعي في ذلك، ولما أفتى بها وطار خبرها، استنكر ذلك فقهاء المذاهب، فاجتمع به قاضي القضاة وأشار عليه بترك الإفتاء بهذه المسألة فقبل الإشارة المتضمنة نصحه، وما أن مرت أيام به، حتى عاد إلى الفتوى بها ووجد أن عموم البلوى يدفعه إلى الجهر بها، ولما علم السلطان الناصر، أن ابن تيمية عاد إلى فتواه هذه، كتب إليه كتاباً في **١٩** رمضان **(٧١٩هـ)** يؤكد عليه إشارة قاضي القضاة، ولكنه رحمه الله رفض هذه الإشارة، رغم تأكيدات المنع وإشارات القضاة، عند ذلك قرر نائب السلطنة في دمشق حبسه في القلعة، وبقي محبوساً فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً، ولما يئس الجميع من رجوعه وامتناعه، أمر السلطان الناصر بإطلاق سراحه، وكان ذلك في **١٠** محرم الحرام **(٧٢١هـ)**، وخرج من السجن، متمسكاً بفتواه تلك.

**وانتهت بهذا محنته هذه**، ولكن بقيت في انتظاره محن أحرى، كانت هي الأخيرة والتي مات فيها، الفقهاء والقضاة وذوو الشأن لم يحتملوا نقده، كما لم يطيقوا صبراً على فتواه، فهو يفتي بما يراه صواباً وإن خالف من خالف من الفقهاء والعلماء، لأنه ينظر إلى الدليل الشرعي وقول الصحابة الكرام، ويسوقه هذا النظر إلى رأي معين يعتقد صوابه فيعلنه بجرأة، ولا يلزم الناس بما يقول من فتوى إذ ما كان قاضياً، وإنما كان مفتياً، يسأله السائل فيجيب، ولا يملك أي فقيه أو مجتهد مهما بلغ في العلم، أن يلزم الناس بآرائه الاجتهادية ما دام الرأي معتمداً على نص ظني الدلالة والثبوت، وهو يحمل أكثر من رأي واحد، وإنما الالتزام يكون في الرأي الذي يعتمد على نص قطعي الدلالة والثبوت، ولا موضع للاجتهاد فيه، كما يكون الإلزام فيما تتبناه الدولة من آراء وأحكام، وسار الشيخ على هذا النهج (ولم يزل كذلك إلى أن ظفروا له بجواب يتعلق بمسألة شد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين)[1].

**وكان قد أجاب به نحو عشرين سنة فشنعوا عليه بسبب ذلك.**

---

(١) مات رحمه الله في سنة (٧٢٨هـ) وله من العمر ٦٧ سنة.

**وكبرت القضية**[1] وورد مرسوم السلطان في شعبان سنة ست وعشرين وسبعمائة يجعله في القلعة (محبوساً) فأخليت له قاعة حسنة، وأجري إليها الماء، وأقام فيها ومعه أخوه يخدمه، وأقبل في هذه المدة على العبادة والتلاوة وتصنيف الكتب، والرد على المخالفين، وكتب على تفسير القرآن . . .

**وظهر بعض ما كتبه واشتهر**، وآل الأمر إلى أن منع من الكتابة والمطالعة، وأخرجوا ما عنده من الكتب ولم يتركوا له دواة ولا قلماً وكتب عقيب ذلك بفحم يقول: إن إخراج الكتب من عنده من أعظم النقم.

**ويحسن بنا أن نختتم محنته بل محنه**، بذكر بعض ما كتبه بالفحم وهي تصور نفسيته، وتبرز شخصيته، معبرة عما يجول في خاطره في تلك المحنة التي كانت عليه من أعظم النقم.

**يقول رحمه الله**: كل ما يقضيه الله تعالى فيه الخير والرحمة والحكمة، إن ربي لطيف لما شاء، إنه هو القوي العزيز العليم الحكيم، ولا يدخل على أحد ضر إلا من ذنوبه، وما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك، فالعبد عليه أن يشكر الله ويحمده دائماً على كل حال، ويستغفره من ذنوبه، فالشكر يوجب المزيد من النعم، والاستغفار يدفع النقم.

**ويقول الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط وهو** يتناول محنة شيخ الإسلام من وجه آخر[2]:

**لقد حصلت له محن كثيرة في بلاد الشام ومصر**، لأنه رحمه الله تعالى كان شديد الإنكار على المخالفات، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، وهذه الأسباب التي جلبت له خصومات كثيرة من معاصريه، فجرى بينه وبينهم حملات حربية، ووقائع شامية ومصرية، وكم من نوبة قد رموه عَنْ

---

(١) انظر كتاب البدري ص ١٩٥ ـ ٢٠٧.

(٢) مقدمة كتاب الفرقان (الترجمة).

قوس واحدة، فينجيه الله منها، على أن خصومه لم يتركوه هادئاً، واستعدوا عليه ذوي السلطان متخذين عقيدته والطعن فيها لذلك سبباً يتذرعوا به للنيل منه.

**ففي سنة (٧٠٥هـ) امتحن بالسؤال عن معتقده بأمر السلطان**، فجمع نائبه القضاةَ والعلماء بالقصر، وأحضر الشيخ وسأله عن ذلك، فبعث الشيخ من أحضر من داره «العقيدة الواسطية» فقرؤوها في ثلاثة مجالس، وحاققوه وبحثوا معه، ووقع الاتفاق بعد ذلك، على أن هذه عقيدة سنية سلفية.

**وله من الطرف الآخر محبون من العلماء والصلحاء**، ومن الجند والأمراء، ومن التجار الكبار، وسائر العامة تحبه، لأنه كان منتصباً لنفعهم ليلاً ونهاراً بلسانه وقلمه.

**ثم قامت طائفة** ـ من الذين كانوا يموهون على الناس بما يزعمون من كرامات، وأنهم يدخلون النار ولا تمسهم بأذى وطلبت هذه الطائفة من نائب السلطنة بحضرة الأمراء أن يكف عنهم وأن يتركهم وحالهم، فقال الشيخ رحمه الله تعالى: لا بد لكل أحد أن يدخل تحت الكتاب والسنة قولاً وفعلاً، ومن خرج عنهما وجب الإنكار عليه، ومن أراد أن يدخل النار منهم فليدخل أولاً الحمام ويغسل جسده جيداً، ثم يدخل النار بعد ذلك إن كان صادقاً، فابتدر شيخ منهم وقال: نحن أحوالنا إنما تنفق عند التتار، وليست تنفق عند الشرع، فضبط الحاضرون عليه تلك الكلمة، وكثر الإنكار عليهم من كل أحد.

**ثم ورد كتاب إلى دمشق من السلطان بحمل ابن تيمية إلى القاهرة للكشف** عما كان منه، فلما قرر السفر إلى مصر ازدحم الناس لوداعه ورؤيته، ولما وصل إلى القاهرة، وفي ثاني يوم بعد صلاة الجمعة، جمع القضاة وأكابر الدولة بالقلعة، وأراد الشيخ أن يتكلم، فلم يمكن من البحث والكلام على عادته، وحبس في برج أياماً، ثم نقل إلى الحبس المعروف بـ«الجب» هو وأخواه: شرف الدين وزين الدين.

**وفي سنة سبع وسبعمائة أخرجه** من السجن الأمير حسام الدين مهنا،

واجتمع به العلماء عدة مرات، وبحثوا معه، وانفض المجلس على خير، ثم إنه اختلف مع بعض المبتدعة، فطلبوا نقله إلى الإسكندرية، وظنوا أن قلوب أهلها عن محبته عرية، وأرادوا أن يبعد عنهم خبره، أو لعلهم يقتلونه فينقطع أثره، فأرسل به إلى ثغر الإسكندرية، وسجن فيه إلى أن دخل السلطان الناصر مصر فأخرج الشيخ من سجنه، واجتمع بالسلطان، وأكرمه - وكان سجنه في مدة الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير - فأراد السلطان الناصر أن ينتقم من الذين شنعوا على ابن تيمية، فأخذ الشيخ ابن تيمية يمدحهم ويثني عليهم، ويشكرهم ويقول للسلطان: لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك، وقال: أما أنا فهم في حل من حقي وجهتي، وسكن ما عند السلطان من الغضب، ولقد قال القاضي زين الدين بن مخلوف قاضي المالكية: ما رأينا مثل ابن تيمية، لم نترك ممكناً في السعي فيه، ولما قدر علينا عفا عنا.

**ثم إن الشيخ رحمه الله تعالى** بعد اجتماعه بالسلطان الملك الناصر نزل القاهرة، وعاد إلى بث العلم ونشره، والخلق يستمعون منه ويقرؤون ويترددون عليه، ويعتذرون إليه، وهو يقول لهم: قد جعلت الكل في حل مما جرى.

**ثم في مصر قام جماعة فتعصبوا على الشيخ**، وتفردوا به وضربوه، وطلب منه الجند أن يدلهم عليهم ليعاقبوهم، فجعلهم في حل وسامحهم، وآذاه غيرهم، وأساؤوا معه الأدب، وهو في كل ذلك يقول: لا أريد أن أنتصر لنفسي، وإنما أنتصر لشرع الله عز وجل.

**ثم إنه توجه بعد ذلك إلى الشام بصحبة الجيش المصري قاصداً الغزو**، فلما وصل عسقلان توجه إلى بيت المقدس ومنه إلى دمشق، ووصل دمشق سنة (٧١٢هـ)، ومعه أخواه وجماعة من أصحابه، وخرج خلق كثير لتلقيه، وسروا سروراً عظيماً بمقدمه وسلامته وعافيته، وكان مجموع غيبته عن دمشق سبع سنين وسبع جمع، وقد توفي في أثناء غيبته عن دمشق غير واحد من كبار أصحابه وساداتهم.

**ثم إن الشيخ رحمه الله تعالى بعد وصوله من مصر إلى دمشق** واستقراره بها لم يزل ملازماً للاشتغال ونشر العلم وتصنيف الكتب وإفتاء الناس بالكلام والكتابة ونفع الخلق والإحسان إليهم والاجتهاد في الأحكام الشرعية، فعادوه في الإفتاء بمسألة الطلاق وعاتبوه وحبسوه في قلعة دمشق، وبقي خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً، ثم صدر مرسوم السلطان بإخراجه، فأخرج سنة (٧٢١هـ)، ثم لم يزل يعلم الناس ويفتيهم إلى أن تكلم في مسألة شد الرحال وزيارة قبور الصالحين، وحرفوا عليه ونقلوا عنه ما لم يقل، واجتمعوا عليه وقرروا أن يردوه مرة أخرى إلى القلعة فحبسوه بها، وأوذي جماعة من أصحابه، واختفي آخرون، وعزر جماعة ونودي عليهم، ثم أُطلِقُوا سوى تلميذه الملازم له ابن قيم الجوزية، فإنه حبس بالقلعة وسكنت القضية.

**ثم إنهم حركوا على الشيخ بأنه يفتي بعدم شد الرحال إلى المساجد الثلاثة**، وكثر الكلام وعظمت الفتنة، وطلب القضاة بها، فاجتمعوا وتكلموا، وأشار بعضهم بحبس الشيخ، فسجن سنة ست وعشرين وسبعمائة.

**ثم إن الشيخ رحمه الله تعالى** بقي مقيماً بالقلعة سنتين وثلاثة أشهر وأياماً إلى أن توفي رحمه الله تعالى، وفي هذه المدة كان يكتب العلم ويصنف، ويرسل الرسائل إلى أصحابه، ويذكر ما فتح الله عليه من العلوم العظيمة والأحوال الجسيمة، وكان يقول: فتح الله عليَّ في هذا الحصن من معاني القرآن ومن أصول العلم أشياء، وندمت على تضييع أوقاتي في غير معاني القرآن، ثم منع من الكتابة، ولم يترك عنده دواة ولا قلم ولا ورق، فأقبل على التلاوة والتهجد والمناجاة وذكر الله عز وجل.

**وكان يقول: إن جنتي وبستاني في صدري، أينما رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.**

**وكان يقول في الحبس وهو ساجد:** اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ويقول: المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه.

**كان يقرأ في كل يوم ثلاثة أجزاء من القرآن**، وفي كل عشرة أيام يقرأ ختمة، وختم القرآن مدة إقامته بالقلعة ثمانين أو واحداً وثمانين ختمة.

**ثم مرض أياماً في القلعة**، وكانت مدة مرضه بضعة وعشرين يوماً، وأكثر الناس ما علموا بمرضه، فلم يُفجأ الخلق إلا بنعيه، فاشتد التأسف عليه وكثر البكاء والحزن.

**وكان آخر ما قرأ من القرآن قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[1]، وكان ذلك ليلة الاثنين في العشرين من ذي القعدة سنة (٧٢٨هـ) رحمه الله تعالى.

**ودخل أقاربه وأصحابه القلعة**، وازدحم الخلق على باب القلعة والطرقات، وامتلأ جامع دمشق، وغسلت جثته، ثم أخرج وقد اجتمع الناس في القلعة والطريق إلى جامع دمشق، وامتلأ الجامع وصحنه والكلاسة وباب البريد، وبقية أبواب المسجد، وحضرت الجنازة، وصلي عليه بالقلعة، ثم صلي عليه بجامع دمشق عقب صلاة الظهر، وحمل من باب البريد إلى المقبرة الصوفية، ودفن إلى جانب أخيه شرف الدين، وكان دفنه وقت صلاة العصر أو قبلها بيسير، وأغلق الناس حوانيتهم، ولم يتخلف عن الحضور إلا القليل من الناس، وقد قال **الإمام أحمد بن حنبل** رحمه الله تعالى: **قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز**.

**رحم الله تعالى ابن تيمية** رحمة واسعة، وأجزل ثوابه جزاء، ما قدم للدين والعلم والأمة من خير، وجعله الله تعالى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً. اهـ كلام الأرناؤوط رحمه الله.

## من امتحن بسببه

**وممن امتحن بسبب ابن تيمية الإمام العلامة: محمد بن أبي بكر بن سعيد بن حريز الزرعي ـ الدمشقي ـ شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي:**

---

(١) سورة القمر، الآيتان: ٥٤، ٥٥.

**قال الشوكاني:**

**برع في جميع العلوم وفاق الأقران** واشتهر في الآفاق وتبحر في معرفة مذاهب السلف وغلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله بل ينتصر له في جميع ذلك، وهو الذي نشر علمه بما صنفه من التصانيف الحسنة المقبولة، واعتقل مع ابن تيمية وأهين وطيف به على جمل مضروباً بالدرة، فلما مات ابن تيمية أفرج عنه، وامتحن محنة أخرى بسبب فتاوى ابن تيمية وكان ينال من علماء عصره وينالون منه، قال الذهبي في المختصر: «جلس مدة لإنكار شد الرحل لزيارة قبر الخليل ثم تصدر للاشتغال ونشر العلم ولكنه معجب برأيه جريء على أمور» انتهى، **قلت: بل كان متقيداً بالأدلة الصحيحة معجباً بالعمل بها غير معول على الرأي صادعاً بالحق لا يحابي فيه أحداً**[1]. اهـ.

**وقال صاحب ذيل الطبقات:**

**قال الذهبي في المختصر**: عني بالحديث ومتونه، وبعض رجاله، وكان يشتغل في الفقه، ويجيد تقريره وتدريسه، وفي الأصلين، وقد حبس مدة لإنكار شد الرحال إلى قبر الخليل، وتصدى للأشغال، وإقراء العلم ونشره.

**قلت**: وكان رحمه الله تعالى ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتأهب ولهج بالذكر، وشغف بالمحبة والإنابة والاستغفار، والافتقار إلى الله والانكسار له، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم، ولكن لم أرَ في معناه مثله، وقد امتحن وأوذي مرات، وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة، منفرداً عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ.

**وكان في مدة حبسه مشتغلاً** بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر، ففتح عليه

---

(١) البدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ١٩٨.

من ذلك خير كثير، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف، والدخول في غوامضهم، وتصانيفه ممتلئة بذلك، وحج مراتٍ كثيرة، وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه شدة العبادة، وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه[١]. اهـ.

**وقد امتحن خلق كثير بسبب ابن تيمية لا يعدون كثرة بعده.**

**ومن هؤلاء:**

**يوسف بن المحمود بن عبدالسلام السبتي** ـ البغدادي ـ جمال الدين:

**قال في المراسيل**: (قال الطوافي: استفدت منه كثيراً، وكان نحوي العراق ومقرئه، عالماً بالقرآن والعربية والأدب، وله حظ في الفقه والأصول والفرائض والمنطق.

**قلت**: ودرس للحنابلة بالبشيرية غربي بغداد، ونالته في آخر عمره محنة، واعتقل بسبب موافقته الشيخ تقي الدين ابن تيمية في مسألة الزيارة، وكاتبه عليها مع جماعة من علماء بغداد، وتخرج به جماعة، وأقرأ العلم مدة، ولا يعرف أنه حدث)[٢] اهـ.

**وفي ترجمة محمد** بن عبدالله بن محمد بن أحمد ـ أبو عبدالله الحموي الأصل ـ الدمشقي الشافعي المعروف بابن ناصر الدين:

**قال الشوكاني**:

**أتقن فن الحديث واشتهر به** حتى صار المشار إليه فيه ببلده وما حولها، واستفاد منه الناس وصنف التصانيف، منها طبقات شيوخه فجعلهم ثماني طبقات، وقد قال عليه العلاء البخاري لكونه صنف (الرد الوافر، على من يزعم أن من أطلق على ابن تيمية أنه شيخ الإسلام كافر) وكان ذلك الرد

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٤٤٧.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٣٧٩.

على العلاء البخاري لكونه كان من أعظم المنكرين على ابن تيمية ثم جاوز في ذلك الحد حتى أفتى بكفر ابن تيمية صانه الله عن ذلك واتفقت بسبب ذلك حوادث شنيعة، وبالجملة فكان صاحب الترجمة إماماً حافظاً مفيداً للطلبة، وقد أثنى عليه جماعة من معاصريه كابن حجر والبرهان الحلبي والمقريزي (ومات) في ربيع الثاني (٨٤٢) اثنتين وأربعين وثمانمائة[١].

**ولنا وقفة:**

أترى أن هذه المحن التي ابتلي بها ابن تيمية من باب الانتصار العقدي؟ وأن هؤلاء المناوئين له كانوا يظنون أنهم يدافعون عن الإسلام وعقيدته....

إن كان من هؤلاء من هو كذلك فهذا نادر بل يكاد ينعدم، وإلا فالخلاف العقدي يزول بمجرد الاطلاع على الأدلة الصحيحة، لقد كان ابن قيم الجوزية على المذهب السائد في البلدان حينئذ، وكان يعرف بمذهب التأويل الخلفي، ولما سطع له نور الحق على لسان ابن تيمية تحول مباشرة إلى الحق بادي الرأي، فالحق عليه نور لا يحتاج إلى النظر في صوابه من خطئه!!

أغلب الظن أن هذه المحن كانت بسبب الحسد الذي دخل القلوب وفرخ وعشش، فإن هذا الرجل كان طوداً شامخاً ولم يكن يلين لأهل الباطل، وفاق الدنيا في العلوم والفنون حتى ظهرت الحقيقة جلية، وظهر مدى علم القوم الذين تبوؤوا المناصب زوراً وبهتاناً، ومنهم من لا يحسن فنه الذي يفتي به..

هذا الحسد هو الدافع لهذا الذي حدث لشيخ الإسلام...

فهل من معتبر؟!

---

(١) البدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ١٩٨.

## مجدد القرن الثاني عشر: محمد بن عبدالوهاب

**هذا هو العلم الثالث** من أعلام المدرسة السلفية، وقد سبقه أعلام كبار، بل ربما منهم من يفوقه علماً وفقهاً كابن القيم، إلا أن هذا الرجل اختص بميزة ميزته عمن سبقه من الأعلام حتى شيخه الذي كان بينه وبينه قرون «ابن تيمية»، ألا وهي أنه نشأ في عصر أظلمت فيه سماؤه بسبب انتشار البدعة والظلم، ولم يكن أحد ليتكلم أو يجرؤ على الجهر بدعوة التوحيد لكن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها، فكان أن قام هذا الإمام المصلح بدعوته التي طبقت الأرض، وجنى الناس ثمارها ولا يزالون، إن جهاد هذا المصلح العظيم في هذا الباب أشهر من أن يذكر، وأوضح من أن يستر، وكان من المتوقع أن يناوئه مناوئون كُثر، شعروا أن منازلهم ومناصبهم وعروشهم بدأت تهتز من هذه الدعوة الفتية ولا سيما بعد أن ساند الشيخ الأمير محمد بن سعود أمير الدرعية، وبدأت مرحلة جديدة للدعوة فماذا كانت دعوة الشيخ؟!.

**ولنبدأ بلمحة موجزة عن تاريخ الشيخ**: محمد بن عبدالوهاب:

**قال فهد بن عبدالرحمٰن الرومي بعد كلام له عن نشأة الشيخ**: «... ثم ذهب إلى المدينة وأخذ من علمائها حينذاك وفي المدينة رأى ما يقع فيه بعض أهلها من البدع والمنكرات عند قبر الرسول ﷺ وفي البقيع، وقد أنكر ذلك وحذر منه، ثم عاد إلى نجد وسافر منها إلى البصرة وأخذ من علمائها كذلك ورأى ما في البصرة ما هو أشد مما رأى في المدينة المنورة رأى القبور المسرجة والطائفين يتمسحون بالقبور والبدع والمنكرات ولم يطق رحمه الله صبراً على ذلك فأنكر عليهم الباطل وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فأخرجه أهلها وطردوه من البصرة في حمأة القيظ حافي القدمين عاري الرأس ليس عليه سوى ثوبه وقميصه، وكاد الشيخ أن يهلك عطشاً لولا أن هيأ الله له من حمله إلى الزبير وسقاه وعاد منها إلى نجد عن طريق الإحساء وعاد إلى حريملاء حيث نقل أبوه من قضاء العيينة إلى قضائها ثم توفي والده سنة (**١١٥٣**) فواجه وحده خصوم الدعوة ولكن بعد أن ذاع

صيته وانتشر خبر دعوته وألف في تلك الفترة كتابه التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ثم ضاق أهل حريملاء بدعوته فطردوه وهمت طائفة من عبيدهم بقتله وتسوروا عليه بيته ولكن الله نجاه فذهب إلى العيينة واستقبله أميرها ابن معمر وأحسن وفادته وهدم ما كان في العيينة وما حولها من قباب ومشاهد على القبور وقطع الأشجار التي يتبرك بها بعض الناس وما زال أعداء الدعوة يتربصون به حتى أخرج الشيخ من العيينة وتوجه إلى الدرعية ووجد من أميرها محمد بن سعود العون والمساعدة فتبايعا على نصرة دين الله وإحياء سنة رسول الله ﷺ وإماتة البدعة»[1] اهـ.

**هذا مجمل ترجمة الشيخ**، والذي يهمنا الآن هي المحنة التي تعرض لها الشيخ وهي محنة بل محن كثيرة من لدن تسمية دعوته بالوهابية إلى التحريض على قتاله.

**ولنبدأ مع التسمية: الوهابية:**

**يقول الأستاذ مسعود الندوي عن الوهابية** ما نصه في كتاب «مصلح مظلوم ومفترى عليه»[2]:

**إن من أبرز الأكاذيب على دعوة شيخ الإسلام تسميتها بـ«الوهابية»** ولكن أصحاب المطامع حاولوا من هذه التسمية أن يثبتوا أنها دين خارج عن الإسلام، واتحد الإنجليز والأتراك والمصريون فجعلوها «شبحاً مخيفاً» بحيث كلما قامت أي حركة إسلامية في العالم الإسلامي في القرنين الماضيين ورأى الأوربيون فيها خطراً على مصالحهم ربطوا حبالها بالوهابية النجدية، فالحركة السنوسية في المغرب تناقض الدعوة النجدية في الفروع الفقهية ولكن مع ذلك يقال إنها نتيجة لدعوة شيخ الإسلام، وهذا بسبب أن الحركة السنوسية ما زالت خطراً على الطليان بسبب أعمالها في سبيل الجهاد مدة

(١) من تفسير سورة الفلق تأليف الشيخ محمد بن عبدالوهاب تحقيق فهد بن عبدالرحمٰن الرومي.

(٢) من كتاب: مصلح مظلوم ومفترى عليه: ص (١٦٥ ـ ١٦٦).

طويلة، وكذلك حركة التجديد والإمامة في الهند قد ألحقت بنجد إلحاقاً تاماً حتى زعم أهلها فضلاً عن الآخرين أنهما واحدة، ولا شك أن المصدر الأصلي «الكتاب والسنة» واحد ولكن توجد فروق واضحة في أساليب الدعوة وطرقها مع توافقهما في الأصول.

**ولكن الحقيقة التي لا تجحد أن حركة تجديد الجهاد التي قام بها السيد أحمد الشهيد سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣١م والشيخ إسماعيل الشهيد ١٢٤٦ لم تتأثر أبداً بالدعوة النجدية.**

**وعلى كل حال فنظراً إلى تلك** المحاولات التي بذلت لإظهار الوهابية في صورة مذهب مستقل وطائفة ضالة، هذا الاسم منتقد أشد الانتقاد ولكن بغض النظر عن هذه الأكذوبة والافتراء فلا أرى حرجاً في هذه التسمية، فلو كانت النسبة إلى داعي حركة الإصلاح والتجديد محمد بن عبدالوهاب لكان ينبغي أن يقال لأصحابه «محمديون» ولكن من البدهي أن الأعداء ما كانت تتحقق غاياتهم في تسميتهم بالمحمديين، ولذلك نسبوا هذه الجماعة إلى والده وهو الشيخ عبدالوهاب، وهكذا اشتهر هذا الاسم «الوهابي أو الوهابية» ثم راجت هذه النسبة حتى إن كثيراً من المؤرخين والمترجمين نسبوا راية التجديد والإصلاح إلى عبدالوهاب، وعلى سبيل المثال يراجع كتاب برايدس (١٣٤ : ٢).

**ولقد بالغ برايدس** (Prydes) حتى كتب: إن ولد صاحب الدعوة «محمد» كان ضريراً (ص: ١٣٤) وهذا باطل في باطل، مع أن الصواب أن الشيخ حسين بن محمد بن عبدالوهاب وهو النجل الأكبر لشيخ الإسلام كان ضريراً.

**وإن «هنتر»** أكبر خصوم المجاهدين في الهند أيضاً مبتلى بهذا الوهم فإنه حينما يترجم إحدى رسائل الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب يصف المصنف بأنه حفيد مؤسس الجماعة.

**ولم ينفرد هذان بهذا الزعم** بل هناك طائفة ابتليت بالوهم نفسه، فقد ذكر «ني بور» أول السياح الأوربيين الذين تجولوا في بادية العرب - أن مؤسس الجماعة هو عبدالوهاب، ويقول إن ولده «يخلفه الآن» ومن الجدير

بالذكر أن «ني بور» كان موجوداً في البلاد العربية سنة (١٧٦٥م) أي قبل وفاة الشيخ بثمان وعشرين سنة.

**ومن أغرب الأوهام** ما وقع فيه رئيس المبشرين المسيحيين «زويمر» فقد ظن الوهابية أو الوهابي ديناً أو مذهباً مستقلاً كما يشاع، ثم رأى أن الإمام ابن القيم توفي سنة (٧٥١هـ) تشبه أفكاره وآراؤه الوهابيين فقال بدون تردد: «إنه وهابي» ولكن يسمي نفسه حنبلياً، ولكن المسكين لم يعرف أن اصطلاح الوهابية ما راج إلا بعد ابن القيم بأربعة قرون أو أكثر اهـ.

**أما المحنة التي أصابته فقد رأيت أن أتحف القارىء** بما كتبه حفيد الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف في كتابه الفذ **«دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ عرض ونقد»** لأنه جمع فأوعى وسطر فما خلف.

**وأنا أنقله على طول فيه بهوامشه**[1] إتماماً للفائدة، قال رحمه الله:

## دراسة استقرائية مجملة لمؤلفات المناوئين مع موقف علماء الدعوة من هذه المؤلفات المناوئة

**يلاحظ الباحث** ـ من خلال اطلاع سريع على تاريخ الدعوة ـ أن هذه الدعوة واجهتها معارضة قوية ضارية، وكانت إما معارضة سياسية من جهة الأمراء والحكام، وإما معارضة علمية من جهة العلماء و(المطاوعة)، بل كان هناك ما يشبه التعاضد والتكاتف بين المعارضتين السياسية والعلمية كما يبدو في المعارضة الشديدة الطويلة الأمد من دهام بن دواس[2] أمير الرياض ضد

---

(١) من ص ٣٠ ـ ٧٦.

(٢) هو دهام بن دواس بن عبدالله، عرف بالطغيان والظلم والجبروت، وقد استكبر وتصدى لهذه الدعوة السلفية سبعاً وعشرين سنة (١١٦٠ ـ ١١٨٧هـ) ثم هرب إلى الإحساء وتوفي بها.

انظر: ترجمته ـ كما جاءت في تعليق الشيخ عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ على كتاب «لمع الشهاب» ص٣٤.

هذه الدعوة السلفية، ومعه الخصم العنيد والعدو اللدود لهذه الدعوة، وهو سليمان بن سحيم[1] مطوع الرياض.

**ويبدو هذا التعاضد أيضاً** في معارضة سليمان بن عريعر[2] أمير الإحساء لعثمان بن معمر[3] أمير العيينة حين آزر الشيخ الإمام في بداية دعوته، وتهديده بقطع معونته الاقتصادية، فقد عزز هذه المعارضة ما فعله محمد بن عفالق[4] أحد علماء الإحساء، حيث كتب رسالة لابن معمر ثم تلاها برسالة أخرى[5] يحرضه ضد هذه الدعوة، ويشككه فيها، ويورد الشبهات والدعاوى التي يحاول ابن عفالق بواسطتها إقناع ابن معمر بالتخلي عن هذه الدعوة والتخلص من صاحبها وقد نجحت مساعيهم في ذلك، وتخلى ابن معمر عن الشيخ الإمام فغادر العيينة متوجهاً إلى الدرعية ـ كما هو معلوم ـ.

---

(١) هو سليمان بن أحمد بن سحيم العنزي، وهو خصم شديد العداوة للدعوة السلفية، وبذل وسائل عديدة في التشنيع بها وتحريض العلماء في الرد عليها، ولد سنة ١١٣٠هـ، وتوفي في الزبير سنة ١١٨١هـ.

(٢) هو سليمان بن محمد بن عريعر، وكان رئيس بني خالد، وامتد سلطانه إلى كثير من البلاد المجاورة للإحساء، ومدة سلطنته سبع عشرة سنة، توفي سنة ١٢٦٦هـ في الخرج من أرض نجد.
انظر: «تحفة المستفيد» ص ١٢٤، «لمع الشهاب» ص ١٦٧.

(٣) هو عثمان بن حمد بن معمر، تولى إمارة العيينة سنة ١١٤٢هـ، وقد نصر دعوة الشيخ في أول الأمر، ثم تخلى عنه، قتل سنة ١١٦٣هـ.
انظر: «عنوان المجد» ٢٢/١ ـ ٣٩.

(٤) هو محمد بن عبدالرحمٰن بن عفالق الحنبلي، ولد في الإحساء (١١٠٠ ـ ١١٦٤هـ) له مؤلفات في الفقه والفلك كما أن له مؤلفات ضد الدعوة السلفية ـ سيأتي بيانها ـ لم يذكرها ابن حميد في السحب، ولا البسام ولا صاحب «تحفة المستفيد».
انظر: «السحب الوابلة» ص ٧١٩ وهو مقال في مجلة العرب بتحقيق حمد الجاسر س ١٢، ج ٩، ١٠ .ص ٦٤١ ـ ٨٣٦ «تحفة المستفيد» ص ٣٩٦ «علماء نجد» ٨١٨/٣.

(٥) وهما رسالتان خطيتان حصلت على صورة منهما عن طريق مكتبة الدولة في برلين بألمانيا.

**ولقد تعددت أوجه هذه المعارضة،** وتنوعت سبل المناهضة والعداء، واستنفد الخصوم الكثير من الوسائل والطرق من أجل محاربة هذه الدعوة والقضاء عليها.

**وما كتابة المؤلفات والرسائل ضد هذه الدعوة السلفية** ومجددها إلا أسلوب من أساليب إعاقة هذه الدعوة والطعن فيها.

**وحين نحاول الكشف عن أبعاد هذه المعارضة** ومدى حجمها نبين بإيجاز ـ حال المعارضة في بلاد نجد أثناء ظهور دعوة الشيخ الإمام، وما نتج عن تلك المعارضة المحلية من انتشار واتساع في مكائدها ومطاعنها إلى مختلف البلاد والأمصار.

**يصور ابن غنام** ـ المؤرخ الأول لهذه الدعوة ـ شدة المعارضة وصلابتها فلما أورد ما فعله الشيخ ومعه ابن معمر في العيينة من هدم القباب وقطع الأشجار التي يتبرك بها، ذكر موقف المعارضين فقال رحمه الله:

**فأخذوا في رده والإنكار عليه** وأتوا بأعظم الأسباب، وزجوا الخلق في لجة الضلال والارتياب، وضجوا على كلمة الحق بالتكذيب والإكذاب.

**وأشر الناس والعلماء إنكاراً عليه،** وأعظمهم تشنيعاً وسعياً بالشر إليه سليمان بن سحيم وأبوه محمد، فقد أَتْهَمَ في ذلك وأنجد وجد في التحريش عليه والتحريض، وأرسل بذلك إلى الإحساء والحرمين والبصرة، فلم ينل من مراده سوى الخزي والعار والحسرة، ولقد كاد وشنع وعادى وحشر علماء السوء ونادى وكذب عليه وبهت وزور فقاموا معه فوراً بالإنكار، وأفتوا للحكام والسلاطين بأن القائم بدعوة التوحيد خارجي، وصنفوا المصنفات في تبديعه وتضليله وتغييره للشرع النبوي وتبديله وتجهيله، وسطروا فيها الجزم بكفره وبطلان حجته ودليله[١].

**ويذكر الدكتور عبدالله العثيمين عدداً ـ تقريبياً ـ** لأولئك الخصوم في

---

(١) روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام ط ١، المكتبة الأهلية بالرياض ص ٣١ باختصار.

نجد آنذاك وتنوع مواقفهم فيقول:

(واضح من **رسائل الشيخ (الشخصية)** أن دعوته لقيت معارضة شديدة من قبل بعض علماء نجد، فالمتتبع لها يلاحظ أن أكثر من **عشرين عالماً أو طالب علم وقفوا ضدها في وقت من الأوقات**، ويأتي في مقدمة هؤلاء المعارضين **عبدالله المويس**[1] من حرمة، **وسليمان بن سحيم** من الرياض، ويستفاد من هذه الرسائل أن معارضي الشيخ من النجديين كانوا مختلفي المواقف، فمنهم من عارضه واستمر في معارضته مثل **المويس**، ومنهم من كان يعترف في بداية الأمر بأن ما جاء به الشيخ أو بعضه حق لكنه غير موقفه مع مرور الزمن مثل **ابن سحيم**، ومنهم ـ أيضاً ـ من كان متأرجحاً في تأييده ومعارضته مثل **عبدالله بن عيسى**[2])[3].

**ويتحدث العثيمين عن أبرز أوجه كيد المعارضة النجدية فيقول:**

**تبين الرسائل الشخصية للشيخ الإمام** أن نشاط المعارضة النجدية كان مختلف الجوانب، وفي مقدمة أوجه ذلك النشاط الكتابة ضدها، والمتأمل في هذه الرسائل يرى كثرة تلك الكتابة، وإن كان من المتوقع أن أغلبها لم يكن طويل المحتوى.

**الوجه الثاني** من أوجه نشاط المعارضة النجدية: مجادلة ابن إسماعيل جماعة الشيخ في ثرمداء، ومجادلة سليمان بن سحيم لابن صالح في مجلس الشيوخ في الرياض.

---

(١) هو: عبدالله بن عيسى الشهير بالمويس، ولد في حرمة بنجد، وطلب العلم في الشام، وكان خصماً شديداً للدعوة السلفية، توفي سنة ١١٧٥هـ.

(٢) لم أعثر له على ترجمة، وإنما الذي يعرف من الرسائل الشخصية للشيخ الإمام أن عبدالله بن عيسى هو قاضي الدرعية ومطوعها، وأنه كان عالماً كبيراً بدليل قول الشيخ: (أن عبدالله بن عيسى ما نعرف في علماء نجد ولا غيره أجل منه) ١٨٧/٥، وكان الشيخ الإمام قد بعث إليه عدة رسائل.
انظر: مجموعة الشيخ ٢٤٠/٥، ٢٧٦، ٢٨٠، ٣٠٤، ٣١٤.

(٣) الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبدالوهاب (ضمن بحوث أسبوع الشيخ) مركز البحوث بجامعة الإمام ١٤٠٣هـ ١٠٨/١، ١٠٩.

**الوجه الثالث**: الاتصال بالعلماء وذوي النفوذ خارج نجد وتحريضهم ضد الشيخ ودعوته، مثل إرسال ابن سحيم كتاباً إلى العلماء خارج نجد وشكواه له عند أهل الحرمين، وقد ركب المويس وخواص أصحابه إلى أهل الكواز وقبة رجب يخبرونهم بإنكار الشيخ لما هم عليه، ويستثيرونهم ضده، كما ركب المويس مع ابن ربيعة وابن إسماعيل[1] إلى أهل قبة أبي طالب وأغروهم بعدم اتباع الشيخ.

**وواضح أن الاتجاه** إلى الاستنجاد بالخارج يعكس إدراك المعارضين النجديين لضعفهم أمام دعوة الشيخ وفشلهم في إيقافها.

**الوجه الرابع**: من وجوه نشاط المعارضين المحليين ترويج الكتب التي ألفها علماء نجديون ضد الدعوة بين الناس، كما روج المويس وابن عبيد كتاب القباني البصري، وكما روج المويس وابن إسماعيل كتاب ابن عفالق[2].

**وحتى تكون الصورة أكثر وضوحاً** وبياناً لبعض مكائد الخصوم وتكالبهم ضد هذه الدعوة السلفية بمختلف السبل فإننا نورد بعض النقول المختارة من الرسائل الشخصية للشيخ الإمام، عن ضخامة الكيد والعداء من قبل بعض علماء نجد ومطاوعتهم لهذه الدعوة الصادقة، كما تكشف عن حجم المعاناة ومقدار المشقات التي تجشمها الشيخ في سبيل دعوته.

**ففي رسالته لأهل القصيم يشير الشيخ** إلى كيد سليمان بن سحيم فيقول: وبلغني أن رسالة ابن سحيم قد وصلت إليكم، وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم، والله يعلم أن الرجل افترى علي أموراً لم

---

(١) ابن إسماعيل وابن ربيعة وابن عبيد ـ كما هو الظاهر من هذا النص من خصوم الشيخ، وممن وقفوا ضد هذه الدعوة.
انظر توضيح ذلك: مجموعة الشيخ ٥/٢٠، ٢٦، ٢٧، ٢٠٥، ٣٠٠.

(٢) الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبدالوهاب (ضمن بحوث أسبوع الشيخ) ١/١١١ ـ ١١٣.

أقلها، ولم يأت أكثرها على بالي[1].

**ويورد الشيخ في رسالته لابن عباد**[2] مطوع ثرمداء بعضاً من مناهضة الخصوم - في نجد - ضد الدعوة السلفية فيقول:

**وكذلك أحمد بن يحيى**[3] راعي رغبة عداوته لتوحيد الألوهية والاستهزاء بأهل العارض لما عرفوه، وإن كان يقر به أحياناً عداوة ظاهرة... وكذلك ابن إسماعيل إنه نقض ما أبرمت في التوحيد، وتعرف أن عنده الكتاب الذي صنفه رجل من أهل البصرة[4] كله من أوله إلى آخره في إنكار توحيد الألوهية، وأتاكم به ولد محمد بن سليمان[5] راعي وثيثية، وقرأه عندكم وجادل به جماعتنا، وهذا الكتاب مشهور عند المويس وأتباعه مثل ابن سحيم وابن عبيد يحتجون به علينا ويدعون الناس إليه..

**وكذلك ما أتاهم كتاب ابن عفالق** الذي أرسله المويس لابن إسماعيل، وقدم به عليكم العام[6]، وقرأه على جماعتكم يزعم فيه أن التوحيد دين ابن تيمية..[7].

**وفي رسالة لابن عيد** أحد مطاوعة ثرمداء، يقول الشيخ بعبارة مؤثرة: فلما أظهرت تصديق الرسول فيما جاء به سبوني غاية المسبة وزعموا أني أكفر أهل الإسلام وأستحل أموالهم[8].

---

(١) مؤلفات الشيخ ١١/٥.

(٢) هو: محمد بن عباد الدوسري، ولد في البير إحدى قرى المحمل، ثم انتقل إلى حوطة سدير، وقرأ على علمائها وصار قاضياً في ثرمداء، وتوفي بها في سنة ١١٧٥هـ.
انظر: علماء نجد ٨١٢/٣.

(٣) من خصوم دعوة الشيخ - كما هو الظاهر من هذا النص وغيره -.

(٤) يعني به: أحمد بن علي البصري الشهير بالقباني.

(٥) من خصوم دعوة الشيخ - كما هو الظاهر من هذا النص وغيره -.

(٦) يعني: العام الماضي.

(٧) مؤلفات الشيخ ٢٠/٥ باختصار يسير.

(٨) مجموعة مؤلفات الشيخ ٢٦/٥.

**ويصف الشيخ عداوة الخصوم وفتنتهم في رسالته للسويدي،** فيقول رحمه الله: ولبسوا على العوام أن هذا خلاف ما عليه أكثر الناس وكبرت الفتنة وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله..[1].

**ويهاجم الشيخ الإمام بعض خصومه الألداء** كابن سحيم ويصفه بما يناسب حاله وواقعه فقال رحمه الله:

**ثم يقول:** فيا سبحان الله ما من عقول تفهم أن هذا الرجل من البقر، التي لا تميز بين التين والعنب[2].

**ويذكر الشيخ** في رسالته لعبدالرحمٰن بن ربيعة[3] مطوع ثادق بعضاً من أفاعيل المعارضين، في صد الناس عن هذه الدعوة، فقال الشيخ رحمه الله:

**فهذه خطوط المويس وابن إسماعيل** وأحمد بن يحيى عندنا في إنكار هذا الدين والبراء منه، وهم الآن مجتهدون في صد الناس عنه، فإن استقمت على التوحيد وتبينت فيه، ودعوت الناس إليه، وجاهرت بعداوة هؤلاء خصوصاً ابن يحيى لأنه من أنجسهم وأعظمهم كفراً، وصبرت على الأذى في ذلك فأنت أخونا وحبيبنا[4].

**ويورد الشيخ في رسالته لأحمد بن إبراهيم**[5] مطوع مرات نصاً مهماً يتضمن بعض مطاعن الخصوم من نجد وغيره، وشيئاً من شبهاتهم، وما كانوا عليه من حرص على عداوة الدعوة السلفية، يقول رحمه الله:

**وقد صرحوا ـ أي علماء الحرمين ـ** أن من أقر بالتوحيد كفر، وحل ماله ودمه، وقتل في الحل والحرم، ويذكرون دلائل على دعاء الأولياء في قبورهم، منها قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾[6] فإن كانت

---

(١) المرجع السابق ٥/٣٦، ٣٧.
(٢) المرجع السابق ٥/٩٠، ٩١.
(٣) الموضع السابق.
(٤) المرجع السابق ٥/١٦٧.
(٥) لم أعثر له على ترجمة.
(٦) سورة الزمر، الآية: ٣٤، وسورة الشورى، الآية: ٢٢.

ليست عندك ولا صبرت إلى أن تجيء فأرسل إلى ولد محمد بن سليمان في وشيقر ولسيف العتيقي[١] يرسلونها إليك.

**وجاءنا بعض المجلد الذي صنفه القباني**، واستكتبوه أهل الحسا، وأهل نجد وفيه نقل الإجماع على تحسين قبة الكواز وأمثالها، وعبادتها، وعبادة سية الطالب، ويقول في تصنيفه: إلا ابن تيمية وابن القيم وعشرة أنا عاشرهم فالجميع اثنا عشر، فإذا كان يوم القيامة اعتزلوا وحدهم عن جميع الأمة... وأيضاً مكاتيب أهل الحسا موجودة، فأما ابن عبداللطيف[٢] وابن عفالق وابن مطلق[٣] فحشوا بالزبيل أعني سبابة التوحيد واستحلال دم من صدق به أو أنكر الشرك[٤][٥].

**ومع شدة هذه الخصومة وضراوتها**، وشناعة هذا العناد، واستمراره إلا أن الشيخ رحمه الله قد كان حريصاً على هداية أولئك الخصوم، فيبذل الأسباب والوسائل لتحقيق ما يؤدي إلى استقامتهم والتزامهم بمتابعة الحق المؤيد بالدليل، ويظهر اللين والتلطف معهم، كما هو واضح في رسالته

---

(١) هو سيف بن أحمد العتيقي، ولد في حرمة بسدير، وانتقل إلى الإحساء وتوفي بها سنة ١١٨٩هـ، وقد جمع الردود التي رد بها على الشيخ الإمام، فبلغت سفراً ضخماً وهي التي يقصدها الشيخ الإمام هاهنا.
انظر: السحب الوابلة ص ٦٧١، علماء نجد ٣٢٧/١.

(٢) هو عبدالله بن محمد بن عبداللطيف الشافعي الإحسائي، وهو أحد شيوخ الإمام في الإحساء، وقد راسله الشيخ ودعاه إلى الحق، ولكنه أعرض وألف رسالة ضد الشيخ، انظر: الدرر السنية ٢١٦/٩.

(٣) لم أعثر له على ترجمة.

(٤) مجموعة مؤلفات الشيخ ٢٠٥/٥، ٢٠٦ باختصار.

(٥) اعتنى الشيخ الإمام بمراسلة مطاوعة بلدان نجد، كما هو بين جلي في تلك النصوص التي نقلناها وغيرها، وكان يورد في رسائله كثيراً من الحجج المقنعة في إثبات صدق دعوته، وقد أشار الشيخ في إحدى رسائله إلى مدى أثر المطاوعة في بعض بلدان نجد فقال: (إذا كان أهل الوشم وأهل سدير وغيرهم يقطعون أن كل مطوع في قرية لو ينقاد شيخها ما منهم أحد يتوقف).
انظر: مجموعة الرسائل ٢٠٧/٥.

لشيخه عبدالله بن محمد بن عبداللطيف أحد علماء الإحساء حيث يخاطبه فيقول:

**فإني أحبك وقد دعوت لك في صلاتي**، وأتمنى من قبل هذه المكاتيب أن يهديك الله لدينه القيم، وما أحسنك لو تكون في آخر هذا الزمان فاروقاً لدين الله[(1)].

**وهذا الشيخ المخاطب قد ألَّف رسالة في الرد على الشيخ الإمام**، سماها «سيف الجهاد لمدعي الاجتهاد»[(2)].

**ويخاطب الشيخ عبدالوهاب بن عبدالله بن عيسى** فيقول:

**فإن كان أني أدعو لك في سجودي**، وأنت وأبوك أجل الناس إلي وأحبهم عندي...[(3)].

**ومع ذلك فقد عانى الشيخ الإمام من الشيخ عبدالوهاب** وأبيه معاناة شديدة، وأصابه منهما هم وغم كما هو مذكور في بعض رسائله[(4)].

**ويصف الشيخ الإمام محمد بن فيروز**[(5)] - أثناء رسالته لأحمد بن إبراهيم مطوع مرات - فيقول رحمه الله:

**ولكن تعرف ابن فيروز أنه أقربهم إلى الإسلام**، وهو رجل من الحنابلة وينتحل كلام الشيخ «ابن تيمية» وابن القيم خاصة...[(6)].

**ولكن هذا الخصم - محمد بن فيروز -** قد بلغت محاربته ومناهضته

---

(1) «الدرر السنية» ١/٣٢.

(2) انظر: «مصباح الأنام» للحداد ص ٣.

(3) مجموعة مؤلفات الشيخ ٥/٣٨٠.

(4) انظر: «مجموعة مؤلفات الشيخ» ٥/٢٨٠، ٣١٤، ٣١٥.

(5) هو محمد بن عبدالله بن فيروز من أهل نجد أصلاً، ولد في الإحساء سنة ١١٤٢هـ، برع في عدة فنون وله كثير من الشيوخ والتلاميذ، توفي في البصرة سنة ١٢١٦هـ. انظر: «السحب الوابلة» ص ٧٢١، «علماء نجد» ٣/٨٨٢.

(6) مجموعة مؤلفات الشيخ ٥/٢٠٦.

لهذه الدعوة حداً لا يوصف، لذا مدحه أحد خصوم هذه الدعوة وهو الحداد[1] حيث قال مادحاً لابن فيروز:

**ولله در الشيخ محمد بن عبدالله بن فيروز الحنبلي** لما قام مجتهداً ابتغاء مرضاة الله في إطفاء بدعة هذا الخبيث، كلما رأى وجهاً لبعض أهل المذاهب الأربعة تبع ذلك الوجه إذا كان مخالفاً لما يعلمه أو يقوله ابن عبدالوهاب البدعي[2].

**وبلغ من كيد ابن فيروز** أنه ـ كما قال ابن حميد[3] في السحب الوابلة[4] ـ: كاتب السلطان عبدالحميد خان يستنجده على قتال البغاة الخارجين بنجد[5].

**ويصل بابن فيروز الإسفاف** وشناعة السباب وبذاءة اللسان لدرجة أنه كتب تقريظاً لرسالة تلميذه عبدالله بن داود[6] ـ أحد أفراخ ابن فيروز وواحد

---

(١) هو علوي بن أحمد بن الحسن الحداد، من أهل حضرموت، له عدة مؤلفات، توفي سنة ١٢٣٢هـ.
انظر: «الأعلام» ٢٤٩/٤.

(٢) مصباح الأنام وجلاء الظلام في رد شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام، المطبعة العامرة، مصر ١٣٢٥هـ، ص ٦٠.

(٣) هو محمد بن عبد بن حميد، ولد في عنيزة سنة ١٢٣٢هـ، وكان إمام المقام الحنبلي في مكة، وقد برع في عدة علوم، إلا أنه كان خصماً ضد هذه الدعوة السلفية، توفي في مكة سنة ١٢٩٥هـ.
انظر ترجمته في: مجلة العرب ج ٩، ١٠ س ١٢، ص ٦٤٢، علماء نجد ٨٦٢/٣.

(٤) هو كتاب «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» ولا يزال في حكم المخطوط، وقد ذكر مؤلفه تراجم الحنابلة من حيث وقف ابن رجب في «ذيل طبقات الحنابلة» سنة ٧٥١هـ، وقد أعرض عن تراجم أئمة الدعوة ـ غالباً ـ بل طعن فيهم ـ كما سيأتي موضحاً ـ.
انظر مجلة العرب ـ الجزء السابق ذكره ـ ص ٦٤٨.

(٥) مجلة العرب ج ٩، ١٠، س ١٢، ص ٧٢٣.

(٦) هو عبدالله بن داود الزبيري، ولد في الزبير، ورحل إلى الإحساء وتعلم بها، له مؤلفات، منها: كتاب ضد الدعوة السلفية بعنوان «الصواعق والرعود» توفي سنة ١٢٢٥هـ.
انظر: السحب الوابلة ص ٦٨٧، علماء نجد ٥٣٩/٢.

من خصوم الدعوة السلفية ـ وتضمن تقريظه ما ذكره مسعود الندوي[1] ـ رحمه الله ـ حيث يقول: وفي بداية هذا التقريظ يبصر القارىء العبارة التالية، ولعله يذوب حياءً لمجرد رؤيتها، ولكن نقل الكفر ليس بكفر فاضغط على قلبك واقرأ «. . . بل لعل الشيخ ـ يعني عبدالوهاب ـ غفل عن مواقعة أمه ـ يعني محمد بن عبدالوهاب ـ فسبقه الشيطان إليها فكان أباً لهذا المارد. . . إلخ» إنا لله وإنا إليه راجعون ـ هل يستطيع كبار المقذعين أن ينحطوا إلى هذا المستوى من الإقذاع[2].

**من خلال ما سبق يتضح ـ إجمالاً ـ شدة كيد الخصوم** وقوة المعارضة في بلاد نجد وتنوع أساليبها، وذلك أثناء ظهور دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.

**وهذا البيان الموجز لموقف الخصوم** من العلماء والمطاوعة في نجد أثناء ظهور دعوة الشيخ هو بمثابة المثال الذي يعطي صورة تقريبية لسعة المعارضة عموماً وقوة نفوذها في مختلف البلاد.

**وناسب ـ عقب ذلك ـ** أن نذكر بعض ما سطره وكتبه الخصوم من الرسائل والمؤلفات ضد هذه الدعوة، مع مراعاة الترتيب الزماني ـ حسب وفيات أولئك العلماء، مع مراعاة الترتيب المكاني ـ حسب القرب من موطن هذه الدعوة ـ وكل ذلك قدر المستطاع، وقد نشير لبعض أسماء الخصوم ممن عادى هذه الدعوة، ولكن لم يصل إلينا شيءٌ مما كتبوه، نظراً لما لهم من أثر في غيرهم بتأليف ما يعارض الدعوة، أو لاتصال جهودهم وارتباطها بمن ألف وصنف ضد هذه الدعوة.

**فممن عارض دعوة الشيخ الإمام وناصبها العداء** في بلاد نجد أثناء

---

(١) مسعود الندوي (١٣٢٨هـ ـ ١٣٧٣هـ) باحث إسلامي، داعية كبير إلى الإسلام واللغة العربية، له عدة كتب.

(٢) محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه، ترجمة عبدالعليم البستوي، من مطبوعات جامعة الإمام ١٤٠٤هـ، ص ١٧٠، ١٧١.

ظهور الدعوة: عبدالله بن أحمد بن سحيم[1] (ت ١١٧٥هـ) وهو من بيت آل سحيم الذي يضم أكثر من خصم حارب الدعوة السلفية ولكن المذكور ـ كما يقول البسام ـ أخف عشيرته معاداة ومجابهة للدعوة السلفية[2].

**ومن أشد خصوم هذه الدعوة وأكثرهم عناداً ومناهضة:** عبدالله بن عيسى المويس (ت ١١٧٥هـ) ومعاداته وخصومته ظاهرة جلية ـ من خلال رسائل الشيخ التي أشرنا إلى بعض منها.

**يقول ابن حميد في «السحب الوابلة»:** (وكان ممن أنكر على ابن عبدالوهاب وعلى أتباعه في ابتداء دعوتهم)[3].

**وقد جاهر عبدالعزيز بن عبدالرحمٰن بن عدوان[4] (ت ١١٧٩هـ)** بالعداوة للشيخ، فألف رسالة نحو ثمانية كراسات من القطع الصغير رد بها على الشيخ محمد بن عبدالوهاب[5].

**ويبدو أن هذه الرسالة في الوقف[6]**، وكان مربد بن أحمد الوهبي

---

(١) هو عبدالله بن أحمد بن محمد بن سحيم، ولد في المجمعة، وقرأ على علماء سدير، وصار قاضياً على بلدان سدير، وقد كتب له الشيخ الإمام رسالتين مجيباً فيهما على شبهات المويس وسليمان بن سحيم.
انظر: علماء نجد ٥١٢/٢، مجموعة مؤلفات الشيخ ٦٢/٥، ١٣٠.

(٢) علماء نجد ٥١٢/٢.

(٣) ص ٦٩٢.

(٤) ولد ابن عدوان في قرية أثيثية بالوشم، قرأ في عدة علوم، وله نظم، وبعض الرسائل، توفي بعد رجوعه من المدينة عند واد يقال له العظيم.
انظر: السحب الوابلة ص ٦٨١، علماء نجد ٤٧٣/٢.

(٥) البسام «علماء نجد» ٤٧٤/٢، وقد طلبت هذه الرسالة ممن يملكها فوعدني بها، وما زلت أكرر الطلب وهو يكرر الوعد، ولكن دون جدوى.

(٦) لأن حمد الجاسر فيما يبدو فهم أن رسالة الوقف غير الرسالة التي رد بها ابن عدوان على الشيخ الإمام. . . مع أن ظاهر عبارة ابن حميد في السحب الوابلة يدل على أنهما رسالة واحدة، يقول ابن حميد: منها رسالة في الوقف رد على مبتدع العارض، ولم يذكر ابن حميد غير هذا الرد، كما أن البسام ذكر الرسالة على أنها رد، ولم يبين أنها في الوقف، والله أعلم.
انظر: السحب الوابلة، ص ٦٨٢.

التميمي[1] من أهل حريملاء من أعداء الدعوة، وبلغ من عداوته وتضليله أن ذهب إلى صنعاء في اليمن، فشوه دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب مما جعل الصنعاني - على رأي البسام - ينقض مدحه بقصيدة أخرى على وزنها[2].

**ومن أشد هؤلاء الخصوم عداوة وكيداً**، وأعظمهم إفكاً وتضليلاً: سليمان بن سحيم (ت ١١٨١هـ) فإن عداوته ظاهرة، وواضحة كما في

(١) نشأ مربد بن أحمد في حريملاء، ثم طلب العلم في دمشق، وصار قاضي حريملاء، قتل سنة ١١٧١هـ في بلدة رغبة.
انظر: علماء نجد ٩٤٧/٣.

(٢) يذكر البسام - في علماء نجد ٩٤٨/٣ - أن الصنعاني رجع عن مدحه بخلاف بعض من المحققين، ومما يؤكد خصوم الشيخ أن الصنعاني قد رجع عن مدحه، ونقض قصيدته الأولى، بقصيدة أخرى شرحها حفيدهُ يوسف بن إبراهيم الأمير بعنوان «محو الحوبة في شرح أبيات التوبة».
انظر: «لفحات الوجد» ق ١٧، و«كشف النقاب» ص ٧٥.
ولقد ألف الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله كتاباً سماه «تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين» دافع فيه عن الإمامين ابن عبدالوهاب والصنعاني، وأكد ابن سحمان بعدة أدلة أن القصيدة التي نقض بها المدح - أولاً - إنما هي موضوعة ومكذوبة على الصنعاني، لأنها تخالف ما كان عليه الصنعاني من اتباع السنة وذم البدع وأهلها، كما هو ظاهر في كتبه، وقد رد ابن سحمان على القصيدة وعلى شرحها نثراً ونظماً، ولقد تضمن شرحه الأبيات كلاماً يخالف مخالفة صريحة ما قرره الصنعاني في كتبه مثل «تطهير الاعتقاد» فمن ذلك أن تلك القصيدة وشرحها قد تضمنتا الزعم بأن دعاء الموتى والاستغاثة بهم كفر عملي، والإمام الصنعاني قد عرف عنه أن الاستغاثة بالموتى ودعاءهم من الكفر الاعتقادي المخرج عن دين الإسلام.
انظر: «تبرئة الشيخين» ط ١، مطبعة المنار، مصر، ١٣٤٣هـ، ص ١٨٢ - ١٩٥.
ومما يؤكد ما ذكره ابن سحمان أن القصيدة المزعومة قد شرحها يوسف بن إبراهيم الأمير، وهو حفيد الصنعاني، وقد عرف عن هذا الحفيد المناهضة والبغض للدعوة السلفية، فلا يبعد أن يكون هو صاحب القصيدة، خاصة أن هذا الحفيد يقرض الشعر.
انظر: «لفحات الوجد» ق ١٨، ق ٢٩، وانظر: المقال في التعريف بـ «لفحات الوجد» س ١٧، ج ٩، ١٠، ص ٧٤٤.

الرسائل الشخصية للشيخ الإمام أثناء الرد على مفترياته[1].

**ولقد كانت رسالته المملوءة بالأكاذيب** والشبهات ضد الدعوة السلفية، من أشد الوسائل تشويهاً للدعوة، وأشنعها تحريفاً وتزويراً لمبادىء هذه الدعوة ولأتباعها، حيث إن هذا الخصم قد بعث بتلك الرسالة إلى سائر علماء الأقطار والأمصار يستحثهم ويحرضهم ضد مجدد هذه الدعوة، وقد كان لها آثارها وأصداءها السيئة ضد الدعوة ومجددها.

**وكتب صالح بن عبدالله الصائغ[2] (ت ١١٨٣هـ)** قصيدة يرد بها على الأمير الصنعاني لما مدح الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثنى خيراً على دعوته.

**ومطلع رد الصائغ:**

سلام من الرحمٰن أحلى من الشهد ... وأطيب عرفاً من شذا المسك والورد
إلى معشر الإخوان أهل محبتي ... وأهل ودادي نعم ذلك من ود
وبعد فقد جاءت إلينا رسالة ... بها قول زور خارج من لدن زيدي[3]

**ومن المناوئين لهذه الدعوة: سيف بن أحمد العتيقي (ت ١١٨٩هـ)** ويتجلى عداؤه في أنه جمع الردود التي رد بها على الشيخ محمد بن عبدالوهاب فكانت سفراً ضخماً، ولكن ـ كما قال البسام ـ: إن هذا المجموع لا يعرف له وجود إلا بالذكر، وعند التصارع فإن البقاء للصالح

---

(١) انظر: عبدالله العثيمين، بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة السعودية، ط ١، الرياض، ١٤٠٤هـ، موقف سليمان بن سحيم من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ٩١ ـ ١١٣.

(٢) ولد الصائغ في عنيزة، ونشأ بها وصار قاضياً لها، له عدة تلاميذ، ومؤلفات، توفي في عنيزة.
انظر: «السحب الوابلة» ص ٦٧٣، «علماء نجد» ٣٦٤/٢.

(٣) «علماء نجد» ٣٦٤/٢، ثم قال البسام بعد إيراد الأبيات الثلاثة السابقة: (وتقع في نحو اثني عشر بيتاً تركت بقيتها عمداً).

من الأعمال والأقوال[1].

**وسعى سليمان بن عبدالوهاب**[2] (ت ١٢٠٨هـ) ـ شقيق الشيخ الإمام ـ في معاداة الدعوة وتعددت أساليب خصومته ومناوئته... فقد ألف رسالة سماها «فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبدالوهاب»[3]، كان من آثارها نكوص أهل حريملاء عن اتباع الدعوة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تجاوزت آثار الكتاب إلى العيينة فارتاب وشك بعض من يدعي العلم ـ في العيينة ـ من صدق الدعوة وصحتها[4].

---

(١) البسام «علماء نجد» ٣٢٧/١.

(٢) ولد الشيخ سليمان في العيينة، وتولى قضاء حريملاء، وأقام في سدير، وتوفي بالدرعية.
انظر: «علماء نجد» ٣٠٢/١.

(٣) ولعل هذا العنوان هو الاسم الصحيح لرد الشيخ سليمان على أخيه الشيخ الإمام، ويدل على ذلك ما ذكره ابن حميد في «السحب الوابلة» ص ٦٩٩، والبسام في «علماء نجد» ٣٠٤/١، وإليه يميل العثيمين في كتابه «الشيخ ابن عبدالوهاب» ص ٦١، ١٠١، وكذا الشبل في تحقيقه لكتاب «الأخبار النجدية» للفاخري ص ١٢٦، ولقد لاحظت أن هذا الكتاب له أسماء أخرى منها:

١ ـ الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية، وقد طبع الكتاب بهذا الاسم في الهند ١٣٠٦هـ، ثم مصر وتركيا.

٢ ـ حجة فصل الخطاب من كتاب رب الأرباب، وحديث رسول الملك الوهاب وكلام أولي الألباب في إبطال مذهب محمد بن عبدالوهاب، نسخة خطية في مكتبة الأحقاف بحضرموت.

٣ ـ الرد على من كفر المسلمين بسبب النذر لغير الله، نسخة خطية في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد.

ومما يجدر ذكره هاهنا أني لاحظت أن مخطوط المشكاة المضيئة في الرد على الوهابية المنسوب لابن السويدي إنما هو مجرد نسخة مكررة حرفياً من كتاب الشيخ سليمان بن عبدالوهاب...، اللهم إلا أن كتاب هذا السويدي يزيد عن كتاب الشيخ سليمان بوجود بعض السباب والألفاظ النابية.
انظر مثلاً: ق ٢، ق ٣، ق ٢٥.

(٤) انظر: مجموعة الشيخ ٢٨١/١، ابن غنام ٢٢٥/٢.

**يقول العثيمين عن ذلك:**

**لم يقتصر نشاط سليمان على بلدته - حريملاء -** وإنما بذل جهداً لإقناع أهل العيينة بالخروج على الدعوة ودولتها، وكانت وسيلته في ذلك أن أرسل إليهم كتاباً ضمنه آراء تناقض آراء أخيه محمد في مسائل العقيدة...[1].

**ويظهر أن سليمان يخالف أخاه في مسألة الذبح والنذر لغير الله ونحوهما فيعتبرهما سليمان من الشرك الأصغر،** ويورد الأدلة لكلامه فيدعي أن ابن تيمية وابن القيم على ذلك الرأي الذي يقوله - كما سيأتي موضحاً في موضعه[2].

---

(١) الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ٦١.

(٢) حول مسألة هل رجع الشيخ سليمان عن ضلالاته وانضم إلى هذه الدعوة أم بقي مصراً على ذلك العداء؟ يؤكد البسام في «علماء نجد» **٣٠٥/١** بكثير من الأدلة عدم صحة رجوع الشيخ سليمان، وقد تعقب الأستاذ محمد السكاكر أدلة البسام بالمناقشة والرد، كما في رسالته - لنيل الماجستير - الإمام محمد بن عبدالوهاب ومنهجه في الدعوة، ص **١٢٦**.

وليس المقام هاهنا مقام تفصيل ومقارنة بين أدلة الطرفين، وإنما الذي يهمنا أن نذكر - ابتداء - بما قاله ﷺ: «**من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**» رواه مسلم، والأنبياء ثم الصحابة ومن بعدهم من سادات الموحدين قد وجدوا في آبائهم أو أبنائهم أو إخوانهم العداوة الشديدة والخصومة الظاهرة لدعوة الحق والصواب، فلا عجب أن يوجد ذلك فيمن بعدهم كما هو حال الشيخ سليمان - على من يقول بعدم توبته مع أخيه، وأمر آخر وهو أن هناك أدلة - لم يذكرها البسام ولا السكاكر - كأنها ترجح عدم رجوع الشيخ سليمان...

١ - منها ما قاله الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن:

وممن أورد هذه الشبهة عدم طروء الشرك في هذه الأمة عليه - أي محمد بن عبدالوهاب - عبدالله المويس راعي حرمه، وابن إسماعيل في الوشم، وسليمان بن عبدالوهاب في العارض.

«مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» **٥٣/٣**.

٢ - ويقول أيضاً بعد أن ساق بعض الردود على شبهات ابن منصور: =

**وناهض محمد بن فيروز** (ت ١٢١٦هـ) دعوة الشيخ الإمام أشنع مناهضة وأشدها، وكاد لها بمختلف أنواع الكيد والمكر، ومن جملة كيده أنه ألف كتاباً في الرد على هذه الدعوة بعنوان «الرسالة المرضية في الرد على الوهابية»[1].

**ما ذكرناه ـ سابقاً ـ** تلخيصٌ لما كتب ضد الشيخ ودعوته في بلاد نجد، وقبل سقوط الدرعية سنة ١٢٣٤هـ.

**أما عن بلاد الإحساء فقد ألف عبدالله بن محمد بن عبداللطيف** ـ وهو أحد شيوخ الإمام محمد بن عبدالوهاب في الإحساء ـ رسالة بعنوان «سيف الجهاد لمدعي الاجتهاد»[2].

**كما ألف محمد بن عبدالرحمٰن بن عفالق** (ت ١١٦٤هـ) رسالة وجهها إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب وكان عنوانها «تهكم المقلدين في مدعي

---

= وقد اكتفيت بما ذكره شيخنا في رده على سليمان بن عبدالوهاب الذي صدره بحديث عمرو بن عنبسة.
«الدرر السنية» ٩/٢٠١.
٣ ـ ويقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن في كتابه «منهاج التأسيس»: قال «داود» النقل الرابع والعشرون ذكر الشيخ سليمان بن عبدالوهاب في رده على أخيه محمد بن عبدالوهاب، ص ١٩٠.
وأثناء رد الشيخ عبداللطيف على هذا النقل، لم يذكر شيئاً مما يدل على رجوع الشيخ سليمان ويبدو أن الشيخ عبداللطيف لم يعلم برجوع الشيخ سليمان إلا أثناء تسويده لكتابه «مصباح الظلام» بدليل أنه وصف سليمان بقصور العلم، وقلة التحصيل، ثم قال: ـ بعد ذلك مباشرة ـ: وقد وقفت على رسالة تدل على رجوعه أثناء تسويده الكتاب، ص ١٠٤، ١٠٥، وكتاب «مصباح الظلام» ألفه بعد تأليف «منهاج التأسيس» ـ وإن لم يتم المنهاج ـ كما دل على ذلك ما جاء في ص ٣٣٥، ٣٣٦، من المصباح، فيبعد أن يظل أمر رجوعه خفياً على المجدد الثاني الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن، وكيف نبه الشيخ العالم عبداللطيف، ثم لا يعلم الشيخ عبداللطيف برجوع سليمان إلا أخيراً، والله أعلم، ورحمته أوسع.

(١) ط. بمنباي ١٣٠٧هـ، انظر: العثيمين، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حياته وفكره، ص ١٤٦.
(٢) سبق ذكره.

تجديد الدين»، وقد تضمنت هذه الرسالة أسئلة تعجيزية تهكمية، وبأسلوب يحمل طابع التحدي والغرور، وقد قصد بها ابن عفالق الطعن والتوهين في محمد بن عبدالوهاب، والنيل منه والاستخفاف به ـ كما هو ظاهر في هذه الرسالة ـ كما أن هذه الأسئلة ـ من خلال الاطلاع عليها ـ ليست وكذا الجواب عليها من أصول العلم وواجباته بل أقرب ما تكون إلى فضول العلم وترفه.

**ومن هذه الأسئلة ـ المترفة ـ** التي وجهها ابن عفالق إلى الشيخ لكي يجيب عليها قول ابن عفالق:

**وبعد فأسألك عن** قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ...﴾ إلى آخر السورة التي هي من قصار المفصل كم فيها من حقيقة شرعية وحقيقة لغوية وحقيقة عرفية، وكم فيها من مجاز ومرسل، ومجاز مركب، واستعارة تحقيقية، واستعارة وفاقية، واستعارة عنادية، واستعارة عامية، واستعارة خاصية، واستعارة أصلية، واستعارة تبعية، واستعارة مطلقة، واستعارة مجردة، واستعارة مرشحة، وموضع الترشيح، والتجريد فيها، وموضع الاستعارة بالكناية، والاستعارة التخيلية وما فيها من التشبيه الملفوف والمفروق والمفرد والمركب والتشبيه المجمل والمفصل، إلى آخر هذه الأسئلة[1].

**كما ألف ابن عفالق رسالة وجهها إلى عثمان بن معمر أمير العيينة**[2] يشككه في دعوة الشيخ، ويطعن فيها حتى يتخلى عثمان عن نصرتها[3] ـ في بادىء الأمر ـ، وادعى ابن عفالق أن ابن عبدالوهاب خالف ابن تيمية وابن القيم في مسائل التوحيد[4]، وقد كتب ابن معمر رداً على رسالة ابن عفالق يذكر موافقته لدعوة الشيخ، مما جعل ابن عفالق يكتب جواباً عن رسالة ابن

---

(١) وهي رسالة مخطوطة، في مكتبة الجامعة الملكية في تبونجن بألمانيا، وقد حصلت على صورة منها.

(٢) تهكم المقلدين، ق ٥.

(٣) توجد مخطوطة في مكتبة الدولة في برلين بألمانيا، وقد حصلت على صورة منها.

(٤) انظر من تلك الرسالة ق ٣٩، ٤٠، ٤٩، ٥٢.

معمر[1]، وقد شنع في هذا الجواب على الشيخ الإمام وابن معمر، ورماهما بتكفير المسلمين وتضليلهم[2]، ويظهر من هذه الرسالة: حِرْصُ ابن عفالق على إقناع ابن معمر بترك نصرة الشيخ[3].

**وفي المدينة كتب محمد بن سليمان الكردي**[4] (ت ١١٩٤هـ) أسئلة وأجوبة ضد الدعوة السلفية، حيث تضمنت مخالفة ومعارضة لما قرره وأكده أئمة الدعوة السلفية قديماً وحديثاً[5].

**كما كتب الكردي تقريظاً لرسالة سليمان بن عبدالوهاب** مؤيداً له في ذلك، ومادحاً لرسالة سليمان ضد الدعوة السلفية، ومما حواه ذلك التقريظ هذه العبارة ـ يخاطب بها الشيخ الإمام ـ:

**يا ابن عبدالوهاب سلام على من اتبع الهدى**، فإني أنصحك للّه تعالى أن تكف لسانك عن المسلمين[6].

**وفي العراق كتب أحمد بن علي البصري الشهير بالقباني**[7]: (كان حياً سنة ١١٥٧هـ) مجلداً ضخماً عنونَهُ بـ«فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبدالوهاب»[8] يزيد عن مائتي ورقة، وهذا الكتاب جواب على رسالة ابن

---

(١) انظر من تلك الرسالة ق ٤٢، ٤٤، ٥٠، ٥٢.

(٢) يوجد جواب ابن عفالق على رد ابن معمر مخطوطاً في مكتبة الدولة في برلين بألمانيا، وقد حصلت على صورة منه.

(٣) مثلاً يقول ابن عفالق مخاطباً ابن معمر: (وأرسلت لك ما فيه الكفاية) ق ٦٣.

(٤) محمد بن سليمان الكردي ولد بدمشق سنة ١١٢٧هـ، ونشأ في المدينة، وتولى إفتاء الشافعية فيها، وله عدة مؤلفات، توفي بالمدينة، انظر: «الأعلام» ٦/١٥٢.

(٥) عنوانها: «مسائل وأجوبة وردود على الخوارج» صورة خطية عن معهد المخطوطات، وطبعت ضمن فتاواه في مصر ١٣٥٧هـ.

(٦) الحداد «مصباح الأنام» ص ٨١.

(٧) لم أعثر له على ترجمة، ويظهر أن كتابه كان له رواج عند خصوم الدعوة المعاصرين للشيخ كما جاء مدوناً في الرسائل الشخصية للشيخ.
انظر: «مجموعة الشيخ» ٥/٢٠، ٢٠٦.

(٨) توجد منه صورة خطية في قسم المخطوطات بجامعة الإمام.

سحيم التي بعثها إلى علماء الأمصار تحريضاً لهم على الشيخ وتشويهاً للدعوة السلفية، ويظهر من هذا الكتاب شدة إلحاح ابن سحيم على أولئك العلماء من أجل مناهضة الشيخ الإمام ودعوته، حيث إنه تكرر منه الطلب مرة ثانية ـ كما يذكر القباني[1] ـ فكتب القباني هذا المجلد[2].

**وألف عبدالله بن داود الزبيري (ت ١٢٢٥هـ)** كتاباً في مناهضة هذه الدعوة سماه «الصواعق والرعود على ابن سعود»[3].

**يقول البسام في ترجمته للمذكور:** إنه قد شرب من مشايخه ـ وأعظمهم محمد بن فيروز ـ عداوةً للدعوة السلفية في نجد وزعيمها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ لذا فإنه من أشد الجادين في مجابهتها ومعارضتها، وقد صنف في الرد عليه كتاباً سماه «الصواعق والرعود في الرد

---

(١) انظر: «فصل الخطاب» ق ١٢٤.

(٢) مما يجدر ذكره هاهنا حول الاسم الصحيح لهذا الكتاب أن القباني أشار في مقدمة هذا الكتاب ق ٣، ٤، أن ابن عبدالوهاب أرسل رسالة إليهم يدعوهم لعبادة الله وحده، فألف القباني كتاباً في الرد على هذه الرسالة، سماه «فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبدالوهاب» فلما قدمت رسالة ابن سحيم وتكرر طلبه سنة ١١٥٧هـ، كتب عندئذ ـ القباني ـ كتاباً آخر هو اختصار للكتاب السابق وزيادة ـ كما قال القباني ـ، ومما يؤيد أن الكتاب الذي هو جواب على رسالة ابن سحيم مغاير للكتاب الأول «فصل الخطاب» أن القباني ـ يكرر كثيراً (وذكرنا في فصل الخطاب) انظر ق ٣١، ٣٤، ٤٨، ٥٠، ٥٣، ١٣٨، ١٦٦، ويؤكد ذلك ما ذكره الأستاذ عباس العزاوي في كتابه «ذكرى أبي الثناء الألوسي» أن الشيخ الإمام أرسل رسالة إلى البصرة في منتصف سنة ١١٥٥هـ، يدعوهم فيها فأجابه القباني في كتابه «فصل الخطاب» رداً عليه بما وقع من ردود على شيخ الإسلام ابن تيمية، انظر ص ٣٤.

كما أن الشيخ الإمام أورد عبارة القباني في تحسين بناء القباب على القبور، وإجماع العلماء على تجويزه ـ على حد زعمه ـ.

انظر: «مجموعة الشيخ» ٥/٢٠٦.

وهذه العبارة ليست موجودة ـ حسب اطلاعي ـ في الكتاب الآخر الذي هو جواب على رسالة ابن سحيم.

(٣) يوجد مخطوطاً في المكتبة الشرقية ببتنة في الهند رقم ١٢٣٨، ويذكر الحداد في مصباحه، ص ٧٩، أن عبدالله بن داود استفاد من رد القباني.

على ابن سعود» إلا أن الله قد أبقى هذه الدعوة الطيبة في نمو وتقدم وتوسع في المشارق والمغارب وذهبت رعوده وبروقه خلباً فالحمد لله على المعتقد الحسن[1].

**ومن خلال الاطلاع على بعض كتب الخصوم**، يظهر أن كتاب الصواعق والرعود له أهمية وعناية عند الخصوم، ويحظى مؤلفه بالمدح والتقدير لديهم.

**فقد مدح محمد بن محمد القادري**[2] هذا الكتاب وبالغ في الإطراء والتبجيل لمؤلفه فقال:

**وهو كتاب مخزون بالعجائب، ومشحون بالغرائب**، عظيم النفع، جليل الشأن، واضح البرهان، لا نعرف كتاباً في هذا النمط أشرف منه وأعظم، ولا أنفس منه وأتم، من شأنه أن تكتب سطوره بالنور على خدود الحور... ومن أراد أن يعرف دسائس الشيطان التي ألقاها إلى ابن سعود فعليه بمطالعة «الصواعق والرعود»، فإنه كتاب غريب في صنعه عجيب، وكان التصدي لإبطالها فرض كفاية على علماء المسلمين، لئلا يغتر بها عوام المؤمنين، ويصير الوزر عليهم أجمعين، فجزى الله حضرة الشيخ عبدالله بن داود حيث أبطلها في «الصواعق والرعود» أحسن الجزاء حيث رفع الوزر عنه وعنهم في دار الجزاء[3].

**ومدح حسن بن عمر الشطي**[4] الصواعق ومؤلفها فقال:

**وقد ألف العلامة المحقق والفهامة المدقق الشيخ عبدالله بن داود** كتاباً مشهوراً مسمى بـ«الصواعق في الرد على ابن سعود» فقد أطال في ابتداء أمره

---

(١) علماء نجد ٢/٥٣٩.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) رسالة صغيرة (بدون عنوان) في الرد على الوهابية، توجد في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود ـ ٧ ورقات، ق ٢.

(٤) هو حسن بن عمر بن معروف الشطي، من علماء دمشق، ولد بها سنة ١٢٠٥هـ، له عدة مؤلفات، وله عدة تلاميذ، توفي سنة ١٢٧٤هـ.

وسيرته وسيرة من بعده من خلفه، وقد انتشر هذا الكتاب واطلع عليه الفحول وأحسنوا الثناءات على مؤلفه...[1].

**وذكر علوي الحداد الصواعق** ومؤلفه فمدحه بقوله:

**وقد سمعت بكتاب مبسوط في عشرين كراساً سماه** «الصواعق والرعود رداً على الشقي عبدالعزيز بن سعود» وقد قرظ عليه أئمة من علماء البصرة وبغداد وحلب والإحساء وغيرهم، تأييداً لكلام مؤلفه، وثناءً منهم عليه، وقد أجادوا وبينوا[2].

**ويقول الحداد:** ومن أراد أن تقر عينه فعليه به أي بكتاب الصواعق والرعود للشيخ العلامة والبحر الفهامة عفيف الدين عبدالله بن داود الزبيري، فما أظنك تجد مثله..[3].

**ووصف ابن حميد هذا الكتاب بأنه** (مجلد حافل أجاد فيه)[4].

**وأمام هذا الاهتمام والمدح الكبيرين لكتاب لصواعق ومؤلفه،** فقد حرصت كثيراً على الحصول والاطلاع عليه، وبذلت جهدي في سبيل ذلك ولكن دون جدوى[5].

---

انظر: «النعت الأكمل» ص ٣٦٧.

(١) انظر تذييله على رسالة إثبات الصفات ق ٧١، وكذا تذييله على رسالة مشاجرة بين أهل مكة وأهل نجد ق ٣٩.

(٢) مصباح الأنام، ص ٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٤.

(٤) السحب الوابلة، ص ٦٨٧.

(٥) علمت من خلال كتاب: محمد بن عبدالوهاب «مصلح مظلوم»... لمسعود الندوي أن هذا الكتاب يوجد مخطوطاً في مكتبة بتنة الشرقية بالهند رقم ١٢٣٨هـ، فأرسلت في طلبه من تلك المكتبات بأكثر من خطاب، فجاء الرد متأخراً بالموافقة على ذلك وبشرط عسير، وهو إرسال كمية (ضخمة) من الكتب المطبوعة مثل «شذرات الذهب» لابن عمار، وتاريخ بغداد للخطيب، وتهذيب التهذيب لابن حجر، وغيرها، ثم حاولت مرة ثانية وثالثة موضحاً صعوبة تحقيق هذا الطلب، أو على الأقل التنازل عن بعضه، فجاء الرد مؤكداً على الطلب السابق، فزهدت ـ عندئذ ـ في الحصول عليه.

**وفي اليمن** كتب عبدالله بن عيسى الكوكباني[1] (١٢٢٤هـ) كتاباً في الطعن على دعوة الشيخ رحمه الله سماه «السيف الهندي في إبانة طريق الشيخ النجدي»[2].

**وقد حوت هذه الرسالة الكثير من المغالطات التاريخية** حول تاريخ هذه الدعوة[3].

**وفي حضرموت ألف علوي بن أحمد الحداد** (ت ١٢٣٢هـ) كتابين في مناهضة الشيخ ودعوته، فصنف كتاباً بعنوان «السيف الباتر لعنق المنكر على الأكابر»[4]، ثم أَتْبعه بآخر عنوانه «مصباح الأنام وجلاء الظلام في رد شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام».

**والكتاب الأخير يتكون من سبعة عشر فصلاً**، وفي كل هذه الفصول رد على الدعوة السلفية، وتقرير ما يخالفها، فسود الحداد «مصباحه» بتقرير جواز الاستغاثة بالأموات والغلو في الأولياء، وتأكيد جواز البناء على القبور وتشييد المشاهد والمزارات لقبور الصالحين. . .، .

**يقول الحداد في «مصباحه»** مهولاً شأن إخوانه من أدعياء العلم ممن أنكر الدعوة السلفية:

**ثم رأيت** جواباً للعلماء الأكابر من المذاهب الأربعة لا يحصون بعد من أهل الحرمين الشريفين والإحساء والبصرة وبغداد وحلب واليمن وبلدان الإسلام نثراً ونظماً أُتِيَ إليَّ بمجموع رجل من آل ابن عبدالرزاق الحنابلة

---

(١) ولد الكوكباني سنة ١١٧٥هـ، وتعلم بحصن كوكبان، برز في عدة علوم، وعرف بالأدب وقرض الشعر، له عدة مؤلفات.
انظر: «نيل الأوطار» ٢/٩٢.

(٢) انظر: «لفحات الوجد من فعلات أهل نجد» ق ٣.

(٣) من هذه المغالطات التي ذكرها ابن عيسى ونقلها عنه صاحب اللفحات أن محمد بن عبدالوهاب المقدسي، وكان مبتدأ أمره خروج الشيخ ونزوله على الشيخ عبدالعزيز النجدي، الذي لا يعرف حلالاً ولا حراماً، ق ٤، ٥.

(٤) علوي الحداد، مصباح الأنام، ص ٢.

الذين في الزبارة والبحرين فيه رد علماء كثيرين..[1].

**وكتب المدعو محمد بن محمد القادري** رسالة قصيرة في الطعن على الشيخ والإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود[2] (ت ١٢١٨هـ) وذلك لما بلغت هذا القادري رسالة الأمير عبدالعزيز التي توضح معتقدهم وتبين ما هم عليه، وقد كتب هذا الرد الذي هو أقرب إلى السباب والشتائم سنة (١٢١١هـ)، في مدينة حلب[3].

**وألف عمر المحجوب**[4] (ت ١٢٢٢هـ) من علماء تونس رسالة في الرد على الوهابية[5]، لما بلغته رسالة الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وهذه الرسالة ـ كأختها السابقة ـ غالباً مجرد طعن وتجريح على الدعوة السلفية، وبأسلوب مسجوع متكلف.

**ومن بلاد المغرب كتب محمد بن عبدالمجيد بن عبدالسلام بن كيران الفاسي**[6] (ت ١٢٢٧هـ) أحد علماء فاس بالمغرب، رسالة بعنوان «الرد على بعض المبتدعين من الطائفة الوهابية»[7] (ت ١٢٢٩هـ)، وكان سبب تأليف

---

(١) المصدر السابق، ص ٢، ٧٩.
وقد ذكر الحداد: منهم: أحمد المصري الإحسائي، وعطاء المكي له رسالة بعنوان الصارم الهندي في عنق النجدي، وألف المنعمي قصيدة في الرد على ابن عبدالوهاب.
انظر: «مصباح الأنام» ص ٢، ٦.

(٢) هو الإمام الذي تولى قيادة الدولة السعودية الأولى بعد وفاة والده، وقد امتدت وتوسعت الدولة في عهده...، واشتهر رحمه الله بالعدل والتقوى والإحسان إلى الرعية، مات مقتولاً وهو يصلي على يد رافضي.
انظر: «عنوان المجد» ١/١٦٧.

(٣) انظر: ق ٧، من هذه الرسالة.

(٤) هو عمر بن القاسم بن محجوب التونسي، انظر «معجم المؤلفين» ٧/٣٠٤.

(٥) طبعت في تونس سنة ١٣٢٧هـ، وانظر مناسبة تأليف هذه الرسالة من كتاب «إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان» لأحمد بن أبي الضياف ٣/٦٣، ٦٤.

(٦) من فقهاء فاس مالكي المذهب، له تصانيف، انظر: الأعلام ٦/١٧٨.

(٧) طبعت في مصر سنة ١٣٢٧هـ.

كتابه هو وصول رسالتين من الأمير سعود بن عبدالعزيز[١] (ت ١٢٢٩هـ) إلى تلك البلاد فكتب المذكور هذا الرد على هاتين الرسالتين مقلداً أسلافه الأوائل ممن طعن وأنكر هذه الدعوة الصادقة الحقة.

**وخلف أولئك الخصوم أثناء مدة الدولة السعودية الثانية (١٢٣٥هـ - ١٣٠٩هـ)** أفراخهم ممن تلقف من شيوخه كره هذه الدعوة والكيد لها، وأشربوا بغض الشيخ الإمام وأتباعه.

**فظهر في بلاد نجد محمد بن علي بن سلوم**[٢] (ت ١٢٤٦هـ) وهو ممن شرق بهذه الدعوة[٣]، وقد ترك نجداً إلى الإحساء، وانتقل إلى البصرة مع شيخه محمد بن فيروز الذي هو خصم عنيد لهذه الدعوة كما تقدم.

**ومنهم عثمان بن سندي البصري**[٤] (ت ١٢٤٦هـ)، وعداوته ظاهرة في كتابه المسمى «مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود»[٥]، وقد اختصره أمين بن حسن الحلواني المدني[٦] (ت ١٣١٦هـ)، ومن مفتريات عثمان بن سند أنه زعم أن أتباع هذه الدعوة يكفرون عموم المسلمين الذين على الكرة

---

(١) ولد الإمام سعود في الدرعية سنة ١١٦٥هـ، وعرف عهده بكثرة الغزوات، وقد تلقى العلم من الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكان للإمام سعود مجالس علم وذكر.
انظر: عنوان المجد ٢٢٥/١.

(٢) هو الفرضي، ولد في العطار بسدير سنة ١١٦١هـ، ورحل إلى الإحساء، له عدة مؤلفات وألغاز في الفقه والفرائض، توفي في بلدة سوق الشيوخ.
انظر: «السحب الوابلة» ص ٨٢٧، «علماء نجد» ٩٠٩/٣.

(٣) يبدو لي أن البسام يميل إلى أن ابن سلوم ليس من خصوم هذه الدعوة... وكأنه لم يطلع على ما كتبه الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن وابنه عبداللطيف في إثبات تلك العداوة.
انظر: «الدرر السنية» ٢١٥/٩، ٢١٧، ٣٣٥.

(٤) ولد عثمان في حريملاء سنة ١١٨٢هـ، ورحل إلى الزبير، له عدة مؤلفات كما أن له قصائد شعرية، توفي في بغداد.
انظر: «روضة الناظرين» /٧٣، ولكنه لم يشر إلى تلك العداوة.

(٥) هو مخطوط في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، رقم ٥٨٤٠.

(٦) انظر ترجمته في «الأعلام» ١٥/٢، و«معجم المؤلفين» ٦/٦.

الأرضية[1].

**ومن أشد الخصوم ـ في بلاد نجد آنذاك ـ** عداوة وكيداً لهذه الدعوة السلفية وأنصارها **عثمان بن منصور**[2] (ت ١٢٨٢هـ)، وإن رسائل الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن[3] والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن وغيرهم من علماء الدعوة ممن عاصر عثمان بن منصور، كل ذلك يؤكد شدة تلك العداوة والمناهضة لهذه الدعوة السلفية.

**يقول الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن** عن بعض مؤلفات ابن منصور:

(**أما بعد** فإنا قد وجدنا في كتب عثمان بن منصور بخطوطه أموراً تتضمن الطعن على المسلمين، وتضليل إمامهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله فيما دعا إليه من التوحيد، وإظهار ما يعتقده في أهل هذه الدعوة من أنهم خوارج تنزّل الأحاديث التي وردت في الخوارج عليهم)[4].

**ويقول الشيخ عبداللطيف** بن عبدالرحمٰن بن حسن عن أحد كتب ابن منصور:

---

(١) انظر: مختصر كتاب «مطالع السعود» لعثمان بن سند، اختصره أمين بن حسن، طبعة محب الدين الخطيب ص٨٠.
يذكر كاظم الدجيلي ـ في مجلة لغة العرب س ٣، ع ٤، ص ١٨٠ ـ أثناء ترجمة عثمان بن سند أنه لم يرجع للوهابية لأنه طعن فيهم في هذا الكتاب «مطالع السعود» وقد صنفه في السنة الأخيرة من حياته.

(٢) هو عثمان بن عبدالعزيز بن منصور الناصري، ولد في أول القرن الثالث عشر في بلدة الفرعة بسدير، وطلب العلم في العراق، له مؤلفات منها «شرح كتاب التوحيد» للشيخ الإمام، وتولى القضاء، وتوفي في حوطة سدير. انظر: «علماء نجد» ٦٩٣/٣.

(٣) الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن، هو المجدد الثاني، ولد في الدرعية سنة ١١٩٣هـ، ودرس على كبار علماء نجد، وولي القضاء، وبعد سقوط الدرعية نقل إلى مصر، ودرس على علمائها، ثم عاد إلى نجد حين طلبه تركي بن عبدالله، له عدة مؤلفات، توفي في الرياض.
انظر: «مشاهير علماء نجد» ٥٦/١.

(٤) «الدرر السنية» ١٩٤/٩.

(**وقد رأيت** كتابه الذي سماه «جلاء الغمة»، ورأيت حشوه من مسبة دين الله، والصد عن سبيله، والكذب على الله وعلى رسوله، وعلى أولي العلم من خلقه، وأئمة الهدى ما لم نرَ مثله للمويس وابن فيروز والقباني وأمثالهم ممن تجرد لعداوة الدين ومسبة مشايخ المسلمين)[1].

**وأما كتبه التي ألفها ضد هذه الدعوة ومجددها فهي**: جلاء الغمة عن تكفير هذه الأمة[2]، وغسل الدرن عما ركبه هذا الرجل من المحن، وتبصرة أولي الألباب[3].

**وله كتاب رابع بعنوان** «منهاج المعارج لأخبار الخوارج»[4]، كما أنه

---

(١) المصدر السابق ٣٥١/٩.

(٢) انظر: عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن، «مصباح الظلام» ط ٣، دار الهداية، الرياض ص ١٦.

(٣) المصدر السابق ص ٣٠.

(٤) وهو محفوظ في دار الكتب المصرية، وقد حصلت على صورة منه عن طريق د/عبدالله الشبل وهذا المخطوط يصل إلى ١٨٦ ورقة، تضمن أخبار الخوارج وتاريخهم، ولكنه في المقدمة ق ٦ ذكر كلاماً يطابق كلامه في كتاب جلاء الغمة ـ كما نقله الشيخ عبداللطيف في كتابه «مصباح الظلام» ص ٦٦، ومضمونه الطعن في هذه الدعوة وأتباعها ورميهم بتكفير المسلمين الذين يعمرون المساجد والمدارس...، ولذا ألحقنا هذا الكتاب ضمن المؤلفات المعادية للدعوة، خاصة أن الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن قد لام عثمان بن منصور حين ألف في الخوارج، فكان مما قاله الشيخ عبدالرحمٰن:
ومن الأمور الظاهرة البينة أنك تكتب في الخوارج وتذكر كلام شيخ الإسلام فيهم، والواقع في كثير من الأمة أعظم من مقالة الخوارج، عبادة الأوثان وتزيين عبادتها وإنكار التوحيد.
والخوارج ما عندنا أحد منهم حتى في الأمصار، ما فيها طائفة تقول بقول الخوارج إلا الأباضية في أقصى عمان، ووقعوا فيما هو أكبر من رأي الخوارج، وهي عبادة الأوثان، ولا وجدنا لخطك وتسمية بالخوارج، وتسمية بالمعارج، إلا أن هذه الدعوة الإسلامية التي هي دعوة الرسل إذا كفروا من أنكرها.
قلت: يكفرون المسلمين لأنهم يقولون: لا إله إلا الله «الدرر السنية» ٢٣١/٩، وانظر حال ابن منصور وتلقيه عن مشايخه «ابن سلوم، وابن سند، وابن حديد» عداوة الشيخ الإمام وبغض دعوته من خلال ما كتبه الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن وابنه الشيخ عبداللطيف في «الدرر السنية» ١٨٧/٩، ١٩٥، ٢٠٢، ٢١٠، ٢١٧، ٣٣٣، ٣٣٤. =

كتب قصيدة يمدح فيها داود بن جرجيس أحد المناوئين للدعوة، ويحثه على مناهضة أئمة الدعوة السلفية، ويسميهم عثمان بالخوارج[(١)].

**وممن كتب ضد الدعوة السلفية** ـ آنذاك ـ محمد بن عبدالله بن حميد (ت **١٢٩٥هـ**)، وتمثلت هذه الكتابة في إعراضه في كتابه «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» عن إيراد تراجم علماء الدعوة إلا ما ندر مثل ترجمته لشيخه الشيخ عبدالله أبو بطين رحمه الله، وذكره العلماء الذين ناهضوا الدعوة السلفية، وقد شنع ابن حميد في تراجم الخصوم على أهل الحق بالباطل، ومدح الخصوم على ردودهم، كما أنه يطلق بعض الأوصاف الشنيعة على الشيخ الإمام رحمه الله ـ كما هو واضح أثناء ترجمته لعبدالوهاب بن سليمان والد الشيخ الإمام[(٢)].

**وكتب ابن حميد ـ أيضاً ـ** رسالة تضمنت الدفاع عن أبيات بردة البوصيري، والرد على الشيخ ابن بطين لما أجاب بما هو الحق عن أبيات البردة الشركية[(٣)].

**وفي الحجاز تولى أحمد بن زيني دحلان**[(٤)] (ت **١٣٠٤هـ**) ـ وكان

---

= ومن الإنصاف مع الشيخ عثمان بن منصور أن أسجل ما أخبرني به الشيخ أحمد بن عبدالله بن حميد في شهر ذي الحجة **١٤٠٥هـ** عن والده الشيخ العلامة عبدالله بن محمد بن حميد ـ رحمه الله ـ أنه ذكر ـ وبطريق موثوق ـ رجوع الشيخ عثمان بن منصور عن ضلالاته.

كما أني اطلعت على رسالة قصيرة لابن منصور بعنوان «الرد الدامغ على الزعم أن شيخ الإسلام ابن تيمية زائغ» وهي رد على شيخه عثمان بن سندي البصري، وهذه الرسالة موجودة بقسم المخطوطات بجامعة الإمام/ رقم **٢١٣٧ (١ ـ ٣ ب)**.

(١) انظر: «الدرر السنية» **٣٤٨/٩، ٣٤٩**.

(٢) انظر: «السحب الوابلة» ص **٦٩٨، ٦٩٩**.

(٣) انظر: «مجموعة التوحيد»، ط آل ثاني، المكتب الإسلامي دمشق، **١٣٨١هـ**، ص **٣٤٥، ٤٣٦**.

(٤) ولد دحلان بمكة سنة **١٢٣٢هـ**، وتولى فيها الإفتاء والتدريس، له عدة مؤلفات في التاريخ والعقيدة والنحو. . .، مات في المدينة.

يقول عنه محمد رشيد رضا: إن دحلان غير محدث ولا مؤرخ ولا متكلم، وإنما مقلد للمقلدين ونقال من كتب المتأخرين. =

مفتي الشافعية في مكة - وبث الأكاذيب والمفتريات ضد الدعوة السلفية ومجددها، ولقد كان لتلك الأكاذيب التي تقوّلها على الدعوة وأنصارها انتشار بين الناس، خاصة عند الحجاج القادمين من سائر أقطار المسلمين.

**فمن كتبه**[1] التي ألفها ضد الدعوة السلفية، رسالته المسماة «الدرر السنية في الرد على الوهابية» وقد طبعت عدة مرات، وهي موجودة ضمن كتابه «خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام» كما أنها موجودة ضمن كتابه «الفتوحات الإسلامية».

**ولقد كان لوجود دحلان في مكة** أثر قوي في رواج مفترياته وشبهاته، ولهذا يقول محمد منظور النعماني[2] - مبيناً مدى انتشار تلك المطاعن بعد سقوط الدرعية **١٢٣٤**هـ:

**(صارت أرض الحجاز مركز** دعاية ضد الشيخ محمد بن عبدالوهاب وجماعته بعدما أقصت الوهابيين قوات محمد علي باشا حاكم مصر آنذاك بإيعاز من الحكومة العثمانية... وأضحت تنتشر في الحجاز - فيما يتصل بالشيخ - أمور مستهجنة إن سمعها مسلم فإنه لا يكره شخصه فحسب... بل يعتبره أكفر الكافرين في العالم كله.

---

= انظر ترجمته: «الأعلام» ١/١٢٩، «معجم المؤلفين» ١/٢٩، مجلة المنار م ٧ ص ٣٩٣.

(١) يقول فوزان السابق في «البيان والإشهار»:
(قال بعض الفضلاء من علماء مكة: تصانيف دحلان كالميتة لا يأكلها إلا المضطر، وقد رد عليه كثير من علماء الهند والعراق ونجد وغيرهم، ففضحوه وبينوا ضلاله، وقد سمعت غير واحد ممن يوثق بهم من أهل العلم يقولون: إن دحلان هذا رافضي لكنه أخفى مذهبه وتسمى بتقليد أحد الأئمة الأربعة ستراً لمقاصده الخبيثة، ولنيل المناصب التي يأكل منها، ومن أدل الدليل على رفضه الخبيث، تأليفه لكتاب «أسنى المطالب في نجدة أبي طالب» الذي رد فيه بهواه نصوص الكتاب والسنة الصحيحة المتواترة) ص ٤٥.

(٢) ولد محمد منظور النعماني عام ١٣٢٣هـ في إحدى قرى الهند، حارب البدع والخرافات، له عدة مؤلفات نافعة، ولا يزال حياً.
انظر: مقدمة كتابة «دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبدالوهاب» ص ٧.

**وبما أن الحرمين الشريفين هما مركز المسلمين** الروحي والديني ومهد الدعوة الإسلامية ومنتجع الحجيج من المسلمين في العالم كله، يختلف إليها المسلمون ولا سيما في مناسبة الموسم فقد ساعد كل ذلك على انتشار كل ما يحاك فيهما ضد الوهابيين أو يدور حولهم في المحافل والنوادي أو يقال ويكتب في المؤلفات ساعده على انتشاره في طول العالم وعرضه)[1].

**ولما ردّ علماء الدعوة على شيخ الكذب دحلان** ـ كما يصفه البعض، ودحلان جدير بهذا الوصف ـ، كتب محمد سعيد بابصيل[2] ـ من مكة ـ (وكان حياً سنة **١٢٩٣هـ**) رسالة بعنوان «القول المجدي»[3] مدافعاً عن دحلان ومعترضاً على أولئك الأئمة.

**وفي اليمن كتب محسن بن عبدالكريم بن إسحاق الحسيني**[4] من صنعاء (ت ١٢٦٦هـ) كتاباً ضد الدعوة وأنصارها، سماه «لفحات الوجد من فعلات أهل نجد»[5].

---

(١) دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مكتبة الفرقان، الهند، ١٤٠٠هـ ص ٢٦، ٢٧.

(٢) هو محمد بن سعيد بن بابصيل، له مؤلفات، انظر: «معجم المؤلفين» ١٠/٣٦.

(٣) انظر: مقدمة كتاب «البيان المجدي» لابن سحمان.

(٤) ولد سنة ١١٩١هـ في صنعاء، وتعلم بها، له عدة مؤلفات، كما أن له نظماً، انظر: «البدر الطالع» ٢/٧٨، و«نيل الوطر» ٢/٢٠١.

(٥) وتوجد من هذا الكتاب نسختان خطيتان في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، وقد حصلت على صورة خطية ـ من مكتبة أرمكو بالظهران ـ تحت عنوان «شرح أبيات في الرد على الوهابية» لمؤلف مجهول، ولما قرأت مقالة الأستاذ عبدالله محمد الحبشي في التعريف بكتاب «لفحات الوجد» لاحظت التطابق التام بين النصوص التي يوردها الحبشي من هذا الكتاب، وبين نصوص ذلك المخطوط الآخر، كما يظهر التشابه الحرفي بين مقدمة كلا الكتابين، وخاتمتهما، وكذلك المعلومات التاريخية والأعلام والأماكن إلى آخره مما جعلني أجزم بأن نسخة أرمكوا هي مجرد نسخة مكررة من كتاب «لفحات الوجد».

انظر: مقال الحبشي في التعريف بهذا الكتاب، مجلة العرب، س ١٧، ج ٩، ١٠، ص ٧٤٤.

وهو عبارة عن أبيات شعرية كتبها ضد الوهابية ثم شرحها في هذا الكتاب، وهو ينقل كثيراً عن أسلافه، ممن عادى الدعوة السلفية الوهابية، فقد تلقف كثيراً مما كتبه يوسف بن إبراهيم الأمير[١] ـ وهو حفيد الصنعاني الأمير ـ من وصف الوهابيين بالخوارج[٢]، وقد جعل في آخر الرسالة بعض المسائل الفقهية التي يعارض فيها أئمة الدعوة[٣].

**وكتب عبدالله بن حسين بلفقيه العلوي**[٤] (ت ١٢٦٦هـ) من حضرموت رسالة في الرد على الوهابية[٥]، وتتميز هذه الرسالة بخلوها من الألفاظ النابية والكلمات التجريحية ـ التي جرت عادة الخصوم أن يسطروها في كتبهم، وهذه الرسالة تدور حول تقرير أن الشرك في الدعاء لغير الله ليس بأكبر... وقد تكلف المؤلف الكثير من الأدلة والمناقشات من أجل تقرير دعواه[٦].

**وعرف حسن بن عمر الشطي** (ت ١٢٧٤هـ) من الشام بعدائه وبغضه للدعوة السلفية، كما هو صريح كتابته التي سطرها تذييلاً على رسالتي «إثبات الصفات»[٧]، ورسالة «مشاجرة بين أهل مكة وأهل نجد»[٨]، فقد رمى صاحب الدعوة بادعاء النبوة، والتمثيل في صفات الله، كما ألصق به

---

(١) انظر: ترجمته في «نيل الوطر» ٢/٤١٤.
(٢) انظر: ق ٣٢ ـ ٤٤، ٤٦ ـ ٦٢، ٧٥ ـ ٧٩.
(٣) انظر: ق ٨٠ ـ ٩٨.
(٤) ولد بلفقيه في تريم بحضرموت سنة ١١٩٨هـ وتوفي بها، وله عدة مؤلفات.
انظر: «الأعلام» ٤/٨٠.
(٥) حصلت على صورة خطية منها عن طريق معهد المخطوطات بالكويت التي صورها من مكتبة الأحقاف في تريم بحضرموت.
(٦) وله رسالة خطية في «الرد على الخوارج ومن نحا نحوهم» حيث ذكر نفس المسائل الفقهية التي ذكرها محسن بن عبدالكريم صاحب اللفحات، وخالف فيها أتباع الدعوة مثل مسألة المسبحة ووجوب الصلاة في المسجد، ومسألة التبغ (التنباك) وغيرها.
(٧) سيأتي التعريف بتلك الرسالتين، والتحقيق في مؤلفهما.
(٨) الكلام السابق.

فرية تكفير المسلمين، وغيرها من الأكاذيب والدعاوى الباطلة[1]، مع أنه قد كتب هذا التذييل ـ القبيح ـ بعد اطلاعه وقراءته لرسائل أئمة الدعوة.

**وفي بلاد العراق وجد الكثير من الخصوم ممن ناهض هذه الدعوة**، وكتب المؤلفات ضدها، نذكر منها: علي نقي اللكنهوري[2] (ت ١٢٨٩هـ) حيث ألف رسالة سماها «كشف النقاب عن عقائد ابن عبدالوهاب»[3]، وقد حوى الكتاب الكثير من المطاعن والشبهات على عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كما ضم الكثير من المعلومات الخاطئة فيما يتعلق بتاريخ الدعوة السلفية وأعمالها.

**ومن هؤلاء الخصوم داود بن سليمان بن جرجيس البغدادي** (ت ١٢٩٩هـ)، وكانت خصومته شديدة جداً، وعداوته ظاهرة ومستفحلة، حيث إن المذكور قدم نجداً وتلقى شيئاً من العلوم الشرعية عن طريق بعض مشايخ نجد[4]، ثم ما لبث أن أظهر العداوة، وطعن في رسائل أئمة الدعوة، فزعم أنها تخالف ما قرره السلف الأوائل كابن تيمية وابن القيم وغيرهما[5]، لذا فقد تأثر به بعض أدعياء العلم[6]، كما مدحه ابن منصور ـ كما تقدم ـ.

**وتظهر عداوته في كتابه المسمى**: «صلح الإخوان من أهل الإيمان وبيان الدين في تبرئة ابن تيمية وابن القيم»[7] حيث ضم كتابه نقولاً متعددة لابن تيمية وابن القيم وحرّفها وغلط في فهمها متعمداً هذا التحريف

---

(١) انظر: تذييله على رسالة في «مشاجرة بين أهل مكة ونجد» ق ٣٩، ٤٠، وانظر: تذييله على رسالة في «إثبات الصفات» ق ٧٠، ٧١.

(٢) اللكنهوري فقيه إمامي، من أهل كربلاء، له مؤلفات، انظر: «الأعلام» ٣٠/٥.

(٣) طبع في النجف بالعراق، سنة ١٣٤٥هـ.

(٤) انظر: «تأسيس التقديس» لابن بطين ص ٢، ٣.

(٥) انظر بيان ذلك والرد عليه من خلال كتاب «منهاج التأسيس» للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن، و«تتمة المنهاج» للآلوسي.

(٦) انظر: رسالة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن لأهل عنيزة معاتباً لهم على إكرام داود بن جرجيس «الدرر السنية» ٣٢٩/٩.

(٧) سنة ١٣٠٦هـ.

والتلبيس ليقرر بها جواز الاستغاثة بالموتى ودعائهم.

**وله كتاب آخر سماه** «المنحة الوهبية في رد الوهابية»[1] أكد فيه أن للموتى حياة في قبورهم مثلما كان لهم حياة في الدنيا، وأن لهم شعوراً وإحساساً كالأحياء، ويقرر ذلك بمختلف الدعاوى، والأقاويل، ليتوصل من هذا التقرير إلى جواز الاستغاثة بهم ودعائهم كالأحياء تماماً.

**وله رسالة ثالثة** في الرد على العلامة محمود الآلوسي في مسائل التوسل[2].

**وألَّف محمد بن عبدالوهاب بن داود الهمداني**[3] (ت **١٣٠٣هـ**) كتاباً سماه «إزهاق الباطل في رد شبهة الفرق الوهابية»[4]، ولا يزال مخطوطاً ـ ولله الحمد ـ وهو يزيد على مائة ورقة، وغالب موضوعات الكتاب تدور حول تجويز الاستغاثة بالموتى وطلب الحاجات منها، وإباحة طلب الشفاعة من الأموات، والحث على الغلو في المشاهد والقبور. . .

**وكتب جعفر النجفي**[5] (ت **١٣٠٣هـ**) مؤلفاً بعنوان «منهج الرشاد لمن أراد السداد»[6]، وكان سبب تأليفه هو اطلاعه على كتاب من عبدالعزيز بن سعود ـ كما ذكر ذلك في مقدمة كتابه ـ، فصنف هذا الكتاب، مقلداً أسلافه في تجويز الاستغاثة بالأموات وسؤالهم المدد، وطلب الشفاعة منهم، ونحو ذلك، فكل ذلك جائز ما دام أن فاعله يعتقد أن الله هو الفعال المختار ـ على حد زعم النجفي وأسلافه.

---

(١) طبع أكثر من مرة، ومنها طبعة بمباي **١٣٠٥هـ**، وطبعة أستانبول سنة **١٤٠٣هـ**.

(٢) طبعت مع كتاب «صلح الإخوان».

(٣) هو إمامي من كاظمية بالعراق، وله عدة كتب، انظر: «الأعلام» **٢٥٨/٦**.

(٤) حصلت على صورة منه عن طريق دارة الملك عبدالعزيز.

(٥) هو جعفر بن الحسين، إمامي، دفن بالنجف، له عدة مؤلفات، انظر: «الأعلام» **١٢٤/٢**.

(٦) طبع في النجف بالعراق سنة **١٣٤٢هـ**.

وفي تونس صنّف المدعو **أبو الفداء إسماعيل التميمي**[1] (ت ١٢٤٨هـ) مجلداً سماه «المناهج الإلهية في طمس الضلالة الوهابية»[2]، وهو مخطوط تصل أوراقه إلى تسعين ورقة.

وكتب **أحمد سعيد السرهندي النقشبندي**[3] (ت ١٢٧٧هـ) رسالة بعنوان «الحق المبين في الرد على الوهابيين».

ومع بداية **الدولة السعودية الثالثة** (١٣١٩هـ)، ظهر خصوم جدد بعد زوال أسلافهم، نذكر بعضاً منهم مع مؤلفاتهم - حسب ترتيب وفياتهم - وبإيجاز:

فكتب **إبراهيم السمنودي**[4] في مصر (ت ١٣٢٦هـ) مصنفاً في مجلدين بعنوان «سعادة الدارين في الرد على الفرقتين الوهابية ومقلدة الظاهرية»[5].

وألف المدعو **مختار أحمد باشا المؤيد**[6] من الشام (ت ١٣٤٠هـ) رسالة سماها «جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام»[7].

وكتب **مصطفى بن أحمد بن حسن الشطي**[8] من الشام (ت ١٣٤٨هـ) رسالة بعنوان «النقول الشرعية في الرد على الوهابية»[9].

---

(١) فقيه مالكي، من دعاة الحكومة العثمانية، له رسائل وفتاوى، انظر: «الأعلام» ٣٢٦/١، «معجم المؤلفين» ٢٦٣/٢.

(٢) حصلت على صورة خطية منه عن طريق معهد المخطوطات بالكويت، وانظر مناسبة تأليف هذا الكتاب من تاريخ ابن أبي الضياف ٦٤/٣.

(٣) أحمد سعيد، صوفي، ولد سنة ١٢١٣هـ، انظر: «معجم المؤلفين» ٢٣٢/١.

(٤) إبراهيم بن عثمان السمنودي الأزهري، له مؤلفات، انظر: «الأعلام» ٥٠/١، و«معجم المؤلفين» ٥٧/١.

(٥) طبع في مصر سنة ١٣١٩هـ.

(٦) ولد مختار في دمشق سنة ١٢٣٧هـ، وتوفي بها، زار المدينة ومصر، له مؤلفات، انظر: «الأعلام» ١٩١/٧.

(٧) طبع في دمشق ١٣٣٠هـ.

(٨) ولد سنة ١٢٧٢هـ، حنبلي صوفي، ولي التدريس والقضاء.

(٩) طبعت ضمن رسائل ضد الدعوة السلفية، في مصر، أكثر من مرة.

**أما يوسف النبهاني**[1] من بيروت (ت ١٣٥٠هـ) فله كتاب بعنوان «شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق»[2] تضمن الطعن في الوهابيين وابن تيمية وغيرهم، لأنهم منعوا الاستغاثة بالموتى.

**ونظم القصيدة المسماة «الرائية الصغرى»**[3] في الافتراء على الوهابيين.

**وكتب جميل صدقي الزهاوي**[4] أحد شعراء العراق (ت ١٣٥٤هـ) كتاباً سماه «الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق»[5] فالشاعر الزهاوي ينكر على الوهابيين تحريمهم الاستغاثة بالأموات وتحريم الغلو فيهم.

**وفي الشام ـ أيضاً ـ كتب محمد عطاء الكسم**[6] (ت ١٣٥٧هـ) رسالة بعنوان «الأقوال المرضية في الرد على الوهابية»[7].

**وأما يوسف الدجوي**[8] **من مصر** (ت ١٣٦٥هـ) فقد حشى مجلة

---

(١) يوسف بن إسماعيل النبهاني، عمل في القضاء والصحافة، له عدة كتب، كما أن له نظماً، يقول عنه محمد رشيد رضا: كتبه مملوءة بالروايات الموضوعة والمنكرة وكان يروج كتبه لكي يمهد بذلك السبيل لادعاء المهدية لنفسه، انظر: «الأعلام» ٢١٨/٨، و«المنار» م ١٣، ج ١٠، ص ٧٩٧.

(٢) طبع في مطبعة الحلبي بمصر.

(٣) طبعت عدة مرات.

(٤) ولد الزهاوي سنة ١٢٧٩هـ في بغداد، وتوفي بها، وتقلب في عدة مناصب، له عدة كتب ومقالات، يقول محمد رشيد رضا عنه: سمعت من كثير من الذين عرفوا الزهاوي في الأستانة أنه ملحد لا يدين بدين وقد تهجم الزهاوي على الشريعة الإسلامية وطعن فيها..
انظر: «الأعلام» ١٣٧/٢، «المنار» م ١٣، ج ١١ ص ٨٤١، أم القرى ع ١٠٣.

(٥) طبع في مصر سنة ١٣٢٣هـ، وطبع أخيراً في استانبول بتركيا.

(٦) فقيه حنفي، ولد بدمشق وتوفي بها، وكان مفتياً لسوريا، وله مؤلفات.
انظر: «معجم المؤلفين» ٢٩٣/١٠.

(٧) طبعت في المطبعة العمومية بمصر سنة ١٩٠١م.

(٨) من علماء الأزهر، ولد في إحدى قرى مصر سنة ١٢٨٧هـ، وله عدة كتب.
انظر: «الأعلام» ٢١٦/٨.

نور الإسلام بمقالات متعددة[1] يطعن فيها في عقيدة السلف الصالح التي دعا إليها أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

**وأما محسن الأمين العاملي**[2] أحد شيعة العراق (ت ١٣٧١هـ) فله كتاب بعنوان «كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبدالوهاب»[3].

**كما أن لأحمد بن داود بن جرجيس**[4] (ت ١٣٦٧هـ) من العراق، رسالة بعنوان «المواهب الرحمانية في الرد على الوهابية».

**وطعن محمد جميل الشطي**[5] (ت ١٣٧٩هـ) من الشام في الوهابية في كتابه «الوسيط بين الإفراط والتفريط».

**وكتب حسن الطباطبائي**[6] من العراق (ت ١٣٨٠هـ) مصنفاً سماه «البراهين الجلية في تشكيكات الوهابية»[7]، دافع فيه عن الإمامية، وطعن في الوهابية وعقائدهم.

**ومن الكتابات المعاصرة** التي ناهضت الدعوة السلفية، ما كتبه حسن بن حسن خزبك[8]، فله رسالة بعنوان «المقالات الوفية في الرد على

---

(١) انظر: مجلة نور الإسلام م ١ ص ٥٨٨ ـ ٥٩١، م ٢ ص ٢٩ ـ ٣٧، ص ١١٤ ـ ١٣١، ٢٨٢ ـ ٨٩٠، م ٤ ص ٢٥٥ ـ ٢٦٠، م ٥ ص ٥١٩ ـ ٥٢٧.

(٢) من مجتهدي الإمامية، ولد في إحدى قرى العراق سنة ١٢٨٢هـ، وتوفي بدمشق، له عدة مؤلفات، انظر: «الأعلام» ٢٨٧/٥.

(٣) طبع بدمشق سنة ١٣٤٦هـ وأعاد ابنه طبعه ـ مع زيادات ـ سنة ١٩٦٢م.

(٤) متصوف، عمل مدرساً ووزيراً، واشتغل بالوعظ، له رسائل.
انظر: «الأعلام» ١٢٣/١.

(٥) ولد بدمشق سنة ١٣٠٠هـ، وله مؤلفات في الأدب والتاريخ واشتغل بالقضاء والإفتاء.
انظر: «النعت الأكمل» ص ٤٣١.

(٦) لم أعثر له على ترجمة، وكان معاصراً للشيخ ابن سحمان (ت ١٣٤٩هـ) حيث رد عليه بكتاب ـ لا يزال مخطوطاً ـ سماه «الحجج الواضحة الإسلامية».

(٧) طبعت عدة مرات.

(٨) لم أعثر له على ترجمة، وقد قرظ كتابه يوسف الدجوي (ت ١٣٦٥هـ).

الوهابية»[1].

**وصنف مصطفى الكريمي**[2] رسالة «السنيين في الرد على المبتدعين الوهابيين»[3].

**وألَّف عبدالقادر الإسكندراني**[4] من دمشق الشام رسالة بعنوان «النفحة الزكية في الرد على شبه الفرقة الوهابية».

**ثم جاء المدعو محمد توفيق سوقية من الشام**[5] فكتب ما أسماه «تبيين الحق والصواب بالرد على أتباع ابن عبدالوهاب»[6].

**وكتب محمد بن أحمد نور**[7] من السودان رسالة في الطعن على عقائد الوهابيين[8].

**كما كتب الشيعي المعاصر** محمد جواد مغنية رسالة بعنوان «هذه هي الوهابية»[9].

**وجمع محمد طاهر يوسف** بعض الأقوال الكاذبة والنقول المتردية في كتاب سماه «قوة الدفاع والهجوم» رداً على الدعوة السلفية.

---

(١) طبعت ضمن رسائل ضد الدعوة السلفية أكثر من طبعة.

(٢) لم أعثر على ترجمة له.

(٣) طبعت هذه الرسالة في مصر.

(٤) لم أعثر له على ترجمة، وكان معاصراً للشيخ محمد بن علي بن تركي (ت ١٣٨٠هـ) حيث رد عليه.
انظر: «النفخة على النفحة» ص ٢، ٣.

(٥) لم أعثر له على ترجمة.

(٦) طبعت في دمشق، وقد نقد محمد رشيد رضا هذين الكتابين ـ الأخيرين في مجلة المنار م ٢٤، ح ٤، ص ٣٢٠.

(٧) لم أعثر له على ترجمة.

(٨) انظر الرد على هذا الكتاب: تدمير أباطيل محمد بن أحمد نور للشيخ طالح بن أحمد.

(٩) طبعت عام ١٩٦٤م.

وكذلك **مالك بن داود**[1] من بلاد مالي أَلَّف كتاباً سقيماً بعنوان فضفاض «الحقائق الإسلامية في الرد على المزاعم الوهابية»[2].

**ومن أشد الخصوم المعاصرين** - الآن - عداوة ومحاربة للدعوة السلفية: حسين حلمي بن سعيد أيشيق[3] من أستانبول بتركيا، وهو صاحب مكتبة تقوم بطبع ونشر الكتب المناوئة للدعوة السلفية التي جددها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ويوزعها إلى سائر الأقطار وبالمجان، وهذه الكتب إما باللغة العربية، أو الفارسية، أو الإنجليزية، وغيرها من اللغات، فكثيرٌ من كتب المناوئين أعاد طباعتها عدة مرات وإرسالها إلى مختلف البلاد، كما أَنَّ له كتباً باللغة التركية، وبعضها مترجم إلى العربية تحوي الطعن والتجريح في الدعوة السلفية.

**ومما يجدر التنبيه عليه أن كتبه ومطبوعات مكتبته لها رواج وانتشار في بلاد المسلمين**، وهذا ظاهر من خلال الخطابات من بعض الأفراد والمؤسسات التعليمية التي تبدي مشاعرها وشكرها العميق لهذه الكتب المهداة إليهم، والاعتراف بخطر الوهابية ووجوب محاربتها، وهذه الرسائل تكون مدونة في آخر الكتب التي يقوم بطبعها.

**وليس المراد من إيراد تلك المؤلفات المناوئة**[4] هو الحصر، وإنما قصدت من ذلك توضيح وبيان هذه الحملة الشرسة ضد الدعوة السلفية،

---

(١) مدير مدرسة بإحدى مدن مالي، انظر خاتمة كتابه المذكور.

(٢) طبع لأول مرة سنة ١٤٠٣هـ في تركيا.

(٣) ولد حسين حلمي أيشيق سنة ١٩٠٥م، التحق بالدراسة العسكرية، واشتغل بالسياسة، والتزم بالطريقة النقشبندية، يمتلك صحيفة يومية وله نشرات دورية، ويمتلك مكتبة الحقيقة في استانبول، يحرص على طبع الكتب - بمختلف اللغات - التي تناهض الدعوة السلفية الوهابية، له شطحات وانحرافات متعددة عن دراسة كتبها الشيخ: إسماعيل بن عتيق حول هذا الرجل وشيء من فكره (غير منشورة).

(٤) لمعرفة مؤلفات مناوئة أخرى:
انظر: فهرست المطبوعات العراقية (١٨٥٦ - ١٩٧٢) ١/١٦٨ - ١٧٣.
انظر: فهرس الخزانة التيمورية ٣/٤ - ١٤٠.

ومدى الكثرة الهائلة لتلك المؤلفات، وسعة انتشارها، ورواجها ليكون ذلك دافعاً من أجل أن يتيقظ حملة عقيدة السلف، فيحرصوا على مجابهة تلك المؤلفات، ويبذلوا جهودهم في نصرة معتقدهم الصحيح.

**وأما عن موقف علماء الدعوة من تلك المؤلفات المناوئة فهم** ـ رحمهم الله جميعاً ـ مع انشغالهم بالغزو والجهاد في سبيل الله، وتوليهم القضاء والفتيا وتعليم الناس، مع ذلك الانشغال فقد دافعوا عن الدعوة السلفية فكتبوا المؤلفات المتعددة في دحض أكاذيب الخصوم، والجواب عن شبهاتهم ومناظرتهم ومناقشتهم ـ وسنورد طرفاً من تلك المؤلفات فيما يلي:

**كان الشيخ الإمام من أوائل الذين كتبوا الردود ضد** تلك المؤلفات المناوئة، فقد كتب جواباً مفصلاً شافياً في الرد على رسالة أخيه سليمان(1)، كما أن الرسائل الشخصية للشيخ قد تضمنت مختلف الردود، وأنواع الأجوبة على دعاوى المناوئين ورسائلهم.

**وكتب الشيخ أحمد بن مانع**(2) (ت ١١٨٦هـ) وهو أحد تلاميذ الشيخ الإمام رسالة رد بها على عبدالله المويس أحد خصوم الدعوة، وكان المويس يثبط الناس عن صلاة الجماعة ويهون أمرها، فكتب الشيخ أحمد بن مانع هذا الرد موضحاً وجوب صلاة الجماعة بالأدلة، ومدافعاً عن الشيخ ودعوته بالبراهين الواضحة الدامغة(3).

**كما كتب محمد بن غيهب ومحمد بن عيدان**(4) ـ وهما من تلاميذ

---

(1) سمي هذا الجواب فيما بعد بـ «مفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد» وقد أورد ابن غنام هذه الرسالة بدون هذا العنوان، كما أن الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن نقل من هذه الرسالة ولم يذكرها بهذا الاسم كما جاء في الدرر السنية ٢٠١/٩.

(2) هو أحمد بن مانع بن إبراهيم التميمي، من بلدة أشيقر، توفي في الدرعية سنة ١١٨٦هـ.
انظر: «علماء نجد» ١٨٢/١.

(3) انظر: «علماء نجد» ١٨٢/١ ـ ١٨٣.

(4) لم أعثر لهما على ترجمة.

الشيخ الإمام - إلى المويس ينصحانه ويدعوانه إلى اتباع العقيدة السلفية[1]، وكتب كل من الشيخ محمد بن علي بن غريب[2] (ت ١٢٠٩هـ) والشيخ حمد بن معمر[3] (ت ١٢٢٥هـ) والشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب[4] (ت ١٢٤٢هـ) كتاباً نفيساً بعنوان «التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق»[5]، وقد طبع كتاب «التوضيح عن

---

(١) انظر: «علماء نجد» ٦٠٥/٢ - ٦٠٦.

(٢) أحد تلاميذ الشيخ الإمام، وقد تزوج بنت الشيخ، وتلاميذه من كبار علماء نجد، توفي مقتولاً سنة ١٢٠٩هـ.
انظر: «علماء نجد» ٩١٥/٣.

(٣) من كبار علماء نجد، تعلم في الدرعية، ثم درس بها، بعثه الإمام عبدالعزيز الأول سنة ١٢١١هـ إلى مكة ليناظر علماءَها، وقد ظهر عليهم، وأذعنوا لحجته، وعينه سعود الكبير رئيساً لقضاة مكة، توفي بمكة.
انظر: «علماء نجد» ٢٣٩/١، و«مشاهير علماء نجد» ص ٢٠٢.

(٤) ولد في الدرعية سنة ١١٦٥هـ، برز في عدة علوم، له رسائل مفيدة، وعرف بالشجاعة، وأبناؤه علماء، توفي في مصر حين نقل إليها.
انظر: «مشاهير علماء نجد» ص ٤٨، «علماء نجد» ٤٨/١.

(٥) الذي دفعني إلى نسبة هذا الكتاب إلى هؤلاء العلماء الثلاثة هو أني عثرت على تعليق خطي كتبه الشيخ سليمان الصنيع رحمه الله على نسخته ذكر أن هؤلاء مؤلفو الكتاب، ونقل ذلك عن الشيخ محمد بن عبداللطيف، وابن مانع، فليس الكتاب من تأليف الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ويؤيد ما ذكره الصنيع الأمور التالية:
١ - أن البسام في «علماء نجد» ٩١٦/٣ نفى نسبة الكتاب للشيخ سليمان وأثبته لابن غريب المذكور.
٢ - جاء في ترجمة الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب في الدرر السنية ٤٤٤/١٢ (وله مشاركة في كتاب التوضيح).
كما ذكر القاضي في «روضة السنين» ٣٢٣/١ أن من مؤلفات الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب كتاب «التوضيح عن توحيد الخلاق».
٣ - وذكر الشيخ فوزان الشابق في كتابه «البيان والإشهار» ص ٥٤ أن كتاب «توحيد الخلاق في أجوبة العراق» من مؤلفات الشيخ حمد بن ناصر بن معمر.
وبهذا يعلم أن كتاب «التوضيح» قد اشترك فيه هؤلاء الثلاثة الأعلام، ومما يجدر التنبيه عليه أن الشيخ الصنيع ذكر محمد بن عليبن غريب باسم أحمد بن محمد بن =

توحيد الخلاق في جواب أهل العراق»[1] وهو رد على عبدالله الراوي[2] - من العراق - فإنه لما بلغت رسائل الشيخ الإمام - في أواخر القرن الثاني عشر - الوزير سليمان باشا الكبير، كتب عبدالله الراوي رداً عليها[3]. فكان كتاب «التوضيح» جواباً عن ذلك الرد.

ودافع **حسين بن غنام الإحسائي (ت ١٢٢٥هـ)** مؤرخ نجد عن شيخه محمد بن عبدالوهاب، وكتب قصيدة في الرد على محمد بن فيروز[4].

وقد تضمنت رسائل **الشيخ حمد بن ناصر بن معمر** ردوداً كثيرة وأجوبة نافعة ضد مؤلفات المناوئين ورسائلهم، منها «النبذة الشريفة النفيسة

---

= غريب، ولم أعثر على ترجمة بهذا الاسم، فلعله خطأ أو تصحيف من الشيخ الصنيع. وفي تعليق الشيخ عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ على كتاب «عنوان المجد» ذكر - رحمه الله - أن الشيخ محمد بن علي بن غريب من المخالفين للدعوة.
انظر: «عنوان المجد» ١/١٣٣.
وربما كان هذا الحكم ناشئاً عن التأثر بمخطوطة «السحب الوابلة» لأن ابن حميد زعم أن ابن غريب كان موافقاً لدعوة الشيخ الإمام في الظاهر، ومخالفاً لهم في الباطن، ولا يستغرب الكذب من ابن حميد خاصة أنه كذب بنفس الأسلوب السابق، وفي نفس الصفحة على الشيخ عبدالعزيز بن محمد - سبط الشيخ الإمام - فزعم أنه لم تدخل الدعوة في قلبه، بل إن ابن حميد قد افترى أشد وأشنع - مما نقله عنه - على الشيخ الإمام.
انظر: «السحب الوابلة» ٧٠٠ - ٧٠١.
مع الإشارة إلى أن ابن حميد ذكر ابن غريب باسم «عبدالله بن غريب» والمذكور في «عنوان المجد» ١/١٣٣ أنه: محمد بن غريب، وهو الذي صححه صاحب «مشاهير علماء نجد» ص ٢١٢، وهو الذي أثبته البسام في كتابه «علماء نجد» ٣/٩١٥، والله أعلم.

(١) طبع الكتاب في مصر سنة ١٣١٩هـ بالمطبعة الشرقية، وأعيدت طباعته أخيراً في الرياض سنة ١٤٠٤هـ.
(٢) لم أعثر له على ترجمة.
(٣) انظر: ذكرى أبي الثناء الآلوسي ص ٣٤، ٣٥.
(٤) وتبلغ أبياتها ستة وسبعين بيتاً.
انظر: «تاريخ ابن غنام» ط أبا بطين ٢/١٩٠ - ١٩٢.

في الرد على القبوريين»[1]، وكذلك رسالة «الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب»[2] وغيرهما.

وكتب **الشيخ عبدالعزيز بن حمد**[3] (ت ١٢٤٠هـ) سبط الشيخ الإمام جواباً بيناً عن الرسالة المسماة «المسائل الشرعية إلى علماء الدرعية»[4].

**وسطر الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب كتاباً مهماً في رد دعاوى الشيعة بعنوان** «جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية»[5]، وهذا الكتاب رد على بعض علماء الزيدية فيما اعترض به على دعوة التوحيد.

وكتب **أحمد بن محمد الكتلاني** مؤلفاً دافع فيه عن عقيدة الشيخ الإمام، ورد دعاوى الخصوم وأكاذيبهم، وسمى الكتاب بـ«الصيب الهطال في كشف شبه ابن كمال»[6].

**وأما الشيخ عبدالله بن عبدالرحمٰن أبو بطين** (ت ١٢٨٢هـ) مفتي الديار النجدية ـ آنذاك ـ فله كتاب نفيس رد فيه على دعاوى العراقي، واسم الكتاب «تأسيس التقديس في الرد على داود بن جرجيس»، وهو كتاب طويل وقد سبق هذا الكتاب رد موجز سماه بعض تلاميذ الشيخ أبو بطين «الانتصار»[7].

---

(١) وقد طبعت ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٥٩٢/٤، وكذا الدرر السنية ٣/٩، كما طبعت مستقلة وهي عبارة عن أجوبة على أسئلة محمد بن أحمد الحفظي اليمني.

(٢) وقد طبعت عدة مرات، وهي في الحقيقة إجابة عن أسئلة علماء مكة الذين ناظرهم الشيخ حمد بن معمر سنة ١٢١١هـ.

(٣) سبط الشيخ الإمام، تولى قضاء الدرعية، وبعد سقوطها؛ تولى القضاء في عنيزة، ثم في سوق الشيوخ في العراق، وتوفي بها.

(٤) وقد طبعت ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٥٦٤/٤، وسميت بـ«الأجوبة السنية على الأسئلة الحفظية».
انظر: «مجموعة الرسائل» ٥٨٤/٤.

(٥) وقد طبعت هذه الرسالة ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٤٧/٤، ثم طبعت مستقلة.

(٦) سبق الحديث عن الكتاب ومؤلفه.

(٧) انظر كتاب: «تأسيس التقديس» ص ٣، ص ٦٣.

**وكتب الشيخ محمد بن ناصر الشريف التهامي اليمني (ت ١٢٨٣هـ)** رداً مفحماً وجواباً مقنعاً على دعاوى ابن جرجيس، واسم كتابه «إيقاظ الوسنان على بيان الخلل الذي في صلح الإخوان».

**وأما الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب (ت ١٢٨٥هـ)** فمن أشهر ردوده على داود الكتاب المسمى بـ«القول الفصل النفيس في الرد على داود بن جرجيس»[1]، وله رسائل متعددة وكثيرة في الرد على عثمان بن منصور، وله رسالة بعنوان «المورد العذب الزلال في كشف شبه أهل الضلال»[2] وهي رد على مفتريات رجل من أهل الخرج، وله رد على ابن حميد صاحب «السحب الوابلة» بعنوان «بيان المحجة في الرد على اللجة»[3]، حيث إن ابن حميد دافع عن الأبيات الشركية في بردة

---

(١) تعددت أسماء هذا الكتاب، منها:
الرد النفيس على شبهات ابن جرجيس.
تأسيس التقديس في الرد على داود بن جرجيس.
كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس.
انظر: «مجلة الدارة» س ٥، ع ٤، ص ٩١، ٩٢، مقال آثار الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن لأحمد الحكمي، ويبدو ـ والله أعلم ـ أن للتلاميذ والأتباع دور في إنشاء تلك الأسماء، فيلاحظ أن بعض أئمة الدعوة يكتب رداً أو جواباً بلا عنوان مختار فيأتي من بعده ويتخذ له عنواناً يناسب محتوى ذلك الكتاب، وهذا أمر ظاهر في رسائل أئمة الدعوة، فمثلاً جواب الشيخ الإمام على أخيه سليمان سمي بـ«مفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد» والرد الموجز الذي كتبه أبو بطين جواباً على شبهات داود بن جرجيس سماه بعض تلاميذ أبو بطين بـ«الانتصار» كما ذكر في مقدمة كتابه «تأسيس التقديس».
كما أن الشيخ عبداللطيف حين كتب الرد المختصر على ابن جرجيس لم يذكره باسم المطبوع الآن «دلائل الرسوخ في الرد على المنفوخ» أو «تحفة الطالب والجليس في الرد على ابن جرجيس» يقول الشيخ عبداللطيف في منهاج التأسيس ـ وهو الرد المطول على داود ـ:
وقد كتبنا فيما تقدم من الرد المختصر.. ص ٢٣٧، ثم ذكر كلاماً مطابقاً لما ذكره في دلائل الرسوخ ـ الرد المختصر ـ ص ٩٣.
كما أن جوابه على شبهات الصحاف سمي بـ«الإتحاف في الرد على الصحاف».

(٢) طبع ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٢٨٩/٤ ـ وطبع مستقلاً.

(٣) اللجة: لقب لابن حميد، انظر: «مجموعة التوحيد» ط آل ثاني، ص ٤٣٥.

البوصيري، ورد على جواب شيخه الشيخ أبي بطين رحمه الله لما أجاب بما هو حق عن تلك الأبيات، ومن ثم كتب الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن هذا الجواب النافع.

**وقد رد الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن** بقصيدة شعرية على قصيدة ابن منصور التي مدح فيها داود وحثه على مناهضة أئمة الدعوة[1].

**كما كتب - أيضاً الشيخ عبدالرحمٰن بن محمد بن مانع[2] (ت ١٢٨٧هـ)** قصيدة رداً على ابن منصور، ومنتصراً للعقيدة السلفية[3].

**وقد تعددت مؤلفات الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن (ت ١٢٩٢هـ) في الرد على مفتريات الخصوم وشبهاتهم**، فكتب رداً مختصراً على داود سمي بـ«دلائل الرسوخ في الرد على المنفوخ»[4]، ثم أتبعه برد مطول بعنوان «منهاج التأسيس والتقديس في الرد على داود بن جرجيس»[5].

**وأما ردوده على ابن منصور**، فقد كتب رحمه الله كتاباً قيماً بعنوان «مصابح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام»[6]، وكتب الشيخ عبداللطيف رسائل أخرى متعددة في بيان تلبيس ابن منصور ورد كيده[7].

**كما أن له قصيدة يرد بها على قصيدة ابن منصور** التي يمدحه بها داود العراقي[8]، وللشيخ قصيدة تبلغ ثلاثة وتسعين بيتاً في الرد على البولاقي

---

(١) انظر: «علماء نجد» ٦٩٦/٣.

(٢) ولد في شقراء، وطلب العلم في الرياض، ولاه الإمام فيصل القطيف، له رسائل وقصائد، توفي بالإحساء.
انظر: «مشاهير علماء نجد» ص ٢٣٩، «علماء نجد» ٤١٩/٢.

(٣) انظر: «علماء نجد» ٦٩٧/٣.

(٤) طبع أولاً سنة ١٣٠٥هـ، ثم طبع ضمن: الدرر السنية ٢٨٧/٩.

(٥) طبع مرتين: الأولى في الهند، والأخرى في مصر.

(٦) طبع ثلاث مرات: في الهند ثم مصر وأخيراً في الرياض.

(٧) انظر: الدرر السنية، الجزء التاسع (مختصرات الردود).

(٨) انظر: الدرر السنية ٣٤٩/٩.

المصري الذي كتب قصيدة عارض فيها منظومة الأمير الصنعاني في مدحه للشيخ محمد[1].

**وقد زخرت رسائل الشيخ عبداللطيف بالحجج الدامغة** والردود النافعة على دعاوى المناوئين ومؤلفاتهم.

**ونظم الشيخ عبدالعزيز بن حسن الفضلي**[2] (ت ١٢٩٩هـ) قصيدة يرد بها على ابن منصور لما مدح شيخه داود العراقي[3].

**وكتب الشيخ صالح بن محمد الشتري**[4] كتاباً مفيداً في الرد على دحلان واسمه «تأييد الملك المنان في نقض ضلالات دحلان»[5].

**وكذلك الشيخ ابن عتيق**[6] (ت ١٣٠١هـ) نظم قصيدة في الرد على ابن منصور[7].

**وللشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن بن حسن**[8] (ت ١٣١٩هـ) رد على أمين بن حنش البغدادي[9].

---

(١) انظر: الدرر السنية ٣٧٤/٩.

(٢) ولد في بلدة ملهم، عرف بسرعة البت في القضاء، له مراسلات علمية مع بعض العلماء.
انظر: «مشاهير علماء نجد» ص ٢٤٢، «علماء نجد» ٤٣٨/٢.

(٣) انظر: «علماء نجد» ٤٣٨/٢.

(٤) لم أعثر له على ترجمة، وهو من تلاميذ الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن، وبينهما مراسلات علمية.

(٥) وهو لا يزال مخطوطاً في المكتبة السعودية.

(٦) ولد الشيخ حمد في الزلفى سنة ١٢٢٧هـ، وطلب العلم في الرياض، وتولى القضاء في عدة بلدان، له عدة مؤلفات، توفي في الأفلاج.
انظر: «علماء نجد» ٢٢٨/١، «مشاهير علماء نجد» ص ٢٤٤.

(٧) انظر: «علماء نجد» ٦٩٧/٣.

(٨) ولد بالرياض سنة ١٢٧٥هـ وتعلم بها، ثم طلب العلم في الهند، له رسائل، توفي بالرياض.
انظر: «مشاهير علماء نجد» ص ١٢٢، «علماء نجد» ٢٠٥/١٠.

(٩) انظر: الدرر السنية ٤٠٦/٩.

**وألَّف العالم الهندي محمد بشير السهسواني** (ت ١٣٢٦هـ) كتابه القيم في الرد على أباطيل دحلان، وسماه «صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان»[١].

**وأما الشيخ حسين بن حسن بن حسين** بن علي بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب[٢] (ت ١٣٢٩هـ) فقد أنشأ قصيدة رائية تبلغ سبعين بيتاً في الرد على أمين بن حنش[٣]، كما أن له قصيدة تصل إلى مائتي بيت في الرد على النبهاني[٤].

**وسطر الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف** بن عبدالرحمٰن بن حسن[٥] (ت ١٣٢٩هـ) قصيدة تبلغ أبياتها أربعة وتسعين بيتاً في الرد على أمين حنش البغدادي[٦].

**وكتب الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى**[٧] (ت ١٣٢٩هـ) ردوداً كثيرة على المخالفين للعقيدة السلفية التي جددها الشيخ الإمام، منها كتاب بعنوان «الرد على شبهات المستعينين بغير الله»[٨]، وكتاب «الرد على ما جاء في

---

(١) طبع الكتاب في عهد المؤلف منسوباً إلى الشيخ عبدالله بن عبدالرحمٰن بن عبدالرحيم السندي، ثم طبع بعده منسوباً إليه عدة طبعات.

(٢) ولد بالرياض سنة ١٢٨٤هـ، وتعلم بها، له مؤلفات، كما أن له شعراً، نزح إلى عمان، وسكن جزيرة زعاب، وتوفي بها.
انظر: «مشاهير علماء نجد» ص ١٢٧، «علماء نجد» ٢١٩/١.

(٣) انظر: «مشاهير علماء نجد» ص ١٢٧، ١٢٨.

(٤) انظر المصدر قبله.

(٥) ولد بالرياض سنة ١٢٨٠هـ، وتعلم بها، له فتاوى وتلاميذ.
انظر: «مشاهير علماء نجد» ص ١٢٥، «علماء نجد» ١٢٦/١.

(٦) انظر: «علماء نجد» ١٢٧/١.

(٧) ولد بشقراء سنة ١٢٥٣هـ، وطلب العلم في الرياض، ومارس التجارة، له مؤلفات من أهمها: شرح نونية ابن القيم، وله تلاميذ، وتولى القضاء.
انظر: «مشاهير علماء نجد» ص ٢٦٠، «علماء نجد» ١٥٥/١.

(٨) ذكر ابن عيسى في مقدمة هذا الكتاب أنه رد على كتاب «أنموذج الحقائق» ولم يذكر مؤلفه، وصاحب كتاب «مشاهير علماء نجد» والبسام يذكران أن هذا الكتاب ـ الرد =

خلاصة الكلام من الطعن على الوهابية والافتراء لدحلان»[١]، كما أن له قصيدة رد بها قصيدة ابن منصور في مدحه لابن جرجيس[٢]، ونظم الشيخ علي بن سليمان اليوسف[٣] (ت ١٣٣٧هـ) قصيدة رد بها على النبهاني في رائيته التي افترى بها على الوهابيين[٤].

وكتب **علامة العراق محمود شكري الآلوسي** (ت ١٣٤٢هـ) سفراً نفيساً في الرد على يوسف النبهاني بعنوان «غاية الأماني في الرد على النبهاني»[٥]، كما أتم رحمه الله كتاب «منهاج التأسيس» للشيخ عبداللطيف، حيث إن الشيخ عبداللطيف مات قبل أن يتمه[٦]، فأكمله الآلوسي بعنوان «فتح المنان تتمة منهاج التأسيس رد صلح الإخوان»[٧].

**ونظم الآلوسي قصيدة في الرد على قصيدة النبهاني**، حيث إن النبهاني لما اطلع على غاية الأماني، نظم قصيدة طويلة ركيكة سب فيها الشيخ الإمام مجمد بن عبدالوهاب وغيره من المصلحين، فرد عليه محمود بقصيدة سماها «الآية الكبرى على ضلال النبهاني في رائيته الصغرى»[٨].

---

= على شبهات المستعينين بغير الله ـ رد على ابن جرجيس وقد طبع الكتاب أكثر من مرة.

(١) يذكر صاحب «مشاهير علماء نجد» أن هذا الكتاب مخطوط، ولم أعثر عليه وقد ذكر البسام أن لابن عيسى كتاب «تهديم المباني في الرد على النبهاني».

(٢) انظر: «علماء نجد» ٦٩٧/٣، وللشيخ ابن عيسى رد طويل بعنوان النبيه والغبي في الرد على المدارسي والحلبي، طبع مع مجموعة كتب سنة ١٣٢٩هـ، بمصر.

(٣) نشأ في بغداد، وتعلم بها، وهو شاعر جيد.
انظر: «علماء نجد» ٧١٦/٣.

(٤) انظر: «علماء نجد» ٧١٨/٣.

(٥) طبع لأول مرة منسوباً إلى (أبي المعالي الشافعي السلامي) ثم طبع منسوباً إلى الآلوسي عدة مرات.

(٦) حيث اشتغل الشيخ عبداللطيف بالرد على ابن منصور، فألف رحمه الله مصباح الظلام.
انظر: المقدمة التي كتبها الشيخ ابن مانع لرسالة دلائل الرسوخ ص ٩.

(٧) طبع مع المنهاج في مصر سنة ١٣٦٦هـ.

(٨) انظر: مقدمة كتاب «المسك الأذفر» ص ٢٧، «مشاهير علماء نجد» ص ٤٧٧.

**كما أن الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى**[1] (ت ١٣٤٣هـ) نظم قصيدة في نحو مئتي بيت في الرد على رائية النبهاني[2].

**أما الشيخ سليمان بن سحمان (ت ١٣٤٩هـ)** فهو صاحب القلم السيال في الرد على مؤلفات الخصوم ورسائلهم، وقد تعددت مؤلفاته وكثرت ـ ولله الحمد ـ فمما كتبه في الرد على الخصوم ما يلي:

**الأسنة الحداد في الرد على علوي الحداد**، وكشف غياهب الظلام عن جلاء الأوهام ـ في الرد على مختار أحمد المؤيد ـ والصواعق المرسلة الشهابية في الرد على الشبه الشامية، في الرد على محمد عطاء الكسم ـ، والضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، يعني جميل الزهاوي العراقي ـ، وتبرئة الشيخين الإمامين من تزوير الكذب والمين ـ، في الدفاع عن الشيخين الإمام والأمير الصنعاني، والبيان المجدي لشناعة القول المجدي ـ، في الرد على بابصيل المكي ـ وغيرها[3].

**ومن آخر كتبه التي ألفها** ـ رحمه الله ـ هو كتاب «الحجج الواضحة الإسلامية في رد شبهات الرافضة الإمامية»، وهو مخطوط.

**وأما عن ردوده عبر القصائد الشعرية فهي كثيرة جداً**، فقد نظم رحمه الله ديواناً بعنوان «عقود الجواهر المنضدة الحسان»، وغالبه ردود على أئمة الضلال الذين ناهضوا الدعوة السلفية، مثل ابن دحلان، والزهاوي، وشرف، والنبهاني، والعجلي وغيرهم.

**ومن أشهر قصائده رائيته التي رد بها على رائية النبهاني**، وقد بلغت أربعمائة بيت[4].

---

(١) ولد ببلدة أشيقر سنة ١٢٧٠هـ، قام برحلات متعددة، له عناية فائقة بكتابة التاريخ، توفي في عنيزة.
انظر: «مشاهير علماء نجد» ص ٢٨٥، «علماء نجد» ١/١١٧.

(٢) انظر: «علماء نجد» ١/١٢٤.

(٣) غالب كتب الشيخ ابن سحمان طبع في الهند أولاً، ثم أعيدت طباعته مرة أخرى.

(٤) انظر: ديوانه الطبعة الهندية، لأن الطبعة التي بعدها محرفة وناقصة. =

وكتب **عبدالكريم بن فخرالدين** رداً شافياً على دحلان، بعنوان «الحق المبين في الرد على الوهابية المبتدعين».

ونظم **الشيخ ناصر بن سعود الشويمي**[1] (ت ١٣٥٠هـ) قصيدة تزيد عن أربعين بيتاً في الرد على أمين بن حنش البغدادي الذي انتصر للشرك وأهله، في قصيدة نظمها[2].

وكذلك **الشيخ محمد رشيد رضا**[3] من مصر (ت ١٣٥٤هـ) دافع عن الدعوة السلفية في مجلته الشهيرة «المنار» وحرص على نشر كتب أئمة الدعوة وطبعها، وكان من آثار دفاعه عن تلك الدعوة ما كتبه في رسالته «السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة»[4]، حيث رد على الرافضة أعداء السلف الصالح قديماً وحديثاً.

وأما **الشيخ محمد بن عثمان الشاوي**[5] (ت ١٣٥٤هـ) فله رسالة في الرد على أحد خصوم الدعوة، بعنوان «القول الأسد في الرد على الخصم الألد»[6]،

---

= وله أيضاً رحمه الله كتب وردود أخرى.
انظر: «مشاهير علماء نجد» ص ٢٩٢.

(١) ولد في شقراء عام ١٢٨٥هـ، وتعلم بها، وطلب العلم في الرياض ثم صنعاء اليمن، ثم جلس للتدريس في شقراء، وتوفي بها.
انظر: «علماء نجد» ٩٦١/٣.

(٢) انظر: «علماء نجد» ٩٦٤/٣.

(٣) ولد في الشام سنة ١٢٨٢هـ، وتعلم بها، مارس الصحافة وزار عدة بلدان، وعمل في السياسة، له عدة مؤلفات.
انظر: «الأعلام» ١٢٦/٦.

(٤) طبع في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٧هـ.

(٥) ولد في البكرية سنة ١٣١٣هـ، وتعلم بها، ثم طلب العلم في الرياض، وتولى القضاء والتدريس، له تلاميذ، توفي في شقراء.
انظر: «مشاهير علماء نجد» ص ٣٣٧، «علماء نجد» ٧٩٧/٣.

(٦) وهي مخطوطة في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود، وهي رد على من سمى نفسه بـ«فتى البطحاء».

كما أن له قصائد في الرد على الهجائيين للدعوة السلفية.

وقد قام **الشيخ عبدالظاهر أبو السمح**[1] (ت ١٣٧٠هـ) بالدفاع عن عقيدة السلف الصالح التي جددها الإمام، فكان من دفاعه أنه ألَّف رسالة في الرد على المخالفين لتلك العقيدة، وعنوان رسالته «الرسالة المكية في الرد على الرسالة الرملية»[2].

وكتب **الشيخ محمود شويل** (ت ١٣٧٢هـ) رسالة نفيسة في الرد على أحد خصوم الدعوة السلفية وكشف اللثام عن وجه الحق، وأزال تلك الاعتراضات واسم كتابه «القول السديد في قمع الحرازي العنيد»[3].

وأما **الشيخ مسعود الندوي** (ت ١٣٧٣هـ) فقد رد على دعاوى الخصوم وفندها في كتابه المفيد «محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه»[4].

وألَّف **الشيخ فوزان بن سابق السابق**[5] (ت ١٣٧٣هـ) كتاباً في الرد على مختار أحمد المؤيد وعنوان الرد «البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار»[6]، وصنف الشيخ محمد بن علي بن تركي[7] (ت ١٣٨٠هـ)

---

(١) ولد سنة ١٣٠٠هـ، وكان إماماً في الإسكندرية، واستقدمه الملك عبدالعزيز إلى مكة وولاه الإمامة والخطابة في الحرم المكي، توفي في القاهرة.
انظر: «الأعلام» ١١/٤.

(٢) طبع في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٩هـ.

(٣) طبع في مطبعة السنة المحمدية بمصر سنة ١٣٧٢هـ.

(٤) ترجمه إلى العربية عبدالعليم البستوي، وطبعته جامعة الإمام سنة ١٤٠٤هـ.

(٥) ولد في بريدة عام ١٢٧٥هـ، وتعلم بها، وطلب العلم في الرياض والهند، ومارس التجارة، وصارت له مشاركة في السياسة، وتوفي في القاهرة.
انظر: «علماء نجد» ٧٥٩/٣.

(٦) طبع في مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة سنة ١٣٧٢هـ.

(٧) ولد في عنيزة سنة ١٣٠١هـ، وزار عدة بلدان، وطلب العلم، ومارس التجارة، وتولى القضاء، توفي في المدينة.
انظر: «علماء نجد» ٩٠٤/٣، «مشاهير علماء نجد» ص ٤٠٢.

رسالة لطيفة في الدفاع عن هذه الدعوة والرد على الإسكندراني[١]... وعنوان رسالة الشيخ ابن تركي «النفخة على النفحة والمنحة»[٢].

**كما أن الشيخ محمد بهجت البيطار**[٣] كتب رسالة موجزة في الرد على الإسكندراني وعنوان رده «نظرة في النفحة الزكية»[٤].

**وكتب أحد علماء نجد رداً على جريدة القبلة الهاشمية**[٥]، لما أوردت بعض الأكاذيب ضد الدعوة السلفية الوهابية.

**ونظم الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم السويح**[٦] قصيدة في الرد على النبهاني[٧]، كما أن الشيخ صالح بن أحمد كتب رداً على محمد بن أحمد نور ـ أحد المناوئين للدعوة السلفية في السودان ـ وعنوان رده «تدمير أباطيل محمد بن أحمد نور بالقرآن والحديث»[٨].

**وقد كتب عبدالله بن علي القصيمي**[٩] كتباً قوياً وأجوبة دامغة في الرد

---

(١) وسمى ابن تركي نفسه ـ أثناء الرد ـ بـ(ناصر الدين الحجازي).
انظر: «علماء نجد» ٩٠٦/٣.

(٢) طبعت في دمشق سنة ١٣٤٠هـ.

(٣) ولد البيطار سنة ١٣١١هـ، وتتلمذ على كبار علماء الشام، وجلس للتدريس، وتولى الخطابة، وعمل في الحجاز، له مؤلفات.
انظر: «تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع» لمحمود سعيد ممدوح ص ١٢٦.

(٤) وسمى محمد بهجت البيطار نفسه ـ أثناء الرد ـ بـ (أبي اليسار الدمشقي).
انظر: «علماء نجد» ٩٠٦/٣، وطبعت في دمشق سنة ١٣٤٠هـ، مع الرسالة السابقة ـ لابن تركي.

(٥) انظر: الرد في مجموعة الرسائل والمسائل ٨٣٠/٤.
وهناك رد آخر على هذه الجريدة، أورد بعضه محمد رشيد رضا في المنار واعتذر عن نشر الباقي لشدة الأسلوب.
انظر: «المنار» م ٢١، ح ٩، ص ٤٩٦.

(٦) لم أعثر له على ترجمة.

(٧) توجد مخطوطة في قسم الوثائق بدارة الملك عبدالعزيز.

(٨) طبع في المطبعة السلفية بمصر.

(٩) مما يجدر التنبيه عليه أن القصيمي قد ألف كتاباً في نصرة الدعوة السلفية ثم ارتد، =

على مؤلفات الخصوم للدعوة السلفية ورسائلهم، ومن أقوى كتبه وأشهرها: «الصراع بين الإسلام والوثنية»[1]، في الرد على محسن الأمين العاملي صاحب «كشف الارتياب»، وله كتاب قوي آخر بعنوان «البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية»[2]، وهو رد على يوسف الدجوي في مسائل التوسل.

**وله كتاب ثالث بعنوان** «الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم»[3]، تضمن ردوداً ظاهرة، وأجوبة ناصعة في رد دعاوى المناوئين، وكتب القصيمي مؤلفاً رابعاً في بيان حقيقة الدعوة الوهابية بعنوان «الثورة الوهابية»[4].

**وألَّف الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي عدة كتب في الدفاع عن هذه الدعوة ومجددها كما** هو ظاهر في كتابه «الشيخ محمد بن عبدالوهاب» وكتابه الآخر «نقض كلام المفترين على الحنابلة السلفيين»، وكتابه الثالث «تنزيه السنة والقرآن عن أن يكون من أصل الضلال والكفران»[5].

---

= واختار طريق الضلالة والإلحاد، وألف كتباً في ذلك وقد تصدى له علماء الدعوة، فردوا عليه مثل ابن يابس والسويح وغيرهما، وسنورد في - هذا البحث - بعض ردود القصيمي، ونستفيد منها متذكرين ما ورد في الحديث: «**إن الله عز وجل ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**»، وفي رواية: «**بأقوام لا خلاق لهم**»، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٠٥/٤، خاصة ونحن لا نعلم بما سيختم الله به حياة هذا الرجل، نسأل الله تعالى الثبات على دينه اهـ كلام الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ. قلت: قد هلك منذ سنوات معدودة، ولم نسمع عنه رجوعاً، واطلعت على بعض كتبه التي ألفها في آخر عمره، وهي كفر صراح، نسأل الله العافية.. (المؤلف).

(١) يتكون هذا الكتاب من مجلدين ثم ظهر له جزء ثالث - فيما بعد - طبع مرتين، الثانية سنة ١٤٠٢هـ.

(٢) طبع في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٥٠هـ.

(٣) طبع في مطبعة التضامن بمصر سنة ١٩٣٤م.

(٤) طبع في مطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٥٤هـ.

(٥) وهذه الكتب الثلاثة مطبوعة متداولة.

وكتب **الشيخ محمد منظور النعماني**[1] **من** علماء الهند رسالة نافعة في الرد على الدعاوى الكاذبة ضد الدعِوة السلفية، بعنوان «دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبدالوهاب»[2].

**وبهذه المؤلفات وغيرها من الوسائل والأساليب التي تنافح عن عقيدة السلف الصالح وتذب عنها**، ويتحقق وعد الله على الدوام، حيث يظهر الحق ويندحر الباطل، الذي مهما انتفش وانتفخ بكثرة مؤلفاته وأتباعه فهو كالزبد يذهب جفاءً.

**يقول الله تعالى**: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾[3].

**ولعل فيما ذكرناه من ردود أئمة الدعوة** وأنصارها ما يلفت الباحث ـ ابتداء ـ إلى هذا التراث الهائل، فيكون إيراد تلك المؤلفات دافعاً لكل منصف أن يطلع عليها وينظر فيها وسيدرك ـ بكل تأكيد ـ ما تحمله هذه الكتب من الحجج الدامغة والبراهين الساطعة الناصعة، التي تعكس سعة علم أولئك الأئمة وعمق فهمهم وقوة أدلتهم ووضوح منهجهم.

**ومما ينبغي ذكره هاهنا** ـ بعد أن سردنا هذه الكتب الكثيرة سواء المناوئة أو المدافعة ـ أن نجيب على سؤال هام وهو:

**ما هي الدوافع والأسباب** التي أدت إلى العداء والمناهضة للدعوة السلفية، حتى صنفت المؤلفات والرسائل والكتب ضد هذه الدعوة وبكميات هائلة، ومن مختلف البلاد والأقطار، وعلى مر السنين والأعوام.

**من خلال الاطلاع على** بعض المراجع التي أشارت إلى تلك الأسباب، ومن خلال مطالعة وتتبع كتب الخصوم فإنه يمكن إيجاز أبرز هذه الدوافع والأسباب بما يلي:

---

(١) انظر: ترجمته في مقدمة كتابه دعايات مكثفة.

(٢) طبع في لكهنوء بالهند.

(٣) سورة الصافات، الآيات: ١٧١ ـ ١٧٣.

**لعل من أبرز الأسباب** التي أدت إلى تشنيع الخصوم في مؤلفاتهم أثناء ظهور الدعوة السلفية هو ما كان عليه أولئك الخصوم وكثير من المنتسبين إلى الإسلام من الضلال والغي عن الصراط المستقيم، لقد بلغ الكثير من المسلمين قبيل ظهور دعوة الشيخ والإمام أحط الدركات في الضلال وفساد الاعتقاد حيث عمّ الجهل وطغى، فعبد غالب المسلمين ربهم بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير، فظهرت البدع والشركيات بمختلف أنواعها، وصارت هذه الأمور الشركية والمحدثات البدعية من العوائد والمألوفات التي هرم عليها الكبير وشبّ عليها الصغير، فانعكست الموازين وانقلبت الحقائق، وأصبح الحق باطلاً، والباطل حقاً..

**ويوضح ابن غنام الحالة السيئة** التي وصل إليها المسلمون في مختلف البلاد وما كانوا عليه من فساد الاعتقاد، واستفحال الكفر والابتداع، فيقول رحمه الله:

**كان غالب الناس في زمانه متضمخين بالأرجاس،** متلطخين بوضر الأنجاس، حتى لقد انهمكوا في الشرك بعد حلول السنة المطهرة بالأرماس، وإطفاء نور الهدى بالانطماس...

**فعدلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين،** وخلعوا ربقة التوحيد والدين فجدوا في الاستغاثة بهم في النوازل والحوادث... أحدثوا من الكفر والفجور والإشراك بعبادة أهل القبور وصرف الدعاء لهم والنذور[1].

**ويصور ابن غنام ضلال بلدان نجد** تفصيلاً فكان مما قاله في ذلك:

**وكان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم والكل** على تلك الأحوال مقيم، وفي ذلك الوادي مسيم، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون، وقد مضوا قبل بدو نور الصواب يأتون من الشرك بالعجاب وينسلون إليه من كل باب، ويكثر ذلك منهم عند قبر زيد بن الخطاب فيدعونه لتفريج الكرب بفصيح الخطاب ويسألونه كشف النوب من غير

(١) روضة الأفكار ١/٥، ٦ باختصار.

ارتيـاب، ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1] وكان ذلك في الجبيلة مشهوداً وبقضاء الحوائج مذكوراً[2].

ويحكي **الشيخ عبداللطيف** بن عبدالرحمٰن بن حسن حال عصر الشيخ الإمام فيقول:

**كان أهل عصره ومصره في تلك الأزمان قد اشتدت غربة الإسلام بينهم** وعفت آثار الدين لديهم، وانهدمت قواعد الملة الحنيفية، وغلب على الأكثرين ما كان عليه أهل الجاهلية وانطمست أعلام الشريعة في ذلك الزمان، وغلب الجهل والتقليد والإعراض عن السنة والقرآن، وشبّ الصغير لا يعرف من الدين إلا ما كان عليه أهل تلك البلدان، وهرم الكبير على ما تلقاه عن الآباء والأجداد، وأعلام الشريعة مطموسة، ونصوص التنزيل وأصول السنة فيما بينهم مدروسة، وطريقة الآباء والأسلاف مرفوعة الأعلام، وأحاديث الكهان والطواغيت مقبولة غير مردودة ولا مدفوعة، قد خلعوا ربقة التوحيد والدين، وجدوا واجتهدوا في الاستغاثة والتعلق بغير الله من الأولياء والصالحين، والأوثان والأصنام والشياطين، وعلماؤهم ورؤساؤهم على ذلك مقبلون، ومن بحره الأجاج شاربون وبه راضون، قد أغشتهم العوائد والمألوفات وحبستهم الشهوات والإرادات عن الارتفاع إلى طلب الهدى من النصوص المحكمات والآيات البينات..[3].

**فلما أظهر الله هذه الدعوة السلفية** على يد المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب استنكرها الرعاع وأدعياء العلم والعوام، لأنها خالفت عوائدهم الشركية ومألوفاتهم البدعية، فلما دعاهم الشيخ إلى وجوب إفراد الله تعالى

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٨.

(٢) المرجع السابق ١/٧.

وانظر: ما كتبه الشيخ ابن غنام حول المظاهر الشركية والبدعية في كل من بلاد مكة والطائف وجدة ونجران واليمن والشام والعراق ومصر ١/٨ ـ ١٢.

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل ٣/٣٨١، ٣٨٢.

بالعبادة وأنه لا يدعى ولا يستغاث إلا بالله وحده، فلا يستغاث بالأولياء أو الأنبياء استنكر أولئك الجهال هذا الحق وزعموا أن ذلك انتقاص للأنبياء والأولياء، فخالفوا الحق مع ظهوره وبيان أدلته ووضوح براهينه.

**وهناك سبب ثان لهذا التحامل والمعاداة** للدعوة السلفية وهو ما ألصق بهذه الدعوة ومجددها وأنصارها من التهم الباطلة والأكاذيب والمفتريات، فقد أصاب هذه الدعوة منذ بدء ظهورها حملة مكثفة شنيعة عمت البلاد والعباد، فلقد ألصق بعض أدعياء العلم في هذه الدعوة السلفية ما ليس منها، فزعموا أنها مذهب خامس، وأنهم خوارج يستحلون دماء وأموال المسلمين، وأن صاحبها يدعي النبوة وينتقص الرسول ﷺ... إلى آخر تلك المفتريات.

**وهذا ظاهر في رسالة ابن سحيم** ـ وهو أحد الخصوم المعاصرين للشيخ ـ حيث بعث بها إلى سائر علماء الأمصار يستحثهم ويحرضهم ضد الشيخ، وهو في هذه الرسالة العدوانية قد حشد فيها الكثير من المفتريات والأكاذيب ضد الشيخ الإمام.

**وأما أثناء مدة الدولة السعودية الثانية،** فتبرز آثار مؤلفات دحلان الذي كان مفتياً للشافعية في مكة، فقد عمت وطمت أكاذيبه ومفترياته ضد هذه الدعوة بين الكثير من حجاج بيت الله الحرام، ثم أذاعها أولئك الحجاج في سائر البلاد.

**يقول الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي في ذلك:**

**سمع الحجاج الوافدون إلى مكة** من أشراف الحجاز وبعض علماء مكة والمدينة من التقديس التام من العوام والانقياد الكامل لأقوالهم ضد الشيخ وأتباعه الشيء الكثير من كون أتباع الشيخ لا يحترمون الأولياء والصالحين، ويهدمون قبابهم... فلهذا أخذ جمهور الناس في سائر الأقطار فكرة سيئة عن الشيخ وأتباعه[1].

---

(١) سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ٥٣، وانظر دعايات مكثفة ضد الشيخ ص ٢٦، ٢٧.

**وفي عصرنا الحاضر**، يظهر التحامل الشنيع وبث المعلومات الكاذبة عن الدعوة السلفية في كثير من جهود المبتدعة، ومن أبرزها جهود المدعو حسين حلمي أيشيق من أستانبول بتركيا، الذي يقوم بتأليف الكتب ضد الدعوة السلفية ونشر المطبوعات والرسائل ضدها، وتوزيعها على سائر بلاد المسلمين، وهذه الرسائل تحوي بين طياتها الكثير من المعلومات المحرفة والأكاذيب المفتراة، فيصدقها الكثير من السذج والبسطاء.

**كما أن التجني والكذب** على الدعوة السلفية وأئمتها يظهر في بعض الكتب التي ألفت في تاريخ هذه الدعوة وسيرة مجددها، كما هو واضح في كتاب «لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب» والذي يعتمد عليه الكثير من المؤلفين ممن صنف في تاريخ وسيرة الشيخ محمد بل إن بعض هذه الكتب يفتعل أحداثاً ويطنب في سردها وسياقها من أجل الافتراء ضد الدعوة والتنفير منها، وهي ليس لها أدنى رصيد من الواقع[(١)].

**ومما يؤسف له أن الكثير يتلقف** هذا الإفك والبهتان عن أولئك المفترين الوضاعين، دون أدنى تثبت أو تحر في النقل، بل عمدته في ذلك هو مجرد التقليد الأعمى.

**ومما يجدر ذكره ـ هاهنا ـ** هو أن بعض الخصوم قد استغل ما وقع فيه شرذمة من الأعراب وفي زمن يسير ـ ممن تابع هذه الدعوة ـ من التشدُّد والجفاء، فحكموا ـ بغياً وعدواناً ـ على جميع أتباع هذه الدعوة وعلى مر الأزمان بهذا الحكم الجائر فرموهم أيضاً بالتشدُّد والجفاء.

**ولقد قلدهم في تلك الدعوى بعض الكتاب**، فوصفوا هذه الدعوة السلفية بالتشدُّد والجفاء والتطرف، وجعلوا ذلك سبباً في عدم قبولها وكثرة أعدائها.

---

(١) انظر: على سبيل المثال: مخطوط هذا تاريخ في شأن الوزير محمد علي باشا لخليل بن أحمد الرجبي ويوجد هذا المخطوط في دار الكتب المصرية ـ فقد افتعل هذا المؤلف أكاذيب ضد هذه الدعوة.

**وقد رد الشيخ حمود التويجري** على أحد المعاصرين حين رمى أتباع هذه الدعوة بالتشدد فكان من رده أنه قال:

**التشدد الذي أشار إليه** إنما وقع في بعض الأعراب في زمن يسير، فأما الحاضرة وكثير من البادية فكانوا على الطريقة السلفية، ولم يكن فيهم تشدد كما يزعمه بعض الناس، فإطلاق التشدد على العموم متعقب على من ادعاه كما لا يخفى على من له أدنى معرفة بحال أهل نجد[1].

**وسبب ثالث أدى إلى كثرة تلك المؤلفات المناوئة للدعوة السلفية**، وهو النزاعات السياسية والحروب التي قامت بين أتباع هذه الدعوة وبين الأتراك من جهة، وبين أتباع هذه الدعوة، والأشراف من جهة أخرى.

**وقد أشار بعض الباحثين إلى هذا العامل الخطير** وما ترتب عليه من تلك المطاعن والمفتريات والشبهات.

**يقول محب الدين الخطيب** ـ رحمه الله ـ مشيراً إلى ذلك:

**كان الأستاذ محمد عبده** رحمة الله عليه يستعيذ بالله من السياسة ومن كل ما يتصرف منها، لأنها إذا احتاجت إلى قلب الحقائق وإظهار الشيء بخلاف ما هو عليه اتخذت لذلك جميع الأسباب، واستعانت على ذلك بمن لهم منافع شخصية من وراء إعانتها فتنجح إلى حين في تعمية الحق على كثير من الخلق، ومن هذا القبيل ما كان يطرق آذان الناس في مصر والشام والعراق وسائر بلاد الشرق الأدنى في المائة السنة الماضية من تسمية الدعوة التي دعا بها الشيخ المصلح محمد بن عبدالوهاب رحمه الله باسم الوهابية اتهاماً بأنه مذهب جديد..[2].

**ويتحدث محمد بن عبدالله ماضي عن العوامل** التي أدت إلى التشنيع

---

(١) إيضاح المحجة في الرد على صاحب طنجة، ط ١ مؤسسة النور بالرياض ص ١٥٤.

(٢) مجلة الزهراء ١٣٥٤هـ (صفر) ص ٨٤، ٨٥.

وقد أشار إلى ذلك مسعود الندوي في كتابه محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه ص ١٤٧.

على الوهابية... فيذكر العامل السياسي فيقول:

**عامل سياسي يرجع** إلى الخلاف الذي قام بين آل سعود الوهابيين وبين الدولة العثمانية التي كانت الجزيرة العربية جزءاً من أملاكها وقت أن شرع الوهابيون يستقلون بالحكم فيها في القرن الماضي، وذلك الخلاف الذي سبب الحرب النجدية المصرية بين محمد علي والوهابيين، والذي صحبه وترتب عليه كثير من الدعايات ضد الوهابيين خصوم الدولة السياسيين وإظهارهم بمظهر المعتدي على الدين الخارج على تعاليمه حتى تسهل مقاومتهم ويتيسر القضاء عليهم.

**وكذلك الخلاف السياسي** بين آل سعود والوهابيين وبين أشراف مكة ثم بينهم وبين زعماء نجد المحليين..[1].

**ويوضح الشيخ محمد رشيد رضا آثار العداء السياسي** مع بداية قيام الدولة السعودية الثالثة، وما فعله الأشراف ضد الدعوة السلفية فكان مما قاله:

**كانت جريدة القبلة** ـ لسان الملك حسين آنذاك ـ تكيل التهم والأكاذيب على هذه الدعوة السلفية.

**وقد أصدر الملك حسين** عدة منشورات في جريدة القبلة سنة (١٣٣٦هـ)، وسنة (١٣٣٧هـ) رمى الوهابيين بالكفر، وقذفهم بتكفير أهل السنة، والطعن في الرسول ﷺ وقام بعض أهل دمشق وبيروت يتقربون إلى الأشراف بطبع الرسائل في تكفيرهم ورميهم بالأكاذيب ثم سرى ذلك إلى مصر وظهر له أثر في بعض الجرائد[2].

**إن سبب قذف الوهابية بالابتداع** والكفر سياسي محض، كان لتنفير المسلمين منهم لاستيلائهم على الحجاز، وخوف الترك أن يقيموا دولة

---

(١) النهضات الحديثة في جزيرة العرب، ط ٢، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٢هـ، ص ٥٩.

(٢) المنار م ٢٤، ح ٨، ص ٥٨٤ بتصرف.

عربية، ولذلك كان الناس يهيجون عليهم تبعاً لسخط الدولة، ويسكتون عنهم إذا سكنت ريح السياسة[1].

**وهناك سبب رابع** أدى إلى تراكم المؤلفات المعادية للدعوة السلفية وهو دفاع هؤلاء الخصوم ـ وبالأخص الصوفية والرافضة ـ عن معتقداتهم الفاسدة وآرائهم الباطلة.

**فإنه لما غلب على حال كثير من المسلمين ظهور الشركيات** وانتشار الدعوة واستفحال الخرافات، والغلو في الأموات والاستغاثة بهم، وظهور تشييد المشاهد وإقامة المزارات على القبور، وزخرفتها وتزيينها وصرف الأموال الطائلة عليها... فلما غلب ذلك على حال عامة المسلمين، فإن هؤلاء المتصوفة والرافضة وجدوا في هذا الواقع الآسن مرتعاً خصباً لبث سمومهم العقدية.

**فلما بدت أنوار** هذه الدعوة تكشف غياهب الظلام، وتزيل أدران الشرك ونجاساته، وتدعو الناس إلى تحقيق التوحيد بصفائه ونقائه، أدرك الخصوم أن ظهور هذه الدعوة السلفية نذير بزوال عقائدهم الباطلة، فحشد أولئك الخصوم قواهم وانبروا في التشنيع بهذه الدعوة وأنصارها، وهم أثناء تشنيعهم يذكرون معتقدهم الصوفي أو الرافضي ـ وغيرهما ـ ويزينونه للناس ويزعمون أنه الحق[2].

**فنجد هؤلاء الصوفية** أثناء ردهم على الدعوة السلفية يتبجحون بصوفيتهم ويفتخرون بانتسابهم إلى الطرق الصوفية كالنقشبندية أو القادرية أو التيجانية... ويدافعون عن التصوف وأدعيائه.

**والرافضة أثناء مناهضتهم للدعوة السلفية** يدافعون ـ بكل ما عرف عنهم

---

(١) المصدر السابق.

(٢) من خلال استقراء كتب الخصوم لاحظت أن غالبهم إما صوفية أو رافضة، فالمتصوفة يجاهرون بذلك وينافحون عن تصوفهم ويدافعون عن أرباب التصوف، وكذلك الرافضة يفعلون.

من كذب وقلب للحقائق - عن معتقدهم، ونوضح ذلك بما حدث منهم لما كتب علماء المدينة سنة ١٣٤٤هـ الفتوى حول حكم البناء على القبور واتخاذها مساجد وأجابوا بالحق الذي تعضده الأدلة، فلما ظهرت هذه الفتوى وتم العمل بموجبها، وأزيلت القبب والأبنية التي كانت على القبور، عندئذ قام علماء الرافضة وضجوا وسودوا الصحائف والأوراق في الطعن على هذه الفتوى، والنعي للمسلمين على زوال تلك القباب والمزارات فمن هذه الكتب التي سطرت - آنذاك - رسالة في رد الوهابية للأوردبادي، ورسالة في نقض فتاوى الوهابية لمحمد حسين، والرد على فتاوى الوهابيين لحسن صدر الدين الكاظمي، وغيرها من الكتب والرسائل التي ألفها أئمة الرافضة والذين عهد عنهم عمارة المشاهد والقباب دون المساجد التي أمر الله أن تعمر بطاعته[١].

**هذه بعض الأسباب الظاهرة لشدة عداوة الخصوم للدعوة الوهابية[٢].**

---

(١) انظر: أم القرى ع ١٠٤، مقال حول هدم القبور، للشيخ عبدالله البليهد.

(٢) بالنسبة إلى كلمة الوهابية فإن الكثير من الخصوم أطلقوا هذا اللقب على أتباع الدعوة السلفية ويريدون بذلك إيهام الناس أن الوهابية مذهب جديد أو مستقل عن سائر المذاهب الإسلامية، لذا فإن بعض الباحثين يتحاشون هذا اللقب.

انظر: تعقيب الشيخ صالح الفوزان على كتاب محمد بن عبدالوهاب لعبدالكريم الخطيب، مجلة كلية أصول الدين ع ١، ص ٦٨، حيث خطأ الفوزان إطلاق اسم الوهابية على دعوة الشيخ من ناحية المعنى.

وانظر: ما كتبه الشيخ عبدالله الجبرين حول هذا الإطلاق في مجلة البحوث الإسلامية ع ٩، ص ١٢٩، ولكن فيما بعد - كما هو ظاهر في السنوات الأخيرة - نجد علماء الدعوة وأنصارها لا يتحاشون استعمال كلمة الوهابية.

انظر: رسالة الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية، لابن سحمان، وأثر الدعوة الوهابية، لمحمد حامد الفقي، والوهابيون والحجاز، لمحمد رشيد رضا، والثورية والوهابية والفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم للقصيمي، وحقيقة المذهب الوهابي، لسليمان الدخيل.

يقول أحمد بن حجر آل بوطامي في كتابه عن محمد بن عبدالوهاب:

ومن معاملة الله لهم - أي خصوم الدعوة - بنقيض قصدهم هو أنهم قصدوا بلقب الوهابية ذمهم، وأنهم مبتدعة ولا يحبون الرسول ﷺ كما زعموا صار الآن لقباً لكل =

مما أدى إلى كثرةِ المؤلفات المناوئة لهذه الدعوة الصادقة الحقة اهـ كلام الشيخ عبدالعزيز.

**ولنا وقفة**

إن كان المناوئون لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه اللّه فيهم بعض العلماء، وإن كان المخالفون لابن القيم وابن كثير والذهبي وأضرابهم من تلامذة شيخ الإسلام فيهم بعض الفقهاء والأئمة إلا أن المناوئين لحركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لا تكاد ترى فيهم عالماً واحداً، كيف ودعوة الشيخ هي دعوة الإسلام الصحيح الصافي من البدع والخرافات.

وكل من له أدنى مسكة من عقل يعرف ذلك.

ولذا فإن دعوة الشيخ كانت مرتعاً للحساد الذين رأوا أن هذه الدعوة تزلزل عروشهم الكاذبة التي اعتلوها لظلم الناس وحب الدنيا والتزلف إلى الحكام بالباطل.

وهي دعاوى كاذبة، وافتراءات واضحة، يكفي في ردها حكايتها، وقد أجاد الشيخ عبدالعزيز العبد اللطيف في ردها بالحجة والبرهان والنقول من كتب إمام الدعوة فللّه الحمد والمنّة.

*** الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:**

**رحم الله الشاطبي عندما قال:** «إن تحكيم الرجال من غير التفات إلى كونهم وسائل للحكم الشرعي المطلوب شرعاً ضلال، وإن الحجة القاطعة

---

= من يدعو إلى الكتاب والسنة، وإلى الأخذ بالدليل، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة البدع والخرافات والتمسك بمذهب السلف. ص ٥١.

ويقول مسعود الندوي في كتابه «محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم»: وعلى كل حال فنظراً إلى تلك المحاولات التي بذلت لإظهار الوهابية في صورة مذهب مستقل وطائفة ضالة هذا الاسم منتقد أشد الانتقاد ولكن بغض النظر عن هذه الأكذوبة والافتراء فلا أرى حرجاً في هذه التسمية، ص ١٦٥.

وانظر: ما كتبه عبدالله العثيمين في كتابه «محمد بن عبدالوهاب» ص ١٠١، ١٠٤.

للحكم الأعلى هو الشرع لا غيره».

**الشيخ الألباني** علم من أعلام المدرسة السلفية في هذا العصر، وإن كان أعلام السلفية في هذا العصر كثيرين على رأسهم سماحة الوالد الشيخ **عبدالعزيز بن عبدالله بن باز**، والعلامة **عبدالرزاق عفيفي** رحمه الله تعالى، ومن قبلهم أمثال **أحمد شاكر ومحمد عبدالرزاق حمزة ومحمد نصيف** وغيرهم كثير وكثير.

**إلا أن اختيارنا للشيخ الألباني** نموذجاً لامتداد محنة المدرسة السلفية مع المخالفين كان سببه أن الألباني حفظه الله ابتلي بجمع غفير من المخالفين والمناوئين ممن وقعوا فيه بالتأليف والقذف والسب وإغراء السلطات به محاولة للنيل منه، **وإن شئت** فقل محاولة للنيل من الدعوة السلفية التي يمثلها.

**بل بلغ من حقد المخالفين له** أن صرحوا أو قاربوا بتكفيره فضلاً عن تبديعه أو رميه بالبهتان.

**ومن يرد على الألباني وينال منه**: إما متمسح بلباس العلماء زوراً، أو طويلب مغمور أراد التسلق ليظهر.

**ومن الإنصاف أن يقال**: إن هناك من رد على الألباني بحق لكنه التزم جانب الرد العلمي السوي مع اعتراف بفضله وإذعان لمآثره التي غطت طباق العالم الإسلامي كله.

**لقد أصبح خطباء الجمع ووعاظ المساجد** في هذا العصر يحرصون على عزو الأحاديث إلى مصادرها خوفاً من نسبة حديث ضعيف إلى النبي ﷺ بعد الصيحة التحذيرية التي بثها الشيخ في الأمة والتي كانت بحق بمثابة التجديد لهذا الدين بعد السنوات المظلمة التي كان كل من شاء يتكلم بما شاء.

**لقد رد الشيخ وتلاميذه على الهجمة الشرسة** التي رمى بها أصحاب البدع الدعوة السلفية، وما زال السلفيون يجيبونهم بالحجج القارعة، والأدلة

الدامغة، وأحببت أن أسطر شيئاً من ذلك، فإن هذه الهجمات على الدعوة السلفية علامة الإرث الصحيح، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

**من هو الألباني؟**

**لقد كتب الشيباني** (حفظه الله) مجلدين كبيرين في التعريف بالألباني ومآثره، ونود أن نضيف إلى ذلك أنه لم يمدح الألباني طلابه فحسب، بل علماء الأمة ومفكروها مذعنون له، بل المخالفون له يستفيدون من كتبه ولا ينسبون الفضل إليه تَحَيُّفاً عليه.

**إن السلسلتين (الصحيحة والضعيفة)** كافيتان في التعريف بعلم الألباني، هذا الرجل الذي جاء من ألبانيا واستوطن الشام وبدأ حياته عصامياً يعمل في إصلاح الساعات ثم أُولع بمطالعة القصص العربية كالظاهر وعنترة ثم عثر على مجلة المنار فاتجه إلى السلفية والحديث.

**يقول الألباني عن نفسه**[1] (ص **٣٣٥، ٣٣٦**):

«أول ما ولعت بمطالعته من الكتب: القصص العربية كالظاهر وعنترة و.. إلى أن قال: وذات يوم لاحظت بين الكتب المعروضة لدى أحد الباعة جزءاً من مجلة المنار فاطلعت عليه، ووقعت على بحث بقلم السيد محمد رشيد رضا يصف فيه كتاب الإحياء للغزالي، ويشير إلى محاسنه ومآخذه، ولأول مرة أواجه مثل هذا النقد العلمي، فاجتذبني ذلك إلى مطالعة الجزء كله...».

ويقول: «فإذا كان من الحق أن يعترف أهل الفضل بالفضل لذويه، فأجد نفسي بهذه المناسبة الطيبة مسجلاً هذه الكلمة الطيبة ليطلع عليها من بلغته، فإنني بفضل الله عز وجل بما أنا فيه من الاتجاه إلى السلفية أولاً، وإلى تمييز الأحاديث الضعيفة والصحيحة ثانياً؛ يعود الفضل الأول في ذلك إلى السيد رضا رحمه الله عن طريق أعداد مجلته (المنار) التي وقفت عليها أول اشتغالي بطلب العلم..» اهـ.

---

(١) حياة الألباني لمحمد بن إبراهيم الشيباني ٤٦/١ وما بعدها.

**ومن هنا نتبين** توجه الشيخ إلى السلفية متى بدأ وظهر. وعلى مر الأزمان صار الشيخ علماً على المدرسة السلفية في هذا العصر وأثر في كل الاتجاهات الفكرية.

**يقول صاحب كتاب محمد رشيد رضا ـ دعوة وإصلاح**[1]:

«لا يشك أحد في أن علامة الشام الألباني قد أثر في فكر الدعوات الإسلامية الموجودة الآن على اختلاف مناهجها، كما لا يشك منصف في أن محدث الشام قد بعث روح السلفية في كثير من الأفراد والجماعات الإسلامية، وجدد ما درس من الشريعة والدين، وأكد على ضرورة الالتزام بالمنهج الحديثي في التصحيح والتضعيف لئلا يقع المسلم في نسبة حديث للنبي ﷺ لم يقله، أو في نفي رواية صحيحة عن النبي ﷺ لأنها خالفت رأي إنسان أو آخر..» اهـ.

**ويقول الأستاذ أحمد العظمة**[2]:

«**عرفت دمشق محدثها الأكبر** العلامة الشيخ **بدر الدين الحسيني**، فلما توفَّاهُ الله خلت الديار من إمام تتجه الأنظار إليه في علوم الحديث.

**غير أن فتى أرناؤوطياً** (نشأ نشأة علم وتقى، وكان له من اسمه نصيب هو الأستاذ **محمد ناصر الدين**) عرف في أوساط الشباب بخدمته الحديث وعلومه وجمع الشباب عليه، واشتهر بينهم، واستطاع بفصاحة لسانه العربي وطلاوة حديثه وجودة مناقشته أن يستأثر بنخبة تأخذ عنه وتتتلمذ عليه.

**وإذا كان الحديث** ثاني مصدر للفقه الإسلامي بعد كتاب الله، وكان يعتبر ما صح عند أهل الحديث مذهباً لأهل الفقه، لذلك اشتهر بعض أنصار الشيخ ناصر بتركهم من الأحكام المذهبية ما عرفوا فيه حديثاً ثابتاً صحيحاً، وبعضهم كان يثير اللغط، ومن هنا تألب على الأستاذ من تألب».

---

(١) ص ٣٣٤.

(٢) بدعة التعصب المذهبي ص ١٢٠، ١٢١.

**ويقول محمد عيد عباسي**[1]:

«**ونذكر في هذه المناسبة أن كبار علماء العالم الإسلامي** قد اعترفوا بفضل شيخنا وأثنوا عليه، فمنهم الشيخ أبو الفيض **أحمد الغماري** المحدث المغربي، ومنهم الشيخ **عبيدالله الرحماني المباركفوري** مدير الجامعة المركزية في بينارس في الهند، فقد أرسل إليه رسالة يستفتيه فيها في بعض الأحاديث ويثني عليه بأنه اطلع على مخطوطات الحديث وتبحر في علومه، وأنه ذو أفق واسع في الحديث ورجاله، ومن الجدير بالذكر أن هذه الجامعة كانت قد دعت الشيخ ناصر لتسليمه مشيخة الحديث فيها، كما دعته منذ أشهر لحضور حفلة توزيع الشهادات على المتخرجين فيها.

**وممن اعترف** بفضل الشيخ كذلك الشيخ **عبدالصمد شرف الدين** وهو من كبار علماء الهند ومحدثيها، وقد وصف الشيخ في رسالة منه إليه بأنه أكبر عالم في الحديث في العصر الحاضر كما أننا نذكر في هذه المناسبة أن لجنة الحديث في مصر في عهد الوحدة قد اختارت الشيخ ناصر ليكون عضواً فيها كما أن الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة كانت قد اختارته لتدريس الحديث فيها واستمر في ذلك عدة سنوات وما يزال مديرها الشيخ الكبير عبدالعزيز بن باز يكن له كل محبة وتقدير ويعترف بفضله وعلمه.

**وما لنا نذهب بعيداً**، وها هي كتب الشيخ تشهد بأوضح بيان بتفوقه الكبير في هذا العلم الشريف الذي كاد ينقرض من دنيا المسلمين مع الأسف، بسبب هذه المذهبية المتعصبة التي يدعو إليها البوطي وأمثاله، ويرفعون عقيرتهم في التهجم على من يكشف عوارها، ويظهر زيفها وليس مثل علماء الحديث من يفعل ذلك.

**أضف إلى ذلك أننا وجدنا لديه الوعي الصحيح** والصدر الرحب للبحث العلمي الحر النزيه، بحيث يستطيع أبسط تلميذ مناقشته في أي أمر، ومطالبته بالدليل والرد عليه، دون أن يضيق بذلك ذرعاً ولا يضجر ولا

(١) بدعة التعصب المذهبي ص ٢٥٣ ـ ٢٥٦.

يتأفف بينما لا يحتمل غيره أن يسأله أحد عن دليله، كما أنه يشجعنا دائماً على انتقاده، ويحثنا على تنبيهه إلى خطئه، هذا مع أخلاق فاضلة وتواضع جميل، وإخلاص له، وجهاد في سبيله، ونظافة في اليد، وجرأة في الحق، وعدم المداهنة والمجاملة على حسابه، والاستقلال في البحث والشخصية، إلى آخر هذه الصفات التي لم نجد مثلها لدى أي شيخ عرفناه في بلادنا هذه.

**وقد علَّمنا شيخنا حفظه الله التمسك بالحق وحده،** والمطالبة بالدليل، وعدم التعصب للرجال، وقد وجدناه يسر إذا خالفه أحد في بعض آرائه بشرط أن يكون متمسكاً بدليل، ومقتنعاً به، ولذلك فنحن لا ندعو أحداً إلى التمسك بآراء شيخنا إلا إذا اقتنع بها، واطلع على دليلها، وليس بعيداً أننا حينما نتمكن من العلم ونقوى في البحث والنظر قد نخالف شيخنا في بعض آرائه، ونحن موقنون بأنه يسر بذلك، لأن العلم بحر واسع، وكل أحد يرد ويرد عليه إلا النبي ﷺ حسبه أنه أنشأ تلاميذ همهم اتباع الحق، والسعي له، والتعلق به، وأرشدهم إلى طريق الوصول إليه، وأعطاهم المنهج العلمي الصحيح فجزاه الله عنا وعن دينه خير الجزاء.

**وقد ألف شيخنا حفظه الله** طائفة من الكتب في الحديث والفقه فوجدنا فيها العلم الصحيح مع الأدلة الواضحة والتحقيق العلمي الرفيع، ولم نجد أحداً من مشايخ بلادنا رد عليه بطريقة علمية صحيحة، وأثبت خطأه وقصوره، وكل ما وجدناه من كثير منهم مع الأسف حملات مسعورة وشتائم ظالمة وتنقص وطعن وتحامل، فبعضهم وصل به الحقد إلى أن ينكر أن يكون للشيخ أي حظ من العلم بالحديث واللغة والفقه والدين، وبعضهم يدعي أنه عالم بالحديث ولا يفهم الفقه، ومن الجدير بالذكر أن بعض هؤلاء الطاعنين هو من المشككين بالسنة، وممن يرد بعضها بحسب ما يخيل لعقله القاصر، وبعض هؤلاء يطعنون في الشيخ لأنه لم يأخذ علمه من مشايخ مثلهم ويقولون: إنه أخذ عن الصحف فهو صحفي.

**ومن يدري فلعله لو أخذ عن مثله لكان نسخة منهم،** في الجمود

والتقليد والتعصب وضيق الأفق، والجهل بالسنة، والبعد عن المنهج العلمي الصحيح.

**وإذا نظرت إلى جميع هذه التهم والطعون** وجدتها مشبعة بروح التحامل والخصومة، ومنبعثة من دافع **الحقد والحسد** وليس فيها نقد نزيه، ولا بحث علمي.

**كما أننا قد رأينا الشيخ أعلم وأرفع وأصوب من جميع خصومه**، وقد سمعناه يعلن مراراً عن استعداده للاجتماع بأي عالم بقصد التواصي بالحق والتناصح في العلم والمناقشة في الرأي وأعلن عن استعداده للتراجع عن أي رأي إذا اطلع على دليل صحيح يخالفه، كما أنه يرحب بأي نقد علمي لأيِّ كتاب من كتبه، فلذلك كله آثرنا شيخنا على غيره، فهل نحن ملومون في ذلك ومخطئون؟.

**وقال علي حسن علي عبدالحميد** في معرض رده على بعض الهجوم على الألباني:

«من عجيب أمر هذا المدعي **(الغماري)** أنه كثير المناقضة لنفسه يقع فيما ينهى الآخرين عنه ويتصف بما يذم الآخرين بتلبسه يقول في رسالته - القول المقنع في الرد على الألباني المبتدع - ص**١٢** نبزاً وطعناً في شيخنا الألباني: ومن معايبه وما أكثرها لمزه لمن يخالفه بالابتداع فهو عند نفسه قسيم النار من كان معه فهو سني يستحق الجنة ومَن خالفه فهو مبتدع يستحق النار، وهذه تالله **كبرى معايب الغماري** بشهادة نفسه على نفسه وكأنه بدأ يختلط عليه الأمور فهو يعد رمي المخالف بالابتداع من المعايب ثم يلقب مخالفه في الرسالة التي يقول فيها هذا الكلام نفسه في عنوانها بالمبتدع فأي تناقض أكبر من هذا»[١].

---

(١) من كتاب كشف المتواري من تلبيسات الغماري ورد عدوانه على أهل السنة، كتبه علي حسن علي عبدالحميد الحلبي الأثري.

**هذا هو الألباني في هذا العصر عند محبيه وتلاميذه، فماذا عن المخالفين؟! وماذا عنه؟!:**

**هيا نتلقف من هذا المستنقع شيئاً** يبين لنا كيف حسدوه إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم.

**يقول أحمد عبدالغفور عطار:**

«**يواجه الإسلام** في أيامنا هذه أكبر خطر وأعنف تحدٍ عرفهما في كل تاريخه، فبرز الكفر كله للإيمان كله، برز الكفر كله بما فيه الشيوعية والصهيونية والاستعمار والإلحاد وكل مذاهب الهدم الأدبية والفنية والفكرية والاجتماعية والسياسية والنفسية والفلسفية وغيرها.

**وأما الإيمان فلم يقف كله في وجه الكفر كله،** بل كان الإيمان مفرق الكلمة، مشتت الصف، مهدم البنيان، ولولا أن الله عز وجل أودع في الإسلام نفسه القوة التي لا تحطم ولا تقهر، ولولا أن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ دينه لزال من الوجود من عنف الحرب المعلنة عليه من أعدائه الذين أخذوا عليه كل طريق، وحاصروه في أضيق الحدود والمناطق، يريدون محوه فعزلوا الإسلام عزلاً في كل مجتمع فلا يحكم به إلا في المجتمع السعودي وحده، ولم يعد له دولة في الأرض إلا الدولة السعودية المسلمة وحدها.

**وكل بيت في المسلمين لا يحكم بالإسلام إلا نادراً** فانمحت ملامح الإسلام عن كل مجتمع وبيت وأسرة، وزالت عاداته وحلّ محلها عادات أعدائه، ومناهج تعليمهم هي مناهج تعليم المسلمين وكل ما له صلة بدين الله قد تغير إلى النقيض فصار المسلم نفسه أداة هدم وجوده.

**وبلغ من نجاح تخطيط الأعداء لمحو الإسلام** أن جردوا عليه من أبنائه من تصدوا لنسفه من داخله وفيهم علماء دين ومفكرون وكتّاب وأدباء وشعراء وجامعات ومعاهد وكليات ومدارس وصحف ودور نشر وترجمة وتأليف وغير ذلك.

**وهؤلاء هم الذين كانوا وما زالوا أشد أعداء الإسلام،** فهم الذين فرقوا الكلمة، ومزقوا الصفوف، وقوضوا عرش الإيمان في النفوس.

**وما أكثر علماء السوء الذين لا هم لهم إلا ترك الأعداء** وفتح ثغور في الإسلام ليقتحموا منها عليه معتقده ومنعته وحصونه وقوته وأهله وكتابه وسنته وصحابة رسوله الكرام وخلفاءه الراشدين والتابعين والأئمة والفقهاء الصالحين، فيثخنون فيهم جراحاً وتقتيلاً بأسلحة هؤلاء المسلمين الذين يدعون الغيرة والإصلاح، وما هم إلا المفسدون الحاطمون.

**ومن هؤلاء: محمد ناصر الدين الألباني،** وهو في لوثته وسوء أدبه وتجنيه على سادتنا سادة المسلمين جميعاً عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وتميم الداري، وأبي بن كعب، والمهاجرين والأنصار وصحابة رسول الله ﷺ والتابعين وأئمة الإسلام وفقهائه والمسلمين كافة قذيفة من قذائف أعداء الإسلام انفجرت فشاء الله أن تبيد هي نفسها قبل أن تبيد.

**وهذا الألباني** ليس أهلاً للرد، إلا أنه خدع بعض الناس فظنوا أن لديه علماً، وما لديه منه غير الشذوذ وتجريح خير الناس.

**أما الخلق فقد جرده الله إلا من السيء فنصيبه منه أوفر نصيب،** وما يكون خلق امرىء يتجنى على خير البرية والصحابة إلا خلق سوء.

**والألباني إذا خاصم فجر،** ويدفعه فجوره إلى تجريح الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وبخاصة الخلفاء الراشدون.

**وكانت هذه الكلمة التي تحويها هذه الرسالة مكتوبة لتنشر مقالة في مجلة،** وكان موضوعها الذب عن الإمام الأعظم أبي حنيفة الذي تجنى عليه هذا الألباني الجهول، ورأى أخ مسلم غيور أن ينشرها في رسالة ورضينا، وكفانا الرد عليه فيما يختص بالصحابة علامة جليل هو المحدث الفقيه الشيخ إسماعيل الأنصاري في كتابه المطبوع «تصحيح حديث صلاة التراويح عشرين ركعة والرد على الألباني في تضعيفه» وأثبت فساد خلق الألباني وسوء أدبه مع الصحابة وجهله وفسوقه ولوثته.

**وكتب الألباني مقدمة كتاب** «شرح العقيدة الطحاوية» نضحت بما في إنائه من نتن وتجنى فيها على **عالم سلفي مسلم حق** هو الشيخ عبدالفتاح أبو غدة!!.

**ولتجنيه أسباب منها:** أن بعض أهل العلم المشهود لهم بالعدل والنزاهة والصدق وصفوا أبا غدة بأنه الفقيه الحافظ محدث الشام، فجن جنونه، لأنه يدعي أنه هو نفسه محدث الشام دون منازع، وما أحد من الصالحين يشهد للألباني إلا بالشذوذ واللوثة وتجريح الثقات الصالحين وفي طليعتهم الصحابة الكرام.

**وسبب الأسباب في إعلان الحرب على أبي غدة** توهم الألباني أن أبا غدة كتب تقريراً قدمه لعمادة كلية الشريعة بالرياض طعن فيه على تعليقات الألباني على شرح الطحاوية مما دعاها إلى أن تتركه وتستبدل به طبعة مصر التي حققها الشيخ أحمد محمد شاكر ومنع تداول نسخة الألباني وفي هذا خسارة على الألباني فغضب غضبته وكتب مقدمة الطبعة الرابعة لشرح الطحاوية ملأها بسباب الشيخ أبي غدة.

**وسلك الألباني في النيل من أبي غدة سبيل الشياطين،** لأنه منهم، فاستعدى على أبي غدة الحكومة السعودية وعلماء البلاد السعودية ليخرجوا أبا غدة ويلغوا عقده كما ألغي عقد الألباني نفسه منذ عشر سنوات، متهماً إياه بأنه خصم ابن تيمية وابن القيم وابن عبدالوهاب.

**ونحن وغيرنا نعرف أبا غدة،** ومعاذ الله أن يكون كما زعم الألباني في مقدمته، ومن يتطاول على الصحابة لا يتورع عن الكذب على أبي غدة وأمثاله من الصالحين.

**ومن أسباب عدائه لأبي غدة أنه حنفي المذهب** ومن أشد المدافعين عن الإمام الأعظم.

**والحنفية عند الألباني أشد من الشيوعية،** فهو يحارب الحنفية وأبا حنيفة دائماً، ولم يؤثر عنه قط أنه قال كلمة واحدة ضد الشيوعية أو الصهيونية أو أي مذهب هدام.

**وكان في وسع الألباني أن يتغاضى عن تهمة الحنفية** لو أن أبا غدة لم يكتب تقريره ضد الكتاب الذي علق عليه الألباني كما توهم، فغضبه هنا بسبب مال كان يطمع أن يصل إليه، لما استبعد الكتاب حرم ما كان طامعاً فيه فأعلن حربه التي لم تدمر غير نفسه الحاقدة اللئيمة.

**ونحن نبيح لأنفسنا اتخاذ أسلوب العنف مع الألباني لنشعره وهو فرد حقير أن من يؤذي كل المسلمين بالتجني على سادتهم وخيرهم وأفضلهم يجب أن يعاقب بما هو أهله، فالشوكة لا تخرجها إلا شوكة، وننزه قلمنا عن الاستشهاد بمثل العقرب.**

**ونحن لا ندافع عن أبي غدة** فهو يملك قلماً ولساناً، وحباه الله علماً غزيراً ونافعاً، وخلقاً كريماً، وإيماناً صحيحاً، ويستطيع أن يلقم الألباني حجراً كلما فتح فاه بقبح، ولكننا نغضب لله بالغضب لعباده المؤمنين.

**ومهما اشتد نباح الألباني** على أبي حنيفة أو على من هو خير منه وأفضل مثل عمر وعلي وأبي بن كعب وتميم الداري والصحابة فليس نباحه بضائرهم وإنما يضير نفسه.

**وأدرك الألباني أن رزقه انقطع من البلاد السعودية** ولن يجد بها لنفسه خبزاً يطعمه كما كان يجد من قبل فحمل عليها بغير حق، ظناً منه أنه يخيفها فتجدد عقده ليعمل بها جاهلاً أن حكومات الكفر لم تستطع أن تخيفها أو تنال منها بفضل الله ومن يتجنى عليها مفقود القيمة محتقر الشأن»[(١)].

## ويقول أحمد عبدالغفور عطار أيضاً:

«**ومنهم أناس يدعون العلم** يطعنون الأئمة البررة الفقهاء الأخيار محاكاة لأعداء الإسلام، ومنهم ناصر الألباني المولع بالتطاول على من هم أصلح السلف، ومنهم الإمام الأعظم أبو حنيفة.

---

(١) من كتاب ويلك آمن لأحمد عبدالغفور ص ٥ ـ ٩.

**وما يضير أبا حنيفة نباح الألباني** وأمثاله من أدعياء العلم كما لا يضير هذا النباح كل من نبحهم الألباني، فهو سيبقى في اللعاب حيث أراد الله له أن يبقى يقتات من قذره دون أن يصيب من قذفهم سوء لأنه سيرتد إليه»[1].

**ويقول أحمد بن عبدالغفور عطار أيضاً:**

**«الألباني وتجنيه على الأئمة:**

**من أولئك الأعداء الناقمين المسلمين** من مدعي العلم وأدعياء البحث في الآثار رجل لئيم النحيزة مدخول الشعور سباب شتام فاحش ذو لوثة يدعى محمد ناصر الدين الألباني، يسكن دمشق، ومعروف عنه أنه يؤيد مذهب الهدم والتخريب وأعداء الإسلام والكفرة والملحدين بالسكوت عنهم، وهو يراهم يحطمون الإسلام حطماً، ويقتلون أئمته ودعاته وأقطابه قتلاً، وينتهكون أعراض الحرائر الشريفات ويمزقونها تمزيقاً، ويسبون الله ورسوله في الصحف علانية، حتى أن مجلة تصدر على مقربة منه سبت الله سباً فلم يحرك ساكناً، لأنه يقبض أجر صمته من الكافرين، بل يتصدى للشهداء يجرحهم تجريحاً، وللمجاهدين يسبهم سباً، وللدعاة الأئمة المتبوعين بالتهم الباطلة ففلان ـ عنده ـ ليس بشهيد، وفلان المجاهد وثني، وفلان الإمام الداعية المتبوع خرافي قبوري.

**فلا غرابة أن يمضي الألباني إلى قبر الإمام الأعظم ينبشه**، وأنى له أن ينبش قبراً صانه الله، وأن يجرح إماماً ليس له عورة، وأن يكذب على الصالحين الأخيار من أئمة الإسلام، أمواتاً وشهداء وأحياء، وينافق السلطات الحاكمة، فإذا خلا إلى رهطه زعم ما زعمت اليهود وقال ما قالوا إنا نستهزىء بهم.

**ويدعي الألباني أنه مجتهد**، وما عرف الاجتهاد قط، ولكنه مبتدع، وما كان الاجتهاد قط مدعاة للتجني على الأئمة، فأبو حنيفة إمام من أئمة

---

(١) من كتاب ويلك آمن لأحمد عبدالغفور ص ١٦.

المجتهدين، وكذلك الإمام الشافعي والإمام مالك والإمام أحمد، وما دفعهم اجتهادهم إلى النيل من إخوتهم الأئمة المجتهدين، بل كان كل منهم يحب الآخر ويعجب به.

**وبلغ من جهل الألباني بمعنى الاجتهاد أن أباح لنفسه ولكل عامي أن يعبث بشرع الله**، ونترك العامة لنمسك به هو نفسه الذي يدعي لنفسه الاجتهاد والتفوق على من سلف من الأئمة المجتهدين، بل بلغ به الجنون أن يدعي هذا الألباني لنفسه فهم سنة المصطفى ﷺ أكثر من سيدنا عمر الذي وصفه رسولنا الأعظم بقوله الحق: «**لو كان نبي بعدي لكان عمر**» بل أضاف إلى عمر علياً وأبي بن كعب وتميماً الداري والصحابة وفيهم خير المسلمين المهاجرين والأنصار.

**ويعلم الله أننا لا ندعي على الألباني إلا الحق** وإلا قليلاً من كثير دعاواه الباطلة السخيفة التي يتنفج بها»[1].

**ويقول أبو غدة في كلام له:**

**«فقد علق الألباني في حاشية هذا الكتاب: «شرح العقيدة الطحاوية»** على كل حديث عزاه المؤلف إلى الشيخين البخاري ومسلم وروياه في صحيحيهما أو رواه أحدهما في صحيحه بقوله: صحيح قاصداً بيان مرتبة الحديث وإبداء حكمه بثبوته وصحته عنده فأبديت رأيي: أن في التعليق على أحاديث الصحيحين خطأ كبير وفيه إيهام خطير للطلبة الناشئين في العلم بأن في الصحيحين أحاديث غير صحيحة وفي ذلك تشويش لأذهانهم وتشكيك لهم في صحة أحاديث الصحيحين ونقص لثقة المسلمين بهذين الكتابين الجليلين وبينت رأيي هذا لعمادة الكلية مكتوباً كما طلب مني وأوردت بآخر هذا التوضيح صورة من كتاب عمادة الكلية إلي بذلك فقامت قيامة أولئك وسموا بياني لعمادة الكلية تقريراً سرياً خلسة وعدوا عملي هذا تجسساً ونبذوني بأشنع الأوصاف المقذعة إلى آخر ما نقلت بعضه، وقد

(١) من كتاب ويلك آمن لأحمد عبدالغفور ص ٢٠ ـ ٢١.

كانوا سمعوا مني هذا الرأي والنقد مرات كثيرة في سنوات سابقة فلم يكن منهم معي خصومة ولا مقاطعة فلما قدمته لعمادة الكلية اتخذوه سبباً وقاموا بهذا الرد الشنيع والهجوم العنيف والعداء الصارخ وإليك قصة تعليقات الألباني هذه وما دار بيني وبين زهير الشاويش والألباني والأستاذ يوسف القرضاوي بشأنها وإصرار الألباني على طريقته المستنكرة فيها. حين صدور كتاب شرح العقيدة الطحاوية في الطبعة الثالثة سنة ١٣٨١ كنت في دمشق فأهدى إلي الناشر زهير نسخة منه فأخذته وشكرته ثم نظرت فيه ليلاً فرأيت فيه تصحيح الألباني على البخاري ومسلم فأنكرت ذلك في نفسي ومررت في اليوم التالي بزهير فبدأته بالحديث عن تعالي الأدباء المعاصرين على الأدباء المتقدمين مثل الجاحظ وطبقته ثم عن تطاول المؤرخين الحدثاء على المؤرخين القدامى ثم عن الشعراء كذلك ثم قلت له: ومثل ذلك تطاول بعض المحدثين المعاصرين على أئمة المحدثين المتقدمين كالبخاري ومسلم وأمثالهما فاستنكر معي زهير هذا جداً ولكنه حين ذكرت له المحدثين المعاصرين تحرك في نفسه التساؤل من أعني بذلك وهل أنا جاد أم مازح فسألني فقلت: أنا جاد لا مازح فلما رأى أن الحديث جد قال: هذا غريب مثل من فعل أو يفعل هذا؟ قلت: أناس تعرفهم، فازداد عجبه وإنكاره ثم ألحّ علي فقال: أخبرني من يفعل ذلك؟ قلت: الشيخ ناصر، فأبدى عجباً واستغراباً كثيراً أن يكون وقع منه ذلك ثم قال: وأين وقع منه هذا؟ قلت: في الكتاب الذي أهديته إلي بالأمس شرح العقيدة الطحاوية، هاته حتى أريك الذي أنكرته موجوداً فيه في مواضع كثيرة جداً فجاء بنسخة من الكتاب فلما رأى ذلك بعينه شهد الله الذي هو على كل شيء شهيد أنه أنكر ذلك الصنيع كل الإنكار لكنه قال: أنا أستبعد أن يكون هذا من الشيخ ناصر، قلت: لا معنى للاستبعاد والاستغراب أن يقع منه فإنه لا يفعل هذا إلا محقق الكتاب، قال: أقدر أنه من المصححين في المكتب الإسلامي لا منه، قلت: هذا بعيد فلا دخل للمصححين بالحكم على الصحيحين أو غيرهما في الأحاديث، قال: نرى نسخة الأصل المطبوع عنها قلت: هاتها فجاء بها فإذا تلك التصحيحات على أحاديث البخاري ومسلم في صحيحيهما

هي بخط الشيخ ناصر ولا دخل لغيره فسقط في يد زهير عندئذ وسكت، وقال: فإن الله شرع لنا هذا الدين الحنيف ليكوَن حاجزاً للمؤمنين به عن كل شر وسوء وداعياً له إلى القيام بكل خير وفضيلة وليتحقق المنتسب إليه بالخلق القويم والسلوك المستقيم فلا يقول إلا حقاً ولا يتكلم إلا صدقاً علماً بأن قول الباطل يرد على قائله لأنه زهوق وقول الحق يقبل من صاحبه لأنه صدوق ومتى حَادَ الإنسان عن مهيع الصدق والأمانة فيما ينقله أو يقوله سقط من أعين الناس وكشف شأن افترائه فباء بالخيبة مما يقصده من وراء أكاذيبه واختلاقاته وكان سلوكه هذه الطريقة الزائفة وبالاً عليه من حيث يريد بسلوكها الوبال على غيره وهذه هي الحال القائمة في الذين أتحدث عنهم في هذه الكلمات - قال في الهامش - المعنيون بهذه الكلمات زهير الشاويش والشيخ ناصر الألباني ومن آزرهما، وفي الطبعة الأولى لهذه الكلمات لم أصرح باسم أحد ولكن الألباني صرح بأسمائهم في فاتحة رسالته التي رد بها على الكلمات فصرحت»[(١)].

### وقال إسماعيل بن محمد الأنصاري[(٢)]:

«**بعد كتابتي وفراغي من إتمام النظر في رسالتي** هذه بمدة طويلة وقفت على كتاب ظهر في أجزاء متسلسلة بعنوان الألباني شذوذه وأخطاؤه بقلم أرشد السلفي أحد علماء الهند وقد رد فيه على الألباني رداً بالغاً وذكر النماذج تلو النماذج من أخطائه وانحرافاته في الفهم والحكم وقد استحسنت أن أذيل رسالتي هذه بما كتبه الشيخ أرشد السلفي في كتابه الألباني شذوذه وأخطاؤه حول تحريم الذهب المحلق للنساء ليشهد القراء في كتاب هذا

---

(١) كلمات في كشف أباطيل وافتراءات بقلم أبو غدة ص ٤، ويلاحظ أن الشيخ زهير الشاويش أجاب عن ذلك كله موضحاً ما فيه من افتراءات، وكذلك الشيخ الألباني نفسه في مقدمة شرح الطحاوية طبعة المكتب الإسلامي، ولم أنقله اكتفاء بالإحالة عليه، لأن المقصود هو بيان الهجمة الشرسة التي توجهت للشيخ حفظه الله.

(٢) الشيخ إسماعيل من العلماء السلفيين، إلا أنه زلق في هذا عندما رد على الألباني في مسألة فقهية رحمه الله تعالى وعفا عنه.

العالِم الهندي تأييد ما ذهبنا إليه في الرد على الألباني وباطل دعواه التي لم يقل بها أحد من قبل وليعلم الألباني أن سكوت العلماء عنه ليس معناه التسليم له بصواب ما يقوله أو يدعيه كما يدعي ذلك هو ويظن بل قد يكون سكوتهم عنه لأمور أخرى»[1].

**وقال الشيخ أرشد السلفي** بعد البسملة في أول كتابه المذكور:

**مبلغ علم الألباني**: «الشيخ ناصر الدين الألباني شديد الولوع بتخطئة الحذاق من كبار علماء الإسلام، ولا يحابي في ذلك أحداً كائناً من كان، فتراه يوهم البخاري ومسلماً ومن دونهما، ويغلط ابن عبدالبر وابن حزم وابن تيمية والذهبي وابن القيم وابن حجر والصنعاني والشوكاني، ويكثر من ذلك حتى يظن الجهلة والسذج من العلماء: أن الألباني نبغ في هذا العصر نبوغاً يندر مثله، وهذا الذي ينم عنه ما يتبجح به الألباني في كثير من المواطن، ويلفت إليه أنظار قارئيه فتارة يقول: اغتنم هذا التحقيق فإنك لا تجده في غير هذا الموضع (يعني عند غيره من المصنفين) وتارة يدعي أنه خصه الله تعالى في هذا العصر بالوقوف على زيادات الحديث الواردة في مختلف طرقه المنتشرة في الكتب المبعثرة وبذلك وصل إلى ما لم يصل إليه غيره من المحققين السابقين ولا اللاحقين.

**ولكن من كان يعرف الألباني** ومن له إلمام بتاريخه يعرف أنه لم يتلقَ العلم من أفواه العلماء، وما جثا بين أيديهم للاستفادة وإنما العلم بالتعلم.... ثم قال الشيخ أرشد السلفي في كتابه المذكور في الصفحة **٣٨** ما يلي:

*** هل خاتم الذهب محرم على النساء؟؟**

**ومن البغيض تجرؤ الألباني البغيض على اقتحام مضايق المسائل** وتسوره الممقوت منبر الاجتهاد مع عرائه عن مؤهلاته: قوله في آداب

---

(١) إباحة التحلي بالذهب المحلق للنساء والرد على الألباني في تحريمه للشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري ص ٨٣.

الزفاف: إن النساء يشتركن مع الرجال في تحريم خاتم الذهب عليهن، ومثله السوار والطوق من الذهب واحتجاجه على هذا بحديث أبي هريرة المروي في أبي داود ومسند أحمد من طريق أسيد بن أبي أسيد البراد، ولفظه: من أحب أن يحلق حبيبه بحلقة من نار فليحلقه حلقة من ذهب، إلخ...، وادعاؤه أن هذا الحديث مما صح في هذا الباب (انظر ص ١٣٢) من آداب الزفاف.

**وإني حين أقرأ ما كتبه الألباني في هذا البحث** وفي غيره أتذكر دائماً قول النبي ﷺ: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت**»[١].

**كما كتب بعض الأذناب كتباً في الرد على الألباني منهم صاحب التحذير والتنبيه من تعدي الألباني - زعم - على صحيح مسلم، وصاحب التناقضات وأمثال هؤلاء المدعومين مالياً وروحياً من أهل البدع في العالم الإسلامي، وليسوا إلا من الصغار الذين أحبوا التسلق على حساب الآخرين، ونقول لهؤلاء جميعاً: أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل، وما يضير السحاب نباح الكلاب»!!**[٢].

## ولنا وقفة

ترى ما الدافع لهؤلاء لفعل ما فعلوا إلا الحسد والحقد.

هل كان بينهم وبين الألباني ثأر أو مغالبة على دنيا؟

هل سحب الألباني بساطاً من أبسطة الدنيا كانوا يفترشونه؟

هل نازعهم في مال أو جاه؟

---

(١) إباحة التحلي بالذهب المحلق للنساء والرد على الألباني في تحريمه، الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري ص ٨٣.

(٢) لو كان هؤلاء أرادوا الرد العلمي لكان لهم منا الذكر الحسن ولو خالفونا في الرأي، بل لشكرهم محدث الشام وعلامة الدنيا على ذلك لكنهم أكل قلبهم الحقد والحسد فصار سباباً وقذفاً وشتماً فمعاملتهم بمثل فعلهم عدل لا ظلم والله المستعان.

الواقع أنهم غلبهم الحقد والحسد والتعصب البغيض حتى قالوا ما قالوا فيه ولو كانوا على منهج العلماء لقارعوه بالحجة المتأدبة، وباللسان العف كما سمعنا من سماحة العلامة (ابن باز) وهو يرد بعض ما لا يراهُ صواباً من كلام الألباني بقوله: أخونا العلامة الألباني أخطأ في هذه المسألة بدليل كذا وكذا، أو قوله: هذا ليس بصواب ولعل أخانا الشيخ الألباني أن يراجع المسألة، ونحو ذلك من الأقوال التي تدل على علم صاحبها واحترامه للعلم الذي يحمله الشيخ الألباني.

أترى هذه المواقف من المخالفين خلت من الحسد والحقد والتعصب؟

إن لم يكن الدافع لهم هذا فلا يدرى ما الدافع، فليس القوم أو جلهم بأهل خير وحق حتى يغاروا على الحق كما زعموا!!

اللهم غفرانك... اللهم غفرانك.

## ثالثاً: أثر الخلاف العقدي في تنمية مرض الحسد في الأمة[1]

**الاختلاف بين الطوائف وأخذ كل منهم شيئاً من الشريعة أدى إلى نوع من الحسد** أكل قلوب البعض فامتلأت غيظاً وحقداً لا نصرة لشريعة، ولا رفعاً لسنة، بل تحسراً بهوى نفسي على دنيا قد ضاعت، وتصدراً وكبراً قد ضرب بأطنابه في النفوس حتى ما كادت لترى النور بعينها.

**ويمكن أن نلخص الاختلافات العقدية في الآتي:**

- الخلاف بين الحنبلية والأشعرية[2].
- الخلاف بين السلفية والصوفية.

---

(١) هذا هو المطلب الأخير في المبحث الرابع من أسباب الحسد المعنون بـ(الاختلاف في العقيدة).

(٢) سبق شيء من ذلك في الفتنة بين الحنابلة وابن القشيري، إلا أنها كانت أول الخلاف بينهما، لذا أفردتها بالحديث أولاً كما سبق.

● الخلاف بين السنة والرافضة.

**والخلافات العقدية كثيرة والطوائف كثيرة** إلا أنني انتخبت هذه النقاط الثلاث لأنني وجدت المادة العلمية المتعلقة بالحسد فيها كثيرة ومتنوعة لذلك آثرتها على غيرها، ولم أغفل أيضاً شيئاً من تراجم أصحاب الطوائف الأخرى وبالنسبة للخلاف بين السلفية والصوفية وجدت كثيراً من النقول والأمور الموجودة في سير العلماء لا يمكن تصنيفها من باب الخلاف العقدي الصرف فإن المناوىء للصوفية فيها ليس من السلفيين وإنما ممن ينسبون إلى أهل علم الظاهر، لذا رأيت بحث ذلك تحت سبب التعصب المذهبي فهو أليق به.

**وفيما يلي بيان للمطلبين الآخرين:**

## * الخلاف بين الحنبلية والأشعرية:

**لم يزل الحنابلة والأشعرية متوافقين في كثير من المسائل حتى ظهرت فتنة ابن القشيري كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره.**

**والمدقق في هذا الخلاف** يجد أن كثيراً منه لا ينبني على حب نصر الشريعة وإنما يدخل الهوى فيه ولا بد، وآثار الحسد بادية عليه، ولا ينكر أن هناك بعض المواقف تدل على غيرة على الدين والإسلام لا سيما من أئمة الحنابلة الذين حملوا لواء السلفية ردحاً من الزمان لا ينازعهم في ذلك غيرهم.

**وفيما يلي قطوف من ثمار الكتب في تراجم العلماء نلحظ فيها هذا الأمر.**

### * في ترجمة عبدالرحمٰن بن علي بن محمد بن علي بن عبيدالله - أبو الفرج ابن الجوزي:

**قال الذهبي**: الشيخ العلامة الحافظ المفسر، شيخ الإسلام مفتخر العراق، ولم يرحل في الحديث وكان رأساً في التذكير بلا مدافعة يقول

النظم الرائق والنثر الفائق بديهاً ويسهب ويعجب وليته لم يخض في التأويل ولا خالف إمامه.

**وقال سبطه أبو المظفر**: سمعت جدي على المنبر يقول: بإصبعيّ هاتين كتبت ألفي مجلدة وتاب على يدي مئة ألف وأسلم على يدي عشرون ألفاً وكان يختم في الأسبوع ولا يخرج من بيته إلا إلى الجمعة أو المجلس - قلت (أي الذهبي): فما فعلت صلاة الجماعة؟

**وقال الموفق عبداللطيف في تأليف له**: وكان كثير الغلط فيما يصنفه كان يفرغ من الكتاب ولا يعتبره.

**قلت**: هكذا هو له أوهام وألوان من ترك المراجعة وأخذ العلم من صحف وصنف شيئاً لو عاش عمراً ثانياً لما لحق أن يحرره ويتقنه.

**وقال الإمام موفق الدين**: ابن الجوزي إمام أهل عصره في الوعظ وصنف في فنون العلم... إلا أننا لم نرضَ تصانيفه في السنة ولا طريقته فيها وكانت العامة يعظمونه وكانت تنفلت منه في بعض الأوقات كلمات تنكر عليه في السنة فيستفتى عليه فيها ويضيق صدره من أجلها.

**وقال ابن نقطة** : **قيل لابن الأخضر**: ألا تجيب عن بعض أوهام ابن الجوزي؟ قال: إنما يتتبع على من قلّ غلطه فأما هذا فأوهامه كثيرة.

**وقال السيف**: ما رأيت أحداً يعتمد عليه في دينه وعلمه وعقله راضياً عنه.

**قلت (أي الذهبي): إذا رضي الله عنه فلا اعتبار بهم.**

**قال**: وقال جدي: كان أبو المظفر ابن حمدي ينكر على أبي الفرج كثيراً كلمات يخالف فيها السنة.

**قال السيف**: وعاتبه أبو الفتح ابن المني في أشياء ولما بان تخليطه أخيراً رجع عنه أعيان أصحابنا وأصحابه وكان أبو إسحاق القلشي يكاتبه

وينكر عليه[1].

**وقال ابن النجار في ترجمة ابن البل**: كانت بينه وبين ابن الجوزي منافرات ولكل منهما متعصبون وأتباع[2].

**وقال ابن رجب الحنبلي**:

**وكان من أحسن الناس كلاماً**، وأتمهم نظاماً، وأعذبهم لساناً، وأجودهم بياناً، وبورك في عمره وعمله، فروى الكثير، وسمع الناس منه أكثر من أربعين سنة، وحدث بمصنفاته مراراً.

**قال**: **وأنشدني** بواسط لنفسه:

يا ساكن الدنيا تأهب ... وانتظر يوم الفراق
وأعد زاداً للرحيل ... فسوف يحدى بالرفاق
وابك الذنوب بأدمع ... تنهل من سحب المآقي
يا من أضاع زمانه ... أرَضِيتَ ما يفنى بباق

**قال**: وظهر أقوام يتكلمون بالبدع ويتعصبون في المذاهب فأعانني الله سبحانه وتعالى عليهم، وكانت كلمتنا العليا، وكان الشيخ رحمه الله يظهر في مجالسه مدح السنة، والإمام أحمد وأصحابه، ويذم من يخالفهم، ويصرح بمذاهبهم في مسائل الأصول، لا سيما في مسألة القرآن، وكلامه في كتبه الوعظية في ذلك كثير جداً.

**وقال يوماً على المنبر**: أهل البدع يقولون: «ما في السماء أحد، ولا في المصحف قرآن، ولا في القبر نبي»، ثلاث عورات لكم[3].

**وَفَد مرة إلى بغداد واعظ** يقال له البروي فتعصب في كلامه على

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٣٦٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٢٢ ص ٧٥.

(٣) وهذا يريد به الأشعرية، فإنهم يقولون بنفي العلو، وبالكلام النفسي، وبأن النبوة تنتهي بالموت.

الحنابلة كثيراً، فلم تطل مدته حتى هلك، وكان في تلك الأيام قد غدا ساع أسود للشيعة، وخرجوا للقائه، فانبط ووقع ميتاً، فضاقت صدورهم لذلك، فجلس الشيخ عقيب ذلك وقال في أثناء كلامه: كم أبرق مبتدع بأصحاب أحمد وأرعد فحظي يوماً وهو بالعيش الأرغد، وأما أنت يا أبعد فإن أردت أن تموت وإن أردت أن تحرد، مات البروي وانبط الأسود.

**وقد ذكر ابن القادسي في تاريخه** أن الشيخ كان يقوم الليل ويصوم النهار وله معاملات ويزور الصالحين إذا جن الليل ولا يكاد يفتر إذا جن الليل، ولا يكاد يفتر عن ذكر الله، وله في كل يوم وليلة ختمة فيختم فيها القرآن[١].

[قال الذهبي]: **كذا قال وهو بعيد جداً مع اشتغاله بالتصانيف.**

**قال: ورأى رب العزة في منامه ثلاث مرات**، ومع هذا؛ فللناس فيه رحمه الله كلام من وجوه:

**منها: كثرة أغلاطه في تصانيفه**، وعذره في هذا واضح، وهو أنه كان مكثراً من التصانيف فيصنف الكتاب ولا يعتبره، بل يشتغل بغيره، وربما كتب في الوقت الواحد في تصانيف عديدة، ولولا ذلك لم يجتمع له هذه المصنفات الكثيرة.

**ومع هذا كان تصنيفه في فنون من العلوم بمنزلة الاختصار** من كتب في تلك العلوم، فينقل من التصانيف من غير أن يكون متقناً لذلك العلم من جهة الشيوخ والبحث، ولهذا نقل عنه أنه قال: **أنا مرتب ولست بمصنف.**

**ومنها**: ما يوجد في كلامه **من الثناء والترفع والتعاظم** وكثرة الدعاوى ولا ريب أنه كان عنده من ذلك طرف والله يسامحه.

**ومنها**: وهو الذي من أجله نقم [عليه] جماعة من مشايخ أصحابنا

---

(١) وتقدم قريباً أن سبطه أبا المظفر قال: وكان يختم القرآن في كل أسبوع وهذا يبطل ما ذكره ابن القادسي في تاريخه.

وأئمتهم من المقادسة والعلثيين - من **ميله إلى التأويل في بعض كلامه،** واشتد نكرهم عليه في ذلك، ولا ريب أن كلامه في ذلك مضطرب مختلف **وهو وإن كان مطلعاً على الأحاديث والآثار في هذا الباب فلم يكن خبيراً بحل شبهة المتكلمين،** وبيان فسادها، وكان معظماً **لأبي الوفاء بن عقيل،** يتابعه في أكثر ما يجد في كلامه، وإن كان قد رد عليه في بعض المسائل، وكان **ابن عقيل** بارعاً في الكلام ولم يكن تام الخبرة بالحديث والآثار **فلهذا يضطرب في هذا الباب وتتلون فيه آراؤه وأبو الفرج له في هذا التلون.**

**قال الشيخ موفق الدين المقدسي**: كان ابن الجوزي إمام أهل عصره في الوعظ، وصنف في فنون العلم تصانيف حسنة، وكان صاحب قبول وكان يدرس الفقه ويصنف فيه، وكان حافظاً للحديث، وصنف فيه إلا أننا لم نرضَ تصانيفه في السنة، ولا طريقته فيها، انتهى.

**وكان رحمه الله تعالى** إذا رأى تصنيفاً وأعجبه صنف مثله في الحال، وإن لم يكن قد تقدم له في ذلك الفن عمل، لقوة فهمه وحدة ذهنه، فربما صنف لأجل ذلك الشيء ونقيضه بحسب ما يتفق له من الوقوف على تصانيف من تقدمه، وقد كان شيخه ابن ناصر يثني عليه كثيراً، ولما صنف أبو الفرج كتاه المسمى بـ«التلقيح» وله إذ ذاك نحو الثلاثين من عمره، عرضه على ابن ناصر، فكتب عليه: قرأ علي هذا الكتاب جامعه الشيخ الإمام العالم الزاهد أبو الفرج، فوجدته قد أجاد تصنيفه، وأحسن تأليفه، وجمعه ولم يسبق إلى مثل هذا الجمع، فقد طالع كتباً كثيرة، وأخذ أحسن ما فيها من الياقوت واللؤلؤ، فنظمه عقداً زان به التصانيف، التي تجمعت من التواريخ ومعرفة الصحابة وأسمائهم وكناهم وأعمالهم، وأبان عن فهم وعلم غزير مع اختصار يحض على الحفظ والعمل بالعلم، فنفعه الله بعلمه، ونفع به، وبلغه غاية العمر، لينفع المسلمين، وينصر السنة وأهلها ويدحض البدع وحزبها.

**وروى عنه آخرون بالإجازة** آخرهم الفخر علي بن البخاري **وقد نالته محنة في آخر عمره** رحمه الله وحديثها يطول.

**وملخصها**: أن الوزير ابن يونس الحنبلي الذي قدمنا ترجمته كان في ولايته قد عقد مجلساً للركن عبدالسلام بن عبدالوهاب بن عبدالقادر الجيلي، وأحرقت كتبه، وكان فيها من الزندقة وعبادة النجوم ورَأْيِ الأوائل شيء كثير، وذلك بمحضر من ابن الجوزي وغيره من العلماء، وانتزع الوزير منه مدرسة جده وسلمها إلى ابن الجوزي.

**فلما ولي الوزارة ابن القصاب** ـ وكان رافضياً خبيثاً ـ سعى في القبض على ابن يونس وتتبع أصحابه، فقال له الركن: أين أنت عن ابن الجوزي فإنه ناصبي ومن أولاد أبي بكر فهو من أكبر أصحاب ابن يونس وأعطاه مدرسة جدي وأحرقت كتبي بمشورته؟ فكتب ابن القصاب إلى الخليفة الناصر وكان الناصر له ميل إلى الشيعة ولم يكن له ميل إلى الشيخ أبي الفرج بل قد قيل: إنه كان يقصد أذاه، وقيل: إن الشيخ ربما كان يعرض في مجالسه بذم الناصر فأمر بتسليمه إلى الركن عبدالسلام فجاء إلى دار الشيخ وشتمه، وأغلظ عليه وختم على كتبه وداره وشتت عياله.

**فلما كان في أول الليل حمل في سفينة** وليس معه إلا عدوه الركن، وعلى الشيخ غلالة بلا سراويل، وعلى رأسه تخفيفة فأحضر إلى واسط وكان ناظرها شيعياً فقال له الركن: مكني من عدوي لأرميه في المطمورة، فزجره فقال: يا زنديق، أرميه بقولك: هات خط الخليفة، والله لو كان من أهل مذهبي لبذلت روحي ومالي في خدمته فعاد الركن إلى بغداد.

**قال ابن القادسي**: لما حضروا واسط جمع الناس، وادعى ابن عبدالقادر على الشيخ: أنه تصرف في وقف المدرسة، واقتطع من مالها كذا وكذا وكذب فيما ادعاه وأنكر الشيخ وصدق وبر وأفرد للشيخ دار بدرب الديون وأفرد له من يخدمه، وبقي الشيخ محبوساً بواسط في دار بدرب الديون، وعلى بابها بواب وكان بعض الناس يدخلون عليه ويستمعون منه، ويملي عليهم وكان يرسل أشعاراً كثيرة إلى بغداد وأقام بها خمس سنين يخدم نفسه بنفسه، ويغسل ثوبه ويطبخ، ويستقي الماء من البئر، ولا يتمكن من خروج إلى حمام ولا غيره وقد قارب الثمانين، ويقال: إنه بقي خمسة

أيام في السفينة حتى وصل إلى واسط لم يأكل فيها طعاماً.

**وذكر عنه أنه قال:** قرأت بواسط مدة مقامي بها كل يوم ختمة، ما قرأت فيها سورة يوسف من حزني على ولدي يوسف.

**والذي ذكره أبو الفرج بن الحنبلي عن طلحة العلثي** أن الشيخ كان يقرأ في تلك المدة ما بين المغرب والعشاء ثلاثة أجزاء أو أربعة من القرآن، وبقي على ذلك من سنة تسعين إلى سنة خمس وتسعين، فأفرج عنه، وقدم إلى بغداد وخرج خلق كثير يوم دخوله لتلقيه، وفرح به أهل بغداد فرحاً زائداً، ونودي له بالجلوس يوم السبت، فصلى الناس الجمعة وعبروا يأخذون مكانات موضع المجلس عند تربة أم الخليفة فوقع تلك الليلة مطر كثير ملأ الطرقات، فأحضر في الليل فراشون وروز جارية فنظفوا موضع الجلوس وفرشوا فيه دقاق الجص والبواري، ومضى الناس وقت المطر إلى قبر معروف تحت الساباط، حتى سكن المطر، ثم جلس الشيخ بكرة السبت وعبر الخلق وحضر أرباب المدارس والصوفية ومشايخ الربط وامتلأت البرية حتى ما كان يصل صوت الشيخ إلى آخرهم.

**وكان السبب في الإفراج عن الشيخ:** أن ولده محيي الدين يوسف ترعرع وأنجب وقرأ الوعظ ووعظ وتوصل وساعدته أم الخليفة، وكانت تتعصب للشيخ أبي الفرج فشفعت فيه عند ابنها الناصر، حتى أمر بإعادة الشيخ فعاد إلى بغداد وخلع عليه وجلس عند تربة أم الخليفة وأنشد:

شقينا بالنوى زمناً فلما ... تلاقينا كأنا ما شقينا
سخطنا عندما جنت الليالي ... فما زالت بنا حتى رضينا
سعدنا بالوصال وكم شقينا ... بكاسات الصدود وكم فنينا
فمن لم يحيَ بعد الموت يوماً ... فإنا بعدما متنا حيينا

**ولم يزل الشيخ على عادته الأولى في الوعظ،** ونشر العلم وكتابته إلى أن مات.

**ومما يذكر من مناقب الشيخ أبي الفرج،** ما ذكره هو في تاريخه في

ترجمة **مرجان الخادم**، وكان قد قرأ القرآن وشيئاً من الفقه وتزهد، وله مكانة عند الخليفة **إلا أنه كان يتعصب على الحنابلة فوق الحد** حتى إن الوزير **ابن هبيرة** عمل بمكة حطيماً يصلي فيه إمام الحنابلة فمضى **مرجان** وقلعه من غير إذن الخليفة.

**قال أبو الفرج: وناصبني دون الكل**، وبلغني أنه كان يقول: مقصودي قلع المذهب، فلما مات الوزير **ابن هبيرة** سعى إلى الخليفة فقال: عنده كتب من كتب الوزير فقال الخليفة: هذا محال، فإن فلاناً كان عنده أحد عشر ديناراً لأبي حكيم، وكان حشوياً، فما فعل فيها شيئاً حتى طالعنا قال: فنصرني الله عليه ودفع شره.

**قال: وحدثني سعد الله البصري** ـ وكان رجلاً صالحاً ـ وكان مرجان حينئذ في عافية، قال: رأيت مرجان في المنام ومعه اثنان كل واحد قد أخذ بيد فقلت: إلى أين؟ قالا: إلى النار، قلت: لماذا؟ قالا: كان يبغض ابن الجوزي.

**قال: ولما قويت عصبته لجأت إلى الله تعالى ليكفيني شره**، فما مضت إلا أيام حتى أخذه السُّلال فمات في ذي القعدة سنة ستين بعد ابن هبيرة بأشهر[1].

*** وفي ترْجمة الحافظ عبدالغني بن عبدالواحد بن علي بن سرور ـ الجماعيلي المقدسي ـ أبو محمد في الذيل لابن رجب:**

**قال ابن النجار**: وكان كثير العبادة وَرِعاً متمسكاً بالسنة على قانون السلف، ولم يزل بدمشق يحدث وينتفع به الناس، إلى أن تكلم في الصفات والقرآن بشيء أنكره عليه أهل التأويل من الفقهاء، وشنعوا به عليه، وعقد له مجلس بدار السلطان حضره القضاة والفقهاء فأصر على قوله، وأباحوا إراقة دمه فشفع فيه جماعة إلى السلطان من الأمراء والأكراد،

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ص ٣٩٩.

وتوسطوا في أمره على أن يخرج من دمشق إلى ديار مصر فأخرج إلى مصر وأقام بها خاملاً إلى حين وفاته.

**وسمعت يوسف بن خليل** بحلب يقول عن عبدالغني: كان ثقة ثبتاً ديناً مأموناً، حسن التصنيف، دائم الصيام، كثير الإيثار، كان يصلي كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، دعي إلى أن يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فأبى فمنع من التحديث بدمشق فسافر إلى مصر فأقام بها إلى أن مات.

**وقال الضياء**: وكمل الله فضيلته بابتلائه بأذى أهل البدعة وعداوتهم إياه، وقيامهم عليه ورزق العلم، وتحصيل الكتب الكثيرة، إلا أنه لم يعمر حتى يبلغ غرضه في روايتها ونشرها رحمه الله تعالى.

**وقال أبو الثناء محمود بن همام**: وأحيا الله به حديث رسول الله ﷺ فمن سمع حديثاً من أصحابنا كان بسببه ومن كان من غير أصحابنا كان طلبهم حسداً له، لما يرون من حرصه وكثرة طلبه[1].

**وسمعت الإمام أبا محمد عبدالرحمٰن بن محمد بن عبدالجبار المقدسي** قال: سمعت الحافظ يقول: سألت الله تعالى أن يرزقني مثل حال الإمام أحمد، فقد رزقني صلاته، قال: ثم ابتلي بعد ذلك وأوذي[2].

**وسمعت شيخنا الإمام أبا محمد عبدالله بن أبي الحسن الجبائي** بأصبهان يقول: كان أبو نعيم الحافظ قد أخذ على الحافظ أبي عبدالله بن منده أشياء في كتاب معرفة الصحابة وكان الحافظ أبو موسى المديني يشتهي أن يأخذ على أبي نعيم يعني في كتاب معرفة الصحابة، فما كان يحسن فلما جاء الحافظ عبدالغني إلى أصبهان أشار عليه بذلك، قال: تأخذ على أبي نعيم في كتابه معرفة الصحابة نحواً من مائتين وتسعين موضعاً، قال: فلما سمع بذلك الصدر عبداللطيف بن الخجندي طلب الحافظ عبدالغني،

---

(١) من كتاب ذيل طبقات الحنابلة ٢/٧.

(٢) هذا وما بعده من ذيل طبقات الحنابلة ٢/١٩.

وأراد إهلاكه فاختفى الحافظ.

**وسمعت أبا الثناء محمود بن سلامة الحراني** قال: ما أخرجنا الحافظ من أصبهان إلا في إزار، وذلك أن بيت الخجندي **أشاعرة**، كانوا يتعصبون لأبي نعيم وكانوا رؤساء البلد.

**قلت: هذا في غاية الجهل والهوى**، وإلا فما الذي يتعلق بهذا من المذاهب واختلاف المقالات.

**قال الضياء**: وسمعت الحافظ يقول: كنا بالموصل نسمع الجرح والتعديل للعقيلي، فأخذني أهل الموصل وحبسوني، وأرادوا قتلي من أجل ذكر **أبي حنيفة** فيه، قال: فجاءني رجل طويل ومعه سيف، فقلت: لعل هذا يقتلني وأستريح، قال: فلم يصنع شيئاً، ثم إنهم أطلقوني.

**قال: وكان يسمع هو والإمام ابن البرني الواعظ**، فأخذ ابن البرني الكراس التي فيها ذكر أبي حنيفة فاشتالها، فأرسلوا وفتشوا الكتاب فلم يجدوا شيئاً فهذا سبب خلاصه والله أعلم.

**قال: وكان الحافظ يقرأ الحديث بدمشق**، ويجتمع الخلق عليه، ويبكي الناس وينتفعون بمجالسه كثيراً، فوقع الحسد عند المخالفين بدمشق، وشرعوا يعملون وقتاً يجتمعون في الجامع، ويقرأ عليهم الحديث، ويجمعون الناس من غير اختيارهم، فهذا ينام، وهذا قلبه غير حاضر، فلم تشتف قلوبهم بذلك، فشرعوا في المكيدة بأن أمروا الإمام الناصح أبا الفرج عبدالرحمٰن بن نجم ابن الحنبلي الواعظ بأن يجلس يعظ في الجامع تحت قبة النسر بعد الجمعة وقت جلوس الحافظ فلما بلغني ذلك قلت لبعض أصحابنا: هذه مكيدة والله ما ذلك لحبهم الناصح، وإنما يريدون أن يعملوا شيئاً، فأول ذلك أن الحافظ والناصح أرادا أن يختلفا لوقت، ثم اتفقا على أن يجلس الناصح بعد صلاة الجمعة ثم يجلس الحافظ بعد العصر، فلما كان بعض الأيام، والناصح قد فرغ من مجلسه ـ وكان قد ذكر الإمام أحمد رحمه الله في مجلسه ـ فدسوا إليه رجلاً ناقص العقل من بيت ابن عساكر، فقال للناصح كلاماً معناه: إنك تقول الكذب على المنبر، فضرب ذلك

الرجل وهرب فأتبع، فخبىء في الكلاسة، فتمت لهم المكيدة بهذه الواقعة فمشوا إلى الوالي، وقالوا له: هؤلاء الحنابلة ما قصدهم إلا الفتنة، واعتقادهم يخالف اعتقادنا، ثم إنهم جمعوا كبراءهم ومضوا إلى القلعة إلى الوالي، وقالوا: نشتهي أن يحضر الحافظ عبدالغني، وكان مشايخنا قد سمعوا بذلك، فانحدروا إلى دمشق إلى الإمام موفق الدين وأخي الإمام أبي العباس أحمد البخاري وجماعة الفقهاء، وقالوا: نحن نناظرهم، وقالوا للحافظ: اقعد أنت لا تجيء، فإنك حاد ونحن نكفيك، فاتفق أنهم أرسلوا إلى الحافظ من القلعة وحده فأخذوه ولم يعلم أصحابنا بذلك، فناظروه، وكان أجهلهم يغري به فاحتد وكانوا قد كتبوا شيئاً من اعتقاداتهم وكتبوا خطوطهم فيه وقالوا له: اكتب خطك فلم يفعل، فقالوا للوالي: الفقهاء كلهم قد اتفقوا على رأي وهو يخالفهم، وكان الوالي لا يفهم شيئاً فاستأذنوه في رفع منبره، فأرسلوا الأسرى فرفعوا ما في جامع دمشق من منبر وخزانة ودرابزين، وقالوا: نريد أن لا نجعل في الجامع إلا صلاة أصحاب الشافعي، وكسروا منبر الحافظ، ومنعوه من الجلوس، ومنعوا أصحابنا من الصلاة في مقامهم في الجامع، ففاتهم صلاة الظهر ثم إن الناصح ابن الحنبلي جمع السوقة وغيرهم وقال: إن لم يخلونا نصلي باختيارهم صلينا بغير اختيارهم فبلغ ذلك القاضي ـ وهو صاحب الفتنة ـ فأذن لهم بالصلاة، وخاف أن يصلي بغير إذنه، وكان الحنفية قد حموا مقصورتهم بالجند.

**ثم إن الحافظ ضاق صدره ومضى إلى بعلبك،** فأقام بها مدة يقرأ الحديث، وكان الملك العادل في بلاد الشرق، فقال أهل بعلبك للحافظ: إن اشتهيت جئنا معك إلى دمشق نؤذي من آذاك، فقال: لا، ثم إنه توجه إلى مصر ولم يعلم أصحابنا بسفره فبقي مدة بنابلس يقرأ الحديث.

**قال الضياء:** وهذا سمعته من أصحابنا، وكنت أنا في ذلك الوقت بمصر أسمع الحديث.

**قلت:** وقد ذكر بعض المخالفين هذه القضية على غير هذا الوجه، فقال: اجتمع الشافعية والحنفية والمالكية عند المعظم عيسى، والصارم

برغش والي القلعة، وكانا يجلسان بدار العدل للنظر في المظالم، قال: **وكان ما اشتهر من إحضار اعتقاد الحنابلة**، وموافقة أولاد الفقيه نجم الدين الحنبلي الجماعة، **وإصرار الفقيه عبدالغني المقدسي على لزوم ما ظهر به من اعتقاده**، وهو الجهة والاستواء والحرف، وأجمع الفقهاء على الفتوى بكفره، وأنه مبتدع، لا يجوز أن يترك بين المسلمين، ولا يحل لولي الأمر أن يمكنه من المقام معهم، وسأل أن يمهل ثلاثة أيام لينفصل عن البلد فأجيب.

**وذكر غيره أنهم أخذوا عليه مواضع**، منها قوله: **ولا أنزهه تنزيهاً ينفي حقيقة النزول**، ومنها قوله: **كان الله ولا مكان، وليس هو اليوم على ما كان**، ومنها: **مسألة الحرف والصوت، فقالوا له**: إذا لم يكن على ما قد كان، فقد أثبت له المكان، وإذا لم تنزهه تنزيهاً تنفي حقيقة النزول، فقد أجزت عليه الانتقال، وأما الحرف والصوت فإنه لم يصح عن إمامك الذي تنتمي إليه في شيء، وإنما المنقول عنه أنه كلام الله عز وجل غير مخلوق، وارتفعت الأصوات **فقال له صارم الدين: كل هؤلاء على ضلال، وأنت على الحق؟ قال: نعم**[1].

**ثم ذكر منعهم من الصلاة بالجامع**، قال: فخرج عبدالغني إلى بعلبك، ثم سافر إلى مصر فنزل عند الطحانين، وصار يقرأ الحديث فأفتى فقهاء مصر بإباحة دمه، وكتب أهل مصر إلى الصفي بن شكر وزير العادل أنه **قد أفسد عقائد الناس، ويذكر التجسيم** على رؤوس الأشهاد فكتب إلى والي مصر ينفيه إلى المغرب فمات قبل وصول الكتاب.

**فأما قولهم: أجمع الفقهاء على الفتوى بكفره، وأنه مبتدع فيا للّه العجب، كيف يقع الإجماع، وأحفظ أهل وقته لسنة وأعلمهم بها هو المخالف؟**

---

(١) رحمه الله ما أشد علمه وفضله، وقوله في هذه المسائل الثلاث لا ريب أنه الحق وإن منع المانعون، وتشدق المتشدقون.

**وما أحسن ما قال أبو بكر قاضي القضاة الشامي الشافعي**، لما عقد له مجلس ببغداد وناظره **الغزالي** واحتج بأن الإجماع منعقد على خلاف ما عملت به، فقال **الشامي**: إذا كنت **أنا الشيخ** في هذا الوقت أخالفكم على ما تقولون فبمن ينعقد الإجماع، بك وبأصحابك؟؟ هذا مع مخالفة **فقيه الإسلام** في وقته الذي يقال: إنه لم يدخل الشام بعد **الأوزاعي** أفقه منه، **ومعه خلق من أئمة الفقهاء**، والمناظر والمحدثين هذا في الشام خاصة، دع المخالفين لهؤلاء المجتمعين في سائر بلاد المسلمين بغداد ومصر وغيرهما من أمصار المسلمين **مع إجماع السلف المنعقد على موافقة هؤلاء المخالفين لهم، ولم يكن في المخالفين للحافظ من له خبرة بالسنة والحديث والآثار**.

**ولقد عُقِدَ مرة مجلس لشيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية**، فتكلم فيه بعض أكابر المخالفين وكان خطيب الجامع، فقال الشيخ شرف الدين عبدالله أخو الشيخ: **كلامنا مع أهل السنة، وأما أنت: فأنا أكتب لك الحديث من الصحيحين، وأحاديث من الموضوعات وأظنه قال: وكلاماً من سيرة عنترة فلا تميز بينهما أو كما قال فسكت الرجل**.

**وأما قولهم**: إن بني **الحنبلي** وافقوا الجماعة، فهذا إما أن يكون صحيحاً أو غير صحيح، فهو تقية ونفاق منهم، وإلا فكلام **بني نجم الدين الحنبلي**، وكلام أبيهم في إثبات **الصوت** كثير موجود وسنذكر إن شاء الله مما نقله الناصح خاصة في إثبات **الصوت** ما نذكره في مواضعه.

**وأما قوله: ولا أنزهه تنزيهاً ينفي حقيقة النزول**، فإن صح هذا عنه فهو حق وهو كقول القائل: لا أنزهه تنزيهاً ينفي حقيقة وجوده أو حقيقة كلامه أو حقيقة علمه أو سمعه وبصره ونحو ذلك.

**وأما المكان ففيه نزاع وتفصيل، وفي الصحيحين إثبات لفظ المكان** وأما **الانتقال** ففيه وجهان:

**أحدهما**: لا نسلم لزومه فإن نزوله ليس كنزول المخلوقين ولهذا نقل

عن جماعة من الأئمة **أنه ينزل ولا يخلو منه العرش**[١].

**والثاني**: أن هذا مبني على إثبات الأفعال الاختيارية وقيامها بالذات، وفيها قولان لأهل الحديث المتأخرين من أصحابنا وغيرهم.

**وأما إنكارهم إثبات الصوت عن الإمام الذي ينتمي إليه الحافظ** فمن أعجب العجب وكلامه في إثبات الصوت كثير جداً.

**قال عبدالله ابن الإمام أحمد في كتاب السنة**: سألت أبي عن قوم يقولون: لما كلم الله موسى لم يتكلم بصوت؟ فقال أبي: بلى تكلم بصوت، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت[٢].

**والمقصود ههنا الإشارة إلى ما وقع في حق الحافظ**، من التحامل عليه والتعصب.

**وقرأت بخط الإمام الذهبي رداً على من نقل الإجماع على تكفيره: أما قوله: أجمعوا فما أجمعوا، بل أفتى بذلك بعض أئمة الأشاعرة ممن كفروه، وكفرهم هو، ولم يبد من الرجل أكثر مما يقوله خلق من العلماء الحنابلة والمحدثين**، من أن الصفات الثابتة محمولة على الحقيقة لا على المجاز، أعني أنها تجري على مواردها، لا يعبر عنها بعبارات أخرى كما فعلته المعتزلة، أو المتأخرون من الأشعرية هذا مع أن صفاته تعالى لا يماثلها شيء.

**قال الحافظ الضياء**: وجاء شاب من أهل دمشق بفتاوى من أهلها إلى صاحب الحافظ بمصر وهو العزيز عثمان ومعه كتب أن الحنابلة يقولون كذا وكذا، مما يشنعون به ويفترون عليهم، وكان ذلك الوقت قد خرج نحو الإسكندرية يتفرج فقال: إذا رجعنا من هذه السفرة أخرجنا من بلادنا من

---

(١) بهامش المخطوطة: قلت: ولهذا قال ابن الجوزي: ينزل نزولاً لا تخلو منه منازله إلخ، كما في التبصرة.

(٢) قال المحققون للكتاب: بياض بالأصل قدر ثلثي سطر، وكملناه من كتاب السنة لعبدالله بن أحمد المطبوع بمكة (صفحة ٦٢).

يقول بهذه المقالة؟ فلم يرجع إلا ميتاً، فإنه عدا به الفرس خلف الصيد فشب به الفرس وسقط عليه فخسف صدره، كذا حدثني شيخنا يوسف بن الطفيل، وهو الذي تولى غسله، وأقام ولده موضعه وأرسلوا إلى الأفضل بن صلاح الدين وكان بصرخد فجاء وأخذ مصر وذهب إلى دمشق فلقي الحافظ عبدالغني في الطريق فأكرمه إكراماً كثيراً وبعث يوصي به بمصر.

**فلما وصل الحافظ إلى مصر** تلقي بالبشر والإكرام وأقام بها يسمع الحديث بمواضع منها وبالقاهرة وقد كان بمصر كثير من المخالفين لكن كانت رائحة السلطان تمنعهم من أذى الحافظ لو أرادوه، ثم جاء الملك العادل وأخذ مصر وأكثر المخالفون عنده على الحافظ، وسمعت أن بعضهم بذل في قتل الحافظ خمسة آلاف دينار، قال: وقرأت بخط الحافظ كتبه إلى دمشق: والملك العادل اجتمعت به وما رأيت به إلا الجميل فأقبل علي وأكرمني وقام لي والتزمني ودعوت له، ثم قلت: عندنا قصور فهو الذي يوجب التقصير فقال: ما عندك لا تقصير ولا قصور، وذكر أمر السنة فقال: **ما عندك شيء يعاب في أمر الدين ولا الدنيا ولا بد للناس من حاسدين**، وقد تقدم ذكر هيبة العادل له واحترامه وتعجب الناس من ذلك.

**قال: ثم سافر العادل إلى دمشق وبقي الحافظ بمصر** والمخالفون لا يتركون الكلام فيه فلما أكثروا عزم الملك الكامل على إخراجه من مصر، واعتقل في دار سبع ليال، فقال: ما وجدت راحة بمصر مثل تلك الليالي.

**وقال: سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن عبدالغني يقول**: حدثني الشجاع بن أبي ذكرى الأمير قال: قال لي الملك الكامل يوماً: ههنا رجل فقيه، قالوا: إنه كافر، قلت: لا أعرفه، قال: بلى، هو محدث فقلت: لعله الحافظ عبدالغني؟ فقال: نعم، هذا هو، فقلت: **أيها الملك العلماء أحدهم يطلب الآخرة والآخر يطلب الدنيا وأنت ههنا باب الدنيا فهذا الرجل جاء إليك وأرسل إليك شفاعة أو رقعة يطلب منك شيئاً؟** فقال: لا، فقلت: أيها الملك **والله لهؤلاء القوم يحسدونه** فهل في هذه البلاد أرفع منك؟ قال: لا، فقلت: هذا الرجل أرفع العلماء كما أنت أرفع الناس ههنا، فقال: جزاك الله خيراً كما عرفتني هذا.

**ثم إني أرسلت رقعة إلى الملك الكامل** أوصيه به فأرسل إلي تجيء فمضيت إليه وإذا عنده جماعة منهم شيخ الشيوخ يعني ابن حمويه وعز الدين الزنجاني فقال لي الملك: نحن في أمر الحافظ **فقلت: أيها الملك القوم يحسدونه**، ثم بيننا هذا الشيخ أعني شيخ الشيوخ، وقلت: بحق كذا وكذا هل سمعت من الحافظ كلاماً يخرج عن الإسلام؟ فقال: لا والله ما سمعت منه إلا كل جميل، وما رأيته قط ثم تكلم ابن الزنجاني فمدح الحافظ مدحاً كثيراً ومدح تلامذته وقال: أنا أعرفهم فما رأيت مثلهم فقلت: وأنا أقول شيئاً آخر، فقال: ما هو؟ قال: فقال: لا يؤذى الحافظ، فقلت: اكتب بخطك ذاك فكتب.

**وسمعت بعض أصحابنا يقول**: إن الحافظ أمر أن يكتب اعتقاده فكتب: أقول كذا لقول الله كذا، وأقول كذا لقول رسول الله ﷺ كذا، حتى فرغ من المسائل التي يخالفون فيها، فلما وقف عليها الملك الكامل قال: **إيش في هذا؟ يقول بقول الله عز وجل، وقول رسول الله ﷺ**، قال: فخلي عنه.

**وفي السير: عبدالغني بن عبدالواحد بن علي بن سرور المقدسي ثم الجماعيلي الدمشقي الحنبلي صاحب الأحكام الكبرى والصغرى:**

**قال الذهبي: الإمام العالم الكبير الصادق القدوة العابد الأثري المتبع عالم الحفاظ.**

**وقال نصر بن رضوان المقري**: ما رأيت أحداً على سيرة الحافظ، كان مشتغلاً طول زمانه كان لا يرى منكراً إلا غيّره بيده أو بلسانه وكان لا تأخذه في الله لومة لائم قد رأيته مرة يهريق خمراً فجبذ صاحبه السيف فلم يخف منه وأخذه من يده وكان قوياً في بدنه وكثيراً ما كان بدمشق ينكر ويكسر الطنابير والشبابات.

**وقال الموفق**: كان الحافظ لا يصبر عن إنكار المنكر إذا رآه وكنا مرة أنكرنا على قوم وأرقنا خمرهم وتضاربنا فسمع خالي أبو عمر فضاق صدره

وخاصمنا فلما جئنا إلى الحافظ طيّب قلوبنا وصوّب فعلنا وتلا ﴿وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾[1].

**وقال أبو بكر بن أحمد الطحان**: كان بعض أولاد صلاح الدين قد عملت لهم الطنابير وكانوا في بستان يشربون فلقي الحافظ الطنابير فكسرها.

**وقال الضياء**: **رأيت بخط الحافظ** والملك العادل اجتمعت به وما رأيت منه إلا الجميل فأقبل علي وقام لي والتزمني ودعوت له ثم قلت: عندنا قصور هو الذي يوجب التقصير فقال: ما عندك لا تقصير ولا قصور وذكر أمر السنة فقال: **ما عندك شيء تعاب به لا في الدين ولا في الدنيا ولا بد للناس من حاسدين**.

**وكانوا قد وغروا عليه صدر العادل وتكلموا فيه** وكان بعضهم أرسل إلى العادل يبذل في قتل الحافظ خمسة آلاف دينار.

**قلت**: جر هذه الفتنة **نشر الحافظ أحاديث النزول والصفات** فقاموا عليه ورموه بالتجسيم كما كان يداريهم الشيخ الموفق.

**قال الضياء**: وما أعرف أحداً من أهل السنة رآه إلا أحبه ومدحه كثيراً.

**وقال الإمام عبدالله بن أبي الحسن الجبائي**: أبو نعيم قد أخذ على ابن منده أشياء في كتاب الصحابة فكان الحافظ أبو موسى يشتهي أن يأخذ على أبي نعيم في كتابه الذي في الصحابة فما كان يجسر فلما قدم الحافظ عبدالغني أشار عليه بذلك قال: فأخذ على أبي نعيم نحواً من مائتين وتسعين موضعاً فلما سمع بذلك الصدر الخجندي طلب عبدالغني وأراد هلاكه فاختفى.

**وقال محمود بن سلامة**: ما أخرجنا الحافظ من أصبهان إلا في إزار وذلك أن بيت الخجندي **أشاعرة** كانوا يتعصبون لأبي نعيم وكانوا رؤساء البلد.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٧.

**ثم ذكر الذهبي** رحمه الله تعالى المكيدة التي كيدت للحافظ بالوقيعة بينه وبين الناصح حيث كان الناصح يجلس يعظ تحت النسر يوم الجمعة وقت جلوس الحافظ، فأول ذلك أن الناصح والحافظ أرادا أن يختلفا الوقت فاتفقا على أن الناصح يجلس بعد الصلاة وأن يجلس الحافظ العصر فدسوا إلى الناصح رجلاً ناقص العقل من بني عساكر فقال للناصح في المجلس ما معناه: إنك تقول الكذب على المنبر، فضرب وهرب، فتمت مكيدتهم، ومشوا إلى الوالي، وقالوا: هؤلاء الحنابلة قصدهم الفتنة، واعتقادهم يخالف اعتقادنا، ونحو هذا، ثم جمعوا كبراءهم ومضوا إلى القلعة إلى الوالي، وقالوا: نشتهي أن تحضر عبدالغني، فانحدر إلى المدينة خالي الموفق وأخي الشمس البخاري وجماعة، وقالوا: نحن نناظرهم، وقالوا للحافظ: لا تجيء فإنك حادٌّ نحن نكفيك، فاتفق أنهم أخذوا الحافظ وحده لم يدر أصحابنا فناظروه، واحتد، وكانوا قد كتبوا شيئاً من الاعتقاد وكتبوا خطوطهم فيه وقالوا له: اكتب خطك فأبى، فقالوا للوالي: **الفقهاء كلهم قد اتفقوا على شيء وهو يخالفهم،** واستأذنوه في رفع منبره، فبعث الأسرى فرفعوا ما في جامع دمشق من منبر وخزانة ودرابزين، وقالوا: نريد أن لا نجعل في الجامع إلا صلاة أصحاب الشافعي، وكسروا منبر الحافظ، ومنعونا من الصلاة ففاتتنا صلاة الظهر، ثم إن الناصح جمع البنوية وغيرهم وقالوا: إن لم يخلونا نصلي باختيارهم صلينا بغير اختيارهم فبلغ ذلك القاضي ـ وهو صاحب الفتنة ـ فأذن لهم، وحمى الحنفية مقصورتهم بأجناد.

**ثم إن الحافظ ضاق صدره ومضى إلى بعلبك،** فأقام بها مدة فقال له أهلها: إن اشتهيت جئنا معك إلى دمشق نؤذي من آذاك، فقال: لا، وتوجه إلى مصر فبقي بنابلس مدة يقرأ الحديث، وكنت أنا بمصر فجاء شاب من دمشق بفتاوى إلى صاحب مصر الملك عبدالعزيز **ومعه كتب أن الحنابلة يقولون كذا وكذا** مما يشنعون به عليهم، فقال: وكان يتصيد إذا رجعنا أخرجنا من بلادنا، من يقول بهذه المقالة؟، فاتفق أنه عدا به الفرس فشب به فسقط فخسف صدره، كذلك حدثني يوسف بن الطفيل شيخنا، وهو الذي غسله، فأقيم ابنه صبي، فجاء الأفضل من صرخد وأخذ مصر وعسكر

وكر إلى دمشق، فلقي الحافظ عبدالغني في الطريق فأكرمه إكراماً كثيراً ونفذ يوصي به بمصر، فتلقى الحافظ الإكرام وأقام بها يسمع الحديث بمواضع، وكان بها كثير من المخالفين، وحصر الأفاضل دمشق حصراً شديداً، ثم رجع إلى مصر، فسار العادل عمه خلفه فتملك مصر، وأقام وكثر المخالفون على الحافظ فاستدعى وأكرمه العادل ثم سافر إلى دمشق وبقي الحافظ بمصر وهم ينالون منه حتى عزم الملك الكامل على إخراجه[1]، واعتقل في دار أسبوعاً، فسمعت أبا موسى يقول: سمعت أبي يقول، ما وجدت راحة في مصر مثل تلك الليالي، قال: وكانت امرأة في دار إلى جانب تلك الدار فسمعتها تبكي، وتقول: بالسر الذي أودعته قلب موسى حتى قوي على حمل كلامك، قال: فدعوت به فخلصت تلك الليلة.

**سمعت أحمد بن محمد بن عبدالغني حدثني الشجاع بن أبي زكرى[2]** الأمير قال: قال لي الملك الكامل يوماً: هاهنا فقيه قالوا إنه كافر، قلت: لا أعرفه، قال: بلى، هو محدث فقلت: لعله الحافظ عبدالغني؟ قال: هذا هو، فقلت: أيها الملك العلماء أحدهم يطلب الآخرة، وآخر يطلب الدنيا وأنت هنا باب الدنيا فهذا الرجل جاء إليك أو تشفع يطلب شيئاً[3]؟، قال: لا، فقلت: **والله هؤلاء يحسدونه** فهل في هذه البلاد أرفع منك؟ قال: لا، فقلت: هذا الرجل أرفع العلماء كما أنت أرفع الناس، فقال: جزاك الله خيراً كما عرفتني.

**ثم بعثت رقعة إليه أوصيه به**، فجئت وإذا عنده جماعة منهم شيخ الشيوخ يعني ابن حمويه وعز الدين الزنجاني فقال لي السلطان: نحن في أمر الحافظ فقلت: أيها الملك القوم يحسدونه، وهذا الشيخ بيننا ـ يعني شيخ الشيوخ ـ وحلفته هل سمعت من الحافظ كلاماً يخرج عن الإسلام؟

---

(١) كان الملك الكامل أشعرياً جلداً.

(٢) تصحفت في الذيل لابن رجب إلى ذكرى.

(٣) اختصر الإمام الذهبي العبارة على عادته فهذا الرجل جاء إليك أو أرسل إليك شفاعة أو رقعة يطلب منك شيئاً.

فقال: لا والله ما سمعت منه إلا كل جميل، وما رأيته، وتكلم ابن الزنجاني[1] فمدح الحافظ كثيراً وتلامذته وقال: أنا أعرفهم ما رأيت مثلهم فقلت: وأنا أقول شيئاً آخر لا يصل إليه مكروه حتى يقتل من الأكراد ثلاثة آلاف، قال: فقال: لا يؤذى الحافظ، فقلت: اكتب بخطك ذاك فكتب.

**وسمعت بعض أصحابنا يقول**: إن الحافظ أمر أن يكتب اعتقاده فكتب أقول كذا لقول الله كذا، وأقول كذا لقول الله كذا ولقول رسول الله ﷺ كذا، حتى فرغ من المسائل التي يخالفون فيها، فلما رآها الكامل قال: **إيش أقول في هذا؟ يقول بقول الله وقول رسول الله ﷺ**.

**قلت**[2]: وذكر أبو المظفر الواعظ في مرآة الزمان قال: كان الحافظ عبدالغني يقرأ الحديث بعد الجمعة قال: فاجتمع القاضي محيي الدين والخطيب ضياء الدين وجماعة، فصعدوا إلى القلعة وقالوا لواليها: هذا قد أضل الناس ويقول بالتشبيه، فعقدوا له مجلساً، فناظرهم، فأخذوا عليه مواضع منها: قوله: **لا أنزهه تنزيهاً ينفي حقيقة النزول، ومنها: كان الله ولا مكان وليس هو اليوم على ما كان، ومنها مسألة الحرف والصوت** فقالوا: إذا لم يكن على ما كان فقد أثبت له المكان، وإذا لم تنزهه عن حقيقة النزول فقد جوزت عليه الانتقال، وأما الحرف والصوت فلم يصح عن إمامك[3]، وإنما قال: إنه كلام الله، يعني غير مخلوق، وارتفعت الأصوات فقال والي القلعة الصارم برغش: **كل هؤلاء على ضلالة وأنت على الحق؟ قال: نعم فأمر بكسر منبره**.

**قال: وخرج الحافظ إلى بعلبك** ثم سافر إلى مصر إلى أن قال: فأفتى فقهاء مصر بإباحة دمه، وقالوا: يفسد عقائد الناس، ويذكر التجسيم فكتب الوزير بنفيه إلى المغرب فمات الحافظ قبل وصول الكتاب.

---

(١) تصحفت في الذيل لابن رجب ٢٦٥/٢ إلى النجاني وهو عز الدين عثمان بن عبدالعزيز الزنجاني الأمير. انظر تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي ٤ /الترجمة ٣٠٠.

(٢) القول للإمام الذهبي.

(٣) يعني الإمام أحمد بن حنبل.

**قال: وكان يصلي كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة**، ويقوم الليل ويحمل ما أمكنه إلى بيوت الأرامل واليتامى سراً، وضعف بصره من كثرة البكاء والمطالعة وكان أوحد زمانه في علم الحديث.

**وقال أيضاً**: وفي ذي القعدة سنة ست وتسعين وخمسمائة كان ما اشتهر من أمر الحافظ عبدالغني وإصراره على ما ظهر من اعتقاده وإجماع الفقهاء على الفتيا بتكفيره وأنه مبتدع لا يجوز أن يترك بين المسلمين، فسأل أن يمهل ثلاثة أيام لينفصل عن البلد فأجيب.

**قلت: قد بلوت على أبي المظفر المجازفة وقلة الورع فيما يؤرخه والله الموعد، وكان يترفض رأيت له مصنفاً في ذلك فيه داوة**[1]، **ولو أجمعت الفقهاء على تكفيره كما زعم لما وسعهم إبقاؤه حياً**، فقد كان على مقالته بدمشق **أخوه الشيخ العماد** والشيخ **الموفق** وأخوه القدوة **الشيخ أبو عمر** والعلامة **شمس الدين البخاري وسائر الحنابلة**، وعدة من أهل الأثر، وكان بالبلد أيضاً خلق من العلماء لا يكفرونه، نعم ولا يصرحون بما أطلقه من العبارة لما ضايقوه، ولو كف عن تلك العبارات وقال بما وردت به النصوص لأجاد ولسلم، **فهو الأولى فما في توسيع العبارات الموهمة خير**، وأسوأ شيء قاله **أنه ضلل العلماء** الحاضرين، وأنه على الحق، فقال كلمة فيها شر وفساد وإثارة للبلاء، **رحم الله الجميع وغفر لهم، فما قصدهم إلا تعظيم الباري عز وجل من الطرفين، ولكن الأكمل في التعظيم والتنزيه الوقوف مع ألفاظ الكتاب والسنة، وهذا هو مذهب السلف رضي الله عنهم**[2].

**وعلى كل حال فالحافظ عبدالغني من أهل الدين والعلم والتأله** والصدع بالحق، ومحاسنه كثيرة، فنعوذ بالله من الهوى والمراء والعصبية والافتراء

---

(١) قد تكلم الذهبي في سبط ابن الجوزي وكرر ذلك في غير ما موضع من كتبه ولا سيما تاريخ الإسلام. وانظر ترجمته في السير وتاريخ الإسلام.

(٢) رحم الله الإمام الذهبي ما أنصفه.

ونبرأ من كل مجسم ومعطل[1].

**من فراسة الحافظ وكراماته:**

**قال الحافظ الضياء:** سمعت الحافظ أبا موسى بن عبدالغني يقول: كنت عند والدي بمصر، وهو يذكر فضائل سفيان الثوري فقلت في نفسي: إن والدي مثله، فالتفت إلي وقال: أين نحن من أولئك؟

**سمعت نصر بن رضوان المقرىء يقول:** كان منبر الحافظ فيه قصر وكان الناس يشرفون إليه فخطر لي لو كان يُعلى قليلاً، فترك الحافظ القراءة من الجزء وقال: بعض الإخوان يشتهي[2] أن يُعلى هذا المنبر قليلاً فزادوا في رجليه.

## * جاء في ترجمة محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر السلامي الفارسي الأصل ثم البغدادي:

**قال ابن رجب:**

---

(١) في هامش تحقيق السير: هذا هو رأي الإمام الذهبي، وهو الصواب، إذ لا فائدة في الدخول في كل هذه المتاهات وقد قال في تاريخ الإسلام رداً على السبط: قلت: وإجماع الفقهاء على الفتيا بتكفيره كلام ناقص وهو كذب صريح إنما أفتى بذاك بعض الشافعية الذين تعصبوا عليه، وأما الشيخ موفق الدين وأبو اليمن الكندي شيخا الحنفية والحنابلة فكانا معه، ولكن نعوذ بالله من الظلم والجهل (الورقة ٢٧٣ أحمد الثالث).
وقال ابن رجب: قرأت بخط الإمام الحافظ الذهبي رداً على من نقل الإجماع على تكفيره: أما قوله أجمعوا فما أجمعوا بل أفتى بذلك بعض أئمة الأشاعرة ممن كفروه وكفرهم هو، ولم يبد من الرجل أكثر مما يقوله خلق من العلماء الحنابلة والمحدثين من أن الصفات الثابتة محمولة على الحقيقة لا على المجاز، أعني أنها تجري على مواردها لا يعبر عنها بعبارات أخرى كما فعلته المعتزلة أو المتأخرون من الأشعرية، هذا مع أن صفاته تعالى لا يماثلها شيء (الذيل ٢/٢٤).

(٢) تحرفت العبارة في الذيل لابن رجب بفعل عدم فهم ناشر الكتاب للحكاية فجاءت كما يأتي: فقال بعض الإخوان: نشتهي... والمقصود ببعض الإخوان هنا هو نصر بن رضوان المقرىء.
وانظر في ذلك كله سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٤٤٣.

**وكانت له إجازات قديمة** من أبي الحسين بن النقور، والصريفيني وأبي القاسم بن عليك، وأبي صالح المؤذن، وابن ماكولا الحافظ وغيرهم، **وخالط أصحابنا الحنابلة ومال إليهم، وانتقل إلى مذهبهم**، لمنام رأى فيه النبي ﷺ وهو يقول له: عليك بمذهب الشيخ أبي منصور الخياط، وقد سقناه بكماله في ترجمة الشيخ أبي منصور.

**وساقه ابن النجار مختصراً**، وفي آخره قال ابن ناصر: ثم أخذت في سماع كتب أحمد ومسائله والتفقه على مذهبه، وذلك في رمضان سنة ثلاث وتسعين.

**قال السلفي**: سمع ابن ناصر معنا كثيراً، **وهو شافعي أشعري**، ثم انتقل إلى مذهب أحمد في الأصول والفروع، ومات عليه، وله جودة حفظ وإتقان، وحسن معرفة، وهو ثبت إمام.

**قال أبو موسى المديني**: هو مقدم أصحاب الحديث في وقته ببغداد.

**وقال ابن الجوزي**: كان حافظاً ضابطاً متقناً ثقة من أهل السنة، لا مغمز فيه، وكان كثير الذكر سريع الدمعة، وهو الذي تولى تسميعي الحديث، وعنه أخذت ما أخذت من علم الحديث.

**وقال أيضاً**: **قرأت عليه ثلاثين سنة**، ولم أستفد من أحد كاستفادتي منه.

**وقال ابن النجار**: كان جيد النقل صحيح الضبط، كثير المحفوظ، له يد باسطة في معرفة النحو واللغة، وكانت أصوله في غاية الصحة من الإتقان، وكان ثقة نبيلاً، حجة، حسن الطريقة، فقيراً متعففاً نزهاً، وقف كتبه على أصحاب الحديث.

**رأيت بخطه وصية له أوصى بها**، وذكر فيها صفة ما يخلفه من التركة، وهو ثياب بدنه، وكلها خلق مغسولة، وأثاث منزله، وكان مختصراً جداً، وثلاثة دنانير من العين، لم يذكر سوى ذلك ومات ولم يعقب.

**قال: وسمعت ابن سكينة وابن الأخضر وغيرهما يكثرون الثناء عليه،**

ويصفونه بالحفظ والإتقان والديانة، والمحافظة على السنن والنوافل.

**وذكره ابن السمعاني** في كتابه فقال:

**حافظ ثقة دين خير**، متقن متثبت وله حظ كامل من اللغة، ومعرفة تامة في المتون والأسانيد، كثير الصلاة دائم التلاوة للقرآن الكريم، مواظب على صلاة الضحى، غير أنه يحب أن يقع في الناس، ويتكلم في حقهم، وقد رد هذا عليه الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي رداً بليغاً.

**وقال صاحب الحديث**: ما يزال يجرح ويعدل، وقد احتج بكلام ابن ناصر في أكثر التراجم، فكيف عوّل عليه في الجرح والتعديل، ثم طعن فيه، ولكن هذا من تعصب ابن السمعاني على أصحاب أحمد وذكر كلاماً كثيراً.

**ونقل ابن السمعاني في ترجمة أحمد بن علي الطريثيثي عن ابن ناصر**: أن الطريثيثي كان **كذاباً ضعيفاً في الرواية لا يحتج به ولا يعتمد على روايته.**

**ثم قال أبو الفضل**: لا يحسن الكلام، فإنه إذا قال: كذاب، لا يحتاج أن يقول: لا يعتمد على روايته، وإذا رماه بالكذب فلا يقال: إنه ضعيف في الرواية فإن الضعف دون الكذب.

**قال الحافظ أبو محمد بن الأخضر ما معناه**: قول شيخنا: كذاب لأنه روى ما ليس من سماعه ونهي عن ذلك فلم ينته، وقوله ضعيف في الرواية حيث لم يميز صحيح حديثه من سقيمه، ولا يحتج به لأنه ليس من شرط الصحيح بهذا الوصف، ولا يعتمد على روايته لوجوب هذا التخليط في معرفته وحديثه، فلو وصفه بمجرد الكذب لما كان من أهله، لأنه ليس من قبيل من يضع متناً ولا يهيىء على متن إسناداً، فصاحب الترجمة لم ينفرد بوصف من هذه الأوصاف بل اشتمل عليها جميعاً فكان الجرح على حسبها.

**قال: وقول ابن السمعاني**: إن ابن ناصر لا يحسن الكلام عيب من القول وقصور عن إدراك الفهم، أتراه أدرك في رحلته من اشتمل بصفة

شيخنا في طبقته من حفظ وإتقان ودوام صلاة وصيام وأوراد كثيرة، لا يقطعها في أوقاتها، وحسن خط لم يماثله عالم في تحقيقه وضبطه، حتى إنه لا يفتقر من قرأ كتابه إلى إسناد ولا من يعرفه طريق الإسناد، ويفيد من حفظه علوماً جمة، له في كل وصف شريف سيرة حسنة، يعلو شخصه المهابة، كأنه أحد الصحابة، فكيف يستجيز من تعقل وتفهم أن يطلق من لفظه، وقد شاء هذه أنه لا يحسن أن يتكلم.

**قلت: حدث ابن ناصر بالكثير**، وأملى الحديث واستملى للأشياخ الكثير وخرج لهم التخاريج الكثيرة، وتكلم فيها على الأسانيد، ومعاني الأحاديث وفقهها وله مصنف في مأخذ في اللغة على الغريبين للهروي ومصنف في مناقب الإمام أحمد في مجلد وجزء في الرد على من يقول: إن صوت العبد بالقرآن غير مخلوق[1].

*** جاء في ترجمة علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصاري الدمشقي، أبو الحسن زين الدين:**

**قال ابن رجب**: الفقيه الواعظ المفسر.

**وذكر أبو شامة أن الشهاب الطوسي** لما دخل مصر كان يجري بينه وبين زين الدين العجائب من السباب ونحوه، **فإن الطوسي كان أشعرياً، وهذا حنبلي وكلاهما واعظ.**

**قال: وجلس ابن نجية** يوماً في القرافة بالجامع، فوقع عليه وعلى جماعة ممن عنده السقف فعمل الطوسي خطبة وذكر فيها قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ﴾ وجاء يوماً كلب يشق الصفوف فقال ابن نجية: هذا من هناك وأشار إلى مكان الطوسي.

**وذكر ناصح الدين بن الحنبلي** أن ابن نجا نشأ له ولد حسن الصورة، فلما بلغ أخذ في سبيل اللهو، فدعا عليه فمات، فحضر الناس والدولة

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ص ٢٢٥.

لأجله فلما وضعوا سريره في المصلى نصبوا للشيخ كرسياً إلى جانبه فصعد عليه وحمد الله تعالى، وقال: اللهم إن هذا ولدي بلغ من العمر تسع عشرة سنة لم يجر عليه فيها قلم إلا بعد خمس عشرة سنة، بقي له ثلاث سنين، نصفها نوم، بقي عليه سنة ونصف قد أساء فيها إليك وإليَّ، فأما جنايته علي فقد وهبتها له، بقي الذي لك فهبه لي، فصاح الناس بالبكاء، ونزل فصلى عليه[1].

*** جاء في ترجمة محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى أبو عبدالله ابن منده:**

**قال الذهبي**: الإمام الحافظ الجوال محدث الإسلام، وقيل: إن أبا نعيم الحافظ ذكر ابن منده فقال: كان جبلاً من الجبال فهذا يقوله أبو نعيم مع الوحشة الشديدة التي بينه وبينه.

**وقال أبو نعيم في تاريخ أصبهان:** ابن منده حافظ من أولاد المحدثين اختلط في آخر عمره، فحدث عن ابن أسيد وابن أخي أبي زرعة الرازي، وابن الجارود بعد أن سمع منه أن له عنهم إجازة، وتخبط في أماليه، ونسب إلى جماعة أقوالاً في المعتقدات لم يعرفوا بها، نسأل الله ستراً وصيانة.

**قلت**: **لا نعبأ بقولك في خصمك للعداوة السائرة،** كما لا نسمع أيضاً قوله فيك، فلقد رأيت لابن منده حطاً مقذعاً على أبي نعيم وتبديعاً وما لا أحب ذكره، وكل منهما صدوق في نفسه، غير متهم في نقله بحمد الله.

**سمعت عبدالرحمٰن سمعت محمد بن عبيدالله الطبراني** يقول: قمت يوماً في مجلس والدك رحمه الله فقلت: أيها الشيخ فينا جماعة ممن يدخل على هذا المشؤوم أعني **أبا نعيم الأشعري**، فقال: أخرجوهم فأخرجنا من المجلس فلاناً وفلاناً، ثم قال: على الداخل عليهم حرج أن يدخل مجلسنا،

---

(١) ذيل الطبقات ص ٣٢٦.

أو يسمع منا، أو يروي عنا، فإن فعل فليس هو منا في حل.

**قلت: ربما آل المعروف بصاحبه إلى الغضب والحدة،** فيقع في الهجران المحرم، وربما أفضى إلى التكفير والسعي في الدم، وقد كان أبو عبدالله وافر الجاه والحرمة إلى الغاية ببلده وشغب على أحمد بن عبدالله الحافظ بحيث إن أحمد اختفى.

**ولأبي عبدالله كتاب كبير في الإيمان** في مجلد وكتاب في النفس والروح وكتاب في الرد على اللفظية.

**وإذا روى الحديث وسكت أجاد** وإذا بوب أو تكلم من عنده انحرف وحرفش.

**بلى ذنبه وذنب أبي نعيم:** أنهما يرويان الأحاديث الساقطة والموضوعة ولا يهتكانها فنسأل الله العفو[١].

**وقال الذهبي في ترجمة أبي نعيم الأصفهاني:** نال أبو نعيم من أبي عبدالله في تاريخه وقد عرف وهن كلام الأقران المتنافسين بعضهم في بعض نسأل الله السماح[٢].

**وقال في ذيل طبقات الحنابلة:**

**وسمعت شيخنا الإمام أبا محمد عبدالله بن أبي الحسن الجبائي** بأصبهان يقول: كان أبو نعيم قد أخذ على الحافظ أبي عبدالله بن منده أشياء في كتاب معرفة الصحابة وكان الحافظ أبو موسى يشتهي أن يأخذ على أبي نعيم يعني في كتاب معرفة الصحابة فما كان يحسن[٣].

*** جاء في ترجمة طاهر بن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن القواس البغدادي:**

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٢٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٤٥٥.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ١٩.

**قال ابن رجب:** الفقيه الزاهد الورع أبو الوفاء.

**ذكر ابن ناصر** أنه كان زاهد وقته في الطبقة الثانية عشرة.

**وذكره ابن السمعاني** في تاريخه فقال:

**من أعيان فقهاء الحنابلة وزهادهم،** كان قد أجهد نفسه في الطاعة والعبادة، واعتكف في بيت الله خمسين سنة، وكان يواصل الطاعة ليله ونهاره، وكان قارئاً للقرآن فقيهاً ورعاً خشن العيش انتهى كلامه.

**وكانت له كرامات ظاهرة.**

**ذكر ابن شافع** في ترجمة صاحبه أبي الفضل بن العالمة الإسكافي المقرىء:

**أنه كان يحكي من كرامات الشيخ أبي الوفاء أشياء عجيبة.**

**منها:** أنه قال: كنت أحمل معي رغيفين كل يوم فأعبر يعني في السفينة برغيف وأمشي إلى مسجد الشيخ فأقرأ ثم أعود ماشياً إلى ذلك الموضع فأنزل بالرغيف الآخر، فلما كان يوم من الأيام، أعطيت الملاح الرغيف فرمى به واستقله، فألقيت إليه الرغيف الآخر، وتشوش قلبي لما جرى وجئت الشيخ، فقرأت عليه عادتي، وقمت على العادة فقال لي: قف، ولم تجرِ عادته قط بذلك، ثم أخرج من تحت وطائه قرصاً فقال: اعبر بهذا، فلحقني من ذلك أمر بان علي، ومضيت فعبرت به وكان ابن العالمة هذا قد قرأ على الشيخ أبي الوفاء القرآن بالروايات.

**وقال أبو الحسين وابن الجوزي في الطبقات:**

**كانت له حلقة بجامع المنصور يفتي ويعظ وكان يدرس الفقه،** ويقرىء القرآن، وكان زاهداً أمّاراً بالمعروف نهّاءً عن المنكر، أقام في مسجده نحواً من خمسين سنة، وأجهد نفسه في العبادة وخشونة العيش.

**قال ابن السمعاني:**

**سمعت عبدالوهاب بن المبارك الحافظ** يقول: سأل واحد أبا الوفاء ابن

القواس عن مسألة في حلقته بجامع المنصور، وكان الشيخ ممن قد رأى السائل في الحمام بلا مئزر مكشوف العورة، فقال له: لا أجيبك عن مسألتك حتى تقوم ههنا في وسط الحلقة، وتخلع قميصك وسراويلك، وتقف عريان، فقال السائل: يا سيدنا أنا أستحيي وهذا مما لا يمكن، فقال له: يا فلان فهؤلاء الحضور أو جماعة منهم الذين كانوا في الحمام ودخلت مكشفاً بلا مئزر إيش الفرق بين جامع المنصور والحمام؟ فاستحى الرجل من ذلك.

**ثم ذكر فصلاً طويلاً في النهي عن كشف العورة وأجاب عن سؤاله.**

**وقال ابن عقيل**: كان حسن الفتوى، متوسطاً في المناظرة في مسائل الخلاف، إماماً في الإقراء، زاهداً شجاعاً مقداماً، ملازماً لمسجده يهابه المخالفون، حتى إنه لما توفي ابن الزوزني وحضره أصحاب الشافعي على طبقاتهم وجموعهم في فورة أيام القشيري وقوتهم بنظام الملك حضر فلما بلغ الأمر إلى تلقين الحفار قال له: تنح حتى ألقنه أنا، **فهذا كان على مذهبنا**، ثم قال: يا عبدالله وابن أمته إذا نزل عليك ملكان غليظان فلا تجزع ولا ترع فإذا سألاك فقل: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، **لا أشعري ولا معتزلي بل حنبلي سني**، فلم يتجاسر أحد أن يكلمه بكلمة، ولو تكلم أحد لرضخ رأسه أهل البصرة، فإنهم كانوا حوله قد لقن أولادهم القرآن والفقه وكان في شوكة ومنعة غير معتمد عليهم لأنه أمة في نفسه[1].

## * جاء في ترجمة عبدالواحد بن محمد بن علي بن أحمد الشيرازي ثم المقدسي ثم الدمشقي أبو الفرج الأنصاري:

**قال ابن رجب: الفقيه الزاهد.**

**وكان إماماً** عارفاً بالفقه والأصول، شديداً في السنة، زاهداً عارفاً، عابداً متألهاً، ذا أحوال وكرامات، وكان تتش صاحب دمشق يعظمه.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ص ٣٨.

**قال أبو الحسين في الطبقات:**

**صحب الوالد من سنة نيف وأربعين وأربعمائة** وتردد إلى مجلسه سنين عدة، وعلق عنه أشياء في الأصول والفروع، ونسخ واستنسخ من مصنفاته، وسافر إلى الرحبة والشام وحصل له الأصحاب والأتباع والتلامذة والغلمان، وكانت له كرامات ظاهرة **ووقعات مع الأشاعرة**، وظهر عليهم بالحجة في مجالس السلاطين ببلاد الشام، ويقال: إنه اجتمع مع الخضر عليه السلام دفعتين.

**وكان يتكلم في عدة أوقات على الخاطر** كما كان يتكلم ابن القزويني الزاهد، فبلغني أن تتش لما عزم على المجيء إلى بغداد في الدفعة الأولى لما وصلها السلطان سأله الدعاء فدعا له بالسلامة فعاد سالماً، فلما كان في الدفعة الثانية استدعى السلطان وهو ببغداد لأخيه تتش فرعب وسأل أبا الفرج الدعاء له.

**فقال له: لا تراه ولا تجتمع به،** فقال له تتش: وهو مقيم ببغداد وقد برزت إلى عنده، ولا بد من المصير إليه، لا تراه، فعجب من ذلك، وبلغ هيت فجاءه الخبر بوفاة السلطان ببغداد فعاد إلى دمشق وزادت حشمة أبي الفرج عنده ومنزلته لديه.

**وبلغني أن بعض السلاطين من المخالفين** كان أبو الفرج يدعو عليه ويقول: كم أرميه ولا تقع الرمية به، فلما كان في الليلة التي هلك ذلك المخالف فيها، قال أبو الفرج لبعض أصحابه: قد أصبت فلاناً وقد هلك، فأرخت الليلة فلما كان بعد بضعة عشر يوماً ورد الخبر بوفاة ذلك الرجل في تلك الليلة التي أخبر أبو الفرج بهلاكه فيها.

**قال: وكان أبو الفرج ناصراً لاعتقادنا متجرداً في نشره، مبطلاً لتأويل أخبار الصفات، وله تصنيف في الفقه والوعظ والأصول**[1].

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ص ٦٨.

*** وفي ترجمة محمد بن الفضل الإسفراييني ـ ابن المعتمد ـ أبو الفتوح:**

**قال الذهبي**: الواعظ الكبير المتكلم.

**وقال ابن النجار**: كان من أفراد الدهر في الوعظ دقيق الإشارة وكان أوحد وقته في مذهبه **الأشعري**، وله في التصوف قدم راسخ، صنف في الحقيقة كتباً منها كتاب كشف الأسرار، وكتاب بيان القلب، وكتاب بث السر، وكل كتبه نكت وإشارات ظهر له القبول التام ببغداد، **وكان يتكلم بمذهب الأشعري، فثارت الحنابلة**، فأمر المسترشد بإخراجه، فلما ولي المقتفي رجع إلى بغداد، وعاد فعادت الفتن، فأخرجوه إلى بلده.

**قال ابن عساكر**: هو أجرأ من رأيته لساناً وجناناً، وأكثرهم فيما يورد إعراباً وإحساناً، وأسرعهم جواباً، وأسلسهم خطاباً، مع ما رزق بعد صحة العقيدة من الخصال الحميدة، وإرشاد الخلق، وبذل النفس في نصرة الحق، إلى أن قال: فمات مبطوناً شهيداً غريباً، لازمت مجلسه، فما رأيت مثله واعظاً.

**قال ابن النجار**: قرأت في كتاب أبي بكر المارستاني قال: حدثني أحد القضاة أبو طالب بن الحديثي قال: مر بنا أبو الفتوح وحوله خلق منهم من يصيح: لا نحرف ولا نصوب بل عبادة، فرجمه العوام حتى تراجموا بكلب ميت، وعظمت الفتنة، لولا قربها من باب النوبي، لهلك جماعة، فاتفق جواز عميد بغداد موفق الملك فهرب من معه فنزل ودخل إلى بعض الدكاكين وأغلقها ثم اجتمع بالسلطان فحكى له فأمر بالقبض على أبي الفتوح وتسفيره إلى همذان، ثم إلى إسفرايين وأشهد عليه أنه متى خرج منها فدمه هدر.

**قال السمعاني**: **أزعج عن بغداد**، فأدركه الموت ببسطام في ثاني ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، فدفن بجنب الشيخ أبي يزيد البسطامي.

**قال ابن الجوزي في المنتظم:** قدم السلطان مسعود بغداد ومعه الحسن بن أبي بكر النيسابوري الحنفي أحد المناظرين، فجالسته فجلس بجامع القصر، وكان **يلعن الأشعري جهراً**، ويقول: **كن شافعياً ولا تكن أشعرياً، وكن حنفياً ولا تكن معتزلياً، وكن حنبلياً ولا تكن مشبهاً**، وكان على باب النظامية اسم الأشعري، **فأمر السلطان بمحوه وكتب مكانه: الشافعي**، وكان الإسفراييني يعظ في رباطه، ويذكر محاسن مذهب الأشعري، فتقع الخصومات، فذهب الغزنوي فأخبر السلطان بالفتن، وقال: إن أبا الفتوح صاحب فتنة، وقد رجم غير مرة، والصواب إخراجه فأخرج، وعاد الحسن النيسابوري إلى وطنه وقد كانت اللعنة قائمة في الأسواق وكان بين الإسفراييني وبين الواعظ أبي الحسن الغزنوي شنآن فنودي في بغداد أن لا يذكر أحد مذهباً.

**قلت: لما سمع ابن عساكر بوفاة الإسفراييني** أملى مجلساً في المعنى سمعناه بالاتصال **فينبغي للمسلم أن يستعيذ من الفتن ولا يشغب بذكر غريب المذاهب لا في الأصول ولا في الفروع، فما رأيت الحركة في ذلك تحصل خيراً، بل تثير شراً وعداوة ومقتاً للصلحاء والعباد من الفريقين، فتمسك بالسنة، والزم الصمت، ولا تخض فيما لا يعنيك، وما أشكل عليك فرده إلى الله ورسوله، وقف، وقل: الله ورسوله أعلم**[1].

*** وفي ترجمة محمد بن ناصر بن محمد بن علي ـ السلامي البغدادي ـ ابن ناصر، أبو الفضل:**

**قال الذهبي:** الإمام المحدث الحافظ مفيد العراق.

**وقال الشيخ جمال الدين ابن الجوزي:** كان شيخاً ثقة حافظاً ضابطاً من أهل السنة، لا مغمز فيه تولى تسميعي، سمعت بقراءته مسند أحمد والكتب الكبار، وعنه أخذت علم الحديث، وكان كثير الذكر سريع الدمعة.

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ١٣٩.

**قال السمعاني**: كان يحب أن يقع في الناس، فرد ابن الجوزي هذا وقبحه، وقال: صاحب الحديث يجرح ويعدل، أفلا تفرق يا هذا بين الجرح والغيبة، ثم قال: وهو قد احتج بكلام ابن ناصر في كثير من التراجم في الذيل له ثم بالغ ابن الجوزي في الحط على أبي سعد، **ونسبه إلى التعصب البارد على الحنابلة** وأما أنا فما رأيت أبا سعد كذلك، ولا ريب أن ابن ناصر يتعسف في الحط على جماعة من الشيوخ، وأبو سعد أعلم بالتاريخ، وأحفظ من ابن الجوزي ومن ابن ناصر، وهذا قوله في ابن ناصر في الذيل قال: هو ثقة حافظ متقن ثبت لغوي عارف بالمتون والأسانيد، كثير الصلاة والتلاوة، غير أنه يحب أن يقع في الناس، وهو صحيح القراءة والنقل وأول سماعه في سنة ثلاث وسبعين من أبي طاهر الأنباري.

**وقال أبو طاهر السلفي**: سمع ابن ناصر معنا كثيراً، وهو **شافعي أشعري** ثم انتقل إلى مذهب أحمد في الأصول والفروع ومات عليه وله جودة حفظ وإتقان وحسن معرفة وهو ثبت إمام.

**وقال أبو موسى المديني**: هو مقدم أصحاب الحديث في وقته ببغداد.

**أنبؤونا عن ابن النجار**: قرأت بخط ابن ناصر وأخبرنيه عنه سماعاً يحيى بن الحسين قال: بقيت سنين لا أدخل مسجد أبي منصور الخياط واشتغلت بالأدب على التبريزي فجئت يوماً لأقرأ الحديث على الخياط فقال: يا بني تركت قراءة القرآن واشتغلت بغيره؟ عد واقرأ علي ليكون لك إسناد، فعدت إليه في سنة اثنتين وتسعين وكنت أقول كثيراً: اللهم بين لي أي المذاهب خير، وكنت مراراً قد مضيت إلى القيرواني المتكلم في كتاب **التمهيد للباقلاني**، وكان ممن يردني عن ذلك، قال: فرأيت في المنام كأني قد دخلت المسجد إلى الشيخ أبي منصور وبجنبه رجل عليه ثياب بيض ورداء على عمامته يشبه الثياب الريفية دري اللون عليه نور وبهاء فسلمت وجلست بين أيديهما ووقع في نفسي للرجل هيبة **وأنه رسول الله** ﷺ فلما جلست التفت إلي فقال لي: عليك بمذهب هذا الشيخ، عليك بمذهب هذا الشيخ ثلاث مرات، فانتبهت مرعوباً وجسمي يرجف، فقصصت ذلك على

والدتي وبكرت إلى الشيخ لأقرأ عليه فقصصت عليه الرؤيا، فقال: يا ولدي ما مذهب **الشافعي** إلا حسن، ولا أقول لك اتركه، ولكن لا تعتقد اعتقاد **الأشعري**، فقلت: ما أريد أن أكون نصفين، وأنا أشهدك وأشهد الجماعة إنني منذ اليوم على **مذهب أحمد بن حنبل** في الأصول والفروع، فقال لي: وفقك الله، ثم أخذت في سماع كتب أحمد ومسائله والتفقه على مذهبه وذلك في رمضان سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة.

**قال ابن الجوزي وغيره:** توفي ابن ناصر في ثامن عشر شعبان سنة خمسين وخمسمائة.

**ثم قال ابن الجوزي:** حدثني الفقيه أبو بكر الحصري قال: رأيت ابن ناصر في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وقال لي: قد غفرت لعشرة من أصحاب الحديث في زمانك لأنك رئيسهم وسيدهم[1].

*** وفي ترجمة يوسف بن دوناس المغربي - أبو الحجاج الفندلاوي:**

**قال الذهبي: الإمام أبو الحجاج يوسف بن دوناس المغربي الفندلاوي** المالكي خطيب بانياس ثم مدرس المالكية بدمشق.

**وروى الموطأ بنزول.**

**وروى عنه ابن عساكر**، وقال: كان حسن المفاكهة، حلو المحاضرة، شديد التعصب لمذهب أهل السنة، كريماً، مطرحاً للتكلف، قوي القلب، سمعت أبا تراب بن قيس يذكر أنه **كان يعتقد اعتقاد الحشوية** ويبغض الفندلاوي لرده عليهم، وأنه خرج إلى الحج وأسر وألقي في جب وغطي بصخرة وبقي كذلك مدة يلقى إليه ما يأكل، وأنه أحس ليلة بحس يقول: ناولني يدك، فأخرجه قال: فإذا هو الفندلاوي، فقال: تب مما كنت عليه، فتاب، وكان يخطب ليلة الختم في رمضان رجل في حلقة الفندلاوي وعنده

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ٢٦٥.

أبو الحسن بن المسلم الفقيه فرماهم واحد بحجر فلم يعرف فقال الفندلاوي: اللهم اقطع يده، فما مضى إلا يسيراً حتى أخذ خضير من حلقة الحنابلة ووجد في صندوقه مفاتيح كثيرة للسرقة فأمر شمس الملوك بقطع يده فمات من قطعها.

**قتل الفندلاوي** وزاهد دمشق عبدالرحمٰن الحلحولي يوم السبت في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة بالنيرب في حرب الفرنج ومنازلتهم دمشق فقبر الفندلاوي بظاهر باب الصغير وقبر الحلحولي بالجبل رحمهما الله[1].

*** وفي ترجمة عبدالوهاب بن عبدالواحد بن محمد بن علي الأنصاري الشيرازي الأصل الدمشقي:**

**قال الذهبي: الشيخ الإمام العلامة الواعظ شيخ الحنابلة** بدمشق، شرف الإسلام أبو القاسم عبدالوهاب ابن أجل الحنابلة الشيخ أبي الفرج عبدالواحد بن محمد بن علي الأنصاري الشيرازي الأصل الدمشقي.

**أثنى عليه السلفي ووثقه سمع من أبيه.**

**وقال أبو يعلى حمزة بن القلانسي:** توفي بمرض حاد وكان على الطريقة المرضية والخلال الرضية ووفور العلم وحسن الوعظ وقوة الدين وكان يوم دفنه يوماً مشهوداً من كثرة المشيعين له والباكين عليه، مات في صفر سنة ست وثلاثين وخمسمائة قلت: **كان يناظر على قواعد عقائد الحنابلة**، جرى بينه وبين الفقيه الفندلاوي بحوث وسب، **وكان الفندلاوي أشعرياً** رحم الله الجميع[2].

*** وفي ترجمة سليمان بن إبراهيم بن هبة الله بن رحمة الله المحدث الخطيب أبو الربيع:**

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ٢٠٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ١٠٣.

وسئل عنه **الحافظ الضياء فقال**: خير دين ثقة، وأقام ببيت لهيا، وتولى الخطابة والإمامة بجامعه، ويقال: إنهم كانوا يؤذونه فيكشطون الدال من الأسعردي ويعجمون السين فيصير الأشعري، فيغضب لذلك.

**قال المنذري**: اجتمعت به ولم يتفق لي السماع منه وأفادنا إجازة وجماعة من شيوخ المصريين وغيرهم، شكر الله سعيه وجزاه خيراً[1].

*** وجاء في ترجمة ابن عساكر في السير:**

**قال أبو شامة**: كان يتورع من المرور في **زقاق الحنابلة** لئلا يأثموا بالوقيعة فيه وذلك لأن عوامهم يبغضون **بني عساكر للتمشعر** ولم يوله المعظم تدريس العادلية لأنه أنكر عليه تضمين الخمر والمكس ثم لما حج أخذ منه التقوية وصلاحية القدس ولم يبق له سوى الجاروخية.

**وقال عمر بن الحاجب**: هو أحد الأئمة المبرزين بل واحدهم فضلاً وقدراً شيخ الشافعية كان زاهداً ثقة مجتهداً غزير الدمعة حسن الأخلاق كثير التواضع قليل التعصب[2].

*** وفي ترجمة ابن قدامة المقدسي صاحب المغني:**

**قال الضياء**: كان لا يناظر أحداً إلا وهو **يبتسم**.

قلت: بل أكثر من عاينا لا يناظر إلا وهو **ينسم**.

**وقيل: إن الموفق ناظر فضلان الشافعي** الذي كان يضرب به المثل في المناظرة فقطعه.

**قال الحافظ اليونيني**: لما كنت أسمع **شناعة الخلق على الحنابلة بالتشبيه** عزمت على سؤال الشيخ الموفق وبقيت أشهراً أريد أن أسأله فصعدت معه الجبل فلما كنا عند دار ابن محارب قلت: يا سيدي وما

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٢٢٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٢٢ ص ١٨٧.

نطقت بأكثر من سيدي فقال لي: التشبيه مستحيل فقلت: لِمَ؟ قال: لأن من شرط التشبيه أن نرى شيئاً ثم نشبهه من الذي رأى الله ثم شبهه لنا؟

**وقال أبو شامة:** كان إماماً علماً في العلم والعمل صنف كتباً كثيرة **لكن كلامه في العقائد على الطريقة المشهورة عن أهل مذهبه فسبحان من لم يوضح له الأمر فيها على جلالته في العلم ومعرفته بمعاني الأخبار.**

**وقال الذهبي: قلت: وهو وأمثاله متعجب منكم مع علمكم وذكائكم كيف قلتم!! وكذا كل فرقة تتعجب من الأخرى ولا عجب في ذلك ونرجو لكل من بذل جهده في تطلب الحق أن يغفر له من هذه الأمة المرحومة**[١].

*** وفي ترجمة الأشرف صاحب دمشق:**

**قال ابن واصل:** كان **للأشراف ميل إلى المحدثين والحنابلة، وقعت فتنة بين الشافعية والحنابلة بسبب العقائد،** قال: وتعصب الشيخ عز الدين بن عبدالسلام على **الحنابلة** وجرت خبطة حتى كتب عز الدين رحمه الله إلى الأشرف يقع فيهم وأن الناصح مساعد على فتح باب السلامة لعسكر الظاهر والأفضل عندما حاصروا العادل فكتب الأشرف: يا عزالدين الفتنة ساكنة لعن الله مثيرها وأما باب السلامة فكما قيل:

وجرم جره سفهاء قوم ... فحل بغير جانيه العذاب

**وقد تاب الأشرف** في مرضه وابتهل وأكثر الذكر والاستغفار وكان آخر كلامه لا إله إلا الله[٢].

*** وفي ترجمة محمد بن محمود بن محمد أبو الفتح الخراساني الطوسي:**

**قال الذهبي: الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الشافعية.**

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢٢ ص ١٦٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٢٢ ص ١٢٥.

**وقال أبو شامة**: سافر إلى مصر ووعظ **وأظهر مقالة الأشعري فثارت الحنابلة** وكان يجري بينه وبين زين الدين ابن نجية كبيرهم العجائب والسب.

**وقال الموفق عبداللطيف**: وجرى له مع العادل ومع ابن شكر قضايا عجيبة لما تعرضوا لأوقاف المدارس فذب عن الناس وثبت[١].

*** وفي ترجمة محمد بن القاضي الكبير أبي يعلى محمد بن الحسين أبو الحسين الفراء الحنبلي البغدادي:**

**قال الذهبي**: الإمام العلامة الفقيه القاضي.

**وأجازه أبو محمد الجوهري** وتفقه بعد موت أبيه وبرع وناظر ودرس وصنف وكان يبالغ في السنة ويلهج بالصفة وجمع طبقت الفقهاء الحنابلة.

**وقال السلفي**: كان أبو الحسين متعصباً في مذهبه، وكان كثيراً ما يتكلم في الأشاعرة ويسمعهم لا تأخذه في الله لومة لائم، وله تصانيف في مذهبه وكان ديناً ثقة ثبتاً سمعنا منه.

**وقال ابن الجوزي**: كان له مبيت في داره بباب المراتب، يبيت وحده، فعلم من كان يخدمه بأن له مالاً فذبحوه ليلاً وأخذوا المال ليلة عاشوراء سنة ست وعشرين وخمسمائة ثم وقعوا بهم فقتلوا.

**وقال ابن النجار**: تميز وصنف في الأصلين والخلاف والمذهب وكان ديناً ثقة حميد السيرة رحمه الله[٢].

*** جاء في ترجمة عمر بن محمد بن عمر بن حمويه أبي الفتح:**

**قال الذهبي**:

**ولي بعد أبيه تدريس قبة الشافعي ومشهد الحسين**، ومشيخة السعيدية،

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٣٨٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ٦٠١.

وكان ذا وقار وجلالة وفضل وحشمة، حضر موت الكامل، ونهض بتمليك دمشق للجواد، فأعطاه جوهراً كثيراً وذهباً، وسار إلى مصر فلامه العادل أبو بكر، فقال: أنا أرجع إلى دمشق وأبعث بالجواد إليك، وإن امتنع أقمت نائباً لك بدمشق وقد تلقاهُ الجواد وخضع، فنزل بالقلعة وحكم، وقال: أنا نائب صاحب مصر، وقال للجواد: سر إلى مصر فتألم، وأضمر له الشر، وكان العماد قدم مريضاً في محفة، فقال الجواد: اجعلوني نائباً لكم، وإلا سلمت دمشق إلى نجم الدين أيوب وآخذ منه سنجاراً، قال: إن فعلتها تصلح بين الأخوين وتبقى أنت بلا شيء.

**قال سعد الدين بن حمويه:**

**خرجنا من مصر فودع العماد إخوته،** فقال له فخر الدين: ما رواحك جيداً ربما آذاك الجواد، قال: أنا ملكته، قال: فارقته أسيراً وتعود إليه ملكاً، فكيف يسمح لك، فانزل على طبرية وكاتبه فلم يقبل، قال: ثم إن الجواد جاءه صاحب حمص أسد الدين وقال له: إن اتفق العادل وأخوه شحذنا في المخالي، ثم جاء أسد الدين إلى العماد وقال: المصلحة أن تثني عزم العادل عن هذا، قال: حتى أمضى إلى برزة وأصلي للاستخارة قال: بل تهرب منها إلى بعلبك فغضب، فرد أسد الدين إلى بلده، فبعث الجواد يقول: إن شئت فاركب وتنزه، فظن أن هذا عن رضى، فلبس الخلعة وبعث إليه بحصان، فلما خرج إذا شخص بيده قصعة فاستغاث، فأراد حاجبه أن يأخذها فقال: لي مع الصاحب شغل، فقال العماد: دعوه، فتقدم فناوله القصعة وضربه بسكين بدد أمعاءه، وشد آخر فضربه بسكين في ظهره فحمل إلى الدار ميتاً، وعمل الجواد محضراً أنه ما مالأ على ذلك، فجهزناه وخيطنا جراحه، وكانت جنازة عظيمة فدفناه في زاوية سعد الدين بقاسيون.

**قال أبو شامة: قفز عليه ثلاثة داخل القلعة،** وكانت من بيت التصوف والإمرة من **أعيان المتعصبين للأشعري،** قتل سنة ست وثلاثين[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢٣ ص ٩٧.

*** الخلاف بين السنة والرافضة:**

**الخلاف بين الرافضة والسنة في الأصل خلاف عقدي لأن دين الشيعة لم يبنَ على قانون مستقيم فهم يشركون** أئمتهم مع الله تعالى في العبادة فيستغيثون بهم، يقولون: (يا علي - يا حسين... إلخ) كما أن متقدميهم مشبهة مثل هشام بن الحكم الرافضي، والجواليقي، وغيرهم، ومتأخريهم معتزلة نفاة للصفات ولا يمكن التناظر معهم على قانون وأصل واحد فلهم اعتقادات فاسدة لا يقبلها عقل أو دين كقولهم بتحريف القرآن وبوجود أسطورة (الجفر) و(المنتظر) وغير ذلك من الاعتقادات التي ضحك منها العقلاء، ومع ذلك فكثير من الخلاف الواقع في هذه الأمة كان سببه ليس إلا التعصب والحسد، وكلا الفريقين لا يريد نصر سنة أو قمع بدعة، كما يظهر من تاريخ الرافضة وشدة حسدهم لأهل السنة ومحاولاتهم المستمرة إيذاء علماء السنة، وما إن يتوصلوا إلى قتلهم فإنهم لا يتورعون عن ذلك.

وقد انتخبت من ذلك شيئاً كثيراً ثم استخلصت منه ما يلي:

*** جاء في ترجمة محمد بن محمد بن علي بن أبي طالب ابن العلقمي البغدادي الرافضي وزير المستعصم:**

**قال الذهبي: الوزير الكبير المدبر المبير** وكانت دولته أربع عشرة سنة فأفشى الرفض فعارضته السنة، وأكبت فتنمر، ورأى هولاكو على قصد العراق فكاتبه وجسره وقوى عزمه على قصد العراق ليتخذ عنده يداً، وليتمكن من أغراضه وحفر للأمة قليباً فأوقع فيه قريباً، وذاق الهوان، وبقي يركب كديشاً وحده، بعد أن كانت ركبته تضاهي موكب سلطان، فمات غبناً وغماً، وفي الآخرة أشد خزياً وأشد تنكيلاً.

**وكان أبو بكر ابن المستعصم والدويدار الصغير قد شدا على أيدي السنة حتى نهب الكرخ، وتم على الشيعة بلاء عظيم، فحنق لذلك مؤيد الدين فعزم على الأخذِ بالثأر بسيف التتار من السنة،** بل ومن الشيعة واليهود والنصارى، وقتل الخليفة نحو السبعين من أهل الحل والعقد، وبذل

السيف في بغداد تسعة وثلاثين نهاراً حتى جرت سيول الدماء وبقيت البلدة كالأمس الذاهب، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وعاش ابن العلقمي بعد الكائنة ثلاثة أشهر وهلك[١].

*** جاء في ترجمة عمر بن أحمد بن طراد الخزرجي السريداوي سراج الدين:**

**قال في طبقات الشافعية:**

**كان فقيهاً فاضلاً صالحاً،** تفقه بالقاهرة على الشيخ عز الدين بن عبدالسلام مدة قليلة، ثم على السديد التزمنتي، والبصير ابن البطاح، وخطب بالمدينة الشريفة سنة، **وتأذى الرافضة أذى كثيراً لأن الخطابة والقضاء كانت فيهم، فأخرجت الخطابة عنهم،** وتولاها المذكور من الديار المصرية، ثم بعد مدة أضيف إليها أيضاً القضاء، ثم حصل له مرض فسافر إلى مصر ليتداوى فأدركه أجله قبل دخوله إلى مصر بنحو يومين، فمات بالسويس سنة ست وعشرين وسبعمائة[٢].

*** جاء في ترجمة هياج بن عبيد بن الحسين الحطيني:**

**قال في طبقات الشافعية:**

**كان المذكور فقيه الحرم في عصره،** وَرِعاً زاهداً ناسكاً، قال هبة الله الشيرازي: ما رأينا مثله في الزهد والورع، وكان يعتمر كل يوم ثلاث عمر على رجليه، ويدرس لأصحابه عدة دروس، وكان يزور قبر النبي ﷺ كل سنة مرة من مكة، يمشي ذاهباً وراجعاً[٣].

**مات شهيداً في وقعة وقعت بين أهل السنة والرافضة** فأحضره أمير مكة

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢٣ ص ٣٦١.

(٢) طبقات الشافعية ج ١ ص ٣٤٨.

(٣) وليس ذلك من السنة، بل يمنع شد الرحال إلا للمساجد الثلاث على ما بين في موضعه.

محمد بن أبي هاشم وضربه ضرباً شديداً وقد نيف على الثمانين سنة فلما وصل إلى منزله مات، وذلك في سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة[1].

**قال الذهبي**: الإمام الفقيه الزاهد شيخ الإسلام، كان اعتناؤه جيداً بالحديث وله بصر بالمذهب وقدم في التقوى وجلالة عجيبة.

**قال ابن طاهر**: رزق الشهادة **في كائنة بين السنة والرافضة** وذلك أن **بعض الرافضة** شكا إلى أمير مكة أن **أهل السنة ينالون منا** فأنفذ وطلب هياجاً وأبا الفضل بن قوام وابن الأنماطي وضربهم فمات هذان في الحال وحمل هياج فمات بعد أيام رضي الله عنه[2].

*** جاء في ترجمة عبدالله بن يونس بن أحمد بن عبيدالله البغدادي الأزجي:**

**قال ابن رجب**: الفقيه الأصولي الفرضي المتكلم الوزير.

**في سنة أربع وثمانين أرسل الخليفة الناصر الوزير ابن يونس مع عسكر عظيم لمحاربة السلطان طغرل بن أرسلان**، فلقيهم طغرل بقرب همدان فتفرق عسكر الوزير، وثبت وبيده سيف مشهور ومصحف، فلم يقدموا عليه حتى أخذ بعض خواص السلطان بعنان دابته وقادها إلى خيمته، ثم أنزل وأجلسه، فجاء إليه السلطان في خواصه ووزيره، فلزم معهم قانون الوزارة، ولم يقم لهم فعجبوا من فعله، وكلمهم بكلام خشن، وقال لهم: أمير المؤمنين لما بلغه عبثكم في البلاد وخروجكم عن الأوامر الشرعية أمر بمجاهدتكم فاحترموه وأكرموه وبقي عندهم مدة وكان في تلك المدة يسرد الصيام، ويديم التهجد والتلاوة، ويحافظ على الجماعات في الفرائض، ثم نقلوه معهم إلى بعض بلاد أذربيجان فتلطف في التخلص منهم حتى تخلص، وسار إلى الموصل، وكان الخليفة قد استوزر في هذه المدة غيره،

---

(١) طبقات الشافعية ج ١ ص ٢٠٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٣٩٣.

وكان هذا الوزير الجديد قد بعث إلى أقطار البلاد في إهلاك ابن يونس، فلما وصل إلى الموصل خرج أميرها وسأله ليقبض عليه، فانفلت منه، ونزل في سفينة بعض حواشيه، وانحدروا ليلاً إلى تكريت، ففعل به من في قلعتها كما فعل صاحب الموصل، فتفلت منهم أيضاً، ووصل إلى بغداد، فانتقل إلى بعض سفنها وتنكر ووصل إلى بيته بباب الأزج، ثم شاع خبره فطلبه الخليفة إلى داره، ولم يزل في هذه المدة يدرس القرآن، ويدارس الفقه ويتحفظ ما كان نسيه من أنواع العلوم، ثم ولاه الخليفة سنة خمس وثمانين أمر المخزن والديوان، ثم جعله أستاذ الدار سنة سبع وثمانين.

**وفي ولايته هذه عقد المجلس لقاضي القضاة العباسي** وأحضر القضاة والعلماء، فأفتوا وأثبتوا فسقه لقضية كان قد حكم فيها وعزله، وبقي على ولايته إلى رجب سنة تسعين، فعزل وقبض عليه، وذلك في ولاية ابن القصاب الوزارة.

**وكان ابن القصاب رافضياً خبيثاً، وكان الناصر يميل إلى الشيعة،** فسعى في القبض على ابن يونس، ونَفَى الشيخ أبا الفرج إلى واسط، وبقي ابن يونس معتقلاً إلى سنة ثلاث وتسعين، فأخرج في سابع عشر صفر ميتاً ودفن بالسرداب رحمه الله وسامحه.

**وقد ذكر ابن النجار**: أنه لم يكن في ولايته محموداً، وقد علمت أن الناس لا يجتمعون على حمد شخص ولا ذمه.

**وأما أبو شامة فبالغ في ذمه والحط عليه بأمور لم يُقِم عليها حجة،** وإنما قال: ويقال: إنه فعل كذا، ومثل هذا القدح لا يكفي في مستنده: يقال كذا.

**وكذلك ابن القادسي في تاريخه يذمه كثيراً...**

**وأما ابن الدبيثي فقال**: كان فيه فضل، وحسن سمت ووقار، وذكر أنه لما عزل في المرة الأخيرة أقام بمنزله.

**وذكر ابن القادسي**: أنه لما قبض عليه واستفتي عليه أنه كان تسبب في

كسر عسكر الخليفة، وقتلهم ونهبهم، وأظهر موت الخليفة وهو حي، فكتب ابن فضلان كلاماً مضمونه إباحة دم من فعل هذا، وكتب ابن الجوزي: أنه يلزمه غرامةُ ما خان فيه، وتقام عليه السياسة الرادعة، وذكر أنه بعد القبض عليه في داره نقل إلى محبس ضنك وعر بالتاج وقيل إنه ضيق عليه وقيد.

**قال: وكان فقيهاً أصولياً جدلياً**، عالماً بالحساب والفرائض، والهندسة والجبر والمقابلة، وصنف كتاباً في الأصول، وكان يقرأ عليه كل أسبوع، ويحضره جماعة من العلماء، إلا أنه شان أفعاله بسوء أعماله وبأغراضه الفاسدة، **والحسد الذي كان معه**، والطرائق التي كانت غير مرضية، فأبغضه الناس وسبوه وكان فيه سودنة وجنون[1].

*** جاء في ترجمة أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد أبو بكر الخطيب البغدادي:**

**قال الذهبي**: الإمام الأوحد، العلامة المفتي، الحافظ الناقد، محدث الوقت وخاتمة الحفاظ، صاحب التصانيف.

**وقال السلفي**:

**سألت شجاعاً الذهلي عنه** فقال: إمام مصنف حافظ لم ندرك مثله، وعن سعيد المؤدب قال: قلت لأبي بكر الخطيب عند قدومي: أنت الحافظ أبو بكر قال: انتهى الحفظ إلى الدارقطني.

**وقال محمد بن عبدالسلام الدميلي**: كان سبب خروج الخطيب من دمشق إلى صور أنه كان يختلف إليه صبي مليح فتكلم الناس في ذلك **وكان أمير البلد رافضياً متعصباً** فبلغته القصة فجعل ذلك سبباً للفتك به فأمر صاحب شرطته أن يأخذ الخطيب بالليل فيقتله **وكان صاحب الشرطة سنياً** فقصده في تلك الليلة في جماعة ولم يمكنه أن يخالف الأمير فأخذه وقال: قد أمرت فيك بكذا وكذا ولا أجد لك حيلة إلا أني أعبر بك عند دار

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ص ٣٩٢.

الشريف ابن أبي الجن فإذا حاذيت الدار اقفز وادخل فإني لا أطلبك وارجع إلى الأمير فأخبره بالقصة ففعل ذلك، ودخل دار الشريف فأرسل الأمير إلى الشريف أن يبعث به فقال: **أيها الأمير أنت تعرف اعتقادي فيه وفي أمثاله** وليس في قتله مصلحة هذا مشهور بالعراق إن قتلته **قُتل جماعة من الشيعة وخربت المشاهد** قال: فما ترى؟ قال: أرى أن ينزح من بلدك فأمر بإخراجه فراح إلى صور وبقي بها مدة.

**قال أبو القاسم ابن عساكر**: سعى بالخيب حسين بن علي الدمنشي إلى أمير الجيوش فقال: هو **ناصبي** يروي فضائل الصحابة وفضائل العباس في الجامع، وروى ابن عساكر عمن ذكره أن الخطيب وقع إليه جزء فيه سماع القائم بأمر الله فأخذه وقصد دار الخلافة وطلب الإذن في قراءته فقال الخليفة: هذا رجل كبير في الحديث وليس له في السماع حاجة فلعل له حاجة أراد أن يتوصل إليها بذلك فسلوه ما حاجته، فقال: حاجتي أن يؤذن لي أن أملي بجامع المنصور فأذن لي فأمليت.

**وقال ابن طاهر**: سألت هبة الله بن عبدالوارث الشيرازي: هل كان الخطيب كتصانيفه في الحفظ؟ قال: لا، كنا إذا سألناه عن شيء أجابنا بعد أيام وإن ألححنا عليه غضب، كانت له بادرة وحشة، ولم يكن حفظه على قدر تصانيفه.

**وقال أبو الحسن بن الطيوري: أكثر كتب الخطيب سوى تاريخ بغداد استفاده من كتب الصوري**، كان الصوري ابتدأ بها وكانت له أخت بصور خلف أخوها عندها اثني عشر عدلاً من الكتب فحصل الخطيب من كتبه أشياء وكان الصوري قد قسم أوقاته في نيف وثلاثين شيئاً.

**قلت**: ما الخطيب بمفتقر إلى الصور هذا، هو أحفظ وأوسع رحلة وحديثاً ومعرفة.

**وقال المؤتمن: تحاملت الحنابلة على الخطيب حتى مال إلى ما مال إليه.**

**قلت**: تناكد ابن الجوزي رحمه الله وغض من الخطيب ونسبه إلى أنه

يتعصب على **أصحابنا الحنابلة**، ليت الخطيب ترك بعض الحط على الكبار فلم تروه[1].

**قال ابن البناء**: هل ذكرني الخطيب في تاريخ بغداد في الثقات أو مع الكذابين؟ قيل: ما ذكرك أصلاً، فقال: ليته ذكرني ولو مع الكذابين[2].

*** جاء في ترجمة محمد بن موفق بن الخبوشاني الشافعي الصوفي أبو البركات:**

**قال الذهبي**: الفقيه الكبير الزاهد.

**وقال ابن خلكان**: كان السلطان صلاح الدين يقربه ويعتقد فيه، ورأيت جماعة من أصحابه فكانوا يصفون فضله ودينه وسلامة باطنه.

**وقال الموفق عبداللطيف**: كان قشفاً في العيش يابساً في الدين **وكان يقول**: **أصعد إلى مصر وأزيل ملك بني عبيد اليهودي** إلى أن قال: فنزل القاهرة وصرح بثلب أهل القصر، وجعل سبهم تسبيحه فحاروا فيه فنفذوا إليه بمال عظيم قيل: أربعة آلاف دينار فقال للرسول: ويلك ما هذه البدعة فأعجله فرمى الذهب بين يديه فضربه وصارت عمامته حلقاً وأنزل من السلم **ومات العاضد** وتهيبوا الخطبة لبني العباس فوقف الخبوشاني بعصاه قدام المنبر وأمر الخطيب بذلك ففعل ولم يكن إلا الخير وزينت بغداد ولما بني مكان الشافعي نبش عظام ابن الكيزاني **وقال**: **لا يكون صديق وزنديق معاً فشد عليه الحنابلة وتألبوا** وصار بينهم حملات حربية وغلبهم[3].

*** جاء في ترجمة الحسين بن عبدالله بن علي بن سينا أبو علي:**

**قال الذهبي**: العلامة الشهير الفيلسوف، **كان أبوه كاتباً من دعاة**

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٢٧٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٣٨١.

(٣) سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٢٠٤.

**الإسماعيلية**، فقال: كان أبي تولى التصرف بقرية كبيرة ثم نزل بخارى فقرأت القرآن وكثيراً من الأدب ولي عشر، وكان أبي ممن آخى داعي المصريين، ويعد من الإسماعيلية.

**ثم ذكر مبادىء اشتغاله**، وقوة فهمه، وأنه أحكم المنطق وكتاب إقليدس إلى أن قال: ورغبت في الطب، وبرزت فيه، وقُرِىءَ علي، وأنا مع ذلك أختلف إلى الفقه، وأناظر ولي ست عشرة سنة.

**واتفق لسلطان بخارى نوح مرض صعب**، فأحضرت مع الأطباء، وشاركتهم في مداواته، فسألت إذناً في نظر خزانة كتبه، فدخلت فإذا كتب لا تحصى في كل فن، فظفرت بفوائد إلى أن قال: فلما بلغت ثمانية عشر عاماً فرغت من هذه العلوم كلها، وكنت إذ ذاك للعلم أحفظ، ولكنه معي اليوم أنضج، وإلا فالعلم واحد لم يتجدد لي شيء، وصنفت المجموع فأتيت فيه على علوم، وسألني جارنا أبو بكر البرقي وكان مائلاً إلى الفقه والتفسير والزهد فصنفت له الحاصل والمحصول، في عشرين مجلدة، ثم تقلدت شيئاً من أعمال السلطان وكنت بزي الفقهاء إذ ذاك، بطيلسان محنك، ثم انتقلت إلى نسا ثم أباورد وطوس ثم نزل الري وخدم مجد الدولة وأمه.

**ثم خرج إلى قزوين وهمذان، فوزر بها**، ثم قام عليه الأمراء، ونهبوا داره، وأرادوا قتله فاختفى فعاود متوليها شمس الدولة القولنج، فطلب الرئيس واعتذر إليه فعالجه فبرأ، واستوزره ثانياً، وكانوا يشتغلون عليه فإذا فرغوا حضر المغنون وهيىء مجلس الشراب، ثم مات الأمير فاختفى أبو علي عند شخص **فكان يؤلف كل يوم خمسين ورقة**، ثم أخذ وسجن أربعة أشهر ثم تسحب إلى أصبهان متنكراً في زي الصوفية هو وأخوه وخادمه وغلامان، وقاسوا شدائد، فبالغ صاحب أصبهان علاء الدولة في إكرامه، إلى أن قال خادمه: وكان الشيخ قوي القوى كلها يسرف في الجماع، فأثر ذلك في مزاجه، وأخذه القولنج، حتى حقن نفسه في يوم ثمانيَ مرات، فتقرح معاه، وظهر به سحج، ثم حصل له الصرع الذي يتبع علة القولنج، فأمر

يوماً بدانقين من بذر الكرفس في الحقنة، فوضع طبيبه عمداً أو خطأً زنة خمسة دراهم، فازداد السحج، وتناول مثروذيطوس لأجل الصرع، فكثره غلامه وزاده أفيوناً، وكانوا قد خانوه في مال كثير، فتمنوا هلاكه، ثم تصلح لكنه مع حاله يكثر الجماع، فينتكس.

**وقصد علاء الدولة همذان** فسار معه الشيخ فعاودته العلة في الطريق، وسقطت قوته فأهمل العلاج، وقال: ما كان يدبر بدني عجز، فلا تنفعني المعالجة، ومات بهمذان بعد أيام وله ثلاث وخمسون سنة(١).

**قال ابن خلكان:** ثم اغتسل وتاب، وتصدق بما معه على الفقراء، ورد المظالم، وأعتق مماليكه، وجعل يختم القرآن في كل ثلاث، ثم مات يوم الجمعة في رمضان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة. اهـ.

*** جاء في ترجمة علي بن محمد بن علي - أبو الحسن الطبري - إلكيا الهراسي:**

**قال الذهبي:** العلامة شيخ الشافعية ومدرس النظامية، تخرج به الأئمة وكان أحد الفصحاء، ومن ذوي الثروة والحشمة.

**قال ابن الأثير:** اتهم إلكيا مدرس النظامية بأنه باطني، فقبض عليه السلطان محمد فشهدوا ببراءة الساحة فأطلق(٢).

*** جاء في الذيل في ترجمة جمال الدين عمر بن إدريس الأنباري:**

**وأما القاضي جمال الدين عمر بن إدريس الأنباري** فإنه نصر المذهب وأقام السنة وقمع البدعة ببغداد، وأزال المنكرات، وارتفع حتى لم يكن في المذهب أجمل منه في زمانه، **ثم وزر لكبير بعض الرافضة فظفروا به،**

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٥٣١.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٣٥٠.

وعاقبوه مدة فصبر، ثم إن أعداءه أهلكهم الله تعالى عاجلاً بعد استشهاده، وفرح أهل بغداد بهلاكهم، وذلك عقيب موته في سنة خمس وستين وسبعمائة.

**ثم دفن بمقبرة الإمام أحمد عند المدرسة التي عمرها بها**، وعمل له الختامات، ورثي، وتردد أهل بغداد إلى المقبرة مدة، وانتقم من أعدائه سريعاً رحمه الله تعالى[1].

*** جاء في ترجمة الحسين بن علي بن أبي حنيفة النعمان - أبو عبدالله المغربي العبيدي الرافضي:**

**ولي بعد موت عمه محمد بأيام**، وتمكن واستمر، فحكم خمس سنين ونصف، فعزل في رمضان سنة ٣٩٤ بابن عمه أبي القاسم عبدالعزيز بن محمد.

**وجرى له أمر كبير مع الحاكم**، ثم ضربت عنقه في أول سنة خمس وتسعين وأحرق.

**علت رتبة عبدالعزيز** جداً، بحيث إن الحاكم أصعده معه يوم العيد على المنبر، وتصلب في الأحكام، وقهر الظلمة، إلى أن عزل في رجب سنة ثمان وتسعين بالقاضي مالك بن سعيد الفارقي وقتله الحاكم - وقتل معه القائد حسين بن جوهر وأمراء لأمر طويل - في سنة إحدى وأربعين وعاش عبدالعزيز سبعاً وأربعين سنة[2].

*** جاء في ترجمة إبراهيم بن سعيد بن عبدالله النعماني مولاهم أبو إسحاق الحبال:**

**قال الذهبي**: الإمام الحافظ المتقن العالم من أولاد عبيد القاضي بن

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة - ضمن ترجمة محمد ابن الشيخ أحمد السقا ج ٢ ص ٤٤٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ١٤٥.

النعمان المغربي **العبيدي الرافضي**، وكانت الدولة الباطنية قد منعوه من التحديث وأخافوه وهددوه فامتنع من الرواية ولم ينتشر له كبير شيء.

**قال القاضي أبو علي الصدفي**: منعت من الدخول إليه إلا بشرط أن لا يسمعني ولا يكتب إجازة فأول ما فاتحته الكلام خلط في كلامه وأجابني على غير سؤال حذراً من أن أكون مدسوساً عليه حتى بسطته وأعلمته أني أندلسي أريد الحج فأجاز لي لفظاً وامتنع من غير ذلك.

**قال الذهبي: قبح الله دولة أماتت السنة ورواية الآثار النبوية وأحيت الرفض والضلال وبثت دعاتها في النواحي تغوي الناس ويدعونهم إلى نحلة الإسماعيلية فبهم ضلت جبلية الشام وتعثروا فنحمد الله على السلامة في الدين.**

**قال أبو نصر بن ماكولا**: كان الحبال ثقة ثبتاً ورعاً خيراً[1].

*** جاء في ترجمة محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين بن عبدالعزيز العكبري أبو منصور الفارسي الأصل:**

**قال الذهبي**: الشيخ العالم الأديب الأخباري النديم.

**قال الخطيب**: كتبت عنه وكان صدوقاً.

**وقال سبط الخياط: كان يتشيع.**

**وقال أبو الفضل ابن خيرون**: خلط في غير شيء وسمع لنفسه.

**قال أبو سعد السمعاني**: قول ابن خيرون لا يقدح فيه لأن عمدة قدحه فيه كونه استعار من ابن خيرون جزءاً فنقل فيه سماعه ورده وما زال الطلبة يفعلون ذلك[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٤٩٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٣٩٢.

*** جاء في ترجمة يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي ـ الملك الناصر صلاح الدين:**

**قال الذهبي**: كان خليقاً بالإمارة مهيباً شجاعاً حازماً مجاهداً كثير الغزو عالي الهمة.

**وقال ابن واصل في حصار عزاز**: كانت لجاولي خيمة كان السلطان يحضر فيها ويحضر الرجال فحضر باطنية في زي الأجناد فقفز عليه واحد ضربه بسكين لولا المغفر الزرد الذي تحت القلنسوة لقتله **فأمسك السلطان يد الباطني** بيديه فبقي يضرب في عنق السلطان ضرباً ضعيفاً والزرد يمنع وبادر الأمير بازكوج فأمسك السكين فجرحته **وما سيبها الباطني** حتى بضعوه ووثب آخر فوثب عليه ابن منكلان فجرحه الباطني في جنبه فمات **وقتل الباطني** وقفز ثالث فأمسكه الأمير علي بن أبي الفوارس فضمه تحت إبطه فطعنه صاحب حمص فقتله[1].

*** جاء في ترجمة محمد بن أبي المعالي بن قايد، أبو عبدالله الأواني:**

**قال الذهبي: القدوة العارف، زاهد خاشع ذو كرامات تأله وأوراد،** قدم أواناً **وعظاً باطنياً** فنال من الصحابة فحمل هذا في محفته وصاح به: يا كلب انزل ورجمته العامة فهرب وحدث سناناً[2] بما تم عليه فندب له اثنين فأتياه وتعبدا معه شهراً ثم قتلاه وقتلا خادمه وهربا في البساتين[3].

*** جاء في ترجمة عضد الدين أبو الفرج محمد بن عبدالله بن هبة الله بن المظفر وزير العراق، ولد سنة ٥١٤:**

**قال الموفق عبداللطيف**: كان إذا وزن الذهب يرمي تحت الحصر

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٢٧٨.
(٢) سنان: أمير الباطنية الخبيث.
(٣) سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ١٩٥.

قراضة كثيرة ليأخذها الفراشون ولا يرى صبياً منا إلا وضع في يده ديناراً، وكذا كان ولدان له يفعلان وهما كمال الدين وعماد الدين، قال: وكان والدي ملازمه على قراءة القرآن والحديث استوزره المستضيء أول ما بويع واستفحل أمره وكان المستضيء كريماً رؤوفاً وكان الوزير ذا انصباب إلى أهل العلم والتصوف يسبغ عليهم النعم ويشتغل هو وأولاده بالحديث والفقه والأدب وكان الناس معهم في بُلهنية ثم وقعت كدورات وإحن بينه وبين قطب الدين قايماز.

**قال الذهبي**: كان جواداً سرياً مهيباً كبير القدر ثم أعيد وتمكن ثم تهيأ لحج وخرج في رابع ذي القعدة في موكب عظيم **فضربه باطني على باب قطفتا أربع ضربات** ومات ليومه من سنة ثلاث وسبعين وكان الوزير قد رأى في المنام أنه معانق عثمان **وحكى عنه ابنه أنه اغتسل قبل خروجه وقال: هذا غسل الإسلام فإنني مقتول بلا شك**(١).

*** ومن جملة الاختلافات العقدية بين الطوائف:**

**وهي مما لا يدخل فيما سبق، ومنه ما كان الحسد سبباً رئيساً فيه ومنه ما قيل عنه إن سببه الحسد وليس بصحيح.**

*** جاء في ترجمة يحيى بن حبشي بن أميرك السهروردي - شهاب الدين:**

**قال الذهبي**: **العلامة الفيلسوف السيماوي المنطقي**، كان يتوقد ذكاءً إلا أنه قليل الدين.

**قال الفخر المارديني**: ما أذكى هذا الشاب وأفصحه إلا أني أخشى عليه لكثرة تهوره واستهتاره، قال: ثم إنه ناظر فقهاء حلب فلم يجاره أحد فطلبه الظاهر وعقد له مجلساً فبان فضله فقربه الظاهر واختص به فشنعوا عليه وعملوا محاضر بكفره وبعثوا إلى السلطان وخوفوه أن يفسد اعتقاد ولده

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٧٥.

فكتب إلى ولده بخط الفاضل يأمره بقتله حتماً فلما لم يبق إلا قتله اختار لنفسه أن يموت جوعاً ففعل ذلك في أواخر سنة ٨٦ بقلعة حلب.

**وقال ابن أبي أُصيبعة**: وحدثني عجمي قال: كنا مع السهروردي بالقابون فقلنا: يا مولانا نريد رأس غنم فأعطانا عشرة دراهم فاشترينا بها رأساً ثم تنازعنا نحن والتركماني، فقال الشيخ: روحوا بالرأس أنا أرضيه ثم تبعنا الشيخ فقال التركماني: أرضني فما كلمه وفاجأه، وجذب يده فإذا بيد الشيخ قد خلعت من كتفه وبقيت في يد ذاك ودمها يشخب فرماها وهرب، فأخذ الشيخ يده باليد الأخرى وجاء فرأينا في يده منديله لا غير.

**وقال الضياء صقر**: واجتمع السلطان بالسهروردي وأخذه معه وصار له شأن عظيم وبحث مع الفقهاء وعجزهم إلى أن قال: فأفتوا في دمه فقيل: خنق ثم بعد مدة حبس الظاهر جماعة ممن أفتى وصادرهم وحدثني السيد محمود بن زقيقة قال: كنت أتمشى مع السهروردي في جامع ميافارقين وعليه جبة قصيرة وعلى رأسه فوطة وهو بزر بول كأنه خربندا.

**قال الذهبي**: وله كتاب التلويحات اللوحية والعرشية وكتاب الملحمة وكتاب هياكل النور وكتاب المعارج والمطارحات وكتاب حكمة الإشراق وسائرها ليست من علوم الإسلام.

**وقال ابن خلكان**: وكان يتهم بالانحلال والتعطيل ويعتقد مذهب الأوائل، اشتهر ذلك عنه **وأفتى علماء حلب بقتله** وأشدهم الزين والمجد ابنا جهبل، قلت: **أحسنوا وأجادوا**.

**وقال الموفق بن يعيش النحوي**: لما تكلموا فيه قال له تلميذه: إنك تقول النبوة مكتسبة فانزح بنا، قال: نأكل بطيخ حلب فإن بي طرفاً من السل ثم خرج إلى قرية بها بطيخ فأقمنا أياماً فجاء يوماً إلى محضره لتراب الرأس فحفر حتى ظهر له جص فدهن بدهن معه ولفه في قطن وحمله في وسطه أياماً ثم ظهر كله ياقوتاً أحمر فباع منه وذهب أصحابه ولما قتل كان معه،

قلت: كان أحمق طياشاً منحلا[1].

*** جاء في ترجمة محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري - فخر الدين الرازي:**

**قال الذهبي: العلامة الكبير ذو الفنون المفسر كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين**، وقد سقت ترجمته على الوجه في تاريخ الإسلام، وقد بدت منه في تواليفه **بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة والله يعفو عنه فإنه توفي على طريقة حميدة والله يتولى السرائر**، وقد اعترف في آخر عمره حيث يقول: «**لقد تأملت الطرق والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الإثبات** ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[2] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[3] **وأقرأ في النفي** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[4] **ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي**[5].

*** جاء في ترجمة عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن يوسف - أبو المعالي الجويني إمام الحرمين:**

**قال الذهبي**: الإمام الكبير شيخ الشافعية صاحب التصانيف.

**قال عميد الملك**: قدم أبو المعالي فكلم أبا القاسم برهان في العباد هل لهم أفعال فقال أبو المعالي: إن وجدت آية تقتضي ذا فالحجة لك، فتلا: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾[6] ومد بها صوته وكرر ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ وقوله: ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٢٠٧.

(٢) سورة طه، الآية: ٥.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٤) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٥) سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٥٠٠.

(٦) سورة المؤمنون، الآية: ٦٣.

يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾[1] أي كانوا مستطيعين، فأخذ أبو المعالي يستروح إلى التأويل، فقال: والله إنك لبارد تتأول صريح كلام الله لتصحح بتأويلك **كلام الأشعري** وأكله ابن برهان بالحجة فبهت.

**وقال السمعاني**: كان إمام الأئمة على الإطلاق مجمعاً على إمامته شرقاً وغرباً لم ترَ العيون مثله، تفقه على والده وتوفي أبوه ولأبي المعالي عشرون سنة فدرس مكانه وكان يتردد إلى مدرسة البيهقي وأحكم الأصول على أبي القاسم الإسفراييني الإسكاف وكان ينفق من ميراثه ومن معلوم له إلى أن ظهر التعصب بين الفريقين واضطربت الأحوال.

**قال الذهبي: كان هذا الإمام مع فرط ذكائه وإمامته في الفروع وأصول المذهب وقوة مناظرته لا يدري الحديث كما يليق به لا متناً ولا إسناداً** ذكر في كتاب البرهان حديث معاذ في القياس فقال: هو مدون في الصحاح متفق على صحته قلت: بل مداره على الحارث بن عمرو وفيه جهالة.

**قال المازري في شرح البرهان في قوله: إن الله يعلم الكليات لا الجزئيات، وددت لو محوتها بدمي**، وقيل: لم يقل بهذه المسألة تصريحاً بل ألزم بها لأنه قال بمسألة الاسترسال فيما ليس بمتناه من نعيم أهل الجنة فالله أعلم.

**قال الذهبي: هذه هفوة اعتزال هُجر أبو المعالي عليها** وحلف أبو القاسم القشيري لا يكلمه ونفي بسببها فجاور وتعبد وتاب ولله الحمد منها كما أنه في الآخر **رجح مذهب السلف في الصفات وأقره**.

**قال الفقيه غانم الموشيلي**: سمعت أبا المعالي يقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام.

**قال أبو الفتح الطبري**: دخلت على أبي المعالي في مرضه فقال: اشهدوا علي أني قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة وإني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور[2].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٤٦٨.

* **جاء في ترجمة مسعود بن ناصر بن أبي زيد عبدالله بن أحمد ـ أبو سعيد السجزي:**

**قال الذهبي**: الإمام المحدث الرحال الحافظ.

**وقال الدقاق**: لم أرَ في المحدثين أجود إتقاناً ولا أحسن ضبطاً منه.

**وقال زاهر الشحامي**: كان مسعود السجزي يذهب إلى القدر ويقرأها [فحج آدم موسى] بالنصب[1].

* **جاء في ترجمة شبيب بن أحمد بن محمد بن خشنام النيسابوري البستيغي أبو سعيد:**

**قال الذهبي**: الشيخ المسند ـ **كرامي**، وهو شيخ صالح صحيح السماع مشتغل بكسبه.

**قال ابن ناصر**: ذكر لي زاهر الشحامي أنه سمع منه وقال: لم يكن يعرف الحديث وكان **كرامياً** متغالياً[2].

**قال الذهبي**: **والكرامي نسبة إلى ابن كرام المبتدع.**

* **جاء في ترجمة صدقة بن الحسين أبو الفرج ابن الحداد البغدادي الحنبلي الناسخ الفرضي:**

**قال الذهبي**: **المتكلم المتهم في دينه** وكان يطلب من غير حاجة وخلف ثلاثمائة دينار ورويت له **منامات نجسة** أعاذنا الله من الشقاوة.

**قال ابن الجوزي**: يظهر من فلتات لسانه ما يدل على سوء عقيدته وكان لا ينضبط وله ميل إلى **الفلاسفة**، قال لي مرة: أنا الآن أخاصم فلك الفلك، وقال لي القاضي أبو يعلى الصغير: مذ كتب صدقة «الشفا»

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٥٣٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٤٠٦.

لابن سينا تغير، وقال الظهير الحنفي: إني لأفرع بتعثيري لأن الصانع يقصدني[1].

*** جاء في ترجمة عبدالله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي الأنصاري الهروي:**

**قال ابن رجب:**

**الفقيه المفسر الحافظ الصوفي الواعظ شيخ الإسلام أبو إسماعيل:**

**ورأى القاضي أبا بكر الحيري**، وحضر مجلسه، ولم يسمع منه، وكان يقول: تركته لله، وكان قد سمع منه في مجلسه ما ينكره عليه من مخالفة السنة، ذكره الرهاوي عن السلفي عن المؤتمن الساجي عنه.

**وسمع بطرسوس وبسطام من خلق يطول ذكرهم**، وصحب الشيوخ، وتأدب بهم، وخرّج الأمالي والفوائد الكثيرة لنفسه ولغيره من شيوخ الرواة، وأملى الحديث والسنن.

**وصنف التصانيف الكثيرة**، منها ذم الكلام، وكتاب الفاروق، وكتاب مناقب الإمام أحمد، وكتاب منازل السائرين، وكتاب علل المقامات، وله كتاب في تفسير القرآن بالفارسية جامع، ومجالس التذكير بالفارسية حسنة وغير ذلك.

**وكان سيداً عظيماً وإماماً عالماً عارفاً**، وعابداً زاهداً، ذا أحوال ومقامات، وكرامات ومجاهدات، كثير السهر بالليل، شديد القيام في نصر السنة والذب عنها، والقمع لمن خالفها، وجرى له بسبب ذلك محن عظيمة، وكان شديد الانتصار والتعظيم لمذهب الإمام أحمد.

**قال ابن السمعاني:**

**سمعت أبا طاهر أحمد بن أبي غانم الثقفي** سمعت صاعد بن سيار

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٦٦.

الحافظ سمعت أبا إسماعيل عبدالله بن محمد الأنصاري الإمام يقول: مذهبُ أحمدَ أحمدُ مذهبٍ.

**وقال محمد بن طاهر الحافظ في كتابه:** المنثور من الحكايات والسؤالات:

**سمعت عبدالله بن محمد الأنصاري يقول:** لما قصدت الشيخ أبا الحسن الجركاني الصوفي وعزمت على الرجوع وقع في نفسي أن أقصد أبا حاتم بن خاموش الحافظ بالري وأَلتقي به، وكان مقدم أهل السنة بالري.

**وذلك أن السلطان محمود بن سبكتكين** لما دخل الري قتل بها الباطنية ومنع سائر الفرق من الكلام على المنابر غير أبي حاتم وكان من دخل الري من سائر الفرق يعرض اعتقاده عليه، فإن رضيه أذن له في الكلام على الناس وإلا منعه، فلما قربت من الري كان معي في الطريق رجل من أهلها، فسألني عن مذهبي؟ فقلت: أنا حنبلي، فقال: مذهب ما سمعت به، وهذه بدعة وأخذ ثوبي وقال: لا أفارقك حتى أذهب بك إلى الشيخ أبي حاتم، فقلت: خيرة، فإني كنت أتعب إلى أن ألتقي به فذهب بي إلى داره.

**وكان في ذلك اليوم مجلس عظيم فقال: أيها الشيخ هذا الرجل غريب سألته عن مذهبه فذكر مذهباً لم أسمع به قط،** قال: ما قال؟ قال: أنا حنبلي، فقال: دعه، فكل من لم يكن حنبلياً فليس بمسلم، فقلت: الرجل كما وصف لي ولزمته أياماً وانصرفت.

**وإنما عنى أبو حاتم في الأصول.**

**وذكر عبدالقادر الرهاوي:**

**أخبرنا أبو سعد الصايغ** سمعت عبدالجبار بن أبي الفضل الصيرفي سمعت جماعة من أصحاب شيخ الإسلام الأنصاري يقولون: سمعنا شيخنا شيخ الإسلام أبا إسماعيل يقول: فذكر أبياتاً بالفارسية تفسيرها بالعربية:

إلهنا مرئي على العرش مستو ... كلامه أزلي رسوله عربي
كل من قال غير هذا أشعري ... مذهبنا مذهب حنبلي

**قال عبدالقادر:**

**سمعت أبا عروبة عبدالهادي** بن محمد الزاهر بسجستان يقول: سمعت شيخ الإسلام أبا نصر هبة الله بن عبدالجبار بن فاخر يقول: قال لي شيخ الإسلام يعني الأنصاري: كيف تفعلون في القنوت؟ قلت: أوصاني أبي أن أقنت في الوتر، قال: وما قال لك لا تقنت في الصبح؟ قلت: لا، قال: فما أنصفك.

**وذكر ابن طاهر الحافظ في كتابه المذكور** قال: سمعت الإمام عبدالله بن محمد الأنصاري ينشد على المنبر في يوم مجلسه بهراة:

أنا حنبلي ما حييت وإن أمت    فوصيتي للناس أن يتحنبلوا

**ولشيخ الإسلام قصيدة نونية طويلة مشهورة** ذكر فيها أصول السنة ومدح أحمد وأصحابه، وقد أنبأتني زينب بنت أحمد عن عجيبة بنت أبي بكر، عن أبي جعفر محمد بن الحسين بن الحسن الصيدلاني، قال: أنشدنا شيخ الإسلام فذكر القصيدة إلى أن قال:

وإمامي القوام لله الذي    دفنوا حميد الشأن في بغدان
جمع التقى والزهد في دنياهم    والعلم بعد طهارة الأردان
خطم النبي وصيرفي حديثه    ومفلق أعرافها بمعان
حبر العراق ومحنة لذوي الهوى    يدري ببغضته ذوو الأضغان
عرف الهدى فاختار ثوبي نصرة    وشجى بمهجته عرى عرفان
عرضت له الدنيا فأعرض سالماً    عنها كفعل الراهب الخمصان
هانت عليه نفسه في دينه    ففدى الإمام الدين بالجثمان
لله ما لقي ابن حنبل صابراً    عزماً وينصره بلا أعوان
أنا حنبلي ما حييت وإن أمت    فوصيتي ذاكم إلى إخواني
إذ دينه ديني وديني دينه    ما كنت إمعة له دينان

**وقال ابن طاهر:**

**سمعت الإمام أبا إسماعيل الأنصاري بهراة يقول: عرضت** على السيف خمس مرات لا يقال لي: ارجع عن مذهبك، لكن يقال لي: اسكت عمن خالفك فأقول: لا أسكت.

**قال: وحكى لنا أصحابنا أن السلطان ألب أرسلان** حضر هراة وحضر معه وزيره أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق فاجتمع أئمة الفريقين من أصحاب الشافعي، وأصحاب أبي حنيفة، للشكاية من الأنصاري، ومطالبته بالمناظرة، فاستدعاه الوزير، فلما حضر قال: إن هؤلاء القوم اجتمعوا لمناظرتك: فإن يكن الحق معك رجعوا إلى مذهبك، وإن يكن الحق معهم إما أن ترجع وإما أن تسكت عنهم، فقام الأنصاري وقال: أنا أناظر على ما في كمي، فقال له: وما في كمك؟ فقال: كتاب الله وأشار إلى كمه اليمين، وسنة رسول الله ﷺ وأشار إلى كمه اليسار، وكان فيه الصحيحان، فنظر إلى القوم كالمستفهم لهم، فلم يكن فيهم من يمكنه أن يناظره من هذه الطريق.

**قال: وسمعت أحمد بن أميرجه القلانسي خادم الأنصاري يقول:** حضرت مع الشيخ للسلام على الوزير أبي علي الطوسي وكان أصحابه كلفوه بالخروج إليه وذلك بعد المحنة ورجوعه من بلخ، فلما دخل عليه أكرمه وبجله وكان في العسكر أئمة من الفريقين في ذلك اليوم، وقد علموا أنه يحضر، فاتفقوا جميعاً على أن يسألوه عن مسألة بين يدي الوزير فإن أجاب بما يجيب به بهراة سقط من عين الوزير وإن لم يجب سقط في عيون أصحابه وأهل مذهبه، فلما دخل واستقر به المجلس انتدب له رجل من أصحاب الشافعي، يعرف بالعلوي الدبوسي، فقال: يأذن الشيخ الإمام في أن أسأله مسألة؟ فقال: سل، فقال: لِمَ تلعن أبا الحسن الأشعري؟ فسكت وأطرق الوزير لما علم من جوابه، فلما كان بعد ساعة قال له الوزير: أجبه، فقال: لا أعرف الأشعري، وإنما ألعن من لم يعتقد أن الله عز وجل في السماء، وأن القرآن في المصحف، وأن النبي اليوم نبي.

**ثم قام وانصرف فلم يُمكن أحد أن يتكلم بكلمة من هيبته وصلابته وصولته**، فقال الوزير للسائل ومن معه: هذا أردتم؟ كنا نسمع أنه يذكر هذا

بهراة فاجتهدتم حتى سمعناه بآذاننا، وما عسى أن أفعل به؟ ثم بعث خلفه خلعاً وصلة فلم يقبلها وخرج من فوره إلى هراة.

**قال ابن طاهر:**

**وسمعت أصحابنا بهراة يقولون:** لما قدم السلطان ألب أرسلان هراة في بعض قدماته اجتمع مشايخ البلد ورؤساؤه ودخلوا على الشيخ أبي إسماعيل الأنصاري وسلموا عليه، وقالوا: قد ورد السلطان ونحن على عزم أن نخرج ونسلم عليه، فأحببنا أن نبدأ بالسلام على الشيخ الإمام ثم نخرج إلى هناك، وكانوا قد تواطؤوا على أن حملوا معهم صنماً من الصقر صغيراً، وجعلوه في المحراب تحت سجادة الشيخ، وخرجوا وخرج الشيخ من ذلك الموضع إلى خلوته.

**ودخلوا على السلطان واستغاثوا من الأنصاري وقالوا له:** إنه مجسم فإنه يترك في محرابه صنماً، ويقول: إن الله عز وجل على صورته وإن يبعث السلطان الآن يجد الصنم في قبلة مسجده، فعظم ذلك على السلطان، وبعث غلاماً ومعه جماعة، ودخلوا الدار، وقصدوا المحراب وأخذوا الصنم من تحت السجادة ورجع الغلام بالصنم، فوضعه بين يدي السلطان فبعث السلطان بغلمان وأحضر الأنصاري، فلما دخل رأى مشايخ البلد جلوساً، ورأى ذلك الصنم بين يدي السلطان مطروحاً والسلطان قد اشتد غضبه، فقال له: ما هذا؟ قال: هذا صنم يعمل من الصفر شبه اللعبة، فقال: لست عن هذا أسألك، فقال: فعن ماذا يسأل السلطان؟ قال: إن هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا الصنم، وأنك تقول: إن الله عز وجل على صورته، فقال الأنصاري: سبحانك هذا بهتان عظيم، بصوت جهوري وصولة، فوقع في قلب السلطان أنهم كذبوا عليه، فأمر به فأخرج إلى داره مكرماً، وقال لهم: اصدقوني القصة، أو أفعل بكم وأفعل، وذكر تهديداً عظيماً، فقالوا: نحن في يد هذا الرجل في بلية من استيلائه علينا بالعامة، وأردنا أن نقطع شره عنا، فأمر بهم ووكل بكل واحد منهم، ولم يرجع إلى منزله حتى كتب خطه بمبلغ عظيم من المال يؤديه إلى خزانة السلطان جناية، وسلموا

بأرواحهم بعد الهوان العظيم.

**وقد جرى لشيخ الإسلام محن في عمره وشرد عن وطنه مدة.**

**فمن ذلك**: أن قوماً من المتصوفة بهراة عاثوا وأفسدوا بأيديهم على وجه الإنكار، فنسب ذلك إلى الشيخ، ولم يكن بأمره ولا رضاه، فاتفق أكابر أهل البلد على إخراج الشيخ وأولاده وخدمه، فأخرجوه يوم الجمعة عشرين مِنْ رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة قبل الصلاة، ولم يمهل للصلاة، فأقام بقرب البلد فلم يرضوا منه بذلك فخرج إلى بوشنج، وكتب أهل هراة محضراً بما جرى، وأرسلوا إلى السلطان، فجاء جواب السلطان ووزيره نظام الملك بإبعاد الشيخ وأهله، وخدمه إلى ما وراء النهر، وقرىء الكتاب الوارد بذلك في الجامع على منبر يحيى بن عمار، وفيه حط على الشيخ، فأخرج الشيخ ومن كان يعقد المجلس من أقاربه خاصة إلى مرو، ثم ورد الأمر برده إلى بلخ ثم إلى مرو الروذ ثم أذن له في الرجوع إلى هراة، فدخلها يوم الأربعاء رابع عشر المحرم سنة ثمانين وأربعمائة وكان يوماً مشهوداً.

**قال الرهاوي:**

**سمعت شيخنا أبا طاهر السلفي بالإسكندرية يقول**: لما خرج شيخ الإسلام قال أصحابه وأهل البلد: لا يحمل على الدواب إلا على رقاب الناس، فجعل في محفة، وكان يتناوب حملها أربعة رجال، حتى وصل بلخ، فخرج أهلها وهموا برجمه، فردهم ابن نظام الملك، وقال: تريدون أن تكونوا مسبة الدهر، ترجمون رجلاً من أهل العلم؟ ثم سألوه أن يعظ فقرأ ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا ... الآية﴾[1] ثم قال: كل المسلمين يقولون هذا، إلا أهل غورجه وغرجستان وفلانة وطالقان لعنهم الله لعنة عاد وثمود، والنصارى واليهود، قولوا: آمين، فقالوا: آمين.

**قال الرهاوي:**

**وإنما هم أهل بلخ بما هموا به لأنهم معتزلة شديدو الاعتزال** وكان

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

شيخ الإسلام مشهوراً في الآفاق بالحنبلة والشدة في السنة.

**قال: وسمعت السلفي يقول**: لما أمر نظام الملك بإخراج الشيخ من هراة سمع بذلك الشيخ معمر اللنباني فمضى إلى نظام الملك في أمره فقال له نظام الملك: قد صار لذلك الشيخ علي منة عظيمة، حيث بسببه دخلت علي، ثم كتب في الحال برده إلى بلده.

**وذكر الرهاوي**:

**أن الحسين بن محمد الكتبي** ذكر في تاريخه أن مسعود بن محمود بن سبكتكين قدم هراة سنة ثلاثين وأربعمائة، فاستحضر شيخ الإسلام وقال له: أتقول إن الله عز وجل يضع قدمه في النار؟ فقال: أطال الله بقاء السلطان المعظم إن الله عز وجل لا يتضرر بالنار والنار لا تضره، والرسول لا يكذب عليه وعلماء هذه الأمة لا يتزيدون فيما يروون عنه ويسندون إليه فاستحسن جوابه ورده مكرماً.

**قال: وعقد أهل هراة للشيخ مجلساً آخر سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة وعملوا فيه محضراً** وأخرجوه من البلد إلى بعض نواحي بوشنج، فجلس بها وقيد ثم أعيد إلى هراة سنة تسع وثلاثين وجلس في مجلسه للتذكير ثم سعوا في منعه من مجلس التذكير عند السلطان ألب أرسلان سنة خمسين.

**قال: وفي شهور سنة اثنتين وستين خلع على الشيخ من جهة الإمام القائم بأمر الله خلعة شريفة** وفي شهور سنة أربع وسبعين خلعة أخرى فاخرة من جهة المقتدي مع الخطاب واللقب بشيخ الإسلام شيخ الشيوخ زين العلماء أبي إسماعيل عبدالله بن محمد الأنصاري وخلعة أخرى لابنه عبدالهادي.

**قال: وكان السبب في هذه الخلع الوزير نظام الملك شفقة منه على أصحاب الحديث** وصيانة عن لحوق شين بهم.

**قال الذهبي**:

**الإمام القدوة الحافظ الكبير شيخ الإسلام**.

**قال السلفي:**

**سألت المؤتمن الساجي عنه فقال: كان آية في لسان التذكير والتصوف** من سلاطين العلماء وسمعته يقول: تركت الحيري لله قال: وإنما تركت لأنه سمع منه شيئاً خالف السنة.

**قال الذهبي:**

**كان يدري الكلام على رأي الأشعري** وكان شيخ الإسلام أثرياً قحاً ينال من المتكلمة فلهذا أعرض عن الخيري والحيري ثقةٌ عالمٌ أكثر عنه البيهقي والناس.

**وقال ابن طاهر:**

**سمعت أبا إسماعيل يقول: قصدت أبا الحسن الخرقاني** الصوفي ثم عزمت على الرجوع فوقع في نفسي أن أقصد أبا حاتم بن خاموش الحافظ بالري وألتقي به وكان مقدم أهل السنة بالري وذلك أن السلطان محمود بن سبكتكين لما دخل الري وقتل بها الباطنية منع الكل من الوعظ غير أبي حاتم وكان من دخل الري يعرض عليه اعتقاده فإن رضيه أذن له في الكلام على الناس وإلا منعه، قال: قربت من الري وكان معي رجل في الطريق من أهلها فسألني عن مذهبي فقلت: حنبلي، فقال: مذهب ما سمعت به وهذه بدعة وأخذ بثوبي وقال: لا أفارقك إلى الشيخ أبي حاتم، فقلت: خيرة فذهب بي إلى داره وكان له ذلك اليوم مجلس عظيم فقال: هذا سألته عن مذهبه فذكر مذهباً لم أسمع به قط، قال: وما قال؟ فقال: إنا حنبلي، فقال: دعه فكل من لم يكن حنبلياً فليس بمسلم، فقلت: في نفس الرجل كما وصف لي ولزمته أياماً وانصرفت.

**قال الذهبي:**

**قد كان أبو حاتم أحمد بن الحسين بن خاموش صاحب سنة واتباع وفيه يبس وزعارة العجم** وما قاله فمحل نظر، ولقد بالغ أبو إسماعيل في ذم الكلام على الأتباع فأجاد ولكنه له نفس عجيبة لا تشبه نفس أئمة السلف في

كتابه منازل السائرين ففيه أشياء مطربة وفيه أشياء مشكلة ومن تأمله لاح له ما أشرت إليه والسنة المحمدية خِلْفه ولا ينهض الذوق والوجد إلا على تأسيس الكتاب والسنة وقد كان هذا الرجل سيفاً مسلولاً على المتكلمين له صولة وهيبة واستيلاء على النفوس ببلده يعظمونه ويتغالون ويبذلون أرواحهم فيما يأمر به كان عندهم أطوع وأرفع من السلطان بكثير وكان طوداً راسياً في السنَّة لا يتزلزل ولا يلين لولا ما كدر به كتابه الفاروق في الصفات بذكر أحاديث باطلة يجب بيانها وهتكها والله يغفر له حسن قصده وقد امتحن مرات وأوذي ونفي من بلده.

**وقال الحافظ أبو النضر الفامي:**

**كان بكر الزمان وواسطة عقد المعاني وصورة الإقبال** في فنون الفضائل وأنواع المحاسن منها نصرة الدين والسنة من غير مداهنة ولا مراقبة لسلطان ولا وزير وقد قاسى بذلك قصد الحساد في كل وقت وسعوا في روحه مراراً وعمدوا إلى إهلاكه أطواراً فوقاه الله شرهم وجعل قصدهم أقوى سبب لارتفاع شأنه.

**قال الذهبي:**

**قد انتفع به خلق وجهل آخرون فإن طائفة من صوفية الفلسفة** والاتحاد يخضعون لكلامه في منازل السائرين وينتحلونه **ويزعمون أنه موافقهم** كلا بل هو رجل أثري يلهج بإثبات نصوص الصفات منافر للكلام وأهله جداً وفي منازله إشارات إلى المحو والفناء وإنما مراده بذلك الفناء الغيبة عن شهود السوى ولم يرد محو السوى في الخارج.

**قال ابن طاهر:**

**حكى لي أصحابنا أن السلطان ألب أرسلان قدم هراة ومعه وزيره نظام الملك** فاجتمع إليه أئمة الحنفية وأئمة الشافعية للشكوى من الأنصاري ومطالبته بالمناظرة فاستدعاه الوزير فلما حضر قال: إن هؤلاء قد اجتمعوا لمناظرتك فإن يكن الحق معك رجعوا إلى مذهبك وإن يكن الحق معهم رجعت أو تسكت عنهم، فوثب الأنصاري وقال: أناظر على ما في كمي،

قال: وما في كمك؟ قال: كتاب الله وأشار إلى كمه اليمين وسنة رسول الله ﷺ وأشار إلى كمه اليسار وكان فيه الصحيحان فنظر الوزير إليهم مستفهماً لهم فلم يكن فيهم من ناظره من هذا الطريق. وسمعت خادمه أحمد بن أميرجه يقول: حضرت مع شيخ الإسلام على الوزير نظام الملك وكان أصحابنا كلفوه الخروج إليه وذلك بعد المحنة ورجوعه إلى وطنه من بلخ يعني أنه كان قد غرب قال: فلما دخل عليه أكرمه وبجله وكان هناك أئمة من الفريقين فاتفقوا على أن يسألوه بين يدي الوزير فقال العلوي الدبوسي: يأذن الشيخ الإمام أن أسأل؟ قال: سل، قال: لِمَ تلعن أبا الحسن الأشعري؟ فسكت الشيخ وأطرق الوزير فلما كان بعد ساعة قال الوزير: أجبه، فقال: لا أعرف أبا الحسن وإنما ألعن من لم يعتقد أن الله في السماء وأن القرآن في المصحف ويقول: إن النبي ﷺ ليس بنبي ثم قام وانصرف. قال: وسمعت أصحابنا بهراة يقولون: لما قدم السلطان ألب أرسلان هراة في بعض قدماته اجتمع مشايخ البلد ورؤساؤه ودخلوا على أبي إسماعيل وسلموا عليه وقالوا: ورد السلطان ونحن على عزم أن نخرج ونسلم عليه فأحببنا أن نبدأ بالسلام عليك وكانوا قد تواطؤوا على أن حملوا معهم صنماً من نحاس صغير وجعلوه في المحراب تحت سجادة الشيخ وخرجوا وقام الشيخ إلى خلوته ودخلوا على السلطان واستغاثوا من الأنصاري وأنه مجسم وأنه يترك في محرابه صنماً يزعم أن الله تعالى على صورته وإن بعث السلطان الآن يجده فعظم ذلك على السلطان وبعث غلاماً وجماعة فدخلوا وقصدوا المحراب فأخذوا الصنم فألفى الغلام الصنم فبعث السلطان من أحضر الأنصاري فأتي به فرأى الصنم والعلماء وقد اشتد غضب السلطان فقال له السلطان: ما هذا؟ قال: صنم يعمل من الصفر يشبه اللعبة، قال: لست عن ذا أسألك قال: فعمَ يسألني السلطان؟ قال: إن هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا وأنك تقول إن الله على صورته، فقال شيخ الإسلام بصولة وصوت جهوري: سبحانك هذا بهتان عظيم، فوقع في قلب السلطان أنهم كذبوا عليه فأمر به فأخرج إلى داره مكرماً وقال لهم: اصدقوني وهددهم فقالوا: نحن في يد هذا الرجل في بلية من استيلائه علينا بالعامة

فأردنا أن نقطع عنه فأمر بهم ووكل بهم وصادرهم وأخذ منهم وأهانهم.

**قال أبو الوقت السجزي:**

**دخلت نيسابور وحضرت عند الأستاذ أبي المعالي الجويني** فقال: من أنت؟ قلت: خادم الشيخ أبي إسماعيل الأنصاري فقال: رضي الله عنه.

**دفاع الذهبي:**

**قلت: اسمع إلى عقل هذا الإمام ودع سب الطغام إن هم إلا كالأنعام.**

**وقال أبو سعد السمعاني:**

**كان أبو إسماعيل مظهراً للسنة** داعياً إليها محرضاً عليها وكان مكتفياً بما يباسط به المريدين ما كان يأخذ من الظلمة شيئاً وكان لا يتعدى إطلاق ما ورد في الظواهر من الكتاب والسنة معتقداً ما صح غير مصرح بما يقتضيه تشبيه[1].

*** جاء في ترجمة عبدالمغيث بن زهير بن علوي الحربي أبو العز ابن أبي الحرب في الذيل:**

**قال ابن رجب:** المحدث الزاهد.

**وقال الحافظ المنذري:** اجتهد في طلب الحديث وجمعه وصنف وأفاد وحدث بالكثير.

**وقال ابن القطيعي:** كان أحد المحدثين مع صلابته في الدين، واشتهاره بالسنة، وقراءة القرآن، **وجرت بينه وبين صاحب المنتظم يعني أبا الفرج ابن الجوزي نفرة كان سببها الطعن على يزيد بن معاوية**، وكان عبدالمغيث يمنع من سبه، وصنف في ذلك كتاباً وأسمعه وصنف الآخر كتاباً سماه الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد، وقرأته عليه **ومات عبدالمغيث وهما متهاجران.**

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٥٠٣.

**قلت: هذه المسألة وقع** بين عبدالمغيث وابن الجوزي بسببها فتنة، ويقال: إن عبدالمغيث تتبع أبا الحسن بن البنا، فقيل: إنه صنف في منع ذم يزيد ولعنه، وابن الجوزي صنف في جواز ذلك، وحكى فيه أن القاضي أبا الحسن صنف كتاباً فيمن يستحق اللعن، وذكر منهم يزيد، وذكر كلام أحمد في ذلك.

**وكلام أحمد إنما فيه لعن الظالمين جملة، ليس فيه تصريح بجواز لعن يزيد معيناً.**

**وقد ذكر القاضي في المعتمد** نصوص الإمام أحمد في هذه المسألة وأشار إلى أن فيها خلافاً عنه.

**وقرأت بخط يحيى بن الصيرفي الفقيه الحراني** قال: حكي لي أنه كان يوماً في زيارة قبر الإمام أحمد يعني الشيخ عبدالمغيث **وأن الخليفة الناصر** وافاه في ذلك اليوم عند قبر الإمام أحمد، فقال له: أنت عبدالمغيث الذي صنف مناقب يزيد؟ فقال: معاذ الله أن أقول: إن له مناقب، **ولكن من مذهبي أن الذي هو خليفة المسلمين إذا طرأ عليه فسق لا يوجب خلعه فقال: أحسنت يا حنبلي**، واستحسن منه هذا الكلام، وأعجبه غاية الإعجاب.

**قال ابن الصيرفي**: ولقد حكى لي شيخنا محب الدين أبو البقاء أن الشيخ جمال الدين ابن الجوزي كان يقول: إني لأرجو الله سبحانه أن أجتمع أنا وعبدالمغيث في الجنة، قال: وهذا يدل على أنه كان يعلم أن الشيخ عبدالمغيث من عباد الله الصالحين فرحمة الله عليهما.

**قلت: ووقع أيضاً تنازع بين عبدالمغيث وابن الجوزي** في صلاة النبي ﷺ خلف أبي بكر الصديق رضي الله عنه فصنف عبدالمغيث تصنيفين في إثبات ذلك، تبعاً لأبي علي البرداني.

**ورد عليه ابن الجوزي** في كتاب سماه آفة أصحاب الحديث، والرد على عبدالمغيث، وكان عبدالمغيث قد حفر لنفسه قبراً خلف هدف الإمام أحمد الذي هو فيه مدفون.

**فقال ابن الجوزي: لا يجوز ذلك، لأنها بقعة مسبلة**، فلا يجوز تحجيرها، ولأن تلك البقعة لا تخلو من دفين، وقد قال النبي ﷺ: «**كسر عظم الميت ككسره حياً**».

**فقال عبدالمغيث**: حفرت فلم أجد عظماً.

**فقال ابن الجوزي**: تلك بليت وبقي رضاضها المحترم، ولا يجوز نبشها.

**قال: ولأنك إذا وضعت في هذا القبر تكون رجلاك عند رأس أحمد**، إذ ليس بينهما إلا الهدف، وهذا سوء أدب، أما علمت أن المروزي قال: ادفنوني بين يديه كما كنت أجلس بين يديه؟

**قال: فلم يلتفت إلى ما قلت ومر مع هواه.**

**قلت: إذا بلي الميت فلم يبقَ له عظم ولا أثر فظاهر المذهب جواز نبش قبره المدفون فيه خلاف ما قاله ابن الجوزي.**

**وصنف عبدالمغيث: الانتصار لمسند الإمام أحمد**، أظنه ذكر فيه أن أحاديث المسند كلها صحيحة، وقد صنف في ذلك قبله أبو موسى، وبذلك أفتى أبو العلاء الهمداني وخالفهم الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي[1].

*** جاء في ترجمة صدقة بن الحسين بن الحسن بن بختيار بن الحداد البغدادي أبو الفرج:**

**قال ابن رجب**: الفقيه، الأديب، الشاعر، المتكلم، الكاتب، المؤرخ.

**وقرأ علم الجدل والكلام**، والمنطق والفلسفة والحساب ومتعلقاته من الفرائض وغيرها، وكتب خطاً حسناً صحيحاً، وقال الشعر المليح، وأفتى وناظر، وانقطع بمسجده بالبدرية شرقي بغداد، يؤم الناس فيه، وينسخ ويفتي، ويتردد إليه الطلبة يقرأون عليه فنون العلم، وبقي على ذلك نحواً من سبعين سنة حتى توفي.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ص ٣٥٤.

**وكان الوزير ابن رئيس الرؤساء سأل عن مسألة في الحكمة؟** فقيل له: إن صدقة الناسخ له يد قوية في ذلك، فأنفذها إليه، فكتب فيها جواباً حسناً شافياً، استحسنه الوزير، وسأله عن حاله؟ فأخبر بفقره فأجرى له ما يقوته، وعلمت الجهة بحاله يعني جهة الخليفة فصارت تتفقده في بعض الأوقات، بما يكون بين يديها من الأطعمة الفاخرة والحلوى، فيعجز عن أكله، فيعطيه لمن يبيعه له، فكان ربما شكا حاله لمن يأنس به فيشنع عليه من له فيه غرض، ويقول: هو يعترض على الأقدار، وينسبه إلى أشياء، الله أعلم بحقيقتها.

**قال: وحكى لي بعض أصحابنا** قال: دخل بعض الناس على صدقة وإلى جانبه مركن، وعليه خرقة مبلولة، قد اجتمع عليها الذباب، فقال له: ما هذا المركن؟ قال: فيه حلوى السكر يابسة، قد نقعتها في الماء لتلين، ولا أقدر على أكلها لذهاب أسناني، وأعجبك أنه لما كانت لي أسنان صحاح قوية لم يقدرني القدر على التمر، فلما كبرت وذهبت أسناني رزقت الحلوى اليابسة، لأزداد بنظري إليها، وعجزي عن أكلها حسرة، فكان الناس ينسبونه بهذا الكلام وبما كان يعلم من العلوم القديمة إلى أشياء لعله بريء منها.

**قلت: يشير بذلك ابن النجار إلى الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي** فإنه حط عليه في تاريخه حطاً بليغاً، وذكر له أشعاراً رديئة، وتتضمن الحيرة والشك، وكلمات تتضمن الاعتراض على الأقدار، وقال: هذا من جنس اعتراضات ابن الراوندي ونسبه أيضاً إلى تعاطي فواحش، وإلى المسألة من غير حاجة، وأنه خلف ثلاثمائة دينار.

**وقال: لما كثر عثوري على هذا منه،** وعجز تأويلي له هجرته سنين، ولم أصل عليه حين مات، والشيخ أبو الفرج رحمه الله ثقة فيما ينقل، وإذا ثبت أو اشتهر عن أحد مثل هذه الأمور فهاجره وذامه معيب فيما يفعل.

**وقال ابن القطيعي**: كان بينه وبين ابن الجوزي مباينة شديدة وكل واحد يقول في صاحبه مقالة الله أعلم بها.

**قال: وسمعت الوزير ابن يونس ومجلسه حفل بالعلماء يثني على صدقة، وينكر على ابن الجوزي قدحه فيه بقوله:** صليت إلى جانب صدقة فما سمعته يقرأ، وقال: الواجب أن يسمع نفسه، لا من إلى جانبه، وأين حضور قلب ابن الجوزي من سماع قراءة غيره، ثم من جعل همته تتبع شخص إلى هذا الحد في الصلاة دل بفعله على عداوته والله يغفر لهما.

**قلت: هذا من أسهل ما أنكره ابن الجوزي عليه،** ثم إنه قال: كنت أتأمله إذا قام إلى الصلاة، فأكون في أوقات إلى جانبه فلا أرى شفتيه تتحرك أصلاً، لم يقل: لم أسمعه يقرأ.

**وأما الفتيا التي عرفه الوزير بسببها فقد** ذكرها ياقوت الحموي في كتابه قال: جرى بين الوزير أبي الفرج ابن رئيس الرؤساء وزير المستضيء مسألة في العلم: هل هو واحد أم أكثر، وكان عنده جماعة من أهل العلم، كابن الجوزي وغيره فسألهم عن ذلك؟ فكل كتب بخطه: إن العلم واحد، فلما فرغوا قال: ترى هنا من هنا قيم بهذا العلم غير هؤلاء؟ فقال له بعض الحاضرين: ههنا رجل يعرف بصدقة الناسخ يعرف هذا الفن معرفة لا مزيد عليها، فنفذ بالفتوى وفيها خطوط الفقهاء وقال: انظر في هذه وقل ما عندك، فلما وقف عليها فكر طويلاً متعجباً من اتفاقهم على ما لا أصل له، ثم أخذ القلم وكتب: **العلم علمان، علم غريزي، وعلم مكتسب، فأما الغريزي** فهو الذي يدرك على الفور، من غير فكرة كقولنا: واحد وواحد فهذا يعلم ضرورة أنه اثنان.

**وعلم مكتسب**: وهو ما يدرك بالطلب، والفكرة والبحث أو كلاماً هذا معناه، وأنفذ الخط إلى الوزير، فلما وقف عليه أعجب به، وقال: أين يكون هذا الرجل؟ فعرف حاله وفقره، فاستدعاه إليه وتلقاه بالبشر وخلع عليه خلعة حسنة وأعطاه أربعين ديناراً، ففرح فرحاً عظيماً وقال: يا مولاي قد حضر لي بيتان قال: أنشدهما، فقال:

ومن العجائب والعجائب جمة ... شكر بطيء عن ندى متسرع
ولقد دعوت ندى سواك فلم يجب ... فلأشكرن ندى أجاب وما دعي

**فاستحسن ذلك وما زال يبره إلى أن مات**، سامحه الله.

**توفي صدقة يوم السبت ثالث عشر** ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وصلي عليه من الغد برحبة الجامع ودفن بباب حرب.

**وقيل**: إنه توفي يوم الأحد رابع عشر.

**وذكر ابن الجوزي عمن حدثه**: أنه رئي له منامات غير صالحة، وأنه عريان، وأنه أخبر عن نفسه أنه مسجون مضيق عليه، وأنه لم يغفر له، فالله تعالى يسامحه ويتجاوز عنه.

**وذكر ابن النجار عن علي الفاخراني الضرير** قال: رأيت صدقة الناسخ في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بعد شدة، فسألته عن علم الأصول؟ فقال: لا تشتغل به، فما كان شيء أضر عَلَيَّ منه، وما نفعني إلا خمس قصيبات أو قال: تميرات تصدقت بها على أرملة.

**قلت: هذا المنام حق، وما كانت مصيبته إلا من علم الكلام، ولقد صدق القائل: ما ارتدى أحد بالكلام أفلح، وبسبب شبه المتكلمين والمتفلسفة كان يقع له أحياناً حيرة وشك، يذكرها في أشعاره، ويقع له من الكلام والاعتراض ما يقع.**

**وقد رأيت له مسألة في القرآن قرر فيها أن ما في المصحف ليس بكلام الله حقيقة، وإنما هو عبارة عنه، ودلالة عليه، وإنما يسمى كلام الله مجازاً.**

**قال**: ولا خلاف بيننا وبين المخالفين في ذلك، إلا أن عندنا أن مدلوله هو كلام الله الذي هو الحروف والأصوات، وعندهم مدلول الكلام، الذي هو المعنى القديم بالذات[1].

*** جاء في ترجمة محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد أبو سعد بن أبي العباس الأصبهاني يعرف بالخياط:**

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ص ٣٣٩.

**قال ابن رجب: جمع شيئاً كثيراً جداً من الحديث والفقه.**

**قال ابن النجار:**

**وكان من أهل السنة المحققين المبالغين المتشددين،** ظاهر الصلاح قليل المخالطة للناس، **كان حنبلياً متعصباً لمذهبه،** متشدداً في ذلك، توفي يوم الخميس السادس والعشرين من ذي الحجة، سنة سبع عشرة وخمسمائة، ودفن بباب حرب ولم يخلف وارثاً، لأنه لم يتزوج قط رحمه الله(١).

*** جاء في ترجمة عثمان بن مرزوق بن حميد بن سلام القرشي أبو عمرو نزيل الديار المصرية:**

**قال ابن رجب: حدث عنه أبو الثناء** محمود بن عبدالله بن مطروح المقرىء الجيلي، وأبو الثناء أحمد بن ميسرة بن أحمد بن موسى بن غنام الغدراني الحنبلي المصري الكامخي وكانا صالحين، وكان الأول مقرئاً حسن التلفظ بالقرآن، وكان الثاني كثير الذكر والتسبيح، حدث عنه المنذري، قرأ على الأول القرآن، وكان الشيخ أبو عمرو له كرامات وأحوال ومقامات وكلام حسن على لسان أهل الطريقة.

**وذكر الناسح في ترجمة ولد الشيخ أبي عمرو بن مرزوق** سعد وسنذكره في موضعه إن شاء الله تعالى، أن والده يعني الشيخ أبا عمرو كان يذكر عنه أنه كان يقول في أفعاد العباد: إنها غير مخلوقة.

**وكذا حكى ابن القطيعي في تاريخه،** قال: حكى لي أبو محمد بن سعيد البزار التاجر قال: كنت بمصر ووقع بها فتنة بين والد الشيخ سعد يعني عثمان بن مرزوق وبين الكيزاني، وتلك الفتنة كانت سبب قدوم سعد إلى بغداد فقلت له: ما كانت؟ فقال: كان عثمان بن مرزوق يقول: أفعال العباد قديمة، وكان له بمصر قبول، وبمصر يومئذ رجل آخر له قبول، يعرف بابن الكيزاني، أبو عبدالله يقول: ليست قديمة، فثارت الفتن، فقالوا:

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ص ١٧٣.

طريق الحق أن نكتب إلى بغداد في ذلك، فكتبوا إلى علماء بغداد فأفتوهم على اختلاف مذاهبهم بحدوثها فقال سعد: يعني ابن الشيخ عثمان بن مرزوق الآن: قد شككت في هذا الأمر، والمكتوب لا يقلد، ولا بد من المضي إلى بغداد، وأسمع مقالة العلماء، وأعود أخبر أبي بذلك، فدخل بغداد وسمع مقالة العلماء فمات أبوه بمصر وبلغه وفاته فأقام ببغداد.

**قلت: وذكر أبو المظفر سبط ابن الجوزي** في مرآة الزمان أن أبا عبدالله بن الكيزاني كان يقول: إن أفعال العباد قديمة، فحينئذ فقد اختلف في نسبة هذا القول، هل هو إلى ابن الكيزاني أو إلى ابن مرزوق، ولم يثبت لنا من وجه صحيح عن ابن مرزوق أنه كان يقول ذلك، ولعل ذلك ألزموه به لقوله: إن اللفظ بالقرآن غير مخلوق، وإن هذا القول يقوله طائفة من أصحابنا، وربما نسبوه إلى الإمام أحمد.

**والصحيح الصريح عن أحمد أنه كان يبدع قائل ذلك** ولعله لما التزم هذا القول الضعيف طرده في سائر الأفعال والله أعلم بحقيقة الحال.

**ثم وجدت لأبي عمرو بن مرزوق** مصنفات في أصول الدين ورأيته يقول: إن الإيمان غير مخلوق، أقواله وأفعاله، وإن حركات العباد مخلوقة، لكن القديم يظهر فيها كظهور الكلام في ألفاظ العباد.

**وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى**: وثم جماعات منتسبون إلى الشيخ أبي عمرو بن مرزوق ويقولون أشياء مخالفة لما كان الشيخ أبو عمرو عليه، وهذا الشيخ كان ينتسب إلى مذهب الإمام أحمد وكان من أصحاب الشيخ عبدالوهاب ابن الشيخ أبي الفرج وهؤلاء ينتسبون إلى مذهب الشافعي، ويقولون أقوالاً مخالفة لمذهب الشافعي وأحمد، بل ولسائر أئمة المسلمين، ولشيخهم الشيخ أبي عمرو وهذا الشيخ أبو عمرو شيخ من شيوخ أهل العلم والدين، وله أسوة أمثاله، وإذا قال قولاً قد علم أن قول أحمد والشافعي بخلافه وجب تقديم قول الشافعي وأحمد على قوله، مع دلالة الكتاب والسنة على قول الأئمة، فكيف إذا كان يقول مخالفاً لقوله ولقول الأئمة وللكتاب والسنة.

**وذلك مثل قولهم: لا نقطع ولا نقول قطعاً**، ويقولون: نشهد أن محمداً رسول الله، ولا نقطع، ونقول: السماء فوقنا والأرض تحتنا ولا نقطع بذلك، ويروون في ذلك أثراً عن علي أو حديثاً مرفوعاً وهو من الكذب المفترى.

**قال: وأصل شبههم أن السلف كانوا يستثنون** في الإيمان فيقول أحدهم: أنا مؤمن إن شاء الله، وعلى ذلك كان أهل الثغر، عسقلان وما يقرب منها، فإنه كان قد سكنها محمد بن يوسف الفريابي وكان يأمر بذلك، وكان شديداً على المرجئة وعامة هؤلاء القوم جيران عسقلان، ثم صار كثير منهم يستثني في الأعمال الصالحة، فيقول: صليت إن شاء الله وهو يخاف أن لا يكون أتى بالصلاة كما أمر ولا تقبلت منه فيستثني خوفاً من ذلك.

**وصنف في ذلك بعض أهل الثغر مصنفاً** وشيخهم أبو عمرو بن مرزوق غايته أن يتبع هؤلاء ولم يكن الرجل ولا أحد قبله من أهل العلم يمتنعون أن يقولوا لما يعلم أنه موجود هذا موجود قطعاً، لكن لما مات أحدث بعض أتباعه الاستثناء في كل شيء، حتى في الإخبار عن الماضي والحاضر.

**وقد نقل عن بعض الشيوخ أنه كان يستثني في كل شيء** كأنه والله أعلم في الخبر عن الأمور المستقبلية لقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[1] وقول النبي ﷺ: **«وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»**، وصاروا يمتنعون عن التلفظ بالقطع مع أنهم محققون بقلوبهم أن محمداً رسول الله، ولا يشكون في نبوة محمد ﷺ، ولكن يكرهون لفظ القطع، وهذا جهل منهم والواجب عليهم موافقة جماعة المسلمين.

**فإن قول القائل أقطع بذلك**، مثل قوله: أشهد بذلك وأجزم وأعلم بذلك وأطال الشيخ الكلام في ذلك[2].

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ص ٣٠٦.

*** جاء في ترجمة محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني أبو بكر:**

**قال الذهبي**[(١)]: **الإمام العلامة الصالح شيخ المتكلمين.**

**وقال القاضي ابن خلكان فيه:** أبو بكر الأصولي، الأديب النحوي الواعظ، درس بالعراق مدة، ثم توجه إلى الري، فسعت به المبتدعة - يعني الكرامية - فراسله أهل نيسابور، فورد عليهم، وبنوا له مدرسة وداراً، وظهرت بركته على المتفقهة، وبلغت مصنفاته قريباً من مائة مصنف، ودعي إلى مدينة غزنة، وجرت له بها مناظرات، وكان شديد الرد على ابن كرام، ثم عاد إلى نيسابور، فسُمَّ في الطريق، فمات بقرب بُست، ونقل إلى نيسابور، ومشهده بالحيرة يزار، ويستجاب الدعاء عنده.

**قلت: كان أشعرياً، رأساً في فن الكلام،** أخذ عن أبي الحسن الباهلي صاحب الأشعري. وقال عبدالغافر: دعا أبو علي الدقاق في مجلسه لطائفة، فقيل: ألا دعوت لابن فورك؟ قال: كيف أدعو له، وكنت البارحة أقسم على الله بإيمانه أن يشفيني؟.

**قلت: حمل مقيداً إلى شيراز للعقائد.**

**ونقل أبو الوليد الباجي أن السلطان محموداً سأله عن رسول الله ﷺ، فقال: كان رسول الله، وأما اليوم فلا**[(٢)]. **فأمر بقتله بالسم.**

**وقال ابن حزم:** كان يقول: إن روح رسول الله قد بطلت، وتلاشت، وما هي في الجنة.

**قلت: وقد روى** عنه الحاكم حديثاً، وتوفي قبله بسنة واحدة.

**وقال الذهبي في موضع آخر:** قال أبو علي بن البناء: حكى علي بن الحسين العكبري أنه سمع أبا مسعود أحمد بن محمد البجلي قال: **دخل ابن**

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢١٤/١٧، ٤٨٧/١٧.

(٢) أي على مذهب الأشاعرة أن الرسالة تنقطع بالموت، نسأل الله العافية.

**فورك على السلطان محمود فقال: لا يجوز أن يوصف الله بالفوقية لأن لازم ذلك وصفه بالتحتية فمن جاز أن يكون له فوقَ جاز أن يكون له تحت. فقال السلطان: ما أنا وصفته حتى يلزمني، بل هو وصف نفسه. فبهت ابن فورك**، فلما خرج من عنده مات، فيقال: انشقت مرارته[(١)].

*** جاء في ترجمة أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحق أبي نعيم الأصبهاني:**

**قال الذهبي**[(٢)]: الإمام الحافظ الثقة العلامة شيخ الإسلام الصوفي الأحول، قال أبو طاهر السلفي: سمعت أبا العلاء محمد بن عبدالجبار الفرساني يقول: حضرت مجلس أبي بكر بن أبي علي الذكواني المعدل في صغري مع أبي، فلما فرغ من إملائه، قال إنسان: من أراد أن يحضر مجلس أبي نعيم، فليقم. وكان أبو نعيم في ذلك الوقت مهجوراً بسبب المذهب، وكان بين الأشعرية والحنابلة تعصب زائد يؤدي إلى فتنة، وقيل وقال، وصداع طويل، فقام إليه أصحاب الحديث بسكاكين الأقلام، وكاد الرجل يقتل.

**قلت ـ أي الذهبي ـ: ما هؤلاء بأصحاب الحديث، بل فجرة جهلة، أبعد الله شرهم.**

**قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر**: ذكر الشيخ أبو عبدالله محمد بن محمد الأصبهاني عمن أدرك من شيوخ أصبهان أن السلطان محمود بن سبكتكين لما استولى على أصبهان، أمَّر عليها والياً من قبله، ورحل عنها، فوثب أهلها بالوالي، فقتلوه فرجع السلطان، وأمنهم حتى اطمأنوا، ثم قصدهم في يوم جمعة وهم في الجامع، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وكانوا قبل ذلك منعوا الحافظ أبا نعيم من الجلوس في الجامع، فسلم مما جرى عليهم، وكان ذلك من كرامته. وقال محمد بن طاهر المقدسي: سمعت

---

(١) رحم الله السلطان محمود بن سبكتكين ما كان أعقله وما أشد تمسكه بالسنة.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٥٣/١٧ وما بعدها.

عبدالوهاب الأنماطي يقول: رأيت بخط أبي بكر الخطيب. سألت محمد بن إبراهيم العطار مستملي أبي نعيم، عن جزء محمد بن عاصم: كيف قرأته على أبي نعيم، وكيف رأيت سماعه؟ فقال: أخرج إليَّ كتاباً، وقال: هو سماعي، فقرأته عليه. ثم قال لي الخطيب: قد رأيت لأبي نعيم أشياء يتساهل فيها، منها أن يقول في الإجازة: أخبرنا من غير أن يبين.

**قال الحافظ أبو عبدالله ابن النجار:** جزء محمد بن عاصم قد رواه الأثبات عن أبي نعيم، والحافظ الصادق إذا قال: هذا الكتاب ـ سماعي ـ جاز أخذه عنه بإجماعهم.

**قلت: قول الخطيب: كان يتساهل**... إلى آخره، هذا شيء قل أن يفعله أبو نعيم، وكثيراً ما يقول: كتب إلي الخلدي. ويقول: كتب إلي أبو العباس الأصم، وأخبرنا أبو الميمون بن راشد في كتابه. ولكني رأيته يقول في شيخه عبدالله بن جعفر بن فارس الذي سمع منه كثيراً وهو أكبر شيخ له: أخبرنا عبدالله بن جعفر فيما قرئ عليه. فيوهم أنه سمعه، ويكون مما هو له بالإجازة، ثم إطلاق الإخبار على ما هو بالإجازة مذهب معروف قد غلب استعماله على محدثي الأندلس، وتوسعوا فيه. وإذا أطلق ذلك أبو نعيم في مثل الأصم وأبي الميمون البجلي والشيوخ الذين قد علم أنه ما سمع منهم بل له منهم إجازة، كان له سائغاً والأحوط تجنبه.

**حدثني أبو الحجاج الكلبي الحافظ** أنه رأى خط الحافظ ضياء الدين قال: وجدت بخط أبي الحجاج بن خليل أنه قال: رأيت أصل سماع الحافظ أبي نعيم لجزء محمد بن عاصم.

**قلت: فبطل ما تخيله الخطيب، وتوهمه، وما أبو نعيم بمتهم، بل هو صدوق عالم بهذا الفن**، ما أعلم له ذنباً ـ والله يعفو عنه ـ أعظم من روايته للأحاديث الموضوعة في تواليفه، ثم يسكت عن توهينها.

**قلت: قد كان أبو عبدالله بن منده يقذع في المقال في أبي نعيم لمكان الاعتقاد المتنازع فيه بين الحنابلة وأصحاب أبي الحسن**، ونال أبو نعيم أيضاً

من أبي عبدالله في «تاريخه»، **وقد عرف وهن كلام الأقران المتنافسين بعضهم في بعض**. نسأل الله السماح.

*** جاء في ترجمة علي بن محمد بن العباس البغدادي - أبو حيان:**

**قال الذهبي عنه**(١): الضال الملحد وقال ابن بابي في كتاب «الخريدة والفريدة»: كان أبو حيان هذا كذاباً قليل الدين والورع عن القذف والمجاهرة بالبهتان، تعرض لأمور جسام من القدح في الشريعة والقول بالتعطيل، ولقد وقف سيدنا الوزير الصاحب كافي الكفاة على بعض ما كان يدغله ويخفيه من سوء الاعتقاد، فطلبه ليقتله، فهرب، والتجأ إلى أعدائه، ونفق عليهم زخرفه لإفكه، ثم عثروا منه على قبيح دخيلته وسوء عقيدته، وما يبطنه من الإلحاد، ويرومه في الإسلام من الفساد، وما يلصقه بأعلام الصحابة من القبائح، ويضيفه إلى السلف الصالح من الفضائح، فطلبه الوزير المهلبي، فاستتر منه، ومات في الاستتار، وأراح الله منه، ولم يؤثر عنه إلا مثلبة أو مخزية.

**وقال أبو الفرج بن الجوزي**: زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي، وأبو حيان التوحيدي، وأبو العلاء المعري، وأشدُّهم على الإسلام أبو حيان، لأنهما صرحا، وهو [يلمح] ولم يصرح.

**قلت: وكان من تلامذة علي بن عيسى الرماني**، ورأيته يبالغ في تعظيم الرماني في كتابه الذي ألفه في تقريظ الجاحظ، فانظر إلى المادح والممدوح! وأجود الثلاثة الرماني مع اعتزاله وتشيعه.

**وأبو حيان له مصنف كبير في تصوف الحكماء.**

**وقال أبو نصر السجزي** الحافظ فيما يأثره عنه جعفر الحكاك: سمعت أبا سعد الماليني يقول: قرأت الرسالة - يعني المنسوبة إلى أبي بكر وعمر

---

(١) سير أعلام النبلاء ١١٩/١٧ وما بعدها.

مع أبي عبيدة إلى علي رضي الله عنهم ـ على أبي حيان، فقال: هذه الرسالة عملتها رداً على الرافضة، وسببه أنهم كانوا يحضرون مجلس بعض الوزراء، وكانوا يغلون في حال علي، فعملت هذه الرسالة.

**قلت: قد باء بالاختلاف على الصفوة**، وقد رأيتها وسائرها كذب بين.

*** جاء في ترجمة محمد بن رزق الله بن عبيدالله أبو بكر بن منين:**

**قال الذهبي**[1]: **الإمام المقرىء**، . . ، قال الدربندي: لم يكن في جميع الشام من يكنى بأبي بكر غيره، وكان ثقة.

**قلت: وكذا لم يكن يوجد بمصر منذ تملك بنو عبيد** أحد يكنى بأبي بكر، **وكانت الدنيا تغلي بهم رفضاً وجهلاً**.

*** جاء في ترجمة عبدالوهاب بن أحمد بن جلبه الحراني الخزاز أبو الفتح:**

**قال الذهبي**[2]: مفتي حران وقاضيها، قتل شهيداً قتله ابن قريش العقيلي، سنة ٧٦هـ عند قيام أهل حران على ابن قريش لما أظهر سب الصحابة.

*** جاء في ترجمة الفخر الفارسي: محمد بن إبراهيم بن أحمد، أبو عبدالله الشيرازي الفيروزآبادي:**

**قال في طبقات الشافعية**[3]: كان صوفياً محققاً، فاضلاً بارعاً، فصيحاً بليغاً، سمع وحدَّث، له مصنفات في الأصول، والكلام، وكانت له معاملات ورياضات، عنده دعابة في غالب الأوقات.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤٥٢/١٧ وما بعدها.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥٦٠/١٨ وما بعدها.

(٣) طبقات الشافعية ١٣٩/٢.

**قال ابن نقطة وغيره**: إلا أنه كان بذيء اللسان، كثير الوقيعة فيمن عرفه ومن لم يعرفه، كثير الجرأة، لا يفكر فيما يقول، قال: وبنى زاويته في القرافة عند معبد ذي النون، وتوفي بها في ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وستمائة، ومشهده مشهور هناك. اهـ.

*** جاء في ترجمة أحمد بن محمد بن الأنجب بن الكسار، الواسطي الأصل، البغدادي أبو عبدالله[1]:**

**قال الذهبي**: قال لنا الفرضي: كان فقيهاً محدثاً حافظاً، له معرفة بشيء من الشيوخ والعلل وغير ذلك.

**وقال الذهبي**: وبلغني أنه تكلم فيه، وهو متماسك، وله عمل كثير في الحديث، وشهرة بطلبه.

**وكان رحمه الله زري اللباس**، وسخ الثياب على نحو طريقة أبي محمد بن الخشاب النحوي، كما سبق ذكره، وكان بعض الشيوخ الأكابر يتكلم فيه، وينسبه إلى التهاون في الصلاة، وكان الدقوقي يقول: إنهم كانوا يحسدونه، لأنه كان يبرز عليهم في الكلام في المجالس، والله أعلم بحقيقة أمره. اهـ.

*** جاء في ترجمة محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي - أبو بكر الدمشقي:**

**قال الذهبي**[2]: العلامة صاحب التواليف الكثيرة: محيي الدين، وعلق شيئاً كثيراً في تصوف أهل الوحدة. ومن أردأ تواليفه كتاب «الفصوص» فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة فواغوثاه بالله!

**وقد عظمه جماعة** وتكلفوا لما صدر منه ببعيد الاحتمالات، وقد حكى

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٣٣٩/٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٨/٢٣.

العلامة ابن دقيق العيد شيخنا أنه سمع الشيخ عز الدين بن عبدالسلام يقول عن ابن العربي: شيخُ سوءٍ كذاب، يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجاً.

**قلت: إن كان محيي الدين رجع عن مقالاته تلك قبل الموت،** فقد فاز، وما ذلك على الله بعزيز.

**توفي في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة.**

**وقد أوردت عنه في** (التاريخ الكبير)، وله شعر رائق، وعلم واسع، وذهن وقاد، ولا ريب أن كثيراً من عباراته له تأويل إلا كتاب «الفصوص»، وقرأت بخط ابن رافع أنه رأى بخط فتح الدين اليعمري أنه سمع ابن دقيق العيد يقول: سمعت الشيخ عز الدين، وجرى ذكر ابن العربي الطائي فقال: هو شيخ سوء مقبوح كذاب.

*** جاء في ترجمة محمد بن أبي بكر بن محمد الفارسي المعروف بالأيكي[1]:**

**شمس الدين محمد بن أبي بكر بن محمد،** الفارسي، المعروف بالأيكي، بهمزة مفتوحة، ثم ياء مثناة من تحت بعدها كاف ثم ياء للنسب، كان فقيهاً صوفياً، إماماً في الأصلين، ورد دمشق ودرس بالغزالية، وشرح «منطق مختصر ابن الحاجب»، ثم سافر إلى مصر، وولي مشيخة الشيوخ بها، فتكلم فيه الصوفية، فخرج منها، وعاد إلى دمشق، ـ وتوفي ـ بالمزة يوم الجمعة قبيل العصر.

*** جاء في ترجمة سعد الله بن نصر بن سعيد المعروف بابن الدجاجي، وبابن الحيواني أبو الحسن[2]:**

**قال ابن رجب:** الفقيه الواعظ المقرىء الصوفي الأديب، وتفقه على

---

(١) طبقات الشافعية ٨١/١.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٣٠٢/٢، وما بعدها.

أبي الخطاب حتى برع. وقد روى عنه كتابه (الهداية) تصنيفه، وقصيدته في السنَّة وغيرها، وروى عن ابن عقيل كتاب «الانتصار لأهل السنة والحديث».

**قال ابن الخشاب:** هو فقيه، وواعظ حسن الطريقة، سمعت منه.

**قال ابن الجوزي:** تفقه، وناظر، ودرس، ووعظ، وكان لطيف الكلام، حلو الإيراد، ملازماً لمطالعة العلم، إلى أن مات.

**وقال ابن نقطة:** شيخ فاضل صحيح السماع، حدثنا عنه جماعة من شيوخنا، وكان ثقة.

**وقال صدقة بن الحسين في تاريخه:** كان شيخاً حسناً، تفقه على أبي الخطاب، وكان من أصحاب أبي بكر الدينوري، وكان يعظ، ويُقْرِئ القرآن، ويسمع الحديث.

**قال ابن النجار:** كان من أعيان الفقهاء الفضلاء، وشيوخ الوعاظ النبلاء، مليح الوعظ، حسن الإيراد، حلو العبارة، حسن النثر والنظم. وكان يخالط الصوفية، ويحضر معهم سماع الغناء. وكان من ظراف المشايخ.

**قال ابن الجوزي:** وسئل في مجلس وعظه ـ وأنا أسمع ـ عن أخبار الصفات: فنهى عن التعرض لها، وأمرنا بالتسليم، وأنشد:

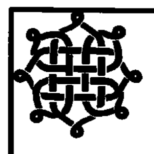
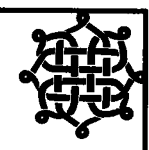
أبى العاتب الغضبان يا نفس أن يرضى وأنت الذي صيرت طاعته فرضا

فلا تهجري من لا تطيقين هجره وإن هم بالهجران خديك والأرضا

**قال ابن القطيعي:** كان ابن **الدجاجي**، قد ناظر ووعظ، وأفتى وصنف، له فضل ودين، وخاطر بغدادي. بلغني أنه حضر بالديوان العزيز، وجماعة من الفقهاء، فاستدل شخص بحديث عن النبي ﷺ، فقال ابن البغدادي الحنفي: هذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ، فقال الخصم: قد أخرجه البخاري ومسلم، قال ابن البغدادي: قد طعن فيهما أبو حنيفة، فقال ابن الدجاجي: هل كان مع أبي حنيفة ملحمة؟

**قال ابن الجوزي:** دفن هناك إرضاءً للصوفية لأنه أقام عندهم مدة

حياته فبقي على ذلك خمسة أيام، وما زال الحنابلة يلومون ولده على هذا، يقولون: مثل هذا الرجل الحنبلي أي شيء يصنع عند الصوفية؟ فنبشه بعد خمسة أيام بالليل. قال: وكان أوصى أن يدفن عند والديه. ودفن عليهما بمقبرة الإمام أحمد رضي الله عنه. اهـ.

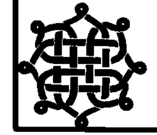
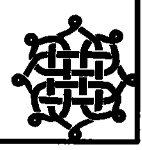



# الفصل الثالث
# ما يلحق بتحاسد العلماء

المبحث الأول: التشنيع على عالم بزلة وقعت.

المبحث الثاني: تحريض الطلاب على شيخ، والأخذ بالتوهم وعدم الورع.

المبحث الثالث: الكلام في أهل العلم بسبب الجهل بمراتب العلوم.



# مدخل

**هذا الفصل** هو تتمة للفصل السابق، أحاول فيه أن أسد ما انخرق منه، وألأم ما تشتت من شعثه، فإن الفصل السابق دلَّ على **الأسباب المباشرة** لتحاسد العلماء، وهذا الفصل يدلنا على **أثر من آثار الحسد غير المباشرة** يمكن أن يلحق بالحسد لقوة صلته به، وقد تحصل لي ذلك في المباحث الآتية:

**المبحث الأول**: التشنيع على عالم بزلة وقعت.

**المبحث الثاني**: تحريض الطلاب على شيخ، والأخذ بالتوهم وعدم الورع.

**المبحث الثالث**: الكلام في أهل العلم بسبب الجهل بمراتب العلوم.

وفيما يلي بيان ذلك:

## المبحث الأول:
## التشنيع على عالم بزلة وقعت

**بادىء ذي بدء فإنه لا يجوز التشنيع على عالم**، وكما أسلفنا فإن الناس إنما تكثر من التشنيع على العلماء لأنهم رقوا مكانتهم فوق البشر، وهم أي العلماء من البشر...، فإن زلوا شهروا بهم وشنعوا عليهم، وهناك أمور قد تحدث وزلات قد يقع فيها العالم لعدم ورود المسألة كاملة أمامه أو لذهاب بعضها منه، والمرجو أن يتفهم المسألة فيتدبر ما نسوقه من هذه

المسائل ليفهم أن زلات العلماء إنما هي من قصور فهم، أو عدم ورودها كاملة أمامه.

**من ذلك: أعذار الأئمة في مخالفتهم الحديث.**

**وهذه الأصناف تتفرع إلى أسباب متعددة:**

**السبب الأول:**

**أن لا يكون الحديث قد بلغه،** ومن لم يبلغه الحديث لم يكلف أن يكون عالماً بموجبه، وإذا لم يكن قد بلغه وقد قال في تلك القضية بموجب ظهور آية أو حديث آخر أو بموجب قياس أو موجب استصحاب فقد يوافق ذلك الحديث مرةً ويخالفه أخرى.

**وهذا السبب هو الغالب على أكثر ما يوجد من أقوال السلف** مخالفاً لبعض الأحاديث، فإن الإحاطة بحديث رسول الله ﷺ لم تكن لأحد من الأمة، وقد كان النبي ﷺ يحدث أو يفتي أو يقضي أو يفعل الشيء فيسمعه أو يراه من يكون حاضراً فيبلغه أولئك أو بعضهم لمن يبلغونه، فينتهي علم ذلك إلى من شاء الله من العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

**ثم في مجلس آخر قد يحدث أو يفتي أو يقضي أو يفعل** شيئاً ويشهده بعض من كان غائباً عن ذلك المجلس ويبلغونه لمن أمكنهم، فيكون عند هؤلاء من العلم ما ليس عند هؤلاء، وعند هؤلاء ما ليس عند هؤلاء، وإنما يتفاضل العلماء من الصحابة ومن بعدهم بكثرة العلم أو جودته.

**السبب الثاني:**

**أن يكون الحديث بلغه لكنه لم يثبت عنده** لأن محدثه أو محدث محدثه أو غيره من رجال الإسناد مجهول عنده أو متهم أو سيء الحفظ وإما لأنه لم يبلغه مسنداً بل منقطعاً، أو لم يضبط لفظ الحديث مع أن ذلك الحديث قد روي لغيره بإسناد متصل بأن يكون غيره يعلم عن المجهول عنده الثقة، أو يكون قد رواه غير أولئك المجروحين عنده، أو قد اتصل

من غير الجهة المنقطعة، وقد ضبط ألفاظ الحديث بعض المحدثين الحفاظ أو لتلك الرواية من الشواهد والمتابعات ما يبين صحتها، وهذا أيضاً كثير جداً، وهو من التابعين وتابعيهم إلى الأئمة المشهورين من بعدهم أكثر من العصر الأول، أو كثير من القسم الأول، فإن الأحاديث كانت قد انتشرت واشتهرت، لكن كانت تبلغ كثيراً من العلماء من طرق ضعيفة، وقد بلغت غيرهم من طرق صحيحة غير تلك الطرق، فتكون حجة من هذا الوجه، مع أنها لم تبلغ من خالفها من هذا الوجه، ولهذا وجد في كلام غير واحد من الأئمة تعليق القول بموجب الحديث على صحته فيقول: قولي في هذه المسألة كذا، وقد روي فيها حديث بكذا فإن كان صحيحاً فهو قولي.

**السبب الثالث:**

**اعتقاد ضعف الحديث باجتهاد قد خالفه فيه غيره**، مع قطع النظر عن طريق آخر سواء كان الصواب معه أو مع غيره أو معهما عند من يقول: كل مجتهد مصيب ولذلك أسباب:

**منها**: أن يكون المحدث بالحديث يعتقده أحدهما ضعيفاً ويعتقده الآخر ثقة، ومعرفة الرجال علم واسع، ثم قد يكون الصواب مع الآخر لمعرفته أن ذلك السبب غير جارح إما لأن جنسه غير جارح أو لأنه كان له فيه عذر يمنع الجرح، وهذا باب واسع وللعلماء بالرجال وأحوالهم في ذلك من الاجتماع والاختلاف مثل ما لغيرهم من سائر أهل العلم في علومهم[(١)].

**ومن هنا لا يجوز سب العلماء ولا تجريحهم لزلة أو لعيب فهم أناس من البشر يزلون ويخطئون، ولم يحط بالعلم أحد من البشر غير محمد رسول الله ﷺ ولم يكتمل من البشر أحد غير محمد ﷺ.**

**بل يجب على المسلمين بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين** كما نطق به القرآن، خصوصاً العلماء الذين هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله

---

(١) انظر رفع الملام عن الأئمة الأعلام ـ بداية الرسالة، طبع دار القلم للتراث بالقاهرة.

بمنزلة النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم.

**إذ كل أمة قبل مبعث محمدٍ ﷺ علماؤهم شرارها إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم**، فإنهم خلفاء الرسول ﷺ في أمته والمحيون لما مات من سنته، بهم قام الكتاب، وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا.

**وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين** عند الأمة قبولاً عاماً يتعمد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سنته دقيق ولا جليل، فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول ﷺ وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء الحديث صحيحاً بخلافه فلا بد من عذر في تركه.

**ولا شك أن التحاسد بين العلماء أدى إلى انتشار الذم واللعن** من قبل العامة فأكثرهم لا يفهمون مثل هذه المسائل ولا يدركون عذرها.

**ومن هنا كان التشنيع الذي لم يأت بخير على الأمة**، ولن يأتي بخير أبداً.

**وفيما يلي بعض ما وجدت من تراجم أهل العلم فيها شيء مما ذكر:**

*** جاء في ترجمة علي بن محمد بن عيسى بن محمد الأشموني الأصل ثم القاهري الشافعي:**

**قال السخاوي: وراج ورجح على الجلال السيوطي مع اشتراكهما في الحمق غير أن ذاك أرجح. انتهى.**

**قلت** [أي الشوكاني]: **وهذا غير مقبول من السخاوي في كلا الرجلين** على أن صاحب الترجمة ليس ممن ينبغي أن يجعل قريناً للجلال فبينهما مفاوز، وتوفي صاحب الترجمة يوم السبت سابع عشر ذي الحجة سنة ٩١٨ ثماني عشرة وتسعمائة.

*** جاء في ترجمة محمد بن محمد بن عبدالله بن خيضر الدمشقي الشافعي المعروف بالخيضري:**

**وقد ترجمه السخاوي ترجمة طويلة كلها ثلب وشتم كعادته في أقرانه،** ومن أعجب ما رأيته فيها من التعصب أنه قدح في مؤلفات المترجم له ثم قال: إنه ما رآها وهذا غريب ولكنه قد أبان العلم في آخر الترجمة فقال: وبالجملة فهو ممن فيه رائحة الفن بل هو من قدماء الأصحاب وأحد العشرة الذين ذكرهم شيخنا يعني ابن حجر في وصيته وإن فعل معي ما أرجو أن يجازى بمقصده عليه انتهى.

**ولعل موته بعد كمال المائة التاسعة**[1].

*** جاء في ترجمة عبدالله بن عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي ثم الدمشقي الحافظ، ابن الحافظ أبي موسى بن أبي محمد:**

**وقال عمر بن الحاجب:** سمعت الضياء يصف ما قاسى أبو موسى من الشدائد والجوع والعري في رحلته إلى نيسابور وأصبهان.

**وقال أبو عبدالله البرزالي:** حافظ دين متميز.

**وقال الضياء عنه أيضاً:** حافظ متقن دين ثقة، كانت قراءته سريعة صحيحة مليحة.

**وقال عمر بن الحاجب الحافظ:**

**لم يكن في عصره مثله** في الحفظ، والمعرفة والأمانة، وكان كثير الفضل، وافر العقل، متواضعاً، مهيباً، وقوراً، جواداً، سخياً، له القبول التام، مع العبادة والورع والمجاهدة، كأن كلامه الضياء، وكان قد عوّد الناس شيئاً لم يروه من غيره، وذلك أن كل من احتاج إلى قرض شيء يمضي إليه، فيحتال له حتى يحصل له ما يطلب، حتى صار عليه من ذلك

---

(١) البدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٢٤٥.

ديون، وكثير من الناس لا يرجع يوفيه.

**قال ابن الحاجب**: ولو اشتغل حق الاشتغال ما سبقه أحد، ولكنه تارك.

**وقال غيره**: **عقد أبو موسى مجلس التذكير**، ورغب الناس في حضوره وكان جم الفوائد، يطرز مجلسه بالبكاء والخشوع، وإظهار الجزع.

**وقال المنذري**:

**الحافظ أبو موسى**، حدث بدمشق ومصر وغيرهما، اجتمعت به لما قدم مصر للغزاة بثغر دمياط.

**قال الذهبي**:

**وروى عنه الضياء**، وابن أبي عمر، وابن البخاري، وجماعة كثيرون، وآخر من روى عنه إجازة القاضي تقي الدين سليمان، ومع هذا فقد غمزه الناصح ابن الحنبلي، وأبو المظفر سبط بن الجوزي بالميل إلى السلاطين والانقطاع إلى الملك الصالح.

**والعجب أن هذين الرجلين كانا من أكثر الناس ميلاً إلى الملوك**، والتوصل إليهم، وإلى برهم بالوعظ وغيره، وما أحسن قول القائل:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله    عار عليك إذا فعلت عظيم

**ولقد كان أبو موسى أتقى لله وأورع**، وأعلم منهما وأكثر عبادة، وأنفع للناس، وبنى الملك الأشرف دار الحديث بالسفح على اسمه، وجعله شيخها، وقرر له معلوماً فمات أبو موسى قبل كمالها.

*** جاء في ترجمة السخاوي الحافظ شمس الدين محمد بن عبدالرحمٰن:**

**قال السيوطي**:

**محمد بن عبدالرحمٰن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد**

**السخاوي شمس الدين، المحدث المؤرخ الجارح**، ولد سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة، وحضر إملاء الحافظ ابن حجر صغيراً فحبب إليه الحديث، فلازم مجالسه، وكتب كثيراً من مصنفاته بخطه، وسمع الكثير جداً على المسندين بمصر والشام والحجاز، وانتقى وخرج لنفسه ولغيره مع كثرة لحنه وعريه من كل علم بحيث إنه لا يحسن من غير الفن الحديثي شيئاً أصلاً، ثم أكب على التاريخ فأفنى فيه عمره، وأغرق فيه عمله، وسلق فيه أعراض الناس، وملأه بمساوىء الخلق، وكل ما راموا به إن صدقاً وإن كذباً، وزعم أنه قام في ذلك بواجب وهو الجرح والتعديل، وهذا جهل مبين وضلال وافتراء على الله، بل قام بمحرم كبير، وباء بوزر كثير، كما أشرت إليه، في مقدمة هذا الكتاب، وإنما نبهت على ذلك لئلا يغتر به، أو يعتمد على ما في تاريخه من الإزراء بالناس خصوصاً العلماء ولا يلتفت إليه، مات في شعبان سنة اثنتين وتسعمائة[١].

*** جاء في ترجمة الإمام السيوطي:**

**قال في نظم العقيان:**

**ليس من النصفة بشيء أن نقيس السيوطي وهو المحسوب نابغة زمانه وأشهر علماء عصره بمقاييس اليوم**، وإلا فمن راجع ما رواه هو عن نفسه في ترجمة حياته يشم ولا بد رائحة الادعاء والمفاخرة، ومن دقق في تراجم الأشخاص الذين عرفهم السيوطي معرفة شخصية وذكرهم في نظم الأعيان كابن ظهيرة (ص٢٠) والناجي (ص٢٧) والشارمساحي (ص٤٤) والسخاوي (ص١٥٢) يحسب أن الرجل فضلاً عن أنه كان فخوراً كان يميل للجدل والمشاحنة، إن لم نقل للخصام، على أن شعور الكثيرين من معاصري السيوطي وزملائه كان صريحاً ضده ومنهم من اتهمه بعدم الوفاء والإخلاص، أما حامل لواء الثورة عليه فكان قرينه ومعاصره السخاوي، بيد أن السخاوي لم يتنكر للسيوطي إلا بعد أن صار السيوطي من أقرانه في

---

(١) كتاب نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي ص ١٥٢.

العلم، فوقع بينهما ما وقع من الخلاف والمشادة، أما قبل ذلك فقد كان السخاوي حسن الرأي فيه يوم أن كان يافعاً من طبقة تلاميذه المترددين عليه، فقال في ترجمة والده أبي بكر السيوطي في التبر المسبوك في ذيل السلوك (ص٣٥٧) وهو والد الفاضل جلال الدين عبدالرحمٰن أحد من أكثر من التردد علي ومدحني نظماً ونثراً نفع الله به، أما في الضوء اللامع فالسخاوي وصف السيوطي بالحمق والهوى وختم ترجمته بقوله: فسبحان واهب العقول، وكان السخاوي في كتابه هذا كلما وجد مناسبة تحامل على السيوطي وذمه، كقوله في ترجمة تلميذه عبدالجبار بن علي الأخطابي: **ولا يخلو من هوس كشيخه.**

**وهنالك حقيقة هامة لا بد لنا من بسطها،** وربما كان فيها السر لفهم عقلية السيوطي وإدراك الشيء الكثير من مجرياته وأقواله.

**تلك الحقيقة هي أن السيوطي** كان يعتقد في نفسه أنه هو المبعوث على رأس المئة التاسعة (٨٩٩) مجدداً لدين الإسلام ومحيياً له، وذلك بناء على الحديث: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»، واقتدى السيوطي في ذلك بالغزالي الذي ادعى الاجتهاد في كتابه المنقذ من الضلال، وأشار فيه إلى أنه هو المبعوث على رأس المائة الخامسة، ومن الذين حسبهم المسلمون مجددين: الأشعري والشافعي وعمر بن عبدالعزيز.

**فكرة المبعوثية هذه يمكننا أن نرافق نشوءها وتطورها في رأس السيوطي** من كتاباته، فإنه لما أراد أن يضع لنفسه ترجمة في كتابه حسن المحاضرة (١:١٥٥) اختار لها مكاناً بين تراجم المجتهدين، ورتبها بعد ترجمة سراج الدين البلقيني الذي وصفه السيوطي بأنه هو المبعوث على رأس المائة الثامنة وعقب على ذلك بقوله: وعسى أن يكون المبعوث على رأس المائة التاسعة من أهل مصر، وفي كتاب الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض (الجزائر ١٩٠٧) مهد السيوطي السبيل لبث دعوته عن نفسه، ولكن الفكرة لم تختمر وهو لم

يجاهر بها إلا أنه وضع رسالة فيمن يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة، حتى إنه في هذه الرسالة لم يتجاوز في التعبير عن فكرته حد الرجاء.

**قال: إني ترجيت من نعم الله وفضله كما ترجى الغزالي** لنفسه أني المبعوث على هذه المائة التاسعة لانفرادي عليها بالتبحر في أنواع العلوم... وقد اخترعت علم أصول اللغة وورثته ولم أسبق إليه وهو على نمط علم الحديث وعلم أصول الفقه، وسارت مصنفاتي وعلومي في سائر الأقطار ووصلت إلى الشام والروم والعجم والحجاز واليمن والهند والحبشة والمغرب والتكرور وامتدت إلى البحر المحيط ولا مشاركة لي في مجموع ما ذكرته.

واحـد ونـفـخـت عـلـيـهـم نـفـخـ     ة صـاروا هـبـاءً مـنـثـورا

**فهل من عجب إذا كثر أعداء السيوطي وحساده** من معاصريه.

**ومهما يكن من أمر السيوطي** فإن فضله في نظرنا قائم في أنه حفظ لنا كتباً قيمة كان الدهر قد أخنى عليها لولا قلمه، ونشر العلوم الإسلامية من الهند إلى مراكش، كما ذكر هو عن نفسه، وعمم معرفتها، فأهميته التاريخية في أنه حفظ العلم للخلف وسهل سبل المعرفة للمتأخرين[١].

**وقال الشوكاني عنه:**

**الإمام الكبير صاحب التصانيف**[٢]، ولد في أول ليلة مستهل رجب سنة ٨٤٩ تسع وأربعين وثمانمائة ونشأ يتيماً فحفظ القرآن والعمدة والمنهاج الفرعي وبعض الأصلي وألفية النحو وأخذ عن الشمس محمد بن موسى الحنفي في النحو، وعلى العلم البلقيني والشرف المناوي والشمني والكافياجي في فنون عديدة وجماعة كثيرة كالبقاعي وسمع الحديث من جماعة وسافر إلى الفيوم ودمياط والمحلة وغيرها وأجاز له أكابر علماء

---

(١) من مقدمة تحقيق كتاب نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي ص ١٤.

(٢) البدر الطالع ج ١ ص ٣٢٨.

عصره من سائر الأمصار وبرز في جميع الفنون وفاق الأقران واشتهر ذكره وبعد صيته وصنف التصانيف المفيدة كالجامعين في الحديث والدر المنثور في التفسير والإتقان في علوم القرآن وتصانيفه في كل فن من الفنون مقبولة قد سارت في الأقطار مسير النهار **ولكنه لم يسلم من حاسد لفضله وجاحد لمناقبه**، فإن السخاوي في الضوء اللامع وهو من أقرانه ترجمه ترجمة مظلمة غالبها ثلب فظيع وسب شنيع وانتقاص وغمط لمناقبه تصريحاً وتلويحاً ولا جرم فذلك دأبه في جميع الفضلاء من أقرانه وقد تنافس هو وصاحب الترجمة منافسة أوجبت تأليف صاحب الترجمة لرسالة سماها الكاوي لدماغ السخاوي، فليعرف المطلع على ترجمة هذا الفاضل في الضوء اللامع أنها صدرت من خصم له غير مقبول عليه، فمن جملة ما قاله في ترجمته: أنه لم يمعن الطلب في كل الفنون بل قال بعد أن عدد شيوخه إنه حين كان يتردد عليه أخذ كثيراً من مصنفاته كالخصال الموجبة للظلال والأسماء النبوية والصلاة على النبي ﷺ وموت الأنبياء وما لا يحصره، قال: بل أخذ من كتب المحمودية وغيرها كثيراً من التصانيف المتقدمة التي لا عهد لكثير من العصريين بها في فنون فغيّر فيها يسيراً وقدّم وأخّر ونسبها إلى نفسه وهوّل في مقدماتها بما يتوهم منه الجاهل شيئاً مما لا يوفي ببعضه، وأول ما أبرز جزء له في تحريم المنطق جرده من مصنف لابن تيمية واستعان في أكثره فقام عليه الفضلاء، قال: وكذا درس لجمع من العوام بجامع ابن طولون بل صار يملي على بعضهم ممن لا يحسن شيئاً ثم قال: كل هذا مع أنه لم يصل ولا كاد، ولهذا قيل إنه تزبب قبل أن يكون حصرماً وأطلق لسانه وقلمه في شيوخه فمن فوقهم بحيث قال عن القاضي العضد إنه لا يكون طعنة في نعل ابن الصلاح وعزر على ذلك من بعض نواب الحنابلة بحضرة قاضيهم ونقص السيد والرضي في النحو بما لم يبد فيه مستنداً مقبولاً بحيث إنه أظهر لبعض الغرباء الرجوع عن ذلك فإنه لما اجتمعا قال له قلت السيد الجرجاني قال: إن الحرف لا معنى له في نفسه ولا في غيره، وهذا كلام السيد ناطق بتكذيبك فيما نسبته إليه فأوجدنا مستنداً فيما تزعمته فقال: إني لم أرَ له كلاماً ولكني لما كنت بمكة تجاذبت مع بعض الفضلاء الكلام في

المسألة فنقل لي ما حكيته وقلدته فيه فقال: هذا عجيب ممن يتصدى للتصنيف يقلد في مثل هذا مع هذا الأستاذ انتهى. **قال: من قرأ الرضي ونحوه،** لم يترق إلى درجة أن يكون مشاركاً في النحو.

**ولا يزال يسترسل حتى قال: إنه رزق التبحر في سبعة علوم:** التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع، قال: والذي أعتقده أن الذي وصلت إليه من الفقه والنقول التي اطلعت عليها مما لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي فضلاً عمن دونهم، قال: ودون السبعة أصول الفقه والجدل والصرف ودونهما الإنشاء والترسل والفرائض ودونها القراءات ولم آخذها عن شيخ ودونها الطب وأما الحساب فأعسر شيء علي وأبعده عن ذهني وإذا نظرت في مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جبلاً أحمله قال: وقد كملت عندي آلات الاجتهاد بحمد الله إلى أن قال: ولو شئت أن أكتب في كل مسألة تصنيفة بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والمقارنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك، وقال: إن العلماء الموجودين يرتبون له من الأسئلة الوفاء فيكتب عليها أجوبة على طريقة الاجتهاد قال السخاوي بعد أن نقل هذا الكلام عن صاحب الترجمة في وصف نفسه: ما أحسن قول بعض الأستاذين في الحساب ما اعترف به عن نفسه مما توهم به أنه متصف أول دليل على بلادته وبعد فهمه تصريح أئمة الفن بأنه فن ذكاء ونحو ذلك وكذا قول بعضهم دعواه الاجتهاد ليستر خطأه ونحو هذا، وقد اجتمع به بعض الفضلاء ورام الكلام معه في مسألة فقال: إن بضاعتي في علم النحو مزجاة، وقول آخر له: أعلمني عن آلات الاجتهاد ما بقي أحد يعرفها، فقال له: نعم ما بقي من له مشاركة فيها على وجه الاجتماع في واحد بل مفرقاً فقال له: فاذكرهم لي ونحن نجمعهم لك ونتكلم معهم فإن اعترف كل واحد لك بعلمه وتميزك فيه أمكن أن نوافقك في دعواك فسكت ولم يبد شيئاً، وذكر أن تصانيفه زادت على ثلاثمائة كتاب رأيت منها ما هو في ورقة وأما ما هو دون كراسة فكثير وسمي منها شرح الشاطبية وألفية في القراءات مع اعترافه بأنه لا شيخ له فيها، ومنها ما اختلسه من تصانيف شيخنا يعني ابن حجر منها كتاب النقول في أسباب

النزول، وعين الإصابة في معرفة الصحابة، والنكت البديعات على الموضوعات، والمدرك إلى المدرج، وتذكرة المؤتسي بمن حدث ونسي، وتحفة النابه بتلخيص المتشابه، وما رواه الواعون في أخبار الطاعون، والأساس في مناقب بني العباس، وجزء في أسماء المدلسين، وكشف النقاب عن الألقاب، ونشر العبير في تخريج أحاديث الشرح الكبير، قال: فكل هذه مصنفات شيخنا وليته إذ اختلسها لم يمسخها ولو مسخها على وجهها لكان أنفع، ومنها ما هو لغيره وهو الكثير هذا إن كانت المسخيات موجودة كلها وإلا فهو كثير المجازفة جاءني مرة فزعم أنه قرأ مسند الشافعي في يوم فلم يلبث أن جاء القميصي وأخبرني متبرعاً بما تضمن كذبه حيث أخبر أنه بقي منه جانب، قال السخاوي: وقال إنه عمل النفحة المسكية والتحفة المكية، في كراسة وهو بمكة على نمط عنوان الشرف، لابن المقري في يوم واحد وأنه عمل ألفية في الحديث فائقة على ألفية العراقي إلى غير ذلك مما يطول شرحه ثم قال: كل ذلك مع كثرة ما يقع له من التحريف والتصحيف وما ينشأ عن عدم فهم المراد لكونه لم يزاحم الفضلاء في دروسهم ولا جلس معهم في شأنهم وتعريسهم بل استند بأخذه من بطون الدفاتر والكتب واعتمد ما لا يرتضيه من الإتقان صحب، وقد قام الناس عليه كافة لما ادعى الاجتهاد ثم قال: وبالجملة فهو سريع الكتابة لم أزل أعرفه بالهوس ومزيد الترفع حتى على أمه بحيث كانت تزيد في التشكي منه ولا يزال أمره في تزايد من ذلك فالله يلهمه رشده، ونقل عنه أنه قال: تركت الإفتاء والإقراء وأقبلت على الله، وزعم أنه رأى مناماً يقتضي ذم النبي ﷺ له وأمر خليفته الصديق بحبسه سنة ليراجع الإقراء والإفتاء وأنه استغفر الله بعد ذلك وأقبل على الإفتاء بحيث لو جيء إليه بفتيا وهو مشرف على الغرق لأخذها ليكتب عليها، قال: ومن ذلك أنه توسل عند الإمام البرهان الكركي في تعيينه لحجة كانت تحت نظره فأجابه وزاد من عنده ضعف الأصل فما قال له جزيت خيراً ولا أبدى كلمة تؤذن بشكره، قال: ومن هوسه أنه قال لبعض تلامذته: إذا صار إلينا القضاء قررنا لك كذا وكذا بل تصير أنت الكل هذا حاصل ما ذكره السخاوي في كتابه الضوء اللامع

في ترجمة الجلال السيوطي وختمها بقوله: إنه ألف مؤلفاً سماه الكاوي في الرد على السخاوي.

**وأقول: لا يخفى على المنصف ما في هذا المنقول من التحامل على هذا الإمام** فإنه ما اعترف به من صعوبة علم الحساب عليه لا يدل على ما ذكره من عدم الذكاء فإن هذا الفن لا يفتح فيه على ذكي إلا نادراً كما نشاهده الآن في أهل عصرنا وكذلك سكوته عند قول القائل له: تجمع لك أهل كل فن من فنون الاجتهاد فإن هذا كلام خارج عن الإنصاف لأن رب الفنون الكثيرة لا يبلغ تحقيق كل واحد منها ما يبلغه من هو مشتغل به على انفراده وهذا معلوم لكل أحد وكذا قوله: إنه مسخ كذا وأخذ كذا ليس بعيب فإن هذا دأب المصنفين يأتي الآخر فيأخذ من كتب من قبله فيختصر أو يوضح أو يعترض أو نحو ذلك من الأغراض التي هي الباعثة على التصنيف ومن ذاك الذي يعمد إلى فن قد صنف فيه من قبله فلا يأخذ من كلامه، وقوله: إنه رأى بعضها في ورقة لا يخالف ما حكاه صاحب الترجمة من ذكر عدد مصنفاته فإنه لم يقل: إنها زادت على ثلاثمائة مجلد بل قال: إنها زادت على ثلاثمائة كتاب وهذا الاسم يصدق على الورقة وما فوقها وقوله: إنه كذبه القميصي بتصريحه أنه بقي من المسند بقية ليس بتكذيب فربما كانت تلك البقية يسيرة والحكم للأغلب لا سيما والسهو والنسيان من العوارض البشرية فيمكن أنه حصل أحدهما للشيخ أو تلميذه، وقوله: إنه كثير التصحيف والتحريف مجرد دعوى عاطلة عن البرهان فهذه مؤلفاته على ظهر البسيطة محررة أحسن تحرير ومتقنة أبلغ إتقان، وعلى كل حال فهو غير مقبول عليه لما عرفت من قول أئمة الجرح والتعديل بعدم قبول الأقران في بعضهم بعضاً مع ظهور أدنى منافسة فكيف بمثل المنافسة بين هذين الرجلين التي أفضت إلى تأليف بعضهم في بعض، فإن أقل من هذا يوجب عدم القبول والسخاوي رحمه الله وإن كان إماماً غير مدفوع لكنه كثير التحامل على أكابر أقرانه كما يعرف ذلك من طالع كتابه الضوء اللامع فإنه لا يقيم لهم وزناً بل لا يسلم غالبهم من الحط منه عليه وإنما يعظم شيوخه وتلامذته ومن لم يعرفه ممن مات في أول القرن التاسع قبل موته أو من

كان من غير مصره أو يرجو خيره أو يخاف شره، وما أحسن ما ذكره في كتابه الضوء اللامع في ترجمة عبدالباسط بن يحيى شرف الدين فإنه قال: وربما صرح بالإنكار على الفقهاء فيما يسلكونه ومن تنقيص بعضهم لبعض وقد حكي أنه بينما هو عند الداودار وبين يديه فقيه وإذا بآخر ظهر من الدوار فاستقبله ذلك الجالس بالتنقيص عند صاحب المجلس واستمر كذلك حتى وصل إليهم فقام إليه ثم انصرف فاستدبره القائم حتى اكتفى ثم توجه قال: فسألني الدوادار من الصادق منهما؟ فقلت: أنتم أخبر فقال: إنهما كاذبان فاسقان ونحو ذلك انتهى.

**وأما ما نقله من أقوال ما ذكره من العلماء** مما يؤذن بالحط على صاحب الترجمة فسبب ذلك دعواه الاجتهاد كما صرح به وما زال هذا دأب الناس مع من بلغ إلى تلك الرتبة ولكن قد عرفناك في ترجمة ابن تيمية أنها جرت عادة الله سبحانه كما يدل عليه الاستقراء برفع شأن من عودي لسبب علمه وتصريحه بالحق وانتشار محاسنه بعد موته وارتفاع ذكره وانتفاع الناس بعلمه، وهكذا كان أمر صاحب الترجمة فإن مؤلفاته انتشرت في الأقطار وسارت بها الركبان إلى الأنجاد والأغوار ورفع الله له من الذكر الحسن والثناء الجميل ما لم يكن لأحد من معاصريه والعاقبة للمتقين، ولم يذكر السخاوي تاريخ وفاة المترجم له لأنه عاش بعد موته فإن السخاوي مات في سنة **٩٠٢** كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى تجاوز الله عنهما جميعاً وعنا بفضله وكرمه وكان موت صاحب الترجمة بعد أذان الفجر المسفر صباحه عن يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة **٩١١** إحدى عشرة وتسعمائة.

*** جاء في ترجمة زاهر بن طاهر بن محمد بن محمد مرزبان:**

**قال الذهبي:**

**الشيخ العالم المحدث المفيد المعمر** مسند خراسان أبو القاسم ابن الإمام أبي عبدالرحمٰن النيسابوري الشحامي المستملي الشروطي الشاهد.

**قال أبو سعد** السمعاني:

**كان مكثراً متيقظاً** ورد علينا مرو قصداً للرواية بها وخرج معي إلى أصبهان لا شغل له إلا الرواية بها، وازدحم عليه الخلق، وكان يعرف الأجزاء وجمع ونسخ وعمر، قرأت عليه تاريخ نيسابور في أيام قلائل كنت أقرأ فيه سائر النهار وكان يكرم الغرباء ويعيرهم الأجزاء ولكنه كان يخل بالصلوات إخلالاً ظاهراً وقت خروجه معي إلى أصبهان، فقال لي أخوه وجيه: يا فلان اجتهد حتى يقعد لا يفتضح بترك الصلاة، وظهر الأمر كما قال وجيه وعرف أهل أصبهان ذلك وشغبوا عليه وترك أبو العلاء أحمد بن محمد الحافظ الرواية عنه، وأنا؛ فوقت قراءتي عليه التاريخ ما كنت أراه يصلي وعرَّفنا بتركه الصلاة أبو القاسم الدمشقي قال: أتيته قبل طلوع الشمس فنبهوه فنزل لنقرأ عليه وما صلى وقيل له في ذلك فقال: لي عذر وأنا أجمع الصلوات كلها، ولعله تاب والله يغفر له وكان خبيراً بالشروط وعليه العمدة في مجلس الحكم، مات بنيسابور في عاشر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة(١).

**قلت: الشره يحملنا على الرواية لمثل هذا(٢).**

## المبحث الثاني:
## تحريض الطلاب على شيخ والأخذ بالتوهم وعدم الورع

**وهذا المبحث من المباحث المهمة**، وليس عدم الورع من الحسد!، وليس التحريض من الحسد!، وإن كان كل منهما خلقا ذميما، ولكن لما كان ذلك من آثار الحسد المذمومة ولا يكاد ينفك عنه، لذا ناسب أن يدخل ذلك فيما يلحق بتحاسد العلماء، أي في بحوث هذا الفصل، وللشيطان

---

(١) قال ابن الجوزي: ومن الجائز أن يكون به مرض والمريض يجوز له الجمع بين الصلوات، فمن قلة فقه هذا القادح رأى هذا الأمر المحتمل قدحاً، انظر المنتظم ٨٠/١٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ٩.

نصيب من بني آدم في هذين الأمرين، فالتحريض على القرين المنافس، وتلقف الأقوال عنه، وعدم الورع فيما يقال وينقل عنه مما عمل الشيطان على إحيائه، وبثه في هذه الأمة، فكان من حظه منها.

وفيما يلي نقول: جمعتها من شتى الكتب من تراجم الأخيار، ثلبت تراجمهم بشيء من ذلك المتقدم ذكره.

**وهذا الأمر أثر من آثار الحسد** فإن الأخذ بالتوهم وعدم الورع قد يكون بسبب قلة الديانة، وقد يكون ذلك بسبب الغفلة، إلا أنه قد يكون أيضاً بسبب الحسد، فالإنسان يكون مستقيماً باحثاً عن الأمور بتقوى ودين، لا يتكلم في أحد إلا بالتثبت ثم يأتي إلى قرين فيعجبه ما يقال فيه من تنقص بسبب حسد خفي، فلا يبحث عن صحة ذلك وينساق وراء هذا الكلام مباشرة وبما ينشره ويترك طريقته في التثبت.

**وفيما يلي شيء من تراجم القوم** يعرف منها ما ذكر ويستدل بالأظهر على الأخفى.

*** جاء في ترجمة محمد بن محمد بن محمد البروي:**

**قال في طبقات الشافعية:**

**البروي صاحب الطريقة في الجدل،** أبو منصور محمد بن محمد بن محمد البروي.

**قال ابن خلكان:** ولد بطوس يوم الثلاثاء الخامس عشر من ذي القعدة سنة سبع عشرة وخمسمائة.

**وكان إماماً مقدماً في الفقه والنظر وعلم الكلام**، وكان واعظاً حلو العبارة ذا فصاحة وبراعة تفقه على ابن يحيى تلميذ الغزالي، وكان من أكبر أصحابه، وصنف في الخلاف تصنيفاً مشهوراً وكذلك في الحديث أيضاً سماه المقترح في المصطلح.

**ثم ورد بغداد سنة سبع وستين** وخمسمائة فصادف قبولاً وافراً من

الخواص والعوام وتولى المدرسة البهائية قريباً من النظامية وكان يذكر بها كل يوم عدة دروس ويحضر عنده الخلق الكثير، وله حلقة المناظرة بجامع القصر، ويحضر عنده بها المدرسون والأعيان ومجلس الوعظ بالمدرسة النظامية، ومدرسها يومئذ الحفي الشاشي صاحب الحلية، وكان ينشد في أثناء مجلسه مشيراً إلى موضع الدرس:

بكيت يا ربع حتى كدت أبكيكا ... وجدت بي وبدمعي في مغانيكا
فعم صباحاً لقد هيجت لي شجنا ... واردد تحيتنا إنا محيوكا
بأي حكم زمان صرت متخذا ... ريم الفلا بدلاً من ريم أهليكا

**وفهم الناس منه التعريض باستحقاقه ذلك الموضع فوعد به،** فأدركته المنية بعد أشهر من مقدمه، فتوفي يوم الخميس سادس عشر شهر رمضان من السنة، وهي سنة سبع وستين وخمسمائة، **قيل إن الحنابلة سمته لأنه كان يتحامل عليهم ويبالغ في أذيتهم**[1].

*** جاء في ترجمة عبدالرحمٰن بن إبراهيم بن سباع الفزاري الشيخ تاج ابن الفركاح وأخوه وولده:**

**قال في طبقات الشافعية:**

**أبو محمد عبدالرحمٰن بن إبراهيم بن سباع الفزاري المصري** الأصل الدمشقي تاج الدين المعروف بالفركاح لاعوجاج في رجليه.

**كان فقيهاً أصولياً مفسراً محدثاً،** له مشاركة في علوم أخرى، ديناً كريماً، حسن الأخلاق والآداب والمعاشرة والعبادة، كثير الاشتغال والإشغال، محبباً إلى الناس، لطيف الطباع، يحب السماع ويحضره.

**ولد في شهر ربيع الأول سنة أربع وعشرين وستمائة،** وسمع من جماعة وتفقه على ابن الصلاح، وابن عبدالسلام، وبرع وتصدر للأشغال،

---

(١) طبقات الشافعية ج ١ ص ١٢٦.

وهو ابن بضع وعشرين سنة ودرس وأفتى وهو ابن ثلاثين سنة، وولي تدريس المجاهدية، ثم تركها وتولى البادرائية سنة ست وسبعين.

**وصنف شرحاً على التنبيه لم ينته فيه إلى كتاب النكاح**، وشرح قطعة من التعجيز وشرح الورقات لإمام الحرمين **وأهل بلده يغالون فيه**، إلا أن تصانيفه لا تقتضي ما ذكروه، إذ ليس فيها ما يدل على كثرة اطلاعه، ولا على قوة التفقه باستنباط تفريعات وتوليد إشكالات، بخلاف كلام ولده، فإن فيه فوائد نقلية مهمة، لولا عي فيه، رحمهما الله تعالى[1].

*** جاء في ترجمة عمر بن أبي الحزم بن عمر بن يونس، زين الدين ابن الكتاني، شيخ الشافعية:**

**قال في طبقات الشافعية:**

**ولد سنة ثلاث وخمسين** وستمائة بالقاهرة قريباً من جامع الأزهر، ثم سافر بعد سنة مع أبويه إلى دمشق لأن أباه كان تاجراً في الكتان من مصر إلى الشام، فاستقر بها وتفقه، وقرأ الأصول على البرهان المراغي، والفقه على التاج الفركاح، وأفتى ودرس ثم انتقل إلى الديار المصرية فتولى الحكم بالحكر ثم ولاه ابن دقيق العيد دمياط وبلبيس ثم النيابة بمصر إلى القاهرة ثم ولاه ابن جماعة الغربية ثم عزل نفسه وانقطع عن ابن جماعة وهجره بلا سبب وولي إعادة بمدرسة قراسنقر وتولى مشيخة حلقة الفقه بالجامع الحاكمي وخطابة جامع الصالح ومشيخة الخانقاه الطيبرسية بشاطىء النيل، وتدريس المنكدمرية للطائفة الشافعية ثم فوض إليه في آخر عمره مشيخة الحديث بالقبة المنصورية، وكان متخلياً من الناس، نافراً عنهم، **سيء الخلق** يطير الذباب فيغضب، **ومن تبسم** عنده يطرد، إن لم يضرب، وأفضى به ذلك إلى أنه في غالب عمره المتصل بالموت كان مقيماً في بيته وحده، لم يتزوج ولم يتسر ولم يقتن رقيقاً ولا مركوباً ولا ناراً ولا غلاماً **ولم يعرف له تصنيف ولا تلميذ** بل إذا حضر عنده في حلقته من يظهر الفلاح عليه منعه من الحضور عنده

---

(١) طبقات الشافعية ج ٢ ص ١٤١.

**ومع ذلك كان حسن المناظرة** كثير الحكايات والأشعار كريماً[1].

*** جاء في ترجمة محمد بن علي بن نصر بن البل الدوري - أبو المظفر الواعظ - يلقب مهذب الدين:**

**قال في ذيل الطبقات:**

**قرأ على الشيوخ وقال الشعر الحسن**، وفتح عليه في الوعظ، ووعظ بعدة أماكن حتى صار يضاهي أبا الفرج ابن الجوزي، ويزاحمه في أماكنه ووعظ عند تربة أم الخليفة الناصر سنة تسع وثمانين وخمسمائة، فكان يجلس يوم الأربعاء ويجلس أبو الفرج يوم السبت، ثم أذن للدوري بالجلوس يوم السبت، فاجتمع الخلق ظناً منهم أن ابن الجوزي هو الذي يتكلم، فلما رأوا الدوري انصرف كثير منهم، وسبوا الدوري وأصحابه، وخيف من وقوع فتنة فبعث أستاذ لدار ابن يونس، وأحضر ابن الجوزي وطيب قلبه، وقال له: إن السلطان يعلم بهذه الحال، وإنما وقع التلبيس، ثم رأوا المصلحة في منع جميع الوعاظ فمنعوا.

**ولما اعتقل الشيخ أبو الفرج بواسط خلا للدوري الجو**، فكان يعظ مكانه عند التربة، واتفق أن الشيخ لما رجع إلى بغداد ودخلها يوم السبت تسع عشرة من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين فوصل البشير بأنه قد وصل، والدوري يعظ في مكانه، فبادر الناس من المجلس لتلقيه، فجعل الدوري يقول: ما هذه الأهوية التي أنتم عليها عاكفون وقطع عليه المجلس.

**ثم ذكر ذلك ابن القادسي فقال**: ما سمعته ينشد في مجلسه.

**قال أبو الفرج بن الحنبلي وقرأته بخطه**: كان [يعني الدوري] واعظاً حسناً وكان يضاهي ابن الجوزي في وعظه وكان فصيحاً في إيراده، وله نظم ونثر، سمعته يتكلم وقال على المنبر: بالله عليك يا جامع المنصور هل تسمع قط مثل وعظ الدوري؟

---

(١) طبقات الشافعية ج ٢ ص ١٨٧.

وقال:

أخافك حتى لا أظن سلامة ... وأرجوك حتى لا أظن هلاكا
وها أنا رهن في يديك ومحسن ... بك الظن فاجعل للأسير فكاكا
فما نلت مما أرتجيه لموتتي ... سواك ولا قدر الأراك سواكا

**قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي:**

**يعاني الوعظ ولم يكن من صنعته**، وكان يضاهي جدي، حتى قيل له: أيكما أعلم أنت أم أبو الفرج؟ فقال: ما أرضاه يقرأ علي الفاتحة، فبلغ ذلك أبا الفرج فقال: ما أقرأ عليه الفاتحة بل أقرأ عليه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

**قال: وكان يتعصب له حاكم قطفتا وكان ينتحل أشعار الناس**، ادعى يوماً بيتين لنفسه، وأنشدهما على المنبر وهما لأبي الفتح البستي.

**قلت: لا يلزم من إنشاده شعر غيره أنه يدعيه لنفسه**، وقد كان موصوفاً بالصلاح والديانة.

**ويبدو أن سبط ابن الجوزي كان يتعصب لجده.**

**قال ابن نقطة:** سمعت منه وكان شيخاً صالحاً متعبداً.

**قال المنذري:**

**حدث وعمر**، وعجز عن الحركة، ولزم بيته إلى أن مات وهو ابن أربع أو خمس وتسعين سنة، وكان شيخاً صالحاً متعبداً.

**والبل** بفتح الباء الموحدة وتشديد اللام[١].

*** جاء في ترجمة محمد بن عضاء الرازي الأصل الهروي الشافعي:**

**قال في البدر الطالع:**

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٧٤.

**محمد بن عطاءالله الرازي الأصل الهروي الشافعي**، وكان يذكر أنه من ذرية الفخر الرازي ولد بهراة سنة ٧٦٧ سبع وستين وسبعمائة واشتغل في بلاده وكان حنفياً ثم تحول شافعياً وأخذ عن السعد التفتازاني وغيره، واتصل بتيمورلنك المتقدم ذكره، ثم حصل له منه جفاء فتحول إلى بلاد الروم ثم انفصل منها وقدم القدس سنة ٨١٤ فحج وعاد إليه في التي بعدها فاشتهر أمره بها وأشاع أتباعه أنه يحفظ الصحيحين وأنه إمام الناس في المذهب الشافعي والحنفي، وفي غير ذلك من العلوم على جاري عادة العجم في التفخيم والتهويل ثم قدم القاهرة في سنة ٨١٨ فعظمه السلطان وأكرمه وأجلسه عن يمينه ثم أنزله بدارٍ أعدت له وأنعم عليه بفرس بسرج ذهب وقماش ورتب له في كل يوم ثلاثين رطلاً من اللحم ومائتي درهم وتبعه كثير من الأمراء المباشرين والأعيان في الإكرام والهدايا الوافرة وكانت له دعاوى عريضة منها أنه يحفظ الصحيحين عن ظهر قلب وصحيح مسلم بأسانيده وصحيح البخاري متناً بلا إسناد وتارة يقول إنه يحفظ اثني عشر ألف حديث بأسانيدها فعقد له السلطان المؤيد مجلساً بين يديه وجمع العلماء **وألزموه بإملاء اثني عشر متباينة فلم يفطن لذلك ولا عرف المراد به ولا أملى شيئاً بل لم يورد حديثاً إلا وظهر خطؤه فيه** بحيث ظهر في ذلك مجازفته وإن كان ما ادعاه لا صحة له وما أمكنه إلا التبري مما نسب إليه كذا قال السخاوي وكان مما وقع أنه سئل عن سنده لصحيح البخاري فذكر شيوخاً لا يعرفون وقال ابن حجر: إنه لا وجود لأحد منهم وبعد عقد المجلس بقليل ولي نظر القدس والخليل مع تدريس الصلاحية فتوجه لذلك ثم عاد إلى القاهرة في سنة ٨٢١ فاجتمع بالسلطان وأكرمه كالمرة الأولى ثم ولاه القضاء بمصر مكان البلقيني ولم يحمده الناس في ذلك فصرف قبل أن يستكمل سنة ولزم بيته وأعيد إلى القدس على تدريس الصلاحية ثم قدم القاهرة سنة ٨٢٧ فولي كتابة السر ثم انفصل وأعيد لقضاء الشافعية ثم عاد إلى بيت المقدس وقد انتقصه الحافظ ابن حجر ووصفه بالكذب وكذلك قال السخاوي وقال ابن قاضي شهبة: إنه كان إماماً عالماً غواصاً على المعاني يحفظ متوناً كثيرة ويسرد جملة من

تواريخ العجم مع الوضاءة والمهابة وحسن الشكالة والضخامة ولين الجانب.

**وقال العيني:**

**إنه كان عالماً فاضلاً متفنناً له تصانيف** كشرح المشارق وشرح صحيح مسلم المسمى فضل المنعم قال: وكان قد أدرك الكبار مثل التفتازاني والسيد وصارت له حرمة وافرة ببلاد سمرقند وهراة وغيرهما حتى كان تيمورلنك يعظمه، ويحترمه ويميزه على غيره بحيث يدخل عنده في حريمه ويستشيره ويرسله في مهماته وذكر بعض من ترجمه أن الفقهاء تعصبوا عليه وبالغوا في التشنيع ورموه بعظائم الظن برأته عن أكثرها.

**قلت: وهذا غير بعيد لا سيما وقد صار معظماً عند سلطانهم مقدماً في مناسبهم** مع كونه ليس منهم فإن ذلك مما يؤثر الطعن بغير سبب ومات في يوم الاثنين تاسع عشر ذي الحجة سنة **٨٢٩** تسع وعشرين وثمانمائة(١).

*** جاء في ترجمة عمر بن علي بن أحمد بن محمد بن عبدالله السراج المصري الشافعي المعروف بابن الملقن:**

**قال الحافظ ابن حجر:**

**إنه كان يكتب في كل فن سواء أتقنه أو لم يتقنه**، قال: ولم يكن في الحديث بالمتقن ولا له ذوق أهل الفن، وقال: إن الذين قرأوا عليه قالوا: إنه لم يكن ماهراً في الفتوى ولا التدريس وإنما كانت تقرأ عليه مصنفاته في الغالب فيقرر ما فيها، وقال ابن حجر: كان لا يستحضر شيئاً ولا يحقق علماً وغالب تصانيفه كالسرقة من كتب الناس.

وفي هذا الكلام من التحامل **ما** لا يخفى على منصف فكتبه شاهدة بخلاف ذلك منادية بأنه من الأئمة في جميع العلوم وقد اشتهر صيته وطار ذكره وسارت مؤلفاته في الدنيا، وحكى السخاوي أنه طلب الاستقلال

---

(١) البدر الطالع للشوكاني ج ٢ ص ٢٠٦.

بالقضاء وخدعه بعض الناس حتى كتب بخطه بمال على ذلك فغضب برقوق عليه لمزيد اختصاصه به وكونه لم يعلمه بذلك ولو أعلمه لكان يأخذه له بلا بذل وأراد الإيقاع به فسلمه الله من ذلك ثم استقر في التدريس بأماكن وقد ترجمه جماعة من أقرانه الذين ماتوا قبله كالعثماني قاضي صفد فإنه قال في طبقات الفقهاء إنه أحد مشايخ الإسلام صاحب التصانيف التي ما فتح على غيره بمثلها في هذه الأوقات.

**وقال البرهان الحلبي**: كان فريد وقته في كثرة التصنيف وعبارته فيها جلية جيدة وغرايبه كثيرة.

**وقال ابن حجر في إنبائه:**

**إنه كان موسعاً عليه في الدنيا مشهوراً بكثرة التصانيف** حتى كان يقال: إنها بلغت ثلاثمائة مجلدة ما بين كبير وصغير وعنده من الكتب ما لا يدخل تحت الحصر منها ما هو ملكه ومنها ما هو من أوقاف المدارس ثم إنها احترقت مع أكثر مسوداته في آخر عمره ففقد أكثرها وتغير حاله بعدها فحجبه ولده إلى أن مات[١].

*** جاء في ترجمة الحسين بن يحيى بن إبراهيم الديلمي الذماري:**

**قال الشوكاني:**

**لما ألفت الرسالة التي سميتها إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي ﷺ**، ونقلت إجماعهم من ثلاث عشرة طريقة على عدم ذكر الصحابة بسب أو ما يقاربه وقعت الرسالة بأيدي جماعة من الرافضة الذين بصنعاء المخالفين لمذاهب أهل البيت فجالوا وصالوا وتعصبوا وتحزبوا وأجابوا بأجوبة ليس فيها إلا محض السباب والمشاتمة وكتبوا أشياء نقلوها من كتب الإمامية والجارودية وكثرت الأجوبة حتى جاوزت العشرين وأكثرها

---

(١) البدر الطالع ج ١ ص ٥٠٨.

لا يعرف صاحبه واشتغل الناس بذلك أياماً وزاد الشر وعظمت الفتنة فلم يبقَ صغير ولا كبير ولا إمام ولا مأموم إلا وعنده من ذلك شيء وأعانهم على ذلك جماعة ممن لهم صولة ودولة ثم إن تلك الرسالة انتشرت في الأقطار اليمنية وحصل الاختلاف في شأنها وتعصب أهل العلم لها وعليها حتى وقعت المراجعة والمجاوبة والمكاتبة في شأنها في الجهات التهامية وكل من عنده أدنى معرفة يعلم أني لم أذكر فيها إلا مجرد الذب عن أعراض الصحابة الذين هم خير القرون مقتصراً على نصوص الأئمة من أهل البيت ليكون ذلك أوقع في نفوس من يكذب عليهم وينسب إلى مذاهبهم ما هم منه براء ولكن أهل العلم يخافون على أنفسهم ويحمون أعراضهم فيسكتون عن العامة وكثير منهم كان يصوبهم مداراة لهم وهذه الدسيسة هي الموجبة لاضطهاد علماء اليمن وتسلط العامة عليهم وخمول ذكرهم وسقوط مراتبهم لأنهم يكتمون الحق فإذا تكلم به واحد منهم وثارت عليهم العامة صانعوهم وداهنوهم وأوهموهم أنهم على الصواب فيتجرأ بهذه الذريعة على وضع مقادير العلماء وهضم شأنهم إلى أن قال: واتفقت لصاحب الترجمة محنة وذلك أن رجلاً يقال له محمد بن حسين من أولاد المهدي صاحب المواهب غاب عن المواهب نحواً من عشرين سنة ثم لم يشعر أهله بعد هذه المدة إلا وقد وصل رجل يزعم أنه هو فصدقه أهل الغائب كزوجته ووالدته وإخوته وشاع أنه دخل بالمرأة واستمر كذلك أياماً فوصل بعد ذلك رجل من بيت النجم الساكنين في زبيد وقال لأهل ذمار وعاملها: إن هذا لم يكن الغائب بل رجل من بيت صعصعة المزاينة أهل شعسان صعلوك متحيل متلصص كثير السياحة وكان عند وصوله قد لبس الثياب المختصة بآل الإمام فطلبه العامل فصمم على أنه محمد بن الحسين من آل الإمام وشد عضد دعواه مصادقة أم الغائب وزوجته وإخوته ثم طلبه مولانا الإمام إلى حضرته ثم بعد ذلك حضر شهود شهدوا أنه صعصعة المزين ثم أَعقب ذلك صدور الإقرار فعزر تعزيراً بليغاً وطرد ومات عن قرب وقد كان صاحب الترجمة حكم له بأنه محمد بن الحسين استناداً إلى الظاهر وهو إقرار الأهل فطلب من الحضرة العلية وأرسل عليه رسول ثم أعفي عن الوصول والمترجم له

عافاه الله مستمر على حاله الجميل ناشر للعلم في مدينة ذمار[1].

*** جاء في ترجمة عتيق البكري المغربي أبو بكر الأشعري:**

**قال الذهبي:**

**الواعظ العالم، وفد على النظام الوزير** فنق عليه وكتب له توقيعاً بأن يعظ بجوامع بغداد فقدم وجلسَ واحتفل الخلق فذكر الحنابلة وحط وبالغ ونبذهم بالتجسيم فهاجت الفتنة وعلت بها المراجل **وكفر هؤلاء هؤلاء** ولما عزم على الجلوس بجامع المنصور قال نقيب النقباء قفوا حتى أنقل أهلي فلا بد من قتل ونهب ثم أغلقت أبواب الجامع وصعد البكري وحوله الترك بالقيس ولقب بعلم السنة فتعرض لأصحابه طائفة من الحنابلة فشدت الدولة منه وكبست دور بني القاضي ابن الفراء وأخذت كتبهم وفيها كتاب في الصفات فكان يقرأ بين يدي البكري **وهو يشنع ويشغب** ثم خرج البكري إلى المعسكر متشكياً من عميد بغداد أبي الفتح بن أبي الليث وقيل: إنه وعظ الإمام أحمد ثم تلا ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾[2] فجاءته حصاة ثم أخرى فكشف النقيب عن الحال فكانوا ناساً من الهاشميين قد تخبؤوا في بطانة السقف فعاقبهم النقيب ثم رجع البكري عليلاً وتوفي[3].

*** جاء في ترجمة المبارك بن عبدالجبار بن أحمد بن القاسم البغدادي الصيرفي ابن الطيوري:**

**قال الذهبي:**

**الشيخ الإمام المحدث العالم** المفيد بقية النقلة المكثرين.

**قال أبو سعيد** السمعاني:

---

(١) البدر الطالع ج ١ ص ٢٣٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٥٦١.

**كان محدثاً مكثراً صالحاً أميناً** صدوقاً صحيح الأصول صيناً ورعاً وقوراً حسن السمت كثير الخير كتب الكثير، وسمع الناس بإفادته ومتعه الله بما سمع حتى انتشرت عنه الرواية وصار أعلى البغداديين سماعاً أكثر عنه والدي **وكان المؤتمن الساجي يرميه بالكذب ويصرح بذلك وما رأيت أحداً من مشايخنا الثقات يوافق المؤتمن** فإني سألت مثل عبدالوهاب وابن ناصر فأثنوا عليه ثناءً حسناً وشهدوا له بالطلب والصدق والأمانة وكثرة السماع.

**قال ابن ناصر: حدثنا الثقة الثبت** الصدوق أبو الحسين.

**وقال أبو علي بن سكرة الصدفي: هو الشيخ الصالح** الثقة أبو الحسين كان ثبتاً فهماً عفيفاً متقناً.

**وقال السلفي: هو محدث** مفيد ورع كبير[1].

*** جاء في ترجمة عمر بن علي بن أحمد بن الليث، أبو مسلم الليثي البخاري:**

**قال الذهبي:**

**الشيخ الإمام المحدث** المفيد الرحال الطواف.

**وقال المؤتمن الساجي:** كان حسن المعرفة شديد العناية بالصحيح.

**وقال شجاع:** كان يحفظ ويفهم ويعرف شيئاً من علم الحديث وكان قريب الأمر في الرواية.

**وقال أبو زكريا ابن منده:**

**هو أحد من يدعي الحفظ إلا أنه يدلس ويتعصب لأهل البدع أحول شره كلما هاجت ريح قام معها.**

**قلت** [أي الذهبي]: **آل منده لا يعبأ بقدحهم في خصومهم كما لا نلتفت إلى ذم خصومهم لهم** وأبو مسلم ثقة في نفسه.

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٢١٧.

**وقال ابن خيرون:**

**سمع مني وسمعت منه** وكان فيه تمايل عن أهل العلم وعجب في نفسه رحمه الله[1].

*** جاء في ترجمة الحسن بن أحمد بن عبدالله بن البناء أبو علي البغدادي الحنبلي:**

**قال الذهبي:**

**الإمام العالم المفتي المحدث صاحب التواليف**، وكان له حلقة للفتوى وحلقة للوعظ وكان شديداً على المخالفين.

**وقال ابن النجار:**

**كان يؤدب بني جردة تلا على الحمامي بالروايات** وكتب الكثير وتصانيفه تدل على قلة فهمه كان يصحف وكان قليل التحصيل أقرأ وحدث ودرس وأفتى وشرح الإيضاح لأبي علي الفارسي وإذا نظرت في كلامه بان لك سوء تصرفه ورأيت له ترتيباً في الغريب لأبي عبيد قد خبط وصحف.

**وقال إسماعيل بن السمرقندي:**

**كان رجل من المحدثين** اسمه الحسن بن أحمد بن عبدالله النيسابوري فكان ابن البناء يكشط بوري ويمد السين فتصير البناء كذا قيل إنه يفعل ذلك.

**قلت: هذا جرح بالظن** والرجل في نفسه صدوق وكان من أبناء الثمانين رحمه الله **وما التحنبل بعار** والله ولكن آل منده وغيرهم يقولون في الشيخ **إلا أنه فيه تمشعر** نعوذ بالله من الشر[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٤٠٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٣٨٠.

*** جاء في ترجمة محمد ابن الإمام جمال الإسلام الموفق هبة الله أبو سهل البسطامي:**

**قال الذهبي:**

**شيخ الشافعية ومحتشمهم انتهت إليه زعامة الشافعية** بعد أبيه وكان مدرساً ذكياً وقوراً قليل الكلام، وكانت داره مجمع العلماء، واحتفى به الفقهاء، رعاية لأبوته وظهر له القبول وشد منه القشيري وظهر له خصوم وحساد وحرفوا عنه السلطان ونيل من الأشعرية ومنعوا من الوعظ وعزلوا من الخطابة بنيسابور، وقويت المعتزلة والشيعة وآل الأمر إلى توظيف اللعن في الجمع ثم تعدى اللعن إلى طوائف وهاجت فتنة بخراسان حتى سجن القشيري والرئيس الفراتي وإمام الحرمين وأبو سهل، هذا وأمر بنفيهم فاختفى الجويني وفر إلى الحجاز من طريق كرمان فتهيأ أبو سهل وجمع أعواناً ومقاتلة والتقى في البلد هو وأمير البلد فانتصر أبو سهل وجرح الأمير وعظمت المحنة وبادر أبو سهل إلى السلطان فأخذه وحبس أشهراً وصودر وأخذت ضياعه ثم أطلق فحج ثم عظم بعد عند ألب أرسلان وهمّ بأن يستوزره فقصد واغتيل رحمه الله(١).

*** جاء في ترجمة الحسين بن أحمد بن محمد بن حبيب القادسي أبو عبدالله البغدادي البزار:**

**قال الخطيب:**

**حضرته يوماً وطالبته بأصوله فدفع إلي عن ابن شاذان وغيره أصولاً صحيحة فقلت: أرني أصلك عن القطيعي**، فقال: أنا لا يشك في سماعي من القطيعي سمعنا منه أنا وخالي وهبة الله المفسر المسند كله، فقلت: لا ترو هنا شيئاً إلا بعد أن تحضر أصولك فانقطع، ومضى إلى مسجد براثا **فأملى فيه وكانت الرافضة تجتمع هناك فقال لهم: منعتني النواصب أن أروي**

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ١٤٢.

في جامع منصور **فضائل أهل البيت** ثم اجتمع عليه في مسجد الشرقية الروافض ولهم إذ ذاك قوة وحميتهم ظاهرة **فأملى عليهم العجائب من الموضوعات في الطعن على السلف**[1].

*** جاء في ترجمة محمد بن محمد بن سعيد بن أحمد أبو الحسين الأنصاري الإشبيلي معروف بابن زرقون:**

**قال الذهبي:**

**شيخ المالكية قد** امتحن وقيد وسجن بعد أن عزموا على قتله لكونه منع من إقراء الفقه فإن صاحب العزب يوسف بن يعقوب **منع من قراءة الفروع جملة وبالغ في ذلك** وألزم الناس بأخذ كتاب الفقه من الكتاب والسنن على طريقة أهل الظاهر فنشأ الطلبة على هذا بالمغرب من بعد سنة ثمانين وخمسمائة.

**وكان القاضي أبو الحسين أديباً له** النظم والنثر وكان كامل العقل رصين المزاح قلّ أن ترى العيون مثله ظفر السلطان به وبعالم آخر يقرءان الفروع فأخذا وأجلسا للقتل صبراً ثم قيدا وسجنا بعد سنة تسعين ثم مات رفيقه وطال حبسه وشداد ابن عبدالمؤمن في ذلك على أن من وجد عنده ورقة من الفروع قتل دون مراجعة وخطب بذلك خطباً فانظر إلى هذه البلية **وأحرقت كتب المذكورين**[2].

*** جاء في ترجمة عبدالرحمٰن بن محمد بن فوران المروزي، الفوراني صاحب أبي بكر القفال:**

**قال الذهبي:**

**كبير الشافعية له المصنفات الكبيرة في المذهب** وكان سيد فقهاء مرو،

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ١١.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٢٢ ص ٣١١.

وكان إمام الحرمين يحط على الفوراني حتى قال في باب الأذان: هذا الرجل غير موثوق بنقله وقد نقم الأئمة على إمام الحرمين ثوران نفسه على الفوراني وما صوبوا صورة حطه عليه لأن الفوراني من أساطين أئمة المذهب[1].

*** جاء في ترجمة أحمد بن سعيد الأندلسي أبو جعفر مفتي طليطلة اللوزنكي المالكي:**

**قال الذهبي:**

**امتحنه ملك طليطلة المأمون هو وابن مغيث** وابن أسد وجماعة اتهمهم على سلطانه فأحضرهم مع قاضيهم أبي زيد القرطبي وقيدهم فهاجت العامة ونفروا إلى السلاح فقتل طائفة فكفوا واستبيحت دور المذكورين وسجنوا وسجن الوزير ابن نُصن الأديب فصنف كتاب الممتحنين من لدن آدم عليه السلام إلى زمانهم اتهم بالنم على المذكورين ابن الحديدي كبير طليطلة ثم مات المأمون وقام بعده حفيده القادر والعقد والحل بالبلد لابن الحديدي فخوطب فيه القادر فأخرج أضداده من السجن فقتلوا ابن الحديدي وطيف برأسه وأخبر ابن اللوزنكي في الحبس[2].

*** جاء في ترجمة ابن دحية:**

**قال الذهبي:**

**كان بصيراً بالحديث معتنياً بتقييده مكباً على سماعه** حسن الخط معروفاً بالضبط رجح وكتب بالمشرق بأصبهان ونيسابور عن أصحاب الحداد والفراوي وعاد إلى مصر فاستأدبه الملك العادل لابنه الكامل ولي عهده وأسكنه القاهرة فنال بذلك دنيا عريضة.

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٢٦٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ١٧٤.

**قال ابن مسدي:**

**رأيت بخطه أنه سمع قبل سنة سبعين من جماعة** كأبي بكر بن خليل واللواني وابن حنين قال: وليس ينكر عليه.

**وقال الضياء:**

**لقيته بأصبهان** ولم أسمع منه ولم يعجبني حاله كان كثير الوقيعة في الأئمة وأخبرني إبراهيم السنهوري بأصبهان أنه دخل المغرب وأن مشايخ المغرب كتبوا له جرحه وتضعيفه، قال الضياء: وقد رأيت منه غير شيء مما يدل على ذلك.

**وقال ابن نقطة:**

**كان موصوفاً بالمعرفة والفضل** ولم أره إلا أنه كان يدعي أشياء لا حقيقة لها.

**وقال أبو القاسم:**

**عبدالسلام نزل عندنا** فكان يقول: أحفظ صحيح مسلم والترمذي فأخذت خمسة أحاديث من الترمذي وخمسة من المسند وخمسة من الموضوعات فجعلتها في جزء ثم عرضت عليه حديثاً من الترمذي فقال: ليس بصحيح، وآخر فقال: لا أعرفه، ولم يعرف منها شيئاً.

**وقال ابن واصل الحموي:**

**كان مع فرط معرفته بالحديث وحفظه الكثير له متهماً بالمجازفة في النقل** وبلغ ذلك الملك الكامل فأمره أن يعلق شيئاً على كتاب الشهاب فعلق كتاباً تكلم فيه على أحاديثه وأسانيده فلما وقف الكامل على ذلك خلاه أياماً وقال: ضاع ذاك الكتاب فعلق لي مثله، ففعل فجاء الثاني فيه مناقضة للأول فعلم السلطان صحة ما قيل عنه ونزلت مرتبته عنده وعزله من دار الحديث التي أنشأها آخراً وولاها أخاه أبا عمرو.

**قلت: وذكر أن سبب عزل ابن دحية أنه خصى مملوكاً له فغضب**

الملك وهرب ابن دحية ولفظ ابن مسدي قال: كان له مملوك يسمى ريحان فجبه واستأصل أنثييه وزبه وأتى بزامر فأمر بثقب شدقه فغضب عليه المنصور وجاءه النذير فاختفى ثم سار متنكراً.

**قلت: وكان ممن يترخص في الإجازة ويطلق عليها حدثنا.**

**وقال ابن النجار:**

**رأيت الناس مجمعين على ضعفه وكذبه وادعائه ما لم يسمعه** وكانت أمارات ذلك لائحة على كلامه وفي حركاته وكان القلب يأبى سماع كلامه وكان حافظاً ماهراً تام المعرفة بالنحو واللغة ظاهري المذهب كثير الوقيعة في السلف شديد الكبر خبيث اللسان متهاوناً في دينه.

**قال الذهبي:**

**حكى ابن النجار في تاريخه وابن العديم في تاريخ حلب** وأبو صادق محمد بن العطار وابن المستوفي في تاريخه عنه أشياء تسقطه[1].

*** جاء في ترجمة عبدالسلام ابن الفقيه عبدالوهاب ابن الشيخ عبدالقادر، أبو منصور الركن الجيلي:**

**قال الذهبي:**

**الفاسد العقيدة الذي أحرقت كتبه وكان خِلاً لعلي بن الجوزي يجمعهما عدم الورع.**

**وقال ابن النجار:**

**ظهر عليه بخطه** بتخيُر الكواكب **ومخاطبتها بالإلهية** وأنها المدبرة فأحضر فقال: كتبته تعجباً لا معتقداً فأحرقت مع كتب فلسفية بخطه في ملأ عظيم وأعطيت مدرسته لابن الجوزي فهذا كان السبب في اعتقال ابن الجوزي خمسة أعوام بواسط وَليَ وزير شيعي فمكن الركن من ابن الجوزي

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢٢ ص ٣٨٩.

وبعد سنة ستمائة أعيد إلى الركن المدارس ثم رتب عميداً ببغداد ومستوفياً للمكس وتمكن فظلم وعسف ثم حبس وخمل.

**قال ابن النجار:**

**وكان ظريفاً لطيف** الأخلاق إلا أنه كان فاسد العقيدة[1].

*** جاء في ترجمة عمر بن محمد بن معمر بن أحمد بن يحيى، أبو حفص البغدادي المعروف بابن طبرزد:**

**قال الذهبي:**

**الشيخ المسند الكبير الرحالة.**

**وقال الخطيب:**

**وهو مكثر صحيح السماع** ثقة في الحديث.

**وقال ابن الدبيثي:**

**كان سماعه صحيحاً على تخليط فيه.**

**قلت:** يشير ابن الدبيثي بالتخليط إلى أن أخا ابن طبرزد ضعيف وأكثر سماعات عمر بقراءة أخيه وفي النفس من هذا.

**وقال أبو شامة:**

**توفي ابن طبرزد وكان خليعاً ماجناً،** سافر بعد حنبل إلى الشام وحصل له مال بسبب الحديث وعاد حنبل فأقام يعمل تجارة بما حصل فسلك ابن طبرزد سبيله في استعمال كاغد وعتابي فمرض ومات ورجع ما حصل له إلى بيت المال كحنبل.

**وقال ابن النجار:**

**لم يكن يفهم شيئاً من العلم، وكان متهاوناً بأمور الدين،** رأيته غير

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢٢ ص ٥٥.

مرة يبول من قيام فإذا فرغ من الإراقة أرسل ثوبه وقعد من غير استنجاء بماء ولا حجر.

**قلت: لعله يرخص بمذهب من لا يوجب الاستنجاء.**

**قال: وكان يطلب الأجر** على رواية الحديث إلى غير ذلك من سوء طريقته وخلف ما جمعه من الحطام لم يخرج منه حقاً لله عز وجل.

**وقال عبدالعزيز بن هلالة:**

**رأيت عمر بن طبرزد في النوم بعد موته وعليه ثوب أزرق** فقلت له: سألتك الله ما لقيت بعد موتك؟ فقال: أنا في بيت من نار داخل بيت من نار، فقلت: لِمَ؟ قال: لأخذي الذهب على حديث رسول الله ﷺ.

**قلت: الظاهر أنه أخذه وكنزه ولم يزكه** فهذا أشد من مجرد الأخذ وأما تركه الصلاة فقد سمعت ما قيل عنه وقد سمعت أبا العباس ابن الظاهري يقول: كان ابن طبرزد لا يصلي وأما التخليط من قبيل الرواية فغالب سماعه منوط بأخيه المفيد أبي البقاء وبقراءته وتسميعه له وقد قال ابن النجار: قال عمر بن المبارك بن سهلان: لم يكن أبو البقاء بن طبرزد ثقة كان كذاباً يضع للناس أسماءهم في الأجزاء ثم يذهب فيقرأ عليهم عرف بذلك شيخنا عبدالوهاب ومحمد بن ناصر وغيرهما، والله يسامحه فمع ما أبدينا من ضعفه قد تكاثر عليه الطلبة وانتشر حديثه في الآفاق وفرح الحفاظ بعواليه ثم في الزمن الثاني ترحموا على أصحابه وحملوا عنهم الكثير وأحسنوا به الظن والله الموعد ووثقه ابن نقطة[(١)].

## المبحث الثالث:

## الكلام في أهل العلم بسبب الجهل بمراتب العلوم

**هذا هو المبحث الثالث فيما يلحق بتحاسد العلماء**، وهو منتشر بين ثنايا الكتب، **فكم من عالم له حظ كبير من العلم**، **إلا أنه ابتلي بشيء من**

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٥٠٧.

**الكلام**، فلم يعب عليه هذا فحسب، وإنما تعدى ذلك إلى ما هو أكبر من ذلك، **فرمي بالزندقة وعلوم الأوائل، وقيل عنه متفلسفاً**، ولا يزال الأمر كذلك حتى إن من يقرأ ترجمته **لا يراه إلا كافراً خارجاً عن الملة**، وإذا انضم إلى ذلك الأخذ بالتوهم وعدم الورع حصل بذلك شر عظيم، وفساد عريض والله المستعان.

**وهذه أيضاً من البلايا، فإن الجهل المركب يحمل الناس على الوقيعة في العلماء**، فمن جهل شيئاً عاداه.

**ورحم الله القائل:**

أتانا أن سهلاً قد ذم جهلا      علوماً لم يعرفهن سهلُ
علوماً لو دراها ما قلاها      ولكن الرضى بالجهل سهلُ

**وربما تعدى الأمر الكلام إلى الإيذاء والمحن بله القتل**، وكل من قيل عنه إنه يتكلم في الأكابر ولو كان كلامه بحق أو يعتقد مذهب الأوائل (أي الفلاسفة) وإن كان ما يقوله رداً عليهم فإن الناس والعوام يعادونه ويشكونه ويسعون في إفساده.

**وفيما يلي شيء من ذلك مما هو متضمن التراجم الآتية:**

*** جاء في ترجمة يحيى بن علي بن الفضل البغدادي الملقب بجمال الدين المعروف بابن فضلان:**

**قال في طبقات الشافعية:**

**كان شيخ الشافعية بالعراق**، إماماً في الفقه والأصول والخلاف والجدل، ذا رئاسة ووجاهة، حسن الأخلاق، سهل الانقياد، انتفع به خلق كثير، وطار اسمه في الآفاق، ودرس بمدرسة دار الذهب.

**ولد أواخر سنة خمس عشرة**، وقيل سنة سبع عشرة وخمسمائة، وسمي بواثق، ثم غيّر اسمه إلى يحيى، تفقه على ابن الرزاز ببغداد، وسمع بها من جماعة، ثم ارتحل إلى محمد بن يحيى بنيسابور مرتين وعلق عنه،

ولما خرج إلى نيسابور سقط عن دابته ففسدت يده، فقطعت فعمل مختصراً بذلك.

**وكان يجري بينه وبين المجير البغدادي السابق** في حرف الباء مناظرات فتناظرا مرة، فخرج منه المجير فشنع عليه بقطع يده، فأخرج ذلك المختصر ثم شفع هو على المجير بالفلسفة وكان المجير لا ينقطع في المناظرة، وكان ابن فضلان طريف المناظرة له نغمات موزونة، يشير بيده مع مخارج حروفه بوزن مطرب[1].

*** جاء في ترجمة أحمد بن محمد بن عبدالعليم، علم الدين الأصفواني:**

**قال في الطبقات:**

**علم الدين أحمد بن محمد بن عبدالعليم المعروف بالأصفواني**، كان رجلاً فاضلاً مشاركاً في علوم متعددة مشاركة جيدة، وغلب عليه في أواخر وقته علم الحديث، بعد أن كان بعيداً منه، **مائلاً إلى علوم الأوائل**، وكان ملازماً للاشتغال طارحاً للتكلف إلا أنه كان شرس الأخلاق، **مائلاً إلى الحسد**، لا تدوم له صحبة مع أحد لا سيما من يرى إقبال الناس عليه من أهل العلم.

**ولد بصفوان** في حدود سنة سبع وسبعمائة تقريباً، ومات في آخر سنة تسع وأربعين وسبعمائة شهيداً بالطاعون، ودفن خارج باب النصر[2].

*** جاء في ترجمة الأهوازي: الحسين بن علي بن إبراهيم أبو علي نزيل دمشق:**

**قال الذهبي:**

---

(١) طباقت الشافعية ج ٢ ص ١٣٥.

(٢) طبقات الشافعية ج ١ ص ٨٧.

**كان رأساً في القراءات** معمراً بعيد الصيت صاحب حديث ورحلة وإكثار وليس بالمتقن له، ولا المجود بل هو حاطب ليل، وألّف كتاباً طويلاً في القراءات فقد تكلم فيه وفي دعاويه تلك الأسانيد العالية، وألّف كتاباً طويلاً في الصفات فيه كذب **ومما فيه حديث عرق الخيل وتلك الفضائح** فسبه علماء الكلام وغيرهم وكان ينال من ابن أبي بشر وعلق في ثلبه والله يغفر لهما.

**وقال ابن عساكر:**

**كان على مذهب السالمية** يقول بالظاهر ويتمسك بالأحاديث الضعيفة التي تقوي رأيه وسمعت أبا الحسن بن قبيس عن أبيه قال: لما ظهر من ابن أبي علي الإكثار من الروايات في القراءات اتهم فسار شأن نظيف وابن الفرات وقرؤوا ببغداد على الذين روى عنهم الأهوازي وجاؤوا فمضى إليهم أبو علي وسألهم أن يروه الإجازات فأخذها وغير أسماء من سمي ليستر دعواه فعادت عليه بركة القرآن فلم يفتضح وعوتب رجل في القراءة عليه فقال: أقرأ عليه للعلم ولا أصدقه في حرف.

**قال ابن عساكر عقب حديث: كذبٌ، الأهوازي متهم.**

**وقال عبدالعزيز الكتاني**: اجتمعت بهبة الله اللالكائي فسألني من بدمشق فذكرت منهم الأهوازي فقال: لو سلم من الروايات في القراءات.

**قال الكتاني:**

**وكان مكثراً من الحديث وصنف الكثير في القراءات** وفي أسانيدها له غرائب يذكر أنه أخذها رواية وتلاوة وممن وهاه ابن خيرون.

**وقال الداني:**

**أخذ القراءات عرضاً وسماعاً** من أصحاب ابن شَنَبُوذ وابن مجاهد قال: وكان واسع الرواية حافظاً ضابطاً أقرأ دهراً بدمشق.

**قال الذهبي: في نفسي أمور من علوه في القراءات.**

**وقال ابن عساكر أيضاً في تبيين كذب المفتري:**

**لا يستبعدن جاهل كذب الأهوازي** فيما أورده من تلك الحكايات فقد كان من أكذب الناس فيما يدعي من الروايات في القراءات.

**وقال محمد بن طاهر الملحمي:**

**كنت عند رشإ بن نظيف** في داره على باب الجامع فاطلع منها وقال: قد عبر رجل كذاب فاطلعت فوجدته الأهوازي.

**وقال أبو بكر الخطيب:**

**أبو علي الأهوازي كذاب في القراءات والحديث جميعاً.**

**قال الذهبي:**

قلت: يريد تركيب الإسناد وادعاء اللقاء أما وضع الحروف أو المتون **فحاشاه وكلا ما أجوز ذلك عليه وهو بحر في القراءات** تلقى المقرؤون تواليفه ونقله للفن بالقبول ولم ينتقدوا عليه انتقاد أصحاب الحديث كما أحسنوا الظن بالنقاش وبالسامري وطائفة راجوا عليهم[1].

*** جاء في ترجمة محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغرناطي، أثير الدين أبو حيان الأندلسي:**

**قال الشوكاني:**

**الإمام الكبير** في العربية والتفسير.

**وقال ابن الخطيب:**

**كان سبب رحلته عن غرناطة أنها حملت حدة الشباب على التعرض للأستاذ أبي جعفر بن الطباع** وقد وقعت بينه وبين أستاذه أبي جعفر بن الزبير وحشة فنال منه وتصدى للتأليف في الرد عليه فرفع أمره إلى السلطان

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ١٣.

بغرناطة فانتصر له وأمر بإحضار صاحب الترجمة وتنكيله فاختفى ثم لحق بالمشرق وحضر مجلس الشيخ شمس الدين الأصبهاني **وكان ظاهرياً** وبعد ذلك انتمى إلى الشافعي وكان أبو البقاء يقول: إنه لم يزل ظاهرياً.

**قال ابن حجر:**

**كان أبو حيان يقول: محال أن يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه. انتهى.**

**ولقد صدق في مقاله فمذهب الظاهر هو أول الفكر آخر العمل عند من منح الإنصاف ولم يرد على فطرته ما يغيرها عن أصلها ليس وهو مذهب داود الظاهري وأتباعه فقط بل هو مذهب أكابر العلماء المتقيدين بنصوص الشرع من عصر الصحابة إلى الآن**[1].

*** جاء في ترجمة علي بن المبارك بن علي بن الفاعوس - البغدادي الإسكاف المقرىء الزاهد أبو الحسن:**

**قال في ذيل طبقات الحنابلة:**

**كان أبو القاسم بن السمرقندي يقول:** إن أبا بكر بن الخاضبة كان يسمِّي ابن الفاعوس الحجري، لأنه كان يقول: الحجر الأسود يمين الله حقيقة.

**قلت:** إن صح عن ابن الفاعوس أنه كان يقول: الحجر الأسود يمين الله حقيقة **فأصل ذلك: أن طائفة من أصحابنا وغيرهم نفوا وقوع المجاز في القرآن،** ولكن لا يعلم منهم **من نفى المجاز في اللغة،** كقول أبي إسحاق الإسفراييني.

**ولكن قد يسمع بعض صالحيهم إنكار المجاز في القرآن،** فيعتقد إنكاره مطلقاً، ويؤيد ذلك أن المتبادر إلى فهم أكثر الناس من لفظ الحقيقة

---

(١) البدر الطالع ج ٢ ص ٢٨٨.

والمجاز المعاني والحقائق دون الألفاظ.

**فإذا قيل: إن هذا مجاز فهموا أنه ليس تحته معنى**، ولا له حقيقة، فينكرون ذلك وينفرون منه، **ومن أنكر المجاز من العلماء فقد ينكر إطلاق اسم المجاز**، لئلا يوهم هذا المعنى الفاسد ويصير ذريعة لمن يريد جحد حقائق الكتاب والسنة ومدلولاتهما.

**ويقول: غالب من تكلم بالحقيقة والمجاز هم المعتزلة** ونحوهم من أهل البدع، وتطرقوا بذلك إلى تحريف الكلم عن مواضعه، فيمنع من التسمية بالمجاز، ويجعل جميع الألفاظ حقائق، **ويقول: اللفظ إن دل بنفسه فهو حقيقة لذلك المعنى، وإن دل بقرينة فدلالته بالقرينة حقيقة للمعنى الآخر، فهو حقيقة في الحالين**، وإن كان المعنى المدلول عليه مختلفاً فحينئذ يقال: لفظ اليمين في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾[1] حقيقة وهو دال على الصفة الذاتية، ولفظ اليمين في الحديث المعروف «**الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه فكأنما صافح الله عز وجل**».

**وقيل: يمينه يراد به مع هذه القرائن المحتفة به محل الاستلام والتقبيل، وهو حقيقة في هذا المعنى في هذه الصورة**، وليس فيه ما يوهم الصفة الذاتية أصلاً، بل دلالته على معناه الخاص قطعية لا تحتمل النقيض بوجه، ولا تحتاج إلى تأويل ولا غيره[2].

**وإذا قيل: فابن الفاعوس لم يكن من أهل هذا الشأن أعني البحث عن مدلولات الألفاظ؟**

**قيل: ولا ابن الخاضبة كان من أهله**، وإن كان محدثاً، وإنما سمع

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٧.

(٢) أو يقال: آخر الحديث دلَّ على أن المراد ليس الصفة، لأنه قال: (فكأنما)، والمشبه ليس كالمشبه به، وأيضاً التقييد في الأرض يؤكد ذلك، كما قرره شيخ الإسلام في التدمرية.

من ابن الفاعوس، أو بلغه عنه إنكار أن يكون هذا مجازاً، لما سمعه من إنكار لفظ المجاز فحمله السامع **لقصوره أو لهواه** على أنه إذا كان حقيقة لزم أن يكون هو يد الرب عز وجل التي هي صفته وهذا باطل والله أعلم.

**توفي ابن الفاعوس** ليلة السبت تاسع عشر شوال، وقيل في العشرين منه، والأول أصح، سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، وَصُلِّيَ عليه من الغد بجامع القصر ودفن قريباً من قبر الإمام أحمد رضي الله عنه.

**وكان ذلك يوماً مشهوداً غلقت فيه أسواق بغداد** وكان أهل بغداد يصيحون في جنازته: **هذا يوم سني حنبلي لا قشيري ولا أشعري.**

**وكان حينئذ ببغداد أبو الفرج الإسفراييني الواعظ** وكان العوام قد رجموه غير مرة في الأسواق، ورموا عليه الميتات، فأظهروا في ذلك اليوم لعنه وسبه، فبلغ ذلك المسترشد فمنعه من الوعظ، وأمره بالخروج من بغداد، وظهر في ثاني يوم عند رجل من أصحابه كراريس فيها ما يتضمن الاستخفاف بالقرآن، فطيف به البلد ونودي عليه، وهمت العامة بإحراقه، وظهر الشيخ عبدالقادر وجلس للوعظ وعكف الناس عليه، وانتصر به أهل السنة رحمه الله تعالى[١].

*** جاء في ترجمة أحمد بن صالح بن أبي الرجال محمد بن علي بن محمد:**

**قال الشوكاني:**

**هو صاحب مطلع البدور ومجمع البحور**، ترجم فيه لأعيان الزيدية فجاء كتاباً حافلاً ولولا كمال عنايته واتساع اطلاعه لما تيسر له جمع ذلك الكتاب لأن الزيدية مع كثرة فضلائهم ووجود أعيان منهم في كل مكرمة على تعاقب الأعصار لهم عناية كاملة ورغبة وافرة في دفن محاسن أكابرهم وطمس آثار مفاخرهم فلا يرفعون إلى ما يصدر عن أعيانهم من نظم أو نثر

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ص ١٧٣.

أو تصنيف رأساً وهذا مع توفر رغباتهم في الاطلاع على ما يصدر من غيرهم والاشتغال الكامل بمعرفة أحوال سائر الطوائف والانكباب على كتبهم التاريخية وغيرها وإني لأكثر التعجب من اختصاص المذكورين بهذه الخصلة التي كانت سبباً لدفن سابقتهم ولاحقتهم وغمط رفيع قدر عالمهم، وفاضلهم وشاعرهم وسائر أكابرهم ولهذا أهملهم المصنفون في التاريخ على العموم لمن يترجم لأهل قرن من القرون أو عصر من العصور وإن ذكروا النادر فهم ترْجموه ترجمة مغسولة عن الفائدة عاطلة عن بعض ما يستحقه[1].

*** جاء في ترجمة محمد بن عبدالواحد بن عبيدالله أبو الحسن الأردستاني:**

**قال الذهبي:**

**الإمام الحافظ الفقيه**، ينصب الخلاف مع أبي حنيفة ومالك وينتصر لإمامه الشافعي ولكنه لا يتكلم على الأسانيد وفي كتابه فجاءات تنبىء بإمامته وحفظه[2].

*** جاء في ترجمة محمد بن عبدالله بن أبي بكر بن عبدالله بن عبدالرحمٰن أبو عبدالله ابن الأبار الأندلسي القضاعي:**

**قال الذهبي:**

**الإمام العلامة البليغ الحافظ المجود المقرىء** مجد العلماء كان بصيراً بالرجال المتأخرين مؤرخاً حلو التراجم فصيح العبارة وافر الحشمة ظاهر التجمل من بلغاء الكتبة.

**وقال أبو جعفر بن الزبير**: هو محدث بارع حافل ضابط متقن وكاتب بليغ وأديب حافل حافظ.

---

(١) البدر الطالع للشوكاني ج ١ ص ٥٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٥٣٠.

**وقال الذهبي:**

**انتقل من الأندلس عند استيلاء النصارى،** فنزل تونس مدة فبلغني **أن بعض أعدائه شغب عليه عند ملك تونس** بأنه عمل تاريخاً وتكلم في جماعة، وقالوا: **هو فضولي يتكلم في الكبار،** فأُخِذَ فلما أحس بالتلف قال لغلامه: خذ البغلة لك، وامض حيث شئت فلما أدخل أمر الملك بقتله، فنعوذ بالله من شر كل ذي شر، هذا معنى ما حكى لي الإمام أبو الوليد ابن الحاج رحمه الله من قتْلِهِ(١).

*** جاء في ترجمة علي بن أبي علي بن محمد بن سالم سيف الدين الآمدي الحنبلي ثم الشافعي:**

**قال الذهبي:**

العلامة المصنف فارس الكلام، قرأ الفلسفة والمنطق بمصر بالجامع الظافري وأعاد بقبة الشافعي وصنف التصانيف ثم قاموا عليه ورموه بالانحلال وكتبوا محضراً بذلك.

**قال ابن خلكان:**

**وضعوا خطوطهم بما يستباح به الدم فخرج مستخفياً** ونزل حماة وألف في الأصلين والحكمة المشؤومة والمنطق والخلاف وله كتاب أبكار الأفكار في الكلام، وَمُنْتهى السول في الأصول، وطريقة في الخلاف وله نحو من عشرين تصنيفاً ثم تحول إلى دمشق ودرس بالعزيزية مدة ثم عزل عنها بسبب اتهم فيه وأقام بطالاً في بيته.

**قال سبط ابن الجوزي:**

**وكان أولاد العادل كلهم يكرهونه لما اشتهر عنه من علم الأوائل والمنطق** وكان يدخل على المعظم فلا يتحرك له فقلت: قم له عوضاً عني

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢٣ ص ٣٣٦.

فقال: ما يقبله قلبي ومع ذا ولاه تدريس العزيزية فلما مات أخرجه منها الأشرف ونادى في المدارس من ذكر غير التفسير والفقه أو تعرض لكلام الفلاسفة نفيته فأقام السيف خاملاً في بيته إلى أن مات.

**وقال الذهبي:**

**وكان القاضي تقي الدين سليمان بن حمزة** يحكي عن شيخه بن أبي عمر قال: كنا نتردد إلى السيف فشككنا هل يصلي أم لا؟ فنام فعلمنا على رجله بالحبر فبقيت العلامة يومين فعلمنا أنه ما توضأ نسأل الله السلامة في الدين.

**وقال لي شيخنا ابن تيمية:** يغلب على الآمدي **الحيرة والوقف** حتى إنه أورد على نفسه سؤالاً في تسلسل العلل وزعم أنه لا يعرف عنه جواباً وبنى إثبات الصانع على ذلك فلا يقرر في كتبه **إثبات الصانع ولا حدوث العالم ولا وحدانية الله ولا النبوات ولا شيئاً من الأصول الكبار.**

**قلت: هذا يدل على كمال ذهنه** إذ تقرير ذلك بالنظر لا ينهض وإنما ينهض بالكتاب والسنة وبكل قد كان السيف غاية، ومعرفته بالمعقول نهاية، وكان الفضلاء يزدحمون في حلقته.

**قال ابن عبدالسلام:**

**ما سمعت من يلقي محاضرة أحسن من السيف** كأنه يخطب وكان يعظمه[1].

*** جاء في ترجمة علي بن أبي بكر الهروي ولد بالموصل:**

**قال الذهبي:**

**الزاهد الفاضل الجوال وجمع تواليف وفوائد وعجائب** وكان حاطب ليل دخل في السحر والسيمياء وتفقه على الظاهر صاحب حلب فبنى له

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢٢ ص ٣٦٤.

مدرسة فدرس بها وخطب بظاهر حلب **وكان غريباً مشعوذاً حلو المجالسة**.

**وقال ابن واصل:**

**كان عارفاً بأنواع الحيل والشعبذة** ألف خطباً وقدمها للناصر لدين الله فوقع له بالحسين في سائر البلاد فبقي له شرف بهذا التوقيع معه ولم يباشر شيئاً من ذلك[1].

*** جاء في ترجمة محمد بن أبي القاسم أحمد ابن شيخ المالكية أبو الوليد بن رشد القرطبي:**

**قال الذهبي:**

**العلامة فيلسوف الوقت**، وقد روى عنه أبو محمد بن حوط الله وسهل بن مالك ولا ينبغي أن يروى عنه.

**وقال ابن أبي أصيبعة** في تاريخ الحكماء:

**لما كان المنصور صاحب المغرب** بقرطبة استدعى ابن رشد واحترمه كثيراً ثم نقم عليه بعد يعني لأجل الفلسفة.

**وقال شيخ الشيوخ ابن حمويه:**

**لما دخلت البلاد سألت عن ابن رشد** فقيل: إنه مهجور في بيته من جهة الخليفة يعقوب لا يدخل إليه أحد لأنه رفعت عنه **أقوال ردية ونسبت إليه العلوم المهجورة** ومات محبوساً بداره بمراكش[2].

**وقال عبدالواحد:**

**وكان ابن رشد الحفيد قد هذب كتاب الحيوان** وقال: الزرافة رأيتها عند ملك البربر كذا قال غير مهتبل فأحنقهم هذا ثم سعى فيه من يناوئه عند يعقوب فأراه بخطه **حاكياً** عن الفلاسفة أن الزهرة أحد الآلهة فطلبه فقال:

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢٢ ص ٥٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٣٠٧.

أهذا خطك؟ فأنكر فقال: لعن الله من كتبه وأمرَ الحاضرين بلعنه ثم أقامه مهاناً وأحرق كتب الفلسفة سوى الطب والهندسة[1].

*** جاء في ترجمة يحيى الواثق علي بن الفضل بن هبة الله البغدادي شيخ الشافعية ابن فضلان:**

**قال الذهبي:**

**كان بارعاً في الخلاف والنظر بصيراً بالقواعد** ذكياً لبيباً يقظاً عذب العبارة وجيهاً ووقع في السفر فانكسر ذراعه وصارت كفخذه ثم أدته الضرورة إلى قطعها من المرفق وعمل محضراً بأنها لم تقطع في ريبة، فلما ناظر المجير مرة وكان كثيراً ما ينقطع في يد المجير فقال: يسافر أحدهم في قطع الطريق ويدعي أنه كان يشتغل فأخرج ابن فضلان المحضر **وأخذ يشنع على المجير بالفلسفة**[2].

*** جاء في ترجمة عبدالسلام بن عبدالوهاب بن عبدالقادر أبو محمد البغدادي يلقب بالركن:**

**كان أديباً كيساً مطبوعاً عارفاً بالمنطق والفلسفة والتنجيم**، وغير ذلك من العلوم الرديئة، وبسبب ذلك نسب إلى عقيدة الأوائل، حتى قيل إن والده رأى عليه يوماً ثوباً بخارياً فقال: والله هذا عجيب، ما زلنا نسمع البخاري ومسلم فأما البخاري وكافر فما سمعناه، وكان أبوه كثير المجون والمداعبة كما تقدم عنه.

**وكان عبدالسلام لم يفتأ غير ضابط للساعة**، ولا مشكور في طريقته وسيرته، يُرمى بالفواحش والمنكرات، وقد جرت عليه محنة في أيام الوزير ابن يونس **وحكم بفسقه وأحرقت كتبه**.

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٣١٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٢٥٧.

**وكان سبب ذلك أن ابن يونس كان جاراً لأولاد الشيخ عبدالقادر في** حال فقره فكانوا يؤذونه غاية الأذى، فلما ولي ابن يونس وتمكن شتت شملهم وبعث ببعضهم إلى المطامير بواسط، وبعث فكبس دار عبدالسلام وأخرج منها كتباً من كتب الفلاسفة، ورسائل إخوان الصفا، وكتب السحر، والنارنجة، وعبادة النجوم، واستدعى ابن يونس وهو يومئذ أستاذ لدار العلماء والفقهاء، والقضاة والأعيان، وكان ابن الجوزي معهم وقرأ في بعضها مخاطبة «**زحل يقول: أيها الكوكب المضيء المنير أنت تدبر الأفلاك، وتحيي وتميت، وأنت إلهنا، وفي حق المريخ من هذا الجنس**»، وعبدالسلام حاضر فقال ابن يونس: هذا خطك؟ قال: نعم، قال: لمَ كتبته؟ قال: **لأرده على قائله، ومن يعتقده،** فأمر بإحراق كتبه، فجلس قاضي القضاة والعلماء وابن الجوزي معهم على سطح مسجد مجاور لجامع الخليفة يوم الجمعة وأضرموا تحت المسجد ناراً عظيمة وخرج الناس من الجامع فوقفوا على طبقاتهم والكتب على سطح المسجد وقام أبوبكر بن المرستانية فجعل يقرأ كتاباً كتاباً، **من مخاطبة الكواكب ونحوها، ويقول: العنوا من كتبها، ومن يعتقدها،** وعبدالسلام حاضر فيضج العوام باللعن فتعدى اللعن إلى الشيخ عبدالقادر بل وإلى الإمام أحمد، وظهرت الأحقاد الصدرية، وقال الخصوم أشعاراً منها قول المهذب الرومي ساكن النظامية:

لي شعر أرق من دين ركن الدين	عبدالسلام لفظاً ومعنى

زحليا يشني عليا ويهوى	آل حرب حقداً عليه وضغنا

منحته النجوم إذ رام سعداً	وسروراً نحساً وهماً وحزنا

سار إحراق كتبه سير شعري	في جميع الأقطار سهلاً وحزنا

أيها الجاهل الذي جهل الحق	ضلالاً وضيع العمر غبنا

رمت جهلاً من الكواكب بالتبخـ	ـير عزاً فنلت ذلاً وسجنا

ما زحيل وعطارد والمريخ	والمشتري ترى يا معنى؟

كل شيء يودي ويفنى سوى	الله إلهي فإنه ليس يفنى

**ثم حكم القاضي بتفسيق عبدالسلام** ورمي طيلسانه وأخرجت مدرسة

جده من يده، ويد أبيه عبدالوهاب وفوضت إلى الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي، فذكر فيها الدرس مدة، ذكر ذلك أبو المظفر سبط ابن الجوزي.

**وذكر معناه ابن القادسي** وزاد أن عبدالسلام أودع الحبس مدة ولما أُخرج عنه أخذ خطه بأنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن الإسلام حق، وما كان فيه باطل وأطلق.

**ثم لما قبض على ابن يونس** ردت مدرسة الشيخ عبدالقادر إلى ولده عبدالوهاب ورد ما بقي من كتب عبدالسلام التي أحرق بعضها وقبض على الشيخ أبي الفرج بسعي عبدالسلام هذا، كما تقدم ذكره ونزل معه عبدالسلام في السفينة إلى واسط واستوفى منه بالكلام والشيخ ساكت ولما وصل إلى واسط عقد مجلساً حضر فيه القضاة والشهود وادعى عبدالسلام على الشيخ أَنه وقف المدرسة واقتطع من مالها وأنكر الشيخ ذلك وكتب محضراً بما جرى وأمر الشيخ بالمقام بواسط ورجع عبدالسلام.

**قال ابن القادسي**: أفرد لشيخنا دار بواسط في درسه الديوان، وأفرد له من يخدمه، وكان عبدالسلام مداخلاً للدولة متواصلاً فسعى حتى رتب عميداً ببغداد وخلع عليه، ورد إليه استيفاء مال الضمان وأعطي الدار المقابلة لباب النوبي وجعلت ديوانه وكان ذلك سنة ستمائة.

**وذكر أبو المظفر**: أنه قبض عليه سنة ثلاث، واستصفيت أمواله، حتى أصبح يستعطى من الناس، وفي هذه المدة سلمت المدرستان التي بيده إلى ابن عمه أبي صالح ثم بعد ذلك توكل لأبي الحسن علي ابن الخليفة الناصر وكان ولي العهد ورد إليه النظر في أملاكه وإقطاعه ثم توجه في رسالة من الديوان إلى صاحب أربل.

**وَذَكَرهُ ابن النجار في تاريخه** وذمه ذماً بليغاً وذكر أنه لم يحدث بشيء.

**توفي في ثالث رجب، وقيل في خامسه وفي تاريخ ابن النجار يوم الجمعة لثمان خلون من رجب سنة إحدى عشرة وستمائة ودفن من يومه بمقبرة الحلبة شرقي بغداد.**

*** جاء في ترجمة سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب أبو الوليد الباجي الأندلسي التجيبي:**

**قال الذهبي:**

**الإمام العلامة الحافظ ذو الفنون** صاحب التصانيف برز في الحديث والفقه والأصول والأدب.

**قال القاضي عياض:**

**كثرت القالة في أبي الوليد** لمداخلته للرؤساء وولي قضاء أماكن تصغر عن قدره كأدريوله فكان يبعث إليها خلفاءه... ولما قدم من الرحلة إلى الأندلس وجد لكلام ابن حزم طلاوة إلا أنه كان خارجاً عن المذهب ولم يكن بالأندلس من يشتغل بعلمه فقصرت ألسنة الفقهاء عن مجادلته وكلامه واتبعه على رأيه جماعة من أهل الجهل وحل بجزيرة ميورقة فرأس فيها واتبعه أهلها فلما قام أبو الوليد كلموه في ذلك فدخل إلى ابن حزم وناظره وشهر باطله وله معه مجالس كثيرة قال: ولما تكلم أبو الوليد **في حديث الكتابة يوم الحديبية** الذي في صحيح البخاري قال بظاهر لفظه فأنكر عليه الفقيه أبو بكر الصائغ **وكفره بإجازته الكتب على رسول الله ﷺ النبي الأمي** وأنه تكذيب للقرآن فتكلم في ذلك من لم يفهم الكلام حتى أطلقوا عليه الفتنة وقبحوا عند العامة ما أتى به وتكلم به خطباؤهم في الجمع فصنف أبو الوليد رسالة بيّن فيها أن ذلك غير قادح في المعجزة فرجع بها جماعة.

**قلت: يجوز على النبي أن يكتب اسمه ليس إلا ولا يخرج بذلك عن كونه أمياً وما من كتب اسمه من الأمراء والولاة** إدماناً للعلامة يعد كاتباً فالحكم للغالب لا لما ندر[1].

*** جاء في ترجمة الكندي:**

**قال الذهبي:**

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٥٣٥.

**من أبناء الدنيا المشتغلين بها بإيثار مجالسة أهلها** وكان ثقة في الحديث والقراءات سامحه الله.

**وقال الشيخ الموفق:**

**كان الكندي إماماً في القراءة والعربية** وانتهى إليه علو الإسناد وانتقل إلى مذهبه لأجل الدنيا، لا أنه كان على السنة وأوصى إلي بالصلاة عليه والوقوف على دفنه ففعلت.

**وقال القفطي**: نزل دمشق وسافر مع فروخشاه إلى مصر واقتنى من كتب خزائنها عندما بيعت. إلى أن قال: وكان ليناً في الرواية معجباً بنفسه فيما يذكره ويرويه وإذا نوظر جبه بالقبيح ولم يكن موفق القلم رأيت له أشياء باردة **واشتهر عنه أنه لم يكن صحيح العقيدة.**

**قلت: ما علمت إلا خيراً وكان يحب الله ورسوله** وأهل الخير وشاهدت له فتيا في القرآن تدل على خير وتقدير جيد لكنها تخالف طريقة أبي الحسن فلعل القفطي قصد أنه حنبلي العقيدة وهذا شيء قد سمج القول فيه ولكن من قصد الحق من هذه الأمة فالله يغفر له أعاذنا الله من الهوى والنفس.

**وقال الموفق عبداللطيف:**

**اجتمعت بالكندي** وجرى بيننا مباحثات وكان شيخاً بهياً ذكياً ثرياً له جانب من السلطان لكنه كان معجباً بنفسه.

**قلت: أذاه لهذا القائل أنه لقبه بالمطحن.**

**ثم قال الموفق**: وجرت بيننا مباحثات فأظهرني الله عليه في مسائل كثيرة ثم أني أهملت جانبه[١].

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢٢ ص ٣٧.

# الفصل الرابع
# موقف المسلم من تحاسد العلماء

رحم الله أهل العلم فإنهم قعدوا قاعدة (كلام الأقران يطوى ولا يروى) **ويطرح ولا يجعل طعناً ويعامل الرجل بالعدل والقسط**[٢].

**ومقصودهم في ذلك أن كثيراً مما رمى به الأقران سببه التنافس** وله نصيب من الحسد ورحم الله من قال:

| | |
|---|---|
| إذا ما قال حبر قول حق | وبعض معاصريه صد عنه |
| فإما أن يكون له **حسوداً** | يعاديه على ما كان منه |
| وإما أن يكون به جهولاً | وصد الغمر عنه لم يشنه[٣] |

**وقبل أن أبين موقف المسلم من تحاسد العلماء** أحببت أن أجمع شيئاً مما كتب **ابن الجوزي** رحمه الله في ذلك مما تفرق في صيد خاطره.

**قال رحمه الله تعالى:**

**لقد رأيت أقواماً من العلماء حملهم حب الصيت** على أن استخرجوا إذناً من السلطان فدفنوا في **دكة أحمد بن حنبل** وهم يعلمون أن هناك خلقاً بعضهم على بعض، وما فيهم إلا من يعلم أنه ما يستحق القرب من مثل

---

(١) انظر ص ٤ من رسالة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد للذهبي تحقيق علي حسن عبدالحميد.

(٢) الشرع المتين ص ٣٩٩ للمعصومي.

ذلك فأين احتقار النفوس، أما سمعوا أن **عمر بن عبدالعزيز** قيل له: تدفن في الحجرة؟ فقال: لأن ألقى الله بكل ذنب ما خلا الشرك أحب إلي من أن أرى نفسي أهلاً لذلك، لكن العادات وحب الرياسة غلبت على هؤلاء فبقي العلم يجري على الألسن عادة لا للعمل به، **ثم آل الأمر إلى جماعة حالفوا السلاطين وباشروا الظلم يزاحمون على الدفن بمقبرة أحمد،** ويوصون بذلك فليتهم أوصوا بالدفن في موضع فارغ، إنما يدفنون على موتى، ويخرج عظام أولئك فيحشرون على ما ألفوا من الظلم في موتهم، **وينسون أنهم كانوا من أعوان الظلمة** أترى ما علموا أن مساعد الظالم ظالم؟ وفي الحديث: **«كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة»**.

**قال السجان لأحمد بن حنبل:** هل أنا من أعوان الظلمة؟ فقال: لا أنت من الظلمة، إنما أعوان الظلمة من أعانك في أمر.

**وقال رحمه الله:**

### في علماء الدنيا والآخرة:

**تأملت التحاسد بين العلماء،** فرأيت منشأه من حب الدنيا، فإن علماء الآخرة يتوادون ولا يتحاسدون، كما قال عز وجل: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[2] وكان أبو الدرداء يدعو كل ليلة جماعة من إخوانه، وقال الإمام **أحمد بن حنبل** لولد **الشافعي**: أبوك من الستة الذين أدعو لهم كل ليلة وقت السحر.

**والأمر الفارق بين الفئتين:** أن علماء الدنيا ينظرون إلى الرياسة فيها، ويحبون كثرة الجمع والثناء، وعلماء الآخرة بمعزل عن إتيان ذلك، وقد كانوا يتخوفونه ويرحمون من بلي به.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٠.

**وكان النخعي** لا يستند إلى سارية، وقال علقمة: أكره أن يوطأ عقبي، وكان بعضهم إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام عنهم كمثل راكب البحر وقد خب، فعنده شغل إلى أن يوقن بالنجدة، وإنما كان بعضهم يدعو لبعض ويستفيد منه لأنهم تصاحبوا فتوادوا فالأيام والليالي مراحلهم إلى سفر الجنة[1].

**وقال رحمه الله:**

**من ظن أنه خير من غيره فقد تكبر.**

**اعتبرت على أكثر العلماء والزهاد**[2] أنهم يبطنون الكبر فهذا ينظر في موضعه وارتفاع غيره عليه، وهذا لا يعود مريضاً فقيراً يرى نفسه خيراً منه، حتى إني رأيت جماعة يومىء إليهم من يقول: **لا أدفن إلا في دكة أحمد بن حنبل**، ويعلم أن في ذلك كسر عظام الموتى، ثم يرى نفسه أهلاً لذلك التصدر، ومنهم من يقول: ادفنوني إلى جانب مسجدي ظناً منه أنه يصير بعد موته مزوراً كمعروف الكرخي.

**وهذه خلة مهلكة ولا يعلمون**، قال النبي ﷺ: «**من ظن أنه خير من غيره فقد تكبر**»، وقل من رأيت إلا وهو يرى نفسه[3].

**والعجب كل العجب ممن يرى نفسه**، أتراه بماذا رآها، إن كان بالعلم فقد سبقه العلماء، وإن كان بالتعبد فقد سبقه العبّاد، أو بالمال فإن المال لا يوجب بنفسه فضيلة دينية، فإن قال: قد عرفت ما لم يعرف غيري من العلم في زمني، فما علي ممن تقدم، قيل له: ما نأمرك يا حافظ القرآن أن ترى نفسك في الحفظ كمن يحفظ النصف، ولا يا فقيه أن ترى نفسك في العلم كالعامي، إنما نحذر عليك أن ترى نفسك خيراً من ذلك الشخص المؤمن وإن قل علمه، فإن الخيرية بالمعاني لا بصورة العلم والعبادة.

---

(١) صيد الخاطر ص ٤٨.

(٢) قوله: اعتبر عليه، لا تعرفه العربية إلا بتأويل.

(٣) لا يزال هذا التعبير مستعملاً بمعنى تكبر عند عوام الشوام.

**ومن تلمح خصال نفسه وذنوبها** علم أنه على يقين من الذنوب والتقصير وهو من حال غيره على شك فالذي يحذر منه الإعجاب بالنفس، ورؤية التقدم في أحوال الآخرة، والمؤمن لا يزال يحتقر نفسه، وقد قيل لعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: إن مت ندفنك في حجرة رسول الله ﷺ فقال: لأن ألقى الله بكل ذنب غير الشرك أحب إلي من أن أرى نفسي أهلاً لذلك.

**وقد روينا أن رجلاً من الرهبان** رأى في المنام قائلاً يقول له: فلان الإسكافي خير منك، فنزل من صومعته فجاء إليه فسأله عن عمله فلم يذكر كبير عمل فقيل له في المنام: عد إليه وقل له: ممَ صفة وجهك؟

**فعاد إليه فسأله** فقال: ما رأيت مسلماً إلا وظننته خيراً مني فقيل له: فبذاك ارتفع[1].

**وقال أيضاً:**

**من عرف الشرع كما ينبغي وعلم حالة الرسول** ﷺ وأحوال الصحابة وأكابر العلماء علم أن أكثر الناس على غير الجادة، ويطلب كل واحد منهم عورة أخيه، ويحسده إن كانت نعمة، ويشمت به إن كانت مصيبة، ويتكبر عليه إن صح له، ويخادعه لتحصيل شيء من الدنيا، ويأخذ عليه العثرات إن أمكن، هذا كله يجري بين المنتمين إلى الزهد لا الرعاع، فالأولى بمن عرف الله سبحانه وعرف الشرع وسير السلف الصالحين الانقطاع عن الكل فإن اضطر إلى لقاء منتسب إلى العلم والخير تلقاه وقد لبس درع الحذر، ولم يطل معه الكلام، ثم عجل الهرب منه إلى مخالطة الكتب التي تحوي تفسير النطاق الكمال[2].

**وقال أيضاً في: نصيحة العلماء والزهاد:**

**يا قوم قد علمتم أن الأعمال بالنيات**، وقد فهمتم قوله تعالى: ﴿أَلَا

---

(١) صيد الخاطر ص ٢٥٠، ٢٥١.

(٢) صيد الخاطر ص ٢٥٥.

﴿لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[1] وقد سمعتم عن السلف أنهم كانوا لا يعملون ولا يقولون حتى تتقدم النية وتصح، أيذهب زمانكم يا فقهاء في الجدل والصياح وترتفع أصواتكم عند اجتماع العوام تقصدون المغالبة أوَ ما سمعتم من طلب العلم ليباهي به العلماء أو ليماري به السفهاء أو ليصرف به وجوه الناس إليه لم يرح رائحة الجنة، ثم يقدم أحدكم على الفتوى وليس من أهلها، وقد كان السلف يتدافعون.

**ويا معشر المتزهدين إنه يعلم السر وأخفى** أتظهرون الفقر في لباسكم وأنتم تستوفون شهوات النفوس، وتظهرون التخاشع والبكاء في الجلوات دون الخلوات، كان ابن سيرين يضحك ويقهقه فإذا خلا بكى أكثر الليل وقال سفيان لصاحبه: ما أوقحك تبكي والناس يرونك. . .

**آه للمرائي من يوم** ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾﴾[2] وهي النيات فأفيقوا من سكركم وتوبوا من زللكم واستقيموا على الجادة أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله[3].

**وقال: أكثر الناس حائدون عن الشريعة وكذلك العلماء والزهاد.**

**رأيت جمهور الناس حائدين عن الشريعة** جارين على ما ألفوا من العادة، وقد يخلص منهم فريقان علماء وعباد فتأملت جمهور أهل العلم فرأيتهم في تخليط: منهم من يقتصر على معاملات الدنيا ويعرض عن معاملات الآخرة إما لجهله أو. . . أمرها عليه، فهو يجري على ما يثقل عليه مما يوجبه العلم، ويتبع في الباقي العادات وربما تخايل أنه يسمح في الخطايا لكونه عالماً وقد نسي أن العلم حجة عليه.

**ومنهم من هو واقف مع صورة العبد غافل عن المقصود بالعبد.**

**وفيهم من يحفظ السلطان** فيتأذى المخالط بما يرى من الذنوب والظلم

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣.
(٢) سورة العاديات، الآية: ١٠.
(٣) صيد الخاطر ص ٣٩٨.

ولا يمكنه دفعه. . . وربما مدح ويتأذى السلطان فيقول: لولا أني على صواب ما جالسني هنا ويتأذى العوام فيقولون: لولا أن أمر السلطان قريب ما خالطه هذا العالم، ورأيت الأشراف يثقون بشفاعة آبائهم وينسون أن اليهود من بني إسرائيل.

**وأما الفريق الثاني** وهم العباد فرأيت أكثرهم في تخليط، أما الصحيحو القصد منهم فعلى غير الجادة في أكثر عملهم قد وضع لهم جماعة من المتقدمين كتباً فيها دفاين قبيحة، وأحاديث غير صحيحة، ويأمرون فيها بأشياء تخالف الشريعة، مثل كتب الحارث المحاسبي، وأبي عبدالله الترمذي، وقوت القلوب لأبي طالب المكي، وكتاب الأحياء لأبي حامد الطوسي فإذا فتح المبتدىء عينه وهمّ بسلوك الطريق بهذه الكتب فحملته إلى الخطايا لأنهم قد بنوا على أحاديث محالة ويذمون الدنيا ولا يدرون ما المذموم منها فيتصور المبتدىء ذم ذات الدنيا فيهرب المنقطع إلى الجبل وربما فاتته الجماعة والجمعة ويقتصر على البلوط والكمثرى فيورثه القولنج ويقنع بعضهم بشرب اللبن فينحل الطبع أو يأكل الباقلاء والعدس فيحدث له قراقر.

**وإنما ينبغي لقاصد الحج** أن يرفق أولاً بالناقة ليصل ألا ترى للفطن من الأتراك يهتم بفرسه قبل تحصيل قوت نفسه وربما تصدى القاص لشرح أحوال قوم من السلف والمتزهدين فيتبعهم المريد فيتأذى بذلك **ومتى رددنا ذلك المنقول وبينا خطأ فاعله قال الجهال: أترد على الزهاد؟** وإنما ينبغي اتباع الصواب ولا ينظر إلى أسماء المعظمين في النفوس.

**فإنا نقول: قال أبو حنيفة: ثم يخالفه الشافعي وإنما ينبغي أن يتبع الدليل.**

**قال المروزي**: مدح أحمد بن حنبل النكاح فقلت له: قد قال إبراهيم بن أدهم، فصاح وقال: وقعنا في بنيات الطريق عليك بما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

**وتكلم أحمد في الحارث المحاسبي** ورد على سري السقطي حين

قال: لما خلق الله الحروف وقفت الألف وسجدت الياء فقال: نفروا الناس عنه.

**فالحق لا ينبغي أن يحابى** فإنه جد وإني أرى أكثر الناس قد حادوا عن الشريعة وصار كلام المتزهدين كأنه شريعة لهم فيقال: قال أبو طالب المكي: كان من السلف من يزن قوته بكربه فينقص كل يوم[١].

**وقال أيضاً:**

**من رزقه الله تعالى العلم والنظر في سير السلف**، رأى أن هذا العلم ظلمة، وجمهورهم على غير الجادة، والمخالطة لهم تضر ولا تنفع، فالعجب لمن يترخص للأرفع والأعلى في العلم والعمل ليستفاد منه، فأما مخالطة الدون فإنها تؤذي، إلا أن يكون عامياً يقبل من معلمه، فينبغي أن يخالط بالاحتراز، وفي هذا الزمان إن وقعت المخالطة للعوام فهم ظلمة مستحكمة، فإذا ابتلي العالم بمخالطتهم فليشمر ثياب الحذر ولتكن مجالسته إياهم للتذكرة والتأديب فحسب.

**وإن وقعت المخالطة للعلماء فأكثرهم على غير الجادة**، مقصودهم صورة العلم لا العمل به، فلا تكاد ترى من تذاكره أمر الآخرة إنما شغلهم الغيبة وقصد الغلبة واجتلاب الدنيا ثم فيهم من الحسد للنظراء ما لا يوصف.

**وإن وقعت المخالطة للأمراء** فذاك تعرض لفساد الدين لأنه إن تولى لهم ولاية دنيوية فالظلم من ضروراتها، لغلبة العادة عليهم والإعراض عن الشرع، وإن كانت ولاية دينية كالقضاء فإنهم يأمرونه بأشياء لا يكاد يمكنه المراجعة فيها، ولو راجع لم يقبلوا، وأكثر القوم يخاف على منصبه فيفعل ما أمر به وإن لم يجز، وربما رأيت في هذا الزمان أقواماً يبذلون المال ليكونوا قضاة أو شهوداً ومقصودهم الرفعة، ثم أكثر الشهود يشهد على من لا يعرفه ويقول: إنه معرف، ويدري أنه كذاب، وإنه إنما عرف لأجل حبة

---

(١) صيد الخاطر ص ٣٩٨، ٣٩٩.

يعطاها وكم وقعت شهادة على غير المشهود عليه وعلى مكره.

**وإن وقعت المخالطة للمتزهدين** فأكثرهم على غير الجادة وعلى خلاف العلم، وقد جعلوا لأنفسهم نواميس، فلا ينتسبون ولا يخرجون إلى سوق، ويظهرون التشيع الزائد، وكله نفاق، وفيهم من يلبس الصوف تحت ثيابه وربما تلوح بكمه ليرى وقد حكي عن طاهر بن الحسين أنه قال لبعض المتزهدين: مذ كم قدمت العراق؟ **قال: دخلتها منذ عشرين سنة وأنا منذ ثلاثين سنة صائم، قال: سألناك مسألة فأجبت عن اثنتين**[1].

**وقال أيضاً: نقائص العلماء:**

**رأيت أكثر العلماء يتشاغلون بصورة العلم،** فهمّ الفقيه: التدريس، وهمّ الواعظ: الوعظ، فهذا يرعى درسه فيفرح بكثرة من يسمعه، ويقدح في كلام من يخالفه، ويمضي زمانه في التفكر في المناقضات، ليقهر من يجادله، وعينه إلى التصدر والارتفاع في المجالس، وربما كانت همته جمع الحطام، ومخالطة السلاطين، والواعظ همته ما يزوق به كلامه ويكثر جمعه ويجلب به قلوب الناس إلى تعظيمه فإن كان له نظير في شغله أخذ يطعن فيه، وهذه القلوب غافلة عن الله عز وجل، إذ لو كانت لها به معرفة لاشتغلت به، وكان أنسها بمناجاته وإيثارها لطاعاته، وإقبالها على الخلو به، لكنها لما خلت من هذا تشاغلت بالدنيا وذاك دنيا مثلها.

**فإذا خلت بخدمة الله تعالى** لم تجد لها طعاماً، وكان جمع الناس أحب إليها، وزيارة الخلق لها آثر عندها، وهذه علامة الخذلان، وعلى ضد هذا متى كان العالم مقبلاً على الله سبحانه بطاعته كان أصعب الأشياء عنده لقاء الخلق ومحادثتهم، وأحب الأشياء إليه الخلوة، وكان عنده شغل عن القدح في النظراء أو عن طلب الرياء فإن ما علق به همته من الآخرة أعلى من ذلك، والنفس لا بد لها مما تشاغل به، فمن اشتغل لخدمة الخلق أعرض عن الحق فإنما يربي رياسته وذلك يوجب الإعراض عن الحق وما

---

(١) صيد الخاطر ٢٩٣.

جعل الله لرجل من قلبين في جوفه[1].

**وقد عقد الإمام الحافظ ابن عبدالبر في كتابه جامع بيان العلم وفضله فصلاً بعنوان:**

**باب حكم قول العلماء بعضهم في بعض:**

**روى في صدره ما ورد** عن ابن عباس أنه قال: استمعوا علم العلماء ولا تصدقوا بعضهم على بعض فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغايراً من التيوس في زروبها.

**ثم روى عن الإمام الثقة العابد سلمة بن دينار** أنه قال: العلماء كانوا فيما مضى من الزمان إذا لقي العالم من هو فوقه في العلم كان ذلك يوم غنيمة، وإذا لقي من هو مثله ذاكره، وإذا لقي من هو دونه لم يزه عليه، حتى كان هذا الزمان فصار الرجل يعيب من هو فوقه ابتغاء أن ينقطع منه حتى يرى الناس أنه ليس به حاجة إليه ولا يذاكر من هو مثله ويُزْهِي على من هو دونه فهلك الناس.

**ثم عقب ابن عبدالبر بقوله**: هذا باب قد غلط فيه كثير من الناس وضلت به نابتة جاهلة لا تدري ما عليها في ذلك.

**والصحيح في هذا الباب أن من صحت عدالته وثبتت في العلم أمانته وبانت ثقته وعنايته بالعلم لم يلتفت فيه إلى قول أحد إلا أن يأتي في جرحته ببينة عادلة تصح بها جرحته على طريق الشهادات.**

**ثم قال:**

**والدليل على أنه لا يقبل فيمن اتخذه** جمهور من جماهير المسلمين إماماً في الدين قول أحد من الطاعنين: أن السلف رضوان الله عليهم قد سبق من بعضهم في بعض كلام كثير في حال الغضب ومنه ما حمل على

(١) صيد الخاطر ص ٣٥٤، ٣٥٥.

**الحسد**، كما قال ابن عباس ومالك بن دينار وأبو حازم، ومنه ما هو على وجه التأويل مما لا يلزم القول فيه ما قاله القائل فيه.

**ثم ساق بأسانيده أخباراً في ذلك فظيعة وآثاراً مروية شنيعة** وقال: وقد كان بين أصحاب رسول الله ﷺ وجلة العلماء عند الغضب كلام هو أكثر من هذا ولكن أهل الفهم والعلم والميز لا يلتفتون إلى ذلك، لأنهم بشر يغضبون ويرضون، والقول في الرضا غير القول في الغضب ولقد أحسن القائل:

**لا يعرف الحلم إلا ساعة الغضب.**

**وقال:**

**فمن أراد أن يقبل قول العلماء الثقات الأئمة الأثبات** بعضهم في بعض، فليقبل قول من ذكرنا قوله من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بعضهم في بعض، فإن فعل ذلك ضل ضلالاً بعيداً وخسر خسراناً مبيناً... فإن لم يفعل ولن يفعل إن هداه الله وألهمه رشده فليقف عند ما شرطنا في أن لا يقبل فيمن صحت عدالته وعلمت بالعلم عنايته وسلم من الكبائر ولزوم المروءة والتعاون وكان خيره غالباً وشره أقل عمله لا يقبل فيه قول قائل لا برهان له به فهذا هو الحق الذي لا يصح غيره إن شاء الله[1].

## إن حسن الظن بالناس واجب فما بالكم بالعلماء:

**قال ابن سيرين رحمه الله**: إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذراً فإن لم تجد فقل: لعل له عذراً[2].

**ورحم الله الإمام الشافعي إذ قال**: وددت أن الناس يتعلمون هذه الكتب ولا ينسب إلي منها شيء[3].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/١٥٠، ١٦٣.

(٢) التوبيخ لأبي الشيخ برقم ٩٧.

(٣) مناقب الشافعي ١/١٧٤.

ونذكر هنا شيئاً من أقوال العلماء والأئمة الذين إليهم ننتسب، وبهم نتأسى.

**قال ابن سيرين:** ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم وتكتم خيره.

**وقال أبو الدرداء:** أيما رجل أشاع على امرىء مسلم كلمة وهو منها بريء لشينه بها كان حقاً على الله أن يعذبه بها يوم القيامة في النار حتى يأتي بنفاذ ما قال.

**وما أجمل قول أبي العتاهية:**

ومن ذا الذي ينجو من الناس سالما ... ولـلـنـاس قـالٌ بـالـظـنـون وقـيـل

**وما أحسن قول الإمام الشوكاني** واصفاً بعض ما جرى له من كائنات عجيبات من بعض من ظنهم إخواناً له، وأصحاباً وتلاميذ:

هـم أخـذوا عـنـي الـعـلـوم بـذلـة ... فـلـمـا حـووهـا عـامـلـوني بـغـلـظـة
هـم أظـهـروا عـنـد الـلـقـاء لـيـونـة ... فـلـمـا تـولـوا أظـهـروا كـل شـدة
هم الخرس إن قلت الصواب وإن أقل ... خطأً يطيروا في المـلأ بِغُلَيْطِتي
هـم نـقـلـوا عـنـي الـذي لـم أقـل بـه ... هـم أوحشوا بيني وبين أحبتي[(1)]

**ومما يخفف هذا الأمر أن يقال:**

**قد قيل: إن الحسد أمر فطري** لم يفطر الله الناس عليه، فإن الله فطر النفس الإنسانية على الخير، لكنها بطبعها تميل إلى الشر، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾[(2)].

**والعقلاء يجب أن يوطنوا أنفسهم** وأن يلزموها تقوى الله فلا تزل

---

(١) انظر مقدمة محقق الفارق بين المصنف والسارق للسيوطي ص ٣٣، ٣٤.
ونقل في الهامش عن الصنعاني قال: وليس أحد من أفراد العلم إلا وله نادرة أو بادرة ينبغي أن تغمر في جنب فضله وتجتنب.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

أرجلهم إلى الأمراض القلبية ومنها الحسد.

**قال أبو بكر الرازي:**

**إن العاقل قد يذم ببصيرة نفسه الناطقة،** وقوة نفسه الغضبية نفسه البهيمية، حتى يردها من إصابة الأشياء اللذيذة الشهية فضلاً عما لا شهوة ولا لذة فيه، وفيه مع ذلك معزة النفس والبدن جميعاً.

**وأقول: إن الحسد مما لا لذة فيه وإن كان فيه شيء فإنه أقل كثيراً من سائر الأشياء من اللذات وهو مضر بالنفس والجسد.**

**أما النفس فلأنه يذهلها** ويضر فكرها، ويشغلها حتى لا تفرغ للتصرف فيما يعود نفعه على الجسد وعليها، لما يعرض معه للنفس من العوارض الردية مثل طول الحزن والهم والفكر.

**وأما بالجسد فلأنه يعرض له عند حدوث هذه الأعراض للنفس طول السهر** وسوء الاعتذار ويعقب ذلك رداءة اللون وسوء الهيئة وفساد المزاج. وإذا كان العاقل يذم بعقله الهوى، المقرب إليه الشهوات اللذيذة، بعد أن تكون مما يعقب مضرة فأولى به وأولى أن يجتهد في محو هذا العارض عن نفسه ونسيانه والإضراب عنه وترك التفكير فيه متى خطر بباله وأيضاً فإن الحسد نعم العون والمنتقم من الحاسد للمحسود.

**وذلك أن يدعم همه وغمه ويذهب عقله** ويعذب جسده ويوهن بإشغال نفسه وإضعاف جسده كيده للمحسود وسعيه عليه إن دام ذلك.

**فأي رأي هو أولى بالتسفيه والترذيل** من الذي لا يجلب على صاحبه إلا ضرراً وأي سلاح أحق وأولى بالاطراح من الذي هو جنة لعدو وجارح للحامل[١].

**ومن هنا وجب على العقلاء** أن ينتبهوا إلى قلوبهم فليلزموا التقوى ويحولوا دونها والكبر ودونها والخصومة ودونها والغيبة ودونها والذم. . . من

---

(١) الطب الروحاني ٧٦.

أجل تهذيب أخلاقهم ونفوسهم.

### * الحسد خصلة نفسية تتنافى مع الإيمان:

**أخرج النسائي عن رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب: الإيمان والحسد»[1].**

**ذلك أن الإيمان يدعو إلى التواضع والحكم** ولين الكلام وتهذيب الأخلاق والإيثار على النفس وحب الناس، والحب في الله، والبغض في الله، لا للمزاحمة على المعايَن أو على المكانة العلمية أو على الجاه والسلطان.

**أما الحسد فهو شر يأتي من شر** يتملك على القلوب فيحولها إلى قلوب متحجرة لا تحب في الله، تتعالى على العباد تبغض وتذم وترفض وتفحش من أجل غرض دنيوي، أو غرض مالي، أو جاه سيزول، فهذه أغلقت أبصارها عن الآخرة وأعمالها، وهنالك يتساوى الناس وتأتي القلوب إما بصفاتها أو تكدرها محدثة عن نفسها.

### القدر الواجب في نفي الحسد عن القلوب:

**اعلم أن المؤذي ممقوت بالطبع،** ومن آذاك فلا عليك أن لا تبغضه غالباً، فإذا تيسرت له نعمة فلا عليك أن لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينها تفرقه ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له، ولكن له قوى ذلك فيك حتى بعثك على إظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بأفعالك الاختيارية فأنت حسود عاص بحسدك وإن كففت ظاهرت بالكلية إلا أنك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت أيضاً حسود عاص لأن يحسد صفة القلب لا صفة العقل قال الله تعالى:

---

(١) الطب الروحاني.

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾[1]، **وقال الله** عز وجل: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾[2]، وقال: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾[3].

**أما الفعل فهو غيبة وكذب** وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل معصية بينك وبين الله تعالى، وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح فأما إذا كففت ظاهرك وألزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد أديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا، فأما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه أو غمه بما تيسر لهما من نعمة أو تنصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاول الطبع عليه ما دام متلفتاً إلى حظوظ الدنيا إلا أن يصير مستغرقاً بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي أمره إلى أن لا يلتفت فيه إلى تفاصيل أحوال العباد، بل ينظر إلى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وأفعالهم لله ويراهم مسخرين وذلك إن كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه ويعود العدو إلى منازعته أعني الشيطان فإنه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهة وألزمه قلبه هذه الحالة فقد أدى ما كلفه.

**وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يأثم إذا لم يظهر الحسد** لما روي عن **الحسن** أنه سئل عن الحسد فقال: غمه لا يضرك ما لم تبده.

**وروي عنه موقوفاً ومرفوعاً إلى النبي** ﷺ أنه قال: «**ثلاثة لا يخلو منهم المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من الحسد أن لا يبغي**».

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.

**والأولى أن يحمل على ما ذكرناه** من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو، وتلك الكراهة تمنعه من البغي والإيذاء فإن جميع ما ورد من الأخبار في ذم الحسد يدل في ظاهره على أن كل حاسد آثم ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الأفعال فكل من يحب إساءة مسلم فهو حاسد، فإذن كونه آثماً بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والأظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار، ومن حيث المعنى إذ يبعد أنه يعفى عن العبد في إرادته إساءة مسلم واشتماله بالقلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا أن لك في أعدائك ثلاثة أحوال:

**أحدها**: أن تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك، وميل قلبك إليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعاً لأنه لا يدخل تحت الاختيار.

**الثاني**: أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته إما بلسانك أو بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعاً.

**الثالث**: وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقت لنفسك على حسدك من غير إنكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا في محل الخلاف والظاهر أنه لا يخلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله تعالى أعلم[١].

**وأيضاً فإن مما يمحو الحسد عن النفس ويطيب لها الإقلاع عنه** أن يتأمل العاقل أحوال الناس من ترقيهم في المراتب ووصولهم إلى المطالب وأحوالهم مما صاروا إليه من هذين البابين ويجيد التثبت فيه على ما نحن ذاكروه ههنا، فإنه سيهجم منه على أن حالة الحسود عند نفسه خلافها عند الحاسد، وأن ما يتصوره الحاسد من عظمها وجلالتها ونهاية غبطة المحسود وعتقه بها ليس كذلك.

**أقول**: إن الإنسان لا يزال يستعظم الحالة ويستجلها ويود ويتمنى بلوغها

---

(١) الإحياء ١٩٦/٣.

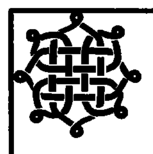
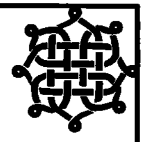
والوصول إليها ويرى بل لا يشك أن الذين قد نالوها وبلغوها هم في غاية الاغتباط والاستمتاع بها، حتى إذا بلغها ونالها لم يفرح ولم يسر بها إلا مديدة يسيرة، بقدر ما يستقر فيها ويتمكن منها ويعرف بها ويكون هذه المديدة عند نفسه مسعوداً مغتبطاً بها، حتى إذا حصلت له هذه الحالة المتمناة كانت واستحكم كونه فيها وملكه لها ومعرفة الناس لديها، سمت نفسه إلى ما هو فوقها، وتعلقت أمنيته بما هو أعلى منها، فاستقل واسترذل حالته التي هو فيها، التي قد كانت من قبل غايته وأمله وصار بين هم وخوف، أما الخوف فمن النزول عن الدرجة التي نالها وحصلها وأما الهم فبالتي يقدر بلوغها فلا يزال متقنطاً لها ومتنغصاً بها، زارياً عليها متعب الفكر والجسد في إعمال الحيلة للتنقل عنها والترقي منها إلى ما سواها ثم تكون حالته في الثانية كذلك وفي الثالثة إن بلغها وفي كل ما نال ووصل إليه منها.

**وإذا كان الأمر كذلك فيحق على العاقل أن لا يحسد أحداً على فضل من دنيا ناله مما يستغني عنه في إقامة الدين،** وأن لا يظن أن أصحاب الفضل فيها والإكثار منها لهم من فضل الراحة واللذة بحسب ما عندهم من فضل عروض الدنيا، وذلك أن هؤلاء لمطاولة هذه الحال ودوامها يصيرون بعد الراحة واللذة ودوامها إلى أن لا يلتذوا بها، لأنها تصير عندهم بمنزلة الشيء الطبيعي الاضطراري في بقاء العين، فيقرب من أجل ذلك التذاذهم بها من التذاذ كل ذي حالة بحالته المعتادة.

**وكذلك تكون قضيتهم في قلة الراحة،** وذلك أنه من أجل أنهم لا يزالون مجدين منكمشين في الترقي والعلو إلى ما فوقهم تقل راحتهم حتى إنها ربما كانت أقل من راحة من هو دونهم، . . بل هي في أكثر الأمور دائماً أبداً كذلك فإذا لاحظ العاقل هذه المعاني وتأملها آخذاً فيها بعقله طارحاً لهوه علم أن الغاية التي يمكن بلوغها من لذاذة العين وراحته هي الكفاف وأن ما فوقه من أحوال المعاش مقارب في ذلك بعض لبعض بل للكفاف دائماً فضل الراحة عليها فأي وجه للتحاسد إلا الجهل بها واتباع الهوى دون العقل فيها[١].

---

(١) انظر الطب الروحاني ٧٨.

# القسم الثالث

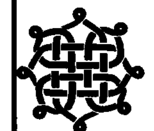
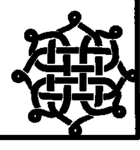
# محن وردود

ويشتمل على الفصول الآتية

الفصل الأول: المحن

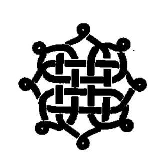
الفصل الثاني: الردود

فصل في المتفرقات



# القسم الثالث:
# محن وردود



**لم تعقم الأمة الإسلامية**، وهي الودود الولود، من إنجاب علماء عاملين، أو شخصيات إسلامية، جمعوا بين العلم الغزير والرجولة الحقة، بعد أولئك الذين امتُحنوا في دينهم، وعُذبوا من أجل إسلامهم، الذين أحبوا الموت في سبيل الله، كما أحب غيرهم الحياة، من علماء السلف الصالح رضوان الله عليهم، بل لم يضن الله سبحانه وتعالى، وهو الجواد الكريم، على عباده المؤمنين، بأن جعل منهم صفوة طيبة، من أهل العلم والمعرفة في كل حين، تنذر وتبشر، وترشد وتعلم، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، تمنع الظلم، وتنصر المظلومين، وتبين طريق الفلاح والنجاح، طريق الإسلام المستقيم، سلكه درب أولئك العلماء الرجال، في طريق حمل الدعوة الإسلامية، وتحكيم شرع الله في كل علاقات المجتمع، علاقات الدولة، وعلاقات الأفراد والجماعات، محاسبين الحكام ناصحين الرعاة، واقفين بشجاعة بوجه الكافر المستعمر، وعملائه وأذنابه، من حكام الظلم والسوء، من الذين فرطوا في جنب الإسلام وساموا أمته عذاب الهون.

**وإني حين ذكرت محن أولئك السادة العلماء** من أئمة الدين ومشايخ الإسلام، لم أقصد بذلك حصرها فيهم، ووقوفها عند حدهم، وإنما قصدت الاستشهاد على اختلاف نوعية تلك المحن، في كل عصر، وفي كل مصر، من أرض الإسلام المباركة، وستبقى المحن تنزل بالعلماء الرجال، ما دام هناك حكام تركوا الحكم بما أنزل الله، وتضيق صدورهم في المطالبة به،

وحمل الدعوة إليه، وما دام هناك علماء يؤدون واجبهم الشرعي وينطبق عليهم وصف العلماء الذين يريدون الإسلام[1].

**ولكن كان من المحنة** أن يرد على العالم: من هو دونه، أو من يرد بالسفه والجهل، لذا كان هذا القسم يدور حول الأمرين معاً:

الفصل الأول: المحن.

الفصل الثاني: الردود.

---

(١) من كتاب الإسلام بين العلماء والحكام لعبدالعزيز البدري ص ٢١٤، ٢١٥.

# الفصل الأول:
# المحن

**إن المحن التي يبتلى بها العلماء** يكون كثير منها ناشئاً عن الحقد والحسد، وقد مر بنا في ثنايا هذا الكتاب شيء، وذلك في محن الإمام أحمد وابن تيمية وابن عبدالوهاب وغيرهم.

**وقد رأيت أن أختم** هذه الموسوعة بتراجم أئمة ابتلوا فصبروا وعذبوا فنفوا.

**يقول الشيخ عبدالعزيز البدري**[٢]:

**من سنة الله تعالى في خلقه** أن يقع النزاع بين الفجور والتقوى، وأن تكون الغلبة للتقوى في نفس من هدى الله، والخسران للفجور في نفس من أضل الله، ولذلك ومنذ القدم كان ولا يزال التنازع يقع بين الخير والشر والعدل والظلم، والحق والباطل، فمنذ أن عصى إبليس أمر ربه في السجود لآدم بدأ الشر المتمثل بإبليس يتنازع مع الخير المتمثل في أمر الله تعالى، ولكن مهما طال النزاع واشتد، ومهما كسب الشر من نصر، فالبقاء للخير لأنه الأصلح، ولأن سنة الخالق العظيم قضت بذلك.

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾[٣] ﴿وَلَوْلَا

(١) الإسلام بين العلماء والحكام لعبدالعزيز البدري ص ٢١٦ ـ ٢١٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨١.

﴿دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[1].

**أي ولولا دفع الله** بعض الناس عن المنكرات والمعاصي بسبب البعض لفسدت الأرض.

**ولا ريب أن المدافعين هم العلماء والفقهاء** القائمون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن أمر الله هو الحق والعدل والخير، وأن هوى إبليس هو الباطل، والظلم والشر، ومن اتبع هوى إبليس كان من جنده وأنصاره وعبيده، لذلك وقع النزاع بين العلماء والحكام، وقع النزاع بين من يحمل أمر الله وبين من يتركه وراء ظهره، وكلما اشتد النزاع ثبت العلماء والسائرون على هديهم، وتفنَّن الحكام الظالمون في وسائل الكيد بهم، لإخماد صوت الحق والخير والعدل، وابتدعوا مختلف الوسائل لتحقيق ما يريدون، ومن ذلك فرض الإقامة الجبرية أو سجنهم أو نفيهم أو الحكم عليهم بالموت.

**وإن استطاع الحكام أن يحبسوا أجسام العلماء** فإن قلوب تلك الأجسام وعقولها، ظلَّت منطلقة تعرج تارة وتحط أخرى في ساحات التفكر ومواطن التأمل، ولم ولن يستطيع الحكام أن يعرقلوا عروجها أو ينكبوا سيرها، مهما أوتوا من براعة وخبث في ثقل القيود والأصفاد.

**إذن فلتكن السجون للعلماء** ما داموا يحملون قلوباً خاشعة لرب العالمين، وعقولاً مفكرة في آلاء الله ونعمه، وأعظم تلك النعم على الإطلاق ـ الدين ـ الإسلام الشريعة التي يحملون رايتها.

**أما العلماء** فقد كانوا يتلقون تلك الأوامر بصدر رحب راضين بقضاء الله تعالى، صابرين على هذه المحن وتلك الابتلاءات التي ترفع درجاتهم نحو الفردوس الأعلى أو تمحو لهم سيئاتهم.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٧﴾[1].

**إن تلك السجون كانت للعلماء عملية صهر وسبك خرجوا منها** كالكبريت الأحمر. اهـ.

وفيما يلي نماذج من هذه المحن:

*** أبو حنيفة النعمان بن ثابت:**

**كان الإمام أبو حنيفة** رضي الله عنه غير راض عن سياسة أبي جعفر المنصور بشكل عام، وخصوصاً قسوته وشدته مع خصومه، وخصوم آبائه العباسيين وكانت المخاصمة شديدة والقسوة عنيفة مع العلويين، ومن يظهر التودد إليهم أو الترحم عليهم.

**والإمام أبو حنيفة** كغيره من أئمة المسلمين وأجلاء العلماء، يحبون العلويين ولهم مكانة طيبة في قلوبهم.

**ثم إن الإمام رحمه الله تعالى** جريء في فتاواه، صريح في أجوبته، شديد في محاسبته لأبي جعفر، كثير النقد لأحكام قضاته، وتصرفات ولاته، تمثلت به رجولة العالم وشجاعة المؤمن، وصلابة الفقيه المتمسك بأحكام الشرع، لا يعرف نفاقاً، ولا يسلك طريقاً منحرفاً في دعوته، ولا يهاب سطوة سلطان، ولا يخشى قوة حاكم في قولة الحق، والمنصور أبو جعفر عرف هوى الإمام وأدرك نزعته السياسية والروحية، وتلك نزعة لم تنل رضاه، وهوى يغضبه وسلوك لا يريده، ولكن... ماذا يعمل مع رجال عالِم أوتي لساناً صادقاً وتأثيراً روحياً دفاقاً، يعمل ما لا يعمل الحسام، **لأن ألسنة العلماء وهي غضاب تعمل ما لا تعمل السيوف العِضاب**، ثم في أي درب يسير عليه المنصور مع إمام أحبه الناس وملك قلوبهم، فمنه تؤخذ الفتاوى وبه يقتدى، لسلامة قلبه وحسن سيرته وسعة علمه، ومزيد تقواه، وكلما تقرب منه شبراً ابتعد عنه الإمام ذراعاً ملتمساً بذلك إسكاته أو جره

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٧.

إلى صفوفه فكان قرباً لم يرد به وجه الله تعالى والدار الآخرة.

**لذلك فليس من السهولة والحالة هذه أن ينزل بإمامنا محنة** أو يوقع به أذى دون أن يلتمس المبررات التافهة، والذرائع الباطلة لتكون سبباً ظاهرياً لها.

**قص ذلك في الوقت الذي عجز أن يؤاخذ إمامنا الجليل** على موالاته لآل سيدنا علي رضي الله عنه تلك التي نعتقد أنها السبب الخفي المباشر لمحنته.

**ولا خير في هذه الموالاة** بل هي مما دعا إليه الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام.

**فلا حق لحاكم مثل أبي جعفر أن يؤاخذ أحداً بسببها،** ولكنها العصبية العاتية، وحب السلطان التي تعمي البصائر عن رؤية الحق الواضح.

**ومن الأسباب الظاهرة التي اتخذها المنصور ذريعة لمحنته الجائرة** أن أبا حنيفة كان جريئاً في بيان خطأ حكم القضاة في المسائل التي تعرض عليهم.

**لقد مر بنا إمامنا الممتحَن** إبان وجهة نظره في قتال أهل الموصل، وكان جوابه ذاك الذي أغاظ المنصور، فأسرها في نفسه واحتفظها عنده، وهنا أَبْرَزَ للمنصور سبباً آخر وطلباً قد يكون وجيهاً، وذريعة ظنها محكمة ليجعل منها [سبباً] في إنزال المحنة بإمامنا الجليل، والمنصور يعلم مسبقاً أن طلبه مردودٌ عليه أيضاً.

**ذلك هو توليه رئاسة القضاة في الدولة الإسلامية** فإن امتنع أخذه بهذا المنع، وأمام الناس، ملتمساً بذلك عذراً عند العوام، وهم سواد الناس، الذين لا يدركون بواطن الأمور ولا دوافع المطالب، مطالب الحكام، ثم إن أبا حنيفة وهو شيخ الفقهاء في العراق، وهو بحر في العلم لا تكدره الدلاء فمن الصواب أن يكره على تولي القضاء لرفع منار العدل والحق في أرجاء الدولة، وليس في الإكراه ظلم ظاهر عند العوام... وإن رضي بهذه التولية تم الصلح بينهما وحسم النزاع، وأمن الإنكار، وانتهت المناوأة، وأنّى له عند ذلك أن ينكر ويناوىء ويعترض وقد أصبح من رجالات الدولة، ومن

المسؤولين في الحكم والمشتركين فيه.

**بهذا سولت للمنصور نفسه فأقدم عليه بحزم.**

**استدعى المنصور أبا حنيفة** وعرض عليه تولي هذا المنصب الخطير، فامتنع وأعرض ولنسمع الحادثة من إمامنا نفسه:

**إن هذا دعاني للقضاء فأعلمته أني لا أصلح،** وإني لأعلم أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر، ولكنه لا يصلح للقضاء إلا رجل يكون له نفس يحكم بها عليك، وعلى ولدك وقوادك، وليس تلك النفس لي، إنك لتدعوني فما ترجع نفسي حتى أفارقك.

**وجاء في هذا الرفض في مجلس آخر عن الربيع بن يونس:** رأيت أمير المؤمنين ينازل أبا حنيفة في أمر القضاء وهو يقول له: اتق الله ولا تُودِعْ أمانتك إلا من يخاف الله، والله ما أنا بمأمون الرضا، فكيف أكون مأمون الغضب، ولو اتجه الحكم عليك ثم هددتني أن تغرقني في الفرات أو إلى الحكم لاخترت أن أغرق، لك حاشية يحتاجون إلى من يكرمهم لك فلا أصلح لذلك، فقال: كذبت إنك تصلح، فقال: قد حكمت على نفسك، كيف يحل لك أن تولي قاضياً على أمانتك كذاباً.

**وهنا حصل المنصور على ما يريد،** ونال ما يبيت في نفسه، فأنزل به المحنة، . . . أذكرها برواياتها كما رويت في كتب المناقب.

**روي عن داود بن راشد الواسطي أنه قال:** كنت شاهداً حين عذب الإمام ليتولى القضاء كان يخرج كل مرة فيُضرب عشرة أسواط حتى ضُرب عشرة ومائة سوط، وكان يقال له: اقبل القضاء، فيقول: لا أصلح، فلما تتابع عليه الضرب قال خفياً: اللهم أبعد عني شرهم بقدرتك، فلما أبى دسوا عليه السم فقتلوه[1].

---

(١) قتله بالسم غريب، ولم يوافق أحد على هذه الرواية فيما أعلم، والمنصور أتقى من أن يفعل ذلك، وعلى كلٍ فقد نقلت ذلك من كتاب البدري، والعهدة على الراوي، والله أعلم.

* **مالك بن أنس:**

**ومن على هذا المنبر كان العلماء ينهلون من معينه الذي لا ينضب** ومنه يستلم القادة العسكريون وأمراء الأجناد أوامر السير نحو الفتوحات.

**ويأخذ الحكام والولاة نصيبهم من التعليمات** والتوجيهات هناك بين القبر والمنبر، الروضة المباركة التي ما جلس أحد فيها هنيهة بروحه وجسده إلا وشعر أنه حقاً في الجنة من ذاك الرحاب الطاهر.

**كان الإمام مالك بن أنس** يأخذ كامل زينته من طيب ولباس، ووافر حظ من حسن الأدب جالساً على منصة متواضعة يبين للناس ويعلم هدي رسول الله ﷺ قائلاً: حدثني فلان بن فلان أن صاحب هذا القبر قد قال: والناس يسمعون، وكأنما على رؤوسهم الطير، وهم بين ناصت بكل جوارحه ليصون قلبه ويحفظ عقله، وبين كاتب يسجل على قراطس، وكان مما حدث به هذا الإمام الجليل قوله ﷺ: «**ليس على مستكره طلاق**».

... وما إن نطق بهذا الحديث الصحيح وإذا بالألسن تتداوله ذائعة أمره حتى شاع وانتشر بين الخلق في مدينة سيد الخلق عليه الصلاة والسلام.. ثم أخذت التأويلات لهذا الحديث تجري على قدم وساق، كل طائفة وجدت فيه بغيتها وعضت عليه بالنواجذ لأن فيه مستنداً شرعياً لما عزمت عليه من أمر وما بيتت من فعل.

**فالمناوئون لحكم أبي جعفر المنصور** وجدوا فيه مستنداً قوياً على التحلل من بيعة المنصور لأنها جاءت كما اعتقدوا عن طريق الإكراه، إذ قاسوا البيعة على الطلاق فقالوا: وليس على مستكره بيعة.

**وأنصار محمد بن عبدالله بن الحسن** رضي الله عنه وجدوا فيه متكأً حين خروج هذا الإمام الجليل.

**أما الحكام من أبي جعفر وولاته** فقد وجدوا في نشر هذا الحديث خطراً عليهم وعلى كيانهم لذلك حاولوا أن يمنعوا الإمام مالكاً من التحدث به.

**ولكنه لم يفعل**، وهددوه فلم يسمع، لأنه يؤمن بأن الله أوجب على العلماء أن يبينوا للناس ما نزل على رسوله محمد ﷺ ولا يكتمونه ولم يكن الإمام مالك من الجبناء الذين يكتمون أحكام الإسلام إرضاءً لهوى الحكام، أو خوفاً من بطشهم وجبروتهم أو أسواطهم وأغلالهم، عند ذاك نزلت المحنة ووقع الأذى، والسؤال الذي يرد: **من أنزل بإمامنا هذه المحنة فباء بإثمها وتولى كبرها وحصد شرها؟؟**.

**الروايات التاريخية تشير إلى ما يلي:**

**إن أبا جعفر نهاه أن يحدث بهذا الحديث** ثم دس إليه من يسأله عنه فحدث به على رؤوس الناس فضربه.

**ومثل هذا روى ابن عبدالبر في الانتقاء.**

**لما دعي مالك بن أنس وشُووِدَ وسمع منه** قوله شنف له الناس، وحسدوه **ونعتوه بكل شيء، فلما ولي جعفر بن سليمان على المدينة سعوا به إليه وكثروا عليه عنده وقالوا: لا يرى إيماناً ببيعتكم هذه شيء.**

**وهو يأخذ بحديث رواه:** ثابت بن الأحنف في «طلاق الكره لا يجوز»، بعد أن ذكر هياج أهل المدينة على المنصور في أول أمره، أنه أرسل إليهم ابن عمه جعفر بن سليمان فاشتد في أهل المدينة الخلاف وأخذت البيعة للخليفة فسعى حسدة الإمام مالك إلى الأمير أنه يفتي بألا يمين على مكره فيحل بهذا ما أبرمتموه مما قام على الاستكراه، فأراد أن يبدر فيه فقيل: لا تبدر فإنه أكرم الناس على الخليفة فدس إلى مالك بعض ثقاته فأفتاه على طمأنينة منه فلم يشعر إلا ورسول جعفر فيه فأتوا به فتنهك الحرمة وضربه سبعين سوطاً أضجعته بعد انتهاء الفتنة.

**والذي يبدو في هذه الروايات أن الذي تولى كبر هذه المحنة** ونفذها هو ابن عم المنصور جعفر بن سليمان وكان المنصور على علم بذلك وإن لم يكن من ظاهر الواقع ضارباً أو آمراً بالضرب.

**ونحن لا نستطيع أن ننفي أن يكون ذلك بعلم ورضا** من المنصور

الداهية الذي كان على علم بما يجري داخل دولته وخاصة من كبارها وإن الذي كان على علم بداخل بيت مالك حتى يعرف أنه كان يأمر خادمه بإدارة الرحى حتى لا يسمع الجيران صوت ابنته من البكاء وعى فما كان يجهل بما يجري.

**ولكن الخبث السياسي** الذي يحمله أصحابه من الحكام يجعلهم يحملون إثم الأفعال وكبر المحن غَيْرَهم لتكون لهم فرصة البراءة لأنفسهم عند اللزوم بين الناس إذا وجدوهم قد أنكروا هذا الإثم وسخطوا من تلك المحن لظهور الظلم فيها، أما الله فلا تخفى عليه خافية فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وهذا ما اتبعه المنصور مع مالك عندما برأ الأخير من جراحه وطلب إليه الاجتماع بمنى في موسم الحج يقول مالك: لما وصلت إلى أبي جعفر وقد عهد إلي أن آتيه في الموسم قال لي: والله الذي لا إله إلا هو ما أمرت بالذي كان ولا علمته، إنه لا يزال أهل الحرمين بخير ما كنت بين ظهرهم وإني أخالك أماناً لهم من عذاب، ولقد رفع الله بك عنهم سطوة عظيمة، فإنهم أسرع الناس إلى الفتن، وقد أمرت بعدو الله أن يؤتى به من المدينة إلى العراق على قتب وأمرت بضيق محبسه والاستبلاغ في اتهامه ولا بد أن أنزل به من العقوبة أضعاف ما نالك منه، فقلت: عافى الله أمير المؤمنين وأكرم مثواه قد عفوت عنه لقرابته من رسول الله ﷺ وقرابته منك قال: فعفا الله عنك وأوصلك.

**ومثل هذا روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة.**

**تلك عظمة مالك من تسامحه واحتسابه السبعين سوطاً للّه**، له بها ثواب الصابرين ومثوبة المؤمنين.

**وبهذا انتهت محنته وعاد إلى دروسه** وصنف كتاب الموطأ بعد ذلك ولكن المحن لم تزل قائمة بأقرانها[١].

---

(١) الإسلام بين العلماء والحكام عبدالعزيز البدري ص ١٥٥.

* **الإمام الشافعي:**

**يقول عبدالعزيز البدري:**

**عَنْ محنة الإمام الشافعي:**

إن كان رفضاً حب أهل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

**الشافعي**

**إن تسعة من العلويين تحركوا** وإني أخاف أن يخرجوا وإن هاهنا رجلاً من ولد شافع المطلبي لا أمر لي معه ولا نهي، يعمل بلسانه ما لا يقدر عليه المقاتل بسيفه.

**تلك هي قولة والي اليمن،** من كتابه إلى الرشيد يستعديه فيه على أولئك النفر التسعة وعلى رأسهم الشافعي، وتلك بداية المحنة التي أنزلت بإمامنا الشافعي لعظيم رضوان الله عليه.

**إن الرواة جميعاً قد اتفقوا على أن سبب هذه المحنة** هي ولاؤه لإمام الهدى سيدنا علي وأولاده رضي الله عنهم وأرضاهم، فكان هذا الولاء هو الجريمة الكبرى، وكان هذا الحب هو الخيانة العظمى التي يجب أن يعاقب عليها الشافعي بالإعدام ضرباً بالسيف.

**وإن كان النفر التسعة قد عاقبهم الرشيد بالإعدام** لمجرد التحرك لا الخروج فعلاً إن صدق الوالي بقوله فما ذنب الشافعي الذي لم يتحرك؟ ولم يشرع في الخروج، ولكن الأهواء إذا سيطرت على القلوب أعمتها عن رؤية الحق وإقامة العدل.

**والشيطان نعوذ بالله** من شره إذا اتخذ إماماً وولياً ساق أولياءه بعصاه السحرية إلى الإجرام، ودفع أتباعه إلى الفساد في الأرض، وبطانة السوء الذين فقدوا التقوى، تجعل من البريء مجرماً، ومن الحب والولاء خيانة.

**إن حقيقة هذا الأمر هي أن الإمام الشافعي** عندما كان بمكة زادها الله شرفاً مع والدته لم يكن له عمل يعتاش به، فأشار بعض القرشيين على والي

اليمن الذي مر بمكة أن يشغل الشافعي في ولايته ويستعين به في أمره هناك.

**يقول الشافعي**: ولم يكن عند أمي ما تعطيني ما أتحمل به فرهنت داراً فتحملت معه أي مع الوالي فلما قدمنا عملت له على عمل.

**وفي عمله باليمن** بمدينة نجران أقام الحق ونشر العدل فكان شخصية إسلامية بعقليتها الرائعة ونفسيتها المستقيمة حتى شاع ذكره الطيب في بطاح مكة وأطراف نجران، ورأوا فيه مثلاً صالحاً لمن يتولى أمراً من أمور الناس.

**يقول الشافعي**: وليت بنجران وبها بنو الحارث بن عبدالله المدان وموالي ثقيف وكان الوالي إذا أتاهم صانعوه فأرادوني على ذلك فلم يجدوا عندي.

**ولما لم يقبل مصانعة ولم يداهن واليه ورئيسه**، بل وقف له بالمرصاد يمنعه من أية مظلمة يريد إيقاعها بمن يتولى أمرهم، ولم يكتفِ إمامنا بذلك بل كان يحاسبه في كل أمر وينكر عليه كل سوء، وهو الذي يملك لساناً كما يقول الوالي الغشوم الظلوم: يعمل بلسانه ما لا يقدر عليه المقاتل بسيفه، وبهذا وحده ضاق صدر هذا الوالي وأبت نفسه إلا أن يسيء إلى الشافعي، وكيف يستطيع أن يصيبه بسوء أو يلحق به أذى، وهو قد ملك القلوب حباً وأسر النفوس فدبر له أمراً بأن أشركه مع النفر التسعة بالتهمة الخطيرة المعروفة التي يفتح لها الرشيد أذنيه بل حواسه جميعاً لينزل به عقابها الصارم.

**وبهذه المكيدة يتخلص الوالي من هذا الذي وقف في طريق تنفيذ أهوائه وإشباع نزواته**، وحال دون تسلطه على رقاب الأمة، أوثق التسعة وعاشرهم الشافعي، وصفدوا بالآسار وأيديهم مغلولة إلى أعناقهم، وساروا من اليمن السعيد متوجهين إلى بغداد لملاقاة الرشيد، بصحبة ثلة من الجند، للتحقيق معهم في هذه التهمة الخطيرة، تهمة الخيانة العظمى، ليأخذ المارد الخائن نصيبه من العقاب.

**دخل العشرة على الرشيد** وهم مصفدون بالأغلال والنطع والسيف بين

يديه والجند شاكي السلاح قد أخذوا أماكنهم في قاعة المحكمة بقصر الخلافة ينتظرون إيماء الرشيد لهم، لا يعصونه في أمر ويفعلون ما يؤمرون.

**بهذا الجو الإرهابي الفظيع** الذي ينطق بقطع الرؤوس عن أجسادها ويصرخ بأن النصر للقوي، جرت المحاكمة فقتل التسعة رحمهم الله.

**أما الشافعي فقد نجاه الله ونصره**، وهو الضعيف الذي طلب المدد من الحي القيوم فأمده وأنقذه في ساعة عسرته واستجابَ له فكان من الناجين وحيث آتاه الله من براعة اللسان وذربه وقوي الحجة ومنطقها السليم المقنع، وبما قذفه في قلب قاضي القضاة محمد بن الحسن من شفقة وطلب شفاعة وتقديم شهادة.

**قال الشافعي وهو بين النطع والسيف** والموت يفغر فاه وقد وجهت إليه التهمة: يا أمير المؤمنين ما تقول في رجلين أحدهما يراني أخاه والآخر يراني عبده أيهما أحب إلي؟ قال الرشيد: الذي يراك أخاه، فقال: ذلك أنت يا أمير المؤمنين، إنكم ولد العباس وهم ولد علي ونحن بنو المطلب، فأنتم ولد العباس تروننا إخوانكم وهم يروننا عبيدهم.

**أما شهادة قاضي القضاة وشفاعته** فقد حضر محمد بن الحسن محاكمته، وكان بين الشافعي وابن الحسن التقاء سابق في بغداد والتقاء العلماء يكون دائماً للعلم ومدارسة الفقه وبحث في المسائل الشرعية وإدلاء كل منهم بدلوه.

**فبعد أن قال الشافعي مقالته تلك**، أخذ يبين أن له حظاً في العلم والفقه.. وعند ذلك قال: إن **محمد بن الحسن** يشهد على ذلك، فسأله الرشيد فأجاب: له من العلم حظ كبير.

**ثم أتبع قائلاً**: وليس الذي رفع عليه من شأنه.

**وتلك شفاعته**، فقال الرشيد: فخذه إليك حتى أنظر في أمره، وبهذا تخلص الشافعي من ذلك الاتهام الخطير ونجا من عقوبته.

**وتلك محنة الشافعي**، الأيدي مغلولة إلى الأعناق بمعية جند الرشيد

من اليمن إلى بغداد، ثم الموت يقترب منه، وقد لاح بين عينيه لولا عناية الله وحسن توفيقه، السبب الحقيقي هو قيامه بالواجب الملقى عليه باعتباره عالماً أخذ الله منه الميثاق لبيان أحكام الشرع والوقوف في وجه الظالمين الطغاة، ومن ثم كان قيامه بعمله في نجران الذي أحسن فيه وقطع به الطريق على واليه وحال دون شهواته ونزواته...

**لقد كانت هذه المحنة مسلطة ساقها الله لإمامنا،** ليختبره في إيمانه، ولينصرف إلى العلم ومدارسة الفقه واستخراج الأحكام لمعالجة مشاكل الحياة، وليأخذ ما عند **محمد بن الحسن** من علم وفقه وهو صاحب الإمام العظيم **أبي حينفة** ورفيق الإمام **أبي يوسف** بدل تلك الولاية في اليمن.

**وقد كان ذلك والحمد لله،** ولئن ولت محنة الشافعي ونجا منها فإن المحن الأخرى بأشكالها لا زالت في انتظار رجالها من السادة العلماء[1].

*** جعفر الصادق:**

**فالمنصور كان يتوجس خيفة من الإمام الجليل،** وهذه الهواجس تدفعه إلى الشك أحياناً، وهناك من يجعل الشك عنده يقيناً بالتزوير والدس اللئيم، فكان يرسل عليه العيون والجواسيس لإرصاد كلماته، التي كان يلقيها في حلقة درسه، كما يرصد حركاته وتصرفاته.

**إلا أن هذه المراقبة الشديدة التي كان المنصور فيها بارعاً،** بحيث كانت تقع دون أن يشعر الإمام بثقلها، وإن كان يعلم بوجودها.

**ولكن عندما تبلغ هذه الشكوك منزلة الظن الغالب** على التصديق، التي كان يأتي بها رجال دائرة مباحثه، فإنه يستدعيه بغير تكريم، وهو ذلك الإمام الصابر على فواجع أهل بيته ونكبات بني عمومته.

**حين حصل خروج الأخوين الكريمين** همس رجال المباحث في أذن المنصور أن الإمام الصادق يؤيد خروجهما، بل هو من ورائهما، والحقيقة

---

(١) الإسلام بين العلماء والحكام عبدالعزيز البدري ص ١٨٢.

خلاف ذلك فاستدعاه للتحقيق معه، وقد استعمل المنصور في هذا غلظة القول، وسلك سبيل الإساءة في هذا التحقيق ولم يراع نور الهدى وطيب الأرومة ووقار الشيخوخة التي بلغت السبعين ولا حرمة القربى أو صلة الرحم أو مكانة العلم.

**ومن ذلك مناقشته وتحقيقه** حين كان في الكوفة بعد أن بلغ الصادق وصيته لأهله، قال المنصور: أنت يا جعفر ما تدع حسدك وبغيك وفسادك على أهل البيت من بني العباس وما يزيدك الله بذلك إلا شدة حسد ونكد، وما تبلغ به ما تقدره.

**فقال الإمام الصادق**: والله يا أمير المؤمنين ما فعلت شيئاً من ذلك، هذا ولقد كنت في ولاية بني أمية وأنت تعلم أنهم أعدى الخلق لنا ولكم، وأنهم لا حق لهم في هذا الأمر، وكيف أصنع هذا الآن وأنت ابن عمي، وأمس الخلق بي رحماً، وأكثر عطاءً وبراً، فكيف أفعل ذلك، فأطرق المنصور ساعة ثم قال: يا جعفر ما تستحي من هذه الشيبة ومع هذا النسب أن تنطق بالباطل وتشق عصا المسلمين، تريد أن تريق الدماء وتطرح الفتنة بين الرعية والأولياء؟

**قال الصادق**: لا والله يا أمير المؤمنين ما فعلت، ولا هذه كتبي ولا خطي ولا خاتمي، وكان المنصور قد أخرج له كتباً إلى أهل خراسان تدعوهم إلى نقض البيعة.

**فانتضى من السيف درعاً** فما زال يعاقبه وجعفر يعتذر إليه، ثم أغمد السيف وأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال: أظنك صادقاً.

**هذه أجوبة الصادق برقتها وصدقها**، وذاك كلام المنصور بخشونته وقسوته وكل منهما يعتز بسلطان يعتمد عليه.

**فإمامنا يعتز بسلطان الله** الذي يغلب كل سلطان ولو بعد حين، والمنصور يعتز بسلطان الحكم وقوة الجند، وهو زائل ولو بعد حين وما إن انتهت مسألة الخروج، خروج الأخوين الكريمين، حتى استدعى المنصور الإمام جعفر من المدينة المنورة مرة أخرى إلى بغداد.

**فكتب إلى واليه وابن عمه داود بن علي** أن يسير إليه جعفر بن محمد ولا يرخص له في التلوم والتمكث والبقاء وكان القصد من ذلك هو التحقيق معه في التهمة الموجهة إليه بأنه يجمع الزكاة من جميع الآفاق وأنه مد بها محمد بن عبدالله بن الحسن فكان التحقيق التالي:

**المنصور**: يا جعفر ما هذه الأموال التي يجبيها لك **المعلى بن خنيس**؟

**الصادق**: معاذ الله من ذلك يا أمير المؤمنين.

**المنصور**: ألا تحلف على براءتك من ذلك بالطلاق والعتاق.

**الصادق**: نعم أحلف بالله أنه ما كان شيء من ذلك.

**المنصور**: بل تحلف بالطلاق والعتاق.

**الصادق**: أما ترضى بيميني بالله الذي لا إله إلا هو؟

**المنصور**: لا تتفقه علي.

**الصادق**: وأين يذهب الفقه مني.

**المنصور**: دع عنك هذا فإني أجمع الساعة بينك وبين الرجل الذي رفع عليك هذا حتى يواجهك، فأتوه بالرجل وسألوه بحضرة جعفر فقال: نعم هذا صحيح، وهذا **جعفر بن محمد** الذي قلت فيه ما قلت.

**الصادق**: أتحلف أيها الرجل أن الذي رفعته صحيح؟

**الرجل**: نعم، ثم ابتدأ باليمين فقال: والله الذي لا إله إلا هو الطالب الغالب الحي القيوم.

**الصادق**: لا تنكل في يمينك فإنني أستحلفك.

**المنصور**: ما أنكرت من هذا اليمين؟

**الصادق**: إن الله تعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا أثنى عليه أن يعاجله بالعقوبة **لمدحه** ولكن قل أيها الرجل: أبرأ إلى الله من حوله وقوته وألجأ إلى حولي وقوتي لصادق بر فيما أقول.

**المنصور**: احلف بما استحلف أبو عبدالله به.

**قال راوي الخبر**: فحلف الرجل بهذه اليمين فلم يستتم الكلام حتى خر ميتاً فراع المنصور وارتعدت فرائصه وقال للصادق: يا أبا عبدالله سر من عندي إلى حرم جدك إن اخترت ذلك، وإن اخترت المقام عندنا لم نأل في إكرامك وبرك فوالله لا قبلت قول أحد بعدها أبداً[1].

### * الإمام البخاري:

**ليس في دنيا الإسلام** مثل الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في زمانه، فهو أمير المؤمنين في حديث سيد المرسلين ﷺ كما لقب به.

**ذاك ما شهد به شهود عدول** من أقرانه الذين يعرفون فضله وعلمه، ولنسمع إلى شهادة أحدهم فيه:

**قال أحمد بن حمدون الصفار**:

**رأيت مسلم بن الحجاج** وهو الحافظ المحدث صاحب صحيح مسلم جاء إلى البخاري فقبّل عينيه وقال: دعني أقبّل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله، ثم سأله عن حديث كفارة المجلس... فذكر له علته فلما فرغ قال مسلم: لا يبغضك إلا حاسد وأشهد أن ليس في الدنيا مثلك.

**نعم ليس في الدنيا مثله**، فقد وهبه الله تعالى قوة في الحفظ، وضبطاً في النقل وقدرة في فهم العلل، والتمييز بين الصحيح والسقيم، وكتابه الجامع الصحيح الذي اتفق عليه جمهور علماء المسلمين بأنَّه أصح كتاب بعد كتاب رب العالمين سبحانه وتعالى، دلالة صدق على ذلك.

**وكيف لا يكون كذلك**، وهو الحجة الثبت والحافظ الأعظم لسنة سيدنا رسول الله ﷺ قولاً وفعلاً وتقريراً والذي لا يستطيع أحد أن يجاريه في الضبط والإتقان سنداً ومتناً.

---

(١) الإسلام بين العلماء والحكام عبدالعزيز البدري ص ١٤٤.

**دخل مرة إلى سمرقند** فاجتمع بأربعمائة من علماء الحديث بها، فجعلوا متون الأحاديث على غير أسانيدها، وخلطوا في الأسانيد فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق، ثم قرأوها على البخاري يقصدون امتحانه فرد كل حديث إلى إسناده، وقوم تلك الأحاديث والأسانيد كلها، ولم يقدروا أن يأخذوا عليه سقطة في إسناد ولا متن وكذلك وضعوا له في بغداد فأذعنوا له بالفضل والسبق.

**لقد عرف إمامنا البخاري** في طيلة حياته بأنه كان رضي الله عنه كثير الورع على درجة عظيمة من الزهد، الأمر الذي كان يرى في ابتعاده عن الحكام وفي زهد الاتصال بهم، سلامة لدينه وأماناً من تجريح تقواه، ولأنه أراد التفرغ اللازم للاشتغال في جمع أحاديث الرسول الأعظم ﷺ والاعتناء بها عناية تليق بمكانها، وهي بلا ريب المصدر الثاني للإسلام، لذلك انصرف إليها بكليته، يجوب أقطار الإسلام على راحلته وفي بعض الأسفار مشياً على الأقدام، ليأخذ الحديث من ثقاة رواته، قال رضي الله عنه: دخلت الشام ومصر والجزيرة العربية مرتين وإلى البصرة أربع مرات، وأقمت في الحجاز ستة أعوام ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع المحدثين.

**وانصرافه هذا جعله لا يفكر إلا بالحديث** حتى في ساعات الجهاد حين كان حارساً مع صاحب له لحماية ثغر من ثغور المسلمين كما سيأتي في فصل قادم.

**ومن كان هذا حاله فأنى له أن ينشىء علاقة مع الحكام** أياً كانت العلاقة سلباً أو إيجاباً، لذا فقد أصبح هو في واد والحكام في واد آخر.

**ولكن الظلمة من الحكام** لا يرضون سلوك مثل هذا السبيل، لأنهم يريدون من عالم المسلمين أن يكون معهم في كل حين في سرائهم وضرائهم، يجلس مجالسهم، ويستمع إلى قولهم، يسبح بحمدهم ويقدس أمرهم، أما إن أبى منكراً لأحوالهم الشاذة، محاسباً لأعمالهم الخاطئة، واقفاً بالمرصاد، ينصح ويرشد، ولا يقبل ظلمهم ولا يرضى سوء صنيعهم فإنهم يغضبون ويحمقون، شافين غليلهم بإنزال عذاب المحن بهم، ولن تستريح

ضمائرهم إن كانت عندهم ضمائر، أما أن يرفض قرباً طلبوه، واتصالاً أرادوه، جالساً على التل لا يريم، مكباً على درسه وتدريسه، وعلمه وتعليمه، يستقبل الدارسين ويجيب سؤال السائلين، لا يرفض متعلماً يأتيه، ولكنه لا يأتي هو إليه، لأن العلم يؤتى ولا يأتي إكراماً للعلم وعزة لحامليه، إن فعل ذلك العالم ثارت ثائرة الظلمة من الحكام، وغضبوا عليه، منتقمين لأنفسهم كيف يرد طلبهم؟

**وطلب الحكام** مهما كان لا يرد كما يزعمون، قاتلهم الله أنى يؤفكون، ومحنة إمامنا البخاري من هذا النوع الأخير، وقد يرى البعض أن هذه المحنة سهلة بسيطة عند قراءتها للوهلة الأولى، وربما حسبوها من قبيل الاضطهاد الخفيف أو المضايقة التي ما كان ينبغي أن تقع أو تصيبه، لا من قبيل محنة أولئك الأئمة الكرام التي مر ذكرها، ولكن الحقيقة أنها محنة، وأنها نكبة بالنسبة لرجل تجاوز الستين عاماً، إذ هو شيخ عاش لا لذاته، وإنما من أجل حديث رسول الله ﷺ حيث قضى عمره، وأفنى زهرة حياته يلتمس الحديث الشريف ويجمعه، ناذراً نفسه لخدمة الحديث الشريف منذ كان عمره عشر سنين: (أفهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب، قلت: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنين أو أقل)، في أسفار بعدت فيها الشقة، فلا طائرات ولا سيارات إنما دواب وأقدام ليسهل فهم الشريعة الإسلامية لمن يجيء بعده، وليأخذوا من معين ما جمع، وهو معين لا ينضب، ويروون من بحره العذب النمير ويرتعون من ربيع رسول الله ﷺ في روضة وغدير، فرجل يعيش في أفق السنة المحمدية، ويسعى للتنقيب عن الأحاديث النبوية، بمشقة وعناء، لا يعرفهما إلا من ذاق طعمهما، ثم يقدم إنتاجه هدية مسداة لطلاب الحديث في حلقة درسه أو غيرها.

**وبعد هذا أو ذاك يجازى مثل ما جوزي.**

**حقاً إنها محنة ذات إهانة بالغة،** لا يُقْدِمُ على إنزالها إلا من حرم طعم الإيمان، ولم يعرف لرسول الله ﷺ قدراً، ولنسمع قصة المحنة: فقد حدث الرواة أن أمير خراسان خالد بن أحمد الذهلي طلب من الإمام البخاري وهو

في بلده بخارى أن يحضر إليه ليسمع أولاده منه، فأبى أن يذهب قائلاً: في بيتي يؤتى العلم، فأراد الأمير أن يعزف الناس عن السماع منه فلم يقبلوا من الأمير، فأمر بنفي البخاري من بلده إلى بلدة خزتنك، على فرسخين من سمرقند وهناك مرض وعلى أثره مات في ليلة عيد الفطر عن اثنين وستين سنة[1].

*** عبدالله بن أبي داود: أبو بكر:**

**هو الإمام الحافظ المتقن أبو بكر عبدالله بن سليمان بن الأشعث**، صاحب التصانيف، ولد بسجستان في سنة ثلاثين ومائتين، وسافر به أبوه وهو صبي فكان يقول: رأيت جنازة إسحاق بن راهويه.

**وأول شيخ سمع منه محمد بن أسلم الطوسي**، وسر أبوه بذلك لجلالة محمد بن أسلم في العلم.

**وقد تناوله جماعة** من أهل العلم كابن صاعد، فاعتمدوا كلمة لأبيه أبي داود رواها عنه علي بن الحسين بن الجنيد أنه قال: ابني عبدالله كذاب، فقال ابن صاعد: كفانا ما قال فيه أبوه.

**وحاشا لله أن يكون عبدالله كذاباً** فإنه أحد حفاظ الإسلام وعلمائهم، وقد قال الذهبي في تذكرة الحفاظ **٣٠٢/٢**: وأما قول أبيه فيه فالظاهر أنه إن صح عنه فقد عنى أنه كذاب في كلامه لا في الحديث النبوي، وأنه قال هذا وعبدالله شاب طري، ثم كبر وساد، ثم رأيت الشيخ العلامة ذهبي العصر المعلمي اليماني رحمه الله تعالى قال في التنكيل **٢٩٨/١** ما ملخصه: أن إسناد هذه الحكاية لا يثبت، وروى ابن عدي في الكامل **١٥٧٨/٤** عن محمد بن الضحاك بن عمر بن أبي عاصم قال: أشهد على محمد بن يحيى بن منده بين يدي الله تعالى أنه قال: أشهد على أبي بكر بن أبي داود بين يدي الله تعالى أنه قال: روى الزهري عن عروة قال: حفيت أظافير

(١) الإسلام بين العلماء والحكام عبدالعزيز البدري ص ١٨٦.

فلان من كثرة ما كان يتسلق على أزواج النبي ﷺ.

**فعلق الذهبي في سير النبلاء بقوله:** هذا باطل وإفك بين، وأين إسناده إلى الزهري، ثم هو مرسل، ثم لا يسمع قول العدو في عدوه، وما أعتقد أن هذا صدر من عروة أصلاً، وابن أبي داود إن كان حكى هذا فهو خفيف الرأس فلقد بقي بينه وبين ضرب العنق شبر، لكونه تفوه بمثل هذا البهتان[١]، اهـ.

**قلت: وللشيخ العلامة ذهبي العصر المعلمي اليماني** جواب آخر في غاية الوجاهة فقال في التنكيل ما ملخصه[٢]: إن كانت الحكاية ثبتت عن ابن أبي داود فإنه قد ذكرها في حال المذاكرة مع أقرانه يريد أن يغرب عليهم، وكان المحدثون يتعنتون شديداً في تحصيل الغرائب ويحرصون على التفرد بها، وكان ابن أبي داود صلفاً تياهاً حريصاً على الغلبة فكأنه سمع بعض النواصب يروي بسند فيه واحد أو أكثر من الدجالين إلى الزهري أنه قال: قال عروة... فحفظ أبو بكر الحكاية مع علمه واعتقاده بطلانها لكن كان يعدها للإغراب عند المذاكرة ولما دخل أصبهان ضايق محدثيها في بلدهم، فتجمعوا عليه وذاكروه فأعوزه أن يغرب عليهم ففزع إلى تلك الحكاية فقال: الزهري عن عروة...، فاستفظع الجماعة الحكاية ثم بدا لهم أن يتخذوها ذريعة إلى التخلص من ذلك التياه الذي ضايقهم في بلدهم فاستقر رأيهم على أن يرفعوا ذلك إلى الوالي ليأمر بنفي ابن أبي داود فيستريحوا منه...

**ثم قال الشيخ المعلمي**: وعلى كل حال فقد أساء جد الإساءة بتعرضه لهذه الحكاية من دون أن يقرنها بما يصرح ببطلانها، ولا يكفيه في العذر أن يقال: قد جرت عادتهم في المذاكرة بأن يذكر أحدهم ما يرجو أن يغرب به على الآخرين بدون التزام أن يكون حقاً أم باطلاً لكن الرجل قد تاب وأناب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ولو كان الذنب كفراً صريحاً. اهـ.

---

(١) السير ٢٢٩/١٣.

(٢) التنكيل ٣٠١/١ ـ ٣٠٤.

**وعلى كل حال فقد أطبق أهل العلم على السماع من ابن أبي داود** وتوثيقه والاحتجاج به، ولم يبقَ معنى للطعن فيه بتلك الحكاية والله أعلم[1].

**ويقال جواب آخر أراه راجحاً**، وهو أنه إنما كان يفعل ذلك طلباً للعلم مما قد فاته من رسول الله ﷺ وعلمته أزواج النبي ﷺ والله تعالى أعلم.

*** سعيد بن المسيب:**

**قال عبدالعزيز البدري.**

**عجز عبدالملك بن مروان بما أوتي من دهاء**، عَنْ أن يجر إلى صفوفه سيد التابعين، من جمع بين أهل العلم والعبادة، والتقوى والورع، سعيد بن المسيب رضي الله عنه.

**قال سعيد**: حججت أربعين حجة، وما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة وما نظرت إلى قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة.

**وهو القائل**: ما أعزت العباد نفسها بمثل طاعة الله، ولا أهانت نفسها بمثل معصية الله.

**إن دهاء عبدالملك وشراكه لم توقع سعيداً فيها**، وإن وده.. وتَذَلُّلَه لم يَنْطل على سعيد لينال رضاه، وكلما التمس عبدالملك قرباً أو كسب ودِ من سعيد كان الإعراض نصيبه، والإنكار على أفعاله حليفه.

**دُعِيَ إلى نيف وثلاثين ألفاً ليأخذها** فقال: لا حاجة لي فيها ولا في بني مروان حتى ألقى الله فيحكم بيني وبينهم.

**مرت الأيام**... فتقدم عبدالملك يرجو أن يزوج ابنته لابنه الوليد حين استخلفه، ولكن سعيداً رفض، ويأبى هذا القرب، وينفر من هذه المصاهرة

---

(١) كتاب الحياة بعد الموت لابن أبي داود ص ٦.

بإباء وشمم، إباء العلماء وشمم الأتقياء، غير مبال بما يجلب عليه هذا الرفض من بأس وأذى، لأنه قرب ومصاهرة لم يرد بها وجه الله والدار الآخرة وعصمة النفس من الشهوات الفاسقة.

**وأمام هذا الرفض لابن أمير المؤمنين،** فإنه يزوج بنفسه طالب العلم في حلقة بمسجد الرسول الكريم ﷺ فقد زوَّجَ أبا وداعة من ابنته الفقيهة العابدة، وإليكم الحادثة كما جاءت عن الزوج الكريم.

**قال أبو وداعة:** كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياماً، فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلي فاشتغلت بها، فقال: هلا أخبرتنا فشهدناها، ولما أردت أن أقوم قال: هلا حدثت امرأة غيرها، فقلت: يرحمك الله ومن يزوجني وأنا لا أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال: إن أنا فعلت تفعل؟ قال: نعم، ثم حمد الله وصلى على نبيه ﷺ وزوجني ابنته على درهمين... وفي مساء ذلك اليوم وإذا بالباب يقرع فقلت: من هذا؟ قال: سعيد... ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم يرَ منذ أربعين سنة إلا ما بين بيته والمسجد، فقمت وفتحت، وإذا بسعيد بن المسيب فظننت أنه بدا له، أي ظهر له رأي غير الذي رآه فجاء يعتذر، فقلت: فما تأمرني؟ قال: رأيتك رجلاً عزباً قد تزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك وهذه امرأتك، فإذا هي قائمة خلفه في طوله ثم دفعها في الباب ورد الباب.

**هذا فعل سعيد مع أحد أفراد المسلمين،** مع طالب علم، وذلك فعله مع حاكم المسلمين بسطوته وسلطانه فتأمل يا أخي.

**وحين ذاك عجز عبدالملك وأسقط في يده،** فلم ينفعه دهاؤه، بل لم ينفعه اصطناع تقربه أو تزلفه.

**ولكن ماذا فعل عبدالملك مع سعيد بعدئذ،** هنا جاءت المحنة وحلت النكبة بسعيد ولكنه صبر عليها واحتسب ذلك عند الحي القيوم.

**قال يحيى بن سعيد:** كتب هشام بن إسماعيل والي المدينة إلى عبدالملك بن مروان أن أهل المدينة أطبقوا على البيعة للوليد وسليمان إلا سعيد بن المسيب.

**فكتب**: أن اعرضه على السيف فإن مضى فاجلده خمسين جلدة وطف به في أسواق المدينة، فلما قدم الكتاب على الوالي دخل سليمان بن يسار وعروة بن الزبير وسالم بن عبدالله على سعيد بن المسيب وقالوا: جئناك في أمر، قد قدم كتاب عبدالملك إن لم تبايع ضربت عنقك، ونحن نعرض عليك خصالاً ثلاثاً فأعطنا إحداهن، فإن الوالي قد قبل منك أن يقرأ عليك الكتاب فلا تقل لا ولا نعم، قال: يقول الناس بايع سعيد بن المسيب، ما أنا بفاعل، وكان إذا قال لا لم يستطيعوا أن يقولوا نعم، قالوا: تجلس في بيتك ولا تخرج إلى الصلاة أياماً، فإنه يقبل منك إذا طلبك من مجلسك فلم يجدك؟ قال: فأنا أسمع الآذان فوق أذني حي على الصلاة حي على الصلاة ما أنا بفاعل، قالوا: فانتقل من مجلسك إلى غيره فإنه يرسل إلى مجلسك فإن لم يجدك أمسك عنك، قال: أفرقاً من مخلوق؟ أخوفاً من مخلوق؟ الله ما أنا متقدم شبراً ولا متأخر، فخرجوا وخرج إلى صلاة الظهر فجلس في مجلسه الذي كان فيه فلما صلى الوالي بعث إليه، فأتي به فقال: إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا إن لم تبايع ضربنا عنقك، قال: نهى رسول الله ﷺ عن بيعتين، بيعة للوليد ومثلها لسليمان في وقت واحد، فلما رآه لم يجب أخرج إلى السدة فمدت عنقه وسلت السيوف، فلما رآه قد مضى أمر به مجرداً فإذا عليه ثياب من شعر.

**فقال**: لو علمت ذلك ما اشتهرت بهذا الشأن، فضربه خمسين سوطاً ثم طاف به أسواق المدينة فلما ردوه والناس منصرفون من صلاة العصر قال: إن هذه الوجوه ما نظرت إليها منذ أربعين سنة[1]، ومنعوا الناس أن يجالسوه، فكان من ورعه إذا جاء إليه أحد يقول له: قم من عندي، كراهية أن يضرب بسببه.

عندما ضرب هشام بن إسماعيل والي المدينة لعبدالملك بن مروان الإمام سعيد بن المسيب لامتناعه عن إعطاء البيعة لولي عهده الوليد بن عبدالملك ضرباً مبرحاً خمسين سوطاً وطاف به في تبان من شعر حتى بلغ

(١) فهو أول الداخلين إلى المسجد، وآخر الخارجين منه، فأنَّى له أن يراهم!!.

رأسه الثنية فلما كروا به قال: أين تكرون بي؟ قالوا: إلى السجن قال: والله لولا أني ظننتُ أنه الصلب ما لبست هذا التبان أبَداً.

**وفي رواية**: أما والله لو علمت أنهم لا يزيدونني على الضرب ما لبست لهم التبان إنما تخوفت أن يقتلوني فقلت: تبان أستر من غيره، وفي رواية دخل أبو بكر بن عبدالرحمٰن بن الحارث فجعل يكلم سعيداً ويقول: إنك خرقت به فقال: يا أبا بكر اتقِ الله وآثره على من سواه، قال: فجعل أبو بكر يردد عليه: إنك خرقت به ولم ترفق، فجعل سعيد يقول: إنك والله أعمى البصر أعمى القلب، قال: فخرج أبو بكر من عنده، وأرسل إليه هشام بن إسماعيل فقال: هل لان سعيد بن المسيب منذ ضربناه؟ فقال أبو بكر: ما كان أشد لساناً منه منذ فعلت به ما فعلت فاكفف عن الرجل... ثم اخلي سبيله، وفي السجن أيضاً يقول عبدالله بن يزيد الهذلي: دخلت على سعيد بن المسيب فإذا هو قد ذبحت له شاة فجعل الإهاب على ظهره وجعلوا له بعد ذلك قضيباً رطباً وكان كلما نظر إلى عضديه قال: اللهم انصرني من هشام، وهكذا عاش سعيد ممتحناً في دينه، وهذا شأن المتقين الأبرار، رحم الله سعيداً فقد جاد بنفسه في سبيل الحق، وإقامة العدل، فلم تزعزع إيمانه المحن، بل زادته إيماناً ويقيناً بأن للدين صولة وللإسلام قوة، ولا غرو في ذلك لأنه من العلماء الرجال[1].

*** سعيد بن جبير:**

**قال خصيف يوماً**: كان أعلم التابعين بالطلاق: سعيد بن المسيب، وبالحج: عطاء، وبالحلال: طاوس، وبالتفسير: أبو الحجاج مجاهد بن جبر، وأجمعهم لذلك كله سعيد بن جبير.

**تلك شهادة عالم حصيف** هو الشيخ خصيف... **في إمامنا الممتحن**.

**كان ابن جبير** من الذين يناوئون حكم عبدالملك بن مروان لإساءة

---

(١) الإسلام بين العلماء والحكام عبدالعزيز البدري ص ١٣٣.

الأخير في حكم الرعية المسلمة، ولوقوع مظالم في عهده.

**وكان الحجاج بن يوسف** فاسقُ بني ثقيف، والياً لعبدالملك، يأخذ بالشبهات، ويتحرى المناوئين في جميع البلاد الإسلامية، لحكم أميره وسيده، فَيَصُبُّ المحن عليهم، دون هوادة، ولا خوف من الله، المقتدر الجبار، وكان **خالد بن عبدالله القسري** والياً على مكة المكرمة، زادها الله مثابة وأمناً، وقد علم بوجود ابن جبير في ولايته، فألقى القبض عليه، واعتقله، ثم أراد أن يتخلص منه، لمعرفته بأن سعيداً قد أوتي لساناً ناطقاً، وقلباً حافظاً، وسرعة بديهة، بإلقاء الحجة القوية، لإسكات خصمه، إذ هو ليس من أولئك الذين يخشون رهبة حاكم، ولا بطش سلطان في سبيل معتقده غير مبال بالنتائج مهما كانت، ودفعاً للوقوع في لجة المخاصمة وخضم المنافسة التي لا تضمن نصره وخوفاً من مس شعور أهل مكة، الذين يدينون بالولاء والاحترام لابن جبير، **أرسله مخفوراً** مع إسماعيل بن واسط البجلي إلى الحجاج بن يوسف.

**وهنا تبدأ المحنة،** ثم تشتد سَوْرتُها مع لقاء الحجاج طاغية العراق، وفي هذا اللقاء غير الكريم، جرت المناقشة والمخاصمة الفكرية، كان سعيد فيها فارس الميدان، وصاحب لواء النصر والظفر، حيث كان فيها جريئاً، لا تلين قناته، صلباً لا يضعف سيف لسانه، يقول الحق، وهو يعلم أنه مفارق الدنيا، بسبب ذلك.

**قال الحجاج:** ما اسمك؟

**سعيد:** سعيد بن جبير.

**الحجاج:** بل أنت شقي بن كسير

**سعيد:** بل كانت أمي أعلم باسمي منك.

**الحجاج:** شقيت أمك وشقيت أنت.

**سعيد:** الغيب يعلمه غيرك.

**الحجاج:** لا بد لك بالدنيا ناراً تلظى.

**سعيد**: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً.

**الحجاج**: فما قولك في محمد؟

**سعيد**: نبي الرحمة وإمام الهدى.

**الحجاج**: فما قولك في عليٍّ أهو في الجنة أم في النار؟

**سعيد**: لو دخلتها وعرفت من فيها عرفت أهلها.

**الحجاج**: فما قولك في الخلفاء؟

**سعيد**: لست عليهم بوكيل.

**الحجاج**: فأيهم أعجب إليك؟

**سعيد**: أرضاهم لخالقي.

**الحجاج**: فأيهم أرضى للخالق؟

**سعيد**: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم.

**الحجاج**: أحب أن تصدقني؟

**سعيد**: إن لم أحبك لن أكذبك.

**الحجاج**: فما بالك لم تضحك؟

**سعيد**: وكيف يضحك مخلوق خلق من طين والطين تأكله النار.

**الحجاج**: فما بالنا نضحك؟

**سعيد**: لم تستوِ القلوب.

**ذلك هو المشهد الأول من** هذه المناقشة، أو قل الفصل الأول من المحنة، وقد بدا فيها الحجاج أنه غير قادر على إخضاع سعيد له، أو حمله على إعطاء الولاء لأميره وسيده، ولو بالإشارة أو التلميح، ولم ينفعه

التهديد بالقتل، كما لم تفده غلاظة الكلام وقبح الاتهام.

**وهنا يسلك الحجاج طريقاً آخر**، لعله يصل فيه إلى ما يريد ويحصل على مبتغاه من سعيد.

**ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فجمعه بين يديه**، فقال سعيد: إن كنت جمعت هذا لتتقي به فزع يوم القيامة فصالح، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير في شيء للدنيا إلا ما طاب وزكا.

**وهكذا ينتهي المشهد الثاني من هذه المحنة**، فلم ينفع الحجاج هذا الإغراء بالمال والذهب كما لم تسعفه منحه التي أومأ بها، فليس ابن جبير من عباد المال، ولا من الذين يبيعون دينهم بدنياهم، لذا فقد لقنه درساً لم ينسه، في أن المال أعظم وسيلة لإصلاح الأعمال، وصلاح الآخرة، إن جمع بالطريق الحلال الطيب، لاتقاء فزع يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

**ثم يسلك الحجاج سبيلاً آخر.**

**ثم دعا الحجاج بالعود والناي**، فلما ضرب بالعود ونفخ الناي بكى سعيد، فقال: ما يبكيك؟ أهو اللعب؟ قال سعيد: هو الحزن، أما النفخ فذكرني يوماً عظيماً يوم ينفخ في الصور، وأما العود فشجرة قطعت من غير حق وأما الأوتار فمن الشاة تبعث يوم القيامة.

**فسعيد ليس من هواة الطرب** ولا من رواد الناي والعود، وإنما من هواة الحق ورواد الإسلام الذي وهب حياته له، فإعراضه عن ذلك وإظهار حزنه حين تذكر الآخرة وشدة عذابها، فكان درساً آخر لقنه إياه، ولو أدرك المسلم ذلك دائماً، لما عصى الله، أو خالف أوامره، وبعد أن أسقط في يده، وفشلت جميع تلك السبل، هنا اشتدت المحنة قليلاً، فعلا غضب الحجاج، وفقد أعصابه، وكاد ينهي هذه المحنة بمشاهدها، أو يصل إلى نهايتها، ولكن تريث إلى حين، لعله يحظى بشيء من سعيد.

**قال الحجاج**: ويلك يا سعيد.

**فقال**: لا ويل لمن زحزح عن النار وأدخل الجنة.

**قال الحجاج**: اختر يا سعيد أي قتلة أقتلك؟

**فقال**: اختر أنت لنفسك فوالله لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة.

**فقال**: أتريد أن أعفو عنك؟

**فقال**: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر.

**عند** ذاك ضاق الحجاج ذرعاً بسعيد، ولم يطق صبراً عليه، وهو يتلقى منه هذه الأجوبة الجريئة التي كانت سهاماً تصيب قلبه... فأمر بإنهاء المحنة.

**قال الحجاج**: اذهبوا به فاقتلوه.

**فلما خرج ضحك**، فأخبر الحجاج بذلك، فردوه إليه، وقال: ما أضحكك؟

**فقال**: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك.

**فأمر بالنطع فبسط**، وقال: اقتلوه.

**فقال سعيد**: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين.

**قال الحجاج**: وجهوا به لغير القبلة.

**قال سعيد**: فأينما تولوا فثم وجه الله.

**قال الحجاج**: كبوه على وجهه.

**قال سعيد**: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾.

**قال الحجاج**: اذبحوه.

**قال سعيد:** أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله خذها مني حتى تلقاني بها يوم القيامة، اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي.

**فذبح من الوريد إلى الوريد،** ولسانه رطب بذكر الله... وبهذا انتهت محنة سعيد بن جبير باستشهاده... وبقيت المحن تصيب أمثاله، من الذين أعرضوا عن الحكام بكليتهم، لإعراض الحكام عن الله وعن دينه وشريعته.

**وهكذا شأن الله مع عباده المؤمنين الصابرين،** فلم يضيع إيمانهم أو لم ينسهم ذكره في أوقات محنتهم وهم قادمون إليه، وكيف ينساهم أو يضيعهم... ومحنتهم كانت في سبيله، ومن أجل إعزاز دينه، لذا قيل لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾.

**قيل للحسن البصري رحمه الله تعالى:** إن الحجاج قد قتل سعيد بن جبير.

**فقال: اللهم ائت على فاسق ثقيف،** والله لو أن من بين المشرق والمغرب اشتركوا في قتله لكبهم الله عز وجل في النار.

**وقال أحمد بن حنبل:** قتل سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه(١).

### * أحمد عبدالقادر الفاروقي السرهندي:

**تولى حكم الهند سنة ٩٦٣هـ** رجل من دول الغول من أحفاد تيمور، يدعى **جلال الدين أكبر**، وما إن تربع على كرسيه، حتى سام مسلمي الهند سوء العذاب، اضطهد علماءهم وآذى رجالهم وضيق على عامتهم قتلاً وتشريداً واعتقالاً، وعاث في البلاد الفساد، هذا حاله مع المسلمين، أما مع الإسلام، فقد أعلن الحرب عليه، حرباً شعواء لا هوادة فيها، مبتدئاً بفسخ نبوءة سيدنا محمد ﷺ مدعياً بأن عصر النبوءة قد انتهى إلى هذا الألف من

---

(١) الإسلام بين العلماء والحكام عبدالعزيز البدري ص ١٣٨.

الأعوام وبدأ عصر الألف الثاني بإمامته العظمى، وأنه صاحب الكلمة، لا يعصى في أمر، ولا يرد له حكم، حسب المحضر الموقع عليه من رجالات الهند، ومن العلماء الذين زلت بهم القدم في هذه الفتنة (الفتنة الأكبرية) ومن خالف أمره، وأعرض عن حكمه، كان السجن المؤبد، أو القتل الزؤام، جزاءه وعقابه، فحرم ذبح البقر، وكتابة التاريخ الهجري، كما حرم تسمية رجالات قصره وأعوان حكمه بأسماء النبي ﷺ وأباح ذلك لعبيده وخدمه، تحقيراً وامتهاناً للنبي الكريم ﷺ.

**وحلل الخمر والقمار والخنزير والزواج من بنات الهندوك الوثنيين،** ثم لم يكتف بهذا الكفر الصريح، بل شرع ديانة جديدة، وابتكر طقوساً وشعائر متعبداً وآمراً بها.

**فكانت صلاته على طريقة براهمة الهند،** مولياً وجهه شطر الشمس، ومثل هذا الكفر والزيغ والإلحاد كثير وكثير، حتى وقعت الأمة الإسلامية بهذا القطر العزيز، في محن ونكبات ومصائب جمة يتشقق منها القلب، ويضيق عنها النطق، وألحقها من الاضطهاد، ما لم تره البشرية في تاريخها، إلا في عهد التتار والمغول.

**في هذا الواقع الأليم،** الذي يعج بالكفر والإلحاد والاضطهاد، عاش الشيخ أحمد بن عبدالأحد الفاروقي السرهندي رحمه الله تعالى.

**ورأى تلك الحالة وهو في زهرة شبابه،** ولمس هذا الشر المستطير، وهو في مرحلة طلبه للعلم، وما إن تخرج عالماً، حتى أصبح في عداد المشايخ، الذين يتأثر الناس بكلامهم ويستمعون إلى إرشادهم، عرضت له أسنى المناصب في هذه الدولة، فرفضها بإباء وشمم، لأنها خسة ومهانة، وما كان لمثله أن يشارك في تثبيت هذه الدولة الكافرة، ويوطد أركان حكمها الفاسد، وإنما دعوته دولة الإسلام، بجرأة وشجاعة، إنه يريد تقويم حكام هذه الدولة، والقضاء على الدولة وإزاحتها من الوجود، لتحل محلها دولة الإسلام، وتحفظ الشرع، وتقيم الحدود، ويرعى أبناء الأمة على أساسه، لا يرضى بذلك بديلاً، ولا يقبل عن الإسلام تحويلاً، ولقد تمَّ له

ما أراد، والحمد لله، وحقق ما عزم عليه مستلهماً التوفيق من الله وطالباً النصر منه ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. ولكن هل يحصل له ما يريد؟ وهل يحقق ما عزم عليه دون محنة واضطهاد؟ فلننتظر.

**استمر الشيخ رحمه الله تعالى بدعوته** التي أوقف نفسه عليها، وهكذا شأن العلماء الرجال، فأخذ يجمع الناس على ما عزم عليه، فاستجاب له خلق كثير، فكثر أتباعه ومريدوه، فازداد رحمة الله عليه همة ونشاطاً، لا يعرف السأم والملل، وفي تلك الأثناء هلك هذا الطاغية الجبار الملحد، سنة ١٠١٤هـ وانتهت بهلاكه فكرة الإمامة العظمى المزعومة، وخلفه ابنه جهان أكبر.

**أما الشيخ فانتبه للأمر**، وأخذ له عدته، واتخذ من إصلاح الحاكم الجديد نقطة ابتداء، فبصلاح الحاكم وصلاح العلماء من أمثال شيخنا الكريم تصلح البلاد، ويصلح الناس، وتلك نظرة مقررة في الشرع، ولذلك قال رحمه الله: إن الملك الجديد قد أفسده المفسدون فثار على الدين وانحرف عن الجادة، ولكن ليس هو الدولة كلها، وليس هو الشعب كله، وقد كتب عليه الموت، وهو خاضع للسنن الإلهية، فيموت ويخلفه غيره، فلا بد أن أؤدي رسالتي ببلاطه، وأركان دولته، ولا موجب للقنوط من الفطرة الإنسانية، فالصلاح فيها أصيل، والفساد عليها طارىء، فلأجرب ولأحاول، وإن الله ناصر من ينصره، وخاذل من يخذله.

**بتلك الروح العالية**، وبهذا الفهم الصحيح أخذ يتصل ويكاتب أمراء الجيش ورؤساء الدوائر الحكومية، ممن آنس فيهم رشاداً، ينبههم من نوم الغفلة، ويلفت أنظارهم إلى ما أتت به الفتنة الكبرى، من مصيبة وبلاء للدين الحق، وما جرته من وبال على المسلمين.

**ولنقرأ رسالته إلى قائد من قواد الجيش الركن الأعظم** للدولة في عهد جهان أكبر خانجانان: إن ميدان البطولة الإسلامية لا يزال خالياً ينتظر فارساً

---

(١) سورة الروم، الآية: ٤٧.

من فرسان الإسلام، فهل تسبق إلى هذه السعادة، وتحرز قصب السبق، وتنصر هذا الدين المظلوم، وتغضب لهذا الحقَ المهضوم، وتبلغ بجهادك إلى حيث لا يبلغه المتعبدون الصائمون القائمون، فأهلاً يا أهل الغيرة والفتوة ويا أهل الشهامة والمروءة.

**وما إن سمع رجال حاشية الملك جهان أكبر** بتلك الرسائل حتى أخذتهم العزة بالإثم، ورأوا في وجود الشيخ رحمه الله خطراً عليهم، وأن اتصالاته المريبة يخشى منها على الدولة، وعلى الملك نفسه، فأوغروا صدر الملك عليه وهمسوا في أذنه، بخطر دعوة الشيخ واتصالاته، وأشاروا عليه كائدين أن يطلبه إلى البلاط، ويمتحنه وبذلك تكون المحنة، وبهذا يقضي عليه وعلى دعوته: تلك هي المكيدة، وهذه هي المؤامرة لأن رجال الحاشية الملكية وجلاوزة الملك يعرفون حقاً صلابة الشيخ في إيمانه وقوة عوده في يقينه، وجرأته في مخالفته لما عليه الملك في أحواله الخاصة والعامة، فلا تلين له قناة، ولا يجامل أحداً، ملكاً كان أو مملوكاً، راعياً أو رعية، وسوف لا يسجد للملك عند المقابلة، كما يقتضي العرف الديبلوماسي المقيت، وإن سأله الملك، فستكون أجوبته جريئة صريحة، ولن ترضي الملك، فتقع المحنة، ويصيبه شررها من اضطهاد ونحوه.

**وافق الملك على إشارة رجال حاشيته**، واستدعى الشيخ إلى قصره وبلاطه، فاستجاب الشيخ، ولكنه رحمه الله كما قال الكائدون، عندما دخل قصره نبهه إلى السجود فامتنع، ودخل مسلماً بتحية الإسلام، فاستشاط غيظاً وغضباً وقال هائجاً، وسأل منكراً، ما هذا؟ أخرجوه، وأمر باعتقاله في الحال، وأخذ مخفوراً، وطرح في سجن حصن كواليار في قلب مدينة الهند.

**لبث الشيخ في السجن بضع سنين يشتغل بالعبادة ويدعو المسجونين معه إلى الإسلام**، فأسلم على يده كما جاء في دائرة المعارف الإسلامية مئات المسجونين.

**وصار الجناة من السارقين** وقطاع الطرق يؤدون العبادة ويسجدون

للحي القيوم سبحانه وتعالى، وأصبحوا يأتمرون بأوامر الشيخ، وظهرت عليهم الصفات الخلقية الكريمة، فتنبه لذلك مدير السجن وكتب إلى الملك رسالة خاصة يخبره فيها أن المحبوس الشيخ السرهندي ليس من شأنه أن يحبس، وإنما هو ملك قلما ينجب الدهر مثله، فإن رأى الملك أطلقنا سراحه، وأكرمناه بما يستحقه، فندم الملك على ما ظهر منه من بوادر الشدة في شأن الشيخ، وأمر بإحضاره إلى مقر المملكة، ولما بلغه خبر دنوه من العاصمة بعث الأمير خوم ولي عهد المملكة لاستقباله والترحيب بمقدمه.

**كل ذلك فعل لأنه تحرى أخبار الشيخ بنفسه،** ودرس حياته، فوجد به العالم العامل والشيخ الصادق، فأخذ يكسب وده، ويتقرب إليه.

**عاد الشيخ منصوراً،** فقد أدى واجبه في السجن، وها هو يؤدي واجبه الشرعي عند الملك.

**دخل الشيخ عليه،** وأعاد التحية بالإسلام، فرد الملك التحية وتلقاه بالترحاب... والاعتذار.

**كان يوم هذه المقابلة في ليلة رمضان المبارك،** وأبى الملك إلا أن يضيف الشيخ عنده في هذا الشهر الكريم، ورجاه أن يسمعه ما يدور في خاطره، وأن يحدثه عما يريد، وأن يخبره بحقيقة دعوته، فاستجاب الشيخ مستبشراً بذلك فهذا يوم طالما تمناه.

**قضى الشيخ شهر رمضان في ضيافة الملك،** وفي بلاطه، محدثاً إياه عن الإسلام وعدله، شارحاً له واقع الخلفاء، والصالحين الذين تولوا حكم المسلمين.

**وقد وهبه الله صدقاً في اللهجة وحسناً في التعبير،** وسلامة في العرض والملك ينصت له، فبدأ الصلاة خلفه، وأقام صلاة التراويح، وأخذت أصداء آيات القرآن الكريم تجلجل في رحاب القصر، وعاش الملك في جو روحي عبق، حتى استطاع الشيخ بفضل الله وتوفيقه أن يغير قلب الملك وفكره، فأحب الإسلام واعتقد به، وأعلن ذلك للأمة بمرسوم أصدره يحمل الأوامر التالية:

**١ ـ تحريم السجود للملك.**

**٢ ـ الإذن بذبح البقر.**

**٣ ـ تعيين القضاة ورجال الحسبة في كل بلد.**

**٤ ـ إعادة بناء المساجد المهدمة.**

**٥ ـ إبطال القوانين المعارضة للشريعة الإسلامية.**

**وهكذا أخذ الولد الصالح** المؤمن ينقض ما أبرمه الوالد الكافر الفاسد، حسب قول الشيخ وأمره، ولقد صدق من قال:

إن الملوك لتحكمن على الورى    وعلى الملوك لتحكم العلماء

**استأذن الشيخُ الملكَ الصالحَ**، بالرجوع إلى بلده، فأذن له معتذراً مكرماً، فعاد الشيخ إلى زاويته بسرهند مستمراً على النصح والإرشاد، يعلم أتباعه ومريديه ليحملوا رسالته، وليواصلوا ارتقاء سلم الكمال بالدولة نحو الإسلام، بعد أن تركها الشيخ في وضع حسن، أمن المسلمون فيها على دينهم وزال عنهم ما أصابهم، من هم وغم، ومحن واضطهاد.

**وقد حمل الشيخ أمانة الإسلام**، في حمل دعوته وتحكيم شرعه في أعناق خلفائه، وأولاده الذين تولوا الأمر من بعده، مات الشيخ وعمره عمر نبيه ﷺ راضياً مرضياً وسيكون إن شاء الله معه في جنة الخلد، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[١].

*** العز بن عبدالسلام:**

**انعقد إجماع كل مصادر السير** من كتب الطبقات والتراجم التي ذكرت سلطان العلماء العز بن عبدالسلام على أنه رحمه الله تعالى اشتهر بصفة عالية سامية فوق صفات هديه وسلوكه المبارك بل غلبت على جميع تلك الصفات هي صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) الإسلام بين العلماء والحكام عبدالعزيز البدري ص ٢٠٨.

**إن الواجب الشرعي** يدعونا أن نقر هنا إقراراً متأسفين فيه، محزونين على وقوعه، هب أن المحنة الأولى التي نزلت بهذا الشيخ الجليل والمحن التي نزلت بعده على الشيخ الجليل ابن تيمية رحمهما الله تعالى، كان سببها الاختلاف الفكري في المسائل الفقهية والقضايا الكلامية المعتمدة على النصوص الظنية في ثبوتها ودلالتها، ذلك الاختلاف الذي رقي من رتبة الاختلاف الاجتهادي الذي يخطىء ويصيب صاحبه فيه، فله أجران إن أصاب، وأجر واحد إن أخطأ وهو ما يقره الإسلام، إلى أن يكون الدليل الأعظم على الحيوية الفكرية في الشريعة الإسلامية وعلى طاقة اتساعها في الأمور والمسائل التي أبعدت الضيق والإحراج عن الأمة الإسلامية في مختلف العصور، أقول: رقي في هذا الاختلاف برحمته من هذه الرتبة إلى رتبة التعصب المذهبي المقيت بشؤمه ومقته، الذي نهى عنه الإسلام، والذي أدى إلى الفتن والأذى بين المختلفين وتفسيق وتبديع بعضهم البعض مستعينين بالحكام في بعض الأحيان لإيذاء الخصوم وإنزال المحن بالمخالفين مما أدى إلى اضطهاد شيوخ العلماء، وإلى الاضطراب الفكري والنفسي بين الأمة، في الوقت الذي كانت الأمة الإسلامية بعلمائها وعامتها في غنى عن ذلك.

**ولكن قاتل الله التعصب المذهبي المقيت...**

**أعود فأقول**: إن أول محنة نزلت بشيخنا الجليل كانت بفتنة الحنابلة الواقعة في زمن السلطان الأشرف ابن الملك العادل الأيوبي بدمشق.

**يقول الذهبي**: كان للأشرف ميل إلى **المحدثين والحنابلة** وفي عصره حصلت فتنة بين **الحنابلة والشافعية** بسبب العقائد وتعصب عز الدين بن عبدالسلام على الحنابلة وجرت خبطة.

**ويقول الكتبي**: ولما كان في دمشق سمع من **الحنابلة** أذى كثيراً رحمه الله.

**وكان هذا الأذى** الذي أصاب شيخنا بسبب الاختلاف في مسألة كلامية ليست من أصول العقيدة الإسلامية، وقد انتهى الأمر بالشيخ إلى أن فرضت عليه الإقامة الجبرية في داره ولا يفتي أحداً من الناس ولا يجتمع بأحد منهم.

**وبقي الشيخ رحمه الله** في هذه الاستراحة الجبرية برهة من الزمن وتحدث أهل الشام بما حل بشيخهم المفضل، وتهامس العلماء بينهم وتلاوموا على تفريطهم في نصرة الشيخ ومعتقده، حتى قيض الله من ينتصر له عند السلطان ذلك هو شيخ السادة الحنفية في زمانه الشيخ **جمال الدين الحصيري** رحمه الله، وهناك في دار السلطنة قال السلطان للشيخ الحصيري بعد مناقشته في المسألة: ونحن نستغفر الله مما جرى ونستدرك الفارط في حقه، والله لأجعلنه أغنى العلماء، وأرسل إلى الشيخ واسترضاه وطلب محاللته ومخاللته.

**ولما فاز السلطان** باجتماعه به في مرض أصابه طالباً محاللته قال له: أما محاللتك في كل ليلة أحالل الخلق وأبيت وليس لي عند أحد مظلمة وأرى أن يكون أجري على الله ولا يكون على الناس.

**ثم قدم له مائة دينار مصرية** وهدية، ردها قائلاً: هذه اجتماعة لله لا أكدرها بشيء من الدنيا.

**وقبل هذا الاجتماع** أمر السلطان بالإمساك عن الكلام في مسألة الكلام وأن لا يفتي فيها أحد بشيء سداً لباب الخصام، والسلطان الأشرف يردد: لقد غلطنا في حق ابن عبدالسلام غلطة عظيمة.

**ومرت السنون** وإذ بالشيخ العز يمتحن مرة أخرى لأنه أنكر على سلطان الشام وحاكم دمشق خيانته السياسية للأمة الإسلامية.

**وفيما يلي موجز المحنة** وسببها كما يحدثنا بها الإمام السبكي في طبقاته والمقريزي في سلوكه:

**إن خلافاً نشأ واشتد وخصاماً طفق** منذراً بالكيد والحرب بين الأخوين سلطان الشام الملك الصالح إسماعيل، وسلطان مصر الصالح في سنة ١٣٨هـ أوجس إسماعيل خيفة من نجم الدين فاستعان بالصليبيين أعداء الإسلام، وتحالف على قتال أخيه، وأعطاهم مقابل ذلك مدينة صيدا على رواية السبكي، وكذلك قلعة صفد وغيرها على رواية المقريزي وغيره، وأمعن إسماعيل في هذه الخيانة فسمح للصليبيين أن يدخلوا دمشق ويشتروا

منها السلاح وآلات الحرب وما يريدون، وأثار هذا الصنيع المنكر استياء المسلمين وعلمائهم، فهب الشيخ العز واقفاً يواجه الخيانة والخائنين، وأفتى بتحريم بيع السلاح لهم، وصعد على منبر الجامع الأموي بدمشق في يوم الجمعة حيث كان خطيبه الرسمي، وأعلن الفتوى، وشدد في الإنكار على السلطان وفعلته المنكرة، وخيانته الفظيعة للأمة الإسلامية، وقطع من الخطبة الدعاء للسلطان إسماعيل وهو بمثابة الإعلان بنزع البيعة، ورفع الولاء عن السلطان يومئذ وصار يدعو بدعاء منه: اللهم أبرم لهذه الأمة إبرام رشد تعز فيه أولياءك وتذل فيه أعداءك ويعمل فيه بطاعتك وينهى فيه عن معصيتك...

**والمصلون يضجون بالتأمين على دعائه،** ولم يكن السلطان حاضراً تلك الخطبة إذ كان خارج دمشق، ولما أعلمه رجاله بذلك أمر بعزل الشيخ من خطبة الجمعة، واعتقاله مع صاحبه الشيخ ابن الحاكب المالكي لاشتراكه معه في هذا الإنكار.

**وكان أنصار الشيخ العز** قد أشاروا عليه بأن يغادر البلاد وينجو بنفسه من يد السلطان، وأعدوا له وسائل الهرب، ولكنه رحمه الله تعالى أبى ذلك وألحوا عليه فأصر على الإباء، فعرضوا عليه أن يختبىء في مكان أمين لا يهتدي إليه السلطان ورجاله، فرفض هذا العرض وقال: والله لا أهرب ولا أختبىء وإنما نحن في بداية الجهاد، ولم نعمل شيئاً بعد، وقد وطنت نفسي على احتمال ما ألقى في هذا السبيل، والله لا يضيع عمل الصابرين.

**ثم لما قدم إسماعيل إلى دمشق أفرج عنهما بعد،** ولكن العز بن عبدالسلام أمر بملازمة داره، وأن لا يفتي ولا يجتمع بأحد البتة، فاستأذنه في صلاة الجمعة مؤتماً بإمامها، وأن يُعار الطبيب أو مزين حلاق إذا احتاج إليهما وأن يدخل الحمام فأذن له في ذلك.

**ومرت الأيام والشيخ في إقامته الجبرية،** وقد منع من الإفتاء والاتصال بأحد من إخوانه، أو طلابه، وتعطلت هوايته المفضلة، وواجبه المقدس، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فطلب الهجرة من دمشق قاصداً مصر.

**وأفرج عنه بعد محاورات ومراجعات** فأقام بدمشق ثم انتزع منها إلى بيت المقدس، فوافاه الملك الناصر داود في. . . فقطع عليه الطريق وأخذه وأقام بنابلس مدة، وجرت له معه خطوب ثم انتقل إلى بيت المقدس حيث أقام مدة ثم جاء الصالح إسماعيل والملك المنصور صاحب حمص وملوك الفرنج بعساكرهم وجيوشهم إلى بيت المقدس، يقصدون الديار المصرية، فسير الصالح إسماعيل بعض خواصه إلى الشيخ بمنديله، وقال له: تدفع منديلي إلى الشيخ وتتلطف به غاية التلطف وتستنزله وتعده بالعودة إلى مناصبه على أحسن حال، فإن وافقك فتدخل به علي، وإن خالفك فاعتقله في خيمته إلى جانب خيمتي، فلما اجتمع الرسول بالشيخ شرع في مسايسته وملاينته ثم قال له: بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه وزيادة أن تتكسر للسلطان وتقبل يده لا غير، فقال الشيخ: والله يا مسكين ما أرضاه أن يقبل يدي فضلاً عن أن أقبل يده، يا قوم أنتم في واد وأنا في واد، الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به، فقال الرسول: يا شيخ قد رسم لي أن توافق على ما يطلب منك وإلا اعتقلتك، فقال الشيخ: افعلوا ما بدا لكم، فأخذوه في خيمته إلى جانب خيمة السلطان، وكان الشيخ يقرأ القرآن في معتقله والسلطان يسمعه فقال يوماً لملوك الفرنج: تسمعون هذا الشيخ الذي يقرأ القرآن؟ فقالوا: نعم، قال: هذا أكبر قسوس المسلمين، قد حبسته لإنكاره علي تسليمي لكم حصون المسلمين، وعزلته عن الخطابة بدمشق وعن مناصبه ثم أخرجته إلى القدس وقد جددت حبسه واعتقاله لأجلكم، فقالت له ملوك الفرنج: لو كان هذا قسيسنا لغسلنا رجليه وشربنا مرقتها.

**تلك إجابة الفرنج إلى السلطان الخائن** التي كانت سهماً في قلبه وإنكاراً متضمناً لفعله، والفضل ما شهدت به الأعداء، وذلك قول السلطان العبد لأسياده الفرنج يفتخر بخيانته.

**ثم وقعت الحرب بين الأخوين وكانت** الدولة والنصر للسلطان نجم الدين أيوب على أَخِيهِ رغم قلة جيشه في العدد والعدة بالنسبة لجيش إسماعيل وخلفائه وتلك عاقبة الخائنين في كل حين.

**وبذلك نجا الشيخ من أسر السلطان الخائن**، ووصل إلى مصر مكرماً معززاً وتولى فيها منصب قاضي القضاة.

**وثالثة الأثافي من محنه تعرضه للقتل** بسبب أمره ببيع أمراء الدولة في المزاد العلني... ولكن الله تعالى حفظه وخذل خصومه.

**كان لمماليك الأتراك نفوذ في الدولة الإسلامية** في أواخر حكم العباسيين، وامتد نفوذهم حتى أصبحوا أمراء في الدولة أيام حكم نجم الدين أيوب في مصر وكان الشيخ العز قاضياً للقضاة فيها، وقام رضوان الله عليه مصلحاً لأمر القضاء منفذاً بحزم أحكام الشرع لا تأخذه في ذلك لومة لائم، فنظر في حقيقة قضية أولئك الأمراء التي أثارها هو ثم أصدر قضاءه الآتي:

**قال السبكي:**

**ذكر كائنة الشيخ مع أمراء الدولة من الأتراك**... وهم جماعة ذكروا أن الشيخ لم يثبت عنده أنهم أحرار وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين، فبلغهم ذلك فعظم الخطب فيه، واحتدم الأمر، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعاً، ولا شراءً ولا نكاحاً، وتعطلت مصالحهم بذلك، وكان من جملتهم نائب السلطنة فاشتاط غضباً، واجتمعوا وأرسلوا إليه، فقال: نعقد لكم مجلساً وينادى عليكم لبيت مال المسلمين، ويحصل عتقكم بطريق شرعي، فرفعوا الأمر إلى السلطان فبعث إليه فلم يرجع، فجرت من السلطان كلمة فيها غلظة، حاصلها الإنكار على الشيخ في دخوله في هذا الأمر، وأنه لا يتعلق به، فغضب الشيخ وحمل حوائجه على حمار، وأركب عائلته على حمير أخرى، ومشى خلفهم من القاهرة قاصداً نحو الشام، فلم يصل إلى نحو نصف بريد حتى لحقه غالب المسلمين، لم تكد امرأة ولا صبي ولا رجل لا يؤبه له يتخلف ولا سيما العلماء والصلحاء والتجار وأنحاؤهم، فبلغ السلطان الخبر، وقيل له: متى راح ذهب ملكك فركب السلطان بنفسه ولحقه، واسترضاه وطيب قلبه، فرجع واتفقوا معهم على أن ينادى على الأمراء، فأرسل نائب السلطنة بالملاطفة فلم يفد فيه، فانزعج النائب فقال: كيف ينادي علينا هذا الشيخ

ويبيعنا ونحن ملوك الأرض؟ والله لأضربنه بسيفي هذا، فركب بنفسه في جماعته وجاء إلى بيت الشيخ، والسيف مسلول في يده فطرق الباب، فخرج ولد الشيخ فرأى من نائب السلطة ما رأى، فعاد إلى أبيه وشرح له الحال، فما اكترث لذلك ولا تغير وقال: يا ولدي أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله، ثم خرج كأنه قضاء الله قد نزل على نائب السلطنة فحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب وسقط السيف منها وأرعدت مفاصله، فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له، وقال: يا سيدي خير أي شيء تعمل؟.

**قال: أنادي عليكم وأبيعكم،** قال: ففيمَ تصرف ثمننا؟ قال: في مصالح المسلمين، قال: من يقبضه؟ قال: أنا، فتم ما أراد ونادى على الأمراء واحداً واحداً وغالى في ثمنهم، وقبضه، وصرفه في وجوه الخير، وهذا لم يسمع قبله لأحد، رحمه الله ورضي عنه[1].

*** وفي ترجمة عطاء بن أبي سعيد أبو محمد الثعلبي الهري القضاعي الصوفي:**

**قال الذهبي:**

الإمام المحدث الزاهد تلميذ شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري.

**قال السمعاني:**

**كان ممن يضرب به المثل في إرادة شيخ الإسلام والجد في خدمته،** وله حكايات ومقامات في خروج شيخه إلى بلخ في المحنة وجرى بينه وبين الوزير نظام الملك محاورة ورداه واحتمل له النظام.

**قال: وسمعت أن عطاء قدم للخشبة ليصلب،** فنجاه الله لحسن نيته، فلما أطلق عاد إلى التظلم، وما فتر، وخرج مع النظام ماشياً إلى الروم، فما ركب وكان يخوض الأنهار مع الخيل، ويقول: شيخي في المحنة فلا أستريح، قال لي ابنه محمد عنه قال: كنت أعدو في موكب النظام فوقع

---

(١) الإسلام بين العلماء والحكام عبدالعزيز البدري ص ١٩٠.

نعلي فما التفت ورميت الأخرى، فأمسك النظام الدابة وقال: أين نعلاك؟ فقلت: وقع أحدهما فخشيت أن تسبقني إن وقفت قال: فلِمَ رميت الأخرى؟ فقلت: لأن شيخي أخبرنا أن **النبي ﷺ نهى أن يمشي الرجل في نعل واحد**، فما أردت أن أخالف السنة، فأعجبه، وقال: أكتب إن شاء الله حتى يرجع شيخك إلى هراة، وقال لي: اركب بعض الجنائب فأبيت وعرض علي مالاً فأبيت(١).

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ٥٤.

# الفصل الثاني:
# الردود (معاصرون)

**الرد العلمي الصحيح منهج السلف**، وأثارة نبوية، والبلد الذي يتميز أهله بين راد ومردود نادراً ما تخبو فيه الحقيقة، فقد قيل:

وإذا ما خلا الجبان بأرض قوم      طلب الطعن وحده والنزالا

**فإذا علم المصنف أو المدرس المبتدع** أن هناك من يرد عليه خطأه لم يتعجل في بث سمومه، وربما راجع نفسه عما يقوله حتى لا يَجْعَلَ نفسه هدفاً لمن يدفع باطله.

**كما أنه إذا علم الرجل الصالح** أن هناك من يتصيد أخطاءه ويرقب هفواته ممن لا يراقب الله تعالى في إخوانه فإنه يُحكم ما يقول أو يكتب فيخرج علمه نقياً خالياً من الشوائب.

**والكلام مع المعاصرين له حساسية معروفة**، فإنك إن ملت إلى أحد الفريقين ناصبك الآخر العداء، وإن تكلمت في حق قيل لك: بل هو باطل، وإن جهرت بالرأي عدوه طعناً وعدوك معتدياً، وإن أسررت به كنت جباناً خانعاً.

**وقد كنت أقدم قدماً وأصبع أصابعاً**، وألتمس موضعاً فأراجع برهة من الزمان حتى استقر رأيي أن أنقل شيئاً مما قيل دون كبير تعليق حتى لا يخلو الكتاب من فصل مهم من فصوله، ويمكن من خلال السطور أن يبدو لك

الحق المنظور وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

**وقد انتخبت من الردود** (على كثرتها) بعضها من المعاصرين منهم من انتقل إلى رحمة الله ومنهم من لا يزال على قيد الحياة.

**وهاك الشروع في المقصود** وعلى الله التوكل في بيان الرأي المحمود.

*** محمد عبده:**

**إذا كانت شخصية الأفغاني وأهدافه فيهما شيء من الغموض**، فإننا مع محمد عبده حيال شخصية واضحة، فآراؤه التي تأثر فيها بأستاذه أو فكره الخاص مكتوبة بقلمه أو بواسطة تلميذه رشيد رضا، وسنجد أن معظم الآراء التي طرحها فيما يسمى بـ(الإصلاح) يمكن إدارجها تحت مفهوم (العصرية) ومحاولة التلفيق بين الإسلام وروح الحضارة الغربية أو تابع فيها خطأ المعتزلة من قبل، ففي كتابه (رسالة التوحيد) أعاد منهج علماء الكلام في عرض العقيدة الإسلامية وتركيزهم على توحيد الربوبية، ووافقهم في قولهم: إن أول واجب على المكلف أن يأتي به هو النظر والفكر، وأن الأصل الثاني للإسلام تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض، وجارى المعتزلة في عدم الأخذ بحديث الآحاد في العقائد، يقول: ما قيمة سند لا أعرف بنفسي رجاله ولا أحوالهم، ولكنا نعرض هذه المأثورات على القرآن فما وافقه كان القرآن هو حجة صدقه وما خالفه فلا سبيل لتصديقه.

**ويتبع أستاذه الأفغاني في موضوع (تقارب الأديان)** فقد أسس بعد عام ١٨٨٥م جمعية سرية للتقريب بين الأديان شارك فيها عدد من رجال الدين المستنيرين ممن ينتمون إلى الأديان السماوية الثلاثة، وهو لا يشنع على النصارى شركهم وادعاء الربوبية لعيسى عليه السلام، ويحصر الخلاف معهم في أنهم لم يؤمنوا بمحمد ﷺ يقول: وليس المراد بنبذهم الكتاب وراء ظهورهم أنهم طرحوه برمته وإنما المراد طرحوا جُزْءاً منه وهو ما يبشر بالنبي ﷺ.

**وعندما تعرض لموضوع الزواج من كتابية** قال: فهي تدين بوجوب

عمل الخير وتحريم الشر والفرق الجوهري العظيم بينهما هو الإيمان بنبوة محمد ﷺ، وقرر هذه القاعدة في كتابه الإسلام والنصرانية، وذكر بأن الأصل السابع من أصول الإسلام الثمانية مودة المخالفين في العقيدة.

*** في التفسير:**

**أكثر ما تظهر عصرية محمد عبده عندما يتعرض لتفسير القرآن** فهو يحاول تأويل بعض الآيات تأويلاً يتناسب بظنه مع العلم الحديث أو مع روح العصر، ففي قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾[1] قال: المراد هنا **النمامون** المقطعون لروابط الألفة، لأنه ينكر أن يكون السحر حقيقة ملموسة.

**وعندما يقول رشيد رضا في** تفسير المنار إن الأجسام الحية التي تسمى بالميكروبات يصح أن تكون نوعاً من الجن، وعندما يقولُ إنَّ كل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلهية في إيجاده فإنما قوامه بروح إلهي سمي في لسان الشرع ملكاً، وعندما يذهب بعيداً في تفسير هذه الآيات فإنما يعبر عن رأي شيخه وموقفه من الجن والملائكة[2]، بل إن الشيخ محمد عبده يدعو كل مفسر لأن يتزود بشيء من اللغة العربية ودراسة السيرة والنظر في الكون ثم يفهم القرآن حسب عصره، وهذه دعوة جريئة للخوض في كتاب الله بغير علم.

*** الفقه والسياسة الشرعية:**

لم يتكم محمد عبده عن الحكومة الإسلامية كما تكلم علي عبدالرزاق بعدئذ في كتابه الإسلام وأصول الحكم، ولكن كلام الشيخ عن السلطة في الإسلام وأنها مدنية من جميع الوجوه وأنه ليس في الإسلام سلطة سوى الموعظة الحسنة والدعوة إلى الخير، فإن كلامه هذا كان مقدمة وتمهيداً لما

(١) سورة الفلق، الآية: ٤.

(٢) يأتي البيان علي أن كلام السيد رشيد أدق مما فهم عنه، قريباً إن شاء الله.

كتبه علي عبدالرزاق، وإن لم يكن بالوضوح نفسه، وربما يقال: إنه يقصد أن الحكومة في الإسلام ليست ثيوقراطية أو ليس في الإسلام سلطة كسلطة البابا عند النصارى ولكنه يبقى كلاماً غامضاً مما شجع هذا الاتجاه الذي يعتبر أن الحكم والخلافة ليستا من أصول الإسلام.

**أما رأي الشيخ في الجهاد** فهو ينم عن ضعف شديد أمام الغربيين فهو يرى أن المسلمين إنما شهروا سيوفهم في أول الدعوة دفاعاً عن أنفسهم، أما الفتوحات التي وقعت بعدئذ فهي من ضرورة الملك، ورأيه هذا يعني أن الفتوحات كانت سياسة بحتة قصدها التوسع.

**ومجمل آرائه الفقهية يلحظ فيها هذا الضعف،** فعندما استفتي هل يجوز منع تعدد الزوجات؟ أجاب: نعم، لأن العدل المطلق شرط واجب التحقيق وتحقيق هذا العدل مفقود حتماً، فللحاكم والعالم منع التعدد، اللهم إلا في حالة واحدة، [وهي] ما إذا كانت الزوجة عقيماً.

**وهذا تحكم منه في شرع الله لم يأذن بِهِ،** وكذلك فتواه في **حل إيداع الأموال في صندوق التوفير**[1]، وأخذ الفائدة عليها، ويبلغ الشيخ قمة التقرب من الغرب والانبهار أمام حضارته عندما يتكلم عن الرسم والنحت وسائر الفنون فيقول:

**فحفظ الآثار والرسوم والتماثيل** هو حفظ للعلم والحقيقة، وشكر لصاحب الصنعة على الإبداع فيها، ويقول لتلميذه **رشيد رضا:** إن الراسم قد رسم والفائدة محققة، ومعنى العبادة وتعظيم التمثال أو الصورة قد محي من الأذهان، فنحن أمام رجل يريد إعمال عقله في النصوص وليس فهم النصوص ومقاصد الشريعة.

**ومع ذلك فالشيخ محمد عبده** يختلف عن أستاذه فقد رأى من خلال تجربته أن الاهتمام بالتعليم وتربية الأجيال والابتعاد عن **مشاكل الأفغاني**

---

(١) لم يكن الشيخ محمد عبده منفرداً في هذا بل جمع من علماء الأزهر في زمانه على هذا الأمر أيضاً.

**ومشاغله السياسية** هو الحل الصحيح، وهذا مما أغضب أستاذه فأرسل إليه يعنفه ويقول: كن فيلسوفاً يرى العالم ألعوبة ولا تكن صبياً هلوعاً، ولكن محمد عبده آثر وصمم على انتهاج طريق إصلاح التعليم لأنه يرى أن أسباب الخذلان عند المسلمين هو القصور في التعليم الديني، ونقد الأزهر وجموده وطرق تعليمه، وعبارات الكتب المتأخرة المتداولة ودعا إلى كسر قيود التقليد الأعمى، **وهاجم الصوفية الذين يعتقدون بالأموات**، وقال: إن هذا من أعمال الوثنيين، كما نقد جمهور العامة لأنهم إما جبرية أو مرجئة، وبعض هذا النقد من الإيجابيات إلا أنه **غالى في مهاجمة التقليد**، فكان من وراء ذلك فتح باب الاجتهاد على مصراعيه لمن يحسنه ومن لا يحسنه، كما أنه في **هجومه على عقيدة الجبر والتكاسل** ضخم من شأن الاختيار حتى **قرب من المعتزلة، وهجومه على الصوفية وإن كان حقاً إلا أنه لم يتبن عقيدة أهل السنة**، بل كان كهجوم المعتزلة عليهم لأن الصوفية لا يأبهون للعقل ويعتمدون على الذوق والوجدان، وإذا كان أهم أعمال محمد عبده هو **كسر الجمود الذي ران على التعليم والأزهر**، وعلى المفاهيم بشكل عام، فإن ذلك كان على حساب مبادىء الإسلام وتعاليمه، وسنرى أن تلميذه **رشيد رضا** كان خيراً منه ولكن ليس كل تلامذته على هذه الشاكلة فمنهم قاسم أمين وسعد زغلول.

**وعلى كل حال لا يزال يتمسح بمحمد عبده من يريد إسلاماً عصرياً** يلائم هواه أو ضعفه[1].

*** رشيد رضا:**

**من أبرز تلامذة ومحبي محمد عبده**، وهو وإن اختلف معه في بعض الأمور أو ابتعد عن منهجه في التفسير بعد أن استقل به منفرداً ولكنه ظل وفياً له، منافحاً عنه وعن الأفغاني حتى آخر حياته، ولا شك أن رشيد رضا

---

(١) مجلة البيان عدد ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٨ فبراير سنة ١٩٨٨م، رئيس التحرير محمد العبدة/ مدير التحرير منصور الأحمد.

يعتبر من المصلحين البارزين في هذا العصر، فقد كانت مجلة المنار من المجلات الإسلامية التي تهتم بشؤون المسلمين، وتدافع عن الإسلام، وفيها كتب **آراءه في الإصلاح**، ونبه الأمة وحذرها، وأبدأ وأعاد في أهمية الإصلاح السياسي بتقييد الحكومات بالشورى، وركز على سنن الاجتماع البشري وعمارة الدنيا في سبيل الآخرة، والارتقاء بالمسلمين والاهتمام بالصناعة وثروة الأمة، وهاجم الترف والإسراف، ودعا العلماء للقيام بواجبهم، دون خوف أو ملل، واهتم بالتعليم وتربية الأمة.

**وكان من آماله الكبيرة** إنشاء معهد للدعوة والإرشاد لتخريج أجيال تفهم دينها وتتعلم العلوم الحديثة، وقد حاول جاهداً إقامة هذا المعهد فرحل إلى العاصمة استامبول، وأقام هناك سنة ولكنه لم يوفق ثم رجع إلى القاهرة، ولكن جهوده لم تدعم ولم يقم المعهد، وفي **تفسير المنار** أودع نظراته الثاقبة في داء الأمة وأسباب رقيها، وتكلم عن فلسفة تاريخ الاجتماع البشري كما دعا إلى نبذ التقليد والتعصب للمذاهب الفقهية إلا أنه ذهب إلى أبعد مما تحتمله هذه المسألة.

**ومع هذه اللهجة الصادقة في الإصلاح وانتهاج مذهب السلف في الأسماء والصفات والرجوع إلى الأحاديث النبوية** وهذا مما يختلف به عن شيخه إلا أنه ظل متأثراً به في كثير من المواضع، فهو يرد شبهة العقلانيين التي تقول بأن علماء الحديث لم يبحثوا في المتون أو يعتنوا بها وإنما كانت عنايتهم بالأسانيد، ولو انتقدت الروايات من جهة فحوى متنها لانتقصت كثيراً من الأسانيد، وظل متأثراً بشيخه في موضوع المعجزات التي ذكرت في القرآن فيحاول تأويلها تأويلاً بعيداً غير مقبول، اعتذاراً من أحرار الغرب كما يسميهم.

**فمعجزة حمل السيدة مريم بعيسى عليه السلام** هو أنها عندما بشرت به انفعل مزاجها ففعل في الرحم فعل التلقيح، وكان نفخ الروح الذي ورد بعدئذ متماً لهذا التأثير، وعندما تكلم عن إصلاح المرأة وتعليمها وموضوع التعدد كانت لهجته أكثر تقيداً بالشرع وبالأحاديث، وأكثر ثقة بالإسلام من

منهج شيخه، ولكنه وافق شيخه في موضوع التعدد وأنه يجوز منعه، كما حاول تبرير كافة تصرفات شيخه وأستاذه الأفغاني عن بعض مواقفهم مثل دخولهم في الماسونية. اهـ.

**كانت هذه كلمات الأستاذ محمد عبده وفيها كثير من التحامل على الشيخ رشيد رضا، وكثير مما قاله غير صحيح، بل قاله متأثراً بغيره ممن كتب وصنف، وقد ألف أحد المعاصرين مؤلفاً مفيداً عن الشيخ رشيد رضا، هو «السيد محمد رشيد رضا طود وإصلاح ـ دعوة وداعية»، بين فيه كثيراً من وهاء هذه الشبهات فليراجعه من شاء فإنه مفيد.**

*** الزاهد الكوثري:**

**قال محمد بن حمد الحمود**، قال في مقدمة كتاب لمحمد البيطار:

**فهذه كلمات مفيدة** وتنبيهات طلية كتبها علامة الشام الراحل محمد بهجة البيطار رحمه الله تعالى، حول جهمية الهالك زاهد الكوثري وتعليقاته، والكوثري عامله الله بما يستحق تناول بعض مسائل السلف العقدية الصافية النقية بالتحريف لمحتواها والإفساد لمعناها والرد على أصحابها والتسفيه لكلامهم[١].

**وقال محمد بهجة البيطار:**

**إن تعجب فعجب لرجل أعمى يدعي الغيرة على الإسلام** والدفاع عن عقائده، وعن فقه المسلمين ثم تراه لا يألو جهداً في نفي ما أثبت الله عز وجل لنفسه في كتابه وعلى لسان نبيه خاتم أنبيائه ورسله، من آياته وصفاته ونعوت جلاله تبارك وتعالى ويطعن في أئمة الحديث ونوابغ العلماء وأشهر مشاهير الأمة من دون ورع ولا حياء ولا يبالي أن يكتب العقائد من عند نفسه، وأن يملي التاريخ من حقده فينحل أهل السنة عقائد المعتزلة ويثني عليهم بها ويشوه تراجم الرجال ومحاسنهم ويقلب الحقائق رأساً على عقب.

---

(١) الكوثري وتعليقاته لمحمد بهجت البيطار ص ٥.

**هذا هو الشيخ زاهد الكوثري الجركسي** الذي كان سمح له الأستاذ السيد حسام الدين القدسي أن يصحح بعض مطبوعاته وأن يعلق عليها تعليقات لا يخرج بها عن دائرة الحقيقة ولا يفتات فيها على أحد بشيء ولما وقف على هذا النزر الذي علقه رأى فيه من ضروب الخيانات والجنايات ما تقف له الشعور وتقشعر منه الجلود ويُسأَل من مثله العافية فاضطر الحسام الفاضل إلى إيقافه عن التصحيح والتعليق وأعلن في مقدمة كتاب الانتقاء خيانته على رؤوس الأشهاد وخيانته على الدين وأهله بما لم يسبق إلى مثله . . .

**ثم كتب العناوين الآتية:** قلبه للحقائق رأساً على عقب، وتبيين كذب المفتري، مخالفته لأهل السنة في إثبات الصفات، قال: رأيت هذا العنوان الذي هو اسم كتاب الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى إنه ينطبق على الكوثري فيما علق عليه فهو أشد الناس عداوة لمذهب أئمة السلف في الأسماء والصفات، خيانته في النقل وجرأته على الله عز وجل، قال: إن مما يقضي بالعجب تلاعب الكوثري في النقل وتناقضه فيه وجرأته على الله عز وجل، وطعنه في أهل القرون الثلاثة المفضلة وهم الصحابة والتابعون وأتباعهم بإحسان فيما أجمعوا عليه وجعل عقيدتهم التي هي نصوص القرآن القطعية من شواذ شيخ الإسلام ابن تيمية، كذب مفضوح في كتاب مطبوع، قال: ولو كان هذا الرجل الكوثري ممن يتقي الله ويبالي خزي الدنيا يوم الحساب لما رضي لنفسه هذا الموقف الشاذ الذي وقفه من حملة القرآن ودعاة السنة وحماتها ولما استباح لنفسه الكذب في التاريخ والتجني على أئمة الدين ومفاخر المسلمين في كل العصور.

**وقال الأستاذ حسام الدين المقدسي:**

**قال في مقدمة كتاب الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم**، وذكر عيوناً من أخبارهم وأخبار أصحابهم للتعريف بجلالة قدرهم، هذا وقد كان الشيخ محمد زاهد الكوثري يصحح الكتاب ويعلق عليه ثم أوقف ذلك في الصفحة (٨٨) لما اطلعت

عليه من دخيلة في علمه وعمله، دفعتني إلى النظر في تعليقاته على النزر من مطبوعاتي بغير العين التي كانت لا تأخذ منه إلا عالماً مخلصاً فرأيته في بعضها باحثاً بمادة واسعة وتوجيه لم يسبق إليه وهو شطر السبب في إعجابي به وبما يتأتى إليه من عدم النفاذ إلى أغراضه وفي بعضها يحاول الارتجال في التاريخ تعصباً واجتراءً والباقي تعليق ككل تعليق وكلام ككل الكلام وخيفة أن أشاركه في الإثم إذا أنا سكت عن جهله بعد علمه سقت هذه الكلمة الموجزة معلناً براءتي مما كان من هذا القبيل(١).

**وقال الشيخ ابن باز:**

**من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز** إلى حضرة الأخ المكرم صاحب الفضيلة العلامة الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد وكيل وزارة العدل لا زال مسدداً في أقواله وأعماله، نائلاً من ربه جزيل نواله، آمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فقد اطلعت على الرسالة التي كتبتم بعنوان براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة، **وفضحتم فيها المجرم الآثم محمد زاهد الكوثري** بنقل ما كتبه من السب والشتم والقذف لأهل العلم والإيمان واستطالته في أعرافهم وانتقاده لكتبهم إلى آخر ما فاه به ذلك الأفاك الأثيم، عليه من الله ما يستحق، كما أوضحتم أثابكم الله **تعلق تلميذه الشيخ عبدالفتاح أبو غدة به وولاءه له** وتبجحه باستطالة شيخه المذكور في أعراض أهل العلم والتقى ومشاركته له في الهمز واللمز وقد سبق أن نصحناه بالتبرؤ منه وإعلان عدم موافقته له على ما صدر منه وألححنا عليه في ذلك **ولكنه أصر على موالاته له هداه الله للرجوع إلى الحق وكفى المسلمين شره وأمثاله**، وإنا لنشكركم على ما كتبت في هذا الموضوع وأسأل الله أن يجزيكم عن ذلك خير الجزاء وأفضل المثوبة لتنبيه إخوانكم إلى المواضع التي زل فيها قدم هذا المفتون أعني **محمد زاهد الكوثري**.

**وقال بكر بن عبدالله أبو زيد:**

---

(١) الكوثري وتعليقاته لمحمد بهجت البيطار قدم له محمد بن حمد الحمود.

**فهذه أكتوبة تنطق ببراءة أهل السنة من التكفير والقذف والتنقص لطائفة من علماء الأمة** لتكشف عن شخصين في حقيقتهما حتى تصيح الحقيقة بها من كل جانب وتضرب بأشعتها على رؤوس أقلامهما أحدهما بطانة هذا المسلم محمد زاهد الكوثري، والثاني ظهارته من تكنى به ونسب نفسه إليه أبو زاهد عبدالفتاح أبو غدة الكوثري، فالأول مدره طعن فوق سهامه بهذه المباني المروعة والعبارات المرهقة وهو منفلت العنان ذرب اللسان بهتك الحرمات والمحارم فيلغ في أعراض الأبرياء ويكفر أساطين العلماء وينتقص منارات الهدى كل هذا ليكثر سواد مزاعمه لسواد مشاربه في أمراض متنوعة من التقليد الأصم والتمشعر بغلو وجفاءِ التصوف السادر والقبورية المكبة للمخلوق عن الخالق[1].

*** محمد سعيد البوطي:**

**قال الشيخ صالح بن فوران:**

**قد اطلعت على كتاب من تأليف الدكتور البوطي** بعنوان «السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي» فاستغربت هذا العنوان لما يوحي به من إنكار أن يكون للسلف مذهب ومنهج يجب علينا معرفته والتمسك به وترك المذاهب المخالفة له، ولما قرأت الكتاب وجدت مضمونه أغرب من عنوانه حيث وجدته يقول: إن التمذهب بالسلفية بدعة ويشن حملة على السلفيين ونحن نتساءل هل الذي حمله أن يشن هذه الحملة الشعواء على السلفية والسلفيين هل ذلك كراهيته للبدع فظن أن التمذهب بالسلفية بدعة فكرهه لذلك؟ كلا ليس الحامل له كراهية البدع لأننا رأيناه يؤيد في هذا الكتاب كثيراً من البدع ويؤيد الأذكار الصوفية المبتدعة ويؤيد الدعاء الجماعي بعد صلاة الفريضة وهو بدعة ويؤيد السفر لزيارة قبر رسول الله ﷺ وهو بدعة فاتضح لنا والله أعلم أن الحامل له على شن هذه الحملة هو التضايق من الآراء السلفية التي تناهض البدع والأفكار التي يعيشها كثير من

---

(١) براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة لبكر بن عبدالله أبو زيد ص ٥.

العالم الإسلامي اليوم وهي لا تتلاءم مع منهج السلف[1].

**وقال عبدالقادر حامد:**

**ومن هؤلاء الذين درجوا على إثارة المعارك الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي** فقد أخذ هذا الرجل على عاتقه مهمة الوقوف بقوة وبكل ما أوتي من مواهب في وجه التيار الذي ينادي بالعودة إلى الكتاب والسنة وتحكيمهما في واقع المسلمين المعاصر ولم يدخر جهداً ولا وسيلة للهجوم على هذا التيار فهو يستخدم المسجد الذي يخطب فيه **والكرسي الجامعي** الذي أُسند إليه والمؤتمرات التي يُدعى إليها والكتب التي سودها كل ذلك وغيره من أجل تشويه كل من يمت بصلة إلى هذا التيار ولقد أصبحت عنده كأنها قضية حياة أو موت.

**وعندما تستعرض ما يكتبه في شأنها** تتبدى أمامك شخصية قلقة تتصنع ركانة ليست من طبعها كأنها شخصية من يحاول جر واجتياز شيء ثمين سبق إليه من هم أقوى منه سواعد وأصعب منه قياداً ومراساً، لقد انتهى الأمر بالبوطي إلى أن حدد مساره بوضوح، وذلك بأن يعمل على جهتين ويحشد طاقاته لتسير على خطين متوازيين:

**١ ـ العمل على رمي الاتجاه السلفي بما يستطيع من عظائم وسخائم** وتضييع أوقاته التي يسترخصها في هذا المجال العقيم.

**٢ ـ بناء هذه الطائفة** التي أصبحت عظيمة ولله الحمد هذا من جهة ومن جهة أخرى نعومته وتحضره ورزانته المزعومة التي يبدو بها أمام غيرهم ممن هم أولى بأن يصرف همه إليهم ويقف جهوده على الإشارة إلى أفاعيلهم وهم كثير في البلاد التي يصول فيها ويجول لا يتطلب التعرف عليهم إلا أن ينظر إلى يمينه ويساره.

**لقد تصدى البوطي في أواخر الستينات لما سماه اللامذهبية** ودفع كتيباً بعنوان تهويلي هو: **اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية**، وخطب

---

(١) انظر تعقيبات على ما في كتاب السلفية للبوطي من الهفوات، بقلم صالح الفوزان ص ٩.

وحاضر وسب وشتم حول هذا الموضوع، ورد عليه في حينها ولكنه شعر أنه لم يكسب الجولة فقد وجد أنه إذا كتب رسالة رد عليه برسالة وإذا أصدر كتيباً رد عليه بكتاب فماذا يفعل؟ وجاءت الفرصة حين تشتت أعداؤه شذرَ مذرَ لأسباب لا يد له هو فيها، فمنهم من يقبع في غياهب السجون ومنهم من أجبر على الهجرة ومنهم من ألجم بلجام الإرهاب والخوف فانبرى الرجل من جديد يعيدها جذعة ويستأنف طريقته في النقاش والهجوم والعلم والتعليم مع أن الفروسية تقتضي أن يسكت حيث سكت أو أسكت خصومه ولكن يبدو أن العرب الذين علموا البشرية الفروسية ماتوا ولا يعرفهم البوطي ففي عام ١٤٠٨هـ أصدر كتاباً بعنوان **السلفية مرحلة زمنية لا مذهب إسلامي** يصلح أن يتخذ نموذجاً لما يجني التعصب والحقد والغرور والكبر على صاحبه وعلى العلم.

**أما الشيء الذي يخرج القارىء به ويتعثر به أينما جال بنظره في الكتاب فهو:** كره شديد للدعوة السلفية ودعاتها يعبر عنه بصراحة بألفاظه التي تنم عن الكبر الموجود في نفسه ومداورة وحينما يحاول أن يتزيا بزي العلماء ويستخدم عباراتهم، حرصاً على النيل من ابن تيمية وابن القيم كلما لاحت له فرصة في مناسبة أو غير مناسبة افتراء وتهويل على خصومه[1].

*** وقال الألباني:**

**ثم وقفت على كتاب فقه السيرة للأستاذ الفاضل الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي** فرأيته نحا فيه نحو الأستاذ الكتاني، فأورد فيه كثيراً من الأحاديث الضعيفة والمنكرة، بل وما لا أصل له ألبتة، ولكنه زاد عليه فنص في المقدمة أنه اعتمد على ما صح من الأحاديث والأخبار ولكن دراستي للكتاب بينت أنها دعوى مجردة، **وأن جل اعتماده كان على كتاب فضيلة الشيخ الغزالي فقه السيرة**، الذي لم يقتصر الدكتور على أن يأخذ منه فقط بل زاد عليه فاستفاد منه كثيراً من بحوثه ونصوصه بل وعناوينه كما استفاد

---

(١) مجلة البيان عدد ٣٤ جمادى الأولى ١٤١٢هـ، ص ١٠.

من تخريجي إياه المطبوع معه مع اختصار له مخل ليستر بذلك ما قد فعل.

**وقد انتقدني في ثلاثة مواطن** منه تمنيت يشهد الله أن يكون مصيباً ولو في واحد منها ولكنه على العكس من ذلك فقد كشف بذلك كله أن هذه الشهادات العالية وما يسمونه بـ(**الدكتوراه**) لا تعطي لصاحبها عصمة وتحقيقاً وأدباً، وإني لأرجو أن تتاح لي الفرصة لأتمكن من بيان هذا الإجمال والله المستعان فإن كل من يتتبع الدكتور البوطي في كتبه ورسائله ويتحدث به في خطبه ومجالسه يجده لا يفتأ يتهجم فيها على السلفيين عامة، وعلى من دونهم خاصة ويشهر بهم بين العامة والغوغاء، ويرميهم بالجهل والضلال، وبالتبله والجنون ويلقبهم بـ(السفليين) و(السخفيين) وليس هذا فقط بل هو يحاول أن يثير الحكام ضدهم برميه إياهم بأنهم عملاء للاستعمار إلى غير ذلك من الأكاذيب والترهات التي سجلها عليه الأستاذ محمد عيد عباسي في كتابه القيم «بدعة التعصب المذهبي» ص٢٧٤، ٣٠٠، وغيرها، داعماً ذلك بذكر الكتاب والصفحة التي جاءت فيها هذه الأكاذيب.

**ومن طاماته وافتراءته قوله في فقه السيرة ص ٣٤٥ الطبعة الثالثة، بعد أن نبزهم بلقب الوهابية**: ضل أقوام ولم تشعر أفئدتهم بمحبة رسول الله ﷺ وراحوا يستنكرون التوسل بذاته ﷺ بعد وفاته، وهذا كأنه اجترار من الدكتور لفرية ذلك المتعصب الجائر إن هؤلاء الوهابيين تتقزز نفوسهم أو تشمئز حينما يذكر اسم محمد ﷺ متلازمان كالإيمان والعمل الصالح تماماً.

**فهذا الحب الصادق المقرون بالاتباع الخالص** للنبي ﷺ هو الذي أراد الدكتور أن ينفيه عن السلفيين بفريته السابقة، فالله تعالى حسيبه ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[1].

**ذلك قليل من كثير من افتراءات الدكتور البوطي** وترهاته، الذي أشفق عليه ذلك البعض، أن قسونا عليه أحياناً في الرد ولعله قد تبين لهم أننا كنا معذورين في ذلك، وأننا لم نستوف حقنا منه بعد ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦.

﴿مِّثْلُهَا﴾[1] ولكن لن نستطيع الاستيفاء لأن الافتراء لا يجوز مقابلته بمثله، وكل الذي صنعته أنني بينت جهله في هذا العلم، وتطفله عليه ومخالفته للعلماء، وافتراءه عليهم وعلى الأبرياء، بصورة رهيبة لا تكاد تصدق، فمن شاء أن يأخذ فكرة سريعة عن ذلك فليرجع إلى فهرس الرسالة هذه يرى العجب العجاب.

**هذا وهناك سبب أقوى استوجب القسوة المذكورة في الرد ينبغي على ذلك البعض المشفق على الدكتور أن يدركه**، ألا وهو جلالة الموضوع وخطورته الذي خاض فيه الدكتور بغير علم مع التبجح والادعاء الفارغ الذي لم يسبق إليه، فصحح أحاديث وأخباراً كثيرة لم يقل بصحتها أحد، وضعف أحاديث أخرى تعصباً للمذهب، وهي ثابتة عند أهل العلم بهذا الفن الشريف، مع جهله التام بمصطلح الحديث وتراجم رواته، وإعراضه عن الاستفادة من أهل العلم العارفين به، ففتح بذلك باباً خطيراً أمام الجهال وأهل الأهواء أن يصححوا من الأحاديث ما شاؤوا ويضعفوا ما أرادوا، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

**وسبحان الله العظيم**، إن الدكتور ما يفتأ يتهم السلفيين في جملة ما يتهمهم به بأنهم يجتهدون في الفقه، وإن لم يكونوا أهلاً لذلك، فإذا به يقع فيما هو شر مما اتهمهم به تحقيقاً للأثر السائر: من حفر بئراً لأخيه وقع فيه، أم أن الدكتور يرى أن الاجتهاد في علم الحديث من غير المجتهد بل من جاهل يجوز، وإن كان هذا العلم يقوم عليه الفقه كله أو جله.

**من أجل ذلك فإني أرى من الواجب** على أولئك المشفقين على الدكتور أن ينصحوه والدين النصيحة، بأن يتراجع عن كل جهالته وافتراءاته، وأن يمسك قلمه ولسانه عن الخوض في مثلها مرة أخرى، عملاً بقول نبينا ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**»، قيل: كيف أنصره ظالماً؟ قال: «**تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره**»، أخرجه البخاري من حديث أنس

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

ومسلم من حديث جابر وهو مخرج في الإرواء (٢٥١٥).

**فإن استجاب الدكتور فذلك ما نرجو**، وعفا الله عما سلف، وإن كانت الأخرى فلا يلومن إلا نفسه، والعاقبة للمتقين، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾[1].

**وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.**

دمشق في **٢٧** جمادى الآخرة سنة **١٣٩٧**هـ: محمد ناصر الدين الألباني[2].

*** محمد علي الصابوني:**

**قال محمد محمود أبو رحيم:**

**بعد قراءة كتاب النبوة والأنبياء** لاحظت أن المؤلف لم يلتزم بما أخذ على نفسه من الجدة والدقة والتحقيق فساق من الإسرائيليات ما تقشعر منه الأبدان، ومن الأخبار الواهية في ترجيح ما لا يصلح حاله إلا بصريح القرآن والحديث، وتفصيل ما أجمله القرآن ولم تبينه السنة الصحيحة، بل إن كثيراً من المسائل التي ناقشته فيها لم يذكر مرجعاً لها أو دليلاً يوثق مذهبه فيها وكان يبتر رأي المؤرخين فيما ينقله عنهم فوقع في تناقضات سببها عدم الدقة، وقد وقفت على مسائل كثيرة في كتابه المذكور اخترت بعضاً منها ناقشته فيها بالدليل من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وأهل اللغة وطرحت الآراء والتأويلات المخالفة لمنطق الدين والعقل ولم يكن ردي نابعاً من دافع شخصي ولكني لما رأيت كثرة الأخطاء في الكتاب وعموم توزيعه على المسلمين رجوت تذييله بهذه الملاحظات استدراكاً لمن قرأ الكتاب وتنبيهاً لمن سيقرأه وحتى يقف الجميع على الحق ولا يغتروا[3].

---

(١) سورة غافر، الآية: ٥١.

(٢) دفاع عن الحديث النبوي والسيرة في الرد على جهالات الدكتور البوطي في كتابه فقه السيرة للألباني ص ٢.

(٣) نظرات في كتاب النبوة للدكتور محمد محمود أبو رحيم ص ٥.

**وقال الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد** بعد أن ذكر جملة من الردود على الصابوني قال:

**وفي مطالعة هذه القائمة من الردود** رأيت فيها وصفه بأمور مذهلة يتعجب الإنسان منها كيف يقتحمها من ينتسب للعلوم الشرعية مع شيبته وتقادم سنه فيما يذكر... وأهمها ما يلي:

**١ - وصفه بالإخلال بالأمانة العلمية** كما في كلمة الشيخ عبدالله خياط والشيخ صالح الفوزان عضوي هيئة كبار العلماء.

**٢ - وصفه بالجهل في مقدمة السلسلة الصحيحة للألباني** ومحرر الشيخ محمد بن سعيد القحطاني.

**٣ - خلفيته في الاعتقاد بالتأويل لآيات الأسماء والصفات** جرته إلى مسخ عقيدة السلف بزيغ عقيدة الخلف التي نزلها في تفسير الإمامين السلفيين شيخ المفسرين ابن جرير الطبري والحافظ ابن كثير القرشي في مختصريه لهما وفي صفوة التفاسير، وإن هذه نكاية عظيمة بأهل السنة في تحريف مصادر لهم مهمة في الاعتقاد السلفي تحت اسمي الاختصار والتصفية وعلى هذه ترتكز عامة الردود المذكورة وهذه الردود من علماء أهل السنة لا يراد بها تعرية الرجل وكشفه بأنه خلفي صوفي يغتلم في التعصب المذهبي فهو أهون من أن يلتفت إليه لكنه لما حط الخطى بميادينه الثلاثة المذكورة التي يحسن الركض فيها، انبرى لصنيعه أهل السنة دفاعاً عن كتاب الله تعالى وصيانة لسنة نبيه من عبث المتعالمين وتأويل الجاهلين موضحين ذلك في قالبين:

● **١ - أنه استبحر تفسيري ابن جرير وابن كثير في اختصاره لهما** لكنه شرق بمنهجهما السلفي في عقيدة التوحيد فأفرز مختصريه وابن جرير وابن كثير بريئان مما يخالف تفسيريهما.

● **٢ - صفوة التفاسير اسم فيه تغرير** وتلبيس فأنى له الصفاء وهو مبني على الخلط بين التبر والتبن إذ مزج بين تفسيري ابن جرير وابن كثير السلفيين وتفسير الزمخشري المعتزلي والرضي الرافضي والطبري الرافضي

والرازي الأشعري والصاوي الأشعري القبوري المتعصب وغيرهم لا سيما وهذا المزج على يد من لا يعرف الصنعة ولا يتقنها كهذا الذي تسور هذا الصرح بلا سلم وإلا فإن أهل العلم يستفيدون من المفسرين المتميزين بما لا يخرج عن الجادة مسلك السلف وضوابط التفسير وسنن لسان العرب وفي ضوء هذين القالبين يعطون التقويم الشرعي لما كتب وخلاصته فقد الاعتبار بها:

فلا يغرنك صفو أنت شاربه ... فربما كان بالتكدير ممتزجا

**هذه خلاصة لما يقف عليه الناظر في الردود المذكورة** وقد جمعتها مع ما دارت عليه من كتب هذا الكاتب زيادة مني في التوثيق والمعذرة لعل ما ذكر يكون من باب الخطأ والوهم، والغلط الذي قل أن ينجو منه أحد سوى سيد البشر لكنني رأيت وهذا أمر مسلم به ابتداء ولله الحمد أن هؤلاء العلماء هم في ردودهم أبصر من زرقاء اليمامة إذ دمغوه بالحجج القاهرة والبينات الظاهرة وهذا هو المعهود من علماء أهل السنة والجماعة فوجدت لدى هذا الرجل أمراً كباراً. وجدت كلمة العلامة الخياط واقعة موقعها في قوله: لأن **الصابوني**: **قد** أخل بما التزمه من حيث أمانة النقل، **وثانياً** من حيث تفسير بعض الآيات بما يختلف عن مذهب السلف.

**ونحوه قول الشيخ صالح الفوزان**: وهذا والعياذُ بالله من التلبيس والخيانة في النقل ووجدت أن أفاعيله يحدوها انفساح ذراع هذا الرجل في بحر لجي من عقيدة خلفية وعصبية يمسح بتمشعره عقيدة السلف من مكانتها في التفاسير الثلاثة وذلك بالبتر للنص حيناً والنقل لمذهب خلفي يحكيه ابن جرير ويرد عليه ثم يقرر مذهب السلف فينقل هذا الرجل مذهب الخلف ويترك رد ابن جرير عليه وتقريره لمذهب السلف ويضيف في مواضع من تفسير آيات الاعتقاد من كلام الرازي وغيره من أهل الرفض والاعتزال إلى صفوة التفاسير وهكذا في سلسلة من الدس المهين ترى مجامعها العامة وضرب المثال لها في الردود المذكورة، ووجدت أن في بعض ما كتب كثيراً ما يرضي عاطفته بكلمات سب وتجديع واستهزاء بأهل العلم ووجدت

أنه من مجموع ما كتبته يمينه له حظ وافر من الأمور الثلاثة المتقدمة:

**فيفيد وصفه بالجهل** أنه يصحح الضعاف ويضعف الصحاح، ويعزو أحاديث كثيرة إلى الصحيحين أو السنن الأربعة وغيرها وليس في الصحيحين مثلاً أو ليس في بعضها ويحتج بالإسرائيليات ويتناقض في الأحكام.

**ويفيد وصفه بالإخلال بالأمانة العلمية** بتر النقول وتقويل العالم ما لم يقله وتحريف جمع من النصوص والأقوال وتقرير مذهب الخلف في كتب السلف.

**ويفيد خلفيته في الاعتقاد مسخه لعقيدة السلف** في مواضع من تفسيري ابن جرير وابن كثير وبأكثره في صفوة التفاسير[1].

**وقال محمد جميل زينو** في الرد على القاضي كنعان في قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[2] قال:

**وقد فعل مثله أيضاً الشيخ محمد بن علي الصابوني عند تفسير هذه الآية**، وبتر الحديث من أوله لئلا يثبت صفة الساق لله تعالى، أثبتها رسول الله ﷺ وهو خير مفسر للقرآن فهل يجوز لمفسر أن يترك تفسيراً جاء عن رسول الله ﷺ بل ويجرؤ على بتره من أوله تبعاً لمذهب التأويل الفاسد[3]؟

## القاضي كنعان:

**قال محمد جميل زينو:**

**فقد اطلعت على كتاب قرة العينين** على تفسير الجلالين للقاضي الشيخ محمد أخنج كنعان فوجدت فيه أخطاء علمية تتعلق بالعقيدة والأحكام وغيرها من الأمور المهمة فاتصلت بالمكتب الإسلامي وأعلمته بما وجدت

---

(١) التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير بقلم بكر بن عبدالله أبو زيد ص ٩.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤٢.

(٣) تنبيهات مهمة على قرة العينين، تأليف محمد جميل زينو.

في ذلك التفسير فكلفني أن أكتب له هذه التنبيهات وقال: إنه أوقف التوزيع ريثما يطلع على الأخطاء التي وقع فيها القاضي محمد كنعان كذلك كتبت هذه التنبيهات له وللمكتبات ولمن اقتنى الكتاب.

**وأحب أن أنبه إلى أن الأخطاء التي أذكرها تقسم إلى قسمين: أخطاء وقع فيها مفسر الجلالين** وسكت عنها القاضي كنعان، فإما أن يكون موافقاً عليها أو لم ينبه إليها وهي مهمة جداً لا سيما من كان عنده تفسير الجلالين، **وأخطاء وقع فيها القاضي كنعان** في التعليق على تفسير الجلالين(١).

*** المالكي: محمد علوي المالكي:**

**يقول الشيخ ابن باز:**

**فقد اطلعت على أمور منكرة** في كتب أصدرها محمد علوي مالكي، وفي مقدمتها **كتابه الذميم** الذي سماه **(الذخائر المحمدية)**. من ثلم الأمور نسبته لرسول الله ﷺ صفات هي من خصائص الله سبحانه وتعالى كقوله بأن لرسول الله مقاليد السموات والأرض، وأن له أن يقطع أرض الجنة ويعلم الغيب والروح والأمور الخمسة التي اختص الله تعالى بعلمها، وأن الخلق خلقوا لأجله، وأن ليلة مولده أفضل من ليلة القدر، وأنه لا شيء إلا وهو به منوط يعني بذلك رسول الله ﷺ، ومن ذلك إقراره قصائد نقلها في الذخائر مشتملة على الاستغاثة بالنبي ﷺ والاستجارة به وأن إليه الفزع عند الكروب وأنه إذا لم يستجب فإلى أين يفزع المكروب وأشياء أخرى مما جاء استعراض بعضها في هذا الكتاب الذي ألفه صاحب الفضيلة الشيخ **العلامة عبدالله بن سليمان بن منيع** أحد قضاة محكمة التمييز بالمنطقة الغربية وعضو هيئة كبار العلماء المسمى **(حوار مع المالكي في رد منكراته وضلالاته)** والذي يسرني التقديم له.

---

(١) تنبيهات مهمة على قرة العينين، تأليف محمد جميل زينو ص ٣.

**وقد ساءني كثيراً وقوع هذه المنكرات الشنيعة والتي بعضها كفر بواح** من محمد علوي المذكور، كما أثار بما نشره في كتبه ضلالات وشركيات وبدعاً منكرة كثيراً من أهل العلم وفي مقدمتهم **هيئة كبار العلماء** حيث أصدروا قرارهم رقم ٨٦ وتاريخ ١٤٠١/١١/١١هـ باستنكار ما اتجه إليه المذكور من الدعوة إلى الشرك بالله سبحانه والدعوة إلى البدع والمنكرات والضلالات والبعد عما عليه سلف هذه الأمة من سلامة العقيدة وصدق العبودية لله تعالى في ألوهيته وربوبيته، وكمال ذاته وصفاته، ولم يكن في نيتي الاكتفاء بالاشتراك مع زملائي أعضاء هيئة كبار العلماء في **إصدارهم القرار المستنكر ما عليه المذكور من سوء المعتقد وخبث الاتجاه** فقد كنت عازماً على تتبع أغلاطه ومنكراته والرد عليها بما ندين الله به من عقيدة مستمدين ذلك من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

**ويقول الشيخ عبدالله بن منيع:**

**فكم يعز علينا أن نستثقل** نسبة أوصاف التكريم والتقدير لرجل كان أمل الاستقامة والصلاح وسلامة المعتقد، لنشأته في بيئة ذهب عن كثير من أهلها أدران البدع ومظاهر المنكرات، وتدرجه في المراحل الدراسية حتى النهائية إلا أنه مع الأسف بعد أن شب عن الطوق ووصل إلى درجة يفترض أنها بداية النضج الفكري **أخذ ينحدر في فكره وعلمه ومعتقده ونوّع اتجاهه إلى حال من السخافة وسوء المعتقد والدعوة إلى الذرائع الموصلة إلى الوثنية والجاهلية** بما يقوله بلسانه ويكتبه بقلمه، ويقرره في مجالس تعليمه وبما ينشر هذه الأيام من مؤلفات فيها الإثم وسوء المعتقد، **تدعو حالها إلى اعتباره في طليعة الدعاة إلى البدع والخرافات والشرك بالله في ألوهيته وربوبيته** كما يتضح ذلك من المقتطفات الآتي نقلها قريباً من كتابه **الذخائر المحمدية**.

**ذلك الرجل هو من نستكثر عليه أوصاف الفضيلة** والمكانة العلمية الراقية، ونكتفي بدعوته **محمد علوي مالكي**، ذلك الرجل الذي آثر ممن غرر بهم وأضلهم وأعماهم لحسهم يده وركوعهم له وتبركهم بآثاره وأعضائه

وملابسه، آثر ذلك على الدعوة إلى الله دعوة إسلامية نقية صافية متمحضة عن سلامة العقيدة وصفاء الطوية والاقتداء بالسلف الصالح من القرون الثلاثة المفضلة من الصحابة والتابعين وتابع التابعين ومن تبعهم بإحسان. لقد تتابعت سموم هذا الضال المضل على العقيدة السلفية بما ينشره من مؤلفات أطمها وأغمها وأكثرها بلاءً ومقتاً وفحشاً كتابه «الذخائر المحمدية» وآخرها فيما علمنا ونرجو أن يكون آخرها في مجال الدعوة إلى البدع والضلالات رسالته البتراء المسماة «حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف» وهي رسالة تشتمل على الكثير من المغالطات والتلبيسات والتشبيه على العقول يتضح ذلك من مناقشتها والرد عليها.

**لقد كنت في شهري جمادى وشهر رجب من عام ١٤٠٢**هـ في إجازة وفي إحدى زياراتي لسماحة الشيخ **عبدالله بن حميد** رحمه الله ناولني هذه الرسالة وطلب مني أثناء تمتعي بالإجازة أن أرد عليها بعد أن **أبدى استياءه واستنكاره وغضبه وتمعره من هذا الرجل**، ومكابرته وسوء معتقده وخروجه عن ربقة الإسلام بما ينشره من **شركيات وضلالات ومنكرات** يتضح ذلك عنه بما قاله عن رسول الله ﷺ من علمه الروح والغيب والخمس التي اختص الله بعلمها وأنه يقطع أرض الجنة وأن آدم وبنيه خلقوا لأجله إلى غير ذلك مما لا نعلم صدور مثله من أقطاب التصوف ودعاة الضلال، **فاستجبت لسماحته** وانعقد مني العزم على الرد على هذه الرسالة البتراء وبيان ما هي عليه من تهافت وتناقض وتلبيس وتزييف وشنشنة نعرفها من أخزامها، إلا أننا قبل الرد عليها نحب أن نؤكد ما يعلمه الله من **أننا لا نريد التنديد بالمذكور وتعريته أمام طلبة العلم بقدر ما نريد من رد زيفه وضلاله وما لبس به من شبه وضلالات ومتاهات في سبيل ترويج البدع وذرائع الشرك بالله في ألوهيته وربوبيته مما قد يغتر بها من لا يعرف المذكور وما هو عليه من حب الظهور والوجاهة والتمتع بهوان المغرورين به حينما يتهافتون عليه بلحس الأيدي والانحناء والخضوع والتذلل أمام غطرسته ودجله وتضليله.**

**ولعل القارىء الكريم** قد استكثر منا هذا القول في هذا الرجل ولكننا نعتقد أنه سيعذرنا حينما يعرف أن **الدافع لذلك هو الغيرة لله في تحقيق**

**التوحيد وكماله، والغيرة لرسول الله ﷺ** حيث كان شديد الحرص على أن تعرف أمته مكانته من الله تعالى فلقد ثبت عنه ﷺ قوله: **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله»**.

**وسيعذرنا القارىء الكريم كذلك** حينما يعرف أن هذا المبتدع قد أصدر كتاباً بعنوان **«الذخائر المحمدية»** جاء فيه ما يقضي بتشريك رسول الله ﷺ مع ربه في النفع والضر والمنع والعطاء والسلطة الشاملة على ملكوت السموات والأرض وحق الإقطاع في الجنة وأن آدم وذريته خلقوا لأجل محمد ﷺ إلى غير ذلك مما سنورده ونشير إلى صفحاته من كتابه للدلالة على صحة ما نقول في المذكور من نكارة وضلالة وسوء معتقد وسخافة عقل وسوء طوية.

**لقد أصدرت هيئة كبار العلماء قراراً** بعدد ٨٦ في ١٤٠١/١١/١١هـ جاء فيه ما نصه:

**في الدورة السادسة عشر** المنعقدة بالطائف في شوال عام ١٤٠٠هـ نظر مجلس هيئة كبار العلماء فيما عرضه **سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد** مما بلغه من أن **لمحمد علوي مالكي** نشاطاً كبيراً متزايداً في نشر البدع والخرافات والدعوة إلى الضلال والوثنية وأنه يؤلف الكتب ويتصل بالناس ويقوم بالأسفار من أجل تلك الأمور واطلع على كتابه الذخائر المحمدية وكتابه الصلوات المأثورة وكتابه أدعية وصلوات كما استمع إلى الرسالة الواردة إلى سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد من مصر وكان مما تضمنته: وقد ظهر في الأيام الأخيرة طريقة صوفية في شكلها لكنها في مضمونها من أضل ما عرفناه من الطرق القائمة الآن وإن كانت ملة الكفر واحدة.

**هذه الطريقة تسمى العصبة الهاشمية والسدنة العلوية والساسة الحسنية الحسينية**، وهو يعتزل الناس في صومعة له ويمرون عليه صفوفاً ويسلمون عليه ويحدثونه ويمنحهم البركات ويكشف لهم المخبوء بالنسبة لكل واحد وهذا كله من وراء ستار فهم يسمعون صوته ولا يرون شكله، ولكن الذي

وقفنا عليه وعرفناه يقيناً لا يقبل الشك أن الشيخ **محمد علوي بن عباس المالكي المكي الحسني** يتصل بهم اتصالاً مباشراً ويزور شيخهم المحتجب - ويدخل عليه ويختلي به ويخرج من عنده بعد ذلك طائفاً بأتباعه في البلاد متحدثاً معهم محاضراً فيهم خطيباً بينهم كأنه نائب عن الشيخ المزعوم ثم يختم زياراته بالتوجه إلى ضريح أبي الحسن الشاذلي الشيخ الصوفي المدفون في أقصى بلاد مصر ومعه بطانة من دهاقنة التصوف في مصر وهو ينشر بينهم مؤلفاته التي اطلعنا على بعضها فاستوقفنا منها كتابه المسمى الذخائر المحمدية، وأنه أنكر عليه وعلى أتباعه وقد ذكر للمشايخ أنه له وجهة نظر في بعض المسائل، أما الأمور الشركية فيقول إنه نقلها عن غيره وأنها خطأ فاته التنبيه عليه.

**وقد تبين للمجلس صحة ما ذكر من كون محمد علوي داعية سوء يعمل على نشر الضلال والبدع وأن كتبه مملوءة بالخرافات والدعوة إلى الشرك والوثنية، ورأى أن يعمل على إصلاح حاله وتوبته من أقواله وأن يبذل له النصح ويبين له الحق.**

واستحسن **أن يحضر المذكور** لدى سماحة الشيخ **عبدالله بن محمد بن حميد** رئيس المجلس الأعلى للقضاء، وسماحة الشيخ **عبدالعزيز بن عبدالله بن باز** الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ومعالي الشيخ **سليمان بن عبيد** الرئيس العام لشؤون الحرمين الشريفين لمواجهته بما صدر منه من العبارات الإلحادية والصوفية وإسماعه الكتاب الوارد من مصر ومعرفة جوابه عن ذلك وما لديه حول ما ورد في كتبه، وقد حصل هذا الاجتماع وحضر المذكور في المجلس الأعلى للقضاء يوم الخميس الموافق ١٤٠٠/١٠/١٧هـ وأعد محضراً بذلك الاجتماع تضمن إجابته بشأن تلك الكتب وما سأله عنه المشايخ مما جاء فيها وجاء في المحضر الذي وقع فيه أن كتاب **الذخائر المحمدية** وكتاب **الصلوات المأثورة** له أما كتاب **أدعية وصلوات** فليس له وأما **الرجل الصوفي الذي في مصر** فقد قال إنه زاره ومئات من أمثاله في الصعيد **ولكنه ليس من أتباعه ويبرأ إلى الله من طريقته** وأنه لم يلقِ محاضرات في مصر... إلخ ما جاء في قرار هيئة

كبار العلماء وفقهم الله تعالى[1].

*** الشيخ محمد الغزالي:**

**قال الشيخ سلمان العودة:**

**من المفكرين المعاصرين المكثرين في مجال التأليف والكتابة وهو الداعية المعروف** (ثم قال في نهاية الكتاب)؛ وفي ختام هذا الحوار الهادىء مع الغزالي نستطيع أن نصل إلى النتائج الآتية:

١ ـ **مدى صلته بعقيدة الأشاعرة سلباً وإيجاباً** ومعنى قوله من اتباعه لعقيدة السلف.

٢ ـ **مدى صلته بالمدرسة العقلية** ومدى توافق منهجه وآرائه معها.

٣ ـ **مدى الاتفاق والاختلاف بين منهجه النظري والتطبيقي.**

٤ ـ **موقفه ممن يخالفهم** سواء كانوا من سلف الأمة وعلمائها أو شباب الصحوة.

٥ ـ **أنه يتكىء على أقوال أهل العلم، إذا ظن أنها تظاهر قولاً يميل إليه ويطعن بها في نحور مخالفيه** لكنه يتخلى عن هذه الأقوال ويضرب بها جانباً بل ويشنع على أصحابها إذا خالفت رأيه.

٦ ـ **مخالفته للإجماع وشذوذه في عدد من المسائل الفقهية.**

٧ ـ **الاستجابة للضغوط العلمية والحضارية المعاصرة** ومحاولة تطويع بعض الأحكام الشرعية لها.

٨ ـ **اختلاف منهجه في أحاديث الآحاد حيث يقبلها أحياناً ويرفضها أحياناً أخرى دون اطراد.**

٩ ـ **يغلب على حديثه الأسلوب العاطفي الخطابي** المجرد من الأسلوب العلمي.

---

(١) من كتاب حوار مع المالكي في منكراته وضلالاته تأليف عبدالله بن منيع، وراجع الكتاب فإنه مفيد.

**١٠ ـ تناقض آرائه وأطروحاته الفكرية** بحيث لا يمكن سبك آرائه في منظومة فكرية واحدة.

**ولعله راجع إلى الفقرة التي قبلها**[1].

**وقال أحمد محمود الديب:**

**ولقد اطلعت على كتاب ألفه الشيخ محمد الغزالي** وسماه السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث تناول فيه كثيراً من المسائل الفقهية فوجدته قد أخطأ في مواضع كثيرة فاقتضى واجب النصيحة عملاً بقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾[2] وعملاً بقول رسولنا ﷺ: **«الدين النصيحة»**، أن أنبه على تلك الأخطاء لعل المؤلف الشيخ محمد الغزالي يعيد النظر في أقواله ويصحح هذه الأخطاء على مقتضى الدليل والرجوع إلى أقوال الأئمة الأعلام الذين قدموا جهدهم في استنباط الأحكام الشرعية، **وهذا الكتاب «السنة النبوية» هو هجمة شرسة على حجاب المرأة المسلمة ودعوة إلى السفور والاختلاط فمؤلفه الشيخ الغزالي أقلقه كثيراً مظهر الحجاب الإسلامي وشيوعه وسط الفتيات يوماً بعد يوم فشهر قلمه بهذا الهجوم الشرس ليدلي بدلوه مع إخوانه من دعاة السفور وبتكليف من معهد الفكر الإسلامي بالولايات المتحدة الأمريكية، والشيخ الغزالي يعادي النقاب ويدعو إلى السفور وقد أعلن ذلك صراحة** في مقال نشرته جريدة الأهرام المصرية بتاريخ فبراير سنة **١٩٨١** تحت عنوان: ازدياد الطالبات بين الانضباط والانغلاق، قال: فهذا الزي المبرقع أو المنقب ليس إلا زياً من صميم الأزياء الجاهلية البائدة التي عفى عليها الزمان... وفي هذا المقال يتضح لكل بصير منهج الشيخ الغزالي في السفور فهو من ضحايا مدرسة قاسم أمين وهدى شعراوي وسعد زغلول.

**ثم قال في الختام:** وبهذا نكتفي بدحض هذه الشبهات والأخطاء التي

---

(١) حوار هادىء مع الغزالي لسلمان العودة ص ١٤٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢.

ألقاها الشيخ الغزالي في هذه المعركة معركة الحجاب[1].

**وقال الشيخ أبو بكر الجزائري:**

**إن ما أخذ على الداعية الغزالي** مما جاء في كتابه الأخير السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث كان معذوراً فيه لذا رفعت القلم لأدفع عنه ما هو معذور فيه لا يؤاخذ بين أهل العلم به، ثم قال في ختام الكتاب: إلى هنا كلَّ القلم من شدة الألم وضاقت النفس من قوة الرفس فلنترك داعينا الغزالي مع أخطائه الكبرى في تمجيد الاشتراكية والتمدح بالمجوسية الخمينية حيث لا يجد من يعتذر له مثلي أتركه لصاحبي الكشف والحوار فقد أزاحا الستار وبينا العوار ومن لم يستره الليل لا يستره النهار ومن لم ير بالتوبة الجنة فسيرى بالأبصار النار والأمر لله الواحد القهار[2].

**وقال محمد جلال كشك:**

**أصدر الشيخ محمد الغزالي كتاباً سماه السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث** أثار فيه قضية قديمة قدم الكائدين والمارقين ومن في قلوبهم مرض قضية التشكيك في الإسلام من خلال الطعن في السنة بتصيد غرائب الحديث أو ما يظنونه غريباً، وكانت هذه الفتنة قد ثارت قبل ربع قرن فتصديت لها بكتابي **الحق المر**، ثم عالجتها كلما ثارت في كتابات متفرقة حتى فوجئت بكتاب الشيخ وراعني المنهاج والأسلوب اللذان عالج بهما قضايا ذات أبعاد خطيرة لا تخفى عليه راعني بالذات أنها تصدر من شيخ له مكانته عند العامة الأمر الذي يعطي لهذه الشبهات ثقلاً خاصاً كما هلل واغتبط كاتب صحيفة الشيوعيين الذي دافع عن احتلال الروس لأفغانستان، وقد قرأت الكتاب ووضعت ملاحظاتي على صفحاته وطويته وأنا كظيم. . . وليس بيني وبين الشيخ حفظه الله وعافاه عداوة ولا خصومة ولا حتى متابعة، وأريد أن أشير هنا في عجالة إلى كلمة ثناء كتبها متعصب للشيخ

---

(١) الرد الأول في معركة الحجاب والنقاب بقلم أحمد محمود الديب ٦، ٤٦.

(٢) القول الكريم الغالي في الدفاع عن الداعية الغزالي كتبها أبو بكر الجزائري ٧، ٦٢.

يشد بها ظهره فقال: إن الفقه قبل الشيخ كان فقه دورة المياه حتى بعث الله في الأميين شيخاً جاء بالفقه للمياه ولعلنا نذكر أن شعار الفن للحياة إلخ، هو من شعارات الشيوعيين التي سخفتها أنا وهزأت بها قبل ثلاثين سنة وقلت فيما قلت ساخراً حتى كتاب الموتى الفرعوني كان للحياة[1].

*** عبدالله الغماري:**

**قال حسن علي عبدالحميد الأثري:**

**فهذا هو الجزء الخامس من سلسلتي نصر السنة** جعلته رداً على من تطاول بلسانه وتعدى ببيانه مضللاً صفوة الأمة ومبدعاً خيار الأئمة من غير وازع ولا ضمير ومن غير تدبر ولا تفكير دفعه إلى ذلك ما عشعش في صدره وجنانه من حب للبدعة ونقض للتوحيد وأركانه.

**وقال: فقد أرسل إلي بعض أفاضل أهل العلم** نسخة من رسالة في إحدى عشرة صفحة كتبها الشيخ عبدالله الغماري بعنوان «إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي»، في الرد على الألباني الوبي، طبعت في المغرب وبعدها مقالة له في أربع صفحات عنوانها «بيني وبين الشيخ بكر أبو زيد» فلما قرأت الرسالة بموضوعيها قراءة تأن وتأمل وتدبر أيقنت أكثر مما كنت أتصور بحال هذا الرجل الغماري وانحرافه وابتداعه وتمويهه وتلبيسه وهي صفات أراد أن يصف بها شيوخنا الأجلاء وإخواننا الفهماء.

**وقال: وقد بنى رسالته تعقيباً على أخينا الفاضل الشيخ حمدي عبدالمجيد السلفي** في تعليق له على معجم الطبراني الكبير تكلم فيه باختصار على القصة المذكورة في حديث توسل الضرير حيث أعلها ونقل ملخصاً كلام الشيخ الألباني حفظه الله تعالى إعلاله إياها مبيناً أنه يستدل بها أهل البدع على جواز التوسل الممنوع فما كان من هذا الغماري إلا أن سارع بكتابة هذه الرسالة الدالة على تناقضه وابتداعه عياذاً بالله ولقد بناها

---

(١) الشيخ الغزالي بين النقد العاتب والمدح الشامت لمحمد جلال كشك ٦، ٩.

على زخم مهول من التدليس والتلبيس في تحريف النقول وبترها[1].

*** محمد محمود أبو رحيم:**

**قال محمد علي الصابوني:**

**بعد صدور كتابي النبوة والأنبياء بخمسة عشر عاماً** أو تزيد أخرج طالب متعالم نشرة ينتقد فيها كتاب النبوة والأنبياء بأسلوب يعرى عن أدب المناظرة، وخلق المسلم النبيل الذي يعرف أصول الخطاب والأدب الإسلامي الرفيع في التحدث مع الناس، هذا الطالب اسمه **محمد محمود أبو رحيم**، فلسطيني الجنسية، كان يدرس في جامعة أم القرى وتخرج منها وهو يحمل شهادة الدكتوراه، **وقد أحب أن يظهر** ويشهر بالرد على كتابي النبوة والأنبياء الذي لاقى استحساناً طيباً عند جمهور السادة القراء، وطبع عدة مرات، فأراد المتعالم أن ينال منه ومن مؤلفه بالطعن فيه والتجريح بكاتبه بالزور والبهتان ليظهر بمظهر الألمعي النابغ في علمه وانتقاده وقوة فهمه وذكائه.

**وحتى لا نحرم السادة القراء من معرفة هذا الأدب** الرفيع الذي سلكه الطالب مع شيخ أساتذته الذي خرّج الأجيال، وأفنى عمره في خدمة العلم والدين، نطلعكم على بعض الفقرات التي جاءت في نشرته، ثم طبعها في رسالة في الكويت تحت عنوان «نظرات في كتاب النبوة والأنبياء» بعد أن هذبها وشذبها ليوهم القارىء أنه يرغب في تصحيح الأخطاء التي وردت في الكتاب، وأن انتقاده ليس بدافع عَداوة شخصية أو انتصار لأحد من الناس، إنما هو لمعرفة الحق على حد زعمه، وقد اتهمني في هذه الرسالة باتهام فظيع وشنيع، هو أنني رميت مريم عليها السلام بالزنى، وأنني كنت في كتابي هذا كحاطب ليل.

---

(١) كشف المتوارى من تلبيسات الغماري ورد عدوانه على أهل السنة كتبه علي حسن عبدالحميد الحلبي الأثري ٥، ٧، ٩.

**يقول الدكتور المتعالم:**

**أصل كتاب النبوة والأنبياء محاضرات ألقاها الصابوني على طلبة كلية** الشريعة، وذاع صيت الصابوني بسببه، وبسبب غيره من الكتب... وساق فيه من الإسرائيليات ما تقشعر منه الأبدان، ومن الأخبار الواهية ما لا يصلح به الحال، وكان يبتر أقوال المؤرخين، وبالجملة فقد كان الصابوني حاطب ليل.

**ثم يقول في المقدمة نفسها بعد سطور:** والتزمت الأدب في التعبير ثم خلص بعد المقدمة بنتيجة هي أنني قذفت مريم بالزنى ويجعلني مع اليهود في صف واحد على السواء... إلى آخر تلك الاتهامات الباطلة، والافتراءات الشنيعة التي لا تصدر من شخص عادي فضلاً عن طالب في مرحلة الدكتوراه في قسم العقيدة الإسلامية يريد أن يكون في المستقبل داعية من دعاة الإسلام.

**ولا عجب أن نرى مثل هذه الأساليب الملتوية،** في صفوف بعض الشباب اليوم، فإن من يعلم شذوذ بعض من تلقى العلم على أيديهم، لا يستغرب مثل هذه الألاعيب والافتراءات التي اشتهروا بها، وفنون الأكاذيب التي درجوا عليها، فهم لا يتورعون عن الطعن في أهل العلم، والتجريح في كرامة إخوانهم المؤمنين، بشتى الطرق والأساليب، مرة باسم الرد العلمي، وأخرى باسم الغيرة على مذهب السلف، وما هم من أخلاق السلف في فتيل ولا قطمير.

## بهتان صريح:

**لقد ذكرت في قصة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ص٢٤٧** نسبه في الإسلام ونسبه عند النصارى فقلت ما نصه: هو السيد المسيح عيسى ابن مريم صلوات الله عليه آخر أنبياء بني إسرائيل اسمه عيسى ولقبه المسيح ويكنى ابن مريم نسبه إلى أمه مريم بنت عمران لأنه ولد من غير أب.

**وهو عبدالله ورسوله**، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول العذراء، الطاهرة، التي أحصنت فرجها، وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين.

**وقلت أيضاً في صفحة ٢٤٩** تحت عنوان من هي مريم ما نصه:

**هي مريم بنت عمران الصديقة** البتول العذراء الطاهرة التي تربت في حجر الفضيلة، وعاشت عيشة الطهر والنزاهة، والتي أثنى الله عليها في كتابه العزيز في مواطن عديدة ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾(١) وكان والدها عمران رجلاً عظيماً وعالماً جليلاً من علماء بني إسرائيل وكانت زوجته كما ذكر ابن إسحاق لا تحبل فنذرت إن حملت لتجعلن ولدها محرراً لله تعالى لخدمة بيت المقدس... إلخ، وذكرت نسب السيد المسيح في إنجيل لوقا وإنجيل متى كما تذكره كتبهم المقدسة، ثم قلت: ومن الغريب أن نجد اختلافاً كبيراً في نسب السيد المسيح بين هذه الأناجيل وتناقضاً واضحاً لا يمكن معه التوفيق مما يجعلنا نجزم بأن أهل الكتاب يكتبون بلا تحقق ويؤمنون بلا تثبت ويصدقون بكل ما يلقى عليهم من رؤساء الدين، وأن ما في التوراة والإنجيل قد دخل إليه التحريف والتبديل، كما نص عليه القرآن الكريم... إلخ، كما قلت بعد سطور:

**ولا أدري كيف يمكن الجمع أو التوفيق بين هذه المتناقضات**، في كتاب مقدس يؤمن به مئات آلاف الملايين من النصارى اللهم إلا أن يكون ذلك من تحريف رؤساء دينهم، الذين أكد القرآن الكريم تحريفهم للكتب المقدسة، فكيف يزعم هذا الكاتب المتعالم والدكتور الحصيف أنني لم أروِ تلك القصة بكلمة واحدة ولم أبين خطورة روايتها ثم يقول: وما الفرق بين ثبات الصابوني واتهام اليهود لها بالزنى بيوسف النجار ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾(٢).

**حاجتنا إلى النقد الموضوعي:**

---

(١) سورة التحريم، الآية: ١٢.

(٢) سورة النور، الآية: ١٦.

**اختلاف العقول وتباين مفهوماتها** وتعدد اتجاهاتها أمر بدهي واقعي بشري لا يماري فيه عاقل، ونتيجة لهذا الاختلاف الطبيعي الفطري في العقول البشرية ومسلماتها من العلوم والمعارف والأفكار، لا بد من أن يكون هناك اعتراضات ومخالفات بين المفاهيم والمذاهب والاتجاهات الفكرية وبالتالي انتقاد وجدال بين صاحب هذا المفهوم وذاك المفهوم المعارض أو بين صاحب الاتجاه وذاك الاتجاه المخالف.

**ومن حق كل إنسان متعلم أو مفكر أو مثقف** أن يختلف مع الآخر في رأيه أو عمله الفكري أو مذهبه الثقافي أو أسلوبه في تأليف الكتب... إلخ، ولكن ليس من حق المخالف أو المعترض أن ينفعل انفعالاً ينم عن الحقد والبغض والكراهية لصاحب الفكر الآخر أو المنهج الآخر، وأن ينشط في نشر الإشاعات السيئة عن الشخص الذي يختلف معه، أو يعترض عليه فيما قال من قول، أو كتب من رأي، أو ألف من كتاب.

**قدمت بهذه المقدمة لما لاحظته خلال الأسابيع الأخيرة** من أقاويل ومكاتيب ينشرها أصحابها انتقاداً أو اعتراضاً على فضيلة الشيخ **محمد علي الصابوني** المدرس بجامعة أم القرى بأسلوب يتجلى فيه التحامل والانفعال وينم عن حقد وبغضاء، ويخلو من أدب الجدال بالحسنى.

**الأستاذ محمد علي الصابوني** مدرس بالجامعة قديم وله مؤلفات عديدة قيمة عن: آيات الأحكام في القرآن، والحديث النبوي، ومختصر تفسير ابن كثير ومختصر تفسير الطبري وكتاب صفوة التفاسير وغيرها من كتب ومؤلفات قيمة ونافعة منها كتاب النبوة والأنبياء الذي هو موضوع الاعتراض.

**الأستاذ الصابوني** في كتاب النبوة والأنبياء ذكر سيرة سيدنا عيسى عليه السلام وسيرة أمه الصديقة مريم، وأورد نسب المسيح من قبل أمه كما أثبتها القرآن الكريم، ثم أورد ما جاء في الأناجيل... من أن يوسف النجار كان خطيب مريم قبل حملها لعيسى، وأنه عاش معها بعد الحمل بوحي تلقاه في منامه دون اتصال بها... إلخ.

**وعقب الأستاذ الصابوني** على روايات الأناجيل بأنها متناقضة ومختلفة

مما يجعلنا نجزم بأن أهل الكتاب يكتبون بلا تحقيق ويؤمنون بلا تثبت ويصدقون كل ما يلقى عليهم من رؤسائهم، وأن ما في التوراة والإنجيل قد دخل عليه قطعاً التحريف والتبديل كما نص على ذلك القرآن الكريم.

**واستند الأستاذ الصابوني** في ذلك على ما أثبته زميله في الجامعة فضيلة الأستاذ عبدالرحمٰن حبنكه في كتابه العقيدة الإسلامية، حيث أورد أيضاً روايات الأناجيل المتناقضة المختلفة... إلخ.

**فكيف يقال إن الصابوني** أورد في كتابه إسرائيليات وأموراً تقشعر منها الأبدان وأخباراً لا تصح بحال، وإن ما أثبته في كتابه هو اتهام لأم المسيح بالزنا، مع أن عبارة الإنجيل التي نقلها المؤلف ليس فيها اتهام لمريم بالزنا، بل تقرر أن يوسف النجار عاش معها خادماً للّه بكل إخلاص وقال في مكان آخر: اتهمها بعض الزنادقة هكذا بيوسف النجار الذي كان يتعبد معها في المسجد واتهمها آخرون بزكريا عليه السلام.

**فالمؤلف يذكر روايات الأناجيل** واتهامات الزنادقة بأسلوب ظاهر وعبارات صريحة بالاعتراض والرفض لا كما يفتري المفترون عليه.

**وبعد** فيكفي أن نذكر هؤلاء الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا بما أنذر الله به من عذاب أليم.

*** رد على مقال أبو رحيم حول النبوة والأنبياء:**

**قرأت ما كتبه السيد محمد أبو رحيم** الطالب بجامعة أم القرى حول كتابي النبوة والأنبياء في جريدة الندوة الغراء بعددها **٨٢٥٦** الصادر في يوم الاثنين **١٤٠٦/٨/١٩**هـ، وهذا المقال الذي طالعنا به السيد أبو رحيم الفلسطيني الجنسية هو غيض من فيض، وقليل من كثير من كلمات وفقرات، تنم عن أدب جم، وخلق سام رفيع، تحلى به الطالب في مرحلة الدكتوراه، الذي وفد إلى المملكة بمنحة دراسية تقدمها له الجامعة ليكمل دراسته العليا ومقالته جزء يسير من نشرة كبيرة طبعها بدون إذن من الجامعة، أو تصريح من وزارة الإعلام، ووزعها على أساتذة الجامعة وشيوخ الحرم، وبعض الطلبة المقربين له، اتهمني في هذه النشرات التي وزعها باتهام فظيع

شنيع لا يكاد أحد يتصور أن يتفوه به مسلم من عامة الناس، فضلاً عن أستاذ في الجامعة، خدم كتاب الله العزيز، وتخرج على يديه أجيال وأجيال، منهم بعض عمداء الكليات اليوم، ومعظم أساتذة الجامعة، هذا الاتهام هو أنني قذفت مريم أم المسيح بالزنى ورميتها بيوسف النجار، وجعلني في صف اليهود الذين رموها بالزنى **واقترح أن يقام علي حد القذف مغلظاً ١٦٠ مائة وستون جلدة** لأنها في حق نبي من الأنبياء ونسي السيد أبو رحيم وهو في مرحلة الدكتوراه أو جهل الحكم الشرعي الذي يجب أن يتخذ في حق القاذف وهو القتل لا الجلد لأن من كذب القرآن كافر مرتد عن الإسلام والمرتد حكمه الإعدام والقتل، لا الجلد كما تصوره، فالله تعالى يقول عن مريم: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾[1] ويقول: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2] ويقول: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾[3] فحين يكذِّب الإنسان بهذه الآيات ويقول إنها زانية والعياذ بالله يكون كافراً لا قاذفاً وحكم المرتد القتل لا ما اقترحه باستدلاله اللامع.

### ما الغرض من إخفاء الحقيقة؟

**لقد أخفى السيد أبو رحيم الحقيقة** عن السادة القراء في مقاله المنشور في جريدة الندوة وخالف كلامه هنا ما سجله هناك في النشرة التي وزعها مخالفة واضحة فتراه هنا لا يذكر الألفاظ التي تناول بها شخصي ولا الكلمات الجارحة التي تلفظ بها خشية أن تتناوله أقلام الكتاب الأدباء بالنقد اللاذع لمجانبته أدب الحديث والخطاب في مخاطبة الأصحاب.

**العنوان الذي ذكره يخالف الواقع فهو يقول**: وجدت نفسي بين سطور الأستاذ أحمد والحقيقة التي وقفت عليها ودونتها في بحثي نظرات في كتاب النبوة والأنبياء للشيخ الصابوني مضطراً للرد على الأستاذ أحمد جمال لما ذكره الشيخ الصابوني عن مريم عليها السلام ويوسف النجار... وأذكر لبيان

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٢.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩١.

الحقيقة أنني قدمت نسخة من مسودة بخطي لفضيلة الشيخ الصابوني... إلخ.

**والبحث الذي نشره ووزعه** لا يحمل هذا العنوان مطلقاً وليس فيه لفظ شيخ ولا فضيلة وإنما هذا لطف جديد أسداه علي مؤخراً في الجريدة.

*** محمد جميل زينو:**

**قال الشيخ محمد علي الصابوني:**

**لقد أكرمني الله عز وجل بخدمة الكتاب والسنة،** فأخرجت ما يزيد على سبعة عشر كتاباً **وضاقت صدور بعض الحاسدين** فأخذ يتتبع بعض الأخطاء التي لا يسلم منها إنسان، ليظهر بمظهر العالم الألمعي، والناقد الحصيف، الذي يستطيع أن يغلب خصمه، ليصرف الأنظار إليه، ولو كان مخلصاً لله في عمله وقصده لكتب إلي سراً لأتدارك تلك الأخطاء كما هو شأن أهل الفضل والعلم ولكنه نشرها في رسالة تحت عنوان صارخ «أخطاء محمد علي الصابوني» في كتابي «صفوة التفاسير» و«مختصر ابن كثير» ونسب إلي ما الله شهيد أنه فيه غير صادق، وأخذ ينوع الطبعات، مرة بعد أخرى باسم الغيرة على الدين والدفاع عن عقيدة السلف، وكانت تلك الرسائل تحمل اسمه الخاص محمد زينو، وفي كل مرة يزيد فيها ما تسول له نفسه من وصفي بالابتداع والضلالة وخيانة الأمانة، ويتقول علي من الكلام ما لم أقله ومن المفاهيم الغريبة الشاذة ما لم يخطر لي على بال وما كنت أرد عليه لأنني أعلم أنه مدفوع بعدة عوامل، ومنها حب الشهرة والظهور، وبأيد تحركه من خارج المملكة وتبعث إليه ببعض التوجيهات، ليكون هو لسان المقال، المعبر عن لسان الحال **وهو مبتلى بمرض خطير، هو التضليل والتكفير**[1]، لعباد الله المؤمنين أجارنا الله من هذا البلاء فهو لا يتورع أن يحكم بالابتداع والضلال أو بالكفر على أفضل مسلم لخطأ يسير متجاهلاً قول الرسول الأعظم ﷺ: «**أيما امرىء قال لأخيه يا كافر فقد باء بها**

---

(١) هذه مجازفة واضحة، فلا يعرف عن الشيخ زينو شيئاً من ذلك.

**أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه»**، وفي رواية للبخاري: **«من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما»**.

ومعناه: **إذا كان الشخص حقيقة كافراً** وقعت في محلها وإلا عادت على قائلها.

**والكاتب زينو** هذا جمّاعة يجمع من هنا ومن هنا ثم يزعمه لنفسه وأنه من تأليفه كما يلاحظه الإنسان في رسائله وليس عنده من المؤهلات العلمية سوى الشهادة الإعدادية المتوسطة، وقد كان معلماً في سوريا في إحدى المدارس الابتدائية، ولا أقول ذلك انتقاصاً لقدره، إنما هي الحقيقة أذكرها حتى لا ينخدع الناس فيظنوا أنه العالم الذي لا يجارى والجهبذ الذي لا يمارى، وما كنت أحب أن أكشف ستر الله عليه لولا أنه كشفه عن نفسه بتلك الادعاءات المزعومة، أخطاء محمد علي الصابوني، التي تربع فيها على كرسي القضاء، ليحكم جازماً بخطأ ما نقلته من آراء علماء السلف، رضوان الله عليهم أجمعين.

**أقول: ما كنت أرغب في الرد عليه لولا أنه طبع طبعة ثالثة باسم تنبيهات هامة على كتاب صفوة التفاسير بدل أخطاء محمد علي الصابوني**، كما كان عنوان الطبعات الأولى، وضم معه اسم أحد الدكاترة ليلفت الأنظار إلى مؤلفه الجديد، وليوهم القراء أن هذه الرسالة ليست من تأليفه وحده، بل شاركه في إعدادها شخص آخر يحمل شهادة الدكتوراه وأن كتاب صفوة التفاسير خطر على عقيدة الأمة ينبغي التنبه له(١).

*** محمد حامد الفقي:**

**قال الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله:**

**الحمد لله رب العالمين**، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد

---

(١) كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول صفوة التفاسير بقلم محمد علي الصابوني ص ٩.

رسول الله وخاتم الأنبياء والمرسلين، وسيد الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه الطيبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدَين، وبعد:

**فما كنت لأود أن أقف** من صديقي القديم الشيخ محمد حامد الفقي هذا الموقف ولكنه يأبى إلا أن يدمر صداقة عاشت على الدهر قرابة نصف قرن ولكنه سئمها فدمرها تدميراً.

**وليست فعلته هذه بأول ما فعل**، ولكنها خاتمته التي اختارها وعمل لها بضع سنين، إن لم يكن أكثر، ونحن لا ندري.

**ولست أظن بصديقي القديم**، وهو قوي الذاكرة حافظٌ للأحداث أن ينسى ما فعل ويفعل، أو ينسى ما خطته يمينه مما لا نريد كشف الغطاء عنه.

**وقد اعتدنا طول حياتنا الأخوية أن نختلف في الرأي**، وأن يطول بيننا الخلاف والجدال، فلا يغضب أحداً منا خلاف الآخر إياه.

**واعتدنا أن ينقد أحدنا الآخر أشد النقد**، فلا يظهر لهذا النقد أثر فيما بيننا، ولكن الصديق القديم اختط لنفسه منذ بضع سنين خطة الاستعلاء والطغيان العلمي، بما اعتقد في نفسه من أنه أعلم الناس في هذا العصر، كما صارحني بذلك، حتى لقد صارحته حينذاك بأن لا أجادله في العلم، لئلا أورث حقده الذي بدا، ولا أثير طغيانه الذي اتخذه لنفسه سبيلاً.

**ولكن كان يغلبني الفينة بعد الفينة** ما درجنا عليه عمراً طويلاً، فأناقشه في شيء من العلم، ثم أستدرك خطئي وأسكت.

**فكان ذلك أن قرأت في مجلة الهدي النبوي** في عدد شهري رجب وشعبان سنة **١٣٧٤** تعليقاً له على رسالة منشورة في المجلة من رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية فهمت من هذا التعليق أنه يتضمن تكذيباً لشيخ الإسلام يكاد يكون صريحاً في ذلك.

**فكبر علي الأمر**، ولم أجد مناصاً من وضع الحق في نصابه، وتبرئة شيخ الإسلام رحمه الله من هذه التهمة، ومحاولة تبرئة الصديق القديم من

أن يرمي إلى هذا أو يقصد إليه، وضعت بين يديه فرصة يهتبلها لتأويل ما أفلت من قلمه من الباطل، أو للاعتراف بالخطأ صراحة والرجوع عنه علناً، وإن لم يكن لي في ذلك أمل، فأنا أعرف صديقي، فكتبت مقالاً يوم الثلاثاء **٣** رمضان سنة **١٣٧٤** وأرسلته إليه بالبريد المسجل لما يشق علي من كثرة الحركة في رمضان مع ارتفاع سني وضَعْفِ صحتي.

**وكان أكثر ما أخشاه أن يطوي المقال** فلا ينشره في المجلة لما أعرفه من خلقه، فحاولت الاتصال به تليفونياً في منزله وفي مقر جماعة أنصار السنة المحمدية، مراراً فلم أوفق، فحدثت صديقاً لي وله كريماً في هذا الشأن ورجوته أن ينصحه بنشر المقال والتعقيب عليه بما شاء ثم زارني هذا الصديق الكريم، في رفقة من إخواننا مساء الخميس **٢٠** رمضان فأخبرني أنه استطاع هذا اليوم الاتصال بالشيخ حامد وحدثه بشأن المقال فأنكر له أنه ورد إليه، فعجبت وسكت، ثم جاء الصديق القديم الشيخ حامد مصادفة ونحن بالمجلس فلم أستحسن أن أتحدث إليه في ذلك على ملأ من الحاضرين ولكني حدثته بشأنه منفردين عند عزمه على الانصراف فكان حديثاً عجباً:

**لم أخبره بما قال الصديق الكريم** لئلا أحرجه بل سألته عن المقال ونيته فيه؟ فقال: ولماذا تهتم به وتريد نشره؟ وفهمت منه أنه لا يريد نشره، فأفهمته وجهة نظري أني أرمي بذلك إلى تبرئة شيخ الإسلام ابن تيمية من شبهة من كلامه أعني كلام الشيخ حامد فقال لي، وهو يحاورني: ابن تيمية بتاعي قبلك، فأجبته بأن **ابن تيمية** ليس خاصاً بي ولا بك، بل هو لجميع المسلمين وتحاورنا قليلاً نحو هذا المعنى ثم سكت كعادتي معه، إذ لم أجد فائدة من الكلام واستيقنت حينئذ أنه سيطوي المقال وأنه غير ناشره، فلم أحرك ساكناً بعد ذلك حتى أرى عاقبة أمره.

**ولم أعجب من إنكاره للصديق الكريم** وصول مقالي إليه، صدر النهار واعترافه لي ضمن كلامه مساء اليوم نفسه، فإن الحقائق عند الصديق القديم تتغير بتغير المتحدث إليه، وأنا أعرف صديقي.

**وكان من المصادفات** التي لم يكن لي يد فيها أن وصل إلي يوم الأربعاء ١١ رمضان ١٣٧٤ كتاب طبع حديثاً فيه أربع مسائل، ثلاث منها تأليف عالم فاضل من إخواننا علماء الحجاز السلفيين هو الشيخ محمد سلطان المعصومي الخجندي حفظه الله، والرابعة من تأليف الشيخ محمود شويل رحمه الله، كلها في الرد على الشيخ حامد الفقي.

**وهي**: تنبيه النبلاء من العلماء إلى قول حامد الفقي إن الملائكة غير عقلاء، والقول الفصل في حقيقة سجود الملائكة واتصافهم بالعقل، وهذه للشيخ محمود شويل، والرد الوافي على تعليقات حامد الفقي، ونغمة جديدة من رئيس أنصار السنة المحمدية، فحين جاءني هذا الكتاب وقرأته تأكد مصير مقالي عنده، فإن الصديق القديم يعيد النظر في مثل هذه الشؤون لا يأمن لأحد من إخوانه، ولا يثق بصدق أحد ولا بصداقته، يغلبه سوء الظن بالناس، حتى بأقرب الناس إليه، ففهمت أنه سيربط بين مقالي وبين هذا الكتاب برباط وثيق، ويعتبرهما جزءاً يسيراً من مؤامرة ينسج شباكها المعوقون الذين يلقون في طريقه الغبار والأشواك، كما يقول.

**وعلمت أني مهما أفعل** لأنفي العلاقة بين مقالي وبين الكتاب ومع معرفته بخلقي ويقينه من نفوري من المؤامرات والدسائس فما ذلك بنافعي عنده، ولا بمبرئي من سوء ظنه وأنا أعرف صديقي.

**فلم أقل شيئاً** ولم أحرك ساكناً حتى أستبين عاقبة أمره. ثم جاءني بالبريد العدد التالي من مجلة الهدى النبوي، عدد رمضان وشوال سنة ١٣٧٤ فتحقق ما استيقنت من قبل طوى مقالي فلم ينشره ولم يؤد الأمانة التي اؤتمن عليها، ووجدت بدلاً منها مقالاً بقلمه، يبرأ فيه من رمى شيخ الإسلام ابن تيمية بالكذب حسناً فعل، وليته اكتفى بهذا فستر نفسه ولكنه ذهب يتأول كلامه لينفي عن نفسه التهمة بطريقة عجيبة تثبت عليه الذي يتبرأ منه، والذي كنا نحسن الظن به فنفهم أنه لم يقصد إليه وأنه إنما أفلت منه على تعجل كعادته، ثم ملأ مقاله بمدح نفسه، بما أعلم حقيقته منه، وختمه بالغمز واللمز كعهدنا به، ولم يذكر اسمي في المقالة ترفعاً منه واستكباراً.

**فرأيت أن أضع الحق موضعه**، وأن أؤدي الأمانة التي اؤتمنت عليها، ولم أجد من اللائق بي وبه أن ألجأ إلى صحيفة أخرى غير مجلته، ووجدت أن خير ما أعمل أن أنشر على الناس هذا الكتاب أثبت فيه مقالاً كاملاً، غير مخف منهما حرفاً واحداً، ثم أعقب على مقاله فيما يتصل بالمعنى العلمي، معرضاً عن اللغو، وعما اجترأ عليه من الغمز واللمز، فما كان ذلك لينصر رأياً أو يقيم حجة على أحد وما كان ذلك من شأن أهل العلم. . .

**وسيقرأ كتابي إخواننا السلفيون** أنصار السنة وغيرهم من أهل العلم، في مصر وفي غير مصر إن شاء الله وسيكون رأيهم الفيصل وقولهم فيما بيني وبينه.

**والله يهدينا جميعاً إلى سواء الصراط**[1].

---

(١) كلمة حق لأحمد محمد شاكر تقديم عبدالسلام محمد هارون ص ٢٧٣ ـ ٢٧٨.

# فصل في المتفرقات

**هذا الفصل، إنما وضعته في آخر الكتاب**، وليس ينفصل عن الفصول الداخلة في الكتاب، وإنما وجدت أن التراجم التي جمعتها فيه تدخل في أكثر من مبحث، ويحتاج إليها، واختلف الأمر عندي هل توضع هنا أو هناك، حتى رأيت كي لا أحرم القارىء من الاستفادة أن أضعها في فصل مستقل حتى لا يكون ثمة تعسف في تصنيفها، وربما أضفت مباحث مستقبلة للكتاب يمكن أن تستوعبها.

**وفيما يلي بعض هذه التراجم:**

*** جاء في ترجمة المأمون البطائحي أبو عبدالله:**

**قال الذهبي:**

**هو وزير الديار المصرية، والدولة العبيدية**، الملك أبو عبدالله المأمون بن البطائحي، وكان من قصته أن أباه كان صاحب خبر بالعراق للمصريين من أجلاد الرافضة، ونشأ المأمون فقيراً صعلوكاً، فكان حمالاً في السوق بمصر، فدخل مرة إلى دار الأفضل أمير الجيوش مع الحمالين، فرآه الأفضل شاباً مليحاً خفيف الحركات، فقال: من هذا؟ قال بعضهم: هذا ابن فلان، فاستخدمه فراشاً مع الجماعة، فتقدم وتميز، وترقى به الحال إلى الملك، وهو الذي أعان الآمر بالله على الفتك بأمير الجيوش، وولي منصبه، وكان شهماً مقداماً، جواداً بالأموال، سفاكاً للدماء، عضلة من العضل، ثم إنه عامل أخا الخليفة الآمر على قتل الآمر، ودخل معهما

أمراء، فعرف بذلك الآمر، فقبض على المأمون وصلبه، واستأصله في سنة تسع عشرة وخمسمائة[1].

*** جاء في ترجمة عمارة اليمني نجم الدين أبو محمد:**

**قال في طبقات الشافعية:**

**كان فقيهاً فرضياً شاعراً ماهراً**، ثم فارق مصر وتوجه إلى مكة حرسها الله تعالى، ثم إلى زبيد في صفر سنة إحدى وخمسين ثم حج من عامه، فأرسله قاسم صاحب مكة إلى مصر في رسالته فاستوطنها ولم يفارقها بعد ذلك، فأحسن إليه الصالح، ومن يتعلق به كل الإحسان، وصحبوه مع اختلاف العقيدة وشدة التعصب للسنة، ولما لطف الله تعالى بإزالة تلك الدولة وملك السلطان صلاح الدين ديار مصر كان المذكور مقيماً فيها، فرثاهم بقصيدة لامية طنانة، ثم شرع في الاتفاق مع جماعة من رؤساء البلد، على إعادة الدولة المصرية، فعلم بهم السلطان، وكانوا ثمانية من الأعيان ومن جملتهم الفقيه عمارة المذكور، فأمر بشنق الجميع فشنقوا في يوم السبت ثاني شهر رمضان، سنة تسع وستين وخمسمائة، وكفى الله شرهم[2].

*** جاء في ترجمة محمد أبو سهل:**

**قال في طبقات الشافعية:**

**يقال له أبو سهل محمد**، انتهت إليه رئاسة الشافعية بعد أبيه، رحل في الآفاق لطلب الحديث، ولد سنة ثمان وعشرين وأربعمائة.

**حصلت له محنة من المعتزلة فجلس أشهراً**، واحتيط عليه ثم حسنت حاله عند السلطان حتى همّ أن يستوزره فسعى في إهلاكه فقتل سراً سنة

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٥٥٣.

(٢) طبقات الشافعية ج ٢ ص ٣٢١.

ست وخمسين وأربعمائة[1].

*** جاء في ترجمة هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة بن علي ابن الشجري:**

**قال الذهبي:**

**العلامة شيخ النحاة،** أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة بن علي، الهاشمي العلوي الحسني البغدادي، من ذرية جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

**قال ابن خلكان:**

**لما فرغ ابن الشجري من كتاب الأمالي أتاه ابن الخشاب ليسمعه فامتنع فعاداه،** ورد عليه في أماكن من الكتاب وخطأه، فوقف ابن الشجري على رده فألف كتاب **الانتصار في ذلك،** قال: ولدت في رمضان سنة خمسين وأربعمائة[2].

*** جاء في ترجمة محمد بن عبدالله بن محمد بن العربي الأشبيلي:**

**قال الذهبي:**

**الإمام العلامة القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد،** وكان أبوه أبو محمد من كبار أصحاب ابن حزم الظاهري، بخلاف ابنه القاضي أبي بكر فإنه منافر لابن حزم محط عليه بنفس ثائرة.

**وقد ذكره الأديب أبو يحيى اليسع بن حزم** فبالغ في تقريظه وقال: ولي القضاء فمحن، وجرى في أعرض الإمارة فلحن، وأصبح تتحرك بآثاره الألسنة، ويأتي بما أجراه عليه القدر النوم والسِنَة، وما أراد إلا خيراً، نصب

---

(١) طبقات الشافعية ج ١ ص ١١٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ١٩٤.

السلطان عليه شباكه، وسكن الإدبار حراكه، فأبداه للناس صورة تذم وسورة تتلى، لكونه تعلق بأذيال الملك، ولم يجر مجرى العلماء في مجاهرة السلاطين وحزبهم، بل داهن ثم انتقل إلى قرطبة معظماً مكرماً حتى حول إلى العدون فقضى نحبه.

**قرأت بخط ابن مسدي في معجمه**: أخبرنا أحمد بن محمد بن مفرج النباتي سمعت ابن الجد الحافظ وغيره يقولون: أحضر فقهاء إشبيلية أبو بكر بن المرجي وفلان وفلان وحضر معهم ابن العربي فتذاكروا حديث المغفر فقال ابن المرجي: لا يعرف إلا من حديث مالك عن الزهري، فقال ابن العربي: قد رويته من ثلاثة عشر طريقاً غير طريق مالك، فقالوا: أفدنا، فوعدهم، ولم يخرج لهم شيئاً، وفي ذلك يقول خلف بن خير الأديب:

يا أهل حمص ومن بها أوصيكم ... بالبر والتقوى وصبية مشفق
فخذوا عن العربي أسمار الدجى ... وخذوا الرواية عن إمام متق
إن الفتى حلو الكلام مهذب ... إن لم يجد خبراً صحيحاً يخلق

**قلت: هذه حكاية ساذجة لا تدل على تعمد،** ولعل القاضي رحمه الله وهم، سرى في ذهنه إلى حديث آخر، والشاعر يخلق الإفك، **ولم أنقم على القاضي رحمه الله إلا إقذاعه في ذم ابن حزم واستجهاله له،** وابن حزم أوسع دائرة من أبي بكر في العلوم، وأحفظ بكثير، وقد أصاب في أشياء وأجاد وزلق في مضايق كغيره من الأئمة والإنصاف عزيز[1].

*** جاء في ترجمة أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي عيسى الطلمنكي:**

**قال الذهبي: الإمام المقرىء المحقق المحدث الحافظ الأثري.**

**أدخل الأندلس علماً جماً نافعاً،** وكان عجباً في حفظ علوم القرآن، قراءاته ولغته وأحكامه ومنسوخه ومعانيه، صنف كتباً كثيرة في السنة يلوح

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ١٩٧.

فيها فضله وحفظه وإمامته واتباعه للأثر.

**قال أبو عمرو الداني**: أخذ القراءة عن الأنطاكي، وابن غلبون ومحمد بن الحسين بن النعمان.

**قال: وكان فاضلاً ضابطاً شديداً في السنة.**

**وقال ابن بشكوال**: كان سيفاً مجرداً على أهل الأهواء والبدع، قامعاً لهم، غيوراً على الشريعة، شديداً في ذات الله، أقرأ الناس محتسباً، وأسمع الحديث، والتزم للإمام بمسجد منعة، ثم خرج، وتحول إلى الثغر، وانتفع الناس بعلمه، وقصد بلده في آخر عمره، فتوفي بها.

**قال الذهبي:**

**رأيت له كتاباً في السنة في مجلدين عامته جيد،** وفي بعض تبويبه ما لا يوافق عليه أبداً مثل باب الجنب لله، وذكر فيه ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[1]، **فهذه زلة عالم**، وألف كتاباً في الرد على الباطنية فقال: ومنهم قوم تعبدوا بغير علم، وزعموا أنهم يرون الجنة كل ليلة، ويأكلون من ثمارها، وتنزل عليهم الحور العين، وأنهم يلوذون بالعرش، ويرون الله بغير واسطة ويجالسونه[2].

*** جاء في ترجمة نصرالله بن عبدالعزيز بن صالح بن محمد أبو الفتح الحراني:**

**قال ابن رجب:**

**الفقيه الزاهد، لقيته بدمشق وحران** وكان فقيهاً صالحاً، ينقل المذهب جيداً، وكان ينكر المنكر، ضربه مظفر بن زين الدين على الإنكار، ثم ندم واستغفر منه، وأحسن القاضي الفاضل ظنه به.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٥٦٦.

**وكان أبيض قصيراً جداً**، وشعر لحيته أحمر، وحكى لي أنه يأخذ اللحمة من المقلي فيضعها في فيه ولا يتضرر بذلك.

**وقال أبو عبدالله بن حمدان:**

**كان رجلاً صالحاً**، فقيهاً فاضلاً، وهو شيخ شيخنا ناصح الدين عبدالقادر بن أبي الفهم.

**أنكر مرة على مظفر الدين صاحب أربل لما كانت له حران**، وأراق له خمراً فأحضره وقال: أتعرفني؟ قال: نعم، بالظلم والفسق، أو معنى ذلك، فهمّ بضربه، فأشير عليه أن لا يفعل، لأجل العامة وميلهم إليه.

**وله كتاب تعليم العوام ما السنة في الإسلام**، وسبب تصنيفه له أنه لما قدم أبو المعالي بن المنجا قاضياً على حران أمر المؤذنين بالجهر بالتسليمتين في الصلاة وكانوا يجهرون بالأولى خاصة، فرد عليه أبو الفتح في هذا الكتاب، وبين أن المذهب إنما هو الجهر بالأولى خاصة، وذكر نصوص أحمد وأصحابه في ذلك، والأحاديث والآثار الدالة عليه، وبالغ في الإنكار عليه، وحدث به غير مرة بحران وسمعه منه ابن أبي الفهم وغيره[١].

*** جاء في ترجمة عبيدالله بن علي بن نصر بن حمرة البغدادي المعروف بابن المارستانية:**

**قال ابن رجب: الفقيه المحدث المؤرخ أبو بكر يلقب بفخر الدين.**

**وقال ابن النجار:**

**كان قد قرأ كثيراً من علم الطب**، والمنطق والفلسفة، وكانت بينه وبين عبيدالله بن يونس صداقة ومصاحبة، فلما أفضت إليه الوزارة اختص به، وقوي جاهه وبنى داراً بدرب الشاكرية وسماها دار العلم، وجعل فيها خزانة كتب، ووقفها على طلاب العلم، وكانت حلقة بجامع القصر، يقرأ

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ص ٤٤٧.

فيها الحديث يوم الجمعة، ويحضر عنده الناس، فيسمعون منه، ورتب ناظراً على أوقاف المارستان العضدي، فلم تحمد سيرَته، فقبض عليه وسجن في المارستان مدة مع المجانين مسلسلاً، وبيعت دار العلم بما فيها من الكتب مع سائر أمواله وقبضت، وبقي معتقلاً مدة، فصار يطب الناس، ويدور على المرضى في منازلهم، وصادف قبولاً في ذلك، فأثرى وعاد إلى حالة حسنة، وحصل كتباً كثيرة، ثم انتدب للتوجه في رسالة من الديوان فخلع عليه خلعة سوداء: قميص وعمامة، وأعطي سيفاً وأركب مركوباً جميلاً، وتوجه إلى تفليس في صفر سنة تسع وتسعين، إلى الأمير أبي بكر بن إيلد كزين البهلوان، زعيم تلك البلاد فأدركه أجله هناك.

قلت: **القبض عليه إنما كان بعد عزل ابن يونس والقبض عليه**، وتتبع أصحابه، وفي تلك الفتنة كانت محنة ابن الجوزي أيضاً كما تقدم، وبالغ ابن النجار في الحط عليه بسبب ادعائه النسب إلى أبي بكر الصديق، وبسبب أنه روى عن مشايخ لم يدركهم كأبي الفضل الأرموي.

قال: **واختلق طباقاً على الكتب بخطوط مجهولة**، تشهد بكذبه وبزوره، وجمع مجموعات في فنون من التواريخ وأخبار الناس، من نظر فيها ظهر له من كذبه وقبحه وتهوره ما كان مخفياً عنه، وبان له تركيبه الأسانيد على الحكايات والأشعار والأخبار، إلى أن قال: وقد حدث بكثير مما اختلقه وعن جماعة لم يلقهم سمع منه الغرباء ومن لا يعرف طريقة الحديث، ورأيته كثيراً ولم أكتب عنه شيئاً.

قال: **وقد نقلت في هذا الكتاب من خطه وقوله وروايته أشياء العهدة عليه في صحتها**، فإني لا أطمئن إلى صحتها، ولا أشهد بحقيقة بطلانها، ثم قال: قرأت على أبي عبدالله الحنبلي بأصبهان عن معمر بن عبدالواحد الفاخر القرشي ونقلته من خطه قال: أنشدني أبو بكر عبيدالله بن علي بن علي بن نصر بن حمزة التيمي لنفسه:

أفـــردتـــنـــي بـــالـــهـــمـــوم ... ذات دل ونـــعـــيـــم
أودعـــت قـــلـــبـــي ســـقـــامـــا ... والـــحـــشـــا نـــار الـــجـــحـــيـــم

لـيـس لـي شـغـل سـواهـا    مـن خـلـيـل وحـمـيـم
هـي داء لـلـمـعـافـى    ودواء لـلـسـقـيـم
شـغـلـت قـلـبـي بـأمـر    مـقـعـد فـيـهـا مـقـيـم

**قلت: العجب أنه تبرأ أو تنزه عن الرواية عنه نفسه**، وروى عن اثنين عنه، ولقد بالغ في الحط عليه، وزاد في ذلك اعترافه بأنه نقل عنه في هذا الكتاب أشياء، ولعله لا يبين في بعضها أو كثير منها أنها من جهته، وقد وقفت على كتابه الذي جمعه في سيرة ابن هبيرة **فلم أجد ما ينكر، بل غالب ما نقل فيه من الحكايات عن الوزير من كلامه قد نقله ابن الجوزي عن غيره**.

**وكذلك بالغ ابن الدبيثي في تاريخه في الحط عليه**، وقال: إنه ادعى الحفظ وسعة الرواية عمن لم يلقه ولم يوجد بعد، وتابعه على ذلك المنذري، وهذا غير صحيح فإن أقدم من ادعى السماع منه الأرموي، وهو كان موجوداً في حياته، وسماعه منه ممكن، نعم ينبغي أن يُقال: لم يصح سماعه منه، أو لم يعرف، ونحو ذلك، ومن مبالغته في الحط قال أبو شامة: هذا غلو من قائله، وهو كما قال، ولا ريب أنه مطعون فيه من جهتين:

**من جهة ادعائه النسب إلى أبي بكر**، فإن هذا أنكره الناس كلهم عليه، واشتهر إنكاره حتى قال بعضهم:

دع الأنـسـاب لا تـعـرض لـتـيـم    فـأيـن الـهـجـن مـن ولـد الـصـمـيـم
لـقـد أصـبـحـت مـن تـيـم دعـيـا    كـدعـوى حـيـص بـيـص إلـى تـمـيـم

**ومن جهة ادعائه سماع ما لم يسمع**، فإن هذا صحيح عنه.

**قال ابن نقطة:**

**سألت أبا الفتوح الحصري عنه بمكة؟** فقال: سامحه الله، كان صديقي وكان يكرمني، وكان غير ثقة.

**حدثني علي بن أحمد الشريف الزيدي** أنه استعار منه مغازي الأرموي فردها إليه وقد طبق عليها السماع على كل جزء ولم يسمعها.

**قال ابن نقطة:**

**وكان شيخنا ابن الأخضر الحافظ ينهى أن يقرأ أحد على شيخ** بطبقة تكون بخطه، أو بخط أبي بكر بن سوار، وذكر حكايتين عن أبي الحسين عبدالحق بن عبدالخالق أنه كذبه، وقال: إنه سمع لنفسه منه أجزاء لم يقرأها عليه.

**وأما ما نسبوه إليه من تركيب الأسانيد** وتصرفه بالكذب في تصانيفه حتى إن ابن الدبيثي قال: لو تم كتابه ديوان الإسلام لظهرت فضائحه، فهذا أمر لم يثبت عنه.

**وقد ذكر ابن نقطة أنه رأى بعض تاريخه** ولم يذكر فيه طعناً والله أعلم.

**وقال ابن القادسي** عنه: كان خطيباً بليغاً شاعراً حافظاً محدثاً فصيحاً، سافر وسمع الحديث من أمم لا تحصى واستشهدهم، وصنف عدة مصنفات في التواريخ وغيرها، وله تاريخ مدينة السلام، على وضع كتاب الخطيب، وهو كتاب نفيس وقد ذكر فيه أرقاماً، ذكر أنهم لا يعرفون وقد عظمهم هو ووصفهم.

**وقد طعن أصحاب الحديث عليه وجرحوه،** منهم شيخنا ابن الجوزي وعبدالعزيز بن الأخضر.

**وحدث ببغداد عن أبي الوقت،** وقرأ على أبي محمد بن الخشاب.

**قال أبو المظفر السبط:**

**كان ابن المارستانية هو** الذي قرأ كتب عبدالسلام بن عبدالوهاب يوم أحرقت، كان يقرأ الكتاب ويقول: يا عامة هذا عبدالسلام يقول: **من بخر زحل بكذا وكذا، وقال: يا إلهي يا علة العلل، نال ما أراد!!** فيلعنه الناس ويضجون بذلك، فلما خلع على **ابن المارستانية** وأرسل إلى تفليس خرج من

دار الوزير وبين يديه الحجاب وأرباب الدولة فوقف له **عبدالسلام** وتقدم إليه وقال له: سر فيما بينهما الساعة من بخر زحل أنا أو أنت، فقال: أنا[1].

*** جاء في ترجمة محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء أبو الحسين القاضي الشهيد:**

**قال ابن رجب: كان عارفاً بالمذهب متشدداً في السنة.**

**وكان للقاضي أبي الحسين بيت** في داره بباب المراتب يبيت فيه وحده، فعلم بعض من كان يخدمه ويتردد إليه بأن له مالاً فدخلوا عليه ليلاً وأخذوا المال وقتلوه ليلة الجمعة ليلة عاشوراء سنة ست وعشرين وخمسمائة وصلي عليه يوم السبت حادي عشر المحرم ودفن عند أبيه بمقبرة باب حرب وكان يوماً مشهوداً وقدر الله ظهور قاتليه فقتلوا كلهم[2].

*** جاء في ترجمة محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم:**

**قال الذهبي:**

**شيخ الأندلس ومفتيها**، وقاضي الجماعة، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم بن لب التجيبي القرطبي المالكي ابن الحاج إلى أن قال: قيد العلم عمره كله، ما أعلم أحداً في وقته عني بالعلم كعنايته، سمعت منه، وكان ليناً حليماً متواضعاً، لم يحفظ له جور في قضية، وكان كثير الخشوع والذكر، قتل ظلماً يوم الجمعة وهو ساجد في صفر سنة تسع وعشرين وخمسمائة وله إحدى وسبعون سنة[3].

*** جاء في ترجمة عز الدين عبدالعزيز قاضي القضاة:**

**قال في طبقات الشافعية:**

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ص ٤٤٢.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ص ١٧٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ٦١٤.

**ولد بدمشق بقلعة العادلية،** في شهر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة ونشأ في العلم والدين، ومحبة أهل الخير، ودرس وأفتى، وصنف تصانيف كثيرة حسنة، وخطب بالجامع الجديد بمصر، وتولى الوكالة الخاصة والعامة، والنظر على أوقاف كثيرة، ثم تولى قضاء القضاة بالديار المصرية، في جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، فسار فيه سيرة حسنة، وكان حسن المحاضرة، كثير الأدب، يقول الشعر الجيد، ويكتب الخط الحسن السريع، حافظاً للقرآن، سليم الصدر، محباً لأهل العلم، يشتغل عليهم الكثير بخلاف والده رحمهما الله تعالى، وكان شديد التصميم في الأمور التي تصل إليه مما يتعلق بتصرفه، وأما دفع الطلب عن الناس من حواشي السلطان، فقليل الكلام فيه، ثم أضيف إليه أوقاف كثيرة، وكان السلطان قد أعدل الولايات في الممالك عن نفسه، غير أنه كانت فيه عجلة في الجواب عن أمور متعلقة بالمنصب تؤدي إلى الضرر غالباً به وبغيره، ولم يكن فيه حذق يهتدي به لما فيه نفع من يستحق النفع بل أموره بحسب من يتوسط بخير أو بشر، ثم انفصل عن المنصب سنة تسع وخمسين، وبقي كذلك نحو ثمانين يوماً، ثم أعيد إليه لزوال من توسط في عزله، وكانت عاقبة المتوسطين في عزله من أسوأ العواقب، ثم علم في تلك الأيام مقدار الراحة، وألقى الله تعالى في نفسه كراهة المنصب، فاستعفى منه في جمادى الأولى سنة ست وستين، وحمل معه ختمة شريفة، وتوسل به، فأعفي في تلك الحالة فلما ذهب إلى منزله ثقّلوا عليه بأنواع التثقيلات وتحيلوا عليه بأنواع التضليلات فلم يجبهم فركب إليه صاحب الأمر إذ ذاك، وسأله فصمم واعتذر، ثم حج في تلك السنة وجاور بمكة شرفها الله تعالى، ثم زار في أثناء سنة سبع قبر النبي ﷺ وبقي يحث السير في العود إلى مكة لاحتمال موته في غير الحرمين فلما حج وزار ووضع عن كاهله الأوزار وعاد إلى مكة مرض وتوفي في العشر الأوسط من جمادى الآخرة من سنة سبع وستين وسبعمائة[١].

---

(١) طبقات الشافعية ج ١ ص ١٨٧.

*** جاء في ترجمة يوسف بن إبراهيم بن جملة جمال الدين:**

**قال في طبقات الشافعية:**

**كان عالماً فقيهاً**، بارعاً ديناً قواماً في الحق تفقه على ابن المرجل وغيره، وناب في الحكم بدمشق عن الشيخ علاء الدين القونوي، ثم تولى القضاء بها نحو سنتين، وباشر ذلك أحسن مباشرة، وحاول سلوك الحق المحض بغير سياسة، فحطوا عليه واتهموه حتى عزل وحبس مدة ومات معزولاً في رابع عشر ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة بدمشق عن سبع وخمسين سنة مدرساً بالشامية الكبرى(١).

*** جاء في ترجمة منصور بن محمد التميمي السمعاني أبو المظفر المروزي الحنفي:**

**قال في طبقات الشافعية:**

**كان والده إماماً من أئمة الحنفية**، فتفقه عليه ولده أبو المظفر هذا حتى برع في مذهب أبي حنيفة، وصار من أركانهم ومن فحول النظر، ومكث لذلك ثلاثين سنة، ثم صار إلى مذهب الشافعي لأمر ظهر له حين حج يقظة ومناماً، وأظهر ذلك في دار الإمارة بحضور أئمة الفريقين في شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين وأربعمائة، فاضطربت مرو لذلك وماجت العوام وقامت الحرب على ساق، واضطرمت نار فتنة شررها يملأ الأفق.

**وأبو المظفر ثابت على رجوعه** إلى أن وردت الكتب من جهة السلطان بالتشديد عليه، فخرج وصحبته جماعة من العلماء إلى طوس، فاستقبله علماؤها ورؤساؤها وأنزلوهم عندهم وصار له فيها شأن عظيم وعز وحشمة، ثم قصد نيسابور فاستقبلوه أيضاً بنحو ذلك، ثم عاد عند استقامة الأمور إلى بلده وهي مرو في أعز ما يكون واجتمعت عليه الناس وخرج من نسله علماء أئمة شافعية(٢).

---

(١) طبقات الشافعية ج ١ ص ١٨٩.

(٢) طبقات الشافعية ج ١ ص ٣٢١.

*** جاء في ترجمة عبدالعزيز بن عبدالحكم الجيلي صائن الدين:**

**قال في طبقات الشافعية:**

**الصائن الجيلي شارح التنبيه**، صائن الدين عبدالعزيز بن عبدالكريم الجيلي، كان عالماً مدققاً، شرح التنبيه شرحاً حسناً خالياً عن الحشو، باحثاً عن الألفاظ منبهاً على الاحترازات لولا ما أفسده من النقول الباطلة، كالنقل عن البخاري ومسلم ونحوهما[1]، وبذلك حصل التوقف في نقول كثيرة، يعزوها إلى كتب غير معروفة بعد الفحص، وقد نبه ابن الصلاح وابن دقيق العيد والنووي في نكته على التنبيه، **على أنه لا يجوز الاعتماد على ما تفرد به**، وسمعت بعض المشائخ الصلحاء يحكي أن الشرح المذكور لما برز، حسده عليه بعضهم، فدس عليه أشياء بها وهذا هو الظاهر، إذ يبعد صدور ذلك من عالم خصوصاً في تصنيف[2].

*** جاء في ترجمة أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله ابن العريف:**

**قال الذهبي:**

**أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله**، الإمام الزاهد العارف، أبو العباس ابن العريف الصناجي الأندلسي المربي المقرىء، صاحب المقامات والإشارات.

**وقال ابن بشكوال:**

**روى عن أبي خالد يزيد مولى المعتصم** وأبي بكر عمر بن رزق وعبدالقادر بن محمد القروي وخلف بن محمد بن العربي وسمع من جماعة من شيوخنا وكانت عنده مشاركة في أشياء من العلم وعناية بالقراءات وجمع الروايات، واهتمام بطرقها وحملها، وقد استجاز مني تأليفي هذا، وكتبه

---

(١) يعني من غير كتبهما المشهورة.

(٢) طبقات الشافعية ج ١ ص ٢٢.

عني، واستجزته أنا أيضاً فيما عنده، ولم ألقه، وكاتبني مرات، وكان متناهياً في الفضل والدين، منقطعاً إلى الخير وكان العبّاد والزهّاد يقصدونه ويألفونه ويحمدون صحبته وسعي به إلى السلطان فأمر بإشخاصه إلى حضرته بمراكش فوصلها وتوفي بها.

**قلت: في تاريخي إن مولد ابن العريف** في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ولا يصح.

**وكان الناس قد ازدحموا عليه يسمعون كلامه** ومواعظه فخاف ابن تاشفين سلطان الوقت من ظهوره وظن أنه أنموذج ابن تومرت فيقال: إنه قتله سراً فسقاه والله أعلم.

**وقد قرأ بالروايات على اثنين من بقايا أصحاب أبي عمرو الداني،** ولبس الخرقة، من أبي بكر عبدالباقي المذكور آخر أصحاب أبي عمر الطلمنكي وفاة.

**قال ابن مسدي:** ابن العريف ممن ضرب عليه الكمال رواق التعريف فأشرقت بأضرابه البلاد، وشرقت به جماعة الحساد، حتى سَعَوْا به إلى سلطان عصره، وخوفوه من عاقبة أمره، لاشتمال القلوب عليه، وانضوى الغرباء إليه، فغرب إلى مراكش، فيقال إنه سم وتوفي شهيداً، وكان لما احتمل إلى مراكش استوحش فغرق في البحر جميع مؤلفاته فلم يبق منها إلا ما كتب منها عنه.

**روى عنه أبو بكر بن الرزق الحافظ** أبو محمد بن ذي النون وأبو العباس الأندلسي ولبس الخرقة وصحب جدي الزاهد موسى بن مسدي ولعله آخر من بقي من أصحابه[1].

*** جاء في ترجمة عز الدين ابن الصائغ أبو المفاخر محمد بن عبدالقادر بن عبدالخالق الدمشقي:**

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ١١١.

**قال في طبقات الشافعية:**

**كان عارفاً بالمذهب** بارعاً في الأصول والمناظرة، خيراً ديناً قواماً بالحق، ولد سنة ثمان وعشرين وستمائة وسمع من جماعة ولازم القاضي كمال الدين التفليسي حتى صار من أعيان أصحابه، ودرس بالشامية شريكاً للمقدسي ثم انتقل إلى وكالة بيت المال ثم إلى قضاء القضاة سنة تسع وستين، فأقام الحق ودفع الباطل وأسقط شهوداً كثيرة فتعصب عليه خلائق وتَهِمُوا عليه أموراً، فعزل بابن خلكان وبقي معه تدريس العذارية، ثم تولى نائباً، فعاد لما كان عليه، فأتقنوا أمره وعزل ثانياً سنة اثنتين وثمانين في رجب ووقعت الحوطة على أملاكه، وحبس في القلعة أياماً وكاد أن يهلك ثم فرج الله تعالى غمه وعن أمواله، واستمر معزولاً مقيماً في بستانه إلى أن توفي، في تاسع شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة ولما حضرته الوفاة جمع أهله وتوضأ وصلى بهم، ثم قال: هللوا معي وبقي يهلل معهم إلى أن توفي مع قوله: لا إله إلا الله[1].

*** جاء في ترجمة عبدالرحمٰن تقي الدين أبو القاسم:**

**قال في طبقات الشافعية:**

**تقي الدين أبو القاسم عبدالرحمٰن:** .. من بيت لم يزل فيهم مع توالي الأعصار وتصرف الليل والنهار، أعلام علم الدين، وأرباب قدم وتمكين إلى أن نشأ المذكور فرفع في طرائق الفخار منارهم، وأوقد في علوم العلوم نارهم، كان فقيهاً إماماً بارعاً شاعراً خيراً ديناً مربياً للطلبة، متواضعاً كريماً، تفقه على والده وعلى ابن عبدالسلام وتولى الوزارة وقضاء القضاة، ومشيخة الشيوخ فسار أحسن سيرة وما يرضاه عالم العلانية والسريرة، وأضيف إليه تدريس الصالحية والشريفية بالقاهرة، والمشهد الحسيني، وخطابة جامع الأزهر، وامتحن محنة شديدة في أول الدولة الأشرفية، وعمل على إتلافه بالكلية، وذلك بسعاية الوزير ابن السلعوس

---

(١) طبقات الشافعية ج ٢ ص ٥٠.

الدمشقي لأنه كان يصحب الأشرف قبل سلطنته وكان قاضي القضاة يقوم عليه لظلمه وحيفه وتكلم مع والده المنصور بسببه فمنعه السلطان من الاجتماع بولده مع ميله إليه[1].

*** جاء في ترجمة محمد بن عبدالباقي بن محمد بن عبدالله أبو بكر:**

**قال الذهبي:**

**قاضي المرستان الشيخ الإمام** العالم الفرضي العدل مسند العصر.

**وقد تكلم فيه أبو القاسم ابن عساكر بكلام مُرْدٍ فج،** فقال: كان يتهم **بمذهب الأوائل،** ويذكر عنه رقة دين، قال: وكان يعرف الفقه على مذهب أحمد.

**وقال ابن الجوزي:** ذكر لنا أبو بكر القاضي **أن منجمين** حضرا عند ولادتي فأجمعا على أن العمر اثنتان وخمسون سنة، فها أنا قد جاوزت التسعين.

**قلت: هذا يدل على حسن معتقده.**

**قال ابن الجوزي:** وكان حسن الصورة حلو المنطق مليح المعاشرة، كان يصلي في جامع المنصور فيجيء في بعض الأيام فيقف وراء مجلسي وأنا أعظ فيسلم علي، استملى عليه شيخنا ابن ناصر وقرأت عليه الكثير، وكان ثقة فهماً حجة متفنناً منفرداً في الفرائض قال لي يوماً: صليت الجمعة وجلست أنظر إلى الناس فما رأيت أحداً أود أن أكون مثله، وكان قد سافر فوقع في أسر الروم وبقي سنة ونصفاً وقيدوه وغلوه وأرادوه على كلمة الكفر فأبى، وتعلم منهم الخط الرومي، سمعته يقول: من خدم المحابر خدمته المنابر، يجب على المعلم أن لا يعنف وعلى المتعلم أن لا يأنف ورأيته بعد ثلاث وتسعين سنة صحيح الحواس لم يتغير منها شيء، ثابت العقل،

---

(١) طبقات الشافعية ج ١ ص ٧٩.

يقرأ الخط الدقيق من بعد، ودخلنا عليه قبل موته بمديدة فقال: سالت في أذني مادةٌ، فقرأ علينا من حديثه، وبقي على هذا النحو من شهرين، ثم زال ذلك ثم مرض فأوصى أن يعمق قبره زيادة على العادة، وأن يكتب على قبره ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾[1] وبقي ثلاثة أيام لا يفتر من قراءة القرآن، إلى أن توفي قبل الظهر ثاني رجب سنة خمس وثلاثين وخمسمائة.

**وقال السمعاني:**

**ما رأيت أجمع للفنون منه**، نظر في كل علم، فبرع في الحساب والفرائض، سمعته يقول: تبت من كل علم تعلمته إلا الحديث وعلمه، ورأيته ما تغير عليه من حواسه شيء، وكان يقرأ الخط البعيد الدقيق وكان سريع النسخ حسن القراءة للحديث وكان يشتغل بمطالعة الأجزاء التي معي وأنا مكب على القراءة فاتفق أنه وجد جزءاً من حديث الخزاعي قرأته بالكوفة على عمر بن إبراهيم العلوي بإجازته من محمد بن علي بن عبدالرحمٰن العلوي وفيه حكايات مليحة فقال: دعه عندي، فرجعت من الغد فأخرجه وقد نسخه، وقال: اقرأه حتى أسمعه، فقلت: يا سيدي كيف يكون هذا؟ ثم قرأته، فقال للجماعة: اكتبوا اسمي[2].

*** جاء في ترجمة ابن بكروس:**

**قال في ذيل طبقات الحنابلة:**

**بكروس يلازم قبر معروف الكرخي** فسمعته وهو يدعو أكثر الأوقات: اللهم مكني من دماء المسلمين ولو يوماً واحداً، قال: فمكنه الله من ذلك.

**وقال ابن الساعي**: حدثني عبدالعزيز الناسخ أنه وعظ ابن بكروس يوماً، فقال له: يا شيخ أعلم أني فرشت حصيراً في جهنم، قال: فقمت

---

(١) سورة ص، الآيتان: ٦٧، ٦٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ٢٣.

متعجباً من قوله، ولم يزل على ذلك إلى أن قبض عليه في ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وستمائة وضرب حتى تلف فمات ليلة الخميس ثامن جمادى الأولى من السنة المذكورة.

**وقال ابن القادسي:**

**وكان الناصح صاحباً له فقبض عليه معه وحبس وضرب** وقرر عليه مال ثم أطلق ولم يؤخذ منه شيء.

**قال: واجتمع الناس لخروج جنازته،** وأغلق باب النوبي، فأخرجت جنازته نصف الليل من باب العامة، وحمل إلى باب أبرز، فدفن إلى جانب مشهد أولاد الحسن، سامحه الله وتجاوز عنه.

**وذكر المنذر أنه توفي ثامن عشر الشهر،** ودفن في ليلة تاسع عشرة، وقد وجدَ أبو شامة في ابن بكروس مجالاً للمقال **فقال فيه وأطال وأظهر بعض ما في نفسه فيه وفي أمثاله، حيث لم يمكنه القول في أكابر الرجال،** وذكر أنه رمي به في دجلة وهذا لم يصح بحال[1].

*** جاء في ترجمة عبدالرحمٰن بن عيسى بن أبي الحسن البزوري البغدادي أبو محمد وأبو الفرج:**

**قال في ذيل الطبقات:**

**قرأ الوعظ، والفقه والحديث،** على الشيخ أبي الفرج بن الجوزي، وكان خصيصاً به، ثم تهاجرا وتباينا إلى أن فرق الموت بينهما.

**قال سبط ابن الجوزي:** ثم حدثته نفسه بمضاهاة جدي، وكنَّى نفسه بكنيته، واجتمع إليه سفاسف أهل البصرة، وانقطع عن جدي، ولما جاء من واسط ما جاء إليه ولا زاره، وتزوج صبية وهو في عشر السبعين، فاغتسل في يوم بارد فانتفخ ذكره فمات.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٧٠.

**وقال القادسي**: كان تلميذ شيخنا ابن الجوزي وصحبه مدة وانتفع به ووعظ بجامع المنصور.

**قال: وسمعته يقول بعض الأيام على الكرسي**: إن الثعبان لم يلدغ أبا بكر الصديق، ولم يصح ذلك، فذكرنا ذلك لشيخنا ابن الجوزي فقال: إن هذا الحديث قد ذكره اللالكائي وكان من سادة أهل الحديث، وإن ابن عيسى قال كلمات كتبها من عندي.

**قال: وسمعته يقول**: إن مشهد المستقة لم يصح أن علياً اشتراه بمستقة، وذكر قصته وأن الرافضة وضعوا ذلك، قال: وقد صرح شيخنا ابن الجوزي بكذبه لما بان له منه.

**قلت: لا ريب في وقوع العداوة بينهما.**

**وكلامه فيها يدل على فصاحته ومعرفته بالفقه والأصول والجدل.**

**وقد ذكره الحافظ الضياء** فقال: شيخنا الإمام الواعظ، أبو محمد، ولكن ابن الجوزي وأصحابه يذمونه.

*** جاء في ترجمة علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله أبو الحسين شرف الدين البعلي:**

**قال في ذيل الطبقات:**

**وقال البرزالي:**

**كان شيخاً جليلاً حسن الوجه، بهي المنظر**، له سمت حسن، وعليه سكينة، ولديه فضل كثير، يحفظ كثيراً من الأحاديث بلفظها، ويفهم معانيها، ويعرف كثيراً من اللغة، وكان فصيح العبارة حسن الكلام وكان له قبول من الناس، وهو كثير التودد إليهم قاض للحقوق.

**وقال الذهبي:**

**كان إماماً محدثاً، متقناً، مفيداً، فقيهاً، مفتياً**، خبيراً باللغة، وكان موته بشهادة رحمه الله، فإنه دخل إليه يوم الجمعة خامس رمضان وهو في

خزانة الكتب بمسجد الحنابلة شخص فضربه بعصا على رأسه مرات وجرحه في رأسه بسكين، فاتقى بيده فجرحه فيها وأمسك الضارب وضرب ضرباً عظيماً وحبس وأظهر الاختلال وحمل الشيخ إلى داره وأقبل على أصحابه يحدثهم، وينشدهم على عادته، وأتم صيامه يومه، ثم حصل له بعد ذلك حمى، واشتد مرضه حتى توفي يوم الخميس المذكور في الساعة الثامنة منه، وغبطه الناس بموته شهيداً في رمضان ليلة الجمعة عقب رجوعه من دمشق وإفادته الناس وإسماعه الحديث رضي الله عنه(١).

*** جاء في ترجمة محمد بن سعدون بن مرجي أبو عامر العبدري:**

**قال الذهبي:**

**الشيخ الإمام الحافظ الناقد الأوحد،** مولده بقرطبة وكان من بحور العلم **لولا تجسيم فيه** نسأل الله السلامة.

**وقال الحافظ ابن عساكر:**

**كان العبدري أحفظ شيخ لقيته،** وكان فقيهاً داودياً، ذكر أنه دخل دمشق في حياة أبي القاسم بن أبي العلاء وسمعته وقد ذكر مالك فقال: جلف جاف، ضرب هشام بن عمار بالدرة، وقرأت عليه الأموال لأبي عبيد، فقال: وقد مر قول لأبي عبيد: ما كان إلا حماراً مغفلاً، لا يعرف الفقه، وقيل لي عنه: إنه قال في إبراهيم النخعي: أعور سوء، فاجتمعنا يوماً عند ابن السمرقندي في قراءة كتاب الكامل، فجاء فيه: وقال السعدي كذا، فقال: يكذب ابن عدي، إنما ذا قول إبراهيم الجرجاني، فقلت له: فهو السعدي، **فإلى كم نحتمل منك سوء أدب، تقول في إبراهيم كذا وكذا، وتقول في مالك جاف، وتقول في أبي عبيد، فغضب وأخذته الرعدة،** وقال: كان ابن الخاضبة والبرداني وغيرهما يخلفوني، فآل الأمر إلى

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٣٤٥.

أن تقول في هذا، فقال له ابن السمرقندي: هذا بذاك، فقلت: إنما نحترمك ما احترمت الأئمة، فقال: والله لقد علمت مِنْ علم الحديث ما لم يعلمه غيري ممن تقدم، وإني لأعلم مِنْ صحيح البخاري ومسلم ما لم يعلماه، فقلت مستهزئاً: فعلمك إلهام إذاً، وهاجرته **وكان سيء الاعتقاد، يعتقد من أحاديث الصفات ظاهرها**[1]، بلغني عنه أنه قال في سوق باب الأزج ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[2] فضرب على ساقه، وقال: ساق كساقي هذه.

**وبلغني عنه أنه قال**: أهل البدع يحتجون بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[3] **أي في الإلهية**، فأما في الصورة فهو مثلي ومثلك، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾[4] أي في الحرمة.

**وسألته يوماً عن أحاديث الصفات؟** فقال: اختلف الناس فيها، فمنهم من تأولها، ومنهم من أمسك، ومنهم من اعتقد ظاهرها، **ومذهبي أحد هذه المذاهب الثلاثة**، وكان يفتي على مذهب داود، فبلغني أنه سئل عن وجوب الغسل على من جامع ولم ينزل فقال: لا غسل عليه، الآن فعلتُ ذا بأم أبي بكر.

**إلى أن قال: وكان بشع الصورة زري اللباس.**

**وقال السمعاني:**

**وهو حافظ مبرز في صنعة الحديث**، سمع الكثير، ونسخ بخطه وإلى آخر عمره، وكان ينسخ وقت السمع.

**وقال ابن ناصر:**

**فيه تساهل في السماع**، يتحدث ولا يصغي ويقول: يكفيني حضور

---

(١) ينبغي أن يعرف أن التجسيم ليس هو ظاهر الصفات، فإن الظاهر لفظ فيه إجمال.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤٢.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

المجلس، **ومذهبه في القرآن مذهب سوء** مات في ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

**قلت: ما ثبت عنه ما قيل من التشبيه، وإن صح فبعداً له وسحقاً**[1].

*** جاء في ترجمة أبي شامة عبدالرحمٰن بن إسماعيل بن إبراهيم:**

**قال في طبقات الشافعية:**

**أبو القاسم عبدالرحمٰن بن إسماعيل بن إبراهيم**، الملقب بشهاب الدين، المعروف بأبي شامة، لشامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر.

**كان عالماً راسخاً في العلم**، فقيهاً مقرئاً، محدثاً، نحوياً، يكتب الخط المليح المتقن، وفيه تواضع واطراح كثير جداً.

**ولد بدمشق سنة تسع وتسعين وخمسمائة وختم القرآن**، وله دون عشر سنين، وقرأ بالروايات على السخاوي، وله ست عشرة سنة، ثم اشتغل بالسماع، ورحل إلى مصر، وأخذ في تحصيل العلوم، إلى أن برع، وتولى مشيخة الإقراء بتربة أم الصالح، ومشيخة دار الحديث والأشرفية، وصنف كتباً كثيرة منها: شرح الشاطبية، ونظم المفصل للزمخشري، وتصنيف المشهور في أبيات البسملة في الصلاة في مجلد ضخم واختصر تاريخ دمشق لابن عساكر مختصرين كبيراً وصغيراً ومنها كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية وذيل عليه إلى زمانه ذيلاً مفيداً وأسمع كثيراً من مصنفاته في حياته.

**وجرت له محنة في سابع جمادى الآخرة سنة خمس وستين وستمائة،** وهو أنه كان في داره، بطواحين الأشنا، فدخل عليه رجلان جليلان في صورة مستفتيين، ثم ضرباه ضَرْباً مبرحاً إلى أن عيل صبره، ولم يدر به أحد، ثم توفي رحمه الله في تاسع عشر رمضان من ذلك العام[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ٥٨٣.

(٢) طبقات الشافعية ج ٢ ص ٣١.



# الخاتمة

**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات..**

**الحمد لله على ما وفق من الانتهاء** من هذه الموسوعة التي تمس داءً اجتماعياً خفياً من أدواء المجتمعات، دبَّ إلينا وبدأ الشيطان يُفرخ تحت سمائه، ويبيض في أرضه، وكم عانى الناس قديماً وحديثاً منه، ويتبين من خلال هذا السفر الذي بين أيدينا مدى خطورة هذا الداء على طلاب العلم والعلماء وأهل الدعوة فضلاً عن عوام الناس، **وإنما جمعت ما جمعت فيه نصحاً للأمة، فإن أصبت فمن الله تعالى، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.**

**وأحب أن أكرر هنا** أنه ليس لي غرض فيما نقلته عن **المعاصرين** من قضايا وردود إلا **النصح العام**، وأسأل الله تعالى أن يوفقني دائماً لمحاولة جمع الشمل، ورأب الصدع الحاصل بين أبناء الأمة الواحدة، أمة القرآن.

**كما أحب أن أشير** إلى أنني **ما عدوت الجمع** من ثنايا الكتب والمؤلفات التاريخية المعتمدة، **الموثقة علمياً، ولست موافقاً في الرأي والاجتهاد لكل من نقلت عنهم**، وإنما من أحالك فقد برئت ذمته.

**كما أحب أن أوضح أنه ما من قضية أو ترجمة نقلتها، إلا وللتعليق عليها مجال واسع**، ولكني أحببت ألا أطيل الكتاب بذلك، فاكتفيت بالنقل والعزو، مراعياً فطنة القارىء التي تجمع بين ما عنونت به للترجمة، وبين ما نقلته في ثناياها، وهو أمر اجتهادي، وقد يكون لدى غيري ما يضيفه، وحسبي أنني بدأت، والبداية عرضة للسهام فضلاً عن التنقيح والمزيد!!!

**ومما يجدر ذكره هنا أنني نقلت ما نقلته بأمانة** من الكتب المشار إليها من الطبعات المعروفة المشهورة، ولكن قد يكون **ثمة تصرف يسير** لم أنبه عليه في موضعه اكتفاءً بالتنويه عليه هنا، وهو لا يعدو أن يكون **تصحيحاً لخطأ مطبعي أو نحوي** في المرجع الذي نقلت منه، أو لتوضيح عبارة بحرف أو كلمة، ونحو ذلك، وربما وضعت ذلك بين قوسين تمييزاً له عن أصله المنقول عنه.

**وأما فصل المتفرقات** فقد أوضحت في أوله سبب إفرادي له، وقد يمكن أن يضاف مستقبلاً لأقرب المباحث شبهاً به مع ما سيضاف إليه في الطبعة القادمة إن شاء الله مع الملحوظات التي تصلني من القارىء الكريم، والتي أنا حريص عليها بلوغاً للغاية، وطلباً للكمال، وسداداً للقلم، وزينة للمداد، والله تعالى حسبي وهو نعم الوكيل..

**وأنتهز هذه الفرصة فأشكر كل من أسهم** وساعد في إخراج هذه الموسوعة، التي أرجو أن تكون بداية عمل موسوعي ضخم يخدم الأمة، ويكون لي ذُخراً عند الله تعالى.

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم...**

**عبدالله بن حسين الموجان**
**مكة المكرمة في شعبان ١٤١٨هـ**

# فهرس الموضوعات

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |